

الْبِدَائِيَّةُ وَالنِّهَايَةُ

لِلْحَافِظِ عَمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلَ

أَبْنِ عَمْرِ بْنِ كَثِيرِ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشَقِيِّ

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ بَنِي عَبْدِ الْحَكِيمِ التُّرْكِيُّ

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ

مَرْكَزِ الْبَحْثِ وَالدراسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

بِدَارِ هَجْرٍ

الْجُزْءُ السَّابِعُ عَشَرَ

هَجْرٌ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالْإِعْلَانِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

البداية والنهاية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستمائة

في المحرم^(١) وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرشيية عن العادل، ومعه هدايا كثيرة، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال اليتيم والمجنون، وأخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها، فاعترض عليه الشافعى، فأجاد كل منهما في الذى أوردته، ثم خلع على الحنفى وأصحابه بسبب الرسالة، وكانت المناظرة بحضرة نائب الوزير ابن أمسينا^(٢).

وفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران المضرى رئيس الشافعية بدمشق إلى بغداد فى الرشيية عن الملك العادل، فتلقاه الجيش مع حاجب الحجاب، ودخل معه ابن أخى صاحب إربل مظفر الدين كوكبرى^(٣)، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل، والسؤال فى الرضا عنه، فأجيب إلى ذلك.

(١) الكامل ١٢/٢٨٤، والجامع المختصر لابن الساعى ٩/٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣.

(٢) فى م: «شكر».

(٣) فى الأصل، م: «كوكرى». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤.

وفيهَا مَلِكُ الْعَادِلِ الْخَابُورَ وَنَصِيْبِيْنَ ، وَحَاصِرَ مَدِيْنَةَ سِنْجَارَ^(١) مَدَّةً ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهَا ، ثُمَّ صَالِحَ صَاحِبِهَا ، وَرَجَعَ عَنْهَا .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ :

الْقَاضِي الْأَسْعَدُ بْنُ مَمَاتِي : أَبُو الْمَكَارِمِ أَسْعَدُ بْنُ الْخَطِيرِ أَبِي سَعِيدٍ مُهَذَّبِ
ابْنِ مِيْنَا^(٢) بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي قُدَامَةَ بْنِ أَبِي مَلِيحٍ مَمَاتِي الْمَصْرِيُّ ، الْكَاتِبُ
الشَّاعِرُ ، أَسْلَمَ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وَتَوَلَّى نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بِمَصْرَ مَدَّةً .

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ^(٣) : لَهُ فَضَائِلٌ عَدِيدَةٌ ، وَمُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَنَظْمٌ سِيرَةٌ
صَلَاحِ الدِّينِ وَكِتَابٌ « كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ » ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٍ ، وَلَمَّا تَوَلَّى الْوَزِيرُ ابْنَ شُكْرٍ
هَرَبَ مِنْهُ إِلَى حَلَبَ ، فَمَاتَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ ثِنْتَانِ وَسِتُونَ سَنَةً ، فَمِنْ شَعْرِهِ
فِي ثَقِيلٍ رَأَاهُ^(٤) بِدَمَشَقَ :

حَكَى نَهْرَيْنِ مَا فِي الْأَرِضِ مَنْ يَحْكِيهِمَا أَبَدًا
حَكَى فِي خَلْقِهِ ثَوْرِي وَفِي أَخْلَاقِهِ بَرْدِي^(٥)

أَبُو يَعْقُوبَ يُوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ
اللُّمَّغَانِيَّ^(٦) ، أَحَدُ الْأَعْيَانِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ بِيغْدَادَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَدَرَّسَ بِجَامِعِ

(١) سنجان: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. معجم البلدان ١٥٨/٣.

(٢) في الأصل، ص: «سينا». وانظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٠٠/٦، وإنباه الرواة ٢٣١/١، والتكملة لوفيات النقلة للمندري ٢٨٩/٣، ووفيات الأعيان ٢١٠/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٥/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٠١، ونهاية الأرب ٥١/٢٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢١٠/١.

(٤) في الأصل، م: «زاره».

(٥) ثوري وبردي: نهران بدمشق. معجم البلدان ٥٥٦/١، ٩٣٨.

(٦) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٣، والجامع المختصر ٢٩٥/٩، والجواهر المضية ٦٢٠/٣، وتاريخ =

السلطان، وكان مُعْتَرِياً في الأصول، بارعاً في الفروع، اشتغل على أبيه وعمه،
وأثقن الخِلافَ وعلم المناظرة، وقارب التسعين، رحمه الله.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين^(١)، المعروف بابن الخراساني،
المحدثُ الناسخ، كتب كثيراً من الحديث، وجمع خطباً له ولغيره، وخطه جيدٌ
مشهورٌ، رحمه الله تعالى.

أبو المواهبِ مَعْتوقُ بنِ مَنيعِ بنِ مَواهِبِ، الخطيبُ البغداديُّ^(٢)، قرأ النحو
واللغة على ابن الخشاب [٣٣٥/٩]، وجمع خطباً كان يخطبُ منها، وكان
شيخاً فاضلاً أديباً، له ديوانٌ شعري، فمنه قوله:

ولا تزُجُو الصِّداقَةَ مِن عَدُوِّ يُعَادِي نَفْسَهُ سِرًّا وَجَهْرًا
فلو أُجِدْتُ مَوَدَّتُهُ انْتِفَاعًا لكان النَّفْعُ مِنْهُ إِلَيْهِ أُخْرَى^(٣)

ابنُ خَرْوِفِ شارحُ «كِتابِ سَيِّئِيهِ»: عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ، أبو الحسنِ
ابنُ خَرْوِفِ الأندلسيُّ النَّحْوِيُّ^(٤)، شرح «سَيِّئِيهِ»، وقَدَّمه إلى صاحبِ المغربِ
فأعطاه ألفَ دينارٍ، وشرح «جَمَلَ الزُّجَّاجِيِّ»، وكان يَنْتَقِلُ في البلادِ، ولا

= الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٨.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٩٣/٣، والجامع المختصر ٢٩٦/٩، والوفاء بالوفيات ١/١٤٥.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٢٩٧/٣، والجامع المختصر ٢٩٦/٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١

- ٦١٠) ص ٢٣١.

(٣) في م: «أجرا».

(٤) معجم الأدياء ٧٥/١٥، وإنباه الرواة ١٨٦/٤، والجامع المختصر ٣٠٦/٩ وفيه: «ابن خروفة
الأندلسي»، ووفيات الأعيان ٣٣٥/٣ وفيه: «علي بن محمد بن علي»، وسير أعلام النبلاء ٢٦/٢٢،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣٩، وجاءت وفاته في وفيات الأعيان وسير
أعلام النبلاء في سنة عشر وستمئة، وفي تاريخ الإسلام جاء في وفيات سنة تسع وستمئة.

يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْخَنَاتِ ، ولم يَتَزَوَّجْ قطُ ولا تَسْرَى^(١) ، وقد تَعَيَّرَ عقلُه في آخرِ عمرِه ، فكان يَمْشِي في الْأَسْوَاقِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ . وكانت وفاته في هذه السنَةِ عن خمسٍ وثمانين سنَةً .

أبو عليٍّ يَحْيَى بنُ الرِّبِيعِ بنِ سَلِيمَانَ بنِ حَرَّازِ الوَاسِطِيِّ ثم البَغْدَادِيِّ^(٢) ، اسْتَعْلَمَ بِالنِّظَامِيَّةِ عَلَى ابْنِ^(٣) فَضْلَانَ ، وَأَعَادَ عِنْدَهُ^(٤) ، وَسَافَرَ إِلَى مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى ، فَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فِي الْخِلَافِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ صَارَ مُدَرِّسًا بِالنِّظَامِيَّةِ ، وَنَازِرًا فِي أَوْقَافِهَا ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالْمَذْهَبِ ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ كَانَ يُدْرَسُ مِنْهُ ، وَاخْتَصَرَ «تَارِيخَ الْخَطِيبِ» وَ«الذَّيْلَ» عَلَيْهِ لِابْنِ السَّمْعَانِيِّ ، وَقَارَبَ الثَّمَانِينَ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ابن الأثير صاحب «جامع الأصول» و«النهاية»: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير^(٥)، وهو أخو الوزير الأفضل ضياء الدين نصر الله، وأخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب «الكمال في

(١) بعده في الأصل، م: «ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل».

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/٣٠٦، والذيل على الروضتين ص ٦٩، والجامع المختصر ٩/٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٩٣.

(٣) سقط من: م.

(٤) أعاد عنده: المعيد: من ألقاب أرباب الوظائف من العلماء، وهو ثاني رتبة المدرّس، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس ثم انصرف، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم؛ ليفهموه ويحسنوه. انظر صبح الأعشى ٥/٤٦٣، ٤٦٤.

(٥) معجم الأدياء ١٧/٧١، وإنباه الرواة ٣/٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٠٨، والذيل على الروضتين ص ٦٨، والجامع المختصر ٩/٢٩٩، ووفيات الأعيان ٤/١٤١، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٦٦.

التاريخ». وُلِدَ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارِكُ فِي أَحَدِ الرَّبِيعَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَأَتَقَنَ عِلْمَهُ وَحَرَزَ
 عِلْمًا جَمَّةً، وَكَانَ مُقَامُهُ بِالْمَوْصِلِ، وَقَدْ جَمَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ كُتُبًا مُفِيدَةً، مِنْهَا
 «جَامِعُ الْأَصُولِ» السُّتَيْةُ؛ «الْمَوْطَأُ» وَ«الصَّحِيحَانِ» وَ«سَنُنُ أَبِي دَاوُدَ»
 وَ«النِّسَائِيُّ» وَ«التِّرْمِذِيُّ»، وَلَمْ يَذْكَرِ ابْنُ مَاجَهٍ فِيهَا، وَلَهُ كِتَابُ «النِّهَائِيَّةِ فِي
 غَرِيبِ الْحَدِيثِ»، وَلَهُ «شَرْحُ مَسْنَدِ الشَّافِعِيِّ» وَ«التَّفْسِيرُ» فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ،
 وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي فُنُونٍ شَتَّى.

وَكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مُعَظَّمًا عِنْدَ مُلُوكِ الْمَوْصِلِ، فَلَمَّا آلَ الْمَلِكُ إِلَى نَوْرِ الدِّينِ
 أَرْسَلَانَ شَاهِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي، أَرْسَلَ إِلَيْهِ تَمْلُوكَهُ لَوْلُوًّا يَعْرِضُ عَلَيْهِ
 أَنْ يَسْتَوِزِرَهُ فَأَتَى، فَرَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ فَامْتَنَعَ أَيْضًا، وَقَالَ لَهُ: قَدْ كَبَّرْتَ
 سِنِّي، وَاسْتَهَزَتْ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنَ الْعَسْفِ
 وَالظُّلْمِ، وَلَا يَلِيْقُ بِى ذَلِكَ. فَأَغْفَاه.

قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ^(١): كُنْتُ أَقْرَأُ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الدَّهَّانِ، وَكَانَ
 يَأْمُرُنِي بِصَنْعَةِ الشَّعْرِ، فَكُنْتُ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَوَفَّى الشَّيْخُ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ
 اللَّيَالِي، فَأَمَرَنِي بِذَلِكَ، فَقُلْتُ: ضَعْ لِي مِثَالًا أَعْمَلُ عَلَيْهِ. فَقَالَ:

* جُبِ الْفَلَا مُدْمِنًا إِنْ فَاتَكَ الظَّفَرُ *

فَقُلْتُ أَنَا:

* وَحَدَّ حَدَّ الثَّرَى وَاللَّيْلُ مُغْتَكِرٌ *

(١) الجامع المختصر ٩/٣٠٠.

فالعزُّ في صَهَوَاتِ الخَيْلِ مَرْكَبُهُ والمجدُّ يُنتِجُهُ الإِسْرَاءُ والسَّهْرُ

فقال : أَحْسَنْتَ . ثم اسْتَيْقَظْتُ ، فَأَتَمَّمْتُ عَلَيْهَا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا .
كانت وفاته في سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ سَنَةً ، [٣٣٦/٩]
رحمه الله . وقد تزججه أخوه في « الكامل »^(١) فقال : كان عالماً في عِدَّةِ عُلُومٍ ؛
منها الفقهُ وعِلْمُ الْأَصُولِ والنحوُ والحديثُ واللغةُ ، وله تصانيفُ مَشْهُورَةٌ في
التفسيرِ والحديثِ والفقهِ والحسابِ وغريبِ الحديثِ ، وله رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ ، وكان
كاتبًا مُفْلِحًا يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ ، ذا دِينٍ مَتِينٍ ولُزُومِ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ، رَحِمَهُ اللهُ وَرَضَى
عنه ، فلقد كان مِنْ مَحَاسِنِ الزَّمَانِ .

قال ابنُ الأثيرِ^(٢) : وفيها تُوفِّي :

المجدُّ المَطْرِزِيُّ النَحْوِيُّ الخَوَازِمِيُّ^(٣) ، كان إمامًا في النحوِ ، له فيه تصانيفُ
حَسَنَةٌ .

قال أبو شامة^(٤) : وفيها تُوفِّي المَلِكُ المَغِيثُ فَتَحَ الدِّينَ عَمْرُ بْنُ المَلِكِ
العادلِ ، ودُفِنَ بِتُؤْبَةِ أَخِيهِ المَعْظَمِ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ .

والمَلِكُ المُوَيْدُ مَسْعُودُ بْنُ صَلاحِ الدِّينِ^(٥) بِمَدِينَةِ رَأْسِ العَيْنِ ، فَحُمِلَ إِلَى

(١) في الأصل ، م : « الذيل » . وانظر الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٢) الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٣) معجم الأدباء ٢١٢/١٩ ، وإنباه الرواة ٣/٣٣٩ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٦٩ ، وسير أعلام النبلاء
٢٨/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩١ ، والجواهر المضية ٣/٥٢٨ .
وفي هذه المصادر أنه توفي سنة عشر وستمائة .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٦٧ .

(٥) الكامل ١٧١/١٢ ، والذيل على الروضتين ص ٦٧ ، ونهاية الأرب ٥/٢٩ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٠ .

حلب ، فدُفِنَ بها .

وفيها تُوفِّي الفخرُ الرازيُّ المتكلِّمُ ، صاحبُ التفسيرِ والتصانيفِ : محمدُ ابنُ عمرَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ القُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ البَكْرِيِّ الإمامِ ، أبو عبدِ اللهِ وأبو المعالي المعروفُ بالفخرِ الرازيِّ^(١) ، ويقالُ له : ابنُ خطيبِ الرِّيِّ . الفقيهُ الشافعيُّ أحدُ المشاهيرِ بالتَّصانيفِ الكبارِ والصِّغارِ نحوِ مِنْ مائتَيْ مُصَنَّفٍ ؛ فمن ذلك « التَّفْسِيرُ » الحافلُ و« المطالبُ العالِيَّةُ » و« المباحثُ المُشْرِقيَّةُ^(٢) » و« الأزْبَعِينِ » ،^(٣) و« شرحُ الإشاراتِ » ، وغيرها في علمِ الكلامِ ومذاهبِ الأوائلِ وأقوالِ الناسِ ، وله في^(٤) أصولِ الفقهِ « المَحْصُولُ » وغيرُهُ ، وصنَّفَ ترجمةَ الشافعيِّ في مُجلدٍ مُفيدٍ ، وفيه غرائبٌ^(٤) ، ويُنسَبُ إليه أشياءٌ عجيبةٌ ، وقد استقصيتُ ترجمته في « طبقاتِ الشافعية » ، وقد كان مُعظَّمًا عندَ ملوكِ الخُوَازْمِيَّةِ وغيرِهِم ، وبيَّنتُ له مدارِسُ كثيرةٌ في بُلْدانِ شَتَّى ، وملكَ مِنَ الذهبِ العَيْنِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ ، وغيرَ ذلك مِنَ الأُمُتعةِ والمراكِبِ والأثاثِ والملابسِ ، وكان له خمسونَ تملوكًا مِنَ الثُّرُكِ ، وقد كان يعقِدُ مجلسَ الوعظِ فيحضُرُ عندهُ الملوكُ والوزراءُ والعلماءُ والأُمراءُ والفُقهاءُ والعامةُ والعَوَّغَاءُ ، وكانت له عباداتٌ وأورادٌ ، وقد وقَّعَ بينه وبينَ الكَرَّامِيَّةِ في أوقاتِ شَتَّى ، فكان يُبغِضُهُم ويُبغِضُونَهُ ويبالغُ في ذمِّهِم ويُباليغونَ في الحطِّ عليه ، وقد ذكرنا طرفًا مِنْ ذلك فيما تقدَّم ، وكان معَ غزارةِ

(١) الجامع المختصر ٣٠٦/٩ ، والذيل على الروضتين ص ٦٨ ، ووفيات الأعيان ٤/٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٥١/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢١١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨١/٨ ، وطبقات المفسرين ٢/٢١٣ .

(٢) في م : « الشرقية » ، وفي ص : « الشريفة » . وانظر كشف الظنون ٢/١٥٧٧ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده في م : « لا يوافق عليها » .

علمه وتبجّره في فنّ الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز. وقد ذكرته وصيَّته عند موته، وأنه رجع فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على الوجه المراد للاتق بجلال الله تعالى.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الذيل»^(١) في ترجمته: كان يعظ وينال من الكرامية، وينالون منه سبًا وتكفيرًا، وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السمّ فمات ففرحوا بموته، وكانوا يزُمونه بالكبائر. قال: وكانت وفاته في ذي الحجة، ولا كلام في فضله، وإنما^(٢) الشناعات عليه قائمة بأشياء منها؛ أنه كان يقول: قال محمد التازي^(٣) - يعني العربي، يُريدُ النبي ﷺ^(٤) - وقال محمد الرازي. يعني نفسه، ومنها أنه كان يُقرّرُ الشبهة من جهة الخصوم بعبارة كثيرة، ويُجيب عن ذلك [٣٣٦/٩] بأدنى إشارة. قال: وبلغني أنه خلف من الذهب العين ثمانين ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات، وخلف ولدين، أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار. وكان ابنته الأكبر قد تجتد في حياته وخدم السلطان محمد بن تكش.

وقال ابن الأثير في «الكامل»^(٥): وفيها تُوفى فخر الدين أبو الفضل محمد ابن عمر بن خطيب الرزي، الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في^(٦)

(١) الذيل على الروضتين ص ٦٨.

(٢) في م: «ولا فيما كان يتعاطاه، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعًا زائدًا وليس ذلك من صفة العلماء ولهذا وأمثاله كثرت».

(٣) في الأصل: «الباري»، وفي م: «البادي».

(٤) بعده في م: «نسبة إلى البادية».

(٥) الكامل ٢٨٨/١٢.

(٦) في النسخ: «و». والمثبت من الكامل.

الفقيه والأصوليين^(١) وغيره، وكان إمام الدنيا في عصره . وبلغني أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

ومن شعره قوله :

إليك إله الخلق وجهي ووجهتي وأنت الذي أذعوك في السر والجهري
وأنت غيائي عند كل مليمّة وأنت معاذي في حياتي وفي قبوري

وروى ذلك ابن الساعي^(٢) عن ياقوت الحموي، عن ابن لفخر الدين عنه ،

وبه قال : أنشدنا :

تتمة أبواب السعادة للخلق بدكر جلال الواحد الأحد الحق
مدبر كل المعينات بأشرها ومبدعها بالعدل والقصد والصدق
أجل جلال الله عن شبه خلقه وأنصر هذا الدين في الغرب والشرق
إله عظيم الفضل والعدل والعلو هو المرشد المغوي هو المشيد المشقي

وما كان يُنشدُه^(٣) في بعض مصنفاته^(٤) :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال^(٥)
وأرواحنا في وحشة من جُسومنا وحاصل دُنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
ثم يقول^(٥) : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها

(١) في الأصل ، م : «الأصول» .

(٢) الجامع المختصر ٣٠٧/٩ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) وفيات الأعيان ٢٥٠/٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٠١/٢١ .

تَزَوَى غَلِيلاً وَلَا تَشْفِي غَلِيلاً ، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾
[فاطر : ١٠] وَفِي النَّفْيِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ
لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

ثم دخلت سنة سبع وستمائة

ذكر الشيخ شهاب الدين في «الذيل»^(١) أن في هذه السنة تملأت ملوك الجزيرة؛ صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب إربل و^(٢) معهم ابن أخيه^(٢) الظاهر صاحب حلب وملك الروم أيضًا، على مخالفة العادل ومناذته ومقاتلته واضطلام الملك من يده، وأن تكون الخطبة في بلادهم بذلك للملك كيخسرو^(٣) ابن قليج أرسلان صاحب الروم، وأرسلوا إلى الكرج ليقدّموا لحصار خلاط وأخذها من يد الملك الأوحدي نجم الدين أيوب بن العادل، ووعدهم النصر والمعاونة عليه - قلت: وهذا بغى وغدوان ينهى الله عنه - فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى^(٤)، فحاصروا خلاط، فضاقت بهم الأوحدي دزغًا، وقال: هذا يوم عصيب. فقدّر الله تعالى أن في يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر اشتد حصارهم للبلد، وأقبل ملكهم إيوانى وهو راکب على جواده وهو سكران، فسقط به جواده في بعض الحفر التي قد أعدت مكيدة حول البلد، فبادر إليه رجال البلد، فأخذوه أسيرًا حقيرًا، فأسقط في أيدي الكرج، فلما أوقف بين يدي الأوحدي أطلقه ومنّ عليه، وأكرمه وأحسن إليه، وفاداه على مائتي^(٥) ألف دينار وألفني

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٥، ٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في م: «كنجر». وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/٢٢.

(٤) في الذيل على الروضتين: «إيوانى».

(٥) كذا في الأصل، م، وفي ص: «مائة»، وفي الذيل على الروضتين، وتاريخ الإسلام (حوادث

وفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١: «ثمانين».

أسير من المسلمين، وتسليم إحدى وعشرين [٣٣٧/٩] قلعة متاخمة لبلاد الأوحِد، وأن يُزوّج ابنته من أخيه الملك الأشرف موسى، وأن يكون عوّناً له على من يُحاربه. فأجابه إلى ذلك كله، فأخذت الأيمان منه بذلك، وبعث الأوحِد إلى أبيه يستأذنه في ذلك كله، والعاذل نازل بظاهر حرّان في أشدّ خيرة مما قد دهمه من الأمر الفظيع، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الأمر الهائل والتدبير من عزيز حكيم،^(١) لم يكن في باله ولا في حسابه^(٢)، فكاد يذهل فرحاً وسروراً، وأجاز جميع ما فعله ولده، وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك، فخصّصوا وذلّوا عند ذلك، وأرسل كلّ منهم يعتذر مما نُسب إليه، ويحيل على غيره، فقبل منهم اعتذاراتهم، وصالحهم صلحاً أكيداً، واستقبل الملك عقداً جديداً. ووفى ملك الكُوج للأوحِد بجميع ما شرطه عليه، وتزوج الأشرف ابنته. ومن غريب ما ذكره الشيخ أبو شامة في هذه الكائنة أن قسيس الملك كان حرّاء^(٣) ينظر في النجوم، فقال للملك قبل ذلك بيوم: اعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلائط ولكن بزّي غير زيّك أذان العصر. فوافق دخوله إليها أسيراً وقت أذان العصر.

ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين^(٣)

أرسل الملك نور الدين شاه بن عزّ الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن

(١ - ١) في م: «لا من حولهم ولا من قوتهم ولا كان في بالهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) الكامل ٢٩١/١٢، ومرآة الزمان ٥٤٦/٨ (القسم الثاني)، وبغية الطلب ٣/٣٨١، والذيل على الروضتين ص ٧٠، ووفيات الأعيان ١/١٩٣، ٥/٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٤١.

زَنْكِي صاحبُ الْمُؤَصِّلِ يَخْطُبُ ابنةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَأَرْسَلَ وَكَيْلَهُ لِقَبُولِ الْعَقْدِ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَاتَّفَقَ مَوْتُ نَوْرِ الدِّينِ وَوَكَيْلُهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، فَعَقِدَ الْعَقْدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَيْهِ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي « كَامِلِهِ » كَثِيرًا وَشَكَرَ مِنْهُ وَمِنْ عَدْلِهِ وَشَهَامَتِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مَدَّةَ مُلْكِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا . وَأَمَّا أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّبْطُ فَإِنَّهُ قَالَ : كَانَ جَبَارًا ظَالِمًا بَخِيلًا سَفَّاكًا لِلدَّمَاءِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَامَ فِي الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْقَاهِرُ عَزَّ الدِّينِ مَسْعُودٌ ، وَجَعَلَ لِابْنِهِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي - وَكَانَ الْأَصْغَرَ - بَعْضَ الْبِلَادِ ، وَجَعَلَ تَدْبِيرَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى غُلَامِهِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤَ الَّذِي صَارَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ فِيمَا بَعْدُ كَمَا سَيَأْتِي .

قال أبو شامة^(١) : وفي سابع شوالٍ شُرِعَ فِي عِمَارَةِ الْمُصَلَّى ؛ بُنِيَ لَهُ أَرْبَعُ جُدُرٍ مُشْرِفَةٍ ، وَجُعِلَ لَهُ أَبْوَابٌ صَوْتًا لِمَكَانِهِ مِنَ الْمِيْتَاتِ وَنَزْوِلِ الْقَوَائِلِ ، وَجُعِلَ فِي قِبْلَتِهِ مِخْرَابٌ مِنْ حِجَارَةٍ وَمِنْبَرٌ مِنْ حِجَارَةٍ ، وَعُقِدَتْ فَوْقَ ذَلِكَ قُبَّةٌ ، ثُمَّ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ عُجِّلَ فِي قِبْلَتِهِ رِوَاقَانِ ، وَعُجِّلَ لَهُ مِنْبَرٌ مِنْ خَشَبٍ ، وَرُتِّبَ لَهُ حَطِيبٌ رَاتِبٌ وَإِمَامٌ رَاتِبٌ ، وَمَاتَ الْعَادِلُ وَلَمْ يَتِمَّ الرِّوَاقُ الثَّانِي مِنْهُ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى يَدِ الْوَزِيرِ صَفِيِّ الدِّينِ بْنِ شُكْرِ . قَالَ : وَفِي « حَادِي عَشَرَ »^(٢) شَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ جُدِّدَتْ أَبْوَابُ الْجَامِعِ الْأَمْوِيِّ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْبَرِيدِ بِالثُّحَاسِ الْأَصْفَرِ ، وَرُكِّبَتْ فِي أَمَاكِنِهَا .

وفي شوالٍ أَيْضًا شُرِعَ فِي إِصْلَاحِ الْقَوَارِةِ وَالشَّاذِرِوَانِ وَالْبِرْكَةِ وَعُجِّلَ عِنْدَهَا مَسْجِدٌ ، وَجُعِلَ لَهُ إِمَامٌ رَاتِبٌ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : النَّفِيسُ الْمِصْرِيُّ .

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٦ .
(٢ - ٢) في الأصل ، م : « ثاني » . وانظر المصدر السابق .

وكان يقال له : بوق الجامع . لطيبِ صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضَّربِ
المُصدِّرِ ، فيجتمعُ عليه الناسُ الكثيرُ .

وفي ذى الحِجَّةِ من هذه السنة توجَّهت مراكِبُ من عكا [٩/٣٣٧ظ] في
البحرِ إلى ثغرِ دِمياطَ وفيها^(١) ملكٌ فُبْرَصُ المُسمَى البال^(٢) ، لعنه الله ، فدخل الثَّغرَ
ليلاً ، وأغار على بعضِ البلادِ ، فقتلَ وسبى وغنم ، وكرَّ راجعاً ، فركب مراكبه ،
فلم يُدرِكهُ الطَّلَبُ . وقد تقدَّمت له سابقةٌ بمثلها قبلَ هذه ، وهذا شيءٌ لم يتَّفِقْ
لغيره .

وفي هذه السنة عاثت الفِرْجُ بنواحي القدس الشريف ، فبرز إليهم الملكُ
المُعظَّمُ في عساكره ، وجلس الشيخ شمسُ الدِّينِ أبو المظفرِ بنُ قِرْغلي الحنْفِيّ ،
وهو سبطُ الشيخ أبي الفرجِ بنِ الجوزيِّ ابنِ ابنته رابعة ، وهو صاحبُ « مرآة
الزمان » وكان فاضلاً في فنونٍ كثيرة ، حسنَ الشُّكلِ ، طيبَ الصوتِ ، وكان
يتكلمُ في الوعظِ جيداً ، وتُحِيهُ العامَّةُ على صبيِّ جدِّه ، وقد رحل من بغداد ،
فنزل دمشقَ وأكرمهُ ملوكُها ، وولى التَّدريسَ الكبارَ بها ، وكان يجلسُ كلَّ يومٍ
سبتٍ عندَ بابِ مشهَدِ عليِّ زَيْنِ العابدينِ إلى السارية التي يجلسُ عندها الوُعَاظُ
في زماننا هذا ، فكان يكثرُ الجمعُ عنده حتى يكونوا من بابِ الناطفائيين إلى بابِ
المشهِدِ وإلى بابِ الساعاتِ غيرِ الوُقوفِ ، فحزِرَ جمعُه في بعضِ الأيامِ بثلاثين ألفاً من
الرجالِ والنساءِ ، وكان الناسُ يبيتون ليلةَ السبتِ بالجامعِ في الصيفِ - ويتركون
البساتينَ والفرحَ - في حَتَمَاتٍ وأذكارٍ لتحصيلِ الأماكنِ ببيعاده ، فإذا فرغ من

(١) أي في المراكب .

(٢) في الأصل : « البان » ، وفي م : « إيان » . وانظر الذيل على الروضتين ص ٧٧ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣ .

وَعَظِمَهُ خَرَجُوا إِلَى بَسَاتِينِهِمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ كَلَامٌ إِلَّا فِيمَا قَالَ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ^(١) .
 وَيَحْضُرُ عِنْدَهُ الْأَكَابِرُ ، حَتَّى الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمَنِ الْكِنْدِيُّ كَانَ يَجْلِسُ فِي
 الْقُبَّةِ الَّتِي عِنْدَ بَابِ الْمَشْهَدِ هُوَ وَوَالِي الْبَلَدِ الْمُعْتَمِدُ وَوَالِي الْبَرِّ ابْنُ ثَمِيرِكَ ^(٢)
 وَغَيْرُهُمْ . فَلَمَّا جَلَسَ يَوْمَ السَّبْتِ خَامِسَ رِبْعِ الْأَوَّلِ بِالْجَامِعِ - كَمَا ذَكَرْنَا -
 حَثَّ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَا كَانَ قَدْ تَحْصَلُ عِنْدَهُ مِنْ شُعُورِ
 التَّائِبِينَ ، وَقَدْ عَمِلَ مِنْهُ شِكَايَاتٍ ^(٣) يَحْمِلُهَا الرِّجَالُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّاسُ ضَجُّوا
 ضَجَّةً وَاحِدَةً ، وَتَبَاكَوْا بُكَاءً كَثِيرًا ، وَقَطَعُوا مِنْ شُعُورِهِمْ نَحْوَهَا ، فَلَمَّا انْقَضَى
 الْمَجْلِسُ ، نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ ، فَتَلَّقَاهُ الْوَالِي مُبَارِزُ الدِّينِ الْمُعْتَمِدُ إِبْرَاهِيمُ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ
 النَّاسِ ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى بَابِ النَّاطِفَانِيَّيْنِ يَغْضُدُهُ حَتَّى رَكِبَ فَرَسَهُ ، وَالنَّاسُ
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ وَبَابِ الْمُصَلَّى ، ثُمَّ رَكِبَ مِنَ الْغَدِ فِي
 النَّاسِ إِلَى الْكُسُوفِ ^(٤) ، وَمَعَهُ خَلَائِقُ كَثِيرُونَ بَنِيَّةِ الْجِهَادِ بِيَلَادِ الْقُدْسِ ، وَكَانَ مِنْ
 جَمَلَةٍ مَن مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ زَمْلُكَا ^(٥) بِالْعُدَدِ التَّامَّةِ . قَالَ : فَجِئْنَا عَقِبَةَ أَفَيْقٍ ،
 وَالطَّيْرُ لَا يَتَّجَسَّرُ أَنْ يَطِيرَ مِنْ خَوْفِ الْفِرْنَجِ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا نَابُلُسَ تَلَقَّانَا الْمُعْظَمُ .
 قَالَ : وَلَمْ أَكُنْ اجْتَمَعْتُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى الشُّكَايَاتِ مِنْ شُعُورِ التَّائِبِينَ
 جَعَلَ يَقْبَلُهَا ، وَيُمِرُّعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَتَكَبَّرُ . وَعَمِلَ أَبُو الْمُظَفَّرِ مِيعَادًا بِنَابُلُسَ ،
 وَحَثَّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، ثُمَّ سَارُوا صُحْبَةَ الْمُعْظَمِ إِلَى نَاحِيَةِ بِلَادِ

(١) بعده في م : « أجمع يقولون : قال الشيخ ، وسمعنا من الشيخ . فيحتمل ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوي » .

(٢) في م : « تميرك » ، وفي ص : « مبيرك » .

(٣) الشكالات : العقال . اللسان (ش ك ل) .

(٤) الكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . انظر معجم البلدان ٤ /

٢٧٥ .

(٥) زملكا : قرية بغوطة دمشق . معجم البلدان ٢ / ٩٤٥ .

الفرنج ، فقتلوا خلقاً ، وخرّبوا أماكن كثيرة ، وغنموا وعادوا سالمين ، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبناء قلعة فيه ؛ ليكون ألماً على الفرنج ، فغرم أموالاً كثيرة في ذلك ، فبعثت الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهادنهم وبطلت تلك العماره ، وضاع [٣٣٨/٩] ما كان المعظم غرم عليها .

ومن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ أبو عمر بنى المدرسة بسفح قاسيون للقراء ، رحمه الله^(١) .

محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ، بنى المدرسة التي يُقرأ فيها القرآن بسفح قاسيون ، وهو أخو موفق الدين عبد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة ، وكان الشيخ أبو عمر أسن منه ؛ لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية الساويا ، وقيل : بجماعيل^(٢) . وهو ربي الشيخ موفق الدين ، وأحسن إليه وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ،^(٣) وهو الذي قدم بهم من تلك البلاد^(٤) فنزلوا بمسجد أبي صالح ثم انتقلوا منه إلى السفح ، وليس به من العماره سوى دَيْر الحوران ، قال : فقيل لنا : الصالحيون . نسبة إلى مسجد أبي صالح ، لا أنا صالحون ، وسميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا . فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ « مختصر الخرقى » في الفقه ، وهو الذي شرحه أخوه ، فكتب شرحه بيده ، وكتب « تفسير البغوي » ،

(١) مرآة الزمان ٥٤٦/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٢٦ ، والذيل على الروضتين ص ٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٦ ، والوفاء بالوفيات ١١٦/٢ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٥٢/٢ .
(٢) جماعيل : قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين . معجم البلدان ١١٣/٢ .
(٣ - ٣) في م : « فلما قدم من الأرض المقدسة » .

و«الحلية» لأبي نعيم، و«الإبانة» لابن بطة، وكتب مصاحف كثيرة للناس ولأهله لا بأجرة، وكان كثير العبادة والتَّهَجُّد، يصوم الدهر،^(١) حسن الشكل، نحيل الجسم، عليه أنوار العبادة^(٢)، لا يزال مُتَبَسِّمًا، وكان يقرأ كل يوم سبعة بين الظهر والعصر، ويصلي الضحى ثمانين ركعة يقرأ فيهن ألف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكان يزور مغارة الدم^(٣) في كل يوم اثنين وخميس، ويجمع في طريقه الشيخ، فيعطيه الأرامل والمساكين، ومهما تهياً له من فتوح وغيره يُؤثِرُ به أهله والمساكين، وكان مُتَقَلِّلاً في اللبس، وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصاً، ويقطع من عمامته قطعاً يتصدق بها، أو في تكميل كفن من يعوز كفته، وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغنى وأخوه الشيخ العماذ لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج، وقد حضروا معه فتح القدس الشريف وغيرها، وجاء الملك العادل أبو بكر يوماً إلى خيمتهم لزيارة الشيخ أبي عمر، وهو قائم يصلي، فما قطع صلاته ولا أجزها، بل استمر فيها، وهو الذي شرع في بناء الجامع أولاً بمال رجل من الناس فنقد ما كان بيده، وقد ارتفع البناء قامة، فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكبرى^(٤) مالا فكمل، وولى خطابته الشيخ أبو عمر، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف، وعليه أنوار الحشية والتقوى^(٥)، وإنما كان المنبر الذي فيه ثلاث مراق، والرابعة للجلوس كما كان المنبر النبوي.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذي قتل قابيل أخاه هايل عندها. انظر ما تقدم في ٢١٩/١.

(٣) سقط من: ص. وفي الأصل، م: «كوكرى». وانظر ما تقدم في صفحة ٥.

(٤) بعده في م: «والخوف من الله عز وجل، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان».

وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوماً عنده الجمعة، وكان الشيخ عبد الله اليونيني^(١) حاضراً هناك، فلما انتهى الشيخ أبو عمر إلى الدعاء للسلطان قال: اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب. فنهض الشيخ عبد الله وترك الجمعة، فلما فرغنا ذهبنا إليه فقلنا له: ماذا نقمت؟ فقال: يقول لهذا الظالم: العادل؟! فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ [٣٣٨/٩ ظ] أبو عمر ومعه رغيّف وخيارتان، فكسر ذلك وقال: الصلاة. ثم قال: قال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كِسْرَى»^(٢). فتبسّم الشيخ عبد الله، ومدّ يده فأكل، فلما قام الشيخ أبو عمر قال لي: يا سيدنا، ما ذا إلا رجل صالح. قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٣): كان الشيخ عبد الله من الصالحين الكبار، وقد رأيته، وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين، فلم يُسامح الشيخ أبو عمر في تساهله مع ورعه، ولعله كان مُسافِراً لا جمعة عليه، وعذُرُ الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام؛ العادل، الكامل، الأشرف، ونحوه، كما يقال: سالم، وغاتم، ومسعود، ومحمود. وقد يكون المسمّى بذلك على الضدّ من هذه الأسماء^(٤)،

(١) في الأصل، ص، والذيل على الروضتين: «اليوناني»، وفي م: «البوناني». واليونيني نسبة إلى قرية من قرى بعلبك يقال لها: يُونين. وستأتي ترجمته في صفحة ١٠٢.

(٢) ذكره البيهقي في الشعب (٥١٩٥) مبطلا له بلفظ: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني أنوشروان. وذكره العجلوني في كشف الحفا بلفظ: «بعث في زمن الملك العادل». والحديث باطل لا أصل له (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٩٧). وسيأتي كلام المصنف عليه قريبا.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٢.

(٤) بعده في م: «فلا يكون سالما ولا غاتما ولا مسعودا ولا محمودا، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم والتجار وغيرهم كما يقال: شمس الدين وبدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوسا على الضد والانتقال ومثله الشافعي والخبلي وغيرهم، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك».

وكذلك إطلاق العادل ونحوه قد دخل إطلاقه على المشرك^(١) ، فهذا أولى .

قلتُ : هذا الحديث الذي احتجَّ به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، وعجبتا له ولأبي المظفر ، ثم لأبي شامة في قبول هذا وأخذه عنه مسلماً ! والله أعلم .

ثم شرع أبو المظفر في ذكر مناقب أبي عمر وكراماته ، وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة ، قال : وكان على مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المزوية ، يميزها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وينتهي عن ضحبة المتبذعين ، ويأمر بضحبة الصالحين^(٢) . قال : ربما أنشدني لنفسه في ذلك^(٣) :

أوصيكم بالقول في القرآن	بقول أهل الحق والإثقان
ليس بمخلوق ولا بفان	لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني	مثلوة لله باللسان
محافظة في الصدر والجان	مكتوبة في الصحف بالبنان
والقول في الصفات يا إخواني	كالذات والعلم مع البيان
إمرازها من غير ما كُفران	من غير تشبيه ولا عُطلان ^(٤)

قال : وأنشدني لنفسه :

ألم يك ملهاة عن اللهو أننى
بدالى شيب الرأس والضعف والألم

(١) في الأصل ، م : « المشترك » . وانظر مصدر التخريج .

(٢) بعده في م : « الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٤ .

(٤) في الأصل ، ص : « عدوان » .

ألم بي الخطب الذي لو بكَيْثُهُ حياتي حتى يذهب الدمع لم ألم

قال : ومريض أياماً ، فلم يترك شيئاً مما كان يعملُهُ من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول ، فغسل بالذَّير ، وحمل إلى مقبرته في خلقي كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يتق أحدٌ من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحُرُّ شديداً ، فأظلت الناس سحابةً من الحُرِّ كان يُسمع منها كدوي النحل ، وكاد الناس ينتهبون أكفانه ، وقد رثاه الشعراء بمرث حسنة ، ورُئيَتْ له مناماتٌ سالحةٌ ، رحمه الله ، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور^(١) ؛ عمر ، وبه كان يُكنى ، والشرف عبد الله ،^(٢) وقد ولي الخطابة بعد أبيه ، وهو والد العز ، و^(٣) أحمد ، ولما تُوفِّي الشرف عبد الله^(٤) صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه الذكور ، وكان له من الإناث بنات كما قال الله تعالى : ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِينَاتٍ تَنَبَّاتٍ عِيدَاتٍ سَخَّاتٍ تَتَبَّاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] . [٣٣٩/٩] قال : وقبره في طريق مغارة الجوع في الرقاق المقابل لذير الحوراني . رحمه الله وإيانا .

ابن طبرزد شيخ الحديث : عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي الدارقزي^(٤) ، وُلد سنة عشر^(٥) وخمسمائة ،

(١) كذا في النسخ . والصحيح أنهم أربعة كما سيأتي وكما في مرآة الزمان والذيل على الروضتين . (٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ص ٧٤ .

(٤) الكامل ٢٩٥/١٢ ، ومرآة الزمان ٥٣٨/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٣٤ ، والذيل على الروضتين ص ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٩ .

(٥) في م : « خمس عشرة » .

وسمع الكثير وأسمع، وكان خليعاً ظريفاً ماجتاً، وكان يُؤدّب الصبيانَ بدارِ القزِّ^(١)، قديم مع حنبلِ بنِ عبدِ اللّهِ المَكْبَرِ^(٢) إلى دمشق، فسمع أهلها عليهما، وحصل لهما أموالٌ، وعادا إلى بغدادَ، فمات حنبلُ سنةَ ثلاثٍ، وتأخّر هو إلى هذه السنة^(٣)، فمات فيها وله سبعٌ وتسعون سنةً، وترك مالا جيدا، ولم يكن له وارثٌ إلا بيتُ المالِ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ.

السلطانُ الملكُ العادلُ أرسلان شاه نورُ الدين^(٤) أبو الحارثِ أرسلان شاه ابنُ عزِّ الدينِ مسعودِ بنِ قطبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنكِي^(٥) صاحبُ الموصلِ، وهو ابنُ أخي نورِ الدينِ الشَّهيدِ، وقد ذكّرنا من سيرته في الحوادثِ ما فيه كفايةً، وكان شافعيّ المذهبِ، ولم يكن بينهم شافعيّ سواه، وبنى للشافعيةِ مدرسةً عظيمةً بالموصلِ، وبها تُرثه، قال ابنُ خَلْكَانَ^(٥): وكانت وفاته ليلةَ الأحدِ التاسعِ والعشرين من رجبٍ من هذه السنة.

ابنُ سُكَيْنَةَ: عبدُ الوهابِ بنُ عليّ^(٦) ضياءُ الدينِ أبو محمدٍ المعروف بابنِ سُكَيْنَةَ الصُّوفِيّ، كان يُعدُّ من الأبدالِ، سمع الكثيرَ، وأسمع ببلادِ شتّى، وكان مولده في سنةِ تسعِ عشرةَ وخمسمائةٍ، وكان صاحباً للشيخِ أبي الفرجِ بنِ

(١) دار القز: محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء. معجم البلدان ٢/٥٢٢.

(٢) المكبر: من يبلغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كثروا. انظر الأنساب ٥/٣٧٢.

(٣) بعده في م: «في تاسع شهر رجب».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) وفيات الأعيان ١/١٩٣.

(٦) بعده في الأصل، ص: «بن». وانظر ترجمته في: الكامل ١٢/٢٩٥، والذيل على الروضتين ص

٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٢٤. وجاءت كتيبه في المصادر -

عدا الذيل على الروضتين - «أبو أحمد».

الجَوْزِيُّ مُلَازِمًا لِجَلِيسِهِ ، وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ مَشْهُودًا ؛ لكَثْرَةِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَاصَّةِ
وَالْعَامَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُظَفَّرُ بْنُ شَاشِيرٍ^(١) الْوَاعِظُ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ يَعْظُ فِي الْأَعْزِيَةِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْقُرَى ، وَكَانَ
ظَرْفًا مَطْبُوعًا ، قَامَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ وَهُوَ يَعْظُ فَقَالَ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ : أَنَا مَرِيضٌ
جَائِعٌ . فَقَالَ : أَحْمَدُ رَبِّكَ فَقَدْ غُوِيَتْ . وَاجْتَازَ عَلَى قَصَابٍ يَبِيعُ لَحْمًا ضَعِيفًا ،
وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مَنْ حَلَفَ لَا يُعْبَرُ^(٢) ؟ فَقَالَ لَهُ : حَتَّى تُحْبِثَهُ ؟ ! قَالَ : وَعَمِلْتُ مَرَّةً
مَجْلِسًا بِيَعْقُوبًا^(٣) ، فَجَعَلَ هَذَا يَقُولُ : عِنْدِي لِلشَّيْخِ نِصْفِيَّةٌ . وَهَذَا يَقُولُ مِثْلَهُ ،
حَتَّى عَدُّوا نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ نِصْفِيَّةً . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اسْتَعْنَيْتُ اللَّيْلَةَ ، فَأَرْجِعُ
إِلَى الْبَلَدِ تَاجِرًا . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ إِذَا صُبْرَةٌ مِنْ شَعِيرٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقِيلَ : هَذِهِ
النِّصَافِي . وَإِذَا هِيَ مِكْيَلَةٌ يُسْمُونَهَا النَّصَافِي . وَعَمِلْتُ مَرَّةً مَجْلِسًا بِبَاجِسْرَا^(٤) ،
فَجَمَعُوا لِي شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا شَيْءٌ مِنْ صُوفِ الْجَوَامِيسِ
وَقُرُونِهَا ، فَقَامَ رَجُلٌ يُنَادِي عَلَيْهَا : كَمْ فِي صُوفِ الشَّيْخِ وَقُرُونِهِ ؟ فَقُلْتُ : لَا
حَاجَةَ لِي بِهَذَا ، وَأَنْتُمْ فِي جِلٍّ مِنْهُ . ذَكَرَهُ أَبُو شَامَةَ^(٥) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَاشِير » ، وَفِي م : « سَاسِير » . وَانظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : مَرَاةَ الزَّمَانِ ٥٥٣/٨ (الْقِسْمِ
الثَّانِي) ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٣/٣٣٧ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ٧٧ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ
وَوَفِيَّاتُ ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٨٢ .

(٢) يَغْبَرُ : يَغْلِبُ فِي الْبَيْعِ . انظُرْ الْوَسِيطَ (غ ب ن) .

(٣) بِعَقُوبًا : قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ كَالْمَدِينَةِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادٍ عَشْرَةُ فَرَسَاخٍ مِنْ أَعْمَالِ طَرِيقِ خِرَاسَانَ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ
الْأَنْهَارِ وَالْبِيسَاتِينَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٦٧١ .

(٤) فِي م : « بِيَاصِرَا » . وَبَاجِسْرَا : بَلَدٌ فِي شَرْقِيِّ بَغْدَادٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حُلْوَانَ ، عَلَى عَشْرَةِ فَرَسَاخٍ مِنْ
بَغْدَادِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٤٥٤ .

(٥) الدَّلِيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ٧٧ .

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة

استهلت^(١) والعاذل مُقيّم على الطور لعمارة حصينه، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن ابن^(٢) عبد المؤمن قد كسر الفرنج بطليطلة كسرة عظيمة، وربما فتح البلد عنوة، وقتل منهم خلقًا عظيمًا.

وفيهما كانت زلزلة عظيمة شديدة هدمت بمصر والقاهرة دورًا [٣٣٩/٩ ظ] كثيرة، وكذلك بمدينة الكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجًا، ومات خلق كثير من الصّيبان والتشوان تحت الهدم. ورؤي دُخان نازل من السماء إلى الأرض^(٣) فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عاتكة غربي دمشق^(٤).

وفيهما أظهرت الباطنية الإسلام، وأقامت الحدود على من يتعاطى الحرام، وبنوا الجوامع والمساجد، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بمصياب^(٥) وأمثالها بذلك، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يُعلمه بذلك، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج فأكرموا وعظموا بسبب ذلك، ولكن لما كانوا بعرفات ظفر^(٥)

(١) الكامل ٢٩٦/١٢ - ٢٩٩، ومرآة الزمان ٥٥٥/٨ - ٥٥٧ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ٧٧ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤ - ٣٦.
(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣-٣) كذا في النسخ. وفي الذيل: «فيما بين الغرب والقبلة بنواحي أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر». (٤) سقط من: ص. وفي الأصل: «بمصياب»، وفي م: «بمصات». ومصيباب: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس، وبعضهم يقول: مصيباف. معجم البلدان ٥٥٦/٤.
(٥) في الأصل: «ظهر». قال الأخفش: تقول العرب: ظفر عليه. بمعنى ظفر به. اللسان (ظ ف ر).

واحدٌ منهم على قريبٍ لأميرِ مكةَ قتادةَ الحسينيِّ ، فقتله ظانًّا أنه قتادةُ ، فنارت
 فتنَةٌ بينَ سُودانِ مكةَ ورُكْبِ العراقِ ، ونهبَ الرُّكْبُ ، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ .
 وفيها اشترى الملكُ الأشرفُ جوسقَ الريسِ مِنَ النَّيْرِبِ^(١) مِنْ ابْنِ عمِّه
 الظافرِ^(٢) نخضِرِ بنِ صلاحِ الدينِ ، وبناه بناءً حسنًا ، وهو المُسمَّى في زماننا
 بالدهشة^(٣) .

ومن تُوفِّيَ فيها مِنَ الأعيانِ :

الشيخُ عمادُ الدينِ محمدُ بنُ يونسَ الفقيهُ الشافعيُّ الموصليُّ^(٤) ، صاحبُ
 التَّصانيفِ والفُنونِ الكثيرةِ ، كان رئيسَ الشافعيةِ بالموصلِ ، وبعثَ رسولًا إلى
 بغدادَ بعدَ موتِ نُورِ الدينِ أرسَلانَ ، وكان عنده وَسوسةٌ كثيرةٌ في الطَّهارةِ ،
 وكان يُعاملُ في الأموالِ بمسألةِ العينةِ^(٥) - ولو عكسَ الأمرَ لكان خيرًا له - فلقبه
 يومًا قَضِيْبُ البانِ^(٦) المولُّهُ ، فقال له : يا شيخُ ، بلَغنى عنكَ أنك تُغسِلُ العُضْوَمَ مِنْ

(١) الجوسق: القصر الصغير. والحصن. والنيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط
 البساتين. معجم البلدان ٤/٨٥٥.

(٢) في الأصل: «الظاهر»، وفي م: «الظاهر». وانظر الوافي بالوفيات ١٣/٣٢٩.

(٣) في ص: «بالرسة».

(٤) الكامل ١٢/٢٩٨، ومرة الزمان ٨/٥٥٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٦٨،
 والذيل على الروضتين ٨٠، ووفيات الأعيان ٤/٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٩٨، وتاريخ الإسلام
 (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٠٩.

(٥) بعده في الأصل، م: «كما قيل: تصفون البعوض من شرابكم وتستربطون الجمال بأحمالها».
 والعينة: هو أن يبيع من رجلٍ سلعةً بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي
 باعها به. النهاية ٣/٣٣٣.

(٦) هو أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم بن الحسين، من أهل الموصل، كان من المعمرين، له كرامات
 تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافى العقل والشرع، توفي سنة نيف وسبعين. انظر تاريخ إربل ١/
 ٣٧١.

أَعْضَائِكَ بِأَبَارِقٍ مِنَ الْمَاءِ ، فَلَمْ لَا تَسْتَنْظِفُ اللَّئِمَةَ الَّتِي تَأْكُلُهَا ^(١) لَيْسَتْ تَنْظِفَ قَلْبَكَ
وَبَاطِنُكَ ^(٢)؟! فَفَهِمِ الشَّيْخُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَرَكَ الْمَاعِمَةَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَوْصِلِ فِي
رَجَبٍ عَنْ ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

ابْنُ حَمْدُونَ تَاجُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدُونَ ^(٣) ، وَلَدُ ^(٤)
صَاحِبِ « التَّذَكِيرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » ، كَانَ فَاضِلًا بَازِعًا ، اِعْتَنَى بِجَمْعِ الْكُتُبِ الْمُنَسُوبَةِ
وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان العُضُدِيُّ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَدَائِنِ ، وَحُمِلَ إِلَى
مَقَابِرِ قَرِيشٍ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ صَاحِبُ الرُّومِ خُشْرُو شَاهِ بْنِ قَلِيحٍ ^(٥) أَرْسَلَانِ ، وَقَامَ بِالْمَلِكِ
بَعْدَهُ وَلَدُهُ كَيْكَاوُسُ ، فَلَمَّا تُوفِّيَ فِي سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ مَلِكًا أَخُوهُ كَيْقُبَادُ .

صَارُمُ الدِّينِ بُزْغَشُ الْعَادِلِيُّ ^(٦) ، نَائِبُ الْقَلْعَةِ بِدَمَشَقَ ، مَاتَ فِي صَفَرٍ ،
وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ غَرِيْبِ الْجَامِعِ الْمُظْفَرِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نَفَى الْحَافِظَ عَبْدَ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيَّ إِلَى
مِصْرَ ، وَبَيَّنَّ يَدِيهِ كَانَ عَقْدُ الْمَجْلِسِ ، ^(٧) وَكَانَ فِي جَمَلَةٍ مَن قَامَ عَلَيْهِ ابْنُ الزُّكَيْكِيِّ
وَالْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ ، وَقَدْ تُوفُّوا أَرْبَعَتُهُمْ وَغَيْرُهُمْ مَن قَامَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
الْحَكْمِ الْعَدْلِ سَبْحَانَهُ ^(٨) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) معجم الأدياء ٩/ ١٨٤ ، والكامل ١٢/ ٢٩٩ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٥٧ ، والذيل على الروضتين
٧٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩١ ، والوفائي بالوفيات ١٢/ ٢٢١ .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٤) في م : « قليح » ، وفي ص : « مليح » . وانظر مصدرى ترجمته ؛ الذيل على الروضتين ص ٨٠ ،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٢ .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٨٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠) ص ٢٩٠ ، والمقفى الكبير ٢/ ٤١١ وفيه وفي نهاية الأرب : « برغش » . وانظر تبصير المنتبه ٤/

١٤٨٩ ، وتاج العروس (برغش) .

الأمير فخر الدين سرکس^(١) ، ويقال له : جهاز كس . أحد أمراء الدولة الصلاحية ، وإليه تُنسب قباب سرکس بالسفح تجاه تربة خاتون ، وبها قبره . قال ابن خلکان^(٢) : وهو الذي بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه ، وبنى في أعلاها مسجداً معلقاً وربيعاً ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في البلدان في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجهاز كس بمعنى أربعة أنفس .

[٣٤٠/٩] قلت : وقد كان نائباً للعادل على بانياس و تينين وهونين^(٣) ، فلما توفى ترك ولداً صغيراً ، فأقره العادل على ما كان يليه أبوه ، وجعل له مذبذباً وهو الأمير صارم الدين خطيباً^(٤) التينيني ، ثم استقل بها بعد موت الصبي إلى سنة خمس عشرة .

الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي^(٥) التيسابوري ، سمع أباه وجدَّ أبيه وغيرهما ، وعنه ابن الصلاح وغيره ، وكانت وفاته بتيسابور في شعبان هذه

(١) وفيات الأعيان ١ / ٣٨١ .

(٢) مرآة الزمان ٨ / ٥٥٨ (القسم الثاني) وفيه : « شرکس » ، والتكملة لوفيات النقلة ٣ / ٣٨٩ ، والذيل على الروضتين ص ٧٩ ، ووفيات الأعيان ١ / ٣٨١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠ .

(٣) (٣ - ٣) في م : « تينين وهونين » . وتينين : بلدة في جبال بني عامر ، المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . وهونين : بلد في جبال عاملة ، مطل على نواحي مصر . معجم البلدان ١ / ٨٢٤ ، ٩٩٦ / ٤ . (٤) في م : « قطلبا » ، وفي ص : « خطبا » .

(٥) في الأصل ، ص : « الفزاري » . والفراوى نسبة إلى فراوة : بليدة من أعمال نسا . معجم البلدان ٣ / ٨٦٦ ، وانظر ترجمته في : ذيل تاريخ بغداد ١٥ / ٣٥٣ ، ومرآة الزمان ٨ / ٧٥٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣ / ٣٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٢ .

السنة عن خمسٍ وثمانين سنةً .

قاسمُ الدينِ التُّركمانِيُّ العُقَيْبِيُّ^(١) ، والدُّ والى البلدِ^(٢) ، كانت وفاته في

شوالٍ من هذه السنة . واللهُ أعلم .

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٠ .

(٢) أى دمشق . كما فى الذيل .

ثم دخلت سنة تسع وثمانية

فيها^(١) اجتمع العادل وأولاده؛ الكامل والمُعظم والفائز بدمياط من بلاد مصر في مُقاتلة الفرنج، فاعتنم غيبتهم سامة^(٢) الجبلي أحد أكابر الأمراء، وكانت بيده قلعة عجلون وكوكب، فساق مُسرعا إلى الشام ليستلم البلدين، فأرسل العادل في إثره ولده المُعظم صاحب الشام فسبقه إلى القدس الشريف، وحمل إليه، فرسم عليه في كنيسة صهيون، وكان شيخا كبيرا قد أصابه الثقرس، فشرع يُرّده إلى الطاعة بالملاطفة، فلم يتفجع فيه، فاستولى على حواصله وأملاكه وأمواله، وأرسله فاعتقله بقلعة الكرك، وكان قيمة ما أخذ منه قريبا من ألف دينار، من ذلك داؤه وحمّاه داخل باب السلامة، وداؤه هي التي جعلها البادرائي مدرسة للشافعية، وخرّب حصن كوكب، ونقلت حواصله إلى حصن الطور الذي استجده العادل ولده المُعظم.

وفيها عُزل الوزير صفى الدين بن شكر، واختيط على أمواله ونفى إلى الشرق، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفى الحافظ عبد الغنى إلى المغرب، فتوفا الحافظ قبل أن يصل كتابه، وكتب الله عز وجل بنفيه إلى الشرق.

(١) الكامل ١٢/٣٠٠، ومرآة الزمان ٨/٥٦٠ - ٥٦٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٨٠ - ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧ - ٣٩.
(٢) كذا في النسخ وتاريخ الإسلام. وفي الكامل ومرآة الزمان والذيل: «أسامة».

وفيهما استنوّلى صاحبُ قُبُوسٍ ، لعنه اللهُ ، على مدينةِ أَنْطَاكِيَّةَ ، فحصل بسببِهِ شرٌّ عظيمٌ ، وتمكَّن من الغاراتِ على بلادِ المسلمين ، لاسيما على التُّراكمين الذين حولَ بلدةِ أَنْطَاكِيَّةَ ؛ قتل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنم من أغانِمِهِم شيئًا كثيرًا ، فقدَّر اللهُ عز وجل ، أن أمكنهم منه في بعضِ الأودِيَةِ ، فقتلوه وطاقوا برأسِهِ في تلك البلادِ كُلِّها ، ثم أُرسلوه إلى الملكِ العادلِ بالديارِ المِصرِيَةِ ، فطِيفَ به هنالك ، وهو الذي كان قد أغار على بلادِ مِصرَ من ثُعُرِ دِمِياطَ مرتين ، فقتل وسبى .

وفى ربيعِ الأولِ منها تُوفِّيَ الملكُ الأُوحدُ نَجْمُ الدينِ أَيُوبُ بنُ العادلِ^(١) صاحبُ خِلاطٍ ، يقالُ : إنه قد سَفَكَ الدماءَ ، وأساءَ السَّيرَةَ إلى أهلِها ، فقَصَفَ اللهُ عمرَه ، وولَّيها بعدَه أخوه الملكُ الأَشرفُ موسى بنُ العادلِ ، وكان محمودَ السَّيرَةِ ، جيِّدَ السَّريَةِ ، فأحسَنَ إليهم ، فأحَبُّوه كثيرًا .

وفيهما تُوفِّيَ فقيهُ الحِرمِ الشَريفِ بِمَكَّةَ ، مُحَمَّدُ بنُ إِسماعيلَ بنِ أَبِي الصَّيْفِ اليَمَنِيِّ^(٢) ، رَحِمَهُ اللهُ .

وأبو إِسحاقَ إِبراهيمَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرِ القَفصِيِّ^(٣) المُقرئُ المُحدِّثُ ، كَتَبَ كثيرًا ، وسمعَ الكثيرَ ، ودُفِنَ بمقابرِ الصُّوفِيَةِ ، [٣٤٠/٩ ظ] رَحِمَهُ اللهُ .

(١) مرآة الزمان ٥٦٠/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ٨١ ، ونهاية الأرب ٦٢/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٧ ، والوفاء بالوفيات ٣٦/١٠ .

(٢) في ص : « الصيْفِ الضبِّي » . وانظر ترجمته في : الكامل ٣٠٠/١٢ ، والتكملة لوفيات النقلة ٤٦/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٦/٨ .

(٣) مرآة الزمان ٥٦١/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٦/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٤ .

أبو الفتح محمد بن سعيد بن محمد الدياجي^(١)، من أهل مَرْو، له كتابُ
«المَحْصَلِ» في شرحِ «المُفْصَلِ» للزَّمْخَشَرِيِّ في النحو، وكان ثقةً عالماً، سَمِعَ
الحديثَ، تُوفِّي في هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنةً.

الشيخُ الصالحُ الزاهدُ العابدُ^(٢) أبو الشاءِ^(٣) محمودُ بنُ عثمانَ بنِ مَكَارِمِ
التَّعَالِ الحَنْبَلِيُّ، له عِبَادَاتٌ وَمُجَاهَدَاتٌ وَسِيَّاحَاتٌ، وَبَنَى رِبَاطًا بِبَابِ الْأَرْجِ^(٤)
يَأْوِي إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الْمَقَادِسَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ يُؤَثِّرُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ
سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ. وَكَانَتْ
وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

(١) إنباه الرواة ١٣٩/٣، والتكملة لوفيات النقلة ٧/٤، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٥، والوافي بالوفيات ٨٩/٣.
(٢ - ٢) في النسخ: «أبو البقاء». والمثبت من مصادر ترجمته؛ مرآة الزمان ٥٦٢/٨ (القسم الثاني)،
والتكملة لوفيات النقلة ٥/٤، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠) ص ٣٤٨، وذيل طبقات الحنابلة ٦٣/٢.
(٣) باب الأرج: محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. معجم البلدان ١/٢٣٢.

ثم دخلت سنة عشر وستمائة

فيها^(١) أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطُّرُق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانةً للمسلمين عن التأذى بهم، والتضييق عليهم.

وفيها وُلد الملك العزيز^(٢) بن الظاهر^(٣) غازي صاحب حلب، وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين^(٤) الذي أسر هلاوون ملك السَّار. وفيها قُدم بالفيل من الديار المصرية، فحُمِل هديةً إلى صاحب^(٥) الكُوج، فتعجَّب أهل دمشق منه، ومن بديع خلقتِه.

وفيها قدم الملك الظافر خضِر بن السلطان صلاح الدين من حلب لقصد الحج، فتلقاه الناس، وأكرمه ابن عمه المعظم صاحب دمشق، فلما لم يتق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر، وصدّوه عن الدخول إلى مكة، وقالوا: إنما جئت لأخذ اليمن. فقال لهم: قيّدوني وذروني

(١) الكامل ١٢/٣٠١، ٣٠٢، ومرة الزمان ٨/٥٦٤ - ٥٦٩ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٤٠ - ٤٢.

(٢) في الأصل، م: «للظاهر».

(٣) بعده في م: «داخل دمشق لإحداهما داخل باب الفرديس والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة التي قيل: إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا وهو». والناصريتان هما المدرسة الناصرية البرانية والناصرية الجوانية. انظر الدارس ١/١١٥ - ١١٧.

(٤) سقط من: الأصل، ص، والذيل على الروضتين. والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام.

أَفْضَى الْمَنَاسِكَ . فقالوا : ليس معنا مَرْسُومٌ وإنما أَمْرنا بِرَدِّكَ وَصَدِّكَ . فهِمَّ طَائِفَةٌ
مِنَ النَّاسِ بِقِتَالِهِمْ ، فَخَافَ مِنْ وُقُوعِ فِتْنَةٍ ، فَتَحَلَّلَ مِنْ حَجِّهِ ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ ،
وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَى مَا فَعَلَ بِهِ ، وَتَبَاكَؤُا مِنْ أَجْلِهِ لَمَّا وَدَّعَهُمْ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ .

وفيهما وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين
الكِنْدِيُّ يُخْبِرُ فِيهِ أَنَّ السُّلْطَانَ خُوَارِزْمِ شَاهِ مُحَمَّدَ بْنَ تَيْكِشَ تَنَكَّرَ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ،
وَدَخَلَ بِلَادَ التَّتَرِ لِيَكْشِفَ أَعْبَارَهُمْ بِنَفْسِهِ ، فَأَنْكَرُوهُمْ فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ ، فَضَرَبُوا
مِنْهُمْ اثْنَيْنِ حَتَّى مَاتَا ، وَلَمْ يُقْرَأْ بِمَا جَاءُوا إِلَيْهِ ، وَاسْتَوْتَقُوا مِنَ الْمَلِكِ وَصَاحِبِهِ أَسْرًا ،
فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي هَرَبَا ، وَرَجَعَ السُّلْطَانُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ،^(١) فَعَادَ إِلَى
مَمْلَكَتِهِ .

قلتُ : وهذه المكتوبة غير ما تقدم من^(١) أسره في المعركة مع ابن مسعود
الأمير ، والله أعلم .

^(٢) وفيها ظهرت بلاطة وهم يخفرون في خندق حلب ، فوجد تحتها من
الذهب خمسة وسبعون رطلاً ، ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلي^(٢) .

وفيهما تُوفى :

مدرسُ مشهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ وَشَيْخُ الْحَنْفِيَةِ بِيغْدَادَ ، الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ
مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ التُّرْكُستَانِيِّ^(٣) ، وَكَانَ إِلَيْهِ الْمَظَالِمُ ، وَدُفِنَ بِالْمَشْهَدِ الْمَذْكُورِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الكامل ٣٠٢/١٢ ، والذيل على الروضتين ص ٨٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠) ص ٣٥٧ ، والوفى بالوفيات ١٧٨/٨ ، والتكملة لوفيات النقلة ٦٢/٤ ، والجواهر المضية
٣٣١/١ .

والشيخ^(١) أبو محمد إسماعيل بن علي بن الحسين فخر الدين الحنبلّي، ويُعرف بابن الماشطة، ويقال له: الفخر. غلام ابن المتّى. له تعلّيق في الخلاف، وكانت له حلقة بجامع الخليفة، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة، ثم عزّله، فلزم بيته فقيراً لا شيء له إلى [٣٤١/٩] أن مات، رحمه الله، وكان ولده محمد مدبّرًا شيطانًا مريدًا، كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل، فقطع لسائه، وحبس إلى أن مات.

والوزير معزّ الدين أبو المعالي سعيد بن علي بن أحمد بن حديدة^(٢)، من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري، ولي الوزارة للناصر في سنة أربع وثمانين، ثم عزّله عن سفارة ابن مهدي، فهرب إلى مراغة^(٣)، ثم عاد بعد ابن مهدي، فأقام ببغداد معظّمًا محترمًا، وكان كثير الصدقات والإحسان إلى الناس، رحمه الله.

وسنجر بن عبد الله الناصري الخليفي^(٤)، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسعة، وكان مع ذلك بخيلًا ذليلاً ساقط النفس، اتفق أنه خرج أمير

(١ - ١) في م: «أبو الفضل بن». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ٨٤، ٨٥، ومراة الزمان ٥٦٥/٨ (القسم الثاني)، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٢٢، والتكملة لوفيات النقلة ٥٩/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٠، والوفاء بالوفيات ١٥٧/٩، وذيل طبقات الحنابلة ٦٦/٢.

(٢) الكامل ٣٠٢/١٢، والذيل على الروضتين ص ٨٥، والتكملة لوفيات النقلة ٦٤/٤، ٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٧، والوفاء بالوفيات ١٨٠/١٥.

(٣) في ص: «مغارة». ومراغة: بلد بأذربيجان. تاج العروس (م ر غ).

(٤) في م، ص: «الخليفي». وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٨٥، ومراة الزمان ٥٦٨/٨ (القسم الثاني)، والوفاء بالوفيات ٤٧٤/١٥.

الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير، وكان مع سنجر خمسمائة فارس، فدخله الدُّل من الأعرابي، فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار، فجباها سنجر من الحجيج، ودفعها إليه، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار، ودفعها إلى أصحابها وعزله، وولى طاشتكين مكانه.

وقاضى السَّلاميةَ ظهيرُ الدينِ أبو إسحاقِ إبراهيمِ بنِ نصرِ بنِ عسْكَرٍ^(١)، الفقيهُ الشافعيُّ الأديبُ، ذكره العمادُ في «الخريدة» وابنُ خَلْكَانَ في «الوفيات»، وأثنى عليه، وأنشد من شعره في شيخ زاوية وأصحابه، فقال:

ألا قُلْ لمكِّي قولَ النَّصوحِ	فحقُّ النَّصِيحَةِ أن تُسْتَمَعَ
متى سَمِعَ النَّاسُ في دينِهِم	بأنَّ الغِنَا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ
وأنَّ يَأْكُلَ المرءُ أكلَ البعيرِ	ويَرْفُصُ في الجَمْعِ حتى يَقَعَ
ولو كان طاوِي الحِشَا جائِعًا	لما دار من طَرْبٍ واستَمَعَ
وقالوا سَكِرْنَا بِحُبِّ الإلهِ	وما أسْكَرَ القومَ إلا القِصْعُ
كذاك الحَمِيرُ إذا أُخْصِبَتْ	يُنْقَرُّها ^(٢) رِيها والشَّبَعُ ^(٣)

وتاج الأُمْناءِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ هَبَةِ اللَّهِ بنِ

(١) تاريخ إربل ٣٩٥/١، وخريدة القصر ٣٤٦/٢ (قسم شعراء الشام)، ووفيات الأعيان ٣٧/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ٦١/٢.
(٢) في الأصل، م: «يهيجها». والتَّقَرُّ: الوثب والقفز في مكان واحد. انظر اللسان (ن ق ز).
(٣) بعده في الأصل، م:

«تراهم يهزوا لحاهم إذا
ترنم حاديهم بالبدع
فيصرخ هذا وهذا يئن
ويس لوتليت ما انصدع»

عَسَاكِر^(١) ، من بيت الحديث والرّواية ، وهو أكبر من أخويه زَيْنِ الأَمْنَاءِ والفخرِ عبد الرحمن ، سَمِعَ عَمِّيهِ الحافظَ أبا القاسمِ والصائِنَ ، وكان صديقاً للشيخ تاج الدين الكِنْدِيُّ ، وكانت وفاته يومَ الأحدِ ثانيَ رجبٍ ، ودُفِنَ قِبْلَتِي مِحْرَابِ مسجدِ القَدَمِ .

وتاجُ العُلا التَّسَابُةُ الحَلَبِيُّ الحَسَنِيُّ^(٢) ، اجْتَمَعَ بِأَمَدَ بالشيخِ أبي الخطابِ ابنِ دِحْيَةَ ، وكان يُنسَبُ إلى دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ، فقال له تاجُ العُلا : إن دِحْيَةَ لم يُعَقَّب . فرماه ابنُ دِحْيَةَ بالكذبِ في مسائلِهِ الموصِليَّةِ .

قال ابنُ الأثيرِ في «الكاملِ»^(٣) : وفي المحرَّمِ منها تُوفِّي المَهْدَبُ الطَّيِّبُ المشهورُ وهو عليُّ بنُ أحمدَ بنِ هَبِلٍ^(٤) الموصليُّ ، سَمِعَ الحديثَ ، وكان أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالطبِّ ، وله فيه تصنيفٌ حسنٌ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ ، حسنَ الأخلاقِ .

^(٥) ابنُ خروفي شارحُ «سيئويهِ» و«جَمَلِ الرَّجَاجِيِّ» ، هو أبو الحسنِ عليُّ ابنُ محمدِ بنِ عليِّ الحَضْرَمِيُّ الأندلسيُّ الإشبيليُّ ، أحدُ المشاهيرِ في هذه الصناعاتِ ، وكتبهُ تدلُّ على تَقَدُّمِهِ وعلمِهِ وفضلِهِ ، وكان شيخَهُ فيها ابنُ طاهرٍ ، المعروفُ بالحدِّبِ الأندلسيِّ^(٥) .

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٦ ، والتكملة لوفيات النقلة ٧٥ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦ / ٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٤ .

(٢) في الأصل ، م : «الحسيني» . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٨٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٢ ، والوفاء بالوفيات ٣٧٣ / ١٠ ، ولسان الميزان ٤٤٩ / ١ . (٣) الكامل ٣٠٢ / ١٢ .

(٤) في النسخ : «مقبل» . والمثبت من الكامل . وانظر ترجمته في ؛ إنباه الرواة ٢٣١ / ٢ ، والتكملة لوفيات النقلة ٥١ / ٤ ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٠٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧٧ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م . وتقدمت ترجمته في صفحة ٧ في وفيات سنة ست وستمائة .

الجزولي صاحب المقدمة المسماة بـ « القانون » : هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي^(١) - بطن من البزبر - ثم اليزدكني^(٢) النحوي المغربي^(٣) ، مُصنّفُ المقدمة المشهورة البديعة ، وقد شرحها هو وتلاميذته ، وكلهم يعترفون بتقصيرهم عن [١٣٤١ / ٩] فهم مُرادُه في أماكن كثيرة منها ، قديم ديار مصر ، وأخذ عن ابن بزي ، ثم عاد إلى بلاده ، وولى خطابة مراكش ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : قبلها . فالله أعلم .

(١) إنباه الرواة ٣٧٨/٢ ، ووفيات الأعيان ٤٨٨/٣ - ٤٩١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٩٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٣ . وذكر فيه في وفيات سنتي سبع وستمائة ، وعشر وستمائة ص ٢٦٣ ، ٣٨١ .

(٢) في الأصل : « البردكني » ، وفي م : « البردكني » ، وفي ص : « اليزدكني » . وفي سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : « اليزدكني » ، والمثبت من وفيات الأعيان ؛ فقد ضبطه ابن خلكان بالحروف فقال : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جزولة .

(٣) في م : « المصري » .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة

فيها^(١) أرسل الملك خوارزم شاه أميرًا من أخصاء أمرائه عنده، وكان قبل ذلك سيروانا، فصار أميرًا خاصًا، فبعثه في جيش، ففتح له كزمان ومكران، وإلى حدود بلاد السند، وحُطِبَ لخوارزم شاه بتلك النواحي، وكان خوارزم شاه لا يُصَيِّفُ إلا بنواحي سمرقند خوفًا من التتار أصحاب كَشَلِي خان أن يتوثبوا على أطراف بلاده التي تَتَاحَمُهُمْ.

قال أبو شامة^(٢): وفيها شُرِعَ في تَبْلِيْطِ داخلِ الجامع^(٣)، وبدءوا بناحية السَّبْعِ الكبير^(٤)، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حُفْرًا وجُورًا^(٥). فاستراح الناس بتبليطه.

وفيها وُسِّعَ الخندقُ مما يلي القِيَمَازِيَّةَ، فأخْرِبَتْ دُوْرٌ كثيرةٌ هناك، وحمائم قايماز وفُزْنٌ كان وَقْفًا على دار الحديث الثورية وغير ذلك.

وفيها بنى المعظم الفندُقَ المنسوبَ إليه بناحية قبر عاتكة ظاهر باب الجابية.

(١) الكامل ٣٠٣/١٢ - ٣٠٥، ومرآة الزمان ٥٦٩/٨ - ٥٧١ (القسم الثاني)، والذيل على

الروضتين ٨٦ - ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥ - ٧.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٨٦.

(٣) بعده في الأصل، م: «الأموى».

(٤) السَّبْع: مكان في المسجد الأموي، يُجْعَلُ لدراسة القرآن الكريم. مختصر تاريخ دمشق ٢٧٢/١ -

٢٧٤.

(٥) الجور: جمع الجورة، وهي الحفرة وما انخفض من الأرض. محيط المحيط (ج و ر).

وفيها أخذ المعظم قلعة صرّخد من ابن قواجا، وعوّضه عنها، وسلّمها إلى
مملوكه عز الدين أئيك المعظمي، فثبتت في يده إلى أن انتزعتها منه نجم الدين
أيوب سنة أربع وأربعين.

وفيها حجّ الملك المعظم بن العادل، ركب من الكرك على الهجن في حادي
عشر ذي القعدة، ومعه ابن مؤسك ومملوكه أئيك عز الدين أستاذ داره وخلّق،
فساروا على طريق تبوك والعلاء، وبنى المعظم^(١) البركة المنسوبة إليه، ومصانع
أخر. فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم، وسلّم إليه مفاتيحها، وخدمه
خدمة تامة، وأما صاحب مكة قتادة^(٢)، فلم يرفع به رأسا، ولهذا لما قضى
نُسكّه، وكان قارنا، وأنفق في المجاورين ما حمّله إليهم من الصدقات، وكرّ
راجعا استصحب معه سالما صاحب المدينة، وشكا إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه
من صاحب مكة، فأرسل العادل مع سالم جيشا يطردون صاحب مكة عنها،
فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري، وقد أثر المعظم في هذه
السنة بطريق الحجاز آثارا حسنة، أثابه الله تعالى وتقبل منه آمين.

وفيها تعامل أهل دمشق بالقراطيس^(٣) السود العادليّة، ثم بطلت بعد ذلك
وفيت.

وفيها مات صاحب اليمن ابن سيف الإسلام، فتولاها سليمان بن شاهنشاه
ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه، فأرسل العادل إلى

(١) سقط من : م .

(٢) في الأصل، ص : « قاسم بن عزيز » .

(٣) القراطيس : نوع من الفلوس النحاسية أو الدراهم الملقوفة على شكل إصبع . معجم دوزي .

ابنه الكامل أن يُزِيلَ ولدَه أَقْسِيسَ بِنَ الكَامِلِ إليها ، فأرسله فتملَّكها وظلم بها وقتل ، وقتل من الأشرافِ نحوًا من ثمانمائة ، وأما ممن عداهم فكثيرٌ ، وكان من أفجَرِ الملوكِ وأكثرهم فسقًا وأقلهم حياءً ، وقد ذُكِرَ عنه ما تَقشَعِرُ منه الأبدانُ ، وتُنكِرُه القلوبُ ، نَسَأَلُ اللّهَ العافية .

ومن تُوفِّي فيها من الأعيانِ وغيرهم :

إبراهيمُ بنُ عليّ بن محمدِ بن بكرِوس ، الفقيهُ الحنبليُّ ^(١) ، أفتى وناظرَ وعدَلَ عندَ الحُكَّامِ ، ثم انسَلَخَ مِن هذا كلّه ، وصار سُزُطِيًّا بِيَابِ النوبيِّ ^(٢) ، يَضْرِبُ الناسَ ويُؤذِيهم غايةَ الأذى ، ثم بعدَ ذلك كلّه [٣٤٢/٩ و٣] ضُرِبَ إلى أن مات ، وأُلْقِيَ في دِجْلَةَ ، وفرِحَ الناسُ بموتِه ، وقد كان أبوه رجلًا صالحًا .

الرُّكنُ عبدُ السلامِ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ ^(٣) ، كان أبوه صالحًا ، وكان هو مُتَهَمًا بالفلسفةِ ومُخاطَبَةً التُّجُومِ ، ووُجِدَ عنده كتبٌ في ذلك ، وقد ولى عدةَ وِلاياتٍ ، ويقالُ لمثله :

نَعَمَ الجُدُودُ ولكن بئس ما نسلوا

رأى أبوه عليه يومًا ثوبًا بُخاريًّا فقال : سمِعنا بالبُخاريِّ ومسلمٍ ، فأما بُخاريُّ وكافرٌ فهذا شيءٌ عَجَبٌ . وكان مُصاحِبًا لأبي القاسمِ بنِ الشيخِ أبي الفرجِ بنِ

(١) مرآة الزمان ٥٧٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٠١/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٧ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٦٩/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٦ .
(٢) في الأصل ، م : « النوى » . وباب النوى ببغداد .

(٣) الكامل ٣٠٥/١٢ ، ومرآة الزمان ٥٧١/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٠٩/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥٥/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٢ ، والوافي بالوفيات ٤٢٩/١٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٧١/٢ .

الجوزي، وكان الآخر مذبذباً فاسقاً، وكانا يجتمعان على الشراب والمؤدان،
قبّحهما الله.

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزاز^(١)، المعروف بابن
الأخضر، البغدادي المحدث الكثير الحافظ المصنف المحرر، له كتب مفيدة متقنة،
وكان من الصالحين، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً.

^(٢) الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب ^(٣) أبي المكارم ^(٤) المفضل اللخمي
المقدسي، ثم الإسكندراني المالكي، سجع السلفي وعبد الرحيم المنذري، وكان
مدرساً للمالكية بالإسكندرية، ونائب الحكم بها، ومن شعره قوله:

أيا نفس بالمأثور عن خير مؤسلي وأصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه بما طاب من نشر^(٤) له أن تمسكي
وخافى غداً يوم الحساب جهنماً إذا لفت^(٥) نيرانها أن تمسكي
تؤفى بالقاهرة في هذه السنة. قاله ابن خلكان^(٦).

(١) الكامل ٣٠٥/١٢، وذيل تاريخ بغداد ٢٥٧/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ١٣٥/٤، والذيل على
الروضتين ص ٨٨، والمختصر في أخبار البشر ١١٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٣١/٢٢، وتذكرة الحفاظ ٤/
١٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٤.

(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣ - ٣) في الأصل: «بن». وانظر ترجمته في التكملة لوفيات النقلة ٤/١١٥، ووفيات الأعيان ٣/
٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٩.

(٤) في م: «عرف».
(٥) في الأصل، وسير أعلام النبلاء: «نفت». وانظر وفيات الأعيان ٣/٢٩٢.
(٦) وفيات الأعيان ٣/٢٩٢.

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وستمائة

فيها^(١) شُرع في بناءِ المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ بدمشقَ ، وفيها عُزلَ القاضي الزكيُّ بنُ محيي الدينِ بنِ الزُّكيِّ ، وفُوضَ الحكمُ إلى القاضي جمالِ الدينِ بنِ الحرَّشْتانيِّ ، وهو ابنُ^(٢) ثنتينِ وتسعينَ^(٣) سنةً ، فحكَّم بالعدلِ ، وقضى بالحقِّ ، ويقالُ : إنه كان يحكِّمُ بالمدرسةِ المجاهديةِ التي عندَ القَوَاسينِ .

وفيها أبطلَ العادلُ ضَمَانَ الخمرِ والقِيانِ ، جزاه اللهُ خيرًا ، فزالَ عن الناسِ شرٌّ كثيرٌ .

وفيها حاصرَ الأميرُ قَتادةُ صاحبُ مكةَ المدينةَ النبويَّةَ ومَن بها ، وقطعَ نخيلًا كثيرًا ، فقاتله أهلُها ، فكرَّ حاسنًا حسيروا ، وكان صاحبُ المدينةِ بالشامِ في خدمةِ العادلِ ، فطلبَ منه النجدةَ على أميرِ مكةَ قَتادةَ ، فأرسلَ معه جيشًا ، فأشرعَ في الأوثيةِ ، فمات في أثناءِ الطريقِ ، فاجتمعَ شملُ الجيشِ على ابنِ أخيه جَمَازِ ، فقصَدَ مكةَ ، فالتقاه أميرُها بالصَّفراءِ ، فاقتتلوا قتالًا عظيمًا ، فهزِمَ المكيُّونَ ، وغنمَ منهم الأميرُ جَمَازُ شيئًا كثيرًا ، وهربَ قَتادةُ إلى اليَبُوعِ ، فساروا إليه ، فحَصروه بها ، وضيقوا عليه فيها .

وفيها أغارتِ الفِرْنَجُ على بلادِ الإسماعيليةِ ، فقتلوا ونهبوا وسبوا .

(١) الكامل ٣٠٦/١٢ - ٣١٢ ، ومراة الزمان ٥٧٢/٨ - ٥٧٤ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ٨٩ - ٩٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٨ - ١١ .
(٢ - ٣) في الأصل ، م : «ثمانين أو تسعين» .

وفيهما أخذ ملك الروم كَيْكَاوس مدينةً أَنْطَاكِيَّةً مِنْ أَيْدِي الْفِرْنَجِ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ ابْنُ لَأُونُ مَلِكُ الْأَرْمَنِ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ إِبْرَنْسُ ^(١) طَرَابُلُسَ .

^(٢) وفيها ملك السلطان خُوَارَزْمِ شاه محمدُ بْنُ تَيْكَشَ مدينةً غَزْنَةَ بِغَيْرِ قِتَالٍ ^(٢) .

وفيهما كانت وفاةُ الملكِ المعظمِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ ، ^(٣) الَّذِي كَانَ قَدْ جَعَلَهُ [٣٤٢/٩ ظ] وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَزَلَ عَنْ ذَلِكَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ ^(٣) ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ حَزِنَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهِ حُزْنًا عَظِيمًا ، وَكَذَلِكَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ لِكثَرَةِ صَدَقَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ بِبَغْدَادَ إِلَّا حَزِنُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَنَاحَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَيْهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَدُفِنَ عِنْدَ جَدَّتِهِ بِالْقَرْبِ مِنْ قَبْرِ مَعْرُوفِ الْكَزْخِيِّ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ^(٤) . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ قُدِّمَ بِرَأْسِ مَنْكَلِيٍّ - الَّذِي كَانَ قَدْ عَصَى عَلَى الْخَلِيفَةِ وَعَلَى أَسَاتِيزِهِ - إِلَى بَغْدَادَ فَطِيفَ بِهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَتَمَّ فَرَحَتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِتَنْغِيصِهَا بِمَوْتِ وَلَدِهِ وَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَالدُّنْيَا لَا تَسْرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرُّ ، وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ وَهَمَا ؛ الْمُؤَيَّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ ، وَالْمُؤَفَّقُ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى .

وَمَنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَائِيُّ ^(٥) : عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « إِبْرَيْس » ، وَفِي الذَّلِيلِ عَلَى الرَّوَضَتَيْنِ : « أَبُو س » . وَلَعَلَّهُ الْبِرَنْسُ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « صَلَاةُ الْعَصْرِ » .

(٥) تَارِيخُ إِرْبِلَ ١ / ١٣١ ، وَالْمُسْتَفَادُ مِنْ ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ ص ١٧١ ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٤ / ١٦٠ ، =

أبو محمد، الحافظ الكبير المحدث المخرّج المفيد المحرّر المتّقن البارِع المصنّف المفيد، كان مؤلّي لبعض المواصلَة، وقيل: لبعض الحرّانين. اشتغل بدارِ الحديث بالمؤصّل، ثم انتقل إلى حرّان، وقد رحل إلى بلدانٍ شتى، وسمع الكثير من المشايخ شرقاً وغرباً، وأقام بحرّان إلى أن تُوفّي بها في هذه السنّة، وكان مولده في سنّة ستّ وثلاثين وخمسمائة، وكان دَيْناً صالحاً خيِّراً، رحمه الله تعالى بمئه وكرمه.

الْوَجِيهُ الْأَعْمَى، أبو بكرِ المَبَارِكُ بنُ سَعِيدِ بنِ الدّهَانِ النَّحْوِيُّ الوَاسِطِيُّ الملقَّبُ بِالْوَجِيهِ^(١)، وُلِدَ بوَاسِطِ، وقَدِيمِ بَغدَادَ، فَاشْتَغَلَ بعِلْمِ العَرَبِيَّةِ والنَّحْوِ، فَاتَّقَنَ ذَلِكَ، وَحَفِظَ شَيْئاً كَثِيراً مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ، وَسَمِعَ الحَدِيثَ، وَكَانَ حَنْبَلِيًّا فَانْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنيفَةَ، ثُمَّ صَارَ شَافِعِيًّا، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ النَّحْوِ بِالنُّظَامِيَّةِ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ^(٢):

أَلَا مُبْلِغًا عَنِ الْوَجِيهِ رِسَالَةً وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي لَدَيْهِ^(٣) الرِّسَالُ
تَمَذَّهَبَتْ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَذَلِكَ لَمَّا أَعْوَزَتْكَ المَّاكِلُ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ تَدِيئًا وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الَّذِي هُوَ حَاصِلُ

= والذيل على الروضتين ص ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٧١/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٧/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.
(١) معجم الأدياء ٥٨/١٧، والكمال ٣١٢/١٢، وإنباه الرواة ٢٥٤/٣، ومرآة الزمان ٥٧٣/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ١٧٨/٤، والذيل على الروضتين ص ٩٠، ووفيات الأعيان ١٥٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٦/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٥.
(٢) هو أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي. وتقدمت الأبيات في ٧٢٦/١٦ في ترجمته ضمن وفيات سنة تسع وتسعين وخمسمائة.
(٣) في م، ص: «إليه».

وعما قليل أنت لا شك صائرٌ إلى مالكٍ ^(١) فافطِنِ لِمَا أَنَا قائلُ
^(٢) وقد ذكرناه في سنةٍ تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ .

وكان يحفظُ شيئًا كثيرًا من الحكاياتِ والأمثالِ والملحِ، ويعرفُ العربيةَ
 والتُّوكيةَ والعجميةَ والرُّوميةَ والحبشيَّةَ والرُّنْجِيَّةَ، وكان له يدٌ طولى في نظمِ
 الشعرِ، فمن ذلك قوله ^(٣) :

ولو وقعت ^(٤) في لجةِ البحرِ قَطْرَةٌ
 ولو ملكَ الدنيا فأضحى مُلوْكُها
 من المُرْنِ يومًا ثم شاءَ لمازها ^(٥)
 عبيدًا له في الشرقِ والغربِ ما زها
 وقوله في التَّجْنِيسِ أيضًا ^(٦) :

أطلتَ ملامى في اجتنابى لِعَشْرِ
 ترى بابهم لا باركَ اللهُ فيهم
 طعامٍ لِقامِ جودهم غيرُ مُرْتَجَى
 على طالبِ المعروفِ إن جاء مُرْتَجَاً ^(٧)
 حموا مالهم والدينُ والعروضُ منهم
 مباحٌ فما يخشون من هجوٍ من ^(٨) هجَا
 إذا شرعَ الأجوادُ في الجودِ منْهَجَا
 لهم شرعوا في البخلِ سبعين منْهَجَا
 وله مدائحُ حسنةٌ وأشعارُ رائقةٌ، ويتكسرُ معانى فائقةً، وربما عارضَ شعرَ

(١ - ١) في الأصل: « فانظر لما أنت »، وفي م: « فانظر إلى ما أنت ».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) الأبيات في معجم الأدباء ١٧/٦٠.

(٤) في م: « وقفت ».

(٥) ما زها: مَيَّرَها. انظر المحيط (م ي ز).

(٦) معجم الأدباء ١٧/٦٧.

(٧) هذا البيت سقط من: م. ومرتج: مغلَق. اللسان (ر ت ج).

(٨ - ٨) في م: « عاب أو ».

البُخْتَرِيُّ بما يُقَارِبُهُ وَيُدَانِيهِ .

قالوا^(١) : وكان لا يَعْضُبُ قَطُ . تراهن جماعة مع واحدٍ أنه كان له [١٣٤٣/٩] كذا وكذا إن أغضبه ، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها ، فقال له السائلُ : أخطأتُ أيُّها الشيخُ . فأعاد عليه الجوابَ بعبارةٍ أخرى ،^(٢) فقال له : أخطأتُ أيضًا . وأعاد ثالثةً بعبارةٍ أخرى^(٣) ، فقال له : كذبتُ ، ولعلك قد نسيتَ النحوَ . فقال له الوجيهُ : أيُّها الرجلُ ، فلعلك لم تفهمَ ما أقولُ لك . فقال : بلى ، ولكنك تُخطِئُ . فقال له : فقلْ ما عندك لنتستفيدَه منك . فأعْلَظَ له السائلُ في القولِ ، فتبسَّم ضاحِكًا ، وقال له الوجيهُ : إن كنتَ راهنتَ فقد عُيبتَ ، إنما مثلكَ في هذا كمثلِ البقَّةِ - يعنى الناموسة - سقطت على ظهرِ الفيلِ ، فلما أرادت أن تَطِيرَ قالت له : استمسيكُ ، فإني أريدُ أن أُطِيرَ . فقال لها الفيلُ : ما أحسستُ بكِ حينَ وقعتِ عليّ ، فما أحتاجُ أن أستمسيكَ إذا طرتِ . كانت وفاته رحمه الله تعالى في شعبانَ ، ودُفِنَ بالوزَديَّةِ^(٤) .

^(٥) أبو الفتح محمد بن علي بن المبارك^(٥) ، التاجر المعروف بابن الجلاجليّ ، كان يسكنُ بدارِ الخلافةِ ببغدادَ ، قرأ القرآنَ على الرواياتِ ، وسمعَ الحديثَ الكثيرَ ، ورحلَ إلى البلدانِ المتباينةِ ، بلغ ثلاثًا وستين سنةً ، وكانت وفاته بالقدسِ الشريفِ في رمضانَ . رحمه الله^(٦) .

(١) معجم الأدباء ١٧/٦٤ ، ٦٥ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) الوردية : مقبرة ببغداد . معجم البلدان ٤/٩٢٠ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/١٨٢ ، والذيل على الروضتين ص ٩٩ - وذكره في وفيات السنة الآتية - ، والعر ٥/٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٥٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٢ ، والمقفى الكبير للمقريزي ٦/٣٢٨ . وستأني له ترجمة في السنة الآتية .

أبو محمد عبد العزيز بن المعالي^(١) بن غنيمَةَ بن الحسن، المعروف بابن مَنِينَا، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةَ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ عَنِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً^(٢).

الشَّيْخُ الْفَقِيهُ كَمَالُ الدِّينِ مَوْدُودُ بْنُ الشَّاعُورِيِّ الشَّافِعِيُّ^(٣)، كَانَ يُقْرَأُ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْفَقْهَ، وَيُشْرَحُ «التَّنْبِيَةَ» لِلطَّلَبَةِ، وَيَتَأَنَّى فِي تَفْهِيمِهِمْ حَتَّى يَفْهَمُوا احْتِسَابًا، تُجَاهَ الْمَقْصُورَةِ. وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ شِمَالِي قُبُورِ الشُّهَدَاءِ، وَعَلَى قَبْرِهِ شَعْرٌ ذَكَرَهُ أَبُو شَامَةَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) في م: «أبي المعالي»، وانظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ٢٥٧/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ٢٠٢/٤، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(٢) لم تذكر المصادر بيته وقت وفاته، وفيها أنه ولد سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٩.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائه^(١)

قال أبو شامة^(٢): فيها أخصرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قُبَّةِ نَسْرِ الجامع، طول كل واحد اثنان وثلاثون ذراعًا بالتَّجَارِ.

وفيهما شُرِعَ في تَحْرِيرِ خَنْدِقِ بَابِ السَّرِّ الْمُقَابِلِ لِدَارِ الطَّعْمِ الْعَتِيقَةِ إِلَى جَانِبِ بَانَاَسَ^(٣) - قُلْتُ: وَهِيَ إِضْطَبُلُ السُّلْطَانِ الْيَوْمَ - وَقَدْ نَقَلَ السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ بِنَفْسِهِ التَّرَابَ، وَمَمَالِكُهُ تَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْقَرْبُوسِ^(٤) الْقِفَافَ مِنَ التَّرَابِ، فَيُفْرِغُونَهَا فِي الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَكَذَلِكَ أَخُوهُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ وَمَمَالِكُهُ، يَعْمَلُ هَذَا يَوْمًا وَهَذَا يَوْمًا.

وفيهما وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الشَّاعُورِ وَأَهْلِ الْعُقَيْبَةِ، اقْتَتَلُوا بِالرَّحْبَةِ وَالصَّيَارِفِ، فَرَكِبَ الْجَيْشُ مُلْبَسًا، وَجَاءَ السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ بِنَفْسِهِ، فَحَبَسَ رِعْوَسَهُمْ.

وفيهما رُتِبَ بِالْمُصَلَّى خَطِيبٌ مُسْتَقَلٌّ، وَأَوَّلُ مَنْ بَاشَرَهَا الصَّدْرُ مُعِيدُ الْفَلَكَيَّةِ، ثُمَّ خَطَبَ بَعْدَهُ بَهَاءُ الدِّينِ بَنُ أَبِي الْيُسْرِ، ثُمَّ بَنُو حَسَّانَ، وَإِلَى الْآنَ.

(١) الكامل ٣١٣/١٢ - ٣١٥، ومرآة الزمان ٥٧٤/٨، ٥٧٥ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٩٢، ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢ - ١٤.
(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٢.
(٣) في الأصل: «باناس». وباناس: نهر بدمشق. معجم البلدان ٤٨٢/١.
(٤) القربوس: جنو الشَّوْج، وحنو السرج: كل عود معوج من عيدانه. اللسان (قربس)، (ح ن و).

وفيهما تُوفِّي صاحبُ حلبِ الملكِ الظاهرُ غازي بنُ السلطانِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ^(١)، وكان من خيارِ الملوكِ وأسَدِّهم سيرةً، ولكن كان فيه عَسْفٌ، ويُعاقِبُ على الذنبِ سريعاً شديداً، وكان يُكْرِمُ العلماءَ والشعراءَ والفقراءَ، أقام في الملكِ ثلاثين سنةً، وحَضَرَ كثيراً من الغزواتِ مع أبيه، وكان ذَكِيًّا، له رأى جيدٌ، وعبارةٌ سادَّةٌ، وفطنةٌ حسنةٌ، وعُمُرُ أربعاً وأربعين سنةً، ولما حَضَرَتْهُ الوفاةُ جعلَ الملكُ من بعده لولده الملكِ العزيزِ غياثِ الدينِ محمدٍ وهو ابنُ ثلاثِ سنينَ، وقد كان له أولادٌ كبارٌ، ولكنه عهدَ إلى هذا من بينهم لأنه [٣٤٣/٩] كان من بنتِ عمِّه العادلِ، وأخواله الأشرفِ والمُعَظَّمِ والكمالِ وجدِّه العادلِ لا يُنازعونه، وهكذا وَقَعَ سِوَاءٌ؛ بايَعَ له جدُّه العادلُ وخاله الأشرفُ صاحبُ حَرَانَ والرَّها وخِلاطَ، وهمَّ المُعَظَّمُ بِنَقْضِ ذلك فلم يَتَّقِ له ذلك، وقام بتدبيرِ مملكته الطواشي شهابُ الدينِ طُغرَيْلِ الرومِيِّ الأيبُصِ، وكان ذَيْتًا عاقلاً عادلاً.

ومن تُوفِّي فيها من الأعيانِ والمشاهيرِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليَمنِ زَيْدُ بنُ الحَسَنِ بنِ زَيْدِ بنِ الحَسَنِ بنِ سَعِيدِ ابنِ عِصْمَةَ^(٢)، الشيخُ الإمامُ العَلَمَةُ، وَحِيدُ عَصِرِهِ ونَسِيحُ وَحِيدِهِ، تاجُ الدينِ

(١) الكامل ٣١٣/١٢، ومرآة الزمان ٥٧٩/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٢٢٤/٤، والذيل على الروضتين ص ٩٤، ووفيات الأعيان ١٧٨/٣، ونهاية الأرب ٧٥/٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥٨.

(٢) معجم الأدباء ١٧١/١١، وإنباه الرواة ١٠/٢، ومرآة الزمان ٥٧٥/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٩٥، ووفيات الأعيان ٣٣٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٤/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٤١، والوفائي بالوفيات ٥٠/١٥، والجواهر المضوية ٢١٦/٢، وطبقات القراء ٢٩٣/١.

أبو اليَمن الكِنْدِيُّ ، وُلِدَ بِبَغدَادَ وَنَشَأَ بِهَا ، وَاسْتَعْلَمَ وَحَصَّلَ ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشقَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَعَلُوَ الْإِسْنَادِ وَحُسْنِ الطَّرِيقَةِ وَالسِّيَرَةِ وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالسَّرِيرَةِ ، وَانْتَفَعَ بِهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ ، وَأَثَرُوا عَلَيْهِ ، وَخَضَعُوا لَهُ . وَكَانَ حَنْبَلِيًّا ، ثُمَّ صَارَ حَنْفِيًّا . وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرُّوَايَاتِ وَلَهُ عِشْرُ سِنِينَ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ الْعَالِيِ عَلَى الشُّيُوخِ الثَّقَاتِ ، وَعُنِيَ بِذَلِكَ ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَاللُّغَةَ ، وَاسْتَهْرَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الشَّامِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَكَنَ مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ بِالْقَاضِيِ الْفَاضِلِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشقَ ، فَسَكَنَ بِدَرْبِ الْعَجْمِ مِنْهَا ، وَحَظِيَ عِنْدَ الْمَلُوكِ وَالْوُزَرَءِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَالْكَبْرَاءُ وَالْمَلُوكُ وَأَبْنَاؤُهُمْ ، كَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ صِلَاحِ الدِّينِ - وَهُوَ صَاحِبُ دِمَشقَ - يَتَرَدَّدُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخُوهُ الْحُسَيْنُ ، وَكَذَلِكَ الْمُعْظَمُ فِي أَيَّامِهِ عَلَى مُلْكِ دِمَشقَ ، يَنْزِلُ إِلَيْهِ إِلَى دَرْبِ الْعَجْمِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي « الْمَفْصَلِ » لِلزَّمْخَشَرِيِّ ، وَكَانَ الْمُعْظَمُ يُعْطِي مَنْ حَفِظَ « الْمَفْصَلِ » ثَلَاثِينَ دِينَارًا جَائِزَةً ، وَكَانَ يَخْضُرُ مَجْلِسَهُ بِدَرْبِ الْعَجْمِ جَمِيعُ الْمُصَدِّرِينَ بِالْجَامِعِ ، كَالشَّيْخِ عَلَمِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ ، وَيَحْيَى بْنِ مُعْطَى ، وَالْوَجِيهِ الْبُرْنِيِّ ، وَالْفَخْرِ التُّرْكِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ الْقَاضِيُ الْفَاضِلُ فِي أَيَّامِهِ يُنْتَنَى عَلَيْهِ كَثِيرًا .

قال السَّخَاوِيُّ^(١) : كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ سَبَّوِيَّهُ ، وَقَدْ شَرَحَتْ عَلَيْهِ « كِتَابَهُ » ، كَانَ اسْمُهُ عَمْرُو ، وَاسْمُ الشَّيْخِ أَبِي الْيَمَنِ زَيْدٌ ، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .

لم يَكُنْ في عهدِ عمروٍ مثلهُ وكذا الكِنْدِيُّ في آخِرِ عصرِ
فهما زيْدٌ وعمروٌ إنما بُنيَ النحوُ على زيْدٍ وعمروِ

قال أبو شامة^(١): وهذا كما قال فيه ابنُ الدَّهَّانِ المذْكَورُ في سنةِ ثنتين
وتسعين وخمسمائة:

يا زيْدُ زادك ربي من مواهبِهِ نَعَمًا يُفَصِّرُ عن إدراكِها الأملُ
النحوُ أنتَ أَحَقُّ العالمينَ به أليسَ باسمِكَ فيه يُضْرَبُ المثلُ

وللسَّخاويِّ فيه قصيدةٌ حَسَنَةٌ، وكذلك أُنثِي عليه غيرُ واحدٍ، منهم أبو
المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ فقال^(٢): قرأتُ عليه، وكان حَسَنَ العقيدةِ، ظَريفَ
الخلقِ طَريفًا، لا يَسْأَمُ الإنسانُ من مُجالستِهِ، وله التَّوَادِرُ العَجيبَةُ، والخطُّ المَلِيحُ،
والشعرُ الرائقُ، وله ديوانٌ كبيرٌ، وكانت وفاته يومَ الاثنينِ سادسَ شوالٍ من
[٣٤٤/٩] هذه السنة، وله ثلاثٌ وتسعون سنةً وشهرٌ وستةَ عشرَ يومًا، وصُلِّيَ
عليه بجامعِ دِمَشقَ، ثم حُمِلَ إلى الصالحيةِ، فدفنَ بها.

وكان قد وَقَفَ كِتَابًا نَفِيسَةً - وهى سبعمائةٌ وأحدٌ وستون مُجَلَّدًا - على
مُعْتَقِهِ نَجِيبِ الدِّينِ ياقوتِ، ثم على ولدهِ من بعده، ثم على العلماءِ فى الحديثِ
والفقهِ واللغةِ وغيرِ ذلك، وجُعِلَتْ فى خِزانةِ كبيرةِ بمَقْصُورَةَ ابنِ سِنانِ الحَنْفِيَّةِ
المجاورةِ لمَشْهَدِ عَلى زَيْنِ العابدينِ، ثم إن هذه الكُتُبَ تَفَرَّقَتْ، وأُبيِعَ كثيرٌ منها،
ولم يَبْقَ بالخِزانةِ المُشارِ إليها إلا القليلُ وهى بمَقْصُورَةَ الحَنْفِيَّةِ^(٣)، وكانت قديمًا
يقالُ لها: مَقْصُورَةُ ابنِ سِنانِ. وقد تركَ الشَيْخُ تاجُ الدينِ رَحِمَهُ اللهُ نِعْمَةً وافرةً،

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) مرآة الزمان ٥٧٦/٨ ، ٥٧٧ (القسم الثانى) .

(٣) فى النسخ: «الحليية» . والمثبت موافق لما تقدم من السياق .

وأموالاً جزيلة، ومماليك مُتعدِّدةٍ من الترك، وقد كان رقيق الحاشية، حسن الأخلاق، يُعامل الطلبة مُعاملةً حسنةً، فلما كبر ترك القيام لهم، وأنشأ اعتذاراً^(١) :

تَرَكْتُ قِيَامِي لِلصَّدِيقِ يَزُورُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الإِطَالَةُ فِي عَمْرِي
فَإِنْ بَلَّغُوا مِنْ عَشْرِ تَسْعِينَ نَصْفَهَا تَبَيَّنَ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ لَهُمْ عُذْرِي

وقد أسلفنا شيئاً من قبيله في قتل عُمارة اليَمَنِيِّ في الدولة الصَّلاحية، في سنة تسع وستين وخمسمائة، وهو في غاية القوة والفصاحة والجناس، وقد أورد ابن الساعى في ترجمته من «تاريخه» أشعاراً حسنةً، فمن ذلك قوله يمدِّح الملك المظفر شاهنشاه :

وَصَالَ العَوَانِي كَانَ أَرْوَى وَأَرْوَجَا وَعَصُرُ التَّدَانِي كَانَ أَبْهَى وَأَبْهَجَا
لِيَالِي كَانَ العَمْرُ أَحْسَنَ شَافِعٍ تَوَلَّى وَكَانَ اللَهُوُ أَوْضَحَ مِنْهَجَا
بَدَا الشَّيْبُ فَانْجَابَتْ طَمَاعِيَةُ الصُّبَا وَقُبِّحَ لِي مَا كَانَ يَسْتَحْسِنُ الحِجَا^(٢)
بُلْهَيْتِيَّةٌ^(٣) وَلَّتْ كَأَنْ لَمْ أَكُنْ بِهَا بِهَا أَجْتَلِي وَجَهَ التَّعِيمِ مُسْرَجَا
وَلَا اخْتَلْتُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ مُجْرَجَا ذُبُولِي إِعْجَابًا بِهِ وَتَبْرَجَا
أَغَازِلُ^(٤) غَيْدَاءِ المَعَاظِ طَفْلَةٌ وَأَغْيَدَ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ أَدْعَجَا^(٥)

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٨.

(٢) الطماعية: الطمع. والحجا: العقل. اللسان (ط م ع)، (ح ج و).

(٣) البلهنية: سعة العيش. لسان العرب (بلهن).

(٤) في الأصل، م: «أعارك».

(٥) غيداء المعاطف: المرأة المثنية من اللبن. والمعاطف: الأعطاف أى الجنبان. والطفلة: الناعمة. والدعج: شدة سواد العين وبياضها مع اتساعها. انظر اللسان (غ ي د) (ع ط ف) (ط ف ل)، والوسيط (د ع ج).

تَقَصَّصْتُ لِيَالِيهَا بِطِيبِ كَأَنَّهُ
فِي أَنْ أَمْسِ مَكْرُوبِ الْفَوَادِ حَزِينُهُ
وَحِيدًا عَلَى أُنَى بِفَضْلِي مُتَيَّمِ
فِيَا رَبِّ ذِي وَدِّ سَرَزْتُ وَسَرَنِي
وَيَا رَبِّ نَادٍ قَدْ شَهِدْتُ وَمَاجِدِ
صَدَعْتُ بِفَضْلِي نَقْصَهُ فَتَرَكَتُهُ
كَأَنَّ يَيَانِي^(٤) فِي مَسَامِعِ حُسَيْدِي
حَسَامُ تَقَى الدِّينِ فِي كُلِّ مَارِقِ

وقال يَمْدُحُ أَخَاهُ عَزَّ الدِّينِ فَرُخْشَاهُ بِنَّ شَاهِنْشَاهُ بِنِ أَيْوَبِ^(٥) :

هَلْ أَنْتَ رَاحِمٌ عَبْرَةٍ وَتَدْلُهُ^(٦)
هِيَ هَاتِ يَرْحَمُ قَاتِلٌ مَقْتُولَهُ
مَنْ بَلَّ^(٨) مِنْ دَاءِ الْغَرَامِ فَإِنِّي
إِنِّي بُلَيْتُ بِحَبِّ أَعْيَدَ سَاحِرِ

وَمُجِيرُ صَبِّ عِنْدَ مَا مِنْهُ دُهِي
وَسِنَانُهُ فِي الْقَلْبِ غَيْرُ مُتَهَنِّهِ^(٧)
مُذْ حَلَّ بِي مَرَضُ الْهَوَى لَمْ أَنْقَهْ
بِلِحَاطِهِ رَخِصِ الْبِنَانِ بَرَّهْرَهُ^(٩)

- (١) فِي الْأَصْلِ: «دُون»، وَفِي م: «دِر». وَالِدُن: وَعَاءٌ ضَخْمٌ لِلْخَمْرِ وَنَحْوِهِ. الْوَسِيطُ (د ن ن).
(٢) فِي الْأَصْلِ، م: «شَهَدْتُ». وَشَدَّةٌ: أَدْهَشَ وَخَيَّرَ. انظُرِ اللِّسَانَ (ش د ه).
(٣ - ٣) فِي م: «دَعْوَتُهُ».
(٤) فِي الْأَصْلِ، م: «تَنَائِي».
(٥) الْأَبْيَاتُ فِي بَغِيَةِ الطَّلَبِ ١٨١/٩، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٥٥/١٥، ضَمَّنَ قَصِيدَةَ أَيْبَاتِهَا تِسْعَةَ وَأَرْبَعُونَ بَيْتًا، أَوْرَدَهَا بِكَمَالِهَا صَاحِبُ بَغِيَةِ الطَّلَبِ، وَاقْتَصَرَ الْمُصَنِّفُ عَلَى إِيرَادِ أَيْبَاتِ الْغَزْلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ.
(٦) فِي م: «مَدْلَهُ»، وَفِي الْمَصْدَرَيْنِ السَّابِقَيْنِ: «تَوَلَّاهُ». وَالتَّدْلَةُ: ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَوَى. اللِّسَانُ (د ل ه).
(٧) التُّهْنَةُ: الْكَفُّ. وَالتُّهْنَةُ: الْمَكْفُوفُ. اللِّسَانُ (نَهْنَهُ).
(٨) بَلَّ: بَرَأَ وَصَحَّ. الْوَسِيطُ (ب ل ل).
(٩) الْبَرَّهْرَةُ: الْأَبْيَضُ النَّاعِمُ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (ب ر ه).

أُبغِي شفاءً تَدُلُّهُي مِنْ دَلِّهِ
 كم آهية لى فى هواه وأئيه
 [٣٤٤/٩] ومآرب فى وِضْلِهِ لو أنها
 يا مُفْرَدًا بِالْحَسَنِ إِنَّكَ مُنْتَهِي
 قد لام فىك معاشرٌ أَفَأَنْتَهِي^(١)
 أُبِكِي لَدِيهِ فَإِنْ أَحْسَسْ بِلَوْعِيَةِ
 أنا مِنْ مَحَاسِنِهِ وَحَالِي عِنْدَهُ
 ضِدَانٍ قَدْ جُمِعَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ
 أو لَسْتُ رَبِّ فِضَائِلٍ لَوْ حَازَ أَدُ
 والذى أَنشده الشىخُ تاجُ الدينِ فى قَتْلِ عُمارةِ اليمَنِى، حينَ كانَ مالاً
 الكَفْرَةَ والمُلْحِدِينَ على قَتْلِ المَلِكِ صلاحِ الدينِ وَعَوْدِ دولةِ الفاطمِيِّينَ، فَظَهَرَ على
 أمرِهِ، فَضَلِبَ مَعَ مَنْ ضَلِبَ فى سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمِيسِمائِيَةٍ^(٢) :

عُمارةٌ فى الإسلامِ أَبْدَى خِيانَةً
 وَأَمْسَى شَرِيكَ الشَّرِكِ فى بُغْضِ أَحْمَدِ
 وَكانَ خَبِيثَ المُلْتَقَى إِنْ عَجَمْتَهُ^(٣)
 سَيَلَقَى غَدًا ما كانَ يَسْعَى لِأَجَلِهِ
 وَحالَفَ فىها بِيَعَةَ وَصَلِيبًا
 وَأَصْبَحَ فى حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبًا
 تَجِدُ مِنْهُ عُوْدًا فى النِّفاقِ صَلِيبًا
 وَيُسْقَى صَدِيدًا فى لُظَى وَصَلِيبًا^(٤)

وله أيضًا :

(١) فى م : « كى أنتهى » .

(٢) تقدمت الأبيات فى ٤٧٩/١٦ .

(٣) عجمته : امتحنته واختبرته . الوسيط (ع ج م) .

(٤) هذا البيت سقط من : م .

صَحِبْنَا الدَّهْرَ أَيَّامًا حِسَانًا نَعُومُ بِهِنَ فِي اللَّذَاتِ عَوْمًا
وَكَانَتْ بَعْدَ مَا وُلَّتْ كَأَنِّي لَدَى نُقْصَانِهَا حُلْمًا وَنَوْمًا
أَنَاخَ بِي الْمَشِيبُ فَلَا بَرَاحَ وَإِنْ أَوْسَعْتُهُ عَثْبًا وَلَوْمًا
نَزِيلٌ لَا يَزَالُ عَلَى التَّنَائِي يَسُوقُ إِلَى الرَّدَى يَوْمًا فَيَوْمًا
وَكُنْتُ أَعُدُّ لِي عَامًا فَعَامًا فَصِرْتُ أَعُدُّ لِي يَوْمًا فَيَوْمًا

العزُّ محمدُ بنُ الحافظِ عبدِ الغنيِّ المقدسيِّ^(١)، وُلِدَ سَنَةَ سِتِّ وَسْتِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ، وَأَسْمَعَهُ وَالِدُهُ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ بِنَفْسِهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَقَرَأَ بِهَا «مَسْنَدَ
أَحْمَدَ»، وَكَانَتْ لَهُ حَلَقَةٌ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ،
وَكَانَ صَالِحًا دَيِّنًا وَرِعًا حَافِظًا، رَجِمَهُ اللَّهُ وَرَجِمَ أَبَاهُ.

أَبُو الْفَتْوحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُبَارِكِ الْجَلَّاجِيِّ الْبَغْدَادِيِّ^(٢)، سَمِعَ الْكَثِيرَ،
وَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي الرِّسَالَةِ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بْنِ الْعَادِلِ، وَكَانَ عَاقِلًا دَيِّنًا
ثِقَةً صَدُوقًا.

الشَّهِيدُ أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي زَيْدِ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ^(٣)، نَقِيْبُ الطَّالِبِيْنَ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ أَبِيهِ، كَانَ
شَيْخًا أَدِيبًا فَاضِلًا عَالِمًا بِفُنُونٍ كَثِيرَةٍ، لَا سِيْمَا بِالْأَنْسَابِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا،

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/٢٥٢، والذيل على الروضتين ص ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٤٢،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٦٥، والوفاء بالوفيات ٣/٢٦٦، والذيل على
طبقات الحنابلة ٢/٩٠.

(٢) تقدمت ترجمته في وفيات السنة الماضية.

(٣) في م: «الحسيني». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨/٥٨١ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات
النقلة ٤/٢٤١، والذيل على الروضتين ص ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠)
ص ١٧٦.

يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ، وَمِنْ لَطِيفِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

لِيَهْنِكَ سَمْعٌ لَا يَلَائِمُهُ الْعَدْلُ وَقَلْبٌ قَرِيحٌ لَا يَمَلُّ وَلَا يَسْلُو
كَأَنَّ عَلِيَّ الْحُبِّ أَمْسَى فَرِيضَةً فَلَيْسَ لِقَلْبِي غَيْرُهُ أَبَدًا شُغْلُ
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْهَجْرَ مَا كَانَ أَصْلُهُ دَلَالًا وَلَوْلَا الْهَجْرُ مَا عَذَبَ الْوَضْلُ
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الصُّدُودُ مَلَالَةً فَأَيْسَّرَ مَا هَمَّ الْحَبِيبُ بِهِ الْقَتْلُ

أَبُو عَلِيٍّ مَزِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَزِيدِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْحَشَكِرِيِّ^(١)، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، مِنْ أَهْلِ التُّعْمَانِيَّةِ، جَمَعَ لِنَفْسِهِ دِيوَانًا، أَوْزَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً مِنْ شِعْرِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

سَأَلْتُكَ يَوْمَ التَّوَى نَظْرَةً فَلَمْ تَسْمَحْ حَقْرًا لَا سَلَمَ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ تَقُولِينَ لَا وَوَجْهُكَ قَدْ خُطَّ^(٢) فِيهِ نَعَمَ
أَمَّا النُّونُ يَا هَذِهِ حَاجِبٌ أَمَّا الْعَيْنُ عَيْنٌ أَمَّا الْمَيْمُ فَمَ

أَبُو الْفَضْلِ رِشْوَانُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ رِشْوَانَ الْكُرْدِيِّ^(٣)، الْمَعْرُوفُ بِالنَّقْفِ، [٣٤٥/٩] وُلِدَ بِإِزْبِلَ، وَخَدَمَ جُنْدِيًّا، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا، وَخَدَمَ مَعَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

سَلَى عَنِ الصَّوَارِمِ وَالرِّمَاحَا وَخِيَلًا تَسْبِقُ الْهُوجَ الرِّيَاحَا
وَأَسْدًا جَيْشُهَا سُمُرُ الْعَوَالِي^(٤) إِذَا مَا الْأَسْدُ حَاوَلَتْ الْكِفَاحَا

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٩١، ١٢٧، والمشتبه ص ٥٨٣، وتبصير المنتبه ٤/١٢٧٢. وفي المصدرين الأخيرين: «اليشكري». وانظر في ذلك مقدمة تكميل إكمال الإكمال لابن الصابوني ص ٢٠.

(٢) في الأصل: «خطر»، وفي ص: «خلط».

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) العوالي: جمع العالية، وهي النصف الذي يلي الشنان من قناة الرمح. الوسيط (ع ل و).

فإني ثابتٌ عقلاً ولُبّاً
وأوردُ مُهَجَّتِي لُجَجِ المَنَايَا
وكم ليلٍ سَهَرْتُ وبتُّ فيه
وكم في قَدْفِدِ فَرَسِي ونَضْوِي^(١)
لِعَيْنِكَ في العجاجةِ ما أَلَاقِي
إذا ما صَائِحٌ في الحربِ صَاخَا
إذا مَاجَتْ ولم أَخْفِ الجِرَاحَا
أُرَاعِي النَجْمَ أَرْتَقِبُ الصَّبَاخَا
بقائلةِ الهَجِيرِ غدا وراخَا
وأثْبُتُ في الكَرِيهَةِ لا بَرَاخَا

محمد بن يحيى بن هبة الله، أبو نصر النخاس الواسطي^(٢)، كتب إلى
السبط^(٣) من شعره:

وقائلة لما عَمَرْتُ وصار لي
ودمٌ وانتشِقُ رُوحَ الحَيَاةِ فإنه
فقلتُ لها عُذْرِي لَدَيْكَ مَمْهُدٌ
سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ
ثمانون عاماً عَشَ كَذَا وَابَقَ وَاسْلَمِ
لَأَطِيبُ مِنْ بَيْتِ بَصْعَدَةَ مُظْلِمِ
ببَيْتِ زَهِيرٍ فَاعْلَمِي وَتَعْلَمِي
ثمانين حَوْلًا لا مَحَالَةَ يَسْأَمُ^(٤)

(١) الفدغد: الفلاة التي لا شيء بها. والنضو: الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. اللسان (ن ض و).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧١ - وفيه: «النخاس» بالخاء المعجمة - والوافي بالوفيات ١٩٩/٥.

(٣) أي سبط ابن الجوزي. كما في الذيل على الروضتين.

(٤) شرح ديوان زهير ص ٢٩.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة^(١)

فى ثالث المحرم كمل تبليط داخل الجامع الأموى ، وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولى بدمشق ، فوضع آخِر بلاطية منه بيده وكانت عند باب الزيادة^(٢) ، فرحاً بذلك .

وفىها زادت دجلة بغداد زيادة عظيمة ، وارتفع الماء حتى ساوى السور^(٣) إلا مقدار أصبعين ، ثم طفع الماء من فوقه^(٤) ، وأيقن الناس بالهلكة ، واستمر ذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً ، ثم من الله تعالى فتناقص الماء ، وذهبت الزيادة ، وقد بقيت بغداد تلوياً ، وتهدمت أكثر البنايات^(٥) ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وفىها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضلان ،^(٦) وحضر عنده القضاء والأعيان^(٧) .

(١) الكامل ٣١٦/١٢ - ٣٣٢ ، ومرآة الزمان ٥٨١/٨ - ٥٨٦ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٠٠ - ١٠٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥ - ١٨ .
(٢) فى الذيل على الروضتين ، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك ؛ أنه وضع البلاطة بحضرة مقصورة الحصر .

(٣) فى الأصل ، م : « القبور » .

(٤) لم يذكر ذلك فى المصادر تصريحاً ، ولكن ذلك لازم استمراره سبع ليالٍ وثمانية أيام .
(٥) جاءت عبارته فى مرآة الزمان : « وبقيت بغداد من الجانبين تلوياً لا أثر لها » . وقد علق الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام عقبها قائلاً : « هذا من خسف أبى المظفر - يعنى سبط ابن الجوزى مصنف المرأة - فهو مجازف » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى مرآة الزمان وذيل الروضتين ، وهما المصدران اللذان ذكرا ذلك .

وفيها سار الصّدُرُ بنُ حَمَوِيَه في الرّسليّة إلى بغدادٍ مِنَ العادلي إلى الخليفة .
وفيها قديم ولده الفخزُ من الكامل إلى أخيه المعظم يخطبُ منه ابنته على ابنه
أقيسيّ صاحبِ اليمنِ ، فعقدَ العَقْدُ بدمشق على صدّاقِ هائلٍ .

وفيها قديم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تيكش إلى همدان^(١)
قاصداً إلى بغداد في أربعمئة ألف ، وقيل : في ستمئة ألف . فاستعدّ له الخليفة ،
واستخدم الجيوش الكثيرة ، وأرسل إلى الخليفة يطلبُ منه أن يكونَ بينَ يديه على
قاعدةٍ من تقدّمه من الملوك السلاجقة ، وأن يخطبَ له ببغداد على منابرِها ، فلم
يُجِبْه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين الشهرزرديّ ، فلما وصل
إليه شاهدَ عنده من العظمة وكثرة الملوك بينَ يديه ، وهو جالسٌ في خركاه من
ذهبٍ على سريرٍ سادج^(٢) وعليه قباءٌ بخاريّ ما يساوي خمسة دراهم ، وعلى
رأسه جلدة ما تساوي درهماً^(٣) ، فسلم فلم يردّ عليه من الكبر ، ولم يأذن له في
الجلوس ، فقام إلى جانب السرير ، وأخذ في خطبة هائلة ، فذكر فيها فضلَ بنى
العباس وشرفهم ، وأورد حديثاً في النهي عن أذاهم ، والتزجمان يُعيدُ على الملك ،
فقال الملك : أمّا ما ذكرتَ [٣٤٥/٩ ظ] من فضلِ الخليفة فإنه ليس كذلك ، ولكني
إذا قدمتُ بغدادَ أقمتُ من يكونُ بهذه الصفاتِ ، وما ذكرتَ من النهي عن
أذاهم ، فإنني لم أؤذ منهم أحداً ، ولكنّ الخليفة في سجونهِ منهم طائفةٌ كثيرةٌ

(١) في النسخ : « همدان » . والمثبت من مصادر التخرّيج .

(٢) في الأصل : « سادج » ، وفي م ، ص : « ساج » . والمثبت من مرآة الزمان والذيل وتاريخ الإسلام .
ولم تُذكر في الكامل لاختصاره القصة . والسادج : الخالص غير المشوب وغير المنقوش . معرب ،
فارسيته : ساده . انظر الوسيط (س ذ ج) .

(٣) في المرآة والذيل وتاريخ الإسلام ؛ أن القباء يساوي خمسة دراهم والجلدة تساوي درهما . ولم يذكر
في الكامل ذلك .

يَتَنَاسَلُونَ فِي السُّجُونِ ، فَهُوَ الَّذِي آذَى بَنِي الْعَبَّاسِ . ثُمَّ تَرَكَهُ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ
جَوَابًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفَ الشَّهْرُ وَزِدْتِي رَاجِعًا ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمَلِكِ
وَجُنْدِهِ ثَلَاثًا عَظِيمًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَمَّ الْخَرَازِكِي وَالخِيَامَ ، وَوَصَلَ إِلَى رَعُوسِ
الْأَعْلَامِ ، وَتَقَطَّعَتْ أَيْدِي رِجَالِهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ، وَعَمَّهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُحَدُّ
وَلَا يُوصَفُ ، فَرَدَّهُمُ اللَّهُ خَائِبِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَفِيهَا انْقَضَتِ الْهُدْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْعَادِلِ وَالْفِرْنَجِ ، وَأَتَّفَقَ قَدُومُ الْعَادِلِ مِنَ
الْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَوَلَدُهُ الْمُعْظَمُ بَيْبَسَانَ ، فَزَكَبَتِ الْفِرْنَجُ مِنْ عَكَا
وَمَقَدَّمُهُمْ وَضَحَبَتْهُمْ مُلُوكُ السَّوَاهِلِ كُلُّهُمْ ، وَسَاقُوا كُلَّهُمْ قَاصِدِينَ مُغَافِصَةً^(١)
الْعَادِلِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ فَرَمْنَهُمْ لِكثْرَةِ جُيُوشِهِمْ وَقَلَّةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ
الْمُعْظَمُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَتِي ؟ فَشَتَمَهُ أَبُوهُ بِالْعَجْمِيَّةِ ، وَقَالَ لَهُ : أَقَطَّعْتَ الشَّامَ تَمَالِيكَكَ ،
وَتَرَكْتَ^(٢) مَنْ يَنْقَعُنِي مِنْ^(٣) أَبْنَاءِ النَّاسِ . فَتَوَجَّهَ الْعَادِلُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَتَبَ إِلَى
وَالِيهَا الْمُعْتَمِدِ لِيُحْصِنَهَا مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَيُنْقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْغَلَّاتِ مِنْ دَارِيًّا^(٤) إِلَى
الْقَلْعَةِ ، وَيُرْسِلَ الْمَاءَ عَلَى أَرْضِي دَارِيًّا ، وَقَصِرِ حَجَّاجِ^(٥) وَالشَّاعُورِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ بِالذُّعَاءِ ، وَكَثُرَ ضَجِيجُهُمْ بِالْجَامِعِ ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ ،
فَنَزَلَ بِمَرْجِ الصُّفْرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُلُوكِ الشَّرْقِ لِيَقْدَمُوا لِقِتَالِ الْفِرْنَجِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
قَدِمَ صَاحِبُ حِمَصَ أَسَدُ الدِّينِ شَيْزُكُوهُ ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ ،
وَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى سِتِّ الشَّامِ بِدَارِهَا عِنْدَ الْمَارِسْتَانِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ

(١) غافصة : أخذه على غرة فركبه بمساءة . اللسان (غ ف ص) .

(٢ - ٣) زيادة من : ص .

(٣) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . معجم البلدان ٥٣٦/٢ .

(٤) قصر حجاج : محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب إلى حجاج بن
عبد الملك بن مروان . معجم البلدان ١١٠/٤ .

أسدُ الدين سُرى عن الناسِ وأمنوا فلما أصبح توجَّه إلى السلطانِ بِمَرْجِ الصَّفْرِ ،
وأما الفِرْنَجُ فإنهم وردوا إلى بَيْسَانَ ، فنهبوا ما كان بها مِنَ الغَلَّاتِ والدَّوَابِّ ،
وقتلوا وأسروا شيئاً كثيراً ، وكذلك عاثوا فى الأرضِ فساداً يفتُلون ويَنهبون
ويَسبُونَ ما بينَ بَيْسَانَ إلى بانياسَ ، وخرجوا إلى أراضى الجَوْلانِ إلى نوى^(١)
وخسفين^(٢) وغير ذلك من الأراضى ، وسار الملكُ المُعظَّمُ ، فنزل على عقبة اللبِنِ
بينَ القدسِ ونابلسَ خوفاً على القدسِ الشريفِ ، ثم حاصرَ الفِرْنَجُ حصنَ الطُّورِ
حصاراً هائلاً ، ومانعَ عنه الذين به مِنَ الأبطالِ مُنانةً هائلةً ، ثم كَرَّ الفِرْنَجُ راجِعِينَ
إلى عَكَّا^(٣) ، وجاء الملكُ المُعظَّمُ إلى الطُّورِ ، فخلعَ على الأمراءِ الذين به ، وطيبَ
نُفوسَهُم ، ثم اتَّفَقَ هو وأبوه على هدمِهِ كما سيأتى .

ومن تُوفى فيها مِنَ الأعيانِ :

الشيخُ العِمادُ أخو الحافظِ عبدِ الغنى ، أبو إسحاقِ إبراهيمِ بنِ عبدِ الواحدِ
ابنِ عليِّ بنِ سُرورِ ، الشيخُ عمادُ الدينِ المقدِسى^(٤) ، كان أضغَرَ من أخيه
الحافظِ عبدِ الغنى بسنتين ، وقدمَ معهم إلى دمشقَ سنةً إحدى وخمسين
وخمسمائةً ، ورحلَ إلى بغدادَ مرتين ، وسمعَ الحديثَ ، وكان عابداً زاهداً ورِعاً ،

(١) نوى : بليدة من أعمال حوران ، وقيل : هى قصبته . بينها وبين دمشق منزلان . انظر معجم البلدان
. ٨١٥/٤ .

(٢) خسفين : قرية من أعمال حوران بعد نوى فى طريق مصر ، بين نوى والأردن ، وبينها وبين دمشق
خمسة عشر فرسخاً . معجم البلدان ٤٤٣/٢ .

(٣) بعده فى م : « ومعهم الأسارى من المسلمين » .

(٤) مرآة الزمان ٥٨٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٠/٤ ، والذيل على الروضتين ص
١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٨٢ ، والوفى
بالوفيات ٤٩/٦ ، وعنده « إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور » ، والذيل على طبقات الخبابة ٩٣/٢ .

كثير الصلاة، كثير الصيام؛ يصوم [٣٤٦/٩] يوماً ويفطر يوماً، وكان فقيهاً
مفتياً، له كتاب «الفروق»^(١)، وصنف أحكاماً ولم يتمه، وكان يؤم بمحراب
الحنابلة مع الشيخ الموفق، وإنما كانوا يصلون بغير محراب، ثم وضع المحراب في
سنة سبع عشرة وستمائة، وكان يؤم بالناس فيه لقضاء الفوائت، وهو أول من
فعل ذلك. صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً، ثم رجع إلى بيته بدمشق،
فأفطر ثم مات فجأة، فصلى عليه بالجامع الأموي الشيخ الموفق عند مصلاًهم،
ثم صعدوا به إلى السفح، وكان يوماً مشهوداً من كثرة الخلق. قال سبط ابن
الجوزي^(٢): كان الخلق من الكهف إلى مغارة الدم إلى الميطور^(٣)، لو بُدِر
السَّمْسِمُ ما وقع إلا على رعوس الناس^(٤)، فلما رجعت تلك الليلة فكوت فيه^(٥)
وقلت: كان هذا رجلاً صالحاً ربماً أنه نظر إلى ربه حين وُضع في لحده. ومر
بذهني أبيات الثوري التي أنشدتها بعد موته في المنام فقال:

نظرتُ إلى ربي كِفاحاً وقال لي هنيئاً رِضايَ عنك يا بن سعيد
فقد كنتَ قَوَّاماً إذا أقبلَ الدُّجى بعبرةٍ مُشتاقٍ وقلْبٍ عميد
فدونك فاخترَ أيَّ قَصيرٍ أرذته ورزني فيني منك غيرُ بعيد
ثم قلتُ: أزوجو أن يكونَ العماذُ رأى ربه كما رآه سفيانُ الثوريُّ. فبنتُ

(١) في النسخ: «الفروع». والمثبت من مصادر ترجمته، عدا المرأة والتكملة والوافي فلم تتعرض لذلك.

(٢) مرآة الزمان ٥٨٨/٨، ٥٨٩ (القسم الثاني).

(٣) الميطور: من قرى دمشق. معجم البلدان ٧١٦/٤.

(٤) الذي في مرآة الزمان أنه «لورمي عليهم الإنسان الإبرة لما ضاعت». وانظر الذيل على الروضتين

ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٤/٢.

(٥) بعده في م: «وفي جنازته وكثرة من شهدها».

فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ العِمَادَ فِي النُّومِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ، وَعِمَامَةٌ خَضْرَاءُ، وَهُوَ فِي مَكَانٍ مُتَّسِعٍ كَأَنَّهُ رَوْضَةٌ، وَهُوَ يَزُقِّي فِي دَرَجٍ مُتَّسِعَةٍ^(١)، فَقُلْتُ: يَا عِمَادَ الدِّينِ، كَيْفَ بَيْتٌ فَإِنِّي وَاللَّهِ مُفَكِّرٌ فِيكَ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ عَلَيَّ عَادَتِهِ^(٢)، ثُمَّ قَالَ:

رَأَيْتُ إِلَهِي حِينَ أَنْزَلْتُ حُفْرَتِي وَفَارَقْتُ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَجِيرَتِي
وَقَالَ مُجِزِيَتِ الخَيْرِ عَنِّي فَإِنِّي رَضِيْتُ فِيهَا عَفْوِي لَدَيْكَ وَرَحْمَتِي
دَأْبَتْ زَمَانًا تَأْمُلُ الفُوزَ^(٣) وَالرِّضَا فَوُقِّيتَ نِيرَانِي وَلُقِّيتَ جَنَّتِي

قال: فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مَدْعُورٌ، وَكَتَبْتُ الأَبْيَاتَ.

القاضي جمال الدين بن الحرستاني: عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل، أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني^(٤)، قاضي القضاة بدمشق، وُلِدَ سنةَ عشرين وخمسمائة، وكان أبوه من أهل حرستا^(٥)، فنزل داخل باب ثوما، وأم بمسجد الزينبي، ونشأ ولده هذا نشأة حسنة، سمع الحديث الكثير، وشارك الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه، وكان يجلس لإسماعيل الحديث بمقصورة الحضر، وعندها كان يُصلِّي دائمًا، لا تفوته الجماعة بالجامع، وكان

(١) في المرأة: «مرتفعة». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/

١٠٥، وعندهما كما في المرأة. وفي تاريخ الإسلام ص ١٨٢: «عرفات».

(٢) بعده في م: «التي كنت أعرفه فيها في الدنيا».

(٣) في م: «العفو».

(٤) مرآة الزمان ٥٨٩/٨ (القسم الثاني) وعنده «أبو القاسم الحرستاني». والمعروف «ابن الحرستاني»

كما أثبتته الحافظ ابن كثير وكما في المصادر الآتية: التكملة لوفيات النقلة ٣٠٣/٤، والذيل على

الروضتين ص ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠)

ص ٢٠٣، والوفى بالوفيات ٤٥١/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٩٦/٨.

(٥) حرستا: قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من

فرسخ. معجم البلدان ٢/٢٤١.

منزله بالحويرة^(١) ، ودرس بالمجاهدية ، وعمر دهرًا طويلًا على هذا القدم الصالح ، وناب في الحكم عن ابن أبي عَصْرُونَ ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع ، ثم عزّل العادل القاضي ابن الزكي^(٢) الطاهر بن محيي الدين محمد بن عليّ القرشي ، وألزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هذا بولاية القضاء^(٣) ، وله ثنتان وتسعون سنة ، وأعطاه تدريس العزيزية . وأخذ التتوية أيضًا من ابن الزكي ، وولاهما فخر الدين بن عساكر . قال ابن عبد السلام : وما رأيت أحدًا أفقه من ابن الحرستاني ، كان يحفظ « الوسيط » للغزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أغدال القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولي مَشِيخَةَ الأشرافية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية ، [٣٤٦/٩ ظ] وكان السلطان قد أرسل إليه طرًاحةً ومسندًا لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فإذا نهض أبوه جلس هو مكانه ، ثم إنه عزّل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستتاب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يجلس تُجاهه في شرقى الإيوان ، واستتاب أيضًا معه شمس الدين بن سني^(٣) الدولة ،^(٤) ووثبت له دكة في الزاوية القبلية بغرب المدرسة^(٤) ، واستتاب شرف الدين بن المؤصلي الحنفي ، فكان يجلس في محراب

(١) في م : « بالحويرة » ، وفي الوافي : « الحويرة » . والمثبت موافق لما في مرآة الزمان والذيل على الروضتين وسير أعلام النبلاء ، ولم تذكر هذه التفاصيل سائر المصادر . والحويرة : تصغير الحارة ؛ حارة بدمشق . انظر تاج العروس (ح ي ر) .

(٢ - ٣) في م : « وألزم هذا بالقضاء » .

(٣) في م : « سنا » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٧/٢٣ .

(٤ - ٤) سقط من م . وفي الأصل : « ووثبت له ذكر في الرواية الغربية القبلية من المدرسة » ، وفي ص : « ووثبت له دكة في الرواية » ثم بيّض قدر كلمتين ثم « مدرسته » . والمثبت من الذيل على الروضتين والوافي بالوفيات . ولم تذكر هذه التفاصيل في سائر المصادر .

المدرسة، واستمرَّ حاكمًا سنتين وسبعة^(١) أشهر، ثم كانت وفاته يوم السبت رابع ذى الحجة من هذه السنة وله خمس وتسعون سنة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ثم دُفِن بسفح قاسيون.

الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري^(٢)، باني المدرسة التي بالقدس، وكان من خيار الأمراء، يَمَنَّى الشهادة دائمًا، فقتلته الفرنج بحصن الطور هذه السنة، ونُقِل إلى القدس الشريف فدُفِن بترتبه باملا، وترتبه تُزار إلى الآن، رحمه الله.

الشجاع محمود^(٣) المعروف بالدماغ^(٤)، كان من أصدقاء العادل يُضحكه، فحصل أموالاً جزيلة، كانت دأره داخل باب الفرج^(٥)، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية، ووقفت عليها أوقافاً دارة. رحمه الله.

الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة، شيخة العالمات بدمشق، وتلقب بدهن اللوز^(٦).

-
- (١) في م: «أربعة».
- (٢) مرآة الزمان ٥٩٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢٠، والوفى بالوفيات ٤/٣٥٠، والنجوم الزاهرة ٦/٢٢١.
- (٣) الذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢١، والسلوك ١/١٨٨ (القسم الأول)، وشذرات الذهب ٥/٦١.
- (٤) في الأصل، م: «بابن الدماغ». وفي ص: «بابن الدباغ» وكذا جاء اسمه في السلوك: «ابن الدباغ» والمثبت من سائر المصادر.
- (٥) في م: «الفرنج».
- (٦) الذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩٥.

وفيهما توفيت بنتُ بوريجان^(١)، وهي آخرُ بناته وفأة، وجعلت أموالها وقفًا
على تربية أختها بنتِ صفية^(٢) المشهورة^(٣).

(١) في الأصل، م: «نورنجان»، وفي ص: «بورنجان». والمثبت من مصدر ترجمتها؛ الذيل على
الروضتين ص ١٠٨.

(٢) في الأصل: «العصيبة»، وفي م: «العصبة»، وفي ص: «العصيبة». والمثبت من الذيل على
الروضتين.

(٣) هنا ينتهي الجزء الثالث من النسخة المصرية المشار لها بـ «ص».

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة

استهلت^(١) والعاذل نازل بمرج الصفر لمناجزة الفرج، وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور، فخرّبه ونقل ما فيه من آلات الحرب إلى البلدان خوفًا من الفرج.

وفي ربيع الأول نزلت الفرج على دمياط، وأخذوا بروج السلسلة في جمادى الأولى، وكان حصنًا منيعًا، وهو قفل بلاد مصر، إنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها التقى المعظم والفرج على القيمون^(٢)، فكسرهم وقتل منهم خلقًا، وأسر من الداوية^(٣) مائة، فأدخلهم إلى القدس منكسةً أعلامهم.

وفيها جرت حطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحدًا بعد واحد، وتغلب غلام أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور^(٤)، ويذكر أنه هو الذي كان يقتلهم في الباطن ليستحوذ هو على الأمور^(٥)، فالله أعلم.

وفيها أقبل ملك الروم^(٥) كيكائوس بن كيخسرو يريد أخذ مملكة حلب،

(١) الكامل ٣٣٣/١٢ - ٣٥٣، ومرآة الزمان ٥٩٢/٨ - ٥٩٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ - ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩ - ٢٤.

(٢) القيمون: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين. معجم البلدان ٤/٢١٨.

(٣) انظر: نهاية الأرب ٨٣/٢٩. الحاشية.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) في م: « كيكاريس سنجر ».

وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سُمَيْسَاط ، فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل ، وقهر ملك الروم ، وكسر جيشه ، وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة سنجان مضافاً إلى ما بيده من الممالك هنالك . وفيها تُوفّي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب^(١) ، فأخذت الفرنج ، لعنهم الله ، نغز دِمِيَاط ،^(٢) ثم ركبوا^(٣) ، وقصدوا بلاد مصر من نغز دِمِيَاط ، فحاصروه مدة أربعة أشهر ، والكامل محمد مقابلهم يُقاتلهم ويُمانعهم ويضدّهم عما يُريدونه ، فتملّكوا على المسلمين بُرُوج السُّلَيْسِلة ، وهو كالفُقل على ديار مصر ، وصِفْتُهُ في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومن هذا البرج إلى دِمِيَاط - وهو على شاطئ البحر وحافة النيل - سلسلة ، ومنه إلى الجانب - الآخر وعليه الجسر - سلسلة أخرى ؛ ليمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يُمكن الدُخُول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شقّ ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصُفْر ، تأوّه لذلك تأوّهها شديداً ، ودقّ بيده على صدره أسفاً وحُزناً ، ومريض من ساعته مرض الموت لأمر يُريده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة تُوفّي رَحِمَهُ اللهُ بقرية عالقين^(٣) ، فجاء ولده المُعظّم إليه مُسرِعاً ، فجمع حواصله ، وأرسله في

(١) الكامل ١٢ / ٣٥٠ ، ومراة الزمان ٨ / ٥٩٤ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤ / ٣٢٦ ، والذيل على الروضتين ص ١١١ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٧٤ ، ونهاية الأرب ٢٩ / ٨٢ ، وسير أعلام ٢٢ / ١١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٨ .

(٢ - ٢) في الأصل : « قد تقدم أنه لما أراد الفرنج مغافسته وهو جاء من الديار المصرية عند بيسان فر منهم ونزل بمرج الصفر وأرسل إلى العساكر من الجزيرة وغيرهم لتقدم [٣٤٧ / ٩] عليه حتى يناجز بهم الفرنج وذلك عند انقضاء هذه الهدنة فركبت الفرنج من السواحل من عكا وانضاف إليهم من شاء الله من عساكرهم البحرية » .

(٣) عالقين : قرية بظاهر دمشق . وفيات الأعيان ٥ / ٧٨ .

مِخْفَةٍ^(١) ، ومعه خادِمٌ بصفة أن السلطانَ مريضٌ ، وكلما جاء أحدٌ من الأمراءِ لِيَسَلَّمَ على السلطانِ بَلَّغَهُم عنه الطَّوْاشِي ، يعنى لضعفِ السلطانِ عن الردِّ عليهم ، فلما انتهى به إلى القلعة المنصورة دُفِنَ بها مدةً ، ثم حُوِّلَ إلى تربته بـمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ، وقد كان الملكُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ أيوبَ بنِ شاذيٍّ من خيارِ الملوكِ وأجودهم سيرةً وأحسنهم سريرةً ، ذِيئًا عاقلًا صبورًا وقورًا ، أبطلَ الحُرُومَاتِ والخمُورَ والمعازِفَ من مملكته كلها ، وقد كانت مُمتدَّةً من أقصى بلادِ مصرَ واليمنِ والشامِ والجزيرةِ إلى هَمَذَانَ كُلِّهَا ، أَخَذَهَا بعدَ أخيه صلاحِ الدينِ ، رَجِمَهَا اللهُ وسوى حَلَبَ ، فإنه أقرَّها بيدِ ابنِ أخيه الظاهرِ غازي ؛ لأنه زوج ابنته صَفِيَّةَ السُّتِّ خاتون . وكان رحمه اللهُ حَلِيمًا صَفُوحًا ، صَبُورًا على الأذى ، كثيرَ الجهادِ بنفسِهِ ، وحضَّرَ مع أخيه موافقَه كُلِّهَا أو أكثرها ، وله في تلك الأيامِ اليدُ البيضاءُ ، وكان رحمه اللهُ ماسِكَ اليدِ ، لكنه أنفقَ في عامِ الغلاءِ بمصرَ أموالًا عظيمةً جدًا ، وتصدَّقَ على أهلِ الحاجةِ من أبناءِ الناسِ وغيرِهِم شيئًا كثيرًا ، ثم في العامِ بعده في الفناءِ كَفَّنَ ثلاثمائة^(٢) ألفِ إنسانٍ مِنَ العُرباءِ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ في أيامِ مرضِهِ ، حتى كان يَخْلَعُ جميعَ ما عليه وَيَتَصَدَّقُ به وبمَزْكوبِهِ^(٣) ، وكان كثيرَ الأكلِ ، مُتَمَتِّعًا بصحتهِ وعافيتهِ مع كثرةِ صيامِهِ ، يَأْكُلُ في اليومِ الواحدِ أَكْلَاتٍ جيدةً ، ثم بعدَ هذا يَأْكُلُ وقتَ النومِ رَطَلًا بالدمشقيِّ مِنَ الحَلْوَى الشُّكْرِيَّةِ اليابسةِ ، وكان يَغْتَرِيهِ مرضٌ في أنفه في زمانِ الوَرْدِ ، وكان لا يَقْدِرُ على الإقامةِ بدمشقَ حتى يَفْرُغَ زمنُ الوَرْدِ ، فكان يُضْرَبُ له الوطاقُ^(٤) بِمَرْجِ الصُّفْرِ ، ثم

(١) المحفة : الهودج لاقبة له . الوسيط (ح ف ف) .

(٢) في م : «مائة» .

(٣) بعده في الأصل : «وما تحته» .

(٤) الوطاق : الخيمة الكبيرة التي تعد للعظماء . محيط المحيط (و ط ق) .

يَدْخُلُ الْبَلَدَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَتُوْفِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَن خَمْسِ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

[٣٤٧/٩ ظ] وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ جَمَاعَةٌ ؛ مُحَمَّدٌ الْكَامِلُ صَاحِبُ مِصْرَ ، وَعِيسَى الْمُعْظَمُ صَاحِبُ دِمَشَقَ ، وَمُوسَى الْأَشْرَفُ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ وَخِلَاطَ وَحَرَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْأَوْحَدُ أَيُّوبُ وَمَاتَ قَبْلَهُ ، وَالْفَائِزُ إِبْرَاهِيمُ ، وَالْمُظَفَّرُ غَازِي صَاحِبُ الرَّهَا ، وَالْعَزِيزُ عَثْمَانُ ، وَالْأَمْجَدُ حَسَنُ ، وَهَمَا شَقِيقَا الْمُعْظَمِ ، وَالْمَغِيثُ مَحْمُودُ ، وَالْحَافِظُ أَرْسَلَانَ صَاحِبُ جَعْبَرٍ ^(١) ، وَالصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، وَالْقَاهِرُ إِسْحَاقُ ، وَمُعْجِرُ الدِّينِ يَعْقُوبُ ، وَقُطْبُ الدِّينِ أَحْمَدُ ، وَخَلِيلُ ، وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ ، وَتَقَى الدِّينِ عَبَّاسُ ، وَكَانَ آخِرَهُمْ وَفَاةً ، بَقِيَ إِلَى سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ لَهُ بَنَاتٌ أَشْهُرُهُنَّ السُّتُّ صَفِيَّةُ خَاتُونُ زَوْجَةُ الظَّاهِرِ غَازِي صَاحِبِ حَلَبَ وَأُمُّ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالِدِ النَّاصِرِ يَوْسُفَ الَّذِي مَلَكَ دِمَشَقَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ النَّاصِرِيَّتَانِ بِدِمَشَقَ وَالجَبَلِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ هُوَلَاؤُو كَمَا سَيَأْتِي .

صَفَةُ أَخَذِ الْفِرْنَجِ دِمْيَاطَ ^(٢) لَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ بِمَوْتِ الْعَادِلِ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْكَامِلِ ، وَهُوَ بَنَغْرٍ دِمْيَاطَ مَرَابِطُ الْفِرْنَجِ ، أَضْعَفَ ذَلِكَ أَعْضَادَ الْمُسْلِمِينَ وَفَشَلُوا ، ثُمَّ بَلَغَ الْكَامِلُ خَيْرَ آخِرُ أَنْ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْمُشْطُوبِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ أَمِيرِ مِصْرَ ، قَدِ ارْتَادَ أَنْ يُبَايِعَ لِلْفَائِزِ عَوْضًا عَنِ الْكَامِلِ ، فَسَاقَ وَحَدَهُ جَرِيدَةً مِنْ دِمْيَاطَ قَاصِدًا إِلَى مِصْرَ لِاسْتِذْرَاكِ هَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ ، وَلَمَّا فَقَدَهُ الْجَيْشُ مِنْ بَيْنِهِمْ انْحَلَّ نِظَامُهُمْ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِمَّا بَلَغَهُمْ ، فَرَكِبُوا وَرَاءَهُ ، فَدَخَلَتْ الْفِرْنَجُ حِينْتِذِ بَأْمَانٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مُعَشَكِرِ الْكَامِلِ وَأَثْقَالِهِ وَحَوَاصِلِ الْجَيْشِ ، فَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَدًّا ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَدَخَلَ

(١) جعير: قلعة على الفرات . معجم البلدان ٨٤ / ٢ .

(٢) الكامل ٣٢٣ / ١٢ - ٣٢٦ .

الكامل مصر، فلم يَقَعْ مما ظنَّه شيءٌ، وهرب منه ابنُ المَشْطُوبِ إلى الشام، ثم ركب في الجيشِ إلى الفِرْنَجِ، فإذا الأمرُ قد تزايدَ وقد تمكَّنوا هنالك من البُلدانِ، وقتلوا خَلْقًا، وغنموا شيئًا كثيرًا، وعائت هناك أعرابٌ على أموالِ الناسِ ببلادِ دمياط، فكانوا أَضَرَّ على المسلمين من الفِرْنَجِ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، فنزل الكاملُ تجاههم يُمانِعُهُم عن دخولهم إلى القاهرة ومصرهم بعد أن كان يمانِعُهُم عن دخولِ الثُّغْرِ؛ وكتب إلى إخوته يَسْتَحْتِجُهُم وَيَسْتَنْجِدُ بهم، ويقول: الوَحَاءُ الوَحَاءُ^(١)، العَجَلُ العَجَلُ، أدركوا المسلمين قبل أن تَمْلِكَ الفِرْنَجُ جميعَ الديارِ المصرية. فأقبلت العساكرُ الإسلاميةُ عندَ ذلك إليه من كلِّ مكانٍ، وكان أولَ مَنْ قَدِمَ عليه أخوه الأشرفُ موسى صاحبُ الجزيرة، بيضَ الله وجهه، ثم المَعْظُمُ، وكان من أمرهم مع الفِرْنَجِ ما سنذكرُ بعدَ هذه السنة.

وفيها ولي حِشْبَةُ بغدادَ الصاحبُ مُحْيَى الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ أبي الفرجِ ابنِ الجوزيِّ، وهو مع ذلك يَعْمَلُ مِيعَادَ الوَعْظِ على قاعدة أبيه، وشُكِرَتْ مُباشَرَتُهُ للحِشْبَةِ. وفيها فُوضَ إلى المَعْظُمِ النظرُ في التُّزْبَةِ البَدْرِيَّةِ تُجَاهَ الشُّبْلِيَّةِ عندَ الجِسْرِ الذي على ثُورَا^(٢)، ويقالُ له: جِسْرُ كُحَيْلٍ. وهي مَنسُوبَةٌ إلى "بدرِ الدين"^(٣) حَسَنِ بنِ الدايةِ، كان هو وإخوته من أكابرِ أمراءِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِي.

قلتُ^(٤): وقد جُعِلَتْ في حدودِ الأربعين [٣٤٨/٩] وستُمائةِ جامعًا فيه خطبةُ يومِ الجُمُعَةِ، واللهُ الحمدُ.

وفيها أُرْسِلَ السلطانُ علاءُ الدينِ محمدُ بنُ تَيْكشِ إلى الملكِ العادلِ وهو مُحَيِّمٌ

(١) الوحاء: العجلة والإسراع. المحيط (و ح ي).

(٢) ثورا: اسم نهر عظيم بدمشق. معجم البلدان ١/٩٣٨.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: م.

بمَرْجِ الصُّفْرِ ، فردَّ إليه مع الرسولِ حَطِيبَ دَمَشَقَ جَمالَ الدينِ مُحَمَّدَ بنِ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعِيِّ ، واشْتَنِبَ عنه في الحِطَابَةِ الشَّيْخَ المَوْفَّقَ عَمْرُ بنَ يوسُفَ حَطِيبَ بيتِ الآبَارِ ، فأقامَ بيْتِ في العَزِيزِيَّةِ^(١) يُبَايِئُهُ عنه ، حتى قَدِمَ موْتُ العادِلِ ، رَحِمَهُ اللهُ .

وفيها تُوفِّيَ الملكُ القاهِرُ صاحِبُ المَوْصِلِ ، فأقِيمَ ابنُهُ الصَّغِيرُ مكانَهُ ، ثم قُتِلَ ، وتَشَتَّتْ شَمْلُ البيْتِ الأتابِكِيِّ ، وتَغَلَّبَ على الأُمُورِ الأَمِيرُ بَدْرُ الدينِ لُؤْلُؤُ غلامُ أبيهم نورِ الدينِ أَرْسلانَ .

وفيها كانَ عودُ الوَزيزِ صَفِيِّ الدينِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ شُكْرِ مِّنْ^(٢) أَمَدَ إلى دَمَشَقَ^(٣) بَعْدَ موْتِ العادِلِ ، فَعَمِلَ فِيهِ الشَّيْخُ عَلَمُ الدينِ السَّخاوِيُّ مَقامَةً يَمْدَحُهُ فِيها وَيبالغُ فِي شِكرِهِ ، وَقَد ذَكَروا أَنَّهُ كانَ مُتواضِعاً يُحِبُّ^(٤) الفُقهاءَ ، وَيُسلِّمُ على النَّاسِ إِذا اجْتازَ بِهِم وهو راکِبٌ فِي أُبْهَةِ وِزارَتِهِ ، ثم إِنَّهُ نَكِبَ فِي هذِهِ السَّنَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الكامِلَ هو الَّذي كانَ سَبَبَ طَرَدِهِ وإِبعادِهِ ، كَتَبَ إلى أَخِيهِ المَعْظَمِ فِيهِ ، فاحتاطَ على أُمُوالِهِ وَحَواصِلِهِ ، وَعَزَلَ ابنَهُ عَنِ النَّظَرِ بالدَّواوِينِ ، وَقَد كانَ يَنوبُ عَنِ أبيهِ فِي مَدَةِ غَيبَتِهِ .

وفي رَجَبٍ مِّنْ هذِهِ السَّنَةِ أَعادَ المَعْظَمُ ضَمانَ القِيانِ وَالخُمُورِ وَغَيرِ ذلكَ مِنَ الفَواجِشِ وَالمُنكَرَاتِ الَّتِي كانَ أبُوهُ قَد أِبْطَلها ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَنْجاسِرُ أَنْ يَنْقُلَ خَمراً إلى دَمَشَقَ إِلا بِالْحِيلَةِ الخَفِيَّةِ^(٤) ، وَاعتذَرَ المَعْظَمُ فِي صَنعِهِ هذِهِ المُنكَرَةَ بِقِلَّةِ الأُمُوالِ على الجُنُودِ ، وَاحتِياجِهِم إلى التَّنْفِقاتِ فِي قَتالِ الفِرْجِ .

(١) العزيرية: مدرسة بناها العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين. انظر الدارس ١/٣٨٢، ٥٤٩.

(٢ - ٢) في م: «بلاد الشرق».

(٣) بعده في م: «الفقراء و».

(٤) بعده في م: «فجزى الله العادل خيراً ولا جزى المعظم خيراً على ما فعل».

١) وما استشعر أن^(١) هذا الصنيع يُدِيلُ عليهم الأعداء، ويُمكنُ فيهم الداء^(٢).
ومَنْ تُوفِّيَ فيها مِنَ المشاهيرِ والأعيانِ :

٢) السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ، كما تقدَّم^(٣).

القاضي شرفُ الدينِ أبو طالبِ عبدُ اللهِ بنُ زَيْنِ القضاةِ عبدِ الرحمنِ بنِ
سلطانِ بنِ يحيى^(٤) بنِ عليِّ القرشيِّ الدمشقيِّ^(٥)، من بنى عمِّ ابنِ الزكيِّ،
وكان أولَ من درَّسَ بالشاميةِ البرّانيةِ وبالزّواحيةِ أيضًا، ونابَ في الحكمِ عن ابنِ
عمِّه محيي الدينِ بنِ الزكيِّ. وتوفِّيَ في شعبانَ من هذه السنةِ، ودفنَ عند
مسجدِ القدمِ.

أبو سليمانَ داوُدَ بنَ أبي الغنائمِ أحمدَ بنِ يحيى المُلهميِّ^(٦) الصّريِّ
البغداديِّ^(٧)، كان يُنسَبُ إلى علمِ الأوائلِ^(٨)، ولكنه كان يَسْتَسْتَرُّ بمذهبِ
الظاهريةِ؛ ولهذا قال فيه ابنُ الساعي: الداوُدِيُّ مذهبنا، المَعَرِّيُّ أدبنا واعتقادنا،

-
- (١ - ١) في م: « وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمر فإن ».
(٢) بعده في م: « ويشط الجند عن القتال فيولون بسببه الأذبار وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويدبل الدول
كما في الأثر: « وإذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني. وهذا ظاهر لا يخفى على فطن ».
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤ - ٤) في م: « اللخمي ».
(٥) مرآة الزمان ٥٩٤/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣٣٩/٤، والذيل على الروضتين ص ١١٠،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤٢، والدارس في تاريخ المدارس ٢٦٧/١.
(٦) معجم الأدباء ٩٣/١١، ومرآة الزمان ٥٩٣/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣١٠/٤،
والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٣٧،
ومعرفة القراء الكبار ٤٨٤/٢، والوفائي بالوفيات ٤٥٨/١٣.
(٧) ليس هو ذلك العلم الذي يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، والذي هو
من فروع التواريخ والمحاضرات ولكن غالب الظن أنه علم الأوائل الماضين من اليونانيين وغيرهم من الأمم
أصحاب علوم الفلسفة والمنطق والنجوم والموسيقى والحيل والكيمياء وغير ذلك. انظر مفتاح السعادة
لطاش كبرى زاده ٥٦/١.

وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

إِلَى الرَّحْمَنِ أَشْكُو مَا أَلَاقَى غَدَاةً غَدَّوْا عَلَى هُوجِ النَّيَاقِ
سَأَلْتُكُمْ بَمَنْ زَمَّ الْمَطَايَا^(١) أَمْرٌ بِكُمْ أَمْرٌ مِنَ الْفِرَاقِ
وَهَلْ دَائِمٌ^(٢) أَشَدُّ مِنَ الثَّنَائِي وَهَلْ عَيْشٌ أَلَدُّ مِنَ الثَّلَاقِي

قَاضِي قُضَاةِ بَغْدَادَ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
الدَّامَغَانِيِّ الْحَنْفِيُّ^(٣) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَوَلِيَ
الْقَضَاءَ بِبَغْدَادَ مَرَّتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرَةِ ، عَارِفًا
بِالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ .

[٣٤٨/٩ ظ] أَبُو الْيَمَنِ نَجَاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيُّ الشَّرَابِيُّ^(٤) نَجْمُ الدِّينِ^(٥) ،
مَوْلَى الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْخَلِيفَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى سَلْمَانَ دَارِ الْخِلَافَةِ ،
وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَجْدًا عَظِيمًا ، وَكَانَ يَوْمَ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، كَانَ بَيْنَ
يَدَيْ النِّعْشِ مِائَةٌ بَقْرَةٍ وَأَلْفُ شَاةٍ وَأَحْمَالٌ مِنَ التَّمْرِ وَالْخَبِزِ وَالْمَاوِزِدِ ، وَقَدْ صَلَّى
عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ تَحْتَ التَّاجِ ، وَتَصَدَّقَ عَنْهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ عَلَى الْمَشَاهِدِ ،

(١) زَمَّ الْمَطَايَا : خَطَمَ الْإِبِلَ . انظُرِ اللِّسَانَ (ز م م) .

(٢) فِي م : « ذَل » .

(٣) ذَيْلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ (الْمُخْتَصَرُ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ) ٢١٤ / ١٥ ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٣٤٠ / ٤ ، وَالذَيْلُ عَلَى
الرُّوْضَتَيْنِ ص ١١٠ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤١ ، وَالْعَبْرُ ٥٦ / ٥ ،
وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٣٧ / ١٧ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضِيئَةُ ٣٠١ / ٢ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « السَّرَايِ » ، وَفِي م : « السُّودَانِي » ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ ؛ مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٠٠ / ٨
(الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١١٣ ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٣٤٤ / ٤ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٧ .

وَالشَّرَابِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى الشَّرَابِ ، الَّذِي يُصْنَعُ الشَّرَابُ وَيُحْفَظُهُ . انظُرِ الْأَنْسَابَ ٤١١ / ٣ .

(٥) فِي الذَيْلِ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ : « الدُّوَلَةُ » .

ومثلها على الجوارين بالحرمين ، وأعتق مماليكه ، وأوقف عنه خمسمائة مجلد .

أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلي^(١) ، تفقه بالأنظمة ، وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل ، فساد أهل وقته ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً دينا ، رحمه الله .

أبو الطيب رزق الله^(٢) بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان^(٣) بن رزق الله^(٤) بن غانم بن غنم الماحوزي^(٥) ، المحدث الجوال الرخال الثقة الحافظ الأديب الشاعر .

أبو العباس أحمد بن برنقش^(٥) بن عبد الله العمادى ، كان من أمراء سينجار ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكى صاحبها ، وكان أحمد هذا أدبيا^(٦) شاعرا ، ذا مالٍ جزيلٍ وأملاكٍ كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى ، وأودعه سجنًا ، فنسى فيه ، ومات كمدًا ، ومن شعره :

تقول وقد ودغتها ودموغها على نحرها^(٧) من خشية البيّن تلتقى
مضى أكثر العمر الذى كان نافعًا رويدك فاعمل صالحًا فى الذى بقى

(١) الكامل ٣٥٤ / ١٢ ، وذيل تاريخ بغداد ٥٩ / ١٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٩ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٠ ، والوفى بالوفيات ٩٨ / ٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨٠ / ٨ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : تاريخ إربل ٢١٩ / ١ ، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٥٢ .

(٣) فى تاريخ إربل : « سلطان » .

(٤) فى م : « التأخدرى » .

(٥) فى م : « برتكش » .

(٦) فى م : « دينا » .

(٧) فى م : « خدها » .

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة

فيها^(١) أمر الشيخُ مُحَيى الدين بن الجوزيُّ مُحْتَسِبُ بغدادَ بإزالةِ المنكراتِ وكسْرِ المَلاهي ، ففَعِلَ ذلك في مستَهَلِّ هذه السنة ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ظهورُ جِنكِرْخان وجنودِهِ وعبورُهُم نَهْرَ جِيحونَ ، وفيها عَبَرَتِ التَّارُ نَهْرَ جِيحونَ صُحْبَةَ ملكِهِم جِنكِرْخان من بلادِهِم ، وكانوا يَسْكُنونَ جبالَ طمغاجِ من أرضِ الصينِ ، ولَعَنَتُهُم مُخالِفَةُ للغةِ سائِرِ التَّارِ ، وهم من أشجعِهِم وأصبرِهِم على القتالِ ، وسببُ دخولِهِم أن جِنكِرْخان بعثَ نُجَّارًا له ، ومعهم أموالٌ كثيرةٌ إلى بلادِ خُوارِزم شاهَ يَبْضَعونَ له ثيابًا للكُشوةِ ، فكتبَ نائِبُها إلى السلطانِ خُوارِزم شاهَ يَدْكُرُ له ما معهم من كثرةِ الأموالِ ، فأرسلَ إليه بِقَتْلِهِم وبأخذِ ما معهم ، ففَعَلَ ذلك ، فَغَضِبَ عندَ ذلك جِنكِرْخان وأرسلَ يَتَهَدَّدُ خُوارِزم شاهَ ، فأشار^(٢) من أشارَ على خُوارِزم شاهَ بالمسيرِ إليهِم ، فسارَ إليهِم وهم في شُغْلِ بِقتالِ كَشلى خان ، فنَهَبَ خُوارِزم شاهَ أموالَهُم ، وسبى ذَراريَهُم وأطفالَهُم ، فأقبَلوا إليه مَحْرُوبِينَ ، فاقتتلوا معه أربعةَ أيامٍ قتالًا لم يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، أولئك يُقاتِلونَ عن حريمِهِم ، والمسلمونَ عن أنفُسِهِم ، يَعلَمونَ أنهم متى وَلَّوا استأصَلوهم ، فقتلَ من

(١) الكامل ٣٥٤/١٢ - ٣٥٧ ، ومرآة الزمان ٦٠١/٨ - ٦٠٦ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٥ - ٣٣ .
(٢) في م : « ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا ، فلما تهدده أشار » .

الفريقين خلق كثيرًا، حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء، وكان جملة من قُتل من المسلمين نحوًا من عشرين ألفًا، ومن التَّارِ أضعاف ذلك، ثم تَحَاجَزَ الفريقان، وولَّى كلُّ منهما إلى بلاده، ولجأ خُوَارِزْمُ شاه [٣٤٩/٩] وأصحابه إلى بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ، فحَصَّنَهَا وبَالِغٍ فِي كَثْرَةِ مَنْ تَرَكَ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَرَجَعَ خُوَارِزْمُ شاه لِيُجَهِّزَ الْجِيُوشَ الْكَثِيرَةَ، فَقَصَدَتِ التَّارُ بُخَارَى وَبِهَا عَشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَحَاصَرَهَا جِنَكِزْخان ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنْتَهُمْ، وَدَخَلَهَا فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ فِيهِمْ مَكْرًا وَخَدِيعَةً، وَأَمْتَنَّتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ، فَحَاصَرَهَا وَاسْتَعْمَلَ (١) أَهْلَ الْبَلَدِ فِي طَمِّ خَنْدَقِهَا، فَكَانَتِ التَّارُ يَأْتُونَ بِالْمَنَابِرِ وَالرَّبَعَاتِ (٢)، فَيَطْرَحُونَهَا فِي الْخَنْدَقِ يَطْمُونُهُ بِهَا، وَفَتَحَهَا قَسْرًا فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ كُلَّ مَنْ كَانَ بِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَلَدِ فَاصْطَفَى أَمْوَالَ تِجَّارِهَا، وَأَبَاحَهَا لِنَدِيهِ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسْرُوا الذَّرِيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَفَعَلُوا بِهِنَّ (٣) الْفَوَاحِشَ بِخَضْرَى أَهْلِيهِنَّ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَاتَلَ دُونَ حَرِيمِهِ حَتَّى قُتِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُسِرَ فُعْذِبَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَكَثُرَ الْبِكَاءُ وَالضَّجِيحُ بِالْبَلَدِ (٤)، ثُمَّ أَلْقَتِ التَّارُ النَّارَ فِي دُورِ بُخَارَى وَمَدَارِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا، فَاخْتَرَقَتْ حَتَّى صَارَتْ بِلَاقِعِ خَاوِيَّةٍ عَلَى عُرُوشِهَا، ثُمَّ كَرُّوا رَاجِعِينَ عَنْهَا قَاصِدِينَ سَمَرْقَنْدَ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فِيهَا مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ.

وَفِي مُسْتَهَلِّ هَذِهِ السَّنَةِ خُرَّبَ سُورِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - عَمَّرَهُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ -

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَشْغَلَ».

(٢) الرِّبَعَاتُ: جَمْعُ الرِّبْعَةِ، وَهِيَ الْمَصْحَفُ مَجْزَأً ثَلَاثِينَ جِزْءًا. الْوَسِيطُ (ر ب ع).

(٣) فِي م: «مَعَهُنَّ».

(٤) بَعْدَهُ فِي م: «مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ».

(١) أمر بذلك السلطان المعظم خوفاً من استيلاء الفرنج عليه ، بعد مشورة من أشار بذلك ؛ فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه^(١) وسيلةً إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم من المحرم ، فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثقالهم ، وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل : إنه أبيع القنطار من الزيت بعشرة دراهم ، ورطل النحاس بنصف درهم ، وضج الناس وابتهلوا إلى الله عز وجل عند الصخرة وفي الأقصى^(٢) . وقال بعضهم يهجو المعظم في ذلك :

في رجب حُلِّل المحرم^(٣) وأخرب القدس في المحرم
 وفيها استحوذت الفرنج ، لعنهم الله ، على مدينة دمياط ، ودخلوها بالأمان ،
 فغدروا بأهلها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء ، وبعثوا
 بمنبر الجامع والرَّبَعَاتِ ورعوس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وفيها تغيظ السلطان المعظم على القاضي زكي الدين بن محيي الدين بن الزكي قاضي البلد ؛ وسببه أن عمته بنت الشام كانت قد مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة ، فأرسلت إلى القاضي لثوصي إليه ، فذهب إليها

(١ - ١) في الأصل : « وذلك عن أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل بعد مشورة من أشار عليه بذلك منهم أخوه العزيز عثمان بن العادل وأستاذ داره عز الدين أيك أن يخبراه خوفاً من استيلاء الفرنج عليه في غيبته فيتمكنون فيه ويستقرون ويجعلون ذلك » .

(٢) بعده في م : « وهى أيضاً فعلة شعاء من المعظم مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضى » .

(٣) في م ، ومرة الزمان ، والذليل على الروضتين : « الحميا » . والحميا : بلوغ الخمر من شاربها . اللسان (ح م ٥) . والمحرم : كناية عن الخمر .

بشهودٍ معه ، فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم : يذهب إلى عمى بغير
إذنى ، ويسمع هو والشهود كلامها؟! وأتفق أن القاضى طلب من جابى الغزيرية
حسابها ، وضربه بين يديه بالمقارع ، وكان المعظم يغيض هذا القاضى من أيام
أبيه [٣٤٩/٩ ظ] العادل ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضى ببغجة فيها قباء
وكلوة^(١) ؛ القباء أبيض والكلوة صفراء . وقيل : بل كانا حمرأوين مدرتين^(٢) ،
وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهنما ويحكّم بين الخصوم فيهما ، وكان من
'لطف الله'^(٣) أن جاءت الرسالة بهذا وهو فى دهليز داره التى بباب البريد ، وهو
مُتَّصِبٌ للحكم ، فلم يقدِرْ إلا أن لبسهما وحكّم فيهما ، ثم دخل داره ،
واستقبل مرض موته ، فكانت وفاته فى صفر من السنة التى بعدها ، وكان
الشرف بن عنتين الزرعى الشاعر قد أظهر التعبّد والنسك ، ويقال : إنه اعتكف
بالجامع أيضا . فأرسل إليه المعظم بخمر ونزد ليشتغل بهما ، فكتب إليه ابن
عنتين :

يا أيها الملك المعظم سنةً أخذتها تبقى على الآباد
تجرى الملوك على طريقك بعدها خلع القضاة وتحفة الزهاد
وقد كان نواب ابن الزكى أربعة ؛ شمس الدين بن الشيرازى إمام مشهد
على ، كان يحكّم به فى الشباك ، وربما برز إلى طرف الرواق تجاة البلاطة
السوداء ، وشمس الدين بن سنى الدولة ، كان يحكّم فى الشباك الذى فى

(١) الكلوة بتشديد اللام : لفظه فارسية معناها الطاقة الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت
غطاء الرأس فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها
كلايب تعقد تحت الذقن . انظر : النجوم الزاهرة ٣٣٠/٧ حاشية (١) . والسلوك ٤٩٣/١ حاشية (١) .

(٢) فى الأصل : « مدرين » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الإلطف به » .

الكَلَّاسَةِ^(١) نَجْمَةٌ تُزِيَّةُ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ عِنْدَ بَابِ^(٢) الْغَزَالِيَّةِ، وَجَمَالُ^(٣) الدِّينِ الْمِصْرِيُّ وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ، كَانَ يَحْكُمُ فِي الشُّبَّانِكِ الْكَمَالِيِّ بِمَشْهَدِ عَثْمَانَ، وَشَرَفُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيِّ الْحَنْفِيِّ كَانَ يَحْكُمُ بِالْمَدْرَسَةِ الطَّرْخَانِيَّةِ بِجَبْرُونَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

سَيِّدُ الشَّامِ، وَاقِفَةُ الْمَدْرَسَتَيْنِ الْبِرَّانِيَّةِ وَالْجَوَانِيَّةِ، الْخَاتُونُ الْجَلِيلَةُ سَيِّدَةُ الشَّامِ بِنْتُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي^(٤)، أُخْتُ الْمَلُوكِ وَعَمَةٌ^(٥) أَوْلَادِهِمْ، كَانَ لَهَا مِنَ الْمَلُوكِ الْحَارِمِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا، مِنْهُمْ شَقِيقُهَا الْمُعْظَمُ تُورَنْشَاهُ بْنُ أَيُّوبَ صَاحِبُ الْيَمَنِ، وَهُوَ مَدْفُونٌ عِنْدَهَا فِي تَرْبَتِهَا فِي الْقَبْرِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ، وَفِي الْأَوْسَطِ مِنْهَا زَوْجُهَا وَابْنُ عَمِّهَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بْنِ شَاذِي صَاحِبِ جِمَصَ، وَكَانَتْ قَدْ تَزَوَّجَتْهُ بَعْدَ أَبِي ابْنِهَا حُسَامِ الدِّينِ^(٦) مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ بْنِ لَاجِيْنَ، وَهِيَ وَابْنُهَا حُسَامُ الدِّينِ^(٦) مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ فِي الْقَبْرِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ الَّذِي يَلِي مَكَانَ الدَّرْسِ، وَيُقَالُ لِلتُّزِيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ: الْحُسَامِيَّةُ. نَسَبَةٌ إِلَى ابْنِهَا هَذَا حُسَامِ الدِّينِ^(٦) مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ بْنِ لَاجِيْنَ^(٧)، وَكَانَتْ سَيِّدَةُ الشَّامِ مِنْ أَكْثَرِ

(١) الكَلَّاسَةُ : مدرسة جانب الجامع الأموي جهة الشمال بناها نور الدين الشهيد . الدارس ١/٤٤٧ .

(٢) سقط من : م . والغزالية مدرسة تنسب للشيخ نصر المقدسي والشيخ أبي حامد الغزالي . انظر الدارس ١/٤١٣ .

(٣) في م : « كمال » . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٥٧ .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٤/٤٢١ ، و امرأة الزمان ٨/٦٠٦ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص

١١٩ ، ونهاية الأرب ٢٩/٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٧٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١

- ٦٢٠) ص ٢٩٠ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . وتقدمت ترجمته في ١٦/٦٣٩ .

(٧) بعده في م : « وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين » .

النساءِ صَدَقَةً وإِحْسَانًا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِجِ ، وَكَانَتْ تَعْمَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي دَارِهَا بِالْوَيْفِ مِنَ الذَّهَبِ أَشْرِبَةً وَأَدْوِيَةً وَعَقَاقِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَتُفَرِّقُهُ عَلَى النَّاسِ . وَكَانَتْ وَفَاتِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ النَّهَارِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي دَارِهَا الَّتِي جَعَلَتْهَا مَدْرَسَةً ، ^(١) وَهِيَ عِنْدَ الْمَارَشْتَانِ ، وَهِيَ ^(٢) الشَّامِيَّةُ الْجَوَانِيَّةُ ، وَنُقِلَتْ مِنْهَا إِلَى تَرْبِيَّتِهَا بِالشَّامِيَّةِ الْبِرَّانِيَّةِ ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهَا عَظِيمَةً حَافِلَةً ، رَحِمَهَا اللَّهُ .

أَبُو الْبَقَاءِ صَاحِبُ « الْإِعْرَابِ » وَ « اللَّبَابِ » : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الشَّيْخُ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ الضَّرِيرِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ^(٣) ، صَاحِبُ « إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ » وَكِتَابِ « اللَّبَابِ » فِي النَّحْوِ ، وَلَهُ حَوَاشٍ عَلَى « الْمَقَامَاتِ » وَ « مُفَصَّلِ الزَّمْخَشَرِيِّ » وَ « دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ » وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَهُ فِي الْحِسَابِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ صَالِحًا دَيِّنًا ، مَاتَ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ ^(٤) وَالْحِسَابِ وَالنَّحْوِ ^(٥) ، فَقِيَّهُا مُنَاطِرًا عَارِفًا بِالْأَصْلِيِّينَ وَالْفَقِهَ ، وَحَكَى الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ ^(٦) عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي شَرْحِ « الْمَقَامَاتِ » [٣٥٠ / ٩] أَنَّ عَنَقَاءَ مُغْرِبًا ^(٧) كَانَتْ تَأْتِي إِلَى جَبَلِ شَاهِقِي عِنْدَ أَصْحَابِ الرَّسِّ ، فَرَبَّمَا اخْتَطَفَتْ بَعْضَ أَوْلَادِهِمْ ، فَشَكَّوْهَا إِلَى نَبِيِّهِمْ خَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ ، فَدَعَا عَلَيْهَا فَهَلَكَتْ . قَالَ : وَكَانَ وَجْهُهَا كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ، وَفِيهَا شَبَهٌ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ . وَذَكَرَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي كِتَابِ « رِبْعِ الْأَبْرَارِ » ^(٨)

(١ - ١) سقط من: الأصل . وانظر الدارس ٣٠١ / ١ .

(٢) إنباه الرواة ١١٦ / ٢ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٧٨ / ٤ ، والذيل على الروضتين ص ١١٩ ، ووفيات الأعيان ١٠٠ / ٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٠ / ٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٩ / ٢ .

(٣ - ٣) سقط من: م .

(٤) وفيات الأعيان ١٠١ / ٣ .

(٥) سميت مغربا ، لإبعادها بما تذهب به . المصدر السابق .

(٦) انظر المصدر السابق ١٠٢ / ٣ .

أنها كانت في زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان، وفيها شبه كثير من سائر الحيوانات، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسي الذي كان في الفترة، فدعا عليها فهلكت. وذكر ابن خلكان^(١) أن المعز الفاطمي جىء إليه بطائر غريب الشكل جدًا من الصعيد يقال له: عَنقَاء مُعْرَبٌ.

قلت: وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة، وكان صالحًا، ولم يكن نبيًا، لقول رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي» . وقد تقدّم ذلك^(٢).

الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي^(٣)، سمع الكثير، ورحل فمات ببغداد في هذه السنة، ومن لطيف شعره قوله في الميزوحة^(٤):

وَمِزْوَحَةٌ تُرْوَحُ كُلُّ هَمٍّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لِأَبَدٍ مِنْهَا
حَزِيرَانٌ وَتَمُورٌ وَأَبٌ وَفِي أَيْلُولٍ يُغْنِي اللَّهُ عَنْهَا
ابْنُ الدَّوَامِيِّ الشَّاعِرُ^(٥)، وقد أورد ابن الساعي قطعةً صالحةً من شعره.

(١) وفيات الأعيان ٣/١٠١.

(٢) تقدم تخريجه في ٢/٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) الكامل ١٢/٣٥٧، وتاريخ إربل ١/٢٣٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٣٨٤، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٠٧، والوفاء بالوفيات ٢١/٣٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٢٩٦.

(٤) البيتان في تاريخ إربل.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/٣٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٨٦،

والوفاء بالوفيات ١٢/٢٩٠.

وسعيد^(١) بن الرزاز^(٢)، وكان أحد المعدلين ببغداد، وسمع « البخاري » من أبي الوقت .

وأبو سعيد محمد بن محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الموزني الأصل الهمداني المؤيد البغدادي المنشأ والوفاء، كان حسن الشكل، كامل الأوصاف، له خط حسن، ويعرف فنوناً كثيرة من العلوم، شافعي المذهب، ويتكلم في مسائل الخلاف، حسن الأخلاق، ومن شعره قوله :

أرى قسماً الأرزاق أعجب قسمة لذي دعة^(٤) مثير ومكيد به الكد
وأحمق ذو مال وأحمق مُعَدَم وعقل بلا حظ وعقل له جد
يغم الغنى والفقير ذا الجهل والحجبا ولله من قبل الأمور ومن بعد

أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المقرج^(٥) بن دزع بن الخضير الشافعي، الشيخ تاج الدين التكريتي، قاضيهما، ثم درس بنظامية بغداد، وكان متقناً لعلوم كثيرة؛ منها التفسير والفقهاء والأدب والنحو واللغة، وله المصنفات في ذلك كله،

(١) في النسخ: « أبو سعيد ». والمثبت من مصادر ترجمته؛ التكملة لوفيات النقلة ٣٦٩/٤، وذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٢، والعبر ٥/٦١.

(٢) في م: « الوزان ». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٤/٤٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٠، والوافي بالوفيات ١/٢١٢. وفيه وفي الذيل على الروضتين: محمد بن محمد...».

(٤ - ٤) في م: « ومكيدة لذي كد ». ويقال: أكدى الرجل: ألح في المسألة.

(٥) في النسخ: « الفرغ ». والمثبت من مصادر ترجمته؛ معجم الأدباء ٢٩/٢٠ - وفيه: « وَزَع » - ومرة الزمان ٨/٦٠٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٤١٠، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٥٦، وطبقات المفسرين للدوادري ٢/٣٧٣.

وجَمَعَ لِنَفْسِهِ تَارِيحًا حَسَنًا ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ ^(١) :

لَا بَدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَيْقٍ وَمِنْ سَعَةٍ وَمِنْ سُورٍ يُؤَافِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
وَاللَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شُكْرَ نِعْمَتِهِ مَا دَامَ فِيهَا وَيَتَغَيَّبُ الصَّبْرَ فِي الْحَجَنِ
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَالَيْنِ مُعْتَنِقًا فَرَضِيكَ هَذِينَ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنِ
فَمَا عَلَى شِدَّةٍ يَبْقَى الزَّمَانُ ^(٢) فَكُنْ جَلْدًا وَلَا ^(٣) نِعْمَةً تَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لَوْ كَانَ قَاضِيَ الْهَوَى عَلَيَّ وَلِي مَا جَارَ فِي الْحَكْمِ مَنَ عَلَيَّ وَلِي
يَا يَوْسُفِيُّ الْجَمَالِ عَبْدُكَ ^(٤) لَمْ تَبْنُقْ لَهُ حِيلَةً مِّنَ الْحَيْلِ
إِنْ كَانَ قَدَّ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرٍ فَفِيكَ قَدَّ الْفَرَاؤُ مِنْ قُبُلِ
صَاحِبُ « الْجَوَاهِرِ » الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ جَلَالُ ^(٥) الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ نَجْمِ بْنِ شَاسِ بْنِ نِزَارِ بْنِ عَشَائِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاسِ
الْجُدَامِيِّ السَّعْدِيِّ ، الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، مُصَنِّفُ كِتَابِ « الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ فِي مَذْهَبِ
عَالِمِ الْمَدِينَةِ » ، وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الْكُتُبِ فَوَائِدُ فِي الْفُرُوعِ ، رَبَّنُهُ عَلَى طَرِيقَةِ « الْوَجِيزِ »
لِلْغَزَّالِيِّ . قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ ^(٦) : وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ وَقُضْلِهِ ، وَالطَّائِفَةُ الْمَالِكِيَّةُ
بِمَصْرَ عَاكِفَةٌ عَلَيْهِ لِحَسَنِهِ وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ ، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِمَصْرَ ، وَتَوَفَّى بِدِمْيَاطَ .

(١) الأبيات في طبقات الشافعية .

(٢ - ٢) في الأصل ، م : « يكن ولا على » .

(٣) في م : « عندك » .

(٤) في م : « جمال » . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ٤ / ٣٩٤ ، والذيل على الروضتين ص ١٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٦١ ، ونهاية الأرب ٢٩ / ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٩٨ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٦ ، وشجرة النور الزكية ص ١٦٥ .

(٥) وفيات الأعيان ٣ / ٦١ .

[١٠/١] (*) ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة

في هذه السنة^(١) عمَّ البلاء، وعظم الغزاء بجنكيزخان المسمى بتموجين^(٢)، لعنه الله تعالى، وبمن معه من التتار، قُبِحهم الله أجمعين، واستفحل أمرهم، وامتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا إلى بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها، فملكوا في سنة واحدة، وهى هذه السنة، سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر، وقهروا جميع الطوائف التى بتلك النواحي؛ الخوارزمية والقفجاق والكوج واللان والخزر وغيرهم، وقتلوا فى هذه السنة من المسلمين وغيرهم فى بلدان متعددة كبار وصغار ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وبالجملة فلم يَدْخُلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال، وكثيراً من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، وبالحرىق إن لم يَحْتَاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يَجْمَعون الحرير الكثير الذى يَعْجِزون عن حملة، فيطلقون فيه النار فيحرقون وهم يَنْظُرُونَ إليه، ويُحَرِّبون المنازل، وما عجزوا عن تَحْرِيبِهِ أحرقوه، وأكثر ما يُحَرِّقون المساجد والجوامع، لعنهم الله تعالى، وكانوا يَأْخُذون الأسارى من المسلمين، فيقاتلون بهم، ويحاصرون بهم، وإن لم يَنْصَحوا فى القتال قتلوهم.

(*) من هنا بداية الجزء العاشر من مخطوطة المكتبة الأحمدية والمشار إليها بـ (الأصل)، والجزء التاسع لم ينته وسينتهى فى صفحة ١١١ وقد اعتمدنا فى الفروق على الجزء العاشر.

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ - ٤٠٠، ومرآة الزمان ٦٠٨/٨ - ٦١١ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٢١ - ١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٤ - ٥٢.

(٢) فى الأصل: «تمرجى».

وقد بسط ابن الأثير في «كامله»^(١) خبرهم في هذه السنة بَسْطًا حَسَنًا مُفَصَّلًا، وقَدَّمَ على ذلك كلامًا هائلًا في تعظيم هذا الخطبِ العجيبِ، قال: فنقول: هذا فصلٌ يَضْمَنُ ذِكْرَ الحادثةِ العُظْمَى والمُصيبةِ الكبرى التي عَقِمَت الأيَّامَ والليالي عن مثلها، عَمَّت الخلائقَ، وخصَّت المسلمين، فلو قال قائلٌ: إن العالمَ منذ خلقَ اللهُ آدمَ وإلى الآنَ، لم يُتَلَوْا بمثلها. لكان صادقًا؛ فإن التَّوَارِيخَ لم تَضْمَنْ ما يُقَارِبُها ولا ما يُدَانِيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادثِ ما فعل بُحْتَنُصْرَ بنى إسرائيلَ من القتلِ وتَخريبِ البيتِ المقدَّسِ، وما البيتُ المقدَّسُ بالنسبةِ إلى ما خرَّب هؤلاءِ الملائعُ من البلادِ، التي كلُّ مدينةٍ منها أضعافُ البيتِ المقدَّسِ؟! وما بنو إسرائيلَ بالنسبةِ إلى من قتلوا؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدةٍ ممن قتلوا أكثرَ من بنى إسرائيلَ، ولعل الخلقَ لا يَزُونَ مثلَ هذه الحادثةِ إلى أن يَنْقَرِضَ العالمُ وتَفْتَى الدنيا إلا بأجوجَ ومأجوجَ، وأما الدَّجَالُ فإنه يُتَّقَى على من أتبعه ويُهْلِكُ مَنْ خالفه، وهؤلاءِ لم يُثَقُوا على أحدٍ، بل قتلوا الرجالَ والنساءَ والأطفالَ، وشقُّوا بطنَ الحواملِ، وقتلوا الأجنَّةَ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، لهذه الحادثةِ التي استطار شرُّها وعمَّ ضرُّها، وسارت في البلادِ كالسَّحابِ استَدْبِرْتَه الرِّيحُ، فإن قومًا خرَّجوا من أطرافِ الصينِ، فقصدوا بلادَ تُرْكِسْتانَ مثلَ كاشغَرَ وبَلَّسَاغُونَ^(٢)، ثم منها إلى بلادٍ ما وراءَ النهرِ مثلَ سَمَرْقَنْدَ وبُخَارَى وغيرهما، فيمليكونها [١٠/٢٠] ويفعلون بأهلها ما نذَّكره، ثم تعبَّروا طائفةً منهم إلى خُرَّاسَانَ، فيفِرُّون منها مُلْكًا وتَخريبًا وقتلًا ونهبًا، ثم يُجاوِزونها إلى الرُّمِّ وهَمَذَانَ وبلدِ الجبلِ وما فيه من البلادِ إلى

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ - ٣٩٨.

(٢) في الأصل: «بلاد ساعون».

حَدَّ الْعِرَاقِ، ثُمَّ يَقْصِدُونَ بِلَادَ أَدْرَبِيحَانَ وَأَرْزَانَ^(١)، وَيُحَرِّبُونَهَا وَيَقْتُلُونَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الشَّرِيدُ النَّادِرُ فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ، هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى دَرْبَنْدِ شَرْوَانَ، فَمَلَكُوا مَدَنَهُ،^(٢) وَلَمْ يَسْلَمْ غَيْرُ قَلْعَتِهِ الَّتِي بَهَا مَلِكُهُمْ، وَعَبَرُوا عِنْدَهَا^(٣) إِلَى بَلَدِ اللَّانِ وَاللُّكْزِ^(٤)، وَمَنْ فِي ذَلِكَ الصُّقْعِ مِنَ الْأُمَمِ الْمُخْتَلَفَةِ^(٥)، فَأَوْسَعُوهُمْ قَتْلًا وَنَهَبًا وَتَحْرِيبًا، ثُمَّ قَصَدُوا بِلَادَ قَفْجَاقٍ، وَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ التُّرْكِ عَدَدًا، فَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ وَقَفَ لَهُمْ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى الْغِيَاضِ، وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ. وَسَارَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى غَزَنَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمَا يُجَاوِزُهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَسِجِسْتَانَ وَكَزْمَانَ، فَفَعَلُوا فِيهَا مِثْلَ أَفْعَالِ هَؤُلَاءِ وَأَشَدَّ.

هَذَا مَا لَمْ يَطْرُقِ الْأَشْمَاعُ مِثْلَهُ، فَإِنَّ الْإِسْكَانْدَرَ الَّذِي اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّهُ مَلَكَ الدُّنْيَا، لَمْ يَمْلِكْهَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، إِنَّمَا مَلَكَهَا فِي نَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا، بَلِ رَضِيَ مِنَ النَّاسِ بِالطَّاعَةِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ مَلَكُوا أَكْثَرَ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ وَأَطْيَبَتِهِ وَأَحْسَنَتِهِ عِمَارَةً وَأَكْثَرَهُ أَهْلًا، وَأَعَدَلَهُمْ أَخْلَاقًا وَسِيرَةً فِي^(٦) نَحْوِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ يَطْرُقُوهَا بَقَاءً إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ^(٧) وَصَوْلَهُمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَجِدُونَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا، وَيَأْكُلُونَ مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَيْتَاتِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ: وَإِنَّمَا اسْتَقَامَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ لِعَدَمِ الْمَانِعِ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ خُوَارِزْمِ شَاهَ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ قَتَلَ الْمَلُوكَ مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ، وَاسْتَقَلَّ بِالْأُمُورِ، فَلَمَّا انْتَهَزَ مِنْهُمْ

(١) فِي م، وَالْكَامِلُ: «أَرْزَانِيَّة». وَانظُرْ مَعْجَمَ الْبِلْدَانِ ١/١٨٣.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «ثُمَّ».

(٣) فِي الْأَصْلِ: «الْبَلْعَر». وَاللُّكْزُ: بَلِيدَةٌ خَلْفَ الدَّرْبَنْدِ تَتَاخَمُ خَزْرَانَ. مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤/٣٦٤.

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «الْأَلْسِنُ وَالْأَلْوَانُ».

(٥) (٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

فى العامِ الماضى ، وضعف عنهم ، وساقوا وراءه فهرب ، فلا يُدرى أين ذهب ، وهلك فى بعض جزائر البحر ، حلت البلاد ، ولم يبق لها من يحميها ، ليقتضى الله أمرا كان مفعولا ، وإلى الله ترجع الأمور .

ثم شرع فى تفصيل ما ذكره مجملا ، فذكر أولا ما قدّمنا ذكره فى العام الماضى من بعث جنكيزخان أولئك التجار بمال له يأتونه بثمانه كسوة ولباسا ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال ، فحقيق عليه جنكيزخان ، وأرسل يتهدده ، فسار إليه خوارزم شاه بنفسه ومجنوده ، فوجد التتار مشغولين بقتال كاشلى خان ، فهب أثقالهم ونساءهم وأطفالهم ، فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم ، وازدادوا حنقا وغيظا ، فتوافقوا هم وإياه مع ابن جنكيزخان ثلاثة أيام ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، ثم تحاجزوا ، ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده ، فحصنها ثم كرّ راجعا إلى مقرّ ملكه وهى مدينة خوارزم ، فأقبل جنكيزخان ، فحصر بخارى كما ذكرنا ، فافتتحها صلحا ، وغدر بأهلها حين افتتح قلعتها قهرا ، وقتل الجميع ، وأخذ الأموال ، وسبى النساء والأطفال ، وخرّب الدور والحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يُغن عنهم شيئا ، ثم سار منها إلى سمرقند ، فحاصرها فى أول محرّم هذه السنة ، وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكّلوا ، وبرز إليهم سبعون ألفا من العائمة ، فقتل الجميع فى ساعة واحدة ، وألقى إليه الخمسون ألفا السّلم ، فسلبهم سلاحهم ، وما يمتنعون به ، وقتلهم فى ذلك اليوم ، واشتباح البلد ، فقتل الجميع ، وأخذ الأموال ، وسبى الذرية ، وحرّقه وتركه بلاقع ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، [٢٧/١٠] وأقام ، لعنه الله ، هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان ، فأرسل سرية إلى بلاد خراسان ، وتسميها التتار المغربة ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفا ، قال : اطلبوه فأذركوه ولو تعلّق بالسماء .

فساقوا في طلبه، فأذركوه وبينهم وبينه نهرٌ جَيحونٌ، وهو آمنٌ بسببه، فلم يجدوا سفنًا، فعملوا لهم أخواضًا يَحْمِلُونَ عليها الأسلحةَ، ويُزِيلُ أحدهم فرسه، ويأخذُ بذنبيها، فتَجْرُهُ الفرسُ بالماءِ، وهو يَجْرُ الحوضَ الذي فيه سلاحه، حتى صاروا كلُّهم في الجانبِ الآخرِ، فلم يَشْعُرْ بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه، فهرب منهم إلى نيسابور، ثم منها إلى غيرها، وهم في أثره لا يُمهلونه حتى يَجْمَعُ لهم، فصار كلما أتى بلدًا لِيَجْتَمِعَ فيه عساكره يُدْرِكونه، فيهربُ منهم، حتى ركب في بحرِ طَبْرِستانَ، وسار إلى قلعةٍ في جزيرةٍ فيه، وكانت فيها وفاته، وقيل: إنه لا يُعْرَفُ بعدَ رُكوبه في البحر ما كان من أمره، بل ذهب فلا يُدْرَى أين ذهب ولا كيف سلك، ولا إلى أيِّ مَقَرٍّ هرب. ومَلَكَ السُّرَّ حواصله، فوجدوا في خزانته عشرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وألفَ جَمَلٍ مِنَ الأَطْلَسِ^(١)، وعشرين ألفَ فرسٍ وبُغْلِ، ومن الغلمانِ والجواري والحيام شيئًا كثيرًا، وكان له عشرةُ آلافِ مملوكٍ، كلُّ واحدٍ مثلُ مَلِكٍ، فتمزَّق ذلك كله في أقلِّ من سنةٍ، وقد كان خوارزم شاه فقيهاً حنفيًا فاضلاً، له مُشَارَكَاتٌ في فنونٍ من العلمِ، يَفْهَمُ جيدًا، وقد ملكَ بلادًا مُتَّسِعةً وممالكَ مُتَّعددةً إحدى وعشرين سنةً وشهورًا، ولم يَكُنْ بعدَ مملوكِ بنى سَلْجُوقَ أكبرِ حُرْمَةٍ ولا أعظَمَ مُلْكًا منه؛ لأنه إنما كانت هِمَّتُه في الملكِ لا في اللذاتِ والشَّهواتِ، ولهذا قَهَرَ المُلُوكَ بتلك الأراضي، وأحلَّ بالخِطَا^(٢) بأسًا شديدًا، حتى لم يَبْقَ ببلادِ خُراسانَ وما وراءَ النهرِ وكذلك عراقِ العَجَمِ وغيرها من الممالكِ سلطانًا سواه، وجميعُ البلادِ تحتَ يَدِ نُوابِه. ثم ساروا إلى مازندرانَ، وقلاعها من أَمْنَعِ القِلاعِ، بحيث إن المسلمين لم

(١) الأطلس: ثوب من حرير منسوج، ليس بعربي. تاج العروس (ط ل س).

(٢) الخِطَا: جنس من الترك، بلادهم في متاخمة بلاد الصين. صبح الأعشى ٤/٤٨٣.

يَفْتِيحُوهَا إِلَّا فِي سَنَةِ تِسْعِينَ فِي أَيَّامِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفَتَحَهَا هَؤُلَاءِ فِي أَيَسْرِ
مَدَّةٍ ، وَنَهَبُوا مَا فِيهَا ، وَقَتَلُوا أَهْلَيْهَا ، وَسَبَّوْا وَأَحْرَقُوا ، ثُمَّ تَرَخَلُوا عَنْهَا نَحْوَ الرَّيِّ ،
فَوَجَدُوا فِي الطَّرِيقِ أُمَّ حُورَزْمِ شَاهٍ ، وَمَعَهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا ، فَأَخَذُوهَا وَفِيهَا مِنْ
كُلِّ غَرِيبٍ وَنَفِيسٍ مِمَّا لَمْ يُشَاهَدْ مِثْلُهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ قَصَدُوا الرَّيَّ فَدَخَلُوهَا
عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوهُمْ وَنَهَبُوهُمْ وَسَبَّوهُمْ وَأَسْرَوْهُمْ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى
هَمْدَانَ ، فَمَلَكُوهَا ثُمَّ إِلَى زَنْجَانَ ^(١) ، فَقَتَلُوا وَسَبَّوْا ، ثُمَّ قَصَدُوا قَرْوِينَ فَنَهَبُوهَا ،
وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا بِلَادَ أَدْرَبِيجَانَ ، فَصَالَحَهُمْ مَلِكُهَا
أَوْزُبَكُ بْنُ الْبَهْلَوَانَ عَلَى مَالٍ حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ لِشُغْلِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الشُّكْرِ وَازْتِكَابِ
السَّيِّئَاتِ وَالْإِنْهَمَاكِ عَلَى الشَّهَوَاتِ ، فَتَرَكَوهُ وَسَارُوا إِلَى مُوقَانَ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمُ الْكُرُجُ
فِي عَشْرَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، فَلَمْ يَقِفُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى انْتَهَزَمَتِ الْكُرُجُ ،
^(٣) وَقَتَلَتِ التَّارُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ قَصَدُوا تَقْلَيْسَ وَهِيَ أَكْبَرُ مَدِينِ الْكُرُجِ
وَأَجْتَمَعَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْكُرُجُ ^(٤) [٣/١٠] فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ ،
فَكَسَرَتَهُمُ التَّارُ مَرَّةً ثَانِيَةً أَقْبَحَ كَسْرَةً وَأَشْنَعَهَا . وَهَلْهَنَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ ^(٥) : وَلَقَدْ
جَرَى لَهُؤُلَاءِ الشَّرُّ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ ؛ طَائِفَةٌ تَخْرُجُ مِنْ
حُدُودِ الصِّينِ لَا تَنْقُضِي عَلَيْهِمْ سَنَةً حَتَّى يَصِلَ بَعْضُهُمْ إِلَى حُدُودِ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ مِنْ
هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَيُجَاوِزُونَ الْعِرَاقَ مِنْ نَاحِيَةِ هَمْدَانَ ، وَتَالَلَّهِ لَا أَشْكُ أَنْ مَنْ يَجِيءُ
بَعْدَنَا إِذَا بَعُدَ الْعَهْدُ ، وَيَرَى هَذِهِ الْحَادِثَةَ مَسْطُورَةً يُنْكِرُهَا وَيَسْتَبْعِدُهَا ، وَالْحَقُّ بِيَدِهِ ،
فَمَتَى اسْتَبْعَدَ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ أَنَا سَطْرُنَا ^(٥) نَحْنُ وَكُلُّ مَنْ جَمَعَ التَّارِيخَ فِي أَرْمَانِنَا هَذِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَرغان » وَانظُرِ الْكَامِلُ ٣٧٤ / ١٢ .

(٢) مُوقَانَ : وَلايَةِ بَأْدْرَبِيجَانَ فِيهَا قَرْيٌ وَمَرُوجٌ كَثِيرَةٌ . انظُرِ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٦٨٦ / ٤ .

(٣) (٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) الْكَامِلُ ٣٧٥ / ١٢ .

(٥) (٥ - ٥) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ .

فى وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة ، قد استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ، يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم ، فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم ، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ، وقد عُدِم سلطان المسلمين خوارزم شاه .

قال ^(١) : وانقضت هذه السنة وهم فى بلاد الكرج ، فلما رأوا منهم ثماعة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم ، وكذلك كانت عادتهم ، فساروا إلى تيريز ، فصالحهم أهلها بمال . قال : ثم ساروا إلى مراغة ، فحصروها ونصبوا عليها المجانيق ، وتترسوا بالأسارى من المسلمين ، وعلى البلد امرأة - و« لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ^(٢) - ففتحوا البلد بعد أيام ، وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، وغنموا منه شيئا كثيرا ، وسبوا وأسروا على عادتهم ، لعنهم الله لعنة تدخل معهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلدة وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ، ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده . ودخلت امرأة منهم فى زى رجل إلى بيت فقتلت كل من فى ذلك البيت وحدها ، ثم استشعر أسير معها أنها امرأة ، فقتلها ، لعنها الله .

ثم قصدوا مدينة إزبل ، فضاقت المسلمون لذلك دزعا ، وقال أهل تلك النواحي : هذا أمر عصبى . وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول : إنى قد جهزت عسكرا ، فكونوا معه لقتال هؤلاء الشر .

(١) الكامل ٣٧٧/١٢ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٣١/٢ . وبمعناه فى ٤٨٨/٦ .

فَأَرْسَلَ الْأَشْرَفُ يَعْتَذِرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ مُتَوَجِّهُ نَحْوَ أَخِيهِ الْكَامِلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِسَبَبِ مَا قَدْ دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ مِنَ الْفِرْنَجِ، وَأَخَذَهُمْ دِمْيَاطُ التِّي قَدْ أَشْرَفُوا بِأَخْذِهَا عَلَى أَخْذِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاطِبَةً، وَكَانَ أَخُوهُ الْمُعْظَمُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ إِلَى حَرَآنَ يَسْتَنْجِدُهُ لِأَخِيهِمَا الْكَامِلِ لِيَتَحَاجَزُوا الْفِرْنَجَ بِدِمْيَاطَ، وَهُوَ عَلَى أَهْبَةِ الْمَسِيرِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ إِزْبِيلَ لِيَكُونَ هُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى الْعَسَاكِرِ الَّتِي يَبْعَثُهَا الْخَلِيفَةُ، وَهِيَ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ غَيْرُ ثَمَانِمِائَةٍ فَارِسٍ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَكِنْ سَلَّمَ اللَّهُ بِأَن صَرَفَ هِمَّةَ النَّارِ إِلَى نَاحِيَةِ هَمْدَانَ، فَصَالِحَهُمْ أَهْلُهَا، وَتَرَكَ النَّتْرَ عِنْدَهُمْ شِخْنَةً^(١)، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى شِخْنَتِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ، فَحَاصَرُوهُمْ [٣/١٠] حَتَّى فَتَحُوا قَسْرًا، وَقَتَلُوا أَهْلَهَا عَنْ آخِرِهِمْ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَدْرَبِيجَانَ، فَفَتَحُوا أَرْدَبِيلَ، ثُمَّ تَبْرِيزَ، ثُمَّ إِلَى بَيْلِقَانَ^(٢)، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا، وَحَرَّقُوهَا، وَكَانُوا يَفْجُرُونَ بِالنِّسَاءِ، ثُمَّ يَقْتُلُونَهُنَّ وَيَشْقُونَهُنَّ بِطُونَهُنَّ عَنِ الْأَجِنَّةِ. ثُمَّ عَادُوا إِلَى بِلَادِ الْكُرْجِ^(٣)، وَقَدْ اسْتَعَدَّتْ لَهُمُ الْكُرْجُ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ، فَكَسَرُوهُمْ أَيْضًا كَسْرَةً فَظِيْعَةً، ثُمَّ فَتَحُوا بُلْدَانًا كَثِيرَةً يَقْتُلُونَ أَهْلَهَا، وَيَسْبُونَ نِسَاءَهَا، وَيَأْسِرُونَ مِنَ الرِّجَالِ مَا يُقَاتِلُونَ بِهِمُ الْحُصُونِ، يَجْعَلُونَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تُرْسًا يَتَّقُونَ بِهِمُ الرَّمْيَ وَغَيْرَهُ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بِلَادِ اللَّانِ وَالْقَفْجَاقِ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا، فَكَسَرُوهُمْ وَقَصَدُوا

(١) الشحنة: رئيس الشرطة. المعجم الذهبي ص ٣٦٩. وشحنة الكورة: من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان. اللسان (ش ح ن).
(٢) بيلقان: مدينة قرب الدرند الذي يقال له باب الأبواب، تعد في أرمينية الكبرى. معجم البلدان ١/٧٩٧.
(٣) الكامل ١٢/٣٨٣.

أكبر مدائن القفجاق، وهي مدينة سوداق^(١)، وفيها من الأمتعة والثياب والتجائر من البرطاسي والقندز والسنجاب^(٢) شىء كثير جدًا، ولجأت القفجاق إلى بلاد الروس، وكانوا نصارى، فاتفقوا معهم على قتال التتر، فالتقوا معهم، فكسرتهم التتار كسرة فظيمة منكرة جدًا، ثم ساروا نحو بلغار^(٣) في حدود العشرين وستمائة، وفرغوا من ذلك كله، ثم عادوا إلى نحو ملكهم جنكيزخان، لعنه الله وإياهم. هذا ما فعلته هذه السرية المعربة، وكان جنكيزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى^(٤) «تيمذ فأخذتها»، وأخرى إلى فرغانة فملكوها، وجهز جيشًا آخر نحو خراسان، فحاصروا بلخ، فصالحهم أهلها، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى، حتى انتهوا إلى الطالقان، فأعجزتهم قلعها، وكانت حصينة، فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا، فكتبوا إلى جنكيزخان، فقدم بنفسه، فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهرًا، ثم قتلوا من فيها ومن في البلد بكما له من الخاصة والعامية، ثم قصدوا مدينة مزو مع جنكيزخان، وقد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم، فافتتلوا معهم قتالًا عظيمًا حتى انكسر المسلمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم حصروا البلد خمسة أيام، واستنزلوا نائبها خديعة، ثم غدروا به وبأهل البلد، فقتلوهم وغنموهم

(١) في الأصل: «قفجاق». وسوداق على بحر الخزر، وهو بحر قزوين. انظر الكامل ٣٨٦/١٢.
(٢) البرطاسي والقندز والسنجاب: أنواع من الفراء، الأول ينسب إلى برطاس وهي اسم أمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم، وهم متاخمون للخزر.

والقندز - والقدس - والسنجاب حيوانات يتخذ من جلدتهما الفراء. انظر معجم البلدان ٥٦٧/١،
وحياة الحيوان الكبيرى ٥٧٥/١، ٢٣١/٢.

(٣) في م «بلقار». وبلغار: مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد. معجم البلدان ٧٢٢/١.
(٤) في م: «كلانة». وكلاهما صواب؛ لأنه أرسل سرايا؛ إحداها إلى بلاد فرغانة وأخرى إلى تيمذ، والثالثة إلى كلانة. انظر الكامل ٣٨٩/١٢.

وسبّوهم ، وعاقبوهم بأنواع العذاب^(١) ، حتى إنهم قتلوا منهم فى يومٍ واحدٍ سبعمائة ألفٍ إنسانٍ ، ثم ساروا إلى نيسابورَ ، ففعلوا فيها قريبًا مما فعلوا بأهلِ مَرَوَ ، ثم إلى طوسَ ، فقتلوا وخرّبوا مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى وَالرَشِيدِ وَتَرَكَوهُ خَرَابًا ،^(٢) ثم ساروا إلى هَرَاةَ فقتلوا خلقًا واستنابوا عليها^(٣) ، ثم ساروا إلى غَزَنَةَ ، فقاتلهم جلالُ الدينِ بنُ خُوَارِزْمِ شاهَ فكسرهم ،^(٤) فعادوا إلى هَرَاةَ ، فإذا أهلها قد نَقَضُوا ، فقتلواهم عن آخرهم^(٥) ، ثم عادوا إلى ملكهم جَنْكِيْزْخانَ ، لعنه اللهُ وإياهم ، وأرسلَ جَنْكِيْزْخانَ طائفةً أخرى إلى مدينةِ خُوَارِزْمِ ، فحاصروها حتى فتحوا البلدَ قهْرًا ، فقتلوا مَنْ فيها قتلاً ذريعًا ، ونهبوها وسبّوا أهلها ، وأرسلوا الجِيشَ الذى يَمْتَنِعُ ماءَ جَيْحُونَ عنها ، فغرقت دُورُها ، وهلكَ جميعُ أهلها . ثم عادوا إلى ملكهم جَنْكِيْزْخانَ وهو مُخَيِّمٌ على الطالِقانِ ، [١٠ / ٤١] فجهّزَ منهم طائفةً إلى غَزَنَةَ ، فاقتتلَ معهم جلالُ الدينِ بنُ خُوَارِزْمِ شاهَ ، فكسرهم جلالُ الدينِ كسرةً عظيمةً ، واستنقذَ منهم خلقًا من أسارى المسلمين ، ثم كتبَ إلى جَنْكِيْزْخانَ يَطْلُبُ منه أن يَبْرُزَ بنفسِه لقتالِه ، فقصدَه جَنْكِيْزْخانَ فتواجهها ، وقد تفرَّقَ على جلالِ الدينِ بعضُ جيشِه ، ولم يَبْقَ بُدٌّ مِنَ الْقِتالِ ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ لم يُعْهَدْ مثلُها قبلُها من قتالِهِم ، ثم ضعُفَ أصحابُ السلطانِ جلالِ الدينِ بنِ خُوَارِزْمِ شاهَ ، فذهبوا فركبوا فى بحرِ الهندِ ، فسارتِ التُّنارُ إلى غَزَنَةَ ، فأخذوها بلا كُلفِةٍ ولا مُمانعةٍ ، كلُّ هذا أو أكثرُه وقعَ فى هذه السنةِ .

وفى هذه السنةِ أيضًا تركَ الأشرفُ موسى بنُ العادلِ لأخيه شِهَابِ الدينِ

(١) فى الأصل : « الثلاث » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

غازى مُلْكَ خِلاطٍ وَمِيَّافَارِقِينَ وَبِلَادَ أَرْمِينَةَ^(١) وَحَانِي^(٢)، وَاعْتَاضَ بِالرَّهْمَا
وَسَرُوجَ، وَذَلِكَ لِاسْتِغَالِهِ عَنِ حِفْظِ تِلْكَ التَّوَاحِي بِمُسَاعَدَةِ أَخِيهِ الْكَامِلِ وَتَضَرُّرِهِ
عَلَى الْفَرِيخِ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ.

وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا^(٢) هَبَّتْ رِيَاخُ بَيْغَدَادَ، وَجَاءَتْ بُرُوقٌ، وَسَمِعَتْ رُعودًا
شَدِيدَةً، وَسَقَطَتْ صَاعِقَةٌ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ عَلَى الْمَنَارَةِ الْمُجَاوِرَةِ^(٣) لِعَرْوِ مَعِينٍ^(٣)
فَتَلَمَّتْهَا، ثُمَّ أَضْلَحَتْ، وَغَارَتِ الصَّاعِقَةُ فِي الْأَرْضِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نُصِبَ مِخْرَابُ الْخَنَابِلَةِ بِالرُّوَقِ الثَّلَاثِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَامِعِ
دِمَشْقَ بَعْدَ مَمَاعِيَةٍ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ لَهُمْ، وَلَكِنْ سَاعَدَهُمْ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ فِي نَصْبِهِ
لَهُمْ، وَهُوَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ الْمُعْظَمِيُّ، وَصَلَّى فِيهِ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بِنُ قُدَامَةَ.

قُلْتُ: ثُمَّ رُفِعَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَعُوَّضُوا عَنْهُ بِالْمِخْرَابِ الْغَرْبِيِّ
عِنْدَ بَابِ الزِّيَارَةِ، كَمَا عُوَّضَ الْخَنْفِيَّةَ عَنِ مِخْرَابِهِمْ الَّذِي كَانَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ
مِنَ الْجَامِعِ بِالْمِخْرَابِ الْمُجَدِّدِ لَهُمْ شَرْقِيَّ بَابِ الزِّيَارَةِ، حِينَ جُدِّدَ الْحَائِطُ الَّذِي هُوَ
فِيهِ فِي الْأَيَّامِ التَّنْكَرِيَّةِ، عَلَى يَدِي نَاطِرِ الْجَامِعِ تَقِيَّ الدِّينِ بِنِ مَرَاجِلَ، أَثَابَهُ اللَّهُ
تَعَالَى، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِيهَا قَتَلَ صَاحِبُ سِنْجَارَ أَخَاهُ، فَمَلَكَهَا مُسْتَقِيلًا بِهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بِنُ
الْعَادِلِ.

وَفِيهَا نَافَقَ الْأَمِيرُ عِمَادُ الدِّينِ بِنُ الْمَشْطُوبِ عَلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، وَكَانَ قَدْ

(١ - ١) سقط من: م، وفي الأصل «رحاى». والمثبت من الكامل. وحانى: مدينة بديار بكر. انظر
معجم البلدان ١٨٨/٢.

(٢) هذا الخبر والخبر التالي لم تقف لهما على مصدر.

(٣ - ٣) كذا في الأصل. وفي م: «لعون ومعين».

آواه ، وحفظه من أذى أخيه الكامل له حين أراد أن يُبايع للفائز ، ثم إنه سعى في الأرض فسَادًا في بلاد الجزيرة ، فسجنه الأشرف حتى مات كمدًا وذلاً وعزياً^(١) .

وفيها أوقع الكامل بالفريخ الذين على دمياط بأسًا شديدًا ، فقتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ خيولهم وأموالهم . ولله الحمد .

وفيها عزل المعظم المعتمد مبارز الدين إبراهيم عن ولاية دمشق ، وولاه للعزير خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، كان أميرهم المعتمد ، فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين آقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر ، وأخصهم عنده ؛ وذلك لأنه قديم معه بخلع للأمير حسن^(٢) بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعين بن عبد الكريم العلوي الحسني^(٣) الزيدي بولايته لإمرة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنارح في ذلك راجح ، وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال : لا يتأمر عليها غيري . فوقعت فتنة أفضى الحال إلى قتل آقباش غلطًا . وقد كان قتادة من أكابر الأشراف [٤/١٠] الحسينيين الزيديين ، وكان عادلاً منصفًا منعمًا ، نعمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير ، فظلم وجدد المكوس ، ونهب الحاج غير مرة ، فسلب الله عليه ولده حسنا ، فقتله وقتل عمه وأخاه أيضًا ، فلهذا لم يُمهّل الله حسنا هذا ، بل سلبه الملك ،^(٤) وشرده في البلاد ، وقيل : بل قُتل كما ذكرنا . وكان قتادة شيخًا

(١) في م : « عذابا » .

(٢) في م : « حسين » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣ .

(٣) سقط من : الأصل . وفي الذيل على الروضتين : « الحسيني » .

(٤) - (٤) سقط من : الأصل .

طويلاً مهيباً لا يخاف من أحدٍ من الخلفاء ولا الملوك، ويرى أنه أحقُّ بالأمر من كلِّ أحدٍ، وكان الخليفة يودُّ لو حضر عنده ليكرمه، وكان يأتي من ذلك ويمتنع منه أشدَّ الامتناع، ولم يقدِّ إلى أحدٍ قطُّ، ولا ذلَّ لخليفة ولا ملك، وكتب إليه الخليفة مرةً يستدعيه، فكتب إليه ^(١):

ولى كفتُ ضرغامٍ أذلُّ بيطشها وأشرى بها بينَ الورى وأبيعُ
وكلُّ ^(٢) ملوكِ الأرضِ تلثمُ ظهرها وفى وسطها للمُجدين ^(٣) ربيعُ
أجعلها تحت الرحى ثم أبتغى خلاصاً لها إنى إذا لرقيعُ
وما أنا إلا الميشكُ فى كلِّ بُععةٍ يَضوعُ وأما عندكم فيضيعُ
وقد بلغ قتادةٌ من السنِّ سبعين سنةً، وقد ذكر ابنُ الأثير وفاته فى سنة ثمانى
عشرة. فالله أعلم.

ومن تُوفى فيها من الأعيان:

الملكُ الفائزُ غياثُ الدينِ إبراهيمُ بنُ العادلِ ^(٤)، كان قد انتظم له الأمرُ فى الملكِ بعد أبيه، على الديارِ المصريةِ على يدى الأميرِ عمادِ الدينِ بنِ المشطوبِ، لولا أن الكاملَ تدارك ذلك سريعاً، ثم أرسله أخوه فى هذه السنة إلى أخيهما الأشرفِ موسى يستحثه فى سرعة المسيرِ إليهم بسببِ الفرجِ، فمات بينَ سنجارَ

(١) الأبيات فى مرآة الزمان ٦١٨/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٦٠.

(٢) فى م: تظل. وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣.

(٣) فى الأصل: «للمجدين». وفى حاشية الأصل: «للمحلقين».

(٤) مرآة الزمان ٦١٠/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٤٠/٥، والذيل على الروضتين ١٢٢، ونهاية الأرب ١٠٧/٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٠، والوفى بالوفيات ١٢٥/٦.

والمَوْصِلِ ، وقيل : إنه سُمِّ . فَرُدَّ إِلَى سِنْجَارَ ، فذُفِنَ بِهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

شَيْخُ الشُّيُوخِ صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخِ الشُّيُوخِ عَمَادِ الدِّينِ
عَمْرٌ^(١) بْنِ حَمَّوَيْهِ الْجَوْنِيَّيْ ، مِنْ بَيْتِ رِيَاةٍ وَإِمْرَةٍ عِنْدَ بَنِي أَيُوبَ ، وَقَدْ كَانَ
صَدْرُ الدِّينِ هَذَا فَقِيهًا فَاضِلًا ، دَرَّسَ بِالشَّافِعِيَّ ، وَبِمَشْهَدِ الْحَسِينِ ، وَوَلِيَ مَشِيخَةَ
سَعِيدِ الشُّعَدَاءِ وَالنَّظَرَ فِيهَا ، وَكَانَتْ لَهُ حُزْمَةٌ وَافِرَةٌ عِنْدَ الْمَلُوكِ ، أَرْسَلَهُ الْكَامِلُ إِلَى
الْخَلِيفَةِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى الْفِرْنَجِ ، فَمَاتَ بِالْمَوْصِلِ بِالْإِسْهَالِ ، وَذُفِنَ بِهَا عِنْدَ قَضِيبِ
الْبَانِ^(٢) عَنْ ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

صَاحِبُ حِمَاةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيُّ الدِّينِ عَمْرَ بْنِ
شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبَ^(٣) ، وَكَانَ فَاضِلًا ، لَهُ تَارِيخٌ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ سَمَّاهُ
« الْمِضْمَارَ » ، وَكَانَ شَجَاعًا فَارِسًا ، فَقَامَ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَدَهُ النَّاصِرُ قَلِيحٌ أَرْسَلَانُ ،
ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا الْكَامِلُ ، وَحَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَوَلَّى أَخَاهُ الْمُظْفَرَ
ابْنَ الْمَنْصُورِ .

صَاحِبُ آمِدَ ، الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَرَا
أَرْسَلَانَ بْنِ أَرْتُقَ^(٤) ، وَكَانَ شَجَاعًا مُجَبِّيًا لِلْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ مُصَاحِبًا لِلْأَشْرَفِ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « مُحَمَّدٌ » ، وَفِي الذَّلِيلِ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٢٥ : « مُحَمَّدٌ » . وَالثَّبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ
تَرْجُمَتِهِ ؛ التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَّاتِ النَّقْلَةِ ١٨ / ٥ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٧٩ / ٢٢ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ)
٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٦ ، وَالْوَفَايُ بِالْوَفِيَّاتِ ٢٥٩ / ٤ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكَى ٩٦ / ٨ .

(٢) انظُرْ مَا تَقْدِمُ فِي صَفْحَةِ ٢٨ حَاشِيَةِ « ٦ » .

(٣) التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَّاتِ النَّقْلَةِ ٤١ / ٥ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٢٤ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٤٦ / ٢٢ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ) ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٧ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١١٠ / ٢٩ ، وَالْوَفَايُ
بِالْوَفِيَّاتِ ٢٥٩ / ٤ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَيُوبٌ » . وَانظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْكَامِلِ ٤١٢ / ١٢ ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي حَوَادِثُ =

موسى بن العادل يَجِيءُ إلى خدمته مرارًا، وملك بعده ولده الملك المسعود^(١)، وكان بخيلًا فاسقًا،^(٢) فأخذ الكامل أمدًا^(٣) وحبسه بمصر ثم أطلقه، فأخذ أمواله، وسار إلى التتار،^(٤) فأخذت منه^(٥).

الشيخ عبد الله اليونيني^(٦) الملقَّب أسد الشام، رحمه الله ورضي عنه، من قرية ببغلبك يقال لها: يونين. وكانت له زاوية يُقصدُ فيها للزيارة، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له هممة عالية في الزهد والورع، بحيث إنه كان لا يفتنى شيئًا، ولا يملك [١٠/١٥٠] مالا ولا ثيابا، بل يلبس عارية، ولا يتجاوز قميصا في الصيف، وفزوة فوقه في الشتاء، وعلى رأسه قُبعا من جلود المغز، شَعْرُه إلى ظاهره، وكان لا يَنقَطِعُ عن غزاة من الغزوات، ويَرْمِي عن قوس زنته ثمانون رطلا، وكان يُجاوِزُ في بعض الأحيان بجبل لبنان، ويأتى في الشتاء إلى عُيون الفاسريا^(٧) في سفح الجبل المُطلِّ على قرية دومة شرقى دمشق؛ لأجل سُخونة الماء، فيَقْصِدُه الناسُ للزيارة هناك، ويَجِيءُ تارة إلى دمشق، فيُنزِلُ بسفح قاسيون عند المقداسة^(٨)، وكانت له أحوال

= ووفيات سنة تسع عشرة وستمائة، والذيل على الروضتين ص ١٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٨٢ وذكره ضمن وفيات سنة ثمان عشرة وستمائة ص ٤٣٠، ونهاية الأرب ١١١/٢٩.

(١) في الأصل: «السعيد».

(٢ - ٢) في م: «فأخذه مع الكامل».

(٣ - ٣) في الأصل: «فأحدث فتنة».

(٤) في الأصل، ونهاية الأرب ١١١/٢٩: «اليوناني». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦١٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٠١/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٨، ونهاية الأرب ١١١/٢٩، والوفاء بالوفيات ٣١٦/١٧.

(٥) في م: «العاسريا»، وفي مرآة الزمان: «الفاسرب».

(٦) في م: «القادسية».

ومُكاشَفَاتٌ صالِحَةٌ ، وكان يقال له : أسدُ الشامِ .

حكى الشيخُ أبو المظفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجوزيِّ^(١) عن القاضي جمالِ الدينِ يَعْقوبَ الحاكمِ بكَرْكِ البِقَاعِ ، أنه شاهدَ مرَّةً الشيخَ عبدَ اللهِ وهو يتَوَضَّأُ مِنْ ثَوْرًا^(٢) عندَ الجِسْرِ الأبيضِ ، إذ مرَّ نَصْرَانِيٌّ ومعه حِمْلٌ بَغْلِيٌّ خَمْرًا ، فَعَثَرَتِ الدَابَّةُ عندَ الجِسْرِ فسَقَطَ الحِمْلُ فرَأَى الشيخُ وقد فرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ ، ولا يَعْرِفُهُ ، واستعانَ به على رفعِ الحِمْلِ ، فاستدعاني الشيخُ فقال : تعالَ يا فقيهُ فتُساعدنا على تَحْمِيلِ ذلكَ الحِمْلِ على الدَابَّةِ . وذهبَ النَصْرَانِيٌّ ، فتعَجَّبْتُ^(٣) مِنْ ذلكَ ، وتبعْتُ الحِمْلَ وأنا ذاهبٌ إلى المدينةِ ، فانتَهَى به إلى العَقَبِيَّةِ^(٤) ، فأوردهَ إلى الخَمَّارِ بها ، فإذا هو خَلٌّ ، فقال له الخَمَّارُ : ويحك ! هذا خَلٌّ . فقال النَصْرَانِيٌّ : أنا أعْرِفُ مِنْ أين أُتِيْتُ . ثم رَبطَ الدَابَّةَ في الخانِ ، ورجعَ إلى الصالِحِيَّةِ ، فسألَ عن الشيخِ ، فعرفه فجاءَ إليه ، فأسلمَ على يديه .

وله أحوالٌ وكراماتٌ كثيرةٌ جدًا ، وكان لا يقومُ لأحدٍ دَخَلَ إليه ، ويقولُ : إنما يقومُ الناسُ لربِّ العالمينِ . وكان الأُمَجدُ إذا دَخَلَ عليه جلسَ بينَ يديه ، فيقولُ له : يا مُجيدُ^(٥) ، فعلتَ كذا وكذا . ويأمرُهُ بما يأمرُهُ ، وينهاه عما ينهاه عنه ، وهو يَمْتَلِئُ جميعَ ما يقوله له ؛ وما ذاكَ إلا لصدقِهِ في زهدهِ ووَرَعِهِ وطريقِهِ ، وكان يَقْبَلُ الفُتوحَ ، ولا يَدَخِرُ مِنْهُ شيئًا لغدٍ ، وإذا اشْتَدَّ جُوعُهُ أخذَ مِنْ ورقِ

(١) مرآة الزمان ٦١٣/٨ (القسم الثاني) .

(٢) ثورا : بالفتح والقصر ، اسم لنهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ١/٩٣٨ .

(٣) في الأصل : « فتعجب » .

(٤) في م : « العقبة » .

(٥) في م : « أمجد » . وانظر الخبير في تاريخ الإسلام ص ٣٤٢ .

اللُّوزِ ، ففَرَكَه واشتَفَّه ، وشَرِبَ فوقَه الماءَ الباردَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وأَكْرَمَ مَثْوَاهُ .
 وذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَحُجُّ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فِي الْهَوَاءِ ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَطَائِفَةٍ
 كَثِيرَةٍ مِنَ الزُّهَّادِ وَصَالِحِي الْعُبَادِ ، وَلَمْ يَتَلَعَّنَا هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَأَوَّلُ
 مَنْ يُذَكِّرُ عَنْهُ هَذَا حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، ثُمَّ مَنْ
 بَعْدَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

فلما كان يومُ جمعةٍ من عشرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ صَلَّى الشَّيْخُ^(١)
 عَبْدُ اللهِ الْيُونِينِيُّ صَلَاةَ^(٢) الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ بَغْلَبَتِكُ ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ
 الصَّلَاةِ وَهُوَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ لِلشَّيْخِ دَاوُدَ الْمُؤَدِّنِ
 وَكَانَ يُغَسِّلُ الْمَوْتَى : انْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ غَدًا . ثُمَّ صَعِدَ الشَّيْخُ إِلَى زَاوِيَتِهِ ، فَبَاتَ
 يَذْكُرُ اللهُ تعالى تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَيَتَذَكَّرُ أَصْحَابَهُ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَلَوْ بِأَذْنَى شَيْءٍ ،
 وَيَدْعُو لَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَقْتُ الصَّبْحِ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ اسْتَنَدَ يَذْكُرُ اللهُ تعالى
 وَفِي يَدَيْهِ مِسْبَحَتُهُ ، فَمَاتَ وَهُوَ كَذَلِكَ [١٠ / ٥ هـ] جَالِسٌ لَمْ يَسْقُطْ ، وَلَمْ تَسْقُطِ
 الشُّبْحَةُ مِنْ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ صَاحِبِ بَغْلَبَتِكُ ، جَاءَ إِلَيْهِ ،
 فَعَايَنَهُ كَذَلِكَ فَقَالَ : لَوْ بَنَيْنَا عَلَيْهِ بُنْيَانًا وَهُوَ هَكَذَا ؛ لِيُشَاهِدَ النَّاسُ مِنْهُ آيَةً . فَقِيلَ
 لَهُ : لَيْسَ هَذَا مِنَ السَّنَةِ . فَتُحِيَّ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ، وَدُفِنَ تَحْتَ اللَّوْزَةِ
 الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ تَحْتَهَا يَذْكُرُ اللهُ تعالى ، رَحِمَهُ اللهُ وَنَوَّرَ ضَرْيَحَهُ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَقَدْ جَاوَزَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وَأَكْرَمَ
 مَثْوَاهُ ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْفَقِيهُ الْيُونِينِيُّ مِنْ جَمَلَةِ تَلَامِيذِهِ ، وَمَنْ يَلُودُ بِهِ ، وَهُوَ

(١) فِي م : « الصَّبْحِ » .

(٢) فِي م : « وَصَلَاةِ » .

جَدُّ هَؤُلَاءِ الْمَشَايخِ بِمَدِينَةِ بَغْلَبَتِكَ .

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(١) الْحَسِينُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ^(٢) الْمَجْلِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ،
وَيُعْرَفُ بِأَبْنِ الْجُهَنِيِّ ، شَابٌّ فَاضِلٌ ، وَلِي كِتَابَةُ الْإِنشَاءِ لِبَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤَ زَعِيمِ
الْمَوْصِلِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

نَفْسِي فِدَاءُ الَّذِي فَكَّرْتُ فِيهِ وَقَدْ غَدَوْتُ أَغْرَقُ فِي بَحْرِ مِنَ الْعَجَبِ
يَتَدُو بَلِيلٍ عَلَى صُبْحِ عَلَى قَمَرٍ عَلَى قَضِيْبٍ عَلَى وَهْمٍ عَلَى كَتَبِ

(١) بعده في الأصل: « بن » ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) في الأصل: « المجلي » .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة

فيها^(١) استولت السار على كثير من البلدان كمراعة^(٢) وهمدان وأردبيل وتبريز وكنجة^(٣)، وقتلوا أهاليها، ونهبوا ما فيها، واستأسروا ذراريها، واقتربوا من بغداد، فانزعج الخليفة من ذلك، وحصن بغداد، واستخدم الأجناد، وقتت الناس في الصلوات والأوراد.

وفيها قهروا الكرج واللان، ثم قاتلوا القفجاق^(٤)، فكسروهم، وكذلك الروس، وينهبون ما قدروا عليه من أموال هؤلاء ويشبون ذراريهم ونساءهم.

وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف، فاستغطفه على أخيه الكامل، وكان في نفسه مؤجدة عليه، فأزالها وسارا جميعًا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط، واستحكّم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يردّ إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل، ويتركوا دمياط، فامتنعوا من ذلك،

(١) الكامل ٤٠١/١٢ - ٤٠٥، ومرآة الزمان ٦١٨/٨ - ٦٢٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٢٨ - ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٣ - ٥٧.
(٢) في م: «بكلادة». ومرآة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان. معجم البلدان ٤/٤٧٦.

(٣) كنجة: مدينة عظيمة، وهي قصبه بلاد أران، وأهل الأدب يسمونها جزرة وكنجة من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان. انظر معجم البلدان ٤/٣٠٨.

(٤) في م: «القبجاق».

ولم يفعلوا ، فقدّر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأقوات ، فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم ، فأخذها الأسطول البحرى ، وأزسلت المياه على أراضى دمياط من كل ناحية ، فلم يُمكنهم بعد ذلك أن يتصروا فى أنفسهم ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيقي الأماكن ، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة ، فجاء مُقدّموهم إليه ، وعنده أخواه المُعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً وأمرًا محموداً ، فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد ، بيض الله وجهه ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ، ومدّ سباطاً عظيمًا ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبرّ والفاجر ، وقام راجع الحليّ الشاعر فأنشد :

وقد أنجز الرحمن بالنصر مؤعدًا	هنيئًا فإن السعد راح مُخلدًا
مُبينًا وإنعامًا وعزًّا مُؤبّدًا	حبانًا إله الخلق فتحًا بدًا لنا
وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودًا	تهلّل وجه الدهر بعد قُطوبه
غاة وأضحى بالمراكب مُزبدًا	ولما طعى البحر الخضم بأهله الطُّ
صقيلاً كما سلّ الحسام مُجرّدًا	أقام لهذا [١٠/٦١] الدين من سلّ عزّمه
ثوى منهم أو من تراه مُقيّدًا	فلم ينج إلا كلّ شلوٍ مُجدلٍ
عقيرته فى الخافقين ومُنشيدًا	ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا
وموسى جميعًا يخذمون محمداً	أعباد عيسى إن عيسى وحزبه

قال أبو شامة^(١) : وبلغنى أنه أشار عند ذلك إلى المُعظم عيسى والأشرف

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٠.

موسى والكامل محمد. قال: وهذا من أحسن شىء أتفق. وكان ذلك يوم الأربعاء تاسع عشر رجب من هذه السنة، وتراجعت الفرج إلى عكا وغيرها من البلدان، ورجع المعظم إلى الشام، واضطلع الأشرف والكامل على أخيهما المعظم.

وفيهما ولّى الملك المعظم قضاء دمشق لجمال الدين المصيرى الذى كان وكيل بيت المال بها، وكان فاضلاً بارعاً، يجلس فى كل يوم الجمعة قبل الصلاة بالعادية وبعد فراغها لإثبات المحاضر، ويحضر عنده فى المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يتيسر على الناس إثبات كتبهم فى الساعة الواحدة، جزاه الله خيراً.

ومن توفى فيها من الأعيان:

ياقوت الكاتب الموصلى^(١)، رحمه الله، أمين الدين، المشهور بطريقة ابن البواب. قال ابن الأثير^(٢): لم يكن فى زمانه من يقاربه فى خطه، وكانت لديه فضائل جمّة، والناس متفقون على الثناء عليه، وكان نعم الرجل، وقد قال فيه نجيب الدين الواسطى قصيدة يمدحه بها:

جامع شارذ العلوم ولولا ه لكانت أمّ الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف زبيته^(٣) الأسد د وتغنوه له الكتاب ذلاً

(١) الكامل ٤٠٥/١٢، ومعجم الأدباء ٣١٢/١٩، ووفيات الأعيان ١١٩/٦، ونهاية الأرب ٢٩/١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٤٩/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٤، ومراة الجنان ٤٢/٤.

(٢) الكامل ٤٠٥/١٢.

(٣) فى م: «ريقته». وفى مصدر ترجمته: «سوطه».

وإذا أفترَّ ثغره عن سوادٍ في بياضٍ فالبيضُ والشُّمْرُ خَجَلِي
 أنت بدرٌ والكاتبُ ابنُ هلالٍ كأبيه لا فخرَ فيمن توَلَّى
 إن يَكُنْ أوْلاً فإنك بالثَّقْ ضليلٌ أوْلى فقد سَبَقَتْ وصلَّى^(١)

جلالُ الدينِ الحسنِ^(٢) ، من أولادِ الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ مُقَدِّمِ الإسماعيليةِ ،
 وكان قد أظهرَ في قومه شعائرَ الإسلامِ ، وحفظَ الحدودَ والمحرِّماتِ والقيامَ فيها
 بالزَّواجِرِ الشرعيةِ .

الشيخُ الصالحُ شهابُ الدينِ محمدُ بنُ خَلَفِ بنِ راجِحِ المَقْدِسِيِّ^(٣) ،
 الحنبليُّ الزاهدُ العابدُ الناسكُ ، كان يقرأُ على الناسِ يومَ الجمعةِ الحديثَ
 النبويَّ ، وهو جالسٌ على أسفلِ منبرِ الخطابةِ بالجامعِ المُظَفَّرِيِّ ، وقد سمعَ الكثيرَ ،
 ورُحِلَ وحفظَ «مقاماتِ الحريرِيِّ» في خمسين ليلةً ، وكانت له فنونٌ كثيرةٌ ،
 وكان ظريفاً مطبوعاً ، رحمه اللهُ .

والخطيبُ مَوْفَّقُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ عمرُ بنُ يوسفَ بنِ يحيى بنِ عمرَ بنِ
 كاملِ المَقْدِسِيِّ^(٤) ، خطيبُ بيتِ الآبارِ ، وقد نابَ بدمشقَ عن الخطيبِ جمالِ
 الدينِ الدَّولَعِيِّ حينَ سارَ في الرساليةِ إلى خُوَارِزْمِ شاهَ ، حتى عادَ .

المُحَدِّثُ البارِعُ تَقِيُّ الدينِ أبو طاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُحْسِنِ

(١) صلى : تلا السابق . القاموس المحيط (ص ل ي) .
 (٢) الكامل ١٢/٤٠٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٩٨/٤ ، والمختصر في أخبار البشر ١٣١/٣ ، وسير أعلام
 النبلاء ٢٢/١٥٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٩٨ .
 (٣) مرآة الزمان ٨/٦٢٢ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥١/٥ ، والذيل على الروضتين ص
 ١٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٥٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٩ ،
 والوافي بالوفيات ٣/٤٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٢٤ .
 (٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/٧٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٣١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات
 ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٥ .

ابن الأَتماطي^(١)، قرأ الحديث، ورحل وكتبه، وكان حسن الخط مُتقِنًا في علوم الحديث، حافظًا له، وكان الشيخ تقي الدين بن الصّلاح يُثني عليه ويمدّحه، وكانت كتبه بالبيت العزبي من الكلاسة الذي كان للملك المحسن بن صلاح الدين، ثم أخذ من ابن الأَتماطي وسُلم إلى الشيخ عبد الصّمد الدكائي، واستمر بيد أصحابه بعد ذلك، وكانت وفاته بدمشق، ودُفن بمقابر الصّوفية، وصلى عليه بالجامع الشيخ مُوقق الدين، وبياب النصر الشيخ فخر الدين بن عساكر، وبالمقبرة قاضي القضاة جمال الدين المِصرّي، رحمه الله تعالى.

أبو الغيث شُعيب بن أبي طاهر بن كليب بن مُقبِل^(٢) الصّريّ [٦/١٠ ظ] الفقيه الشافعي، أقام ببغداد إلى أن تُوفّي، وكانت لديه فضائل وله رسائل، ومن شعره قوله:

إذا كنتم للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالجود والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذلّ يضلّحوا عليه فإن الذلّ أضلّح للذلّ
أبو العزّ مشرف^(٣) بن عليّ بن أبي جعفر بن كامل الخالصي المقرئ
الصّريّ الفقيه الشافعي، تفقه بالنظامية، وسمع الحديث ورواه، وأنشد عن
الحسن بن عمرو الحلبي:

(١) مرآة الزمان ٦٢٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٧٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٤٣.
(٢) الوافي بالوفيات ١٦٣/١٦، ونكت الهميان ص ١٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥١/٨.
(٣) في النسختين: «شرف». والمثبت من مصادر ترجمته؛ المختصر المحتاج إليه ٣٥٨/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧١/٨.

تَمَثَّلْتُمْ لِي وَالِدِيَّارُ بَعِيدَةٌ فَخُيِّلَ لِي أَنَّ الْفُؤَادَ لَكُمْ مَعْنَى
 وَنَاجَاكُمْ قَلْبِي عَلَى الْبُعْدِ بَيْنَنَا فَأَوْحَشْتُمْ لَفْظًا وَأَنْسَيْتُمْ مَعْنَى
 أَبُو سَلِيمَانَ دَاوُدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَبَلِيُّ^(١)، أَحَدُ الْمُعِيدِينَ بِالْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ،
 وَمَا أَنْشَدَهُ .

أَيَا جَامِعًا أَمْسِكَ عَنَّاكَ مَقْصَرًا فَإِنَّ مَطَايَا الدَّهْرِ تَكْتُبُو وَتُقْصِرُ
 سَتَقْرَعُ سِنًّا أَوْ تَعَضُّ نَدَامَةً يَدِيكَ^(٢) إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَتُبْصِرُ
 وَيَلْقَاكَ زُشْدٌ بَعْدَ غَيْكِ وَاعْظُ وَلَكِنَّهُ يَلْقَاكَ وَالْأَمْرُ مُدْبِرُ
 أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدِ الْوَدُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُبَارِكِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارِكِ بْنِ
 الْحَسَنِ^(٣)، الْوَاسِطِيُّ الْأَصْلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الدَّارِ وَالْمَوْلِدِ، كَمَالُ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ وَاللَّهِ
 بِالْمُجِيرِ، تَفَقَّهُ عَلَى أَبِيهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَدَرَسَ بِمَدْرَسَتِهِ عِنْدَ بَابِ الْأَزْجِ،
 وَوَكَّلَهُ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ، وَاسْتَهْرَ بِالِدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَبَاشَرَ مَنَاصِبَ كِبَارًا، وَحَجَّ
 مِرَازًا عَدِيدَةً، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ يَقُولُ:

وَمَا تَرَكَتْ سِتٌّ وَسْتُونَ حِجَّةً لَنَا حُجَّةً أَنْ نَرْكَبَ اللَّهُوَ مَرْكَبًا
 وَكَانَ يُنْشِدُ:

الْعِلْمُ يَأْتِي كُلَّ ذِي خَفِضٍ وَيَأْبَى كُلَّ أَبِي
 كَالْمَاءِ يَنْزِلُ فِي الْوَهَا دِ لَيْسَ يَصْعَدُ فِي الرَّوَابِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «بَن مَنذَرُ الْحَنْبَلِيُّ»، وَفِي م: «بَن مَنذَرُ الْجَبَلِيُّ». وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ؛
 الْمُخْتَصَرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ ١٥/١٨٢، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٥/٧٥، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦١١
 - ٦٢٠) ص ٤٠٠، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٣/٤٦٠، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكَى ٨/١٤٤.

(٢) سَقَطَ مِنْ: م.

(٣) التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٥/٧٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١١،
 وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٩/٢٨٩، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكَى ٨/٣١٧.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها^(١) نُقِلَ تابوتُ العادلِ مِنَ القلعةِ إلى تُرْبَتِهِ بالعادليةِ الكبيرةِ ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ أَوَّلًا تَحْتَ النَّشْرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ إِلَى التُّرْبَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَدُفِنَ بِهَا ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَدْرَسَةُ كَمَلَتْ بَعْدُ ، وَقَدْ تَكَامَلَ بِنَاؤُهَا فِي «السَّنَةِ الْآتِيَةِ»^(٢) أَيْضًا ، وَذَكَرَ الدَّرَسَ بِهَا الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْمَصْرِيُّ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ ، فَجَلَسَ فِي الصُّدْرِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ الْقَاضِي ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَمَالُ^(٣) الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ^(٤) شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ ، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ الصَّلَاحِ إِمَامُ السُّلْطَانِ ، وَالشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ الْأَمِيدِيُّ إِلَى جَانِبِ الْمُدْرَسِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ شَمْسُ الدِّينِ بَنُ سَنَى الدَّوْلَةِ ، وَيَلِيهِ النَّعْجُمُ خَلِيلُ قَاضِي الْعَسْكَرِ ، وَتَحْتَ الْحَصِيرِيِّ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الشُّيرَازِيِّ ، وَتَحْتَهُ مُعْجِي الدِّينِ بَنُ الزُّكَيْيِّ ، وَفِيهِ خَلَقَ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَكَابِرِ ، وَفِيهِمْ فَخْرُ الدِّينِ بَنُ عَسَاكِرَ .

وفيهما أُرْسِلَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ الصُّدْرُ الْبَكْرِيُّ^(٥) مُخْتَسِبَ دِمَشْقَ إِلَى جَلَالِ الدِّينِ

(١) الكامل ٤٠٦/١٢ - ٤١٢ ، ومرة الزمان ٦٢٣/٨ ، ٦٢٤ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين

ص ١٣١ - ١٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٨ - ٦١ .

(٢) (٢ - ٢) في م : « هذه السنة » . وانظر الدارس ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) في الأصل ، م : « صدر » . والمثبت من الذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام . ولم يذكر ذلك في المصدرين الآخرين .

(٤) هنا وفيما يأتي ، في الأصل : « الحصري » .

(٥) في م : « الكشهني » .

ابن خُوَارِزْمِ شاه يَسْتَعِينُهُ على أخويه الكاملِ والأشرفِ اللذين قد تَمَلَّأَ عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد البكرى أضاف إليه مَشِيخَةَ الشُّيوخ .

وحجَّ في هذه السنة الملك المشعُودُ أَفْسَيْسُ بنُ الكاملِ صاحبُ اليمنِ ، فبَدَت منه أفعالٌ ناقصةٌ [٧/١٠] بالحرمِ الشريفِ من سُكْرِ وَرَشْقِ حَمَامِ المسجدِ بالبُنْدُقِ من أعلى قُبَّةِ زَمْرَمَ ، وكان إذا نام في دارِ الإمارةِ يُضْرَبُ الطائفونَ بالمسعى بأطرافِ السيوفِ لئلا يُشَوْشُوا عليه وهو نَوْمٌ سَكْرٌ ، قَبَّحه اللهُ تعالى ، ولكن كان مع هذا كُلُّه مَهِيئًا مُحْتَرَمًا ، والبلاذُ به آمنةٌ مُطْمَئِنَّةٌ ، وقد كان يَزْفَعُ سَنَجَقِ^(١) أبيه يومَ عَرَفةَ على سَنَجَقِ الخليفةِ ، فجرى بسببِ ذلك فتنةٌ عظيمةٌ ، وما مُكِّنَ من طُلوعه وضُعوده إلى الجبلِ إلا في آخِرِ النهارِ بعدَ جهِدِ جهيدٍ .

وفيها كان بالشامِ جرادٌ كثيرٌ أَكَلَ الزرعَ والثمارَ والأشجارَ .

وفيها وَقَعَت حُرُوبٌ كثيرةٌ بينَ القَفْجاقِ والكُرْجِ ، وَقَتَلُ كثيرٌ بسببِ ضيقِ بلادِ القَفْجاقِ عليهم .

وفيها ولى قَضَاءَ القُضاةِ بِيغدادَ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ فَضْلانَ^(٢) ، وليس الخِلعةَ في^(٣) دارِ نائبِ^(٣) الوزارةِ مُؤَيَّدِ الدينِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ القُمِّيِّ^(٤) بحضرةِ الأعيانِ والكُبراءِ ، وقُرئَ تَقْلِيدُهُ بحضرتِهِم ، وساقه ابنُ الساعى بحروفه .

(١) السنجق : اللواء . الوسيط (سنجق) .

(٢) في م : « فلان » .

(٣ - ٣) في م : « باب دار » .

(٤) في م : « التقيق » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٤٦/٢٢ ، والوافي بالوفيات ١/١٤٧ .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ دَاوُدَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ^(١)، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَلَقَّبُ بِالْحَبِّ، اسْتَقَلَّ بِالنِّظَامِيَّةِ دَهْرًا، وَاسْتَشْغَلَ بِهَا، وَكَانَ فَاضِلًا دِينًا صَالِحًا، وَمَا أَنْشَدَهُ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُهُ :

الْفَرْقَدَانِ^(٢) كِلَاهُمَا شَهِدَا لَهُ وَالْبَدْرُ لَيْلَةً تَمُّهُ بِشَهَادِهِ
دَيْفٌ^(٣) إِذَا اعْتَبَقَ الظَّلَامُ تَضَرَّمَتْ نَارُ الْجَوَى فِي صَدْرِهِ وَفَوَادِهِ
فَجَرَّتْ مَدَامُعُ جَفْنِهِ فِي خَدِّهِ مِثْلَ الْمَسِيلِ يَسِيلُ مِنْ أَطْوَادِهِ^(٤)
شَوْقًا إِلَى مُضْنِيهِ لَمْ أَرْ هَكَذَا مَشْتَاقٌ مُضْنِي جَسْمِهِ بِيَعَادِهِ
لَيْتَ الَّذِي أَضْنَاهُ سِحْرُ جُفُونِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ يَكُونُ مِنْ عُوَادِهِ
أَبُو طَالِبٍ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْيَعْقُوبِيُّ^(٥)، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْمُعِيدِينَ^(٦)

بِغَدَادَ، كَانَ شَيْخًا مَلِيحَ الشَّيْبَةِ، جَمِيلَ الْوَجْهِ، كَانَ يَلِي بَعْضَ الْأَوْقَافِ، وَمَا أُنْشَدَهُ لِبَعْضِ الْفُضَلَاءِ :

لَحْمٌ تِهَامِيَةٌ وَجِبَالٌ أُخِذَ وَمَاءُ الْبَحْرِ يُنْقَلُ بِالزَّبِيلِ^(٧)
وَنُقِلَ الصَّخْرُ فَوْقَ الظَّهِيرِ يَوْمًا^(٨) لِأَهْوَنَ مِنْ مَجَالِسَةِ الثَّقِيلِ

(١) التكملة لوفيات النقلة ١٠٩/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧٩/٨.

(٢) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به، وهو المسمى: النجم القطبي، ويقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه؛ وهما فرقدان. الوسيط (فرقد).

(٣) ديف المريض: اشتد مرضه وأشفى على الموت. الوسيط (د ن ف).

(٤) في م: «أطواره». والأطواد: جمع طؤد، وهو الجبل العظيم. انظر الوسيط (ط و د).

(٥) التكملة لوفيات النقلة ١١٢/٥.

(٦) في الأصل: «المتعبدين».

(٧) الزبيل: القمّة. انظر اللسان (ز ب ل).

(٨) في م: «عريا».

ولبعضهم أيضًا،^(١) وهو مما أنشده المذكور^(٢) :

وإذا مضى للمرء من أعوامه خمسون^(٣) وهو إلى الثقى لا يجنح
عكفت عليه المخزيات بقولها حالفتنا فأقم كذا لا تبرح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه حيا وقال فديت من لا يفليح
أنفق أنه طوب بشيء من المال، فلم يقدر عليه، فاشتغل شيئا من الأفيون
المصري، فمات من يومه، ودفن بالوردية.

وفيهما توفى قطب الدين بن^(٤) العادل بالفيوم، ونقل إلى القاهرة.

وفيهما توفى إمام الحنابلة بمكة الشيخ نصر بن أبي الفرج المعروف بابن
الحضري^(٥)، جاور بمكة مدة^(٦)، ثم ساقته المنيئة إلى اليمن، فمات بها في هذه
السنة، وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ.

وفيهما في ربيع الأول توفى بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم^(٧) بن
الحنبلي^(٨)، أخو البهاء والناصح، وكان فقيها مناظرا بصيرا بالمحاکمات، وهو
الذي أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علم الدين السخاوي.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) بعده في الأصل: «حجة».

(٣) سقط من: م. وقد جاء الاسم عند صاحب المرأة «قطب الدين العادلي». وفي الحاشية جاءت

«العادل» بدل «العادلي». والمثبت من الأصل هو الصواب والموافق لما ذكر في الذيل على الروضتين.

انظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣٣.

(٤) المختصر المحتاج إليه ٣٦٨/١٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٤١/١٩، والتكملة لوفيات النقلة

١٠١/٥، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٦٣/٢٢، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٨٢،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٦٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٣٠،

وغاية النهاية ٢/٣٣٨.

(٥) بعده في م: «لم يسافر».

(٦ - ٦) في م: «النيلي». وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ١٠٤/٥، والذيل على =

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة

فيها^(١) عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر إلى الشام، فتلقاه أخوه المعظم، وقد فهم [٧/١٠] أنهما تمالأ عليه، فبات ليلة بدمشق، وسار من آخر الليل، ولم يشعر أخوه بذلك، فسار إلى بلاده، فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خياط وميافارين قد قوى رأسه، وكاتبه المعظم وصاحب إزبل، وحسنوا له مخالفة الأشرف، فكتب إليه الأشرف ينهاه عن ذلك، فلم يقبل، فجمع له العساكر ليقاتله.

وفيها سار أقيس الملك المسعود صاحب اليمن بن الكامل من اليمن إلى مكة، شرفها الله تعالى، فقاتله حسن بن قتادة بطن مكة بين الصفا والمروة، فهزمه أقيس وشرده، واستقل بمكة مع اليمن، وجرت أمور فظيعة، وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه في تلك الشعاب والأودية.

ومن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي^(٢)، مصنف « المعنى » في الفقه،

= الروضتين ص ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٢/٢، وشذرات الذهب ٨٥/٥.

(١) الكامل ٤١٣/١٢ - ٤١٨، ومرآة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه ٢١٢/١٥، ومرآة الزمان ٦٢٧/٨ (القسم الثاني) والتكملة لوفيات النقلة =

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ^(١) بنِ قدامةَ، الشيخُ موفقُ الدينِ أبو محمدٍ المقدسيّ، إمامَ عالمَ بارِعٍ، لم يَكُنْ في عصرِهِ بل ولا قبلَ دهرِهِ بمدةٍ، أفقَهُ منه، وُلِدَ بِجَمَاعِيَلٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدِمَ مَعَ أَهْلِهِ إِلَى دِمَشقَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْعِرَاقِ؛ إِحْدَاهُمَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ مَعَ ابْنِ خَالَتِهِ^(٢) الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ، وَالْأُخْرَى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ، وَحجَّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، وَتَفَقَّهُ بِبَغْدَادَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَبَرِعَ وَأَفْتَى وَنَظَرَ، وَتَبَخَّرَ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مَعَ زُهْدٍ وَعِبَادَةٍ، وَوَرَعٍ وَتَوَاضُعٍ، وَحَسَنِ أَخْلَاقٍ، وَجُودٍ وَحَيَاءٍ وَحُسْنِ سَمْتٍ، وَنُورٍ وَبَهَاءٍ، وَكَثْرَةَ تِلَاوَةِ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَقِيَامٍ، وَطَرِيقَةَ حَسَنَةٍ وَاتِّبَاعٍ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَكَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ وَمُكَاشَفَاتٌ، وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ^(٣)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ^(٤) أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَا أَعْلَمُ لِلَّهِ وَلِيًّا.

وكان يُؤمُّ الناسَ للصلاةِ في مِحْرَابِ الحَنَابِلَةِ هو والشيخُ العِمَادُ، فلما تُوفِّي

= ١٥٨/٥، والذيل على الروضتين ص ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٨٣، وفوات الوفيات ١٥٨/٢، والوفى بالوفيات ٣٧/١٧، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢.

(١) بعده في فوات الوفيات: «بن أحمد».

(٢) في الأصل: «عمته»، وفي م: «عمه». وفي سير أعلام النبلاء: «خاله». والمثبت من تاريخ الإسلام وفوات الوفيات والوفى بالوفيات وذيل طبقات الحنابلة، وهي المصادر التي ذكرت النسبة بينهما. وما في السير تحريف، وانظر أيضًا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٤٤٣.

(٣) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي ١٥٥/٢ بسنده عن الشافعي، بلفظ «الفقهاء» بدلًا من «العلماء».

(٤) في م: «العاملون».

العِمَادُ اسْتَقَلَّ هُوَ بِالْوِظْفَةِ ، فَإِنْ غَاب صَلَّى عَنْهُ أَبُو سَلِيمَانَ ^(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، وَكَانَ يَنْتَقِلُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بِالْقَرَبِ مِنْ مِخْرَابِهِ ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِدَرْبِ الدُّوْلَعِيِّ بِالرَّصِيفِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَنْ تَيْسَّرَ ؛ يَأْكُلُونَ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ الْأَصْلِيُّ بِقَاسِيُونَ ، فَيَنْصَرِفُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الْجَبَلِ ، فَاتَّفَقَ ^(٢) فِي بَعْضِ اللَّيَالِي أَنْ خَطَفَ رَجُلٌ عِمَامَتَهُ ، وَكَانَ فِيهَا كَاعِغِدٌ فِيهِ رَمْلٌ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : خذِ الْكَاعِغِدَ ، وَأَلْقِ الْعِمَامَةَ . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنْ فِي الْكَاعِغِدِ مَالًا ، فَأَخَذَهُ وَأَلْقَى الْعِمَامَةَ ، ^(٤) فَأَخَذَهَا الْمَوْفِقُ ثُمَّ ذَهَبَ . وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى ذِكَاةٍ مُفْرِطٍ وَاسْتِحْضَارٍ حَسَنٍ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ ، حَتَّى خَلَصَ عِمَامَتَهُ مِنْ يَدِهِ بِتَلَطُّفٍ .

وله مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ ، مِنْهَا « الْمَعْنَى » فِي شَرْحِ « مُخْتَصِرِ ^(٥) الْخَوْقِيِّ » فِي عَشْرَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَ« الْكَافِي » ^(٦) فِي « أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ ^(٧) » وَ« الْمُقْبِعُ » لِلْحَفِظِ ، وَ« الرَّؤُوسَةُ » فِي أَصُولِ الْفَقْهِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ يَوْمَ سَبْتٍ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَدُفِنَ بِتَرْبِئَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ مَنَامَاتٌ

(١) بعده في م : « بن الحافظ » .

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٤٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٣٦ .

(٣) عبارة مصدرى التخريج أوضح ، ففيهما أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) زيادة من : م .

(٦) في م : « الشافى » .

(٧ - ٧) في الأصل ، م : « مجلدين » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا مرآة الزمان والتكملة والذيل على الروضتين فلم تذكر ذلك .

صالحه، رحمه الله تعالى، وكان له أولادٌ ذكورٌ وإناثٌ، فماتوا في حياته. ولم يُعقِبَ منهم سوى ابنه عيسى ولدَيْن، ثم ماتا وانقطع نسلُه، قال أبو المظفر [٨٠/١٠] السَّبْطُ^(١) : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ :

لا تَجْلِسَنَّ بِبَابِ مَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ دُخُولَ^(٢) دَارِهِ
وتقولُ حاجاتِي إليهِ هِ يَعْوُقُهَا^(٣) إِنْ لَمْ أُدَارِهِ
وَأَثْرُكَ وَأَقْصِدْ رَيْبَهَا تُقْضَى وَرَبُّ الدَّارِ كَارِهِ
وما أَنشده الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ لِنَفْسِهِ^(٤) ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَضِيَ عَنْهُ قَوْلُهُ :

أَبْغَدَ بِيَاضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سِوَى الْقَبْرِ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ لِأَحْمَقُ
يُخْبِرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ وَشَيْكًا وَيُنْعَانِي إِلَيَّ فَيُضِدُّقُ
يُحَرِّقُ عُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَهَلْ^(٥) «أَسْتَطِيعُ رَفَعَ» مَا يَتَحَرَّقُ
^(٦) كَأَنِّي بِجَسْمِي^(٧) فَوْقَ نَعْشِي^(٨) مُمَدَّدًا
فَمِنْ سَاكِبٍ أَوْ مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ^(٩)

(١) ذكره عنه أبو شامة في الذيل على الروضتين ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ولم تجده في نسخة مرآة الزمان المطبوعة التي بين أيدينا .

(٢) في م : « وصول » .

(٣) في الأصل : « أعوقها » .

(٤) انظر مرآة الزمان ٦٣٠/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤١ .

(٥ - ٥) في الأصل : « يستطع رفوا » ، وفي م : « مستطاع رقع » ، وفي الذيل على الروضتين : « مستطيع رفو » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٦ - ٦) في الأصل :

« كَأَنِّي بِقَوْمٍ يَتَّبِعُونَ جَنَازَتِي وَأَعْيُنُهُمْ تَذَرِي الدَّمْعَ وَتَدْفِقُ »

(٧) في مرآة الزمان : « بنفسى » .

(٨) في الذيل : « نعش » .

وَإِذَا سَأَلُوا^(١) عَنِّي أَجَابُوا وَعَوَّلُوا
وَعُيِّتَتْ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَبِيبٌ
وَيَحْتُو عَلَى الثَّرْبِ أَوْثَقُ صَاحِبِ
فِيَارِبِّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَحْشَتِي

وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرٌ
فَخَرُّ الدِّينِ بِنُ عَسَاكِرٍ^(٥) : عَبْدُ الرَّحْمَنِ^(٦) بِنُ مُحَمَّدٍ^(٦) بِنِ الْحَسَنِ بِنِ هَبِبةِ
اللَّهِ بِنِ عَسَاكِرٍ ، فَخَرُّ الدِّينِ أَبُو مَنْصُورِ الدَّمَشَقِيِّ ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا ، وَأُمُّهُ
أَسْمَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ طَاهِرِ الْقَرِيشِيَّةِ^(٧) - الْمَعْرُوفُ وَالذُّهَاءُ بِأَبِي
الْبَرَكَاتِ بِنِ الرَّائِي^(٨) ، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ مَسْجِدَ الْقَدَمِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ
وخمسمائة ، وَبِهِ قَبْرُهُ وَقَبْرُهَا^(٩) ، وَدُفِنَ هُنَاكَ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ - وَهِيَ
أَخْتُ أَمِنَةَ وَالِدَةِ الْقَاضِي مُخَيَّبِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بِنِ عَلِيِّ بِنِ الرَّيْثِيِّ .

(١) فِي الذَّيْلِ : « سَأَلُوا » .

(٢ - ٢) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ : « فِي لِحْدِ بِهِ التَّرْبِ » .

(٣) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ : « لِلتَّرْبِ » .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٥) مَرَاةِ الزَّمَانِ ٦٣٠/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ١٥٢/٥ ، وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ ص ١٣٦ ، وَوَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٣٥/٣ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٨٧/٢٢ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتِ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٠ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبِيرَى لِلْسَّبْكِ ١٧٧/٨ .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : م .

(٧) فِي م : « الْقَدْسِيَّةِ » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « الْمَرَارِ » ، وَفِي م : « الْمَرَانِ » . وَالمُتَبَيَّنُ مِنَ الذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ ، وَلَمْ تَذْكُرْهُ سَائِرُ الْمَصَادِرِ .

(٩) لَيْسَ فِي الذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ - وَهُوَ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّذِي ذَكَرَ اسْمَ الْأُمِّ وَالْجَدِّ وَبِقِيَّةِ الْقِصَّةِ - تَصْرِيحًا بِأَنَّ هُنَاكَ قَبْرُهَا ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَصْنَفُ اسْتِفَادَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الذَّيْلِ : لِأَنَّ بِهِ - =

اشْتَغَلَ الشَّيْخُ فَخْرَ الدِّينِ مِنْ صِغَرِهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ عَلَى شَيْخِهِ قُطْبِ الدِّينِ
 مَسْعُودِ النَّيْسَابُورِيِّ، وَتَزَوَّجَ بَابَتِهِ، وَدَرَّسَ مَكَانَهُ بِالْجَارُوحِيَّةِ^(١)، وَبِهَا كَانَ
 يَسْكُنُ فِي إِحْدَى الْقَاعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَنْشَأَهُمَا، وَبِهَا تُؤَفَّى غَرِيْبُ الْإِيْوَانِ، ثُمَّ تَوَلَّى
 تَدْرِيسَ الصَّلَاحِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْعَادِلُ تَدْرِيسَ التَّقْوِيَّةِ^(٢)،
 وَكَانَ عِنْدَهُ أَعْيَانُ الْفُضَلَاءِ، ثُمَّ تَفَرَّغَ^(٣)، فَلَزِمَ الْمُجَاوِرَةَ فِي الْجَامِعِ فِي الْبَيْتِ
 الصَّغِيرِ إِلَى جَانِبِ مِخْرَابِ الصَّحَابَةِ، يَخْلُو فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُطَالَعَةِ وَالْفَتَاوَى،
 وَكَانَتِ الْفَتَاوَى تَقْدُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَكَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ، حَسَنَ السَّمْتِ، وَكَانَ
 يَجْلِسُ تَحْتَ قُبَّةِ النَّشْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ مَكَانَ عَمِّهِ لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ بَعْدَ
 الْعَصْرِ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ «دَلَالِلُ النَّبَوَةِ» وَغَيْرُهُ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَشِيخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ
 الثُّورِيَّةِ، وَمَشْهَدَ ابْنِ^(٤) غَزْوَةَ أَوَّلَ مَا فَتِحَ، وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ بَعْدَ مَا عَزَلَ
 قَاضِيَهُ زَكِّيَّ الدِّينِ^(٥)، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَقَتَ السَّمَاطِ، وَسَأَلَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ

= يعنى مسجد القدم - قبر جده لأمه ومن سلف من بيته . فأخذ المصنف رحمه الله ذلك من قوله : «
 ومن سلف من بيته » .

(١) فى م : « بالجاروخية » . وكذا تأتى فى الموضع القادم فى م . والجاروخية : مدرسة للشافعية داخل بابى
 الفرج والفراديس ، لصيقة المدرسة الإقبالية الحنفية شمالى الجامع الأموى والظاهرية الجوانية . قال ابن
 شداد : بانيتها جاروخ التركمانى يلقب بسيف الدين . انظر الدارس ٢٢٥/١ .

(٢) التقوية : مدرسة للشافعية أيضاً ومن أجل مدراس دمشق ، داخل باب الفراديس شمالى الجامع شرقى
 الظاهرية والإقباليين ، بانيتها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن
 أيوب . المصدر السابق ٢١٦/١ .

(٣) عبارته فى الذيل على الروضتين - وهو الذى ذكر ذلك وحده - : « وكان إذا فرغ من التدريس يظل
 بجامع دمشق فى البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ... ثم يرجع إلى مكانه والناس
 معتكفون عليه » . وهى لا تفيد التفرغ المطلق - كما فى عبارة الأصل وم هنا - لكن مجرد فراغ بعد
 انتهاء تدريسه فى المدرسة .

(٤) فى الذيل : « أبى » . وانظر ما يأتى فى ترجمة ابن عروة هذا .

(٥) هو زكى الدين الطاهر بن محبى الدين ، كما فى الذيل على الروضتين ، وهو المصدر الوحيد الذى
 ذكر ذلك .

القضاء بدمشق، فقال: حتى أستخير الله تعالى. ثم امتنع من ذلك، فشق على السلطان امتناعه، وهم أن يؤذيه، فقبل له: احمد الله الذي في بلادك مثل هذا. ولما توفى العادل، وأعاد ابنه المعظم الخمر أنكر عليه الشيخ فخر الدين، فبقى في نفسه منه، فانتزع منه تدريس^(١) الصلاحية التي بالقدس وتدریس^(٢) التقوية، ولم يتبق معه سوى الجاروخية ودار الحديث الثورية، ومشهد ابن عروة^(٣). وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر^(٤) عاشر رجب من هذه السنة، وله خمس وستون سنة، وصلى عليه بالجامع، وكان يوماً مشهوداً، وحملت جنازته إلى مقابر الصوفية، فدفن بها، في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسعودي.

ابن عروة^(٤) «شرف الدين» محمد بن عروة [٨/١٠] الموصلي، المنسوب إليه مشهد ابن عروة - «ويقول الناس: مشهد عروة» - بالجامع الأموي؛ لأنه أول من فتحه، وكان مشحوناً بالحواصل الجامعية، وبني فيه البركة، ووقف فيه على الحديث درساً، ووقف خزائن كتب فيه، وكان مقيماً بالقدس الشريف، ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم، فانتقل إلى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في الذيل على الروضتين. وهو المصدر الوحيد الذي ذكر توليه التدريس بتلك المدارس، ودار الحديث والمشهد - أنه لم يبق بيده إلا المدرسة الجاروخية. فلعل قصده في الذيل أنه لم يبق بيده من المدارس.

(٣) نقل صاحب الذيل على الروضتين عن حضر وفاة الفخر أنه توفي بعد صلاحته الظهر ثم ذكر وفاته مرة أخرى فقال: «وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء». وقد نقل الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام القول الأول لصاحب الذيل على الروضتين. وباقي المصادر لم تذكر الوقت الذي مات فيه أثناء اليوم.

(٤) مرآة الزمان ٦٣٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٠، والوفاء بالوفيات ٩٤/٤.

(٥ - ٥) في م: «سيف الدين».

دمشقَ حينَ خَرَّبَ سُورُ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى أن تُوفِّيَ بها ، وقبرُهُ عندَ قِيَابِ أَتَابِكِ
طَغْيِكِينَ قَبْلِي المُصَلَّى ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

الشيخُ أبو الحَسَنِ الرُّوزْبَهَارِيُّ^(١) ، دُفِنَ بالمَكَانِ المُنْسُوبِ إليه بَيْنَ السُّورَيْنِ
عندَ بابِ الفَرَادِيسِ .

الشيخُ عبدُ الرَّحْمَنِ اليَمَنِيُّ^(٢) كانَ مُقيمًا بالمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، كانَ صَالِحًا زَاهِدًا
وَرِعًا ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ .

الرئيسُ عِزُّ الدِّينِ المُظَفَّرُ بنُ أسْعَدَ بنِ حَمزَةَ التَّمِيمِيِّ بنِ القَلَانَسِيِّ^(٣) ، أَحَدُ
رُؤَسَاءِ دِمَشقَ^(٤) وَكُبْرَائِهَا ، وَجَدَّهُ أَبُو يَعْلى حَمزَةُ ، لَهُ تَارِيخٌ ذَيْلٌ بِهِ عَلَى ابْنِ
عَسَاكِرَ^(٥) ، وَقَدْ سَمِعَ عِزُّ الدِّينِ هَذَا الحَدِيثَ مِنَ الحَافِظِ أَبِي القَاسِمِ ابْنِ عَسَاكِرَ
وغيرِهِ ، وَلَزِمَ مُجَالَسَةَ الكِنْدِيِّ^(٦) وَانْتَفَعَ بِهِ .

الأميرُ الكَبِيرُ أَحَدُ حُجَّابِ الخَلِيفَةِ ، مُحَمَّدُ بنُ سَلِيمَانَ^(٧) بنِ قَتْلَمِشِ بنِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٨
والدراس ١٥٠/٢ ، ١٥١ وقع عنده : «الروزنهاري» .
(٢) في الأصل : «الذي» . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٣١/٨ (القسم الثاني) وعنده «عبد الله»
بدل «عبد الرحمن» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ -
٦٢٠) ص ٥٠٣ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٣٥ .
(٤) في الذيل على الروضتين أنه أحد رؤساء الشام .
(٥) في الذيل أنه صاحب ذيل التاريخ للملك الشام إلى آخر زمنه .
(٦) هو الشيخ تاج الدين الكندي ، كما في الذيل .
(٧) معجم الأدياء ٢٠٥/١٨ وعنده «قطرمش» ، وكنيته «أبو نصر» ، والذيل على الروضتين ص
١٣٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٨ وعنده «قطرمش» ، والوافي
بالوفيات ١٢٥/٣ ، وبغية الوعاة ١١٥/١ وعنده مثل ما في تاريخ الإسلام .

تُزكّا نشاه، أبو^(١) منصور السّمَرَقَنْدِيُّ، وكان من أولادِ الأُمراءِ، وولى حاجبَ الحُجّابِ بالدِّيوانِ العَزيزِ الخَليفَتِي، وكان يَكْتُبُ جيّدًا جدًّا، وله مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بعلومٍ كثيرةٍ، منها الأدبُ وعلومُ الرِّياضَةِ، وعُمَرُ دهرًا، وله شعرٌ حسنٌ، ومن شعره قوله^(٢) :

سِئِمْتُ تَكَاليفَ هَذِي الحَيَاةِ وكرّ^(٣) الصبّاحِ بها والمساءِ
وقد كنتُ كالطفلي في عقله^(٤) قليلَ الصّوابِ كثيرَ الهُراءِ
أنا م إذا كنتُ في مجلسِ وأسهَرُ عندَ دُخولِ العِناءِ
وقصّرَ خَطبِي قِيدُ^(٥) المَشيبِ وطال على ما عتاني عناءِ
وعُودِزْتُ كالفرخِ في عُشِّه وخلّفتُ حلمي وراءَ وراءِ
وما جرّ ذلك غيرُ البقاءِ فكيف^(٦) ترى فعلَ سوءِ^(٧) البقاءِ
وله أيضًا :

إلهي يا كثيرَ العَفْوِ عَفْرًا^(٨) لما أسلّفتُ في زمنِ الشبابِ
فقد سوّدتُ بالآثامِ وجهًا ذليلاً خاضعًا لك في الترابِ
فبيّضه بحسنِ العَفْوِ عنى وسامخني وخفّف من حسابي^(٩)

(١) في م : « بن » .

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٣٥، والوافي بالوفيات ٣/١٢٥ .

(٣) في م : « كذا » .

(٤) في الأصل : « غفلة » .

(٥) في الأصل : « قبل » .

(٦ - ٧) في الأصل : « ترى بسوء فعل » ، وفي م : « بدا سوء فعل » ، وفي الوافي : « ترى سوء فعل » .

والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٧) في م : « عفوا » .

(٨) في م : « عذابي » .

ولما تُؤْفَى ^(١) صُلِّيَ عليه بالنُّظامية ^(١) ، ودُفِن بالشُّونيزية .

ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال :

تَحَاشَيْتُ ^(٢) اللِّقَاءَ لِسُوءِ فِعْلى وَخَوْفًا فِى الْمَعَادِ مِنَ النَّدَامَةِ
فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ عَلَى إِلَهِي وَحَاقَقَ فِى الْحِسَابِ عَلَى قَلَامَةِ
وَكَانَ الْعَدْلُ أَنْ أَصْلَى بِجَحِيمًا نَعَطَفَ بِالْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
وَنَادَانِي لِسَانُ الْعَفْوِ مِنْهُ أَلَا يَا عَبْدُ تَهْنِئِكَ السَّلَامَةُ
أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْمَحَاسِنِ ^(٣) زُهْرَةَ بْنِ الْحَسَنِ ^(٤) بْنِ زُهْرَةَ الْعَلَوِيِّ
الْحُسَيْنِيِّ الْحَلْبِيِّ ، نَقِيبُ الْأَشْرَافِ بِهَا ، كَانَ لَدَيْهِ فَضْلٌ وَعِلْمٌ بِالْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ
وَأَخْبَارِ النَّاسِ وَالتَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ وَالحَدِيثِ ، حَافِظًا لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ،
فَمِنْهُ قَوْلُهُ ^(٥) :

قَدْ رَأَيْتُ الْمَعْشُوقَ وَهُوَ مِنَ الْهَجْرِ بِرِ بَحَالٍ تَنْبُو التَّوَاطُرُ عَنْهُ
أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِ آثَارَ سَوْءٍ وَأَدَالَتْ يَدُ الْحَوَادِثِ مِنْهُ
عَادَ مُسْتَبَدَّلًا وَمُسْتَبَدَّلًا عِزًّا بِذُلِّ كَأَنَّهُ لَمْ يَصُنَّهُ
أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى ^(٦) بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ^(٧) بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْجَلَّاجِيِّ ^(٧) ، مِنْ أَبْنَاءِ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى مصادر الترجمة .

(٢) فى الأصل : « تخافيت » .

(٣) بغية الطلب ٣٨٩/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٧٧ ، والوفى بالوفيات ١٨/١٢ .

(٤) فى الأصل ، م : « على » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٥) انظر بغية الطلب ٣٩٠/٥ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : المختصر المحتاج إليه ٣٩٤/١٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ١٥٥/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٥ .

(٧) فى الأصل : « الخلاخلى » .

الثُّجَارِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ جَمِيلَ الْهَيْئَةِ، يَسْكُنُ بَدَارِ الْخِلَافَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ
[١٠/٩١] عِلْمٌ، وَهُوَ شَعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ:

وَأَيْنَ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ أَيْنَا	خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ
م وَإِنْ غَبَّتْ كَانَ أذُنًا وَعَيْنًا	الذِي إِنْ شَهَدَتْ سَرَّكَ فِي الْقَوِّ
رُ ^(١) جَلَاهُ الْجِلَاءُ ^(٢) فَازْدَادَ زَيْنًا	مِثْلُ ^(٣) سَرِّ الْعَقِيَانِ ^(٤) إِنْ مَسَّهُ النَّا
ك وَإِنْ يَحْتَضِرُ ^(٥) يَكُنْ ذَاكَ شَيْئًا	وَأَخُو السُّوءِ إِنْ ^(٦) يَغِيبُ عَنْكَ يَشْتَفُ
أَنْ يَصِيبَ الْخَلِيلُ إِفْكًَا وَمَيْنًا	جَبِيْبُهُ غَيْرُ نَاصِحٍ وَمُنَاهُ
إِنَّ ^(٧) عَزْمًا لَهُ ^(٨) كَنَفْقِدِكَ دَيْنًا	فَاخْشَ مِنْهُ ^(٩) وَلَا تَلْهَفْ عَلَيْهِ

-
- (١ - ١) فِي م: «العقيق». وسر العقبان: السر من كل شيء: أكرمه وخالصه. والعقبان: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص مما يَحْتَلِطُ بِهِ مِنَ الرَّمَالِ وَالْحِجَارَةِ. الوسيط (س ر ر)، (ع ق ي).
- (٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ: «جلاوه بالجلاء».
- (٣ - ٣) فِي الْأَصْلِ: «تغيب عنه يشرك وإن تحضر».
- (٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ: «فاصر منه».
- (٥ - ٥) فِي الْأَصْلِ: «صزما عليه».

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة

فيها^(١) وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأوتنين إلى الرى، وكانت قد عمّرت قليلاً، فقتلوا أهلها أيضاً، ثم ساروا إلى ساوة^(٢)، ثم إلى قم وقاشان^(٣)، ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة، ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل والسبي، ثم ساروا إلى همذان، فقتلوا أيضاً وسبوا، ثم ساروا خلف الخوارزمية إلى أذربيجان، فكبسوهم^(٤) وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فهربوا منهم إلى تبريز، فلحقوهم وكتبوا إلى ابن البهلوان: إن كنت مصلحاً لنا فابعث إلينا بالخوارزمية، وإلا فانت مثلهم. فقتل منهم خلقاً، وأرسل برؤوسهم إليهم، مع تحف وهدايا كثيرة، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف، والخوارزمية وأصحاب البهلوان^(٥) أضعاف أضعافهم، ولكن ألقى الله تعالى عليهم الخذلان والفسل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها ملك غياث الدين بن^(٦) خوارزم شاه بلاد فارس مع ما فى يده من

(١) الكامل ٤١٩/١٢ - ٤٢٤، ومرة الزمان ٦٣٢/٨، ٦٣٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين

ص ١٤٢ - ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥ - ٧.

(٢) ساوه: مدينة بين الرى وهمذان. معجم البلدان ٢٤/٣.

(٣) فى م: «قاسان». ذكر ياقوت البلدان قاسان وقاشان، وأن قاشان مدينة قرب أصبهان، وأنها تُذكر

مع قم. انظر معجم البلدان ١٣/٤، ١٥.

(٤) فى م: «فكسروهم».

(٥) - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) سقط من: الأصل.

مَمْلُوكَةٌ أَصْفَهَانَ وَهَمْدَانَ .

وفيهما اشتعاد الملك الأشرف مدينة خِلاطٍ مِنْ أخيه شهاب الدين غازي ،
وكان قد جعلها إليه مع جميع بلادِ أَرْمِينِيَّةَ وَمِيَّافَارِقِينَ وَحَانِيَّ (١) وَجَبَلِ جُورَ (٢) ،
وجعله وليَّ عهده من بعده ، فلَمَّا عَصَى عليه وَتَشَعَّبَ (٣) دِمَاغُهُ بِمَا (٤) كَتَبَ إِلَيْهِ
المُعْظَمُ مِنْ تَحْسِينِهِ لَهُ مُخَالَفَتَهُ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَحَاصِرَهُ بِخِلاطٍ ، فَسَلَّمَتْ إِلَيْهِ ،
وَأَمْتَنَعَ أَخُوهُ فِي القَلْعَةِ ، فلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَزَلَ إِلَى أَخِيهِ مُعْتَذِرًا ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ وَلَمْ
يُعَاقِبْهُ ، بَلْ أَقْرَبَهُ عَلَى مِيَّافَارِقِينَ وَحَدَّهَا ، وَكَانَ صَاحِبُ إِزْبِيلَ وَالمُعْظَمُ مُتَّفِقَيْنِ مَعَ
الشُّهَابِ غَازِي عَلَى الأَشْرَفِ ، فَكَتَبَ الكَامِلُ إِلَى أَخِيهِ المُعْظَمِ يَهْدُدُهُ ، لَعَنَ
سَاعِدَ عَلَى الأَشْرَفِ (٥) لِيَأْخُذَنَّ بِلَادَهُ (٥) ، وَكَانَ بَدْرُ الدِّينِ لُؤْلُؤُ صَاحِبِ المَوْصِلِ
مَعَ الأَشْرَفِ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ إِزْبِيلَ ، فَحَاصِرَهُ بِسَبَبِ قَلْعَةِ جُنْدِهِ ؛ لِأَنَّهُ
أَرْسَلَهُمْ إِلَى الأَشْرَفِ حِينَ نَازَلَ خِلاطٍ ، فَلَمَّا انْفَصَلَتِ الأُمُورُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا نَدِمَ
صَاحِبُ إِزْبِيلَ وَالمُعْظَمُ بِدَمَشَقٍ أَيْضًا .

وفيهما أُرْسِلَ المُعْظَمُ وَلَدَهُ النَّاصِرَ دَاوُدَ إِلَى صَاحِبِ إِزْبِيلَ تَقْوِيَةً (٦) عَلَى مُخَالَفَةِ
الأَشْرَفِ ، وَأُرْسِلَ صُوفِيًّا مِنَ الشَّمْسِيَّاسِطِيَّةِ (٧) يَقَالُ لَهُ : المَلْتُقُ . إِلَى جَلَالِ الدِّينِ بِنِ
خُوَارَزْمِ شَاهٍ - وَكَانَ قَدْ أَخَذَ أَدْرَبِيَّجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَوِيَّ جَأْشُهُ - يَتَّفِقُ مَعَهُ

(١) فِي الأَصْلِ ، م : « جاي » . وَالمُثَبِّتُ مِنَ الكَامِلِ . وَانظُرْ مَعْجَمَ البِلْدَانِ ١٨٨ / ٢ .

(٢) فِي الأَصْلِ ، م : « حور » . وَالمُثَبِّتُ مِنَ الكَامِلِ ، وَانظُرْ مَعْجَمَ البِلْدَانِ ١٤٦ / ٢ .

(٣) فِي م : « تشعب » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الأَصْلِ .

(٥ - ٥) فِي م : « لِيَأْخُذَنَّهُ وَبِلَادَهُ » .

(٦) الَّذِي فِي مَرَأَةِ الزَّمَانِ وَالدَّبِيلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ أَنَّ المُعْظَمَ بَعَثَ وَلَدَهُ دَاوُدَ إِلَى صَاحِبِ
إِزْبِيلَ رَهِينَةً .

(٧) فِي م : « الشَّمْسِيَّاسِطِيَّةِ » .

على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرّفاة .

وفيها قدم الملك المسعود أقيسي^(١) صاحب اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية ، ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيلة هائلة ، وأحمال غويد وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ، ومن ينة أقيسي أن ينتزع الشام من يد عمه المعظم .

وفيها كمل عمارة دار الحديث الكاملة بمصر ، وولى مشيختها الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي ، وكان مكثرا ، كثير الفنون ، وعنده فوائد وعجائب ، رحمه الله تعالى .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن علي القادسي^(٢) الصريز الحنبلي ، والد صاحب « الذيل على تاريخ ابن الجوزي » ، وكان القادسي هذا يلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ويؤهره ؛ لما يسمعه من الغرائب ، ويقول : والله إن ذا مليخ . [٩/١٠ ظ] فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير ، فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة : هذا القادسي لا يقرضنا شيئا ، ولا يقول : والله إن ذا مليخ . رحمه الله تعالى ، وقد طلب القادسي مرة إلى دار المشتضىء ليصلي بالخليفة التراويح ، فقيل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال : حنبلي . فقيل^(٣) له : لا تصل بدار الخلافة وأنت حنبلي . فقال : أنا حنبلي ، ولا أصلي

(١) في الذيل على الروضتين : « أطييس » . ولم يتعرض لذكره في الكامل .

(٢) هنا وفيما يأتي : في الأصل : « الفارسي » . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ١٤٣ ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/١٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥٤ .

(٣) في م : « فقال » .

بكم . فقال الخليفةُ : اتركوه ، لا يُصَلِّي بنا إلا هو . (١) فصلَّى بهم .

أبو الكَرَمِ الْمُظْفَرُ بْنُ الْمُبَارِكِ بْنِ أَحْمَدَ (٢) بْنِ مُحَمَّدٍ (٣) الْبَغْدَادِيُّ الْحَقْفِيُّ ،
شَيْخٌ مَشْهُدٌ أَبِي حَنْبَلَةَ وَغَيْرِهِ ، وَلِجِ الْحِسْبَةِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، وَكَانَ
فَاضِلًا دِينًا (٤) شَاعِرًا ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

فَضُنُّ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ نَفْسِكَ وَأَعْتَنِمِ شَرِيفَ الْمَزَايَا لَا يَفُتُّكَ ثَوَابُهَا
تَعِشْ (٥) سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ مُهَذَّبٌ كَرِيمًا وَقَدْ هَانَتْ عَلَيْكَ صِعَابُهَا
وَتَنْدَرِجُ الْأَيَّامُ وَالْكَلُّ ذَاهِبٌ يُمُرُّ (٦) وَيَقْنَى عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَرٌّ يَوْمَ وَلِيلَةٍ وَمَا الْعَمْرُ إِلَّا طَيْبٌهَا وَذَهَابُهَا
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا (٧) فِي إِخَاءٍ عَزِيمَةٍ فَتَيْلُ (٨) الْمَعَالِي صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا
وَدَعَّ عَنْكَ الْإِلْمَامُ (٩) الْأَمَانِي فَإِنَّهُ سَيُسْفِرُ يَوْمًا غَيْبُهَا وَصَوَابُهَا

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ (١٠) بْنِ مَعَالِي (١١) بْنِ بَرَكَةَ ، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ١٨٠/٥ ، وتاريخ الإسلام
حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٩ ، والجواهر المضية ٤٨٨/٣ .

(٣) في الأصل : «أديا» .

(٤) في م : «وعش» .

(٥) في م : «قليل» .

(٦ - ٦) في الأصل : «ادخار» .

(٧) في م : «وفيك» .

(٨) في م : «أحلام» .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر الترجمة : المختصر المحتاج إليه ٩٦/١٥ ، والتكملة
لوفيات النقلة ١٩٠/٥ ، وفيه : «ابن أبي المعالي» ، ومعرفة القراء الكبار ٤٨٩/٢ ، وتاريخ الإسلام
حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٨ ، والوفائي بالوفيات ٣١٩/٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى
للسبكي ١١٤/٨ .

المَوْصِلِيُّ، قَدِمَ بَغدَادَ، وَاشْتَغَلَ بِالنُّظَامِيَّةِ، وَأَعَادَ بِهَا، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ
بِالْقِرَاءَاتِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَأَسْنَدَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ شَعْرٌ
لَطِيفٌ.

أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَلْبَةَ الْمَوَازِينِيُّ الْبَغْدَادِيُّ^(١)، كَانَ فَرْدًا فِي عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ وَصِنَاعَةِ
الْمَوَازِينِ، يَخْتَرِعُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً^(٢) عَجِيبَةً، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ثَقَّبَ حَبَّةَ خَشْخَاشٍ سَبْعَةَ
ثُقُوبٍ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ ثُقْبٍ شَعْرَةً، وَكَانَتْ لَهُ حُظُورَةٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ.

أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ^(٣) بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الدُّبَيْثِيُّ^(٤) الْبَيْعُ
الْوَاسِطِيُّ، شَيْخٌ أَدِيبٌ فَاضِلٌ، لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، عَارَفٌ بِالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ، وَعِنْدَهُ
كُتُبٌ جَيِّدَةٌ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ شَرَحَ قَصِيدَةَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ،
وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِيِّ شَعْرًا حَسَنًا فَصِيحًا حُلُومًا، لَذِيذًا فِي السَّمْعِ، لَطِيفًا فِي
الْقَلْبِ.

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ١٧٩/٥، والوفائي بالوفيات ٦/٢٨٣، وفوات الوفيات ١/٦٢، وفيه وفي الوفاي أنه توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وهي سنة ميلاده في التكملة.

(٤) في الأصل: «الزنبلي»، وفي م: «الدبيبي». والمثبت من مصادر ترجمته.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة

فيها^(١) عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مَقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه ، وحاصروا مُدنه ، ونهبوا قراه .

وفيها استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثير من بلاد الكرج ، وكسر الكرج ، وهم في سبعين ألف مقاتل ، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة ، واستفحل أمره جداً ، وعظم شأنه ، وفتح تفليس ، فقتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم أبو شامة^(٢) أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقاً^(٣) سبّه أهلها ، ففتحها قهراً ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وخرّب سورها ، وعزم على قصد [١٠ / ١٠] الخليفة ببغداد ؛ لأنه فيما زعم عميل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتار على البلاد ، وكتب إلى المعظم بن العادل يستدعيه لقتال الخليفة ، ويحرضه على ذلك ، فامتنع المعظم من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك ، وحصن بغداد ، واشتخدم

(١) الكامل ٤٢٥/١٢ - ٤٤٩ ، ومرآة الزمان ٦٣٤/٨ - ٦٣٩ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٤ - ١٤٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨ - ١٢ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٤ . وفيه أنه قتل في فتح تفليس سبعين ألفاً . وهو خطأ ، والصواب ثلاثون ألفاً . كما في مرآة الزمان .

(٣ - ٣) في الأصل : « سنة » .

الجُيُوشِ والأجنادَ، وأتفقَ في الناسِ ألفَ ألفِ دينارٍ، وكان جلالُ الدينِ قد بعثَ جيشًا إلى الكُوجِ، فكَتَبوا^(١) إليه أن أدرِ كُنَّا قبلَ أن نَهْلِكَ عن آخِرِنَا، وبغدادُ ما تَفُوتُ. فسارَ إليهم وكان مِن أمرِهِ ما ذَكَرناهُ.

وفيها كان غَلَاءٌ شديدٌ بالعراقِ والشامِ بسببِ^(٢) قلةِ الأمطارِ وانتِشارِ الجرادِ، ثم أعقَبَ ذلكَ فَنَاءٌ كثيرٌ بالعراقِ والشامِ أيضًا، مات بسببِهِ خلقٌ كثيرٌ في البُلدانِ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر^(٣)

لما كان يومُ الأحدِ آخرُ يومٍ من شهرِ رمضانَ المُعظَمِ مِن هذه السنةِ تُوفِّي الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُستَضَيِّ بِأمرِ اللهِ^(٤) أبي محمدِ الحسينِ بنِ المُستَجدِ باللهِ^(٥) أبي المُظفَرِ يوسفَ بنِ المُقتَدى لِأمرِ اللهِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ المُستَظهِرِ باللهِ^(٥) أبي العباسِ أحمدَ بنِ المُقتَدى بِأمرِ اللهِ أبي القاسمِ

(١) في الأصل: «فبعثوا».

(٢) لم نجد سبب الغلاء فيما بين أيدينا من مصادر.

(٣) الكامل ٤٣٨/١٢ - ٤٤٤، وانظر ترجمة الناصر في: المختصر المحتاج إليه ١٥/١٠٢، ومرة الزمان ٦٣٥/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٢٤٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٩٢/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٣، والوفاء بالوفيات ٣١٠/٦.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته، ومما سيأتي صفحة ٢٦٣.

(٥ - ٥) في م: «أبي عبد الله».

عبد الله بن الذخيرة^(١) محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله
أبي العباس^(٢) أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله
أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد محمد بن المتوكل على الله جعفر بن
المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله
أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، وُلد ببغدادَ عاشرَ رَجَبِ سنة ثلاث وخمسين
وخمسمائة، وتُويج له بالخِلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين، وتُوفى في
هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يومًا، وكانت مدة
خِلافته سبعمائة وأربعين سنة إلا شهرًا، ولم يُقَم أحدٌ من الخلفاء العباسيين في الخِلافة
هذه المدة الطويلة، ولم تُطل مدة أحدٍ من الخلفاء مطلقًا أكثر من المُستنصر
العبيدي، أقام بمصرَ حاكمًا بها ستين سنة، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة
وولي عهد على ما رأيت، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه،
وكان مرضه قد طال به، وجمهوره من عسارِ البول، مع أنه قد كان يُجَلِب له
الماء من مراحل عن بغدادَ ليكونَ أضفى، وشقَّ ذكْرُه مراتٍ بسبب ذلك، ولم
يُغْن عنه هذا الحذرُ^(٣) شيئًا، وكان الذي ولي غسَله مُحْيِي الدين يوسف بن
الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وصُلِّي عليه ودُفِن في دارِ الخِلافة، ثم نُقِل إلى
الثرب من الرِّصافة في ثاني ذى الحِجَّة من هذه السنة، وكان يومًا مشهودًا.

قال ابن الساعي: أما سيرته فقد تقدّمت في الحوادث. وأما ابن الأثير في

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في الأصل: «الحدث»

« كامليه » فإنه قال^(١) : وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، والأخرى يُبصرُ بها إِبصارًا ضَعيفًا ، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يومًا ومات ، ووزر له عِدَّةُ وُزراء ، وقد تقدّم ذكرهم ، ولم يُطْلَق في أيام مرضه ما كان أحدثه^(٢) من الرسوم الجائرة ، وكان قَبِيح السَّيرَة في رَعِيته ظالمًا لهم ، فخرَّب في أيامه العراق ، وتفرَّق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأثلاثهم ، وكان يفعلُ الشىءَ وضدّه ؛ فمن ذلك أنه عمِل دُور الإفطار في رمضان ودُورًا لضيافة الحُجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط [١٠/١٠] ط] مُكوسًا ثم أعادها ، وجعل جُلَّ همّه في رَمِي البُنْدُقي ، والطَّيُورِ المناسيب ، وسراويلاتِ الفُتُوَّة .

قال ابن الأثير^(٣) : وإن كان ما ينسبُه العجم إليه صحيحًا من أنه هو الذى أطمع التتار في البلاد وراسلهم ، فهو الطامئة الكبرى التى يصغرُ عندها كلُّ ذنبٍ عظيم .

قلت : وقد ذُكر عنه أشياء غريبة ؛ من ذلك أنه كان يقول للرسل الوافدين عليه : فعلتُم في مكانٍ كذا وكذا ، وفي الموضوع الفلانيّ كذا . حتى ظنَّ بعضُ الناس أو أكثرهم أنه كان يُكاشفُ ، أو أن جنيًا يأتيه بذلك^(٤) . والله أعلم .

(١) الكامل ١٢ / ٤٤٠ .

(٢) فى الأصل : « أخذهُ » .

(٣) المصدر السابق ١٢ / ٤٤٠ .

(٤) رجح هذا الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٧ ، وسير

أعلام النبلاء ٢٥ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

(١) خلافة الظاهر بن الناصر

لما تُوفِّي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ، ولقبه بالظاهر ، وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتُوفِّي في حياة أبيه سنة ثنتي عشرة ، فاحتاج إلى إعادة هذا إلى ولاية العهد ، فخطب له ثانيًا ، فحين تُوفِّي أبوه بُويع له بالخلافة ، وعمره يومئذ ثمان وخمسون سنة ، فلم يَلِ الخلافة أحدٌ من بني العباس أسنُّ منه ، وكان عاقلاً وقوراً دَيِّباً عادلاً مُحْسِنًا ، رَدَّ مَظَالِمَ كثيرة ، وأسقط مَكُوسًا كان قد أخذتها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعدل منه لو طالت مدته . لكنه لم يخل عليه الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر ، أسقط الخراج الماضي عن الأراضى التى قد تعطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة - وهى بعقوبا - سبعين ألف دينار كان أبوه قد زادها عليهم فى الخراج ، وكانت صنجة المخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار فى كل مائة إذا قبضوا ، وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد ، فكتب إلى الديوان : ﴿ وَيَلِّ الْمُطْفِفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ : ٦] فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين ، إن تفاوت هذا عن العام الماضى خمسة وثلاثون ألفاً . فأرسل يُنكرُ عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمائة ألف

(١) الكامل ١٢ / ٤٤١ ، ومرة الزمان ٦٣٦ / ٨ (القسم الثانى) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

وخمسين ألفاً . رحمه الله تعالى .

وأمر القاضى أن كلَّ من ثبت له حقٌّ بطريقٍ شرعىٍّ يُوصَلُ إليه بلا مُراجعةٍ ، وأقام فى النَّظَرِ على الأموالِ الحشريةِ ^(١) رجلاً صالحاً ، واشتخَلَصَ على القَضَاءِ الشيخَ العَلَمَةَ عِمَادَ الدينِ أبا صالحٍ نصرَ بنَ عبدِ الرَّزَاقِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجليليِّ ، الحنبليِّ ، فى يومِ الأربعاءِ ثامنِ ذى الحِجَّةِ ، وكان من خيارِ المسلمين ومن خيارِ القضاةِ العادلينَ ، رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ . ولما عُرضَ عليه القَضَاءُ لم يَقْبَلْهُ إلا بشرطٍ أن يُورَثَ ذَوَى الأَرْحَامِ ، فقال : أعطِ كلَّ ذى حقِّ حَقَّهُ ، واتَّقِ اللهُ ولا تَتَّقِ سِوَاهُ . وكان من عادةِ أبيه أن يَزِفَعَ إليه حُرَّاسُ الدُّرُوبِ فى كلِّ صَبَاحٍ بما كان عندهم فى الحَمَالِ من الاجتماعاتِ الصالحةِ والطالحةِ ، فلما ولى الظاهرُ أمرَ بِنَبْطِيلِ ذلك كَلَّهُ وقال : أى فائدة فى كشفِ أحوالِ الناسِ وهنَّكَ أَسْتارِهِمُ ؟! فقيل له : إن تركَ ذلك يُفْسِدُ الرَّعِيَةَ . فقال : نحن [١١٠ / ١١٠] نَدْعُو اللهُ لَهُمُ أَنْ يُصَلِّحَهُمْ . وأطْلَقَ مَنْ كان فى السجونِ مُعْتَقَلاً على الأموالِ الدِّيوانيةِ ، وردَّ عليهم ما كان اسْتُخْرِجَ منهم قَبْلَ ذلك من المظالمِ ، وأرْسَلَ إلى القاضى بعشرةِ آلافِ دينارٍ يُوفِّى بها دُيُونَ مَنْ فى سجونِهِ من المَدِينِينَ الذين لا يَجِدُونَ وَفَاءً . وفرَّقَ فى العُلَمَاءِ بَقِيَّةَ المائَةِ أَلْفٍ ^(٢) ، وقد لَامَهُ بعضُ الناسِ فى هذه التَّصَرُّفَاتِ فقال : إِنَّمَا فَتَحْتُ الدُّكَّانَ بَعْدَ العَصْرِ ، فَذَرُونِي أَعْمَلُ صَالِحاً وَأَفْعَلُ خَيْرَ ، فكم مِقْدَارُ ما بَقِيَتْ أَعِيشُ ؟ ولم تَزَلْ هذه سِيرَتَهُ حتى تُوفِّى فى العامِ الآتِي كما سيأتِي . وَرَخَّصَتْ الأَسْعَازُ فى أَيامِهِ ، وقد كانت قَبْلَ ذلك فى غَايَةِ الشَّدَّةِ وَالْعَلَاءِ ، حتى إنه فيما حَكَى ابنُ

(١) فى م : « الجردة » . وانظر ما تقدم فى ٢٨٧ / ١٥ .

(٢) ذلك أنه تصدق وأنفق فى ليلة الفطر أو النحر - على خلاف ما فى الكامل والسير - مائة ألف دينار على العلماء وأهل الدين . انظر الكامل ٤٤٤ / ١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٦٥ .

الأثير^(١) - أكلت الكلاب والسناييز والميتات ببلاد الجزيرة والموصل، فزال ذلك في أيامه، ولله الحمد، وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل، مليح الوجه، أبيض مشرباً حمرة، حلو الشمائل، شديد القوى.

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

أبو الحسن عليّ - الملقب بالملك الأفضل - نور الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب^(٢)، كان وليّ عهد أبيه، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين، ثم أخذها منه عمه العادل، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز عثمان، فأخذها منه أيضاً عمه العادل أبو بكر، ثم اقتصر على صرّحّد، فأخذها منه عمه العادل، ثم آل به الحال أن ملك سُميساط، وبها تُوفى في هذه السنة، وكان فاضلاً شاعراً، جيد الكتابة، ونُقل إلى مدينة حلب فدُفن بظاهرها، رحمه الله تعالى. وقد ذكر ابن خلكان^(٣) أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان، وكان الناصر شيعياً مثله فقال :

مولاي إن أبا بكرٍ وصاحبَه	عثمان قد غصبا بالسيفِ حقّ على
وهو الذي كان قد ولّاه والدُه	عليهما فاستقام الأمر حين ولى
فخالفاه وحلّاه عَقَدَ بَيْعَتِه	والأمرُ بينهما والنصُّ فيه جلي
فأنظرُ إلى حظِّ هذا الإِسْمِ كيف لَقِيَ	من الأواخرِ ما لاقى من الأوّلِ

(١) الكامل ٤٤٧/١٢.

(٢) الكامل ٤٢٨/١٢، ومرآة الزمان ٦٣٧/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٢٠٨/٥، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، ووفيات الأعيان ٤١٩/٣، ونهاية الأرب ١٣٧/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٩٤/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٣.

(٣) وفيات الأعيان ٤٢٠/٣.

الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندري^(١) ،
 وكان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ، ووقف بها مدرستين ؛
 إحداهما على الشافعية ، والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير
 ذلك من سبل الخيرات والغزوات ، رحمه الله .

الشيخ علي الكزدئي المؤله^(٢) المقيم بظاهر باب الجابية . قال الشيخ أبو
 شامة^(٣) : وقد اختلفوا فيه ؛ فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ،
 وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ما رآه أحد يصلي^(٤) ولا يصوم^(٥) ولا لبس مَداسًا ، بل
 كان يدوس الثجاسات^(٦) ، ويدخل المسجد على حاله^(٧) . وقال آخرون : كان له
 تابع من الجين يتحدث على لسانه .

وحكى السبسط^(٨) عن امرأة قالت : جاء خبير عن أمي باللاذقية أنها ماتت ،
 وقال لي بعضهم : إنها لم تمت . قالت : فمررت به وهو قاعد عند المقابر ،
 فوقف عنده ، فرفع رأسه وقال : ماتت ماتت ، أيش تعملين ؟ فكان كما قال .
 قال : وحكى لي عبد الله صاحبي قال : جعت^(٩) يومًا وما كان معي شيء ،

(١) في الأصل : « حيدر » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٣٧/٨ ، (القسم الثاني) ، والذيل على
 الروضتين ص ١٤٥ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٩ .
 (٢) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
 ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٦ .
 (٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .
 (٤ - ٥) سقط من : الأصل .
 (٥ - ٥) في الأصل : « ويبول على ثيابه » وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .
 (٦) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثاني) .
 (٧) في م : « صبحت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .

فاجْتَزَتْ به ، فدَفَعَ إلَيَّ نِصْفَ دَرَهْمٍ وَقَالَ : يَكْفِي هَذَا لِلخَبِزِ وَالْعَنْبَرِيسِ^(١) .
 قَالَ : وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى الخَطِيبِ جَمَالِ^(٢) الدِّينِ الدَّوْلَعِيِّ فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ
 عَلِيٍّ ، قَدْ أَكَلْتُ الْيَوْمَ كُسَيْرَاتِ يَابَسَةٍ ، وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، فَكَفَّتْنِي . فَقَالَ لَهُ
 الشَّيْخُ [١١٠ / ١١٠] عَلِيُّ الكُرْدِيُّ : وَمَا تَطَلَّبُ نَفْسُكَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ هَذَا ؟ قَالَ :
 لَا . فَقَالَ : يَا مِسْكِينُ ، مَنْ يَقْنَعُ بِكُسْرَةٍ يَابَسَةٍ يَحْبِسُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ
 المَقْصُورَةِ^(٣) ، وَلَا يَقْضِي مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الحَجِّ !

الفَخْرُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيِّ^(٤) ، عَالِمٌ وَمُفْتِيٌّ^(٥) وَخَطِيبٌ وَوَاعِظٌ ، اسْتَعَلَّ عَلَى
 مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَبَرَعَ فِيهِ وَبَرَزَ وَحَصَّلَ ، وَجَمَعَ تَفْسِيرًا حَافِلًا فِي مُجَلَّدَاتٍ
 كَثِيرَةٍ ، وَلَهُ الخُطْبُ المَشْهُورَةُ المَنْسُوبَةُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ عَمُّ الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ صَاحِبِ
 « المُنْتَقَى » فِي الأَحْكَامِ ، قَالَ أَبُو المَظْفَرِ سِبْطُ ابْنِ الحَوْزِيِّ^(٦) : سَمِعْتُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ
 بَعْدَ الصَّلَاةِ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ يُنْشِدُ :

أَحْبَابِنَا قَدْ نَذَرْتُ مُقْلَتِي مَا تَلْتَقِي بِالنَّوْمِ أَوْ^(٧) تَلْتَقِي
 رِفْقًا بِقَلْبِ مُعْزِمٍ وَاعْطِفُوا عَلَى سِقَامِ الجَسَدِ المَحْرَقِ

(١) فِي م : « الفَت بَدِيس » ، وَفِي الذِّيلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ : « السَعْتَرِيس » . وَالمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ .

(٢) فِي الأَصْلِ : « كَمَال » .

(٣) بَعْدَهُ فِي الأَصْلِ : « وَيَحْصُرُ نَفْسَهُ هَذَا الحِصْر » .

(٤) التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٢٠٦ / ٥ ، وَالذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٤٦ ، وَوَفِيَاتِ الأَعْيَانِ ٣٨٦ / ٤ ، وَتَارِيخُ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٣ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : م .

(٦) الذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٤٦ .

(٧) فِي الأَصْلِ : « إِذ » .

كم تَمْطُلُونِي بِلِيَالِي اللَّقَا قَد ذَهَبَ الْعَمْرُ وَلَمْ نَلْتَقِ
وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَدِمَ بَغْدَادَ حَاجًّا بَعْدَ وَفَاةِ شَيْخِهِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ،
وَوَعَّظَ بِهَا فِي مَكَانِ شَيْخِهِ ^(١) .

الْوَزِيرُ ابْنُ شُكْرِ، صَفِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ
ابْنِ شُكْرِ ^(٢)، وُلِدَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِدَمِيرَةَ ^(٣) بَيْنَ مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وْخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَّتِهِ عِنْدَ مَدْرَسَتِهِ بِمِصْرَ، وَقَدْ وَزَرَ لِلْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَعَمِلَ
أَشْيَاءَ ^(٤) فِي أَيَّامِهِ، مِنْهَا تَبْلِيغُ جَامِعِ دِمَشْقَ، وَأَحَاطَ سُورَ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ، وَعَمِلَ
الْفَوَارَةَ وَمَسْجِدَهَا وَعِمَارَةَ جَامِعِ الْمِزَّةِ، وَقَدْ نُكِبَ وَعُزِلَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ
وَسِتِّمِائَةٍ، وَبَقِيَ مَعْزُولًا إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، وَقَدْ كَانَ مَشْكُورَ
السِّيَرَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ ظَالِمًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُظْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَزْنَئِيِّ،
الْوَاعِظُ الْبَغْدَادِيُّ ^(٥)، أَخَذَ الْفَرَّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَسَمِعَ
الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي الزَّهْدِ:

(١) فِي م: «وَعِظَهُ».

(٢) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧٧/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٥/٢٣٤، وَالدَّبِيلُ عَلَى الرَّوَضَتَيْنِ ص
١٤٧، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩/١٣٠، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٢/٢٩٤، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ
٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٩، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ ١٧/٣٢٧.

(٣) دَمِيرَةُ: قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ بِمِصْرَ قَرِبَ دَمِيَاطَ، وَهِيَ دَمِيرَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَقَابِلُ الْأُخْرَى عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ فِي
طَرِيقِ مَنْ يَرِيدُ دَمِيَاطَ. وَمِصْرَ: الْفُسْطَاطُ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢/٩٠٢، ٣/٨٩٦.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «أَنْشَاءٌ».

(٥) تَارِيخُ رِبْلِزِ ١/١٥٥، وَتَكْمَلَةُ الْإِكْمَالِ لِابْنِ نَقِطَةَ ١/٣٧٦، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٥/٢٠٢،
وَإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٩، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ ٦/١٤٧، وَالدَّبِيلُ عَلَى
طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ٢/١٤٩.

ما هذه الدنيا بدارٍ مَسْرَّةٍ فتَحَوُّفِي مَكْرًا لها وِخْدَاعًا
 بينا الفَتَى فيها يُسَرُّ بنفسِه وبِمالِه يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعًا
 حتى سَقَتَه مِنَ المَنِيَّةِ شَرْبَةً وَحَمَتَه مِنْهُ ^(١) بَعْدَ ذاك رِضَاعًا
 فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهينَةً لا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَاهُ دِفَاعًا
 لو كان يُنْطِقُ قال مِن تَحْتِ الثَّرَى فليُحْسِنِ العَمَلَ الفَتَى ما اسْطَاعًا

البهاء السُّنْجَارِيُّ، أبو السَّعَادَاتِ أَسْعَدُ بْنُ يَحْيَى ^(٢) بنِ مُوسَى، الفَقِيهُ
 الشَّافِعِيُّ الشَّاعِرُ، قال ابنُ خُلْكَانَ ^(٣): كان فقيهاً، وتكلم في الخلاف، إلا أنه
 غلب عليه الشعرُ، فأجاد فيه، واشتهر به، وخدم به الملوك، وأخذ منهم الجوائز،
 وطاف البلادَ، وله ديوانٌ بالثُّزْبَةِ الأَشْرَفِيَّةِ بدمشقَ، ومن رقيقِ شعرِه ورائقِه قولُه:

وهواك ما خطر السُّلُوُّ بِمالِه ولأنتَ أَعْلَمُ في العَرامِ بِحالِه
 ومتى وشى واشٍ إليك بأنَّه سألِ هَواكَ فذاك مِن عُدَّالِه
 أو ليس للكَلِيفِ المَعْتَى شَاهِدٌ مِن حالِه يُغْنِيكَ عن تَسْأَلِه
 جَدَّدَتْ ثوبَ سَقامِه وَهتَكَتْ سَتُّ رَ عَرامِه وَصَرَمَتْ حَبْلَ وَصالِه
 وهى قصيدةٌ طويلةٌ ائْتَدَحَ فيها قاضِي القضاةِ كمالَ الدينِ الشَّهْرُزُورِيُّ.

وله:

لِلَّهِ أَيَّامِي عَلَى راميةٍ وَطيبُ أوقاتِي عَلَى حَاجِرِ

(١) في م: «فيه».

(٢) في النسخ «محمد». والمثبت من مصادر ترجمته؛ خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤٠١/٢،
 والتكملة لوفيات النقلة ٢٠٥/٥، وبغية الطلب ٧١/٤، ووفيات الأعيان ٢١٤/١، وسير أعلام النبلاء
 ٣٠٢/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠١، وطبقات الشافعية الكبرى
 للسبكي ١٢٩/٨.

(٣) وفيات الأعيان ٢١٤/١.

تَكَادُ لِلشُّرْعَةِ فِي مَرِّهَا أَوْلُهَا يَعْثُرُ بِالْآخِرِ
وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة.

عثمانُ بنُ عيسى بنِ دِرْبَاسِ بنِ فَيْرٍ^(١) بنِ جَهْمِ بنِ عَبْدِوَيْسِ الهَذْبَانِيِّ
المَارَانِيِّ ضِيَاءُ الدِّينِ، أَخُو القَاضِي صَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ المَلِكِ حَاكِمِ الدِّيَارِ [١٠٢/
١٢] المِصْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، وَضِيَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ شَارِحُ «المُهَذَّبِ»،
وَصَلَ فِيهِ إِلَى كِتَابِ الشَّهَادَاتِ فِي نَحْوِ مِائَتَيْ عَشْرِينَ مُجَلَّدًا، وَشَرَحَ «اللَّمَعَ» فِي
أَصُولِ الفِقْهِ وَ«التَّنْبِيَةَ» لِلشُّيرَازِيِّ، وَكَانَ بَارِعًا عَالِمًا بِالمُذْهَبِ، رَحِمَهُ اللهُ
تَعَالَى.

أبو الحسنِ عَلِيِّ بنِ الحَسَنِ الرَّازِيِّ ثمَّ البَغْدَادِيِّ الوَاعِظُ^(٢)، عِنْدَهُ فَضَائِلُ،
وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي الرُّهْدِ:

اسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِمَوْتٍ وَاسْعِي لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَلَا مِنَ المَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سُو ف تَرُدِّينَ وَالعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينِ وَالحَوَادِثُ لَا تَسُدُّ هُوَ وَتَلْهِينِ وَالمَنَايَا تَجِدُّ

(١) فِي م: «قَسْر». وَانظُر تَرْجَمَتَهُ فِي: التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ١٣٦/٣، وَوَفِيَاتِ الأَعْيَانِ ٢٤٢/٣،
وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٠١ - ٦١٠) ص ٩٧، وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الكَبِيرَى لِلسَّبْكِى ٨/
٣٣٧، وَمِرْآةُ الجَنَانِ ٣/٤.

وَجَاءَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ المَصَادِرِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةَ، وَلَعَلَّ المَصْنِفَ أَرَادَ أَنْ يَتَرَجَّمُ لِابْنِهِ إِبرَاهِيمَ بنِ
عِثْمَانَ، فَهُوَ الذِّي تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ، أَيْ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةَ.

وَانظُر تَرْجَمَةَ ابْنِهِ فِي: التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٢٤٧/٥، وَتَارِيخِ إِربِلَ ٢١٥/١، وَسِيرِ أَعْلَامِ النِّبْلَاءِ
٢٢/٢٩٠، وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٨.

(٢) لَمْ يَجِدْ لَهُ تَرْجَمَةَ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَصَادِرِ.

لا تُرَجِّى البَقَاءَ فى مَعْدِنِ المَو
 تِ «وَدَارِ حُثُوفِهَا لَكَ» وَرَدُّ
 أَى مُلْكِ فى الأَرْضِ أَمْ أَى حِظِّ
 لَامِرِي حِظَّهُ مِنَ الأَرْضِ لِحُدِّ
 كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَادَةَ أَيِّ
 أَمِ عَلَيْهِ الأَنْفَاسُ فىهَا تُعَدُّ
 أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ
 «الزَيْتُونِيّ البَوَارِيجِيّ»^(٢) ثُمَّ البَغْدَادِيّ،
 شَيْخٌ فَاضِلٌ، لَهُ رِوَايَةٌ، وَمَا أَنْشَدَهُ:

ضَيِّقُ العَدْرِ فى الضَّرَاعَةِ أَنَا
 لَوْ قِنَعْنَا بِقَسَمِنَا لَكَفَانَا
 مَا لَنَا نَعْبُدُ العِبَادَ إِذَا كَانُوا
 نِ إِلَى اللَّهِ فَقَرْنَا وَغَنَانَا
 أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بنُ
 «نَصْرِ اللَّهِ»^(٣) بنِ عَلِيِّ بنِ مَنْصُورِ بنِ الكَيْثَالِ
 الوَاسِطِيّ، مِنْ بَيْتِ الفِقْهِ والقَضَاءِ، وَكَانَ أَحَدَ المُعَدِّلِينَ ببَغْدَادَ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

فَتَبًّا لَدُنِيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
 تُرِيكَ جَمَالًا^(٤) فى الثَّقَابِ وَزُخْرُفًا
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

إِنْ كُنْتُ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ^(٥) تَسَامَحْتُ
 أَوْ كُنْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ نَاطِرًا
 بِالغَمَضِ^(٦) أَجْفَانِي فَمَا أَجْفَانِي
 حُسْنًا بِإِنْسَانِي^(٧) فَمَا أَنْسَانِي

(١ - ١) فى م: «وَلَا أَرْضًا بِهَا لَكَ».

(٢ - ٢) فى الأَصْل «الرَّمُوى التَّوَارِيجِيّ»، وَفى م: «الرَّمُوى البَوَارِيجِيّ». وَالمُثَبَّتُ مِنْ مِصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ؛ التَّكْمَلَةُ لوفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٢١٢/٥، وَتَارِيخُ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٢، وَالدَّبِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ ١٦٢/٢.

(٣ - ٣) فى الأَصْل: «نَصْر». وَلَمْ نَجِدْ لَهُ تَرْجَمَةَ.

(٤) فى م: «رُوءَاءَ». وَالرَّوَاءُ: المَنْظَرُ الحَسَنُ.

(٥) فى م: «الطَّاعِنِينَ».

(٦) فى م: «بِالغَمَضِ».

(٧) الإِنْسَانُ هُنَا: إِنْسَانُ العَيْنِ، وَهُوَ المِثَالُ الذِّى يُرَى فى السَّوَادِ. اللِّسَانُ (أَنْ س).

الدهر مغفورٌ له زَلَّاتُهُ إن حاد^(١) أوطاني على أوطاني
 أبو عليّ الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمّار بن
 فِهْر بن وقاح الياسريّ^(٢)، نسبةً إلى عمّار بن ياسر، شيخ بغداديّ فاضلٌ، له
 مُصَنَّفَاتٌ في التفسيرِ والفرائضِ، وله خُطَبٌ ورسائلٌ وأشعارٌ حسنةٌ، وكان
 مقبولَ الشهادة عند الحكّام.

أبو بكر^(٣) محمد بن يوسف بن الطَّبَّاح الواسطيّ البغداديّ الصوفيّ،
 باشر بعضَ الولاياتِ ببغدادَ، وما أنشدَه:

ما وهب الله لامرئٍ هبةً أحسنَ من عقله ومن أدبه
 هما^(٤) جمالُ الفتى فإن فُقدَا فَقَدَهُ للحياةِ أجملُ به
 ابنُ يونسَ شارحُ «التَّنبِيه»^(٥) أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الشيخِ العلامةِ كمالِ
 الدينِ أبي الفتحِ موسى بن يونسَ بن محمدِ بن منعةِ بن مالكِ بن محمدِ بن سعيدِ
 ابنِ سعيدِ بن عاصمِ بن عابدِ بن كعبِ بن قيسِ بن إبراهيمِ الإزبليّ الأصلِ، ثم
 الموصلِيّ، من بيتِ العلمِ بها والرِّياسَةِ، اشتغل على أبيه في فنونه وعُلوْمِهِ، فبرع
 وتقدّم ودرّس، وشرح كتابَ «التَّنبِيه»، واختصر «إحياءَ علومِ الدين» للغزاليّ

(١) في م: «عاد».

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٤، والوفاي بالوفيات ١٦٨/١٢،
 وطبقات الشافعية للسبكي ٦٥/٧.

(٣) بعده في الأصل: «بن». وانظر ترجمته في تاريخ إربل ١٩٧/١.

(٤) في م: «نعما».

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٢١٧/٥، ووفيات الأعيان ١٠٨/١ - وجاء نسبه تاما، وفيه: «عائد» بدل
 «عابد» - وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٤،
 ومراة الجنان ٤/٢٥٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٩/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٧٢/٢.

مرتين صغيرًا وكبيرًا، وكان يُدرّسُ منه .

قال ابنُ خُلُكَانَ^(١) : وقد ولى بإزبِلَ مدرسةَ الملكِ المُظفَّرِ بعدَ موتِ والدي
فى سنةٍ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكُنْتُ أَحْضُرُ عِنْدَهُ وَأَنَا صَغِيرٌ ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يُدْرِّسُ
مِثْلَهُ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَلَدِهِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ ، وَمَاتَ فِي يَوْمِ الْاِثْنِينَ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ
مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) وفيات الأعيان ١٠٨/١ .

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وعشرين وستمائة

فيها^(١) التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج، فكسرتهم كسرة عظيمة، وصمد إلى أكبر معاقبتهم تفلين، ففتحها عنوة، وقتل من فيها من الكفرة، وسبى ذراريهم،^(٢) ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها^(٣)، واستقر ملكه عليها، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنفذها منهم جلال الدين هذا، فكان فتحاً عظيماً، ولله الحمد والمثنة.

وفيها سار إلى خِلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف، فلم يتمكن من أخذها، وقاتله أهلها [١٠/١٢٠ظ] قتالاً عظيماً، فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائيه بمدينة كزمان وخلافه له، فسار إليه^(٣) وتركهم.

وفيها اضطلع الملك الأشرف مع أخيه المعظم، وسار إليه إلى دمشق، وقد كان المعظم مماليقاً عليه مع جلال الدين وصاحب إزبل وصاحب ماردين وصاحب الروم، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، ثم اشتمال أخاه المعظم إلى ناحيته فقوى جانبه.

(١) الكامل ١٢/٤٥٠ - ٤٦٨، ومرة الزمان ٦٢٩/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣ - ١٩.
(٢) في الكامل ١٢/٤٥١: «ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره».
(٣) في م: «إليهم».

وفيهما كان قتالٌ كبيرٌ بينَ بَرْنَسٍ^(١) أنطاكيَّةَ وبينَ الأُرْمَنِ، وجرتْ حُطُوبٌ كثيرةٌ بينهم.

وفيهما أُوذِعَ الملكُ جلالُ الدينِ بالثُّرُكمانِ الإيوانيةِ بأَسًا شديدًا، وكانوا يَقطَعونَ الطريقَ على المسلمين.

وفيهما قدِمَ مُحيى الدينِ يوسُفُ بنُ الشَّيخِ جَمالِ الدينِ بنِ الجُوزيِّ من بغدادَ في الرِّساليةِ إلى الملكِ المُعظَمِ بدمشقَ، ومعه الخِلاَعُ والتَّشاريْفُ لأولادِ العادلِ مِنَ الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللهِ، ومُضمونُ الرسالةِ نَهْيُهُ عن مُوالاةِ جلالِ الدينِ بنِ حُوارزَمِ شاه، فإنه خارجيٌّ،^(٢) مِن عَزْمِهِ^(٣) قِتالُ الخليفةِ وأخذُ بغدادَ منهم، فأجابهُ إلى ذلك، وركبَ القاضي مُحيى الدينِ بنُ الجُوزيِّ إلى الملكِ الكاملِ بالديارِ المصريةِ، وكان ذلك أولَ قُدومه إلى الشَّامِ ومصرَ، وحصلَ له جوائزٌ كثيرةٌ مِنَ الملوِكِ، منها كان بناءُ المدرسةِ الجُوزيةِ بالنَّشَّابين بدمشقَ.

وفيهما ولى تَدريسَ الشُّبليَّةِ بالسَّنْفِحِ شمسُ الدينِ يوسُفُ^(٤) بنُ فِرْعُلي سِبْطُ ابنِ الجُوزيِّ بمرسومِ الملكِ المُعظَمِ، وحضَرَ عندهِ أولَ يومِ القُضاةِ والأَعْيانِ.

وفاةُ الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللهِ^(٤) وخِلافةُ ابنِهِ المُستَنصِرِ

كانت وفاةُ الخليفةِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، يومَ الجمعةِ ضُحَى الثالثِ عَشَرَ مِنَ

(١) في الأصل: «افريس»، وفي م: «إبرنش». والمثبت من الكامل ٤٦٤/١٢، وتاريخ الإسلام ص ١٥.

(٢ - ٣) في الأصل: «حين عزم على».

(٣) في م: «محمد».

(٤) الكامل ٤٥٦/١٢، ومرآة الزمان ٦٤٢/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٢٧٣، =

رجبٍ من هذه السنة، أَعْنَى سنة ثلاثٍ وعشرين وسِتْمائةٍ، ولم يَعْلَمِ الناسُ بموته إلا بعد الصلاة، فدعا له الخطباءُ يومئذٍ على المنابرِ على عاداتِهِمْ، وكانت خلافتُهُ تسعةَ أشهرٍ^(١) وأربعةَ عشرَ يوماً^(٢)، وعمرُهُ ثنتانِ وخمسونَ سنةً، وكان من أجودِ بنى العباسِ سيرةً، وأحْسَنِهِمْ سريرةً، وأكثرِهِمْ عطاءً، وأحْسَنِهِمْ منظرًا وزُورًا^(٣)، ولو طالت مدته لَصَلَحَتِ الأُمَّةُ صَلَاحًا كثيرًا على يديه، ولكنَّ أَحَبَّ اللّهُ تَقْرِيْبَهُ وإزْلافاً لَدَيْهِ، فاخْتارَ له ما عِنْدَهُ وأَجْزَلَ له إِحْسَانَهُ ورِفْدَهُ، وقد ذَكَرْنَا ما اعْتَمَدَهُ في أوْلِ وِلايَتِهِ من إِطْلاقِ الأَمْوالِ الدِّيوانِيَّةِ، ورُدِّ المَظالمِ، وإسْقاطِ المُكوسِ، وتَخْفِيفِ الخِراجِ عَنِ الناسِ، وأداءِ الدِّيونِ عَمَّنْ عَجَزَ عن قَضائِها، والإِحْسانِ إلى العُلَماءِ والفُقراءِ، وتَوَلِيَةِ ذَوِي الدِّيانَةِ، وقد كان كَتَبَ كِتابًا لَوْلَاةِ الرعيَةِ، فيه: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ إِمْهالُنا إِمْهالًا، ولا إِغْضائُنا إِحْتِمالًا^(٤)، وَلَكِنْ لِنَبْلُوَ كَمَ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وقد غَفَرْنَا لَكُمْ ما سَلَفَ مِنْ إِخْرابِ البِلادِ، وتَشْرِيدِ الرِّعايا، وتَقْبِيحِ الشُّمْعَةِ^(٥)، وإِظْهارِ الباطِلِ الجَلِيِّ في صِوَرَةِ الحَقِّ الخَفِيِّ حِيلَةً ومَكِيدَةً، وتَسْمِيَةِ الاِسْتِصالِ والاجْتِياعِ اسْتِيفاءً واسْتِذْراكًا، لأَعْرَاضِ انْتَهَزْتُمْ فُرْصَها، مُخْتَلَسَةً مِنْ بَرائِنِ لَيْثِ باسِلِ، وَأَنْيابِ أَسَدِ مَهيبِ، تَتَفَقَّونَ^(٥) بِالْفَاطِظِ مَخْتَلِفَةٍ عَلى مَعْنَى واحِدٍ، وَأَنْتُمْ أَمْنائُهُ وَثِقائُهُ،

= والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٥، والوافي بالوفيات ٢/٩٥.

(١ - ١) في الكامل «وأربعة وعشرين يوماً».

(٢) في الأصل: «رؤيا».

(٣) كذا في الأصل، م. وفي الكامل ١٢/٤٥٦: «إغفالاً».

(٤) في الأصل: «الشيعه»، وفي م: «الشرية». والمثبت من الكامل ١٢/٤٥٧.

(٥) في الأصل: «تفقون»، وفي م: «تفقون». والمثبت من الكامل.

فتميلون رأيه إلى هواكم، وتمزجون^(١) باطلكم بحقه، فيطيعكم وأنتم له عاصون، ويوافقكم وأنتم له مخالِفون، والآن قد بدل الله بخوفكم أمنا، ويفقرِكم غنى، وبياطلكم حقًا، ورزقكم سلطانًا يُقيلُ العثرة، ولا يُواخذُ [١٣/١٠] إلا من أصرَّ، ولا يَنْتَقِمُ إلا ممن استمرَّ، يأمرُكم بالعدلِ وهو يُريدُه منكم، ويُنْهاكم عن الجورِ وهو يكرهه لكم، يخافُ الله تعالى فيخوفُكم مكرهه، ويَرْجُو الله تعالى ويُرْعِبُكم في طاعته، فإن سلكتم مسالكَ خُلفاءِ الله في أرضه وأمنائه على خلقه، وإلا هلكتم، والسلام.

ووجد في داره رِقَاعٌ مَخْتومةٌ^(٢) لم تُفْتَحْ، فيها سِعاياتٌ إليه بسببِ أناسٍ كثيرةٍ من الولاةِ وغيرهم^(٣)، لم يَفْتَحْهَا سَتْرًا للناسِ ودَرْءًا عن أَعْرَاضِهِم، رَحِمَهُ اللهُ.

وقد خَلَفَ مِنَ الأَوْلَادِ عَشْرَةَ ذَكَورًا وإِنَاثًا، منهم ابْنُهُ الأَكْبَرُ الَّذِي بُويعَ لَهُ بِالخِلافةِ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو جَعْفَرِ المَنْصُورِ، وَلُقِّبَ بِالمُسْتَنْصِرِ باللهِ، وَغَسَلَهُ مُحَمَّدُ الحَيَّاطُ الواعِظُ، وَدُفِنَ فِي دارِ الخِلافةِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الثَّرْبِ مِنَ الرُّصَافَةِ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

خِلافةُ المُسْتَنْصِرِ باللهِ العباسيِّ أميرِ المؤمنينِ أبي جَعْفَرِ

مَنْصُورِ بنِ الظاهرِ مُحَمَّدِ بنِ الناصرِ أَحْمَدَ

بُويِعَ بالخِلافةِ يَوْمَ ماتَ أبُوهُ يَوْمَ جُمُعَةِ ثالِثِ عَشَرَ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، سَنَةَ ثَلاثِ عَشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، اسْتَدْعَوْا بِهِ مِنَ التَّاجِ، فبَايَعَهُ الخِلاصَةَ والعَمامَةَ مِنَ

(١) في الكامل: «تمزجون». وهما بمعنى.

(٢ - ٢) سقط من: م.

أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ ، وكان يوماً مشهودًا ، وكان عمره يومئذٍ خمسًا وثلاثين سنةً
وخمسةَ أشهرٍ وأحدَ عشرَ يومًا ، وكان من أحسنِ الناسِ شكلاً وأبهاهم منظرًا ،
وهو كما قال القائلُ :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمْرُ
وَفِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ خَمْسَةَ عَشَرَ خَلِيفَةً ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنْ آبَائِهِ ، وَلَوْأ نَسَقًا ،
وَتَلَقَّى هُوَ الْخِلَافَةَ عَنْهُمْ وَرِاثَةً كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنْ
الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ ، وَسَارَ فِي النَّاسِ كَسِيرَةَ أَبِيهِ الظَّاهِرِ فِي الْجُودِ وَحَسَنِ السَّيْرِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَبَنَى الْمَدْرَسَةَ الْكَبِيرَةَ الْمُسْتَنْصِرِيَّةَ الَّتِي لَمْ تُبْنَ مَدْرَسَةٌ فِي
الدُّنْيَا مِثْلُهَا ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَمَرَ أَرْبَابُ
الْوِلَايَاتِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ أَبِيهِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ
خُطِبَ لِلْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَنُثِرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ ،
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَأُنْشِدَ الشُّعْرَاءُ الْمَدَائِحَ وَالْمَرَائِي ، وَأُطْلِقَتْ لَهُمُ الْخُلُوعُ
وَالْجَوَائِزُ .

وقدم رسولٌ من صاحبِ المَوْصِلِ يَوْمَ غُرَّةِ شَعْبَانَ مَعَ الْوَزِيرِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي
الْفَتْحِ نَصْرِ اللَّهِ بْنِ الْأَثِيرِ ، فِيهَا التَّهْنِئَةُ وَالتَّعْزِيَةُ بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ بَلِيغَةٍ .

ثم إنَّ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ كَانَ يُوَاطِبُ عَلَى مُحَضُّورِ الْجُمُعَةِ رَاكِبًا ظَاهِرًا لِلنَّاسِ ،
وَإِنَّمَا مَعَهُ خَادِمَانُ وَ«رَكْبُ دَارٍ» ، وَخَرَجَ مَرَّةً وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَسَمِعَ ضَجَّةً
عَظِيمَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : التَّأْذِينُ . فَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَسَعَى مَاشِيًا ، ثُمَّ

(١ - ١) فِي م : « رَاكِبُ دَارٍ » . وَالرَّكْبُ دَارٌ وَاحِدُ الرَّكْبِ دَارِيَّةٌ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ غَاشِيَةَ السَّرَجِ
بَيْنَ يَدَيْ خَلِيفَةِ عِنْدَ الرُّكُوبِ فِي الْمَوَاكِبِ . انظُرْ صَبْحَ الْأَعْشَى ٧/٤ ، ١٢ .

صار يُذمُّ المشى إلى الجمعة رغبةً في التواضع والخشوع، ويجلس قريباً من الإمام، ويستمتع الخطبة، ثم أضح له المطبق، فكان يمشى منه إلى الجمعة، ويركب في الثانى والعشرين من شعبان زكوباً ظاهرًا للناس عامةً، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والثقات على العلماء والقراء والمحاربين، إعانة لهم على الصيام، وتقوية لهم على القيام.

وفى يوم السابع والعشرين من رمضان نُقل تابوتُ أبيه الظاهر من دار الخلافة إلى الثرب من الرصافة، وكان يومًا مشهودًا، وبعث الخليفة المُستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعامًا جزيلًا إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد، [١٠/١٣١٣] على يدى مُحبى الدين بن الجوزى.

وذكر ابن الأثير^(١) أنه كانت زلزلة عظيمة فى هذه السنة، هدمت شيئًا كثيرًا من القرى والقلاع ببلادهم. وذكر أنه ذبح رجل شاة ببلادهم، فوجد لحمها مراً حتى رأسها وأكارعها^(٢) ومعاليقها وجميع أجزائها^(٣).

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

الخليفة الظاهر كما تقدّم.

جمال المصرى يونس بن بدران بن فيروز، جمال الدين المصرى^(٣)، قاضى القضاة بدمشق فى هذا الحين، اشتغل وحصل وبرع، واختصر كتاب «الأم»

(١) الكامل ٤٦٧/١٢، ٤٦٨.

(٢) - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) مرآة الزمان ٦٤٣/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٢٦٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢٢/٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٦٦/٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ٤٤٧/٢.

للإمام الشافعي ، وله كتاب مطوّل في الفرائض ، وولى تدريس الأمينية بعد التقيّ
الضريّر الذي قتل نفسه ، ولآه إياها الوزير صفى الدين بن شكر ، وكان معتنيا
بأمره ، ثم ولى وكالة بيت المال بدمشق ، ^(١) وترسّل إلى الملوك والخلفاء عن
صاحب دمشق ، ثم ولّاه المعظم قضاء القضاة بدمشق ^(٢) بعد عزله الزكيّ بن
الزكيّ ، وولّاه تدريس العادلية الكبيرة حين كمل بناؤها ، فكان أول من درّس
بها ، وحضر عنده الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى
أكمل التفسير إلى آخره ، ثم توفى عقب ذلك ، ويقال : درّس الفقه بعد التفسير .
وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً ، وهو أنه كان يجلس في
كل يوم جمعة بكرة ويوم الثلاثاء ، ويشترط حضره عنده في إيوان العادلية جميع
شهود البلد ، ومن كان له كتاب يثبت حضره واشتدعى شهوده ، فأدوا على
الحاكم ، وثبت ذلك سريعاً ، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر في الشباك
الكماليّ بمشهد عثمان ، فيحكّم حتى يصلّي المغرب ، وربما مكث حتى يصلّي
العشاء أيضاً ، وكان كثير المذاكرة للعلم ، كثير الاشتغال ، حسن الطريقة ، لم
يُنقَم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد .

قال أبو شامة ^(٣) : وإنما كان يُنقَم عليه أنه كان يُشير على بعض الورثة
بمصلحة بيت المال ، وأنه استتاب ولده التاج محمداً ، ولم يكن مرضي الطريقة ،
وأما هو فكان غفياً في نفسه نزيهاً مهيباً . قال أبو شامة ^(٤) : وكان يدعى أنه
قرشي شيبى ، فتكلّم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولّى القضاء بعده شمس الدين

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٨ .

أحمد بن الحَلَيْلِي الخُوَيْمِيُّ^(١) .

قلتُ : وكانت وفاته في ربيعِ الأولِ من هذه السنّة ، ودُفِنَ في دارِهِ التي في رأسِ دَرْبِ الرِّيحانِ من ناحيةِ الجامعِ ، ولتُزِيتهِ شُبّاكُ شرقِيّ المدرسةِ الصّدريةِ اليومَ ، وقد قال فيه ابنُ عُنيّينَ ، وكان هجاءً^(٢) :

ما قصّر المِصرُ في فعلِهِ إذ جعلَ الثُّرْبَةَ^(٣) في دارِهِ
أراحَ للأحياءِ^(٤) من رَجْمِهِ وأبعدَ^(٥) الأمواتِ من نارِهِ
المُعْتَمِدُ والي دِمَشقَ المَبَارِزُ إبراهيمُ^(٦) ، المعروفُ بالمُعْتَمِدِ والي دمشقَ ،
وكان من خيارِ الوُلاةِ وأعفَّهُم وأحسنِهِم سيرةً وأجودَهُم سريرةً ، أصلُهُ من
الموصلِ ، وقدم الشامَ ، فخدمَ فَرْخُشاهَ بنَ شاهنشاهِ بنِ أيوبَ ، ثم استنابه البُدُرُ
مؤدودٌ أخو فَرْخُشاهِ ، وكان شِخنةَ دمشقَ ، فحَمِدَت سيرتُهُ في ذلكَ ، ثم صار
هو شِخنةَ دمشقَ أربعين سنةً ، فجزّت في أيامهِ عجائبٌ وغرائبٌ ، وكان كثيرَ
السُّرْرِ على ذَوِي الهَيْمَاتِ ، ولا سيما مَنْ كان من أبناءِ^(٧) الناسِ وأهلِ البيوتاتِ .
وأتفقَ في أيامهِ أن رجلاً حائِكًا كان له ابنٌ صغيرٌ ، في آذانه حلقٌ ، فعدا عليه
رجلٌ من جيرانِهِم ، فقتله غيلةً ، وأخذ ما عليه من الحُلِيِّ ، ودفنه في بعضِ المقابرِ ،

(١) في الأصل : « النحوي » ، وفي م : « الجويني » . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٢) ديوان ابن عنيّين ص ٢٣٨ .

(٣) في الديوان : « الحفرة » .

(٤ - ٤) في الأصل : « أراح الأحياء » ، وفي الديوان : « فخلص الأحياء » .

(٥) في الديوان : « خلص » .

(٦) مرآة الزمان ٦٣٩/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠ - وفيه : « المبارك » - وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٤٦ ، والوافي بالوفيات ١٥١/٦ .

(٧) في الأصل : « بنات » .

فَأَشْتَكُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يُقِرَّ بِشَيْءٍ، وَتَأَلَّمَتِ وَالِدَتُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلَتْ زَوْجَهَا أَنْ يُطَلِّقَهَا، فَطَلَّقَهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ وَلَدَهَا، وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَأُظْهِرَتْ لَهُ أَنَّهَا قَدْ أَحَبَّتْهُ فَتَزَوَّجَهَا، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ حِينًا، ثُمَّ سَأَلَتْهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ [١٠/١٤١] عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي أَشْتَكُوا عَلَيْهِ بِسَبَبِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَتْ: أَشْتَهِي أَنْ تُرِينِي قَبْرَهُ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَذَهَبَ بِهَا إِلَى قَبْرِ خَشْخَاشِيَّةٍ^(١)، فَفَتَحَهُ فَنَظَرَتْ إِلَى وَلَدِهَا، فَاسْتَعَبَّرَتْ وَقَدْ أَخَذَتْ مَعَهَا سِكِّينًا أَعَدَّتْهَا لِهَذَا الْيَوْمِ، فَضَرَبَتْهُ حَتَّى قَتَلْتَهُ، وَدَفَنْتَهُ مَعَ وَلَدِهَا فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ، فَجَاءَ أَهْلُ الْمَقْبَرَةِ، فَحَمَلُوهَا إِلَى الْوَالِي الْمُعْتَمِدِ هَذَا، فَسَأَلَهَا فَذَكَرَتْ لَهُ خَبْرَهَا، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَأَطْلَقَهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا^(٢).

وَحَكَى هُوَ لِلسَّبْطِ قَالَ^(٣): بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا خَارِجٌ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَحْمِلُ طَبْلًا وَهُوَ سَكَرَانٌ، فَأَمَرْتُ بِهِ فَضَرَبْتُ الْحَدَّ، وَأَمَرْتُهُمْ فَكَسَرُوا الطَّبْلَ، وَإِذَا رِكْوَةٌ كَبِيرَةٌ خَمْرًا فَشَقُّوهَا، وَكَانَ الْعَادِلُ قَدْ مَنَعَ أَنْ يُعْصَرَ خَمْرٌ وَيُحْمَلَ إِلَى دِمَشْقَ شَيْءٌ مِنْهُ بِالْكَلِيَّةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَحَيَّلُونَ بِأَنْوَاعِ الْحَيَلِ وَلَطَائِفِ الْمَكْرِ. قَالَ السَّبْطُ: فَسَأَلْتُهُ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّ فِي الطَّبْلِ شَيْئًا. فَقَالَ: رَأَيْتَهُ يَمْشِي وَتَرْجُفُ سَاقَاهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا ثَقِيلًا فِي الطَّبْلِ.

وَلَهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ غَرَائِبٌ، وَقَدْ عَزَلَهُ الْمُعْظَمُ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ، وَسَجَنَهُ فِي الْقَلْعَةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، وَنَادَى عَلَيْهِ فِي الْبَلَدِ، فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ ذَكَرَ أَنَّهُ

(١) فِي م: «خَشْخَاشِيَّةٌ». وَالْخَشْخَاشِيَّةُ: مَكَانٌ يَدْفَنُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «وَرَجَعْتُ إِلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ» وَالَّذِي فِي الْمَصَادِرِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَ زَوْجَهَا الثَّانِي.

(٣) مَرَّةَ الزَّمَانِ ٦٤٠/٨ الْقِسْمِ الثَّانِي.

أَخَذَ مِنْهُ حَبَّةَ خَزْدَلٍ ، وَلَمَّا مَاتَ ، رَجِمَهُ اللَّهُ ، دُفِنَ فِي تَرْبَتِهِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَدْرَسَةِ أَبِي
عَمَرَ مِنْ شَامِهَا ^(١) « قِبْلَى السُّوقِ » ، وَلَهُ عِنْدَ تَرْبَتِهِ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِهِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

وَاقِفُ الشُّبَلِيَّةِ الَّتِي بِطَرِيقِ الصَّالِحِيَّةِ ، سِبْطُ الدَّوْلَةِ كَافِرٌ الحُسَامِيُّ ^(٢) ،
نَسَبُهُ إِلَى حُسَامِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ لَاجِينَ وَوَلَدِ سِتِّ الشَّامِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ
مُسْتَحِثًّا عَلَى عِمَارَةِ الشَّامِيَّةِ الْبِرَّانِيَّةِ لِمَوْلَاتِهِ سِتِّ الشَّامِ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الشُّبَلِيَّةَ
لِلْحَنْفِيَّةِ وَالْحَانِقَاءِ عَلَى الصُّوفِيَّةِ إِلَى جَانِبِهَا ، وَكَانَتْ مَنْزَلَهُ ، وَوَقَفَ الْقَنَاةَ وَالْمَصْنَعِ
وَالشَّابَاطَ ، وَفَتَحَ لِلنَّاسِ طَرِيقًا مِنْ عِنْدِ الْمَقْبَرَةِ غَرْبِيَّ الشَّامِيَّةِ الْبِرَّانِيَّةِ إِلَى طَرِيقِ عَيْنِ
الْكِرْشِ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ لَهُمْ طَرِيقٌ إِلَى الْجَبَلِ مِنْ هُنَاكَ ، إِنَّمَا كَانُوا يَسْلُكُونَ مِنْ
عِنْدِ مَسْجِدِ الصُّفِيِّ بِالْعُقَيْبِيَّةِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ ، وَدُفِنَ
فِي تَرْبَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مَدْرَسَةً ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْكِنْدِيِّ وَغَيْرِهِ .

وَاقِفُ الرُّوَاغِيَّةِ بِدِمَشْقَ وَحَلَبَ ، أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ رَوَاحَةَ ^(٣) ، كَانَ أَحَدَ التُّجَّارِ وَذَوِي الثَّرْوَةِ وَالْمُعَدِّلِينَ
بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الطُّولِ وَالْعَرِضِ ، وَلَا لَحِيَّةَ لَهُ ، وَقَدْ ابْتَنَى الْمَدْرَسَةَ
الرُّوَاغِيَّةَ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ وَوَقَفَهَا عَلَى الشَّافِعِيَّةِ ، وَفَوَّضَ نَظَرَهَا وَتَدْرِيسَهَا
إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ الشُّهْرَزُورِيِّ ، وَلَهُ بِحَلَبَ مَدْرَسَةٌ أُخْرَى مِثْلَهَا ،
وَقَدْ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْبَيْتَ الَّذِي فِي

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « قِبْلَ الشَّرْقِ » .

(٢) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٤٢/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٥٠ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٣٧/٢٩ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٤ .

(٣) التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَّاتِ النَّقْلَةِ ٢٢٧/٥ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٤٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ
وَوَفَايَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٨ ، وَالدَّرَاسُ ٢٦٥/١ . وَجَاءَتْ وَفَاتُهُ فِي التَّكْمَلَةِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ سَنَةَ
ثَنِينَ وَعِشْرِينَ وَسَمَائَةَ .

إيوانها من الشرق ، ورجب فيما بعد أن يُدفن فيه إذا مات ، فلم يُمكن من ذلك ، بل دُفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد مُحبي الدين بن عزي الطائفي ، وتقي الدين خزعل النحوي المصري المقدسي ثم الدمشقي إمام مشهد علي ، شهدا على ابن راحة بأنه عزّل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خُطوب طويّلة ، ولم ينتظّم ما راموه ، ومات خزعل في هذه السنة أيضًا ، فبطل ما سلّكه .

أبو محمد محمود بن مؤدود بن محمود بن بلدجي الحنفي الموصلي^(١) ، وله بها [١٠ / ١٤٤] مدرسة تُعرفُ به ، وكان من أبناء التُّرك ، وصار من مشايخ العلماء الحنفيّة ، وله دينٌ متينٌ ، وشعرٌ حسنٌ جيدٌ ، فمنه قوله :

مَنْ ادَّعى أن له حالةً تُخرِجه عن منْهَجِ الشُّرعِ
فلا تُكوننَّ له صاحبًا فإنه خُزّةٌ^(٢) بلا نفع

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحوٌ من ثمانين سنةً رحمه الله تعالى .

ياقوتٌ ويقالُ له : يعقوب بن عبد الله ، نجيب الدين^(٣) ، مولى الشيخ تاج الدين الكندي . وقد وقّف عليه الشيخُ الكتّابُ التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشماليّة من جامع دمشق ، وكانت سبعمائةً وأحدًا وستين مُجلّدًا ، ثم على ولده من بعده ، ثم على العلماء ، فتمحّقت هذه الكتّابُ ، وبيع أكثرها ، وقد كان ياقوتٌ هذا لديه فضيلةٌ وأدبٌ وشعرٌ جيدٌ ، وكانت وفاته ببغداد في مُستهلّ رجب ، ودُفن بمقبرة الخيُزُران بالقرب من مشهد أبي حنيفة . رحمه الله تعالى .

(١) الجواهر المضية ٣ / ٤٥٢ .

(٢) في الأصل : « ضر » . والخزّة : العذرة . اللسان (خ رأ) .

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها^(١) كاتب عامّة أهل تَفْلَيْسِ الكُرَجِ ، فجاءوا إليهم فدخلوها ، فقتلوا العامّة والخاصّة ، ونهبوا وسبّوا وخرّبوا وأحرقوا ، وخرّجوا على حِمِيَّة^(٢) ، وبلغ ذلك جلال الدين ، فسار سريعا ليُدْرِكهم ، فلم يُدْرِكهم .

وفيها قتلت الإسماعيلية أميرًا كبيرًا من نُوابِ جلال الدين بن حُوَارِزْمِ شاه ، فسار إلى بلادهم ، فقتل منهم خلقًا كثيرًا ، وخرّب مدينتهم ، وسبى ذراريهم ، ونهب أموالهم ، وقد كانوا ، قبّحهم الله ، من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضّرّ على الناس منهم .

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار ، فهزّمهم وأوسعهم قتلاً وأسرا ، وساق وراءهم أيامًا ، فقتلهم حتى وصل إلى الرّبيّ ، فبلغه أن طائفة قد جاءوا القصدية ، فأقام ينتظرهم ، فكان من أمره وأمرهم ما سيأتى فى سنة خمس وعشرين .

وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف إلى بلاد أذربيجان ، فملكوا منها مُدُنًا كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وخرّجوا معهم بزوجة الملك جلال الدين بنت طغرل ، وكانت تُبغضه وتُعاديه ، فأنزلوها مدينة خِلاط ، وسيأتى ما كان من خبرهم فى السنة الآتية ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكامل ٤٦٩/١٢ - ٤٧٤ ، ومرآة الزمان ٦٤٣/٨ - ٦٥٢ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠ - ٢٤ .
(٢) أى خرجوا منهزمين . انظر اللسان (ح م ا) .

وفيها قديم رسول الأبيزور ملك الفرج بالبحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عنه الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل، فأغلظ له المعظم في الجواب، وقال له: قل لصاحبك ما عندي إلا السيف. والله أعلم.

وفيها جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في مخيم^(١) عظيم يحمله ثقله^(٢) ستمائة جمل، ومعه خمسون هجيناً، على كل هجين مملوك، فسار من ناحية العراق، وجاءته هدايا الخليفة إلى أثناء الطريق، وعاد على طريقه التي حج منها.

وفيها ولي قضاء القضاة بيغداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي، وتخلع عليه كما هي عادة الحكام، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها كان غلاءً شديداً ببلاد الجزيرة، وقتل اللحم، حتى حكى ابن الأثير^(٣) أنه لم يُدبغ بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع. قال: وسقط فيها عاشر آذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين، فأهلك الأزهار وغيرها. قال: وهذا شيء لم يُعهد مثله، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف [١٥/١٠] وقع فيه مثل هذا.

ومن تُوفي فيها من الأعيان:

جنگزخان^(٤)، السلطان الأعظم عند التتار، والد ملوكهم اليوم، الذي

(١) في الأصل: «تجمل».

(٢) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

(٣) الكامل ٤٧٣/١٢.

(٤) بعده في الأصل: «ملك التتار وهو جد ملوكهم اليوم»، وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢٤٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٨٦، ومسالك الأبصار ٣/٣٨، والوفى بالوفيات ١٩٧/١١، والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٨، وصبح الأعشى ٤/٣٠٥، ودائرة المعارف الإسلامية ٣٧٩/١٢.

يُنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ ، يَقُولُونَ : مَنْ عَظُمَ الْقَانُ إِنَّمَا يُرِيدُ هَذَا الْمَلِكَ . وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ «الْيَاسَاقَ»^(١) الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا ، وَيَحْكُمُونَ بِهَا ، وَأَكْثَرُهَا مُخَالِفٌ لَشَرَائِعِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُتُبِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ اقْتَرَحَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَتَبِعُوهُ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ كَانَتْ أُمَّهُ تَزْعُمُ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، فَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجْهُولُ النَّسَبِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مُجَلَّدًا جَمَعَهُ الْوَزِيرُ بَيْغَادَاذَ عَلَاءُ الدِّينِ الْجَوْنِي فِي تَرْجُمَتِهِ^(٢) ، فَذَكَرَ فِيهِ سِيرَتَهُ ، وَمَا كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ^(٣) السِّيَاسِيِّ وَالكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ الْجَيِّدِ لِلْمَلِكِ وَالرَّعَايَا وَالْحُرُوبِ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ خَصِيصًا عِنْدَ الْمَلِكِ أَرْبَكَ خَانَ^(٤) ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ شَابًّا حَسَنًا ، وَكَانَ اسْمُهُ أَوْلَا تَمَرَجِي^(٥) ، ثُمَّ لَمَّا عَظُمَ سَمِيَ نَفْسَهُ جِنْكِرْخَانَ ، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ قَرَّبَهُ وَأَذَنَاهُ ، فَحَسَدَهُ عَظْمَاءُ الْمَلِكِ ، وَوَسَّوْا بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ طَرِيقًا فِي ذَنْبٍ يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ تَغَضَّبَ الْمَلِكُ عَلَى مَمْلُوكَيْنِ صَغِيرَيْنِ فَهَرَبَا مِنْهُ ، وَلَجَّآ إِلَى جِنْكِرْخَانَ ، فَأَكْرَمَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا يُضْمِرُهُ الْمَلِكُ أَرْبَكَ خَانَ مِنْ قَتْلِهِ وَالْهَمَّ بِهِ ، فَأَخَذَ حِذْرَهُ^(٦) وَتَحِيَّزَ بَدُولَةَ^(٧) وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ السُّنَّارِ ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أَرْبَكَ خَانَ يَنْفِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَفِدُونَ عَلَيْهِ ، فَيُكْرِمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ حَتَّى قَوِيَتْ سُوْكَتُهُ ، وَكَثُرَتْ

(١) فِي م : «السياسا» . قَالَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ (ي س ق) : يَسَاقُ كَسَحَابٍ ، وَرَبْمَا قِيلَ يَسَقُ ، بِحَذْفِ الْأَلْفِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ : يَسَاغُ بِالغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَرَبْمَا خَفَفَ فَحَذَفَ ، وَرَبْمَا قَلَبَ قَافًا ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَرْكِيَّةٌ يَعْبَرُ بِهَا عَنِ وَضْعِ قَانُونِ الْمَاعِلَةِ .

(٢) انظُرْ مَسَالِكَ الْأَبْصَارِ ٤١/٣ ، وَصَبِيحُ الْأَعْشَى ٣٠٦/٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «الْفَعْلُ» .

(٤) فِي الْأَصْلِ هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي : «أَرْتَكَ خَانَ» .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م . وَفِي السَّيْرِ وَصَبِيحِ الْأَعْشَى : «تَمَرَجِينَ» . وَفِي الْكَامِلِ ٣٦١/١٢ ، وَمَسَالِكِ الْأَبْصَارِ ٤٣/٣ ، وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ : «تَمُوجِينَ» . وَلَمْ تَذَكَرْهُ بَقِيَّةُ الْمَصَادِرِ .

(٦ - ٧) فِي الْأَصْلِ : «تَحَذَرُ مِنْهُ وَمِنْ دَوْلَتِهِ» .

جنوده، ثم حارب بعد ذلك أذربك خان، فظفر به وقتله، واستحوذ على مملكته ومملكته، وأنضاف إليه غدده وعدده، وعظم أمره، وبعد صيته، وخصعت له قبائل الترك بيلاط طمغاج كلها، حتى صار يزكب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل، وأكبر القبائل قبيلته التي هو من أصلها يقال لها: قيات^(١). ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد، وهما^(٢) أويرات وقتقورات^(٣).

وكان يضطاد من السنة ثلاثة^(٤) أشهر، والباقي للحرب والحكم. قال الجويني: وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر، ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شئ كثير لا يُحَدُّ كَثْرَةً.

ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك جلال الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك من الأقاليم والممالك، فقهره جنكزخان وكسره وغلبه، واستحوذ على سائر بلاده هو بنفسه وأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث، وكان ابتداء ملك جنكزخان في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا، فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ثمانين، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة، فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك، وأما كتابه «الياساق»^(٤) فإنه يُكْتَبُ في مُجَلَّدَيْنِ بَخَطٍ غَلِيظٍ، وَيُحْمَلُ عَلَى بَعِيرٍ

(١) في الأصل: «قياب»، وفي م: «قيان». والمثبت من مسالك الأبصار وصح الأعيى.

(٢ - ٣) في م: «أزان وقتقوران».

(٣) في الأصل: «سته». وانظر مسالك الأبصار ٤٦/٣.

(٤) في م: «الياسا».

معظم عندهم ، وقد ذكر بعضهم عنه أنه كان يضعدُ جبلاً ، ثم ينزلُ ، ثم يضعدُ ، ثم ينزلُ حتى يُعَيِّ وَيَقَع مَغْشِيًّا عليه ، وَيَأْمُرُ مَنْ عِنْدَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُلْقَى عَلَى لِسَانِهِ حَيْثُذِي ، فَإِنْ كَانَ هَذَا هَكَذَا فَالظَاهِرُ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ [١٠ / ١٥٠ ظ] يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ بِمَا فِيهَا .

وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يضعدُ الجبالَ في البردِ الشديدِ للعبادة ، فسمع قائلاً يقولُ له : إنا قد ملكنا جَنَكِرْخَانَ وَذُرَيْتَهُ وَجَهَ الْأَرْضِ . قال الجويني : فَمَشَايِخُ الْمَغُولِ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا ، وَيَأْخُذُونَهُ مُسَلِّمًا .

ثم ذكر الجويني شيئاً من « الياساق »^(١) ، من ذلك ؛ أنه من زنى قُتِلَ ، مُخَصَّنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُخَصَّنٍ ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ ، وَمَنْ انْعَمَسَ فِيهِ قُتِلَ ، وَمَنْ أَطْعَمَ أُسَيْرًا أَوْ سَقَاهُ أَوْ كَسَاهُ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهِ قُتِلَ ، وَمَنْ وَجَدَ هَارِبًا وَلَمْ يَزِدْهُ قُتِلَ ، وَمَنْ رَمَى إِلَى أَحَدٍ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكُولِ قُتِلَ ، بَلْ يُنَاوِلُهُ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَحَدًا شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُ أَوْلًا ، وَلَوْ كَانَ « الْمُطْعِمُ أَمِيرًا لِأَسِيرٍ »^(٢) ، وَمَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُطْعِمِ مَنْ عِنْدَهُ قُتِلَ ، وَمَنْ ذَبَحَ حَيْوَانًا ذُبِحَ مِثْلَهُ ، بَلْ يَشُقُّ جَوْفَهُ ، وَيَتَنَاوَلُ قَلْبَهُ بِيَدِهِ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَوْفِهِ أَوْلًا .

وفي هذا كله مخالفةٌ لسرائعِ اللَّهِ الْمُتَزَلَّةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحَكَّمِ الْمُتَزَلَّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ،

(١) انظر مسالك الأَبصار ٣/٤٣ ، ٤٤ ، وصبح الأعشى ٤/٣١٠ - ٣١٢ .

(٢ - ٢) في م : « الْمُطْعِمُ أَمِيرًا لَا أُسِيرًا » .

وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى «الياساق»^(١)
وقدمها عليه؟! «من فعل»^(٢) ذلك كفر بإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالى:
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن آدابهم الطاعة لسلطانهم غاية الاستطاعة، وأن يعرضوا عليه أبكارهم
الحسان ليختار لنفسه، ومن شاء من حاشيته ما شاء منهم، ومن شأنهم أن
يخطبوا الملك باسمه، ومن مرّ بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم بغير استئذان،
ولا يتخطى موقد النار^(٣) ولا طبّق الطعام، ولا يقف على أسكفة الخزكاه^(٤)، ولا
يغسلون ثيابهم حتى يتدوّ وسخها^(٥)، ولا يكلفون العلماء من كل ما ذكر شيئاً
من الجنايات، ولا يتعرضون لمال ميت^(٦)، وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفاً
كبيراً من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما أداه إليه عقله، وإن
كان مشركاً بالله يعبد معه غيره، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا
الذي خلقهم، ولكن كان البداءة من خوارزم شاه، فإنه لما أرسل جنكيزخان تجاراً
من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده، فانتهوا إلى إيران، فقتلهم نائبها من جهة
خوارزم شاه، وهو والد زوجته^(٧) كشلى خان، وأخذ جميع ما كان معهم،

(١) في م: «الياسا».

(٢ - ٢) في الأصل: «من بعد».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) الأسكفة: عتبة الباب. والخركاه: الخيمة الكبيرة. الوسيط (س ك ف)، والمعجم الذهبي ص ٢٣٧.

(٥) أى لا يغسلون ثيابهم البتة.

(٦) في م: «زوجة».

فَأَرْسَلَ جِنْكِرْخَانَ إِلَى خُوَارِزْمِ شَاهٍ يَسْتَعْلِمُهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْ رِضَا مِنْهُ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَأَنْكَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ : مِنَ الْمَعْهُودِ مِنَ الْمُلُوكِ أَنَّ التُّجَّارَ لَا يُقْتَلُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ عِمَارَةُ الْأَقَالِيمِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ إِلَى الْمُلُوكِ التُّخَفَ وَالْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ ، ثُمَّ إِنْ هُوَ لَاءَ التُّجَّارَ كَانُوا عَلَى دِينِكَ ، فَقَتَلْتَهُمْ نَائِبُكَ ، فَإِنْ كَانَ أَمْرًا ^(١) « أَنْكَرْتَهُ ، وَإِلَّا طَلَبْنَا بِدِمَائِهِمْ » . فَلَمَّا سَمِعَ خُوَارِزْمِ شَاهٌ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ جِنْكِرْخَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ سِوَى أَنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ ، وَقَدْ كَانَ خَرِفٌ وَكَبِيرَتُ سُنَّةٍ ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ : « أَتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكَوكم » ^(٢) . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ جِنْكِرْخَانَ تَجَهَّزَ لِقِتَالِهِ وَأَخَذَ بِلَادِهِ ، فَكَانَ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِأَغْرَبِ مِنْهَا وَلَا أُبْشَعَ .

فَمِمَّا ذَكَرَهُ الْجُوَيْنِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَدَّمَ لَهُ بَعْضُ الْفَلَاحِينَ بِالصَّيْدِ ثَلَاثَ بَطِيخَاتٍ ، [١٠ / ١٦٧] فَلَمْ يَتَّفِقْ أَنْ عِنْدَ جِنْكِرْخَانَ أَحَدًا مِنَ الْخَزَنَدَارِيَةِ ^(٣) ، فَقَالَ لِرُؤُوسِهِ خَاتُونَ : أَعْطِيهِ هَذِينَ الْقُرْطَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي أُذُنَيْكَ . وَكَانَ فِيهِمَا جَوْهَرَتَانِ نَفِيسَتَانِ جَدًّا ، فَشَحَّتِ الْمَرْأَةُ بِهِمَا وَقَالَتْ : ^(٤) « أَنْظِرْ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَدْرِي مَا هُمَا . فَقَالَ لَهَا : ادْفَعِيهِمَا إِلَيْهِ فَإِنَّهُمَا لَا يَبِيتَانِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَّا عِنْدَكَ ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَدْعَهُ يَذْهَبُ عِنَّا ^(٥) مُقْلَقَلِ الْخَاطِرِ ، وَرَبْمَا لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا ، وَإِنْ هَذِينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَحَدًا إِذَا اشْتَرَاهُمَا إِلَّا جَاءَ بِهِمَا إِلَيْكَ . فَاتْتَرَعْتَهُمَا فَدَفَعْتَهُمَا إِلَى الْفَلَاحِ ، فَطَارَ عَقْلُهُ بِهِمَا ، وَذَهَبَ بِهِمَا ، فَبَاعَهُمَا لِبَعْضِ التُّجَّارِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ،

(١ - ١) فِي م : « أَمَرْتُ بِهِ طَلَبْنَا بِدِمَائِهِمْ وَإِلَّا فَأَنْتَ تَنْكَرُهُ وَتَقْتَصُّ مِنْ نَائِبِكَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٠٢) ، وَالنَّسَائِيُّ (٣١٧٦) . حَسَنٌ (صَحِيحٌ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٦١٥) .

(٣) الْخَزَنَاتُ دَارُ : رَئِيسُ الصَّنْدُوقِ . الْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٣٨ .

(٤ - ٤) فِي م : « أَنْظِرْ إِلَى غَدٍ فَقَالَ : إِنَّهُ يَبِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ » .

ولم يَعْرِفَ قِيمَتَهُمَا ، فحَمَلَهُمَا التاجِرُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَرَدَّهُمَا عَلَى زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ الْجُوَيْنِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ :

وَمَنْ قَالَ إِنْ الْبَحْرَ وَالْقَطْرَ أَشْبَهَا نَدَاهُ^(١) فَقَدْ أَتَى عَلَى الْبَحْرِ وَالْقَطْرِ
قَالَ : وَاجْتَازَ يَوْمًا فِي سَوِيٍّ ، فَرَأَى عِنْدَ بَقَالٍ عُنَابًا ، فَأَعْجَبَهُ لَوْنُهُ وَمَالَتْ
نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْحَاجِبَ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ بِيَالِسٍ ، فَاشْتَرَى الْحَاجِبُ مِنْهُ بَرِيْعَ
بَالِسٍ ، فَلَمَّا وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْجَبَهُ وَقَالَ : هَذَا كُلُّهُ بِيَالِسٍ ؟! فَقَالَ : وَيَقَى مِنْهُ
هَذَا . وَأَشَارَ إِلَى مَا بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ ، فغَضِبَ وَقَالَ : مَتَى يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِي مِنْهُ
مِثْلِي ؟ تَمَمُوا لَهُ عَشْرَةَ بَوَالِسٍ .

قَالُوا : وَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ جَامَ^(٢) زُجَاجٍ مِنْ مَعْمُولِ حَلَبٍ ، فَاسْتَحْسَنَهُ
جَنْكِرْخَانَ ، فَوَهَّنَ أَمْرَهُ عِنْدَهُ بَعْضُ خَوَاصِّهِ ، وَقَالَ : خُونُدُ^(٣) ، هَذَا زُجَاجٌ لَا قِيَمَةَ
لَهُ . فَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ حَمَلَهُ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا سَالِمًا ؟ أَعْطَوْهُ مَائَتِي
بَالِسٍ .

وَقِيلَ لَهُ : إِنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ كَثْرًا عَظِيمًا ، فَلَوْ فَتَحْتَهُ أَخَذْتَ مِنْهُ مَا لَا كَثِيرًا .
فَقَالَ : الَّذِي فِي أَيْدِينَا يَكْفِينَا ، وَدَعُّوا هَذَا يَفْتَحُهُ النَّاسُ وَيَأْكُلُونَهُ ، فَهَمَّ أَحَقُّ بِهِ
مِنَا . وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ^(٤) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَدَاهُ » .

(٢) الْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ أَوْ الطَّعَامِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا . الْوَسِيطُ (ج و م) .

(٣) الْخُونُدُ : الْأَمِيرُ . الْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٤٨ .

(٤) جَاءَ فِي حَاشِيَةِ م : وَجَدَ بِهَامِشِ التَّرْكِيَّةِ مَا نَصَهُ : « هَذَا مَنْقُولٌ عَنْ ابْنِهِ قَانَ الَّذِي قَامَ مَقَامَهُ ، وَلَعَلَّهُ هُوَ
الصَّحِيحُ ؛ لِأَنَّ قَانَ هَذَا الْمَنْسُوبَ إِلَى الْكَرَمِ الْجَيْلِيِّ الْعَظِيمِ وَالسَّخَاءِ الْمَفْرُطِ ، وَيَحْكِي عَنْهُ حِكَايَاتٌ عَظِيمَةٌ
فِي هَذَا الشَّأْنِ ، وَأَمَّا أَبُوهُ جَنْكِرْخَانَ فَإِنَّهُ مَتَوَسِّطٌ فِي الْجُودِ ، بَلْ وَفِي سَائِرِ سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا فِي
أَمْرِ سَفْكِ الدَّمَاءِ قَبِيحِهِ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال : واشتَهَر عن رجلٍ في بلادِهِ أنه يقولُ : أنا أَعْرِفُ مَوْضِعَ كَنْزٍ ، ولا أَقُولُهُ إلا للقان . وألحَّ عليه الأُمراءُ أن يُعَلِّمَهُمْ ، فلم يَفْعَلْ ، فذَكَرُوا ذلكَ للقان ، فأخضَره على خيلِ الأَولاقِ - يعنى البريدَ - سريعًا ، فلما حضرَ إلى بين يديه سألَهُ عن الكَنْزِ ، فقال : إنما كنتُ أَقولُ ذلكَ حِيلَةً لِأَرى وجهَكَ . فلما رأى تَغَيُّرَ كلامِهِ غضِبَ وقال له : قد حصلَ لك ما طلبتَ فارجعْ إلى موضعِكَ . وأمرَ برُدِّه سالمًا ، ولم يُعْطِه شيئًا . قال الجوينيُّ : وهذا غريبٌ .

قال : وأهدى له إنسانٌ رُمَانَةً ، فكسرها وفزقَ حَبَّها على الحاضِرِينَ ، ثم أمرَ له بعددِ حَبَّها بوالسِّ ، ثم أنشدَ عندَ ذلكَ :

فلذلكَ تَزْدَجِمُ الوُفودُ ببايهِ مثلَ ازْدحامِ الحَبِّ في الرُّمَانِ
قال : وقدمَ عليه رجلٌ كافِرٌ يقولُ : رأيتُ في النومِ جنكزخانَ يقولُ : قُلْ لأبي يَفْتُلُ المسلمينَ . فقال له : هذا كذبٌ . وأمرَ بقتلِهِ ^(١) .

قال : وأمرَ بقتلِ ثلاثَةِ قد قَضَتِ « الياسقُ » بقتلِهِمْ ، فإذا امرأةٌ تَبْكِي وتَلْطِمُ . فقال : ما هذه ؟ أخضِرُوها . فقالت : هذا ابني ، وهذا أخِي ، وهذا زوجي . فقال : اختاري واحدًا منهم حتى أُطَلِّقَهُ لك . فقالت : الزوجُ يَجِيءُ مثلهُ ، والابنُ كذلكَ ، والأخُ لا عِوَضَ له . فاستَحَسَنَ ذلكَ منها ، وأطَلَقَ الثلاثةَ لها .

قال : وكان يُحِبُّ المُصارِعِينَ وأهلَ الشُّطارةِ ، وقد اجْتَمَعَ عندهُ منهم جماعةٌ ، فذَكَرَ له إنسانٌ بخراسانَ ، فأخضَره ، فصرعَ جميعَ مَنْ عندهُ ، فأكرمه وأعطاه ، وأطَلَقَ له بنتًا من بناتِ المغولِ ^(٢) حَسَناءَ ، فمكثتَ عندهُ مدةً لا يَتَعَرَّضُ

(١) من المعروف أن جنكزخان لا يعرف له أب كما تقدم . وجاء في حاشية «م» أن هذا الخبر فيه تخليط ، وأن الصحيح أن هذا حصل لابن جنكزخان .

(٢) في م : « الملوك » .

لها ، فاتَّفَقَ مَجِيئُهَا ^(١) زائرةٌ بيْتِ القانِ ، فجعلَ السلطانُ يُمازِحُها ويقولُ : كيف رأيتِ المُستَعْرِبَ ؟ فذكرت أنه لم يَقْرُبْها ، فتعجَّبَ من ذلك وأخضَرَه فسأله عن ذلك فقال : يا خُونُدُ ، أنا إنما حظيْتُ [١٦/١٠ ظ] عندك بالشُّطارة ، ومتى قرَّبْتُها نَقَصْتَ مَنْزِلتي عندك ^(٢) .

قال : ولما اخْتَضِرَ أَوْصَى أولادَه بالاتِّفاقِ وعدمِ الافتِراقِ ، وضربَ لهم في ذلك الأمثالَ ، وأخضَرَ بين يديه نُشَابًا ، ويأخذُ السهمَ فيعطيه الواحدَ منهم ، فيكسِرُه ، ثم أخضَرَ حُرْمَةً أخرى ودفعها مجموعةً إليهم ، فلم يُطِيقوا كسرها . فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتَّفقتُم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلقتُم .

قال : وقد كان له عِدَّةُ أولادٍ ذُكورٍ وإناثٍ منهم أربعةٌ هم عُظماءُ الأولادِ ؛ وأكبرُهم تولى ، و ^(٣) هم ؛ تولى ^(٣) وباتو وبركة وتركجار ، وكان كلُّ منهم له وَظيفةٌ عنده . ثم تكَلَّمَ الجُوَيْنِيُّ على ملكِ ذريته إلى زمانٍ هولاكو خان ، وهو يقولُ في اسمه : بأذشاه ^(٤) زاده هولاكو . وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأمورِ المُزعِجةِ ، كما بسَطْنَا في الحوادثِ . واللَّهُ أعلمُ .

السلطانُ الملكُ المُعظَّمُ ، عيسى بنُ العادلِ أبي بكرِ بنِ أيوبَ ^(٥) ، ملكُ

(١ - ١) في م : « إلى الأردوا » .

(٢) بعده في م : « فقال لا بأس عليك ، وأخضر ابن عم له وكان مثله فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان أتما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل » .

(٣ - ٣) في الأصل : « هرتول » ، وفي م : « هريول » . والمثبت من مسالك الأبصار ٣/٤٧ ، ٤٨ ، وصبح الأعشى ٤/٣٠٨ . والذي في المصادر أنه خلف أربعة أولاد ذكورا .

(٤) في م : « ياذشاه » . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٥/٥٩٣ .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٤٤ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٣١٧ ، والذيل على الروضتين ص ١٥٢ ، ووفيات الأعيان ٣/٤٩٤ ، ونهاية الأرب ٢٩/١٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠٣ ، والجواهر المضية ٣/٦٨٢ .

دمشق والشام، كانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذى القعدة من هذه السنة، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفى أبوه سنة خمس عشرة، وكان شجاعاً عاقلاً فاضلاً، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحصري مدرس الثورية، وفي اللغة والنحو على الشيخ تاج الدين الكندي، وكان محفوظه «مفصل الرّمخسرى»، وكان يُحيزُ من حفظه بثلاثين ديناراً، وكان قد أمر أن يُجمع له كتاب في اللغة يشمل «صحاح الجوهرى»، و«الجمهرة» لابن دُرَيْدٍ و«التّهذيب» للأزهرى وغير ذلك، وأمر أن يُرتب له «مسند الإمام أحمد»، وكان يُحب العلماء ويكرمهم، ويجهّد في مُتابعة الخير، ويقول: أنا على عقيدة الطحاوى. وأوصى عند وفاته أن لا يُكفن إلا في البياض، وأن يُلحد له، ويُدفن في الصحراء، ولا يُبنى عليه، وكان يقول: واقعة دميّاط أدخرها عند الله تعالى، وأزجو أن يوحمنى بها. يعنى أنه أبلى فيها بلاء حسناً - رحمه الله تعالى، وقد جمع له من الشجاعة^(١) والسماحة^(٢) والبراعة والعلم ومحبّة أهله، وكان يجيئ في كل يوم جمعة إلى تربية والده، فيجلس قليلاً، ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربية عمّه صلاح الدين، فيصلى فيها الجمعة، وكان قليل التعاطم؛ يزكّب في بعض الأحيان وحده، ثم يلحقه بعض غلمانه سواقاً، وقال فيه بعض أصحابه، وهو مُحبّ الدين بن أبي السعود البغدادى^(٣):

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى بوالٍ فما وجدى عليك ببالٍ
ومذ غبت عنى ما ظفرت بصاحبٍ أحنى ثقة إلا خطرت ببالى
وملك دمشق بعده ولده الناصر داود بن المعظم، وبايعه الأمراء.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٥٢.

أبو المعالي^(١) أسعدُ بنُ يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب
 الفقيه الشافعي السنجاري، شيخ أديب فاضلٍ خبيرٍ، له نظمٌ ونثرٌ ظريفٌ، وله
 نوادرٌ حسنةٌ، وجاوز التسعين، قد استنوزره صاحبُ حماة في وقتٍ، وله شعرٌ
 رائعٌ أورد منه ابنُ الساعي قطعةً جيدةً، فمن ذلك قوله :

وهواك ما خطر السُّلُوُ بباليه ولأنت أعلمُ في الغرامِ بحاليه
 فمتى وشى واشٍ إليك بأنه سألِ هواك فذاك من عُذَّاليه
 أو ليس للكليف^(٢) المعنى شاهدٌ من حاله يُغنيك عن تسألِه
 جدَّدتْ ثوبَ سقامه وهتكتْ سِتْه رَ غرامه وصرمتْ حبلَ وصالِه
 يا للعجائبِ من أسيرِ دأبه يَفْدِي الطَّلِيقَ [١٧/١٠] بنفسِه وبمالِه
 وله أيضًا :

لامَ العواذِلُ في هواك فأكثروا هيهات ميعادُ السُّلُوُ المحشُرُ
 جهلوا مكانك في القلوبِ فطوَّلوا^(٣) لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
 صَبْرًا على عَذْبِ الهوى وعذابه وأخو الهوى أبدًا يلامُ ويُعذَّرُ
 أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حمدانِ الطَّيْبِيُّ^(٤) ،
 المعروف بالصائغِ، أحدُ المُعيدِين بالنظامية، ودرَّس بالثَّقَاتِيَّةِ^(٥)، وكان عارفاً

(١) كذا في الأصل، م. وتقدمت ترجمته في صفحة ١٤٢، وفيها وفي مصادر ترجمته: «أبو السعادات».

(٢) في م: «للدنف».

(٣) في م: «وحاولوا».

(٤) الوافي بالوفيات ٢٣٩/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٧٥/٨.

(٥) في الأصل: «بالنعبة»، وفي م: «الثقافية». والمدرسة الثقافية ببغداد نسبة إلى بانيتها ثقة الدولة أبي الحسن علي بن محمد الدويني. انظر الكامل ٢٠٠/١١، وسير أعلام النبلاء ٣٠١/٢١.

بالمذهب والفرائض والحساب، صنّف شرحاً «للتنبيه»، ذكره ابن الساعي .
 أبو النّجم محمد بن القاسم بن «هبة الله» التّكريتي، الفقيه الشافعي،
 تفقّه ببغداد على أبي القاسم بن فضلان، ثم أعاد بالنّظامية، ودرّس في غيرها،
 وكان يشتغل كل يوم عشرين درساً، وليس له ذأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن
 ليلاً ونهاراً، وكان بارعاً، كثير العلوم، قد أتقن المذهب والخلاف، وكان يُفتى
 في مسألة الطلاق الثلاث بوحدة، فتعَيّظ عليه قاضي القضاة أبو القاسم عبد الله
 ابن الحسين الدّامغاني، فلم يسمع منه، ثم أُخرج إلى تكريت، فأقام بها، ثم
 استُدعي إلى بغداد، فعاد إلى الاشتغال، وأعاد قاضي القضاة نصر بن
 عبد الرزاق إلى إعادته بالنّظامية، وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى
 والوجهية إلى أن تُوفّي في هذه السنة، رحمه الله تعالى . وهذا ذكره ابن
 الساعي .

(١ - ١) في الأصل: «عبد الله» وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢١٠، والوفى بالوفيات ٣٣٩/٤.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً

فيها^(١) كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ جلالِ الدينِ والتَّتَّارِ، كَسَرُوهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، ثم بعدَ ذلكَ كلُّه كَسَرَهُمْ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأُمَّمًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَانَ هَؤُلاءِ التَّتَّارُ قَدِ انْفَرَدُوا وَعَصَوْا عَلَى جِنكِيخَانَ، فَكَتَبَ ابْنُ^(٢) جِنكِيخَانَ إِلَى جَلالِ الدينِ يَقُولُ: إِنْ هَؤُلاءِ لَيْسُوا مِنَّا وَنَحْنُ أَبْعَدُنَاهُمْ، وَلَكِنْ سَتَرَى مِنَّا مَا لَا قِبَلَ لَكَ بِهِ.

وَفِيهَا قَدِمَتْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْفِرْجِ مِنْ نَاحِيَةِ صِبْقَلِيَّةَ، فَنَزَلُوا عَكَا وَصُورَ، وَحَمَلُوا عَلَى مَدِينَةِ صَيْدَا، فَأَنْتَزَعُوهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، وَغَزَوْهَا^(٣) وَقَوَّيْتِ شَوْكُتْهُمْ، وَجَاءَ الْأَنْبُرُورُ مَلِكُ جَزِيرَةِ قُبْرُسَ، ثُمَّ سَارَ، فَنَزَلَ مَدِينَةَ عَكَا فَخَافَ الْمُسْلِمُونَ^(٤)، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَرَكِبَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ صَاحِبُ مِصْرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَدَخَلَهُ، ثُمَّ سَارَ إِلَى نَابُلُسَ، فَخَافَ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعْظَمِ مِنْ عَمِّهِ الْكَامِلِ، فَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ الْأَشْرَفِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ جَرِيدَةً^(٥)، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ يَسْتَعِظُفُهُ، وَيَكْفُهُ عَنْ ابْنِ أَخِيهِ، فَأَجَابَ الْكَامِلُ بِأَنِّي إِنَّمَا جِئْتُ لِحَفِظِ بَيْتِ

(١) الكامل ٤٧٥/١٢ - ٤٨١، والذيل على الروضتين ص ١٥٢ - ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٥ - ٣١.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «عبروها».

(٤) بعده في م: «من شره».

(٥) في الأصل: «جزيرة». والجزيدة: خيل لا رجالة فيها. الوسيط (ج ر د).

المقدسِ وَصَوْنَهُ عَنِ الْفِرْنَجِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَخْذَهُ ، وَحَاشَى لِلَّهِ أَنْ أَحَاصِرَ أَخِي أَوْ
ابْنَ أَخِي ، وَبَعْدَ أَنْ جِئْتَ أَنْتَ إِلَى الشَّامِ ، فَأَنْتَ تَحْفَظُهَا ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَى الدِّيَارِ
المَصْرِيَّةِ . فَخِشِي الْأَشْرَفُ وَأَهْلُ الشَّامِ ^(١) إِنْ رَجَعَ الكَامِلُ أَنْ تَمْتَدَّ أَطْمَاعُ الْفِرْنَجِ
إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَرَكِبِ الْأَشْرَفُ إِلَى أَخِيهِ الكَامِلِ ، فَتَبَطِّطْهُ عَنِ الرُّجُوعِ ، وَأَقَامَا
جَمِيعًا هُنَاكَ ، جَزَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا ، يَحْفَظَانِ جَنَابَ بَيْتِ المَقْدِسِ عَنِ
الْفِرْنَجِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . وَاجْتَمَعَ إِلَى المَلِكِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، كَأَخِيهِ
الْأَشْرَفِ وَأَخِيهِمَا الشُّهَابِ غَازِيِ بْنِ العَادِلِ وَأَخِيهِمُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
العَادِلِ ، وَصَاحِبِ جِمَصَ أُسَيْدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ
شِيرْكُوهِ ، وَغَيْرِهِمْ ، وَاتَّفَقُوا كَلِّمَهُمْ عَلَى نَزْعِ النَّاصِرِ دَاوُدَ عَنِ مُلْكِ دِمَشْقَ
وَتَسْلِيمِهَا [١٧/١٠٠ظ] إِلَى الْأَشْرَفِ مُوسَى ؛ ^(٣) لِأَجْلِ حِفْظِ الشَّامِ مِنَ الْفِرْنَجِ ،
وَسِيَّاتِي تَنْفِيزُ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) .

وَفِيهَا غَزَلَ الصَّدْرُ البَكْرِيُّ ^(٥) عَنِ حِشْبَةِ دِمَشْقَ وَمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ ، وَوُلِّيَ
فِيهَا ^(٥) اثْنَانِ غَيْرُهُ .

قَالَ الشَّيْخُ شُهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ ^(٦) : وَفِي أَوَائِلِ رَجَبِ تُوْفَى الشَّيْخِ الفَقِيهِ
الصَّالِحِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ المَرَاكَشِيِّ ، المَقِيمُ بِالمَدْرَسَةِ المَالِكِيَّةِ ، وَدُفِنَ بِالمَقْبَرَةِ
الَّتِي وَقَفَهَا الرَّئِيسُ ^(٧) خَلِيلُ بْنُ زُوَيْرَانَ قَبْلِيَّ مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ بِهَا .

(١) فِي م : « دِمَشْقَ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « العَادِلِ » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « التَّكْرِيئِي » . وَانظُرِ المَصَادِرَ المَتَقَدِّمَةَ .

(٥) فِي م : « فِيهَا » .

(٦) الذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٥٣ .

(٧) فِي م : « الزَّيْنِ » . وَانظُرِ المَصْدَرَ السَّابِقَ .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة

استهلت هذه السنة^(١) وملوك بني أيوب مُفترقون مُختلفون، قد صاروا أخزابًا وفرقًا، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مُقيم بنوحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفِرَج، لعنهم الله، بكثرتهم بمن وقد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ مناهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك على أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية، فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جدًا، وحصل بسبب ذلك وهن شديد وإزجاف عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم قديم الكامل، فحاصر دمشق، وضيّق على أهلها، فقطع الأنهار، ونهبت الحواضر^(٢)، وغلت الأسعار، ولم يزل بالجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم، على أن يُقيم ملكًا بمدينة الكرك والشوبك ونابلس^(٣) وقرانيا من^(٤) العور والبلقاء، ويكون الأمير عز الدين أيك أستاذ دار المعظم صاحب صرخد، ثم تقايض الأشرف وأخوه الكامل، فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرّها ورأس العين والرقة

(١) الكامل ٤٨٢/١٢ - ٤٨٨، ومرة الزمان ٦٥٣/٨ - ٦٥٩ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٥٤ - ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٢ - ٣٥.

(٢) في م: «الحوصل».

(٣ - ٣) في م: «برا ما بين».

وسرّوج، ثم سار الكامل فحاصر حماة، وكان صاحبها الملك المنصور بن تقيّ الدين عمر قد توفّي، وعهد بالأمر من بعده إلى أكبر ولده المظفر محمد، وهو زوج بنت الكامل، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين قليج أرسلان، فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها، وسلّمها إلى أخيه المظفر محمد، ثم سار فتسلّم البلاد التي قاىض بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل^(١) في أيام الملك الناصر داود، وكان يُعاني ذلك، وربما^(٢) نسبه بعضهم إلى نوع من الانحلال. فالله أعلم. فنأدى الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس بذلك، وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقهِ، وكان سيف الدين الأمدئي مدرّسا بالعزيرية، فعزله عنها، وبقي مُلازِمًا منزله حتى مات في سنة إحدى وثلاثين كما سيأتي.

وفيها كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة شمس الدين بن الخوئي^(٣) القاضي محيي الدين^(٤) «أبا الفضائل» يحيى بن محمد بن علي بن الزكي، فحكّم أياما بالشباك، شرقي باب الكلاسة، ثم صار يحكّم بداره، مُشارِكًا لابن الخوئي^(٥).

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

(١) انظر ما تقدم صفحة ٧٦ حاشية (٨).

(٢) في م: «قديمًا».

(٣) في م: «الخولي». وانظر المشتبه ١/١٩٣، وتبصير المنتبه ١/٣٧٦.

(٤ - ٤) سقط من: م. وفي الأصل: «أبا المعالي». والمثبت من الذيل على الروضتين. وأبو المعالي كنية أبيه محيي الدين محمد بن علي بن يحيى بن علي. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/١٥٧، ووفيات الأعيان ٤/٢٢٩.

أبو يوسف يعقوب بن صابر الحرّاني ثم البغدادي المتجني^(١)، كان
فاضلاً [١٨/١٠] في فنه، وشاعراً مطبّقاً، لطيف الشعر، حسن المعاني، وقد
أورد له ابن الساعي قطعةً سالحةً، ومن أحسن ما أورد له قصيدةٌ فيها تغزيةٌ
عظيمةٌ لجميع الناس، وهي قوله:

هل لمن يزججى ^(٢) البقاء خلودٌ	وسوى الله كل شيء يبید
والذي كان من تراب وإن عا	ش طويلاً للتراب يعود
فمصيّر الأنام طراً إلى ما	صار فيه آبأؤهم والجدود
أين حواء أين آدم إذ فا	تهم الخلد والثوى والخلود
أين هابيل أين قابيل إذ هـ	ذا لهذا معانيد وحسود
أين نوح ومن نجا معه بالـ	فلك والعالمون طراً فقيد
أسلمته الأيام كالطفل للمو	ت ولم يُغن عمزه الممدود
أين عاد بل أين جنة عاد	أم ترى أين صالح وثمود
أين إبراهيم الذي شاد بيت الـ	له فهو المعظم المقصود
حسدوا يوسفًا أخاهم فكادو	ه ومات الحسود ^(٣) والمحسود
وسليمان في الثبوة والملل	ك قضى مثل ما قضى داود
فغدوا بعد ما أطيع لدا الخلد	ق وهذا له أليين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسـ	ع وشق الخضم فهو صعيد

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥ / ٣٦١، ووفيات الأعيان ٧ / ٣٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٢٦٢،
وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧١.
(٢) في الأصل: «يزججى».
(٣) في م: «الحاسد».

والمسيح ابن مريم وهو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها دى إلى الحق أحمد الحمود
وبنوه وأله الطاهرون الزُّ هُرُ صُلَى عَلَيْهِمُ الْمَقْبُودُ
ونجوم السماء مُنْتَثِرَاتٌ بعدَ حينٍ وللهواءِ رُكُودُ
ولنار الدنيا التي تُوقَدُ الصَّخْرُ رَ خُمُودُ وللمياه جُمُودُ
وكذا للثرى غَدَاةٌ يَوْمُ النَّـ سَ منها تَزَلُّزٌ وهُمُودُ
هذه الأَبْهَاتُ^(١) نارٌ وتُرَبٌ وهَوَاءٌ رَطْبٌ وماءٌ بَرُودُ
سوف تَقْنَى كما فِينَا فلا يَدُ قَى مِنَ الخَلْقِ والدُّ ووليدُ
لا الشَّقَى الغَوِيُّ مِنْ نُوبِ الأَيِّ ام يَنْجُو ولا السعيدُ الرَّشيدُ
ومتى سَلَّتِ المَنَايا سَيُوفًا فالْمُوالى حَصِيدُها والعَبِيدُ

الملك المسعود أقسيس بن الكامل صاحب اليمن^(٢) ، وقد ملك مكة من
سنة تسع عشرة ، فأحسن بها المعدلة ، ونفى الزيدية منها ، وأمنت الطرقات
والحجاج ، ولكنه كان مشرفاً على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضاً . وكانت وفاته
بمكة ، ودُفِنَ^(٣) بباب المغلى^(٣) .

محمد السبتي النجار^(٤) ، كان يعده بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة :

(١) في م : « الأمهات » .

(٢) مرآة الزمان ٦٥٨/٨ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص ١٥٨ ، ونهاية الأرب ١٥٧/٢٩ ،
وسير أعلام النبلاء ٣٣١/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧٣ .

وجاء اسمه في الذيل على الروضتين «أطسيس» . قال ابن خلكان ٧٨/٥ ، ٧٩ في ترجمة العادل :
أطسيس ، يفتح الهمزة وسكون الطاء المهمله وكسر السين المهمله وبعدها ياء مشناة من تحتها ثم سين ثانية
وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ، والناس يقولون : أقسيس باللقاف ، وصوابه بالطاء .

(٣ - ٣) كذا في الأصل ، م . وفي المصادر : « بالمغلى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٥٧ .

وهو الذى بنى المسجدَ غربىَّ دارِ الوِكالَةِ^(١) عن يسارِ المارِّ فى الشارعِ ، من مالِهِ ،
وَدُفِنَ بالجبلِ . وكانت جنازتهُ مشهودةً . رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

العَبَّادِيُّ الشاعِرُ: أبو الحسنِ عليُّ بنُ سالمِ بنِ يزيدِ بنِ محمدِ بنِ
مُقَلِّدٍ^(٢) ، العَبَّادِيُّ الشاعِرُ ، مِنَ الحَدِيثَةِ ، قَدِمَ بَعْدَادَ مِرارًا ، وامتَدَحَ المُسْتَنصِرَ^(٣)
وغيرَه ، وكان فاضلاً كثيراً التَّغزُّلِ .

أبو الفتحِ نصرُ بنُ عليِّ البَغْدادِيُّ^(٤) ، الفَقِيهُ الشافِعِيُّ ، ويُلقَّبُ بـتَغَلِبِ ،
اشْتَعَلَ فى المذهبِ والخِلافِ ، ومِن شعرِه قولُه :

جِسْمِي مَعى غيرَ أنِ الرُّوحَ عِنْدَكُم فَالجِسْمُ فى غُرْبَةٍ والرُّوحُ فى وِطَنِ
فَلْيُعْجِبِ النَّاسُ مِنِّى أنَّ لى بَدَنًا لا رُوحَ فىهِ ولى رُوحَ بلا بَدَنِ
أبو الفضلِ جَبْرِيلُ بنُ منصورِ بنِ هِبَةَ اللهِ بنِ جَبْرِيلِ بنِ الحسنِ بنِ غالبِ
ابنِ يَحْيَى بنِ موسى بنِ يَحْيَى بنِ الحسنِ بنِ غالبِ بنِ الحسنِ بنِ عمرو بنِ
الحسنِ بنِ الثُّعْمَانِ بنِ المُنذِرِ^(٥) ، المَعْرُوفُ بابنِ زُطَيْنَا البَغْدادِيِّ ، كان كاتِبَ
الدِّيوانِ بها ، أسْلَمَ ، وكان نَصْرانيًّا ، فحسُنَ إسلامُه ، وكان مِن أَفْصَحِ النَّاسِ
[١٨ / ١٠ ظ] وأبْلَغِهِم مَوْعِظَةً ، فَمِن ذلك قولُه : خَيْرُ أوقَاتِكَ ساعةٌ صَفَتْ لَهِ ،
وخالَصَتْ^(٦) مِنَ الفِكْرَةِ لغيرِه والرَّجاءِ لسواه ، وما دُمْتَ فى خِدمةِ السُلطانِ ، فلا
تَغْتَرَّ بِالزَّمانِ ، اكْفُفْ كَفْكَ ، واضْرِفْ طَرْفَكَ ، وأكثِرْ صومَكَ ، وأقلِّلْ نومَكَ^(٧) ،

(١) فى م : « الزكاة » . وفى الذيل : « الركوة » . وانظر الدارس ٣٠٦ / ٢ .

(٢) فوات الوفيات ١٢٦ / ٢١ ، وليس فيه : « بن يزيد » .

(٣) فى م : « المستظهر » . وهو خطأ ، فإن المستظهر العباسى توفى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .

(٤) الوافى بالوفيات ١٤ / ١١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٣٦ / ٨ .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٤٧ .

(٦) فى الأصل : « جلت » .

(٧) بعده فى م : « يؤمنك » .

واشكرو ربك ، يُحمدُ أمرك .

وقال : زادُ المسافرِ مُقدِّمٌ على رَحِيلِهِ ، فأعدَّ الزادَ تَبْلُغَ المرادِ .

وقال : إلى متى تَمَادَى في العَفْلَةِ ؟ كأنك قد أَمِنْتَ عَوَاقِبَ المَهْلَةِ ، عمرُ اللهوِ مضى ، وعمرُ الشَّبِيبةِ انْقَضَى ، وما حَصَلَتْ مِن رِبِّكَ على ثِقَةٍ بالرِّضَا ، وقد انْتَهَى بك الأمرُ إلى سُنِّ التَّخَاذُلِ ، وزمنِ التَّكَاثُلِ ، وما حَظِيَّتْ بطائلِ .

وقال : رُوْحُكَ تَخْضَعُ ، وعَيْنُكَ لا تَدْمَعُ ، وقلْبُكَ لا يَخْشَعُ ، ونَفْسُكَ^(١) لا تَشْبَعُ^(١) ، وتَظْلِمُ نَفْسَكَ وَأَنْتَ لَهَا تَتَوَجَّعُ ، وتُظْهِرُ الزَهْدَ في الدُّنْيَا وفي المَالِ تَطْمَعُ ، وتَطْلُبُ ما ليس لك بِحَقٍّ وما وَجِبَ عَلَيْكَ مِنَ الحَقِّ لا تَدْفَعُ ، وتَرْوُمُ فَضْلَ رَبِّكَ وللمَاعُونِ تَمْنَعُ ، وتَعْيِبُ نَفْسَكَ الأَمَارَةَ وَهِيَ عَنِ اللهِ لا تَرْجِعُ ، وتُوقِظُ العَافِلِينَ بِإِنْدَارِكَ وتَتَنَاوَمُ عَنِ سَهْمِكَ وتَهْجَعُ ، وتَخْصُصُ غَيْرَكَ بِخَيْرِكَ وَنَفْسَكَ الفَقِيرَةَ لا تَنْفَعُ ، وتَحُومُ على الحَقِّ وَأَنْتَ بِالْبَاطِلِ مُوَلِّعٌ ، وتَتَعَتَّرُ في المِضَابِقِ وطَرِيقِ^(٢) النِّجَاةِ مَهْيِعٌ^(٣) ، وتَهْجِمُ على الذُّنُوبِ وفي المَجْرِمِينَ تَشْفَعُ ،^(٤) وتَوَكِّنُ إلى دَارِ السَّلَامَةِ وَأَنْتَ بِالْعَطْبِ مُرْوِّعٌ ، وتَحْرِصُ على زِيَادَةِ الاكْتِسَابِ وَحَسَابِكَ في كِفْلِ غَيْرِكَ يُوَضِعُ^(٥) ، وتُظْهِرُ القِنَاعَةَ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ لا تَشْبَعُ ، وتُعَمِّرُ الدَّارَ الفَانِيَةَ وَدَارُكَ البَاقِيَةَ خَرَابٌ بَلْقَعُ ، وتَسْتَوِطُنُ في مَنزِلِ رَحِيلِ كَأَنَّكَ إلى رَبِّكَ لا تَرْجِعُ ، وتَظُنُّ أَنَّكَ بِلا رَقِيبٍ وَأَعْمَالُكَ إلى المُرَاقِبِ تُرْفَعُ ، وتُقَدِّمُ على الكِبَائِرِ وَعَنِ الصِّغَائِرِ تَتَوَرَّعُ ، وتُؤَمِّلُ العُفْرَانَ وَأَنْتَ عَنِ الذُّنُوبِ لا تُفْلِحُ ، وتَرَى

(١ - ١) في م : « تجشع » .

(٢) في م : « طرق » .

(٣) المهجع من الطرق : البين . الوسيط (ه ي ع) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

الأهوال مُحِيطَةٌ بِكَ وَأَنْتَ فِي مَيْدَانِ اللَّهْوِ تَرْتَعُ ، وَتَسْتَنْبِحُ أفعالَ الْجُهَالِ وَبَابِ
الْجَهْلِ تَقْرَعُ ، وَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَأْنَفَ مِنَ التَّعَسُفِ ^(١) وَعَنِ الدَّنَايَا تَتَرَفَّعُ ، وَقَدْ سَارَ
الْمُخْفِقُونَ وَتَخَلَّفَتْ فَمَاذَا تَتَوَقَّعُ ؟

وقد أورد له ابن الساعي شعراً حسناً؛ فمنه :

إِنْ سَهَرْتَ عَيْنَكَ فِي طَاعَةٍ فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَوْمِ
أَمْسِكَ قَدْ فَاتَ بِعِلَاتِهِ فَاسْتَذْرِكِ الْفَائِتَ فِي الْيَوْمِ
وله :

إِنْ رَبًّا هَدَاكَ بَعْدَ ضَلَالٍ سُبُلَ الرُّشْدِ ^(٢) مُسْتَحِقُّ الْعِبَادَةِ
فَتَعَبَّدْ لَهُ تَجِدْ مِنْهُ عِثْقًا وَاسْتَدِمْ فَضْلَهُ بِطَوْلِ الزَّهَادَةِ
^(٣) وله :

إِذَا تَعَقَّفْتَ عَنْ حَرَامٍ عُوْضْتَ بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ
فَاقْنَعْ تَجِدْ فِي الْحَرَامِ حِلًّا فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ^(٣)

(١) في م : « التعنيف » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة

فيها^(١) كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين ابن خوارزم شاه الخوارزمي، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خِلاط في العام^(٢) الماضي، وخرَّبها وشرد أهلها، وحاربه علاء^(٣) الدين كيقباز^(٤) ملك الروم، وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده، فقدم الأشرف في طائفة كثيرة من عسكر دمشق، وأنضاف إليه عسكر بلاد الجزيرة ومن بقي من عسكر خِلاط^(٥)، فكانوا خمسة آلاف مقاتل صليبية^(٦)، معهم العدة الكاملة، والخيول الهائلة، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان، وهو في عشرين

(١) الكامل ٤٨٩/١٢ - ٤٩٤، ومرآة الزمان ٦٥٩/٨ - ٦٦٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين

ص ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٦ - ٤١.

(٢) سقط من: م. والذي ذكر أن جلال الدين أخذ خِلاط في العام الماضي هو الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٥ ضمن حوادث سنة ست وعشرين وستمائة، وذكر هناك أن جلال الدين لم يزل يجد في حصار خِلاط حتى افتتحها آخر العام، أما في أحداث هذه السنة - السابعة والعشرين - فقد نقل الحافظ الذهبي فيها أقوال أبي شامة وسبط ابن الجوزي والموفق البغدادي، أما أصحاب المصادر الأخرى فقد ذكروا أنه افتتحها في هذا العام، حدّد صاحباً مرآة الزمان والكامل أن ذلك كان في جمادى الأولى، ولم يسم في الذيل على الروضتين الشهر الذي وقع فيه ذلك، وأما ما اتفقت عليه جميع المصادر فهو أنه قد حاصر خِلاط من العام الماضي.

(٣) في الأصل: «عماد».

(٤) في الأصل: «ليعتاد».

(٥) لم تذكر المصادر أن الأشرف استصحب معه من بقي من عسكر خِلاط، إلا أن قصد المصنف أعمال خِلاط، ففي الكامل أن الخوارزمي لما انهزم هو ومن معه «عادوا إلى أذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى، ولم يكونوا قد استولوا على شيء من أعمال خِلاط سوى خِلاط».

(٦) الصليبية: الشديدة القوية: انظر الوسيط (ص ل ب).

ألف مقاتيل، فلم يُقَم لهم ساعة [١٠/١٩١] واحدة، ولا صبر، بل تَفَهَّرَ وأنْهَزَم
وَاتَّبَعُوهم على الأثر، ولم يَزَالوا في أثرهم إلى مدينة خوى^(١)، وعاد الأشرف إلى
مدينة خِلاط، فوجدها خاويةً على غروشها، فمهدّها وأطدّها، ثم تصالح هو
وجلال الدين، وعاد إلى مُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ بدمشق، حرسها اللهُ تعالى وإياه.

وفيها تسلّم الملك الأشرف قلعةً بَغْلَبَكٍ مِنَ الملكِ الأُمَجدِ بَهْرَام شاه بعدد
حِصَارٍ طَوِيلٍ، ثم اسْتَخْلَفَ على دمشق أخاه الصالح إسماعيل، ثم سار إلى
الشرق^(٢) بسبب أن جلال الدين الخوارزمي اسْتَحْوَذَ على بلادِ خِلاط، وقتل من
أهلها خلقًا كثيرًا، ونهب أموالًا كثيرةً، فالتقى معه الأشرف رأسًا هائلًا، واقتلوا
قتالًا عظيمًا، فهزّمه الأشرف هزيمةً مُنْكَرَةً، وهلك من الخوارزمية خلق كثير،
ودُقَّت البشائرُ في البلادِ فرحًا بِنُصْرَةِ الأشرفِ على الخوارزمية، فإنهم كانوا لا
يَفْتَحُونَ بلدًا إلا قتلوا مَنْ فيه ونهبوا أمواله، فكسّرهم اللهُ تعالى، وقد كان
الأشرف رأى النبي ﷺ في المنام قبل الوقعة، وهو يقول له: يا موسى، أنت
منصورٌ عليهم. ولما فرغ من كسْرِهِم عاد إلى بلادِ خِلاط، فرمّ شعثها، وأصلح
ما كان فسَدَ منها.

ولم يَحْجُجْ أحدٌ من أهلِ الشامِ في هذه السنة، ولا في التي قبلها، وكذا فيما
قبلها أيضًا، فهذه ثلاث سنين لم يَسِرْ مِنَ الشامِ حاجٌّ إلى الحجاز.

وفيها أخذت^(٣) الفرينجُ جزيرةً مَبُورَقَةً^(٤) وقتلوا بها خلقًا، وأسروا آخرين، فقدموا

(١) لم تذكر المصادر تتبع الأشرف موسى للخوارزمي وجيشه إلى خوى. وخوى: بلد مشهور من أعمال أذربيجان. انظر معجم البلدان ٥٠٢/٢.

(٢) في م: «الأشرف».

(٣) بعده في الأصل: «من».

(٤) في م: «سورقة». وميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس. معجم البلدان ٧٢٠/٤.

بهم إلى الساحل ، فاستقبلهم المسلمون ، فأخبروا بما جرى عليهم من الفرج .

ومن تُوفّي فيها من الأعيان :

زَيْنُ الْأَمْنَاءِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو الْبَرَكَاتِ ^(١) الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
ابنِ هبةِ اللَّهِ ، زَيْنُ الْأَمْنَاءِ ، ابنُ عَسَاكِرِ الدَّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى
عَمِّهِ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ وَالصَّائِنِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، وَعُمِّرَ وَتَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ ^(٢) ، وَجَاوَزَ
الْثَمَانِينَ بِنَحْوِ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأُقْعِدَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، فَكَانَ يُحْمَلُ فِي مِحْفَةٍ إِلَى
الْجَامِعِ وَإِلَى دَارِ الْحَدِيثِ الثُّورِيَّةِ لِإِسْمَاعِيلِ الْحَدِيثِ ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ مَدَّةً طَوِيلَةً ،
وَلَمَّا تُوفِّي حَضَرَ النَّاسُ جِنَازَتَهُ ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَخِيهِ الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ عَسَاكِرِ
بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ . رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

الشَّيْخُ بَيْرُمُ الْمَارِدِينِيُّ ^(٣) ، كَانَ صَالِحًا مُنْقَطِعًا مُحِبًّا لِلْعَزَلَةِ عَنِ النَّاسِ ، وَكَانَ
مُقِيمًا بِالزَّوَايَةِ الْغَرِيبَةِ مِنَ الْجَامِعِ ، ^(٤) وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : الْغَزَالِيَّةُ . وَتُعْرَفُ بِزَاوِيَةِ
الدَّوْلَعِيِّ وَبِزَاوِيَةِ الْقُطْبِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَبِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ ^(٥) نَصْرِ الْمَقْدَسِيِّ . قَالَ الشَّيْخُ
شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ . وَكَانَ يَوْمَ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ ^(٦) . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) بعده في م : « بن » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٦٣/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات
النقطة ٣٨٦/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٨٤/٢٢ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٨٠ ، والوفاء بالوفيات ٢٥٣/١٢ وعنده «الحسن بن محمد
ابن هبة الله» ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤١/٨ .

(٢) إضافة من المصنف ، فلم تذكر المصادر تفردّه بالرواية .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٥٨ .

(٤ - ٤) زيادة من الأصل ، م . ليست في مصدر الترجمة .

(٥) بعده في م : « أبي » .

(٦) في الذيل على الروضتين أنه دُفن شرقى مقبرة ابن شيت على تل هناك .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة

استهلت^(١) والملك الأشرف موسى بن العادل ببلاد الجزيرة مشغولٌ بإصلاح ما كان جلالُ الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده^(٢). وقد قدمت التتارُ في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر، فعاثوا بالفسادِ يمينا وشمالا، فقتلوا ونهبوا وسبوا، على عادتهم، خذلهم الله تعالى.

وفيهما رُتب إمامٌ بمشهد أبي بكرٍ من جامع دمشق، وصُلِّيت فيه الصَّلوات الخمس.

وفيهما درَّس الشيخُ تقي الدين بن الصَّلاح الشَّهْرزُوريُّ الشافعيُّ بالمدرسة الشامية الجوانية جوارِ المارستانِ في جمادى الأولى منها.

وفيهما درَّس^(٣) الناصحُ بنُ الحنبليُّ^(٤) بالصاحبة^(٤) بسفحِ قاسيونَ التي أنشأها

(١) الكامل ٤٩٥/١٢ - ٥٠٥، ومرآة الزمان ٦٦٥/٨ - ٦٦٧ (القسم الثاني)، والذيل على

الروضتين ص ١٥٩ - ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) لم يُذكر ذلك في المصادر، ولكن لعل المصنف رحمه الله اعتبره امتدادا لما ذُكر في السنة الماضية -

السابعة والعشرين - فإن ذُكر المصنف - فيما يأتي - قدوم التتار إلى الجزيرة وديار بكر وإفسادهم فيهما

قد يتعارض مع ذلك، ولا تعارض، فالجزيرة هي جزيرة أقور تشتمل على ديار مضر، وديار بكر بها مدن

جليلة وحصون وقلاع كثيرة. ومن أمهات مدنها حسران والرها والرقه ورأس عين ونصيبين وسنجار

والخابور وماردين وآمد وميفارقين والموصل وغير ذلك. انظر معجم البلدان ٧٢/٢. وبذا يتبين أنها منطقة

كبيرة، كان التتر يغيرون على بعضها فقط، كما فضله ابن الأثير وغيره سنة ثمان وعشرين.

(٣ - ٣) في الأصل: «بن الناصر»، وفي م: «الناصر بن». والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام.

وانظر سير أعلام النبلاء ٥٤/١٩.

(٤) في م: «بالصاحبة». وفي تاريخ الإسلام: «الصاحبية». والمثبت من الأصل صحيح أيضا، فقد

ذكرت بـ «الصاحبة» و«الصاحبية»؛ انظر الدارس ٧٩/٢، ٨٠، ٨٢.

الخاتون ربيعة بنتُ أيوبٍ أختُ ستِّ الشَّامِ .

وفيها حبسَ الملكُ الأشرفُ الشيخَ عليًّا الحريرِيُّ [١٠/١٩١ ظ] بقلعةٍ عزَّتَا .

وفيها كان غلاءً شديدٌ بديارِ مصرَ وبلادِ الشَّامِ وحلبَ والحزيرةَ بسببِ قلةِ المياهِ السَّماويةِ والأرضيةِ، فكانت هذه السنةُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ وَبَشِيرِ الصَّادِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿البقرة: ١٥٥، ١٥٦﴾ .

وذكر ابنُ الأثير^(١) كلامًا طويلًا مضمونُه خروجُ طائفةٍ مِنَ التَّارِ مرةً أخرى من بلادِ ما وراءَ النهرِ، وكان سببُ قُدومِهِم هذه السنةُ أن الإسماعيليةَ كتبوا إليهم يُخبرونهم بضعفِ أمرِ جلالِ الدينِ بنِ حُوَارِزْمِ شاه، وأنه عادى جميعَ الملوكِ حولَه حتى الخليفةَ، وأنه قد كسره الأشرفُ بنُ العادلِ مرتين، وكان جلالُ الدينِ قد ظَهَرَ منه أفعالٌ ناقصةٌ تُدُلُّ على قلةِ عقلِه، وذلك أنه تُوفِّي له غلامٌ خصيٌّ يقالُ له: قَلِجٌ^(٢). وكان يُحبُّه، فوجد عليه وجداً عظيماً بحيث إنه أمرَ الأمراءَ أن يمشوا في جنازتهِ، فمشوا فراسخَ إلى تربتهِ، وأمرَ أهلَ البلدِ أن يخرجوا بحُزْنٍ وتغدادٍ عليه، فتوانى بعضهم في ذلك، فهممَّ بقتلِهِم حتى تشفَّعَ فيهم بعضُ الأمراءِ، ثم لم يسمَحْ بدفنِ قَلِجٍ، فكان يُحمَلُ معه في محفَّةٍ، وكلما أخضرَ بينَ يديه طعامٌ يقولُ: احمِلوا هذا إلى قَلِجٍ. فقال له بعضهم: أيُّها الملكُ، قد مات قَلِجٌ. فأمرَ بضربِ عنقه فقتل، فكانوا بعدَ ذلك يقولون: قَبِلَه^(٣) وهو يُقبَلُ

(١) الكامل ٤٩٥/١٢ - ٥٠٠ .

(٢) هنا وفيما يأتي في الأصل: «فلح» .

(٣) أى قَبِلَ قَلِجَ الطعامِ .

الأرض ويقول: هو الآن أصلح مما كان. يعنى أنه مريض وليس بميت، فيجد الملك راحةً بذلك؛ من قلة عقله ودينه، قبحه الله تعالى.

فلما جاءت التتار اشتغل بهم، وأمر بدفن قلع، وهرب من بين أيديهم، وامتلأ قلبه خوفًا منهم، وجعل كلما سار إلى قُطرٍ لحقوه إليه، وخربوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان، حتى انتهوا إلى الجزيرة، وجاوزوها إلى سنجار وماردين وآمد، يُفْسِدُونَ ما قَدَرُوا عليه قتلاً وأسرًا ونهبًا، وتمزق شملُ جلال الدين، وتفرق عنه جيشه، فصاروا شذَر مَدَر، وبُدلوا بالأمن خوفًا، وبالعزُّ ذُلًا، وبالاجتماع تفريقًا، فسبحان من بيده الملكوت^(١)! وانقطع خبرُ جلال الدين فلا يُدرى أين سلك ولا أين ذهب، وتمكنت التتار من الناس في سائر البلاد لا يجدون من يمتنعهم ولا من يزدعهم، وألقى الله تعالى الوهن والضعف في قلوب الناس منهم، كانوا كثيرًا ما يقتلون الناس، فيقول المسلم: لا بالله، لا بالله. فكانوا يلعبون على الخيل، ويُغنون ويُحَاكُونَ الناس: لا بالله لا بالله. وهذه طائفة عظمى وداهية كبرى، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وحجَّ الناس في هذه السنة من الشام، وكان فيمن خرج الشيخ تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح، ثم لم يحجَّ الناس بعد هذه السنة أيضًا لكثرة الحروب والخوف من التتار والفرنج، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها^(٢) تكامل بناء المدرسة التي بشوق العجم من بغداد، المنسوبة إلى إقبال الشرايبي، وحضر الدرس بها، وكان يومًا مشهودًا، واجتمع فيها جميع المدرسين

(١) في م: «الملك لا إله إلا هو».

(٢) هذا الخبر لم نجده في مصادر الترخيخ، وانظر الدارس ١/١٥٩، ١٦٠ فقد نقل مصنفه هذا الخبر من ابن كثير.

والمفتين^(١) ببغداد، وعمل بصحنها قباب الحلواء، فحبل منها إلى جميع المدارس والرُّبُط، ورُتّب فيها خمسة وعشرين فقيهاً لهم الجوامك^(٢) الدائرة في كل شهر، والطعام في كل يوم والحلوات في أوقات المَواسِم، والقواكِب في زمانها، وخلع على المُدرِّس [٢٠/١٠] والمُعَيدِين والفُقهاءِ يومئذٍ، وكان وقتاً حسناً، تقبّل الله تعالى منه.

وفيها سار الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرّسليّة^(٣) عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المُستنصر بالله ببغداد، فأكرم وأعيد مُعظماً.

وفيها دخل الملك المُظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد، ولم يكن دخلها قط، فتلقاه المؤكّب، وشافهه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين، وكان ذلك شرفاً له، غبطه به سائر ملوك الآفاق، وسألوا أن يُهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك، فلم يُمكنوا لحفظ الثُغور، ورجع إلى مملكته مُعظماً مُكرّماً.

ومن تُوفّي فيها من الأعيان :

ابن مُعطى النّحوي^(٤) : يحيى بن مُعطى بن عبد الثّور النّحوي ، صاحب

(١) لعل صوابه « المعيدين » كما سيأتي .

(٢) الجوامك : المرتبات . انظر صبح الأعشى ٣/٥١٩ ، والمعجم الذهبي ص ١٩٨ .

(٣) هذا الخبر لم نجده في مصادر التّاريخ ، وقد ذكره صاحب الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الفاضل هذا ٧/٥٧ .

(٤) معجم الأدباء ٢٠/٣٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٤٣٩ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ٦/١٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٢٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٣١ ، والجواهر المضية ٣/٥٩٢ . وقد جاء في التكملة ووفيات الأعيان والجواهر « يحيى بن عبد المعطى » . أما في كتابي الحافظ الذهبي السير والتاريخ فقد عنوانه في الأول « ابن معطى » ثم فصل اسمه فقال : « بن عبد المعطى » . وعكس في كتابه الثاني . وهو مشهور بالاثنتين . ينظر مقدمة كتابه « الفصول الخمسون » .

« الألفية » وغيرها من المصنّفات النحوية المفيدة، ويُلقَّب بزَيْن الدين، أخذ عن الكِنْدِيُّ^(١) وغيره، ثم سافر إلى مصر، فكانت وفاته بالقاهرة في مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وشهد جنازته الشيخُ شهابُ الدين أبو شامة، وكان قد رحل^(٢) إلى مصر في هذه السنة، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضًا، وأنه دُفِنَ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ الْمُزَنِّيِّ بِالْقَرَّافَةِ^(٣) فِي طَرِيقِ الشَّافِعِيِّ عَنِ يَسْرَةِ الْمَارِّ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

الدُّخَوَازُ الطَّبِيبُ^(٤) واقف الدُّخَوَازِيَّةُ مهذبُ الدين عبدُ الرحيمِ بنُ عليِّ ابنِ حامدٍ، المعروفُ بالدُّخَوَارِ، شيخُ الأطبَّاءِ بدمشق، وقد وقف داره بدرِ العَمِيدِ بِالْقَرَبِ مِنَ الصَّاعَةِ الْعَتِيقَةِ عَلَى الْأَطبَّاءِ بِدِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ مَدْرَسَةً لَهُمْ، وكانت وفاته في صفرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، ودُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَعَلَى قَبْرِهِ قُبَّةٌ عَلَى أَعْمَدَةٍ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ شَرْقِيَّ الرُّكْنِيَّةِ^(٥)، وقد ابْتُلِيَ بِسِتَّةِ أَمْرَاضٍ مُتَعَاكِسَةٍ، مِنْهَا

(١) هو تاج الدين أبو اليثمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي المقرئ النحوي اللغوي الخنفي، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة. انظر ما تقدم في صفحة ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤.

(٢) أي كان أبو شامة رحل إلى مصر، وهو الذي حكى شهود الكامل جنازة ابن معطى، كما سيذكر المصنف. انظر الذيل على الروضتين ص ١٦٠.

(٣) القرافة: نِخْطَةٌ بِالْفَسْطَاطِ مِنْ مِصْرَ كَانَتْ لِبْنِي غِصْنِ بْنِ سَيْفِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْمَعْفَرِ، وَقَرَّافَةٌ بِطَنْ مِنْ الْمَعْفَرِ نَزَلُوهَا فَسَمِيَتْ بِهِمْ، وَهِيَ مَقْبَرَةٌ أَهْلِ مِصْرَ، وَبِهَا أُنْبِيَةٌ جَلِيلَةٌ وَمِحَالٌ وَاسِعَةٌ وَسُوقٌ قَائِمَةٌ وَمَشَاهِدٌ لِلصَّالِحِينَ وَتَرَبُّبٌ الْأَكَابِرِ. انظر معجم البلدان ٤/٤٨.

(٤) (٤ - ٤) سقط من: م. وانظر ترجمته في مرآة الزمان ٦٧٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٥٩، وعيون الأنباء ص ٧٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٧، والوفى بالوفيات ٣٨٣/١٨، ووفاته عنده سنة سبع وعشرين وستمائة.

(٥) في م: «الركنية». وهذه العبارة من قوله «وقف داره بدرِ العَمِيدِ» إلى هنا، لم نجدها في المصادر ولكن نقلها عن المصنف صاحب الدارس ١٢٨/٢. وجاء عنده «درب العجل» بدل «درب العَمِيدِ» والثانية - درب العَمِيدِ - المثبتة من الأصل، م توافق ما في سير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٧.

ريخ اللقوة^(١) ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة .

قال ابن الأثير^(٢) : وفيها تُوفِّي :

القاضي أبو غانم بن العديم الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، والعاقلين بعلمهم ، ولو قال قائل : إنه لم يكن في زمانه أعبد منه . لكان صادقاً ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فإنه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث ، واثتفنا برؤيته وكلامه .

قال : وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول تُوفِّي صديقنا أبو القاسم^(٣) عبد المجيد بن العجمي الحلبي ، وهو وأهل بيته مُقدِّمو السنة بحلب ، وكان رجلاً ذا مروءة عزيزة ، وخلقٍ حسن ، وجلمٍ وافرٍ ورياسةٍ كثيرة ، يُحبُّ إطعام الطعام ، وأحبُّ الناس إليه من أكل طعامه ،^(٤) ويُقبَلُ يده^(٥) ، وكان يلقي أضيافه بوجه مُنبسط ، ولا يقعدُ عن إيصال راحةٍ وقضاء حاجةٍ ، فرحمه الله تعالى رحمةً واسعةً .

قلت : وهذا آخر ما وُجد من « الكامل في التاريخ » للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير ، رحمه الله تعالى .

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات بن كرم^(٥) الموصلي ،

(١) اللقوة : داء يَعرِضُ للوجه يَغوِّجُ منه الشَّدق . انظر الوسيط (ل ق و) .

(٢) الكامل ٥٠٥/١٢ . وعنده : « ابن عنائم » .

(٣ - ٣) في الأصل « عبد الحميد » .

(٤ - ٤) في الكامل : « ويقبل بره » . وقد جاءت الكلمة الأولى في الأصل مضبوطةً كما أثبتناها . فالله تعالى أعلم .

(٥) في م : « كرم » . وانظر ترجمته في الطبقات السننية ٢٠٧/١ . واسمه عنده « أبو إسحاق الموصلي إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي الغارات » . وترجمته مختصرة جداً . وذكره من شراح القدوري صاحب كشف الظنون ١٦٣٢/٢ . واسمه عنده « أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الموصلي » .

أحدُ الفقهاءِ الحنَفِيِّينَ، شرحَ قطعةً كبيرةً من «الْقُدُورِيِّ»، وكتبَ الإنشاءَ لصاحبِها بدرِ الدينِ لُؤْلُؤًا، ثم استقالَ من ذلك، وكانَ فاضلاً شاعراً، ومن شعره:

دَعُوهُ كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ يَكُونُ فَلَسْتُ وَإِنْ خَانَ الْعُهُودَ أَخُونُ
 وَلِينُوا لَهُ فِي قَوْلِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ عَسَى قَلْبُهُ الْقَاسِي عَلَى يَلِينُ
 وَبُثُّوا صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَكُرُّوا حَدِيثِي عَلَيْهِ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ
 [٢٠/١٠ ظ] بِنَفْسِي الْأَلَى بَانُوا عَنِ الْعَيْنِ خُفِيَةً^(١) وَحُبُّهُمْ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ يَبِينُ
 وَسَلُّوا^(٢) عَلَى الْعِشَاقِ يَوْمَ^(٣) تَحَمَّلُوا سَيُوقًا لَهَا وَطُفٌ^(٤) الْجَفُونَ جَفُونُ
 الْمَجْدُ الْبَهْتَسِيُّ^(٥) وَرِيزُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَصَادَرَهُ، وَلَمَّا تُوفِّي دُفِنَ
 بِتَرْبَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ بِهَا وَقْفًا، وَأَجْرَى عَلَيْهَا أَوْقَافًا
 جَيِّدَةً دَارَةً.

جَمَالُ الدَّوْلَةِ خَلِيلُ بْنُ زُوَيْرَانَ^(٥)، رَئِيسُ قَصْرِ حَجَّاجٍ، كَانَ كَيْسًا ذَا
 مَرْوَةٍ، لَهُ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ زِيَارَةٌ فِي مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ، وَدُفِنَ

(١) فِي م: «حَصَّة».

(٢ - ٣) فِي الْأَصْلِ: «عَنِ الْعِشَاقِ قَوْمٌ».

(٣) الْوُطْفُ: جَمْعُ أَوْطَفٍ، وَهُوَ الْجَفْنُ الْكَثِيرُ الشَّعْرِ.

(٤) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧١/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٤٢٢/٥، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوَضَتَيْنِ ص ١٦٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٣، وَالْوَاقِي بِالْوَفِيَاتِ ٢٦٥/١١، وَالمَقْفَى الْكَبِيرُ ١٤١/٣.

(٥) فِي الْأَصْلِ: «دَوِيرَانٌ». وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧٣/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) وَعِنْدَهُ «جَمَالُ الدَّوْلَةِ بَيْنَ زَوْرَتَاتٍ»، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٤ وَاسْمُهُ كَانَتْلا «جَمَالُ الدَّوْلَةِ خَلِيلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَلْوَانَ بْنِ زُوَيْرَانَ»، وَالْوَاقِي بِالْوَفِيَاتِ ٣٩٤/١٣ وَعِنْدَهُ مِثْلُ مَا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنَّهُ لُقِّبَ «كَمَالُ الدَّوْلَةِ».

بترتيبه عند مسجِدِ فلوس^(١) ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

الملكُ الأُمجدُ واقفُ المدرسَةِ الأُمجديةِ بالشرفِ .

وفيهَا كانت وفاةُ الأُمجدِ بَهْرَامِ شاهِ بْنِ فَرُخْشَاهِ بْنِ شاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبِ^(٢) صاحبِ بَغْلَبِكْ بعده^(٣) لم يَزَلْ حتى قَدِمَ الأَشْرَفُ موسى بْنُ العادلِ إلى دَمَشَقَ فَمَلَكَهَا في سنةِ سِتِّ وعشرينَ ، فانتزَعَ من يَدِهِ بَغْلَبِكْ في سنةِ سَبْعِ وعشرينَ ، وأسكَنَهُ عندهُ بدمشقَ في دارِ أبيه^(٤) ، فلمَّا كان في شهرِ شَوالٍ مِنْ هذهِ السنةِ عدا عليه مَمْلوكٌ مِنْ مَماليكِهِ تُزَكِّيُّ ، فقتله ليلاً ، وكان قد اتَّهَمَهُ بِحِيَاصَةِ^(٥) له وَحَبْسِهِ ، فَتَغَلَّبَ عليه في بعضِ الليالي فقتله ، وقُتِلَ المَمْلوكُ بعدهُ ، ودُفِنَ الأُمجدُ في تربيته التي إلى جانبِ تُزَيَّةِ أبيه في الشَّرَفِ الشَّماليِّ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وقد كان شاعرًا فاضلاً ، له ديوانٌ شعريٌّ ، وقد أوردَ له ابنُ السَّاعِي قطعاً جيدةً مِنْ شعرِهِ الرائيِّ الفائقِ ، وترجمتهُ في « طَبَقَاتِ الشَّافعيةِ » ، ولم يَذْكُرْهُ أبو شامةُ في « الذُّبُلِ » ، وهذا عَجيبٌ منه . ومما أوردَ له ابنُ السَّاعِي قوله في شابٍّ رآه يَقَطِّعُ قُضبانَ بَانٍ ، فَأَنشَأَ على البُدِيهةِ يقولُ :

مَنْ لِي بِأَهْيَفَ قالَ حينَ عَتَبْتُهُ في قَطْعِ كُلِّ قُضيبِ بَانٍ رائيِّ

(١) في م : « فلوس » . وانظر الدارس ٢٤٧/٢ .

(٢) مرآة الزمان ٦٦٦/٨ (القسم الثاني) ، ونهاية الأرب ١٦٦/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٠/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٥ ، والوفاي بالوفيات ٣٠٤/١٠ .

(٣) سقط من : م . والمقصود أنه صاحب بعلبك بعد أبيه فرخشاه .

(٤) المذكور في المرآة وتاريخ الإسلام والوفاي أنه قدم دمشق وأقام بها ، وفي السير أنه تحول إلى دمشق ونزل بداره داخل باب النصر . ولم يتعرض لذكر ذلك في نهاية الأرب . والعبارة التي ذكرها المصنف هنا تبين أن الأشرف موسى أسكنه عنده في دار أبيه - أبي الأشرف موسى - بدمشق .

(٥) في م : « في صاحبة » . والحياصة : المِنطَقَةُ ، وكانت معظم المناطق من الفضة المطلية بالذهب ، وربما جعلت من الذهب . انظر صبح الأعشى ٤٠/٤ .

رِيَّانَ بَيْنَ جَدَاوِلِ وَحُدَائِقِ
فَقَطَعْتُهَا وَالْقَطْعُ حَدُّ السَّارِقِ

تَحْكِي شَمَائِلَهُ الرَّشَاءُ^(١) إِذَا انْتَهَى
سَرَقَتْ غَصُونُ الْبَانِ لِيَنَّ شَمَائِلِي
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَقَدْ خَلَّتِ الْمَرَابِغُ وَالِدِّيَّازُ
يَسِيرُ مَعَ الْهَوَادِجِ حَيْثُ سَارُوا
وَشَوْقُ كُلِّمَا بَعْدَ الْمَزَارِ
فَأَيَّنَ مَضَّتْ لِيَالِي الْقِصَارِ
تَسَاوَى اللَّيْلُ عِنْدِي وَالنَّهَارُ
وَنَوْمِي بَعْدَمَا رَحَلُوا غِرَارُ^(٢)
تَنَامُ^(٣) «وَهَلْ تَرَى» عَيْنًا تُعَارُ
وَلَا وَجَدِي^(٤) «يَقَالُ لَهُ» عِثَارُ
يُحَجِّبُ ظُغْنَهُ النَّقْعُ الْمَثَارُ
وَقَدْ رَحَلَ الْخَلِيطُ عَلَيْكَ عَارُ

يُؤرِّقُنِي حَنِينٌ وَاذْكَارُ
تَنَاءِي الظَّاعِنُونَ وَلِي فَوَادُ
حَنِينٌ مِثْلَمَا شَاءَ التَّنَائِي
وَلَيْلِي^(٥) بَعْدَ بَيْنِهِمْ طَوِيلُ
وَقَدْ حَكَمَ الشَّهَادُ عَلَى جُفُونِي
سُهَادِي بَعْدَ نَائِيهِمْ كَثِيرُ
فَمَنْ ذَا يَسْتَعِيرُ لَنَا عُيُونًا
فَلَا^(٦) «لَيْلِي لَهُ» صَبْحٌ مَنِيرُ
وَكَمْ مِنْ قَائِلٍ وَالْحَيُّ غَادِ
وُقُوفُكَ فِي الدِّيَارِ وَأَنْتَ حَيٌّ
وَلَهُ^(٧) :

مَا أَغْفَلَنِي فِيهِ وَمَا أَنْسَانِي

كَمْ يَذْهَبُ هَذَا الْعُمُرُ فِي الْخُسْرَانِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الرَّشَاقُ » وَالرَّشَاءُ : الرَّشَاءُ ، وَهُوَ وَلَدُ الظُّبْيَةِ إِذَا قَوِيَ وَتَحَوَّكَ وَمَشَى مَعَ أُمِّهِ . وَإِنَّمَا مُدَّ هُنَا لِمُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . انظُرِ الْوَسِيطَ (ر ش أ) .

(٢) فِي م : « لَيْلٍ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « غِرَارٌ » . وَغِرَارٌ : قَلِيلٌ . انظُرِ الْوَسِيطَ (غ ر ر) .

(٤) - (٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ رَأَى » .

(٥) - (٥) فِي الْأَصْلِ : « عَيْنِي لَهَا » .

(٦) - (٦) فِي الْأَصْلِ : « لَهُ سَكَنٌ » .

(٧) بَعْدَهُ فِي م : « دَوِيَّتٌ » . وَانظُرِ الْبَيْتَيْنِ فِي مِرَاةِ الزَّمَانِ ٦٦٨/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) .

ضِيَعْتُ زَمَانِي كُلَّهُ فِي لَعِبٍ يَا عُمَرُ فَهَلْ بَعْدَكَ عَمْرٌ ثَانِي
 وَقَدْ رَأَى بَعْضُهُمْ ^(١) فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ :
 كُنْتُ مِنْ ذَنْبِي ^(٢) عَلَى وَجَلٍ زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْوَجَلُ
 أَمَنْتُ نَفْسِي بِوَائِقِهَا عَشْتُ لَمَّا ^(٣) مِتُّ يَا رَجُلُ
 رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَعَفَا عَنْهُ .

[٢١/١٠] جلال الدين تكش ، وقيل : محمود بن علاء الدين خوارزم
 شاه محمد بن تكش الخوارزمي ^(٤) ، وهم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش
 جدُّهم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار قد قهروا أباه حتى شرَّدوه في
 البلاد ، فمات ببعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مزقوا
 عساكره شذَر مَذَر ، وتفَرَّقوا عنه أيدي سبأ ، وانفرد هو وحده ، فلقبه فلاح من
 قرية بأرض ميافارقين ، فأنكره لما عليه من الجواهر والذهب ، وعلى فرسه ، فقال
 له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية . وكانوا قد قتلوا للفلاح أحمًا ، فأنزله
 وأظهر إكرامه ، فلما نام قتله بفأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى
 شهاب الدين غازي بن العادل ، صاحب ميافارقين فاستدعى بالفلاح ، فأخذ ما
 كان عليه من الجواهر والحلي ، وأخذ الفرس أيضًا ، وكان الملك الأشرف
 يقول ^(٥) : هو سد بيننا وبين التتار ، كما أن السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

(١) انظر مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثاني) .

(٢) في م : « ديني » .

(٣) في الأصل : « بما » .

(٤) مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٣٢٦/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
 ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٧ ، ودول الإسلام ١٣٤/٢ ، وتاريخ ابن الوردي ١٥٣/٢ .

(٥) انظر مرآة الزمان ٦٧١/٨ .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة

فيها^(١) عُزِلَ القاضيان بدمشق؛ شمس الدين بن الحَوَيْيِّ وشمس الدين بن سَنِيِّ الدولة،^(٢) وولى قضاء القضاة^(٣) عماد الدين بن الحرستاني^(٤)، ثم عُزِلَ في سنة إحدى وثلاثين، وأعيد شمس الدين بن سَنِيِّ الدولة، كما سيأتي.

وفي سابع عشر شوالها عزّل الخليفة المُسْتَنْصِرُ وزيره مُؤَيَّدَ الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القُمِّيِّ، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه فخر الدين أحمد بن محمد القُمِّيِّ وأصحابهم وحبسوا، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار شمس الدين أبا الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد، وخلع عليه خِلاعةً سنِّيَّةً، وفرح الناس بذلك.

وقد أقبلت طائفة من التتار، فوصلوا إلى شهرزور، فندب الخليفة صاحب إزبيل مُظفّر الدين كوكبُرى بن زَيْنِ الدين، وأضاف إليه عساكر من عنده، فساروا نحوهم، فهزّبت منهم التتار، ولله الحمد، وأقاموا في مُقابلتهم مدة شهرين، ثم تمّرض مُظفّر الدين، وعاد إلى بلده إزبيل، وتراجعت العساكر^(٤) إلى بلادها.

(١) مرآة الزمان ٦٧٣/٨ - ٦٧٥ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ١٦١، ونهاية الأرب ١٦٩/٢٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٦، ٤٧.
(٢) - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) في م: «الخرستاني». انظر معجم البلدان ٢/٢٤١.
(٤) في م: «التتار».

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

ابن نُقْطَةَ الحَافِظُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرِ البَغْدَادِيِّ ، أَبُو بَكْرِ
ابن نُقْطَةَ ، الحَافِظُ المَحْدُثُ الفَاضِلُ^(١) ، صَاحِبُ الكِتَابِ النَافِعِ المُسَمَّى
بـ« التَّقْيِيدِ » فِي تَرَاجِمِ رُوَاةِ الكِتَابِ وَالمَشَاهِيرِ مِنَ المَحْدُثِينَ ، وَكَانَ أبُوهُ فَقِيهًا فَقِيرًا
مُنْقَطِعًا فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ بَغْدَادَ ، يُؤَثِّرُ أَصْحَابَهُ بِمَا يَحْضُلُ لَهُ ، وَنَشَأَ وَلَدُهُ هَذَا ،
فَعُنِيَ بِعِلْمِ الحَدِيثِ وَسَمَاعِهِ وَالرَّحْلَةِ فِيهِ إِلَى الآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، حَتَّى بَرَزَ فِيهِ عَلَى
الأَقْرَانِ ، وَفَاقَ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَالأَوَانَ ، وَوُلِدَ سَنَةَ تِسْعِ^(٢) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَتُؤْفَى يَوْمَ الجُمُعَةِ الثَّانِي وَالعَشْرِينَ مِنَ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُمُ اللّهُ تَعَالَى .

الجَمَالُ عَبْدُ اللّهِ بْنِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدَسِيِّ^(٣) ، كَانَ فَاضِلًا كَرِيمًا
حَيِيًّا ، سَمِعَ الكَثِيرَ ، ثُمَّ خَالَطَ المُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الدُّنْيَا ، فَتَغَيَّرَتِ أَحْوَالُهُ ، وَمَاتَ بِبُسْتَانَ
ابنِ شُكْرٍ عِنْدَ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ العَادِلِ ، وَهُوَ الَّذِي كَفَّنَهُ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ ، رَحِمَهُمُ اللّهُ تَعَالَى .

أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنِ^(٤) بْنُ أَبِي بَكْرِ [٢١٠/١٠ ظ] المُبَارَكِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللّهِ مُحَمَّدِ

(١) التكملة لوفيات النقلة ٨/٦ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧١ ، والوفاء بالوفيات ٣/٢٦٧ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٢/١٨٢ .

(٢) في الأصل : « سبع » ، وفي تاريخ الإسلام ، والوفاء بالوفيات « نيف » ، وفي سير أعلام النبلاء : « ولد بعد السبعين » .

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٧٤ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٤ ، والذيل على الروضتين ص ٦٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٥ ، والوفاء بالوفيات ١٧/٢٩٣ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٢/١٨٥ .

(٤) في الأصل ، م : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته : التكملة لوفيات النقلة ٦/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٥ ، وذكر وفاته فيه في سنة تسع وستمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤١ ، والوفاء بالوفيات ١٢/٢١٢ ، والجواهر المضية ٢/٧٨ .

ابن يحيى بن المسلم^(١) الزبيدي ثم البغدادي، كان شيخًا صالحًا فقيهاً^(٢) حَفِيًّا فاضلاً، ذا فنون كثيرة؛ من ذلك علم الفرائض والعروض، وله فيه أجزوة حسنة، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين، وسرد ذلك في «تاريخه».

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل^(٣) بن علي بن موسى السلماسي، فقيه أديب شاعر، له تصانيف، وقد شرح «المقامات» و«الجمَل» في النحو، وله حُطَبٌ وأشعارٌ حسنة، رحمه الله تعالى.

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري فخر الدين بن الشيرجي^(٤) الدمشقي، أحد المعدلين بها، وُلد سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسمع الحديث، وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب، وفوضت إليه أمر أوقافها.

قال السبُط^(٥): وكان ثقةً أميناً كَيِّسًا مُتَوَاضِعًا. قال: وقد ورر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة، وكانت وفاة فخر الدين^(٦) في يوم عيد الأضحى، ودُفِنَ بمقابر باب الصغير، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(١) في الأصل: «سلم».

(٢) سقط من: م.

(٣) بعده في الأصل: «بن أبي علي بن مسعود». ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله في تاريخ ابن الساعي الكبير.

(٤) في الأصل: «السيرجي». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٤١١/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٩٤، والمقفي الكبير للمقرزي ١٥٧/٦.

(٥) مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثاني).

(٦) ذكر في التكملة لوفيات النقلة، وتاريخ الإسلام، والمقفي الكبير، أن وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة.

حُسام^(١) بنُ عَزْزَى بنِ يُونُسَ ، عِمَادُ الدِّينِ أَبُو المَنَاقِبِ المَحَلِّيُّ^(٢) المِصْرِيُّ
ثم الدَّمَشَقِيُّ ، كان شَيْخًا صالحًا فاضلاً فقيهاً شافعيًا حسنَ المَحَاضِرَةِ ، وله أشعارٌ
حسنةٌ .

قال أبو شامة^(٣) : وله في « مُعْجَمِ القُوصِيِّ » ترجمةٌ حسنةٌ ، وذكر أنه تُوفِّي
عاشَرَ ربيعِ الآخِرِ^(٤) ، ودُفِنَ بمقابرِ الصُّوفِيَةِ .

قال السَّبْطُ^(٥) : وكان مُقيمًا بالمدرسةِ الأَمِينِيَةِ ، وكان لا يَأْكُلُ لأحدٍ شيئًا ولا
للسُّلْطَانِ ، بل إذا حَضَرَ طعامًا كان معه في كُفِّهِ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ، وكان لا يزالُ معه
ألفُ^(٦) دينارٍ على وَسْطِهِ . وحَكَى عنه قال : خَلَعَ على المَلِكِ العادِلُ ليلَةَ طَيْلَسَانَ ،
فلما خَرَجْتُ مَشَى بَيْنَ يَدَيَّ نَفَاطُ^(٧) يَحْسَبُنِي القاضِي ، فلما وَصَلْتُ إلى بابِ
البريدِ عندَ دارِ سيفِ خَلَعْتُ الطَّيْلَسَانَ ، وجَعَلْتُهُ في كُفِّي ، وتبَطَّأْتُ في المَشِيِّ ،
فالتَقْتُ فلم يَزِرْ وراءَهُ أحدًا ، فقال لي : أين القاضِي ؟ فأشَرْتُ إلى ناحيةِ الثُّورِيَةِ^(٨) ،
وقلْتُ : ذَهَبَ إلى دارِهِ . فلما أُسْرِعَ إلى ناحيةِ الثُّورِيَةِ هَزَوَلْتُ إلى المدرسةِ

(١) في الأصل : « العمد الحلبي الشاعر حسام » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٧٢/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٢/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ٢٥٣/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٠ ، والوفاء بالوفيات ٣٤٩/١١ .

(٢) في الأصل : « الحلبي » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٠ .

(٤) ذكرت وفاته سنة ثمان وعشرين في مرآة الزمان ٦٧٢/٨ ، ٦٧٣ (القسم الثاني) ، وذكر فيها قولاً أنه توفي في سنة تسع وعشرين وستمائة .

(٥) مرآة الزمان ٦٧٢/٨ (القسم الثاني) .

(٦) في مرآة الزمان : « ألفا » .

(٧) في الأصل ، م : « تعاط » . والمثبت من مرآة الزمان وفيه : « وإذا بنفاط قائم ويده مشعل » . والنفاط : بائع النقط . الوسيط (ن ف ط) .

(٨) وهي المدرسة النورية التي بناها نور الدين محمود بن زنكي .

الأمينية، واشترختُ منه .

قال ابنُ الساعى : كان مولده سنة ستين وخمسمائة، وخلف أموالاً كثيرة، ورثتها عصبته . قال : وكانت له معرفةٌ حسنةٌ بالأخبارِ والتواريخِ وأيامِ الناسِ ، مع دينٍ وصلحٍ وورعٍ ، وأورد له من شعره قوله^(١) :

قيل لى من هويتَ قد^(٢) عبثَ الشعُ رُ بخديه قلتُ ما ذاك عازهُ
جَمْرُ خَدَيْهِ^(٣) أحرقتُ عنبرَ الخا لى فمن ذلك الدُحانِ عِذارهُ
وقوله :

شوقى إليكم دونَ أشواقكم لكنّه لابدُ ما يُشرُحُ
لأننى عن قلبكم غائبٌ وأنتم فى القلبِ لم^(٤) تَبْرَحُوا

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليّ بنِ محمدِ بنِ الجارودِ المارانئى^(٥) ، الفقيهُ الشافعى ، أحدُ الفضلاءِ ، ولى القضاءَ بإربلَ ، وكان ظريفاً خليعاً ، وكان من محاسنِ الأيامِ ، وله أشعارٌ رائقةٌ ومعانٍ فائقةٌ ، فمن شعره قوله^(٦) :

مَشَيْبٌ أتى وشبابٌ^(٧) رحلُ فحلَّ العناءُ به^(٨) حيثُ حلُّ

(١) انظر البيتين فى تاريخ الإسلام ، والوفى بالوفيات .

(٢ - ٢) فى تاريخ الإسلام والوفى بالوفيات : « تحبه » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « حمرة الحد » .

(٤) فى م : « لن » .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧٣ ، والوفى بالوفيات ١٧٢ / ٤ ، والمقضى

الكبير ٣٣١ / ٦ .

(٦) انظر الآيات فى المقضى الكبير ٣٣٢ / ٦ .

(٧ - ٧) فى الأصل : « شبت أنا وشبابى » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « أحد العناء به » ، وفى م : « أحل العناء » . والمثبت من المقضى الكبير .

(١) وعمرٌ تَقَصَّى بلا (٢) طاعة
 فويحك يا نفس ما (٤) ذا الرُّكْل (١)
 وذنبك جَمُّ أَلَا فازجعي
 وديني الإلهة ولا تُقصرى
 (١) فما لك غيرُ الثَّقَى مُستَعَدُّ
 ولا صاحبٌ غيرُ حُسنِ العمل (١)

أبو النِّشَاءِ محمودُ بنُ زاكِي (٥) بن [٢٢/١٠] عَلِيٌّ بنِ يحيى الطائِي الرُّقَيْي،
 نَزِيلُ إِزْبِيلَ، ووليُّ النَّظَرِ بها للملكِ مُظَفَّرِ الدينِ، وكان شيخًا أدبياً فاضلاً، ومن
 شعره قوله:

وأهيفُ ما الخَطِيَّ إِلَّا قَوائِمُهُ وما العُصْنُ إِلَّا ما يُثَنِّيهِ لِيئُهُ
 وما الدُّعْصُ (١) إِلَّا ما تَحْمَلُ خَصْرُهُ وما النَّبْلُ إِلَّا ما تَرِيشُ جُفُونُهُ
 وما الخمرُ إِلَّا ما يُرَوِّقُ ثَغْرُهُ وما السِّحْرُ إِلَّا ما تُكِرُّ عِيونُهُ
 وما الحسنُ إِلَّا كُلُّهُ فَمَنِ الذي إذا ما رآه لا يَزِيدُ جَنونُهُ

ابنُ مُعْطَى النَّخَوِيُّ يحيى، تَرَجَمَهُ أبو شامَةَ في السَّنَةِ المَاضِيَةِ (٧)، وهو
 أَضْبَطُ؛ لأنَّهُ شَهِدَ جِنازَتَهُ بِمِصرَ، وأما ابنُ السَّاعِي فإنَّهُ ذَكَرَهُ في هَذِهِ السَّنَةِ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في الأصل: «عمرى».

(٣) في المقي الكبير: «ولا».

(٤) في المقي الكبير: «كم».

(٥) في م: «رالى». ولم تقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله في تاريخ ابن الساعي.

(٦) الدُّعْصُ: قطعة من الرمل مستديرة. الوسيط (د ع ص).

(٧) تقدمت ترجمته في صفحة ١٨٦. ضمن وفيات السنة الماضية كما ذكر المصنف، ولم يذكر هناك أنه أورده تبعاً لأبي شامة.

وقال : إنه كان حَظِيًّا عندَ الكاملِ محمدِ صاحبِ مصرَ ، وإنه كان قد نظم
أُجوزةً في القِراءاتِ السبعِ ، ونظم أَلْفاظَ « الجَمهرة » ، وكان قد عَزَمَ على نَظْمِ
« صِحاحِ الجَوْهرِ » .

سنة ثلاثين وستمائة

فيها^(١) بأشْرَ خُطابةَ بَغدادَ ونقابةَ العباسيين العَدْلُ مجدُّ الدينِ أبو القاسمِ هبةُ اللّهِ ابنُ "عبدِ اللّهِ"^(٢) المَنصوريّ^(٣)، وُخْلِجَ عليه خِلعةٌ سَنِيَّةٌ، وكان فاضلاً قد صَحِبَ الفُقراءَ والصُّوفيةَ، وتَزَهَّدَ بُزُهَةً مِنَ الزمانِ، فلما دُعِيَ إلى هذا الأمرِ أجابَ سريعا، وأقْبَلَت عليه الدنيا بزَهْرَتِها، وخدمه العِلْمَانُ الأتراكُ، ولبسَ لباسَ المُتْرِفينَ، وقد عاتبَه بعضُ تلامذتِه^(٤) بقَصيدةٍ طويلةٍ، وعَنَّفَه على ما صار إليه، وقد سردها ابنُ الساعى بطولِها في «تاريخه».

وفيها سار القاضي مُحبي الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي الفرجِ بنِ الجوزيِّ في الرِّساليةِ مِنَ الخليفةِ إلى الكاملِ محمدِ صاحبِ مصرَ، ومعه كتابٌ هائلٌ فيه تَقْلِيدُهُ المُلْكَ، وفيه أوامرٌ كثيرةٌ مَلِيحَةٌ مِنْ إنْشاءِ الوَزيزِ^(٥) نَصيرِ الدينِ أحمدَ بنِ الناقدِ، سرده ابنُ الساعى أيضًا بِكَمالِه^(٦). وقد كان الكاملُ مُحَيِّمًا بظاهِرِ آمِدَ مِنْ أَعْمالِ الجَزيرةِ، قد افْتَتَحَها بعدَ حِصارِ طويلِ، وهو مسرورٌ بما نال مِنْ مُلْكِها.

(١) مرآة الزمان ٦٧٥/٨ - ٦٧٧ (القسم الثاني)، والدليل على الروضتين ص ٦٦٥، ونهاية الأرب ١٧٠/٢٩ - ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٨ - ٥٢.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل: «المعصوري».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) في م: «نصر الدين». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠٨/٢٣.

(٦) وذكره أيضا النویری في نهاية الأرب ١٧٤/٢٩ - ١٨٩.

وفيهما فُتِحَتْ دَارُ الصِّيَافَةِ ببغدادَ للحجيجِ حينَ قَدِمُوا مِن حَجِّهِمْ ، وَأُجْرِيَتْ
عليهم التَّفَقَاتُ وَالكَسَاوَى وَالصَّلَاتُ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وفيهما سَارَتِ الْعَسَاكِرُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةُ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ شَرِيفِ^(١) الدِّينِ أَبِي^(٢)
الْفَضَائِلِ إِقْبَالِ الْخَاصِّ^(٣) الْمُسْتَنْصِرِيِّ إِلَى مَدِينَةِ إِزْبِلَ وَأَعْمَالِهَا ، وَذَلِكَ لِمَرَضِ
مَلِكِهَا مُظَفَّرِ الدِّينِ كُوكُبَرِيِّ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِن بَعْدِهِ مَن يَمْلِكُ
الْبِلَادَ ، فَحِينَ وَصَلَهَا الْجَيْشُ مَتَعَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، فَحَاصَرُوهُ حَتَّى افْتَتَحُوهُ عَنَوَةً
فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَالٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَاءَتِ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ ، فَضَرَبَتْ
الطُّبُولُ ببغدادَ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَفَرِحَ أَهْلُهَا ، وَكُتِبَ التَّقْلِيدُ عَلَيْهَا لِإِقْبَالِ
الْمَذْكُورِ ، فَرتَّبَ فِيهَا الْمَنَاصِبَ ، وَسَارَ فِيهَا سِيرَةً جَيِّدَةً ، وَامْتَدَّحَ الشُّعْرَاءَ هَذَا
الْفَتْحِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، وَكَذَلِكَ مَدَحُوا فَاتِحَهَا إِقْبَالًا ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قَالَ
بَعْضُهُمْ :

يَا يَوْمَ سَابِعِ عَشَرَ شَوَالِ الَّذِي رُزِقَ السَّعَادَةَ أَوْلًا وَأَخِيرًا
هُنِّيَّتَ فِيهِ بِفَتْحِ إِزْبِلَ مِثْلَمَا هُنِّيَّتَ فِيهِ وَقَدْ جَلَسَتْ وَزِيرًا

يعنى أن الوزيرَ نَصِيرَ الدِّينِ بَنَ الْعَلْقَمِيِّ ، كَانَ قَدْ وَزَرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ
الْعَامِ الْمَاضِي .

وَفِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ شُرِعَ فِي عِمَارَةِ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ
بدمشقَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ دَارًا لِلْأَمِيرِ قَايِمَازَ ، وَبِهَا حَمَامٌ فَهَدِمَتْ ، وَبُنِيَتْ الدَّارُ
عَوَضَهَا .

(١) فِي م : « سَيْف » . وَانظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَاءِ ٢٣ / ٣٧٠ .

(٢ - ٣) فِي الْأَصْلِ : « إِقْبَالِ » .

وقد ذَكَرَ السَّبْطُ^(١) في هذه السَّنَةِ أن في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَتَحَتْ دَارُ
الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةُ الْمَجَاوِرَةَ لِقَلْعَةِ دِمَشْقَ ، وَأَمَلَى بِهَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بِنُ الصَّلَاحِ
الْحَدِيثُ ، وَوَقَّفَ عَلَيْهَا الْأَشْرَفُ الْأَوْقَافَ ، وَ^(٢) بِهَا نَعَلُ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ : وَسَمِعَ
الْأَشْرَفُ « صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ » فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الرَّيْدِيِّ . قُلْتُ : وَكَذَا سَمِعُوا
عَلَيْهِ بِالْدارِ وَبِالصَّالِحِيَّةِ .

قال^(٣) : وفيها فتح الكامل أمد وحصن كيفًا، ووجد عند ملكها خمسمائة
حُرَّةَ لِلْفِرَاسِ ، فَعَذَّبَهُ الْأَشْرَفُ عَذَابًا أَلِيمًا .

قال^(٤) : وفيها قصد صاحبُ ماردينَ وجيشُ بلادِ الرومِ الجزيرةَ ، فقتلوا
[٢٢٢/١٠] وسبوا، وفعلوا ما لم يفعلهُ التتارُ بالمسلمين .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ :

أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بِنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بِنِ الْجَوْزِيِّ^(٥) كَانَ شَيْخًا ظَرِيفًا
لَطِيفًا ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَعَمِلَ صِنَاعَةَ الْوَعْظِ مَدَّةً ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ ، وَكَانَ يَحْفَظُ
شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالتَّوَادِرِ وَالْأَشْعَارِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً .

(١) مرآة الزمان ٦٧٦/٨ ، ٦٧٧ (القسم الثاني) .

(٢) بعده في م : « جعل » .

(٣) المصدر السابق ٦٧٥/٨ ، ٦٧٦ .

(٤) المصدر السابق ٦٧٧/٨ .

(٥) المصدر السابق ٦٧٨/٨ ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٥٢ ، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٤ وفيه « أبو الحسن » ، والوفى بالوفيات ٢١/٢٢٣ .

وقد ذَكَرَ السَّبْطُ^(١) وفاةَ الوزيرِ صَفِيِّ الدِّينِ^(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ^(٣) بْنِ شُكْرِ
 فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَحَبَّتِهِ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَأَنْ لَهُ مُصَنَّفًا سَمَاهُ
 «الْبَصَائِرُ»، وَأَنَّهُ تَعَضَّبَ عَلَيْهِ الْعَادِلُ، ثُمَّ تَرَضَّاهُ الْكَامِلُ، وَأَعَادَهُ إِلَى وِزَارَتِهِ
 وَحُزْمَتِهِ^(٤)، وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِمِصْرَ. وَذَكَرَ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا:
 دَمِيرَةٌ، بِمِصْرَ.

الْمَلِكُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ^(٥) بْنُ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ
 شَاهِ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مُؤَدُّودِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ^(٦) زَنْكِي أَقْسَنْقَرُ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ،
 كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ، وَقَدْ أَقَامَهُ بَدْرُ الدِّينِ لَوْلُو صُورَةَ
 حَتَّى تَمَكَّنَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، ثُمَّ حَجَرَ عَلَيْهِ، فَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ
 الْجَوَارِي وَلَا شَيْءٍ مِنَ السَّرَارِي، حَتَّى لَا يُعْقَبَ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ، فَلَمَّا تُوَفِّي جَدَّهُ لِأَمِّهِ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبَرِي صَاحِبُ إِزْبِيلَ، مَنَعَهُ
 حَيْثُئِذٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، حَتَّى مَاتَ كَمَدًا وَجُوعًا
 وَعَظْمًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةَ، وَهُوَ آخِرُ مَلُوكِ
 الْمَوْصِلِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَتَابِكِيِّ.

(١) مرآة الزمان ٦٧٧/٨ (القسم الثاني). وقد تقدمت ترجمة صفى الدين فى وفيات سنة ثنتين
 وعشرين وستمائة .

(٢) - ٢) سقط من : م .

(٣) مرآة الزمان ٥٩٨/٨ (القسم الثاني). حوادث سنة خمس عشرة وستمائة . ولكن لم يتعرض السبط
 لذكر دفنه ؛ وقد ذكر المصنف فى ترجمته المتقدمة أنه دفن بتريته عند مدرسته بمصر، وكذا جاء بذيل
 الروضتين ص ١٤٧، وفى التكملة لوفيات النقلة ٢٣٤/٥، ونهاية الأرب ١٣٠/٢٩. أنه دفن برباطه
 الذى أنشأه بالقرب من مدرسته .

(٤) فى م : « محمود ». وانظر وفيات الأعيان ٢٠٨/٥ ، ٣٩١ .

(٥) بعده فى م : « بن ». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/٢٠ .

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم^(١) أحد مشايخ الحنفيّة، وله مُصنّفات في الفرائض وغيرها، وهو ابن خالة القاضي شمس الدين بن الشيرازي الشافعي^(٢)، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكّي وابن الحرّستاني، وكان يُدرّس بالطرّخانية، وبها مَسكَنُه، فلما أُرسل إليه المُعظّم أن يُفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الرُّمّان امتنّع من ذلك، وقال: أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك، والرواية عن أبي حنيفة شاذّة^(٣)، ولا يصحّ حديث ابن مسعود في ذلك، ولا الأثر عن^(٤) عمر أيضًا. فغضب عليه المُعظّم، وعزّله عن التدريس، وولّاه لتلميذه الرّزين بن العتّال، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات، رحمه الله تعالى.

قال أبو شامة^(٥): وفي هذه السنة تُوفّي جماعة من السّلاطين؛ منهم المغيث ابن المغيث بن العادل، والعزیز عثمان بن العادل، ومُظفّر الدين صاحب إزبيل وغيرهم^(٦).

قلت: أما صاحب إزبيل فهو: الملك المُظفّر أبو سعيد كوكبوري^(٧) بن زين

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢١، والوافي بالوفيات ٩/٦٦، والجواهر المضية ١/٣٩٠، والمقفي الكبير ٢/٧١، والمنهل الصافي ٢/٣٧٧.

(٢) ليس في المصادر ذكّر أنه ابن خالة القاضي هذا، ولا ذكر نيابته هو وابن خالته هذا، عن ابن الزكي وابن الحرستاني. ولعله عند ابن الساعي.

(٣) لفظه في الجواهر: «إباحتها إنما هي رواية النوادر». وفي المقفي: «وإباحته إنما هي رواية عن أبي حنيفة». وبعده عندهما ما معناه: أنه قد صح عن أبي حنيفة، أنه ما شربه قط.

(٤) بعده في الأصل: «ابن». ثم بيّض بقدر كلمة.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٦١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) في الأصل: «كوكري». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨/٦٨٠ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٨٤، ووفيات الأعيان ٤/١١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٠٢.

الدين علي بن بُكْتِكِين^(١) أحدُ الأجوَادِ والساداتِ الكُبرياءِ والملوكِ الأمجادِ ، له آثارٌ حسنةٌ ، وقد عمَّرَ الجامعَ المُظَفَّرِيَّ بسفحِ قاسيونَ ، وكان قد همَّ بسياقةِ الماءِ إليه من ماءِ بَزْرَةَ^(٢) ، فمنعه المُعَظَّمُ من ذلك ، واعتلَّ بأنه قد يَمُرُّ على مقابرِ المسلمين بالشُفوحِ ، وكان يَعْمَلُ المَوْلَدَ الشريفَ في ربيعِ الأولِ ، وَيَحْتَفِلُ به احتفالاً هائلاً ، وكان مع ذلك شَهْمًا شُجاعًا^(٣) بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

وقد صنَّفَ الشيخُ أبو الخطَّابِ بنُ دِحْيَةَ له مجلداً في المولدِ النبويِّ سَمَّاهُ « التَّنْوِيرَ في مولدِ السراجِ المنيرِ^(٤) » ، فأجازه على ذلك بألفِ دينارٍ . وقد طالت مدتهُ في الملكِ في زمانِ الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وقد كان مُحاصِراً مدينةَ عَكَّا ، وإلى هذه السنةِ ، محمودَ السَّيرةِ والسَّريرةِ .

قال السَّبْطُ^(٥) : حكى بعضُ من حضرَ سِمَاطَ المُظَفَّرِ في بعضِ الموالِدِ أنه مدَّ في ذلك السَّمَاطِ خمسةَ آلافِ رأسِ شويٍّ^(٦) ، [١٠/٢٣ و] وعشرةَ آلافِ دجاجةٍ ، ومائةً^(٧) ألفِ زُبْدِيَّةٍ ، وثلاثينَ ألفَ صَحْنِ حَلْوَى . قال : وكان يَحْضُرُ عندهُ في المولدِ أعيانُ العلماءِ والصُّوفيةِ ، فيخْلَعُ عليهم ، ويُطَلِّقُ لهم ، وَيَعْمَلُ للصُّوفيةِ سَمَاعًا من الظهرِ إلى الفجرِ ، وَيَرْقُصُ معهم بنفسِه ، وكانت له دارُ ضيافةٍ للوافدين من أيِّ جهةٍ على أيِّ صفةٍ ، وكانت صدقاته في جميعِ القُرَبِ والطاعاتِ على الحرمينِ وغيرهما ، وَيَسْتَفِلُّ من الفِرْنَجِ في كلِّ سنةٍ خلقاً من

(١) في الأصل : « تكشكين » ، وفي م : « بكتكين » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) في م : « بذيرة » . وانظر معجم البلدان ١/٥٦٣ .

(٣) بعده في م : « فاتكا » .

(٤ - ٤) في الأصل ، م : « البشير النزير » ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وسيأتي اسم الكتاب على الصواب في ترجمة ابن دحية في صفحة ٢٢٥ .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٨١ - ٦٨٣ (القسم الثاني) .

(٦) في م : « مشوي » . والشوي : الشواء . انظر اللسان (ش و ي) .

(٧) بعده في الأصل : « فرس ومائة » .

الأسارى، حتى قيل: إن جملة من اشتقك من أيديهم ستون ألف أسير. قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وقد زوجه إياها أخوها صلاح الدين، لما كان معه على عكا - قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم^(١) من خام، فعاتبته في ذلك فقال: لبسى ثوباً بخمسة، وأتصدق بالباقي خيراً من أن ألبس ثوباً مثمناً^(٢)، وأدع الفقير والمشكين. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار، وفي ثمن الأسارى في كل سنة مائتي^(٣) ألف دينار، وعلى الحرمين والمياه بدرج الحجاز ثلاثين ألف دينار، سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى، وكانت وفاته بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة، فلم يتفق، فدفن بمشهد على.

والملك العزيز عثمان بن العادل^(٤)، وهو شقيق المعظم، كان صاحب بانياس وتلك^(٥) الحصون التي هنالك، وهو الذي بنى الصبيبية^(٦)، وكان عاقلاً قليل الكلام، مطيعاً لأخيه المعظم، ودفن عنده. وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان بيشتانه الناعمة من بيت لهنيا، سامحه الله تعالى.

ابن عنين الشاعر، أبو المحاسن محمد بن^(٧) نصر الله بن مكارم^(٧) بن الحسن

(١ - ١) سقط من: م. وفي الأصل: «من فرسى عليط». والمثبت من مرآة الزمان.

(٢) في مرآة الزمان: «بعشرة دراهم».

(٣) في مرآة الزمان: «مائة».

(٤) مرآة الزمان ٦٧٨/٨ (القسم الثاني)، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٣، ومرآة الجنان ٦٩/٤.

(٥) في م: «تملك».

(٦) في م: «المعظمية». والصبيبية: قلعة بين بانياس وتبين وهونين. العبر ١١٩/٥.

(٧ - ٧) في الأصل: «منصور بن مكارم» وفي م: «نصر الدين بن نصر». والمثبت من مصادر ترجمته: معجم الأدباء ٨١/١٩، ومرآة الزمان ٦٩٦/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٥٧/٦ =

ابن علي بن محمد بن غالب الأنصاري، المعروف بابن عُثَيْنِ، قال ابن الساعي: أصله من الكوفة، وولد بدمشق ونشأ بها، وسافر عنها سنين، فجاب الأقطار والبلاد شرقاً وغرباً، ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز ومصر وبغداد، ومدح أكثر أهل هذه البلاد، وحصل أموالاً جزيلة، وكان ظريفاً شاعراً مُطَبِّقاً مشهوراً، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة. وقد رجع إلى بلده دمشق، فكان بها حتى مات في هذه السنة، في قول ابن الساعي. وأما السَّبْطُ وغيره فإنهم أرخوا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين، وقد قيل: إنه مات في سنة إحدى وثلاثين. فالله أعلم. والمشهور أن أصله من حوران من مدينة زُرْع، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبلي الجامع، وكان هَجَاءً، له قدرة على ذلك، وصنّف كتاباً سماه «مقراض الأعراض»، يشتمل على نحو من خمسمائة بيت، قلّ من سلّم من الدماشقة من شره، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل، وقد كان يُزَنُّ^(١) بترك الصلوات المكتوبة. فالله أعلم.

وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند، فامتدح ملوكها، وحصل أموالاً جزيلة، وصار إلى اليمن، فيقال: إنه وزر لبعض ملوكها، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق، ولما ملك المعظم استوزره، فأساء السيرة، واشتقال هو من تلقاء نفسه فعزله، وكان قد كتب إلى الدماشقة من بلاد الهند^(٢):

= ووفيات الأعيان ١٤/٥، وسير أعلام النبلاء ٣٦٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ -

٦٣٠) ص ٤١١، والوافي بالوفيات ١٢٢/٥ - ١٢٧.

(١) زين: يُتَّهَم. انظر القاموس المحيط (ز ن ن).

(٢) ديوان ابن عنين ص ٩٤.

فَعَلَامَ أَبْعَدْتُمْ أَحَا ثِقَةً لَمْ يَجْتَرِمَ^(١) ذَنْبًا وَلَا سَرَقًا
انْفُوا الْمُؤَدَّنَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يُنْفَى كُلُّ مَنْ صَدَقَا
ومما هجا به الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله تعالى^(٢) :

سلطاننا أعرج وكتابه ذوعمش [٢٣/١٠ ظ] والوزير منحدب^(٣)
والدولعي الخطيب معتكف وهو على قشر بيضة يثب
ولابن باقا وعظ يعر^(٤) به الد س وعبد اللطيف محتسب
وصاحب الأمر خلقة شرس وعارض الجيش داؤه عجب
وقال في الملك العادل سيف الدين، رحمه الله تعالى^(٥) :

إن سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرؤوم والأزاق
وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس،
فجاءت حمامة خلفها جارح، فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به،
فأنشأ ابن عنين يقول^(٦) :

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف

(١) في م : « يقترف » .

(٢) الديوان ص ٢١٠ ، ٢١١ . بتقديم وتأخير في الأبيات .

(٣) في م : « أحذب » .

(٤) في م : « يغش » .

(٥) الديوان ص ٢٣٩ (الجزء المستدرک) .

(٦) الديوان ص ٩٥ .

قَرِيمٌ^(١) لَوَاهِ الْجُوعُ حَتَّى ظَلَّهُ^(٢) بِإِزَائِهِ يَجْرِي بِقَلْبٍ وَاجِفٍ^(٣)
 مَنْ أَعْلَمَ الْوَزْقَاءَ أَنْ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
 الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ الشُّهْرَوَزْدِيُّ^(٤)، صَاحِبُ «عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ»، عَمْرُ
 ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّوَيْهِ^(٥)، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ
 الْبَغْدَادِيُّ، شِهَابُ الدِّينِ أَبُو حَفْصِ الشُّهْرَوَزْدِيُّ، شَيْخُ الصُّوفِيَةِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ
 مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ وَسَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَدَّدَ فِي الرَّسُولِيَّةِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ
 مِرَازًا، وَحَصَلَتْ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ، فَفَرَّقَهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَقَدْ حَجَّ مَرَّةً
 وَفِي صُحْبَتِهِ خَلَقَ مِنَ الْفُقَرَاءِ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَتْ فِيهِ مُرُوءَةٌ
 وَإِعَانَةٌ لِلْمَلْهُوفِينَ وَإِعَانَةٌ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ يَعْظُمُ
 وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْبِدْأَةِ، قَالَ مَرَّةً هَذَا الْبَيْتَ :

مَا فِي الصَّحَابِ أَخُو وَجَدٍ نُطَارِحُهُ^(٦) حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا صَبَّ نُجَارِيهِ^(٧)

وَجَعَلَ يُكْرِّزُهُ وَيَتَوَاجَدُ^(٨)، فَقَامَ^(٩) شَابٌّ^(١٠) - عَلَيْهِ قَبَاءٌ وَكَلُوتَةٌ - مِنْ^(١١)

(١) قرم: قرم اللحم، وإليه: اشتدت شهوته إليه، فهو قرم. الوسيط (ق ر م).
 (٢- ٣) في الأصل: «من سجنه يمشى بقلب خائف». وفي م: «إزائه بقلب واجف». والمثبت من الديوان.
 (٣) تاريخ لإربل ١/١٩٢، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/٢٠٩، ومرة الزمان ٨/٦٧٩ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/١٢١، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٨، وميزان الاعتدال ٢/٢٦٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٣٨، وطبقات الأولياء ص ٢٦٢.
 وجاءت وفاته في المصادر السابقة - عدا مرة الزمان ونهاية الأرب - في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة.
 (٤) في الأصل: «عربه»، وفي م: «حمويه». والمثبت من مصادر الترجمة.
 (٥ - ٥) في م: «إلا محب له في الركب محبوب».
 (٦ - ٦) سقط من: م.
 (٧) في الأصل: «فبادات». ولعله: «فباداه»، أي كاشفه وجاهره.
 (٨ - ٨) في م: «وكان في المجلس فأنشده».

الحاضرين فقال: يا شيخ، كم تَشْطِخُ وتَنْتَقِصُ بالقوم، واللَّهِ إنَّ فيهم من لا يَرْضَى أن يُجَارِيكَ، ولا يصلُ فَهْمُكَ إلى ما يقول! هلا أنشدت:

ما في الصَّحَابِ وقد سارت حُمُولُهُمْ إلا مُحِبٌّ له في الركبِ مَحْبُوبٌ^(١)
كأما يُوسُفُ في كلِّ راجِلَةٍ والحَيُّ في كلِّ بَيْتٍ منه يَعْقُوبُ
فصاح الشيخ، ونزل عن المنبر، وقصد الشابَّ ليعتذرَ إليه فلم يجدْه، ووجد مكانه حُفْرَةً فيها دمٌ كثيرٌ من كثرة ما كان يَفْحَصُ برجلَيْه عند إنشادِ الشيخ البيت.

وقد ذَكَرَ ابنُ خَلْكَانَ أشياءَ كثيرةً من أناشيده، وأثنى عليه خيرًا، وأنه تُوُفِّي في هذه السنَّةِ وله ثلاثٌ وتسعون سنةً، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ابن الأثيرِ مُصَنِّفُ «الغاية» و«الكامل»: هو الإمامُ العَلَّامةُ عِرُّ الدِّينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الكرمِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيبَانِيّ الجزرِيُّ المَوْصِلِيُّ، المعروفُ بابنِ الأثيرِ^(٢)، مُصَنِّفُ كتابِ «الغاية في أسماءِ الصَّحَابَةِ»، وكتابِ «الكامل في التاريخ» وهو من أحسنِها حَوَادِثَ، ابتدأه من المُبْتَدَأِ إلى سنَّةِ ثمانٍ وعشرين وستمائة، وقد كان يَتَرَدَّدُ إلى بغداد، وكان خَصِيصًا عندَ ملوكِ الموصِلِ، ووزرَ لبعضِهِم كما تقدَّم بيانه، وأقام بها في

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) التكملة لوفيات القلة ٧٤/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٢ ووفيات الأعيان ٣/٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٥٣، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٥، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٩٩، والوفاء بالوفيات ٢٢/١٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٢٩٩.

وجاءت وفاته في الذيل على الروضتين في سنة إحدى وثلاثين وستمائة: وسيرجم له المصنف كذلك فيها.

أخِرِ عمرِهِ مُوقَّرًا مُعْظَمًا إِلَى أَنْ تُؤْفَى بِهَا فِي شِعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، عَنْ خَمْسِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَأَمَّا أَخُوهُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ فَهُوَ مُصَنَّفُ كِتَابِ « جَامِعِ الْأَصُولِ » وَغَيْرِهِ ، وَأَخُوهُمَا الْوَزِيرُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللَّهِ كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ النَّاصِرِ فَاتِحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، صَاحِبِ دِمَشْقَ كَمَا تَقَدَّمَ . وَجَزِيرَةُ ابْنِ عَمْرِ قَيْل : إِنَّهَا مَنَسُوبَةٌ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِ . مِنْ أَهْلِ بَرْقَعِيدٍ ^(١) ، وَقَيْل : بَلْ هِيَ مَنَسُوبَةٌ إِلَى ابْنَيْ عَمْرِ ، وَهُمَا أَوْسٌ وَكَامِلُ ابْنَا عَمْرِ بْنِ أَوْسِ الثَّعْلَبِيِّ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . حَزَّرَ ذَلِكَ الْقَاضِي [١٠ / ٢٤٤] ابْنُ خَلْكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ابْنُ الْمُسْتَوْفَى الْإِزْبِلِيُّ ، مَبَارَكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُبَارَكِ بْنِ مَوْهوبِ بْنِ غَنِيمَةَ بْنِ غَالِبِ ، الْعَلَمَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ اللَّخْمِيُّ الْإِزْبِلِيُّ ^(٢) ، كَانَ إِمَامًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَالْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالْأَدَبِ وَالْحِسَابِ ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ وَفَضَائِلُ غَزِيرَةٌ ، وَقَدْ بَسَطَ تَرْجَمَتَهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ خَلْكَانَ فِي « الْوَفِيَّاتِ » ، فَأَجَادَ وَأَفَادَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين . معجم البلدان ١ / ٥٧١ .
(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦ / ٣٢٢ ، ووفيات الأعيان ٤ / ١٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٤٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥١ .
وجاءت وفاته في المصادر السابقة في سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ولم يذكر في سنة وفاته خلاف .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة

وفيها^(١) عمّر الأشرفُ مسجدَ جَزَّاحٍ ظاهرَ بابِ الصَّغِيرِ .

وفيها قَدِمَ رسولُ الأَنْبُرِ ومَلِكُ الفِرْنَجِ إلى الأَشْرَفِ ومعه هَدَايَا ؛ منها دُبٌّ أبيضُ ، شعْرُه مثلُ شعْرِ الأَسَدِ ، ذَكَرُوا أَنَّهُ يَنْزِلُ إلى البَحْرِ ، فيُخْرِجُ السَّمَكَ فيأْكُلُه ، ومنها طاووسٌ أبيضٌ أيضًا .

وفيها كَمَلَتِ عِمَارَةُ القَيْسَارِيَّةِ التي هِيَ قِبْلَى النَّحَّاسِينَ ، وَحُوِّلَ إليها سَوَاقُ الصَّاعِغَةِ ، وشَعَرَ سَوَاقُ اللُّؤْلُؤِ الذي كَانَ فِيهِ الصَّاعِغَةُ العَتِيقَةُ عِنْدَ الحَدَّادِينَ .

وفيها جُدِّدَتِ الدَّكَائِكُ التي بِالزِّيَادَةِ .

قُلْتُ : وقد جُدِّدَتِ شَرْقِيَّ هَذِهِ الصَّاعِغَةِ الجَدِيدَةِ قَيْسَارِيَّتَانِ فِي زَمَانِنَا ، وَسَكَنَهَا الصُّوَاغُ وَنُجَّارُ الذَّهَبِ وَالجَوْهَرِ ، وَهُمَا حَسَنَتَانِ ، وَالجَمِيعُ وَقَفَ الجَامِعُ المَعْمُورِ .

وفيها كَمَلَتْ بِنَاءُ المَدْرَسَةِ المُسْتَنْصِرِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ تُبْنَ مَدْرَسَةٌ قَبْلَهَا مِثْلَهَا ، وَوُقِفَتْ عَلَى المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ ؛ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ اثْنَانِ وَسِتُّونَ فَقِيهًا ، وَأَرْبَعَةُ مُعَيِّدِينَ ، وَمَدْرَسٌ لِكُلِّ مَذْهَبٍ ، وَشَيْخٌ حَدِيثٍ ، وَقَارِئَانِ ، وَعِشْرَةُ مُسْتَمِيعِينَ ،

(١) مرآة الزمان ٦٨٤/٨ - ٦٩٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ١٦٢، ونهاية الأرب ١٩٨/٢٩ - ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٥ - ٩ .

وشیخ طبّ ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطبّ ، ومكتب للأيتام ، وقرّر
 للجميع من الخبز واللحم والحلوى والتفقه ما فيه كفاية وافرة لكل واحد . ولما
 كان يوم الخميس خامس رجب حضرت الدروس بها ، وحضر الخليفة المستنصر
 بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية
 والشعراء ، ولم يتخلّف أحد من هؤلاء ، وعمل سباط عظيم بها ، أكل منه
 الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من يوتات الخواص والعوام ،
 وخلع على جميع المدرّسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع الدولة والفقهاء بها
 والمعبدین ^(١) ، وكان يوماً مشهوداً ، وأمراً محموداً ، وأنشدت الشعراء الخليفة
 المدائح الفائقة والقصائد الرائقة ، وقد ذكر ذلك ابن الساعى فى « تاريخه » مطوّلاً
 مبسوطاً شافياً كافياً وافياً ، وقرّر لتدريس الشافعية بها الشيخ الإمام العلامة محبى
 الدين أبو عبد الله محمد بن فضلان ، وللحنفية الشيخ الإمام العلامة رشيد الدين
 أبو حفص عمر ^(٢) بن محمد الفرغانى ، وللحنابلة الشيخ الإمام العلامة الرئيس
 محبى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، ودرّس عنه يومئذ ابنه
 عبد الرحمن نيابة لغيّته فى بعض الرسالات إلى الملوك ، ودرّس للمالكية يومئذ
 الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المغربى المالكى نيابة أيضاً حتى يُعيّن شيخ غيره ،
 ووقفت فيها خزانة كتب لم يُسمع بمثليها فى كثرتها وحسن نسخها وجودة
 الكتب الموقوفة بها . وكان المتولّى لعمارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب
 محمد بن العلقمى الذى ورر بعد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذ دار الخلافة ،

(١) فى الأصل : « المعتبرين » .

(٢) فى الأصل : « عز الدين » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص

١١٦ ، والجواهر المضية ٦٦٢/٢ .

وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين خلعة. ثم عُزل مدرسُ الشافعية في رابع عشر ذى القعدة بقاضى القضاة أبى المعالى عبد الرحمن بن مُقْبِل، مُضافاً إلى ما بيده من القضاء، وذلك بعد وفاة مُحْيى الدين بن فَضْلان [٢٤/١٠ ظ]، وقد ولى القضاء مدة، ودرّس بالنظامية وغيرها، ثم عُزل، ثم رُضِيَ عنه، ثم درّس بالمُسْتَصْرِية كما ذكرنا، فلما تُوفّي وليها بعده ابنُ مُقْبِل، رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى.

وَمَنْ تُوفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

السيفُ الأمدى أبو الحسنِ على بنِ أبى على بنِ محمد بنِ سالم التَّغْلِبِيُّ^(١)، الشيخُ سيفُ الدينِ الأمدى، ثم الحموى، ثم الدمشقى، صاحبُ المصنّفاتِ فى الأصولين وغير ذلك، من ذلك «أبكارُ الأفكار» فى الكلام، و«دقائقُ الحقائق» فى الحكمة، و«إحكامُ الأحكام» فى أصولِ الفقه، وكان حنبليّ المذهب، فصار شافعياً أصولياً منطقيّاً جدليّاً خلافياً، وكان حسنَ الأخلاق، سليمَ الصدر، كثيرَ البكاء، رقيقَ القلب، وقد تكلموا فيه بأشياء، الله تعالى أعلم بصحتها، والذى يغلبُ على الظنُّ أنه ليس لغالبها صحة، وقد كانت ملوكُ بنى أيوبَ كالمُعظّم والكامل يُكرّمونه، وإن كانوا لا يُحبّبونه كثيراً، وقد فوّضَ إليه الملكُ المُعظّمُ تدرّيسَ العزيزية، فلما ولى الأشرَفُ دمشقَ عزله عنها، ونادى فى المدارس أن لا يشتغلَ أحدٌ بغيرِ التفسيرِ والحديثِ والفقه، ومَن اشتغلَ بعلومِ الأوائلِ نفّيته، فأقام الشيخُ سيفُ الدينِ بمنزله إلى أن تُوفّي بدمشقَ فى صفرِ

(١) مرآة الزمان ٦٩١/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٩٠/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ووفيات الأعيان ٢٩٣/٣، والمختصر فى أخبار البشر ١٥٥/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٤، ودول الإسلام ١٣٦/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٦/٨.

من هذه السنة، ودُفِنَ بتربيته بسَفْحِ قَاسِيُونِ .

وذكر القاضي ابنُ حَلْكَانَ^(١) أنه اشْتَعَلَ ببغدادَ على الشيخِ أبي الفتحِ نصرِ بنِ فَيْثَانَ بنِ المُنِيِّ الحنبليِّ، ثم انتَقَلَ إلى مذهبِ الشافعيِّ، فأخذَ عن ابنِ فَضْلَانَ وغيره، وحفظَ طريقةَ الشريفِ في الخلافِ وزوائدَ طريقةِ أسْعَدَ الميهنيِّ، ثم انتَقَلَ إلى الشامِ^(٢)، واشْتَعَلَ بعلومِ المعقولِ^(٣)، ثم إلى الديارِ المصريةِ، فأعادَ بمدرسةِ الشافعيةِ بالقَرَافَةِ الصغرى، وتصدَّرَ بالجامعِ الظافرِيِّ، واشْتَهَرَ فضلهُ، وانتَشَرَتِ فضائلُه، فحسدهُ أقوامٌ، فسَعَوْا به، وكتبوا خُطوطَهُم بآثامِهِ بمذهبِ الأوائلِ والتَّعْطِيلِ والانْجِلَالِ، فطلبوا مِنْ بعضِهِم أن يُوافِقَهُم، فكتبَ^(٤) :

حَسَدُوا الفتي إذ لم يَنَالُوا سَعِيَهُ فالقومُ^(٥) أعداءٌ له وخصومُ
وانتَقَلَ الشيخُ سيفُ الدينِ إلى حَمَاةَ، ثم تَحَوَّلَ إلى دمشقَ، فدرَّسَ
بالعزيريةِ، ثم عُزِلَ عنها، ولزِمَ بيتهُ إلى أن ماتَ في هذه السنةِ، وله ثمانونَ عامًا،
رَجِمَهُ اللهُ تعالى، وعفا عنه .

واقفُ الرُّكنيةِ الحنفيهِ الأميرُ الكبيرُ رُكْنُ الدينِ مَنكُورِسُ الحنفِيُّ
الفلكيُّ^(٦)، غلامٌ فَلَكَ الدينِ أخى الملكِ العادلِ؛ لأنه واقفُ الفلكيةِ، كما
تقدَّم، وكان هذا الرجلُ مِنْ خِيَارِ الأمراءِ، يَنْزِلُ في كُلِّ ليلةٍ وقتَ السَّحْرِ إلى

(١) وفيات الأعيان ٢٩٣/٣ .

(٢) فى الأصل: «دمشق» .

(٣ - ٣) سقط من: الأصل .

(٤) أى من طلبوا منه أن يوافقهم هو الذى كتب .

(٥) فى الأصل: «والناس» .

(٦) مرآة الزمان ٦٩١/٨ (القسم الثانى)، ونهاية الأرب ٢٩٩/٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٣١ - ٦٤٠) ص ٨٧ .

الجامع وحده بطوّافية، ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة، وكان قليل الكلام، كثير الصدقات، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، وعمل عندها تربة، وحين تُوفّي بقرية جرود^(١) حمل إليها، رحمه الله تعالى.

الشيخ الإمام العالم رضي الدين أبو داود^(٢) سليمان بن مظفر بن غنّام الجليلي الشافعي، أحد فقهاء الشافعية ببغداد والمفتين فيها والمشتغلين للطلبة مدة طويلة، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلداً، يحكى فيه الوجوه الغريبة والأقوال المستغربة، وكان لطيفاً ظريفاً، تُوفّي رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد.

والحافظ أبو الحسن بن الأثير الشيخ [٢٥٠/١٠] عز الدين أبو الحسن عليّ ابن محمد بن^(٤) محمد بن عبد الكريم^(٤)، الجزري الموصلي، صاحب التصانيف الفائقة منها كتاب «الكامل في التاريخ» من أحسن الكتب في هذا الفن وأبسطها في الحوادث، وأما وفياته فليست مبسّطة بسط حوادثه، وبالجملة فهو من عيون التواريخ وأمتعها، وله من المصنفات المشهورة^(٣).

الشيخ طي المصري^(٥)، أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق

(١) في م: «حدود». وجرود من إقليم مغلولا من أعمال غوطة دمشق. معجم البلدان ٦٥/٢.
(٢) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٩٥/٦، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٥، والوفائي بالوفيات ٤٢٨/١٥، وطبقات الشافعية للسبكي ١٤٨/٨.

(٣ - ٣) سقط من: م، وتقدمت ترجمته في وفيات السنة الفائقة.

(٤ - ٤) في الأصل: «عبد الرحيم». والمثبت مما تقدم من ترجمته.

(٥) مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثاني)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٧، والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٦.

^(١) عند الرحبة التي يُباع فيها الصناديق عند دارِ بنى القلابسي، شرقي حمامِ سامة^(١)، وكان ظريفاً كَيْسًا زاهدًا، يتردّدُ إليه الأكابرُ، ودُفن بزوايته المذكورة، رحمه الله تعالى.

الشيخُ عبدُ اللهِ الأزْمَنِيُّ^(٢)، أحدُ العبّادِ الرُّهّادِ الذين جاؤوا البلادَ، وسكنوا البراريَّ والجبالَ والوهادَ، واجتمعوا بالأقطابِ والأبدالِ والأوتادِ، ومَن كانت له الأحوالُ والمكاشفاتُ، والمجاهداتُ والسيّاحاتُ، في سائرِ النواحي والجهاتِ، وقد قرأ القرآنَ في بدايته، وحفظ «القدوريَّ» على مذهبِ أبي حنيفة، ثم اشتغل بالمعاملاتِ والرياضاتِ، ثم أقام في آخرِ عمره بدمشقَ حتى مات بها، ودُفن بسفحِ قاسيونَ.

وقد حكي عنه أشياءٌ حسنةٌ، منها أنه قال^(٣): اجتزّت مرةً في السّياحةِ ببلدةٍ، فطالبتني نفسي بدخولها، فأليتُ أن لا أستطعمَ منها بطعامٍ، ودخلتها فمررتُ برجلٍ غسّالٍ، فنظرَ إليّ شزراً، فخفّتُ منه، وخرجتُ من البلدِ هارباً، فلحقتني ومعه طعامٌ فقال: كُلْ فقد خرجتُ من البلدِ. فقلتُ له: وأنت في هذا المقامِ وتغسلُ الثيابَ في الأسواقِ؟! فقال: لا تزفعُ رأسك، ولا تنظُرَ إلى شيءٍ من عملك، وتكنُ عبداً لله، ولو استعملك في الحشّ^(٤) فازصَّ به. ثم قال:

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في الأصل: «الأرموي». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ١١٢/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣٦٧/٢٢ بدون ترجمة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٠، والعبر ١٢٥/٥، والوافي بالوفيات ١٧/٦٩٥، ومرآة الجنان ٤/٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/٢٨٥. ووقع في السير والعبر: «الأرموي»، وفي مرآة الجنان: «الأرموني».

(٣) مرآة الزمان ٦٨٨/٨ (القسم الثاني).

(٤) في الأصل: «الحيش»، وفي مرآة الزمان: «الحشن». والحش: الكنيف. الوسيط (ح ش ش).

ولو قلت^(١) لى مُت قلت سَمَعًا وِطَاعَةً وقلت لداعى الموتِ أهلاً ومَرْحَبًا

وقال^(٢) : اجْتَزَتْ مرَّةً فى سِياحتى براهبٍ فى صَوْمَعَةٍ فقال لى : يا مسلمٌ ، ما أَقْرَبُ الطَّرِيقِ عِنْدَكُم إلى اللَّهِ عز وجل ؟ قلتُ : مُخالِفَةُ النفسِ . قال : فردَّ رأسَه إلى صَوْمَعَتِهِ ، فلما كنتُ بمَكَّةَ زَمَنَ الحَجَّ إذا رجلٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ الكعْبَةِ ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا الراهبُ . قلتُ : بِمِ وَصَلْتَ إلى ههنا ؟ قال : بالذى قلتُ لى . وفى روايةٍ أنه قال له : عَرَضْتُ الإسلامَ على نفسى فأَبَتْ . فعَلِمْتُ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَأَسْلَمْتُ وَخَالَفْتُهَا . فَأَفْلَحَ وَأُنْجَحَ .

قال^(٣) : وبينا أنا ذات ليلةٍ بجبلِ بُنَّانَ إذا حراميةٌ^(٤) الفَرِجِجِ ، فأخذونى فقيّدونى وشدّوا وثاقى ، فكنتُ عندهم تلك الليلةِ فى أضيقيِّ حالٍ ، فلما كان النهارُ شربوا وناموا ، فبينا أنا مَوْثوقٌ إذا حراميةٌ^(٤) المسلمِين قد أَقْبَلوا نحوهم ، فأَنبَهُهُمْ فَلَجَّجُوا إلى مَغَارَةٍ هنالك ، فسَلِمُوا مِن أولئك المسلمِين ، فقالوا : كيف فَعَلْتَ هذا وقد كان خِلاصُك على أيديهم ؟ فقلتُ : إنكم أَطَعَمْتُمونى ، فكان مِن حَقِّ الصُّحْبَةِ أن لا أَعَشَّكُمْ . فعرضوا علىَّ شيئًا مِن مَتاعِ الدنيا ، فأَبَيْتُ وَأَطْلَقُونى .

وحكى السُّبُطُ قال^(٥) : زُرْتُهُ مرَّةً وهو بيبيتِ المقدسِ ، وكنتُ قد أَكَلْتُ سَمَكًا مالحًا ، فلما جَلَسْتُ عنده أَخَذَنى عَطَشٌ شديدٌ ، وإلى جانبِهِ إبريقٌ فيه ماءٌ

(١) فى «م» «قيل» .

(٢) مرآة الزمان ٦٨٩/٨ ، ٦٩٠ (القسم الثانى) .

(٣) المصدر السابق ٦٨٨/٨ ، ٦٨٩ .

(٤) فى الأصل : «حراسة» .

(٥) المصدر السابق ٦٨٩/٨ .

باردًا، فجعلتُ أَسْتَحْيِي منه، فمد يده إلى الإبريق وقد احْمَرَّ وجهه، وناولني وقال: خُذْ، كم تُكاسِرُ^(١). فشربتُ.

وذكر^(٢) أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بعد قائمًا حديدًا^(٣) على عِمارة الملك صلاح الدين قبل أن يُخَرَّبَهُ الْمُعْظَمُ، فوقف لأصحابه يُودِّعُهُمْ، ونظر إلى السور وقال: كأني بالمعاول وهي تعملُ في هذا السورِ عما قريب. فقيل له: معاوِلُ المسلمين أو الفِرْنَجِ؟ فقال: بل معاوِلُ المسلمين. وكان [٢٥/١٠ ظ] كما قال.

وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة، ويقال: إن أصله أُرْمَنِي، وإنه أسلم على يدى الشيخ عبد الله اليونيني. وقيل: بل أصله رُومِيٌّ مِنْ قُونِيَّةَ، وإنه قدم على الشيخ عبد الله اليونيني، وعليه بُرُنُسُ كبرانسِ الرُّهْبَانِ، فقال له: أسلِمُ^(٤). فقال: أسلِمْتُ لربِّ العالمين. وكانت أمه دايَّةَ امرأة الخليفة، وقد جرت له كائنة غريبة، فسلمه الله بسبب ذلك، وعرفه الخليفة فأطلقه.

(١) يقال: كسرت من برد الماء وحره: فتر. وكل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه، وكل شيء فتر عن أمر يعجز عنه يقال فيه: انكسر. انظر اللسان (ك س ر).
(٢) مرآة الزمان ٦٨٩/٨ (القسم الثاني).
(٣) فى (م): «جديدًا».
(٤) فى م: «أسلمت».

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة

فيها ^(١) خرب الملك الأشرف موسى بن العادل، خان الزنجاري الذي كان بالعقبيية، فيه خواطئ وحمور ومُنكرات متعددة، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سُمي جامع التوبة، تقبل الله تعالى منه.

وفيها تُوفى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي ^(٢)، أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك، وقد سمع الكثير وحدث.

والشيخ شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عضرون الحلبي ^(٣) أيضًا، كان فقيها زاهدا عابدا، وكانت له نحو من عشرين سرية، وكان شيخا يُكثِر من الجماع، فاعتزته أمراض مختلفة فأتلفتها، ومات بدمشق، ودفن بقاسيون، وهو والد قطب الدين وتاج الدين.

(١) مرآة الزمان ٦٩٣/٨، ٦٩٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، ١٦٣، ونهاية الأرب ٢٠٧/٢٩ - ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠ - ١٢.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١٢٨/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٨٤/٧، وسير أعلام النبلاء ٣٨٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٦٠/٨.

(٣) مرآة الزمان ٦٩٢/٨ (القسم الثاني)، في وفيات سنة إحدى وثلاثين وستمائة، والتكملة لوفيات النقلة ١٢٥/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٣، والوافي بالوفيات ٤٣٦/١٨.

والشيخ الإمام العالم صائغ الدين أبو محمد عبد العزيز الجليلي الشافعي^(١)، أحد الفقهاء المفتين المشتغلين بالمدرسة النظامية ببغداد، وله شرح على «التنبيه» للشيخ أبي إسحاق، توفى في ربيع الأول، رحمه الله تعالى.

والشيخ الإمام العالم الخطيب الأديب، أبو محمد حمّد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي الدنيسري^(٢)، الخطيب بها والمفتي لأهلها، الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد بالنظامية، ثم عاد إلى بلده المشار إليها، وقد صنّف كتباً. وأنشد عنه ابن الساعي^(٣) سماعاً منه^(٤):

رَوَتْ لِي أَحَادِيثَ الْغَرَامِ صَبَابَتِي بِإِسْنَادِهَا عَنْ بَانَةِ الْعَلَمِ الْفَرْدِ
وَحَدَّثَنِي مَرَّ النَّسِيمِ عَنِ الْحِمَى عَنِ الدَّرُوحِ عَنِ وَادِي الْغَضَا عَنِ رُؤْيَى نَجْدِ
بَأَنَّ غَرَامِي وَالْأَسَى قَدْ تَلَازَمَا فَلَنْ يَبْرَحَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي لَحْدِي
وقد أرخ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الذيل»^(٥) وفاة الشهاب الشهرزودي صاحب «عوارف المعارف» في هذه السنة، وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وأنه جاوز الثّعين. وأما السببط فإنه أرخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدّم.

قاضي القضاة بحلب أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلّي الشافعي^(٥)، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقررّاً، ذا وجهة

(١) الوافي بالوفيات ٥٢٣/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٥٦/٨، وطبقات الشافعية

للإسنوي ٣٧٣/١، ولسان الميزان ٣٤/٤.

(٢) الوافي بالوفيات ١٥٦/١٣، وبغية الوعاة ٥٤٦/١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٦٣.

(٥) تقدمت ترجمته في هذه السنة، وهو تكرر.

عندَ الملوكِ، أقامَ بحَلَبَ، وولى القضاةَ^(١) ونظَرَ الأوقافَ^(٢) بها، وله تصانيفُ وشعرٌ، تُوفِّي في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ابنُ الفارِضِ^(٣) ناظِمُ التائيَةِ في السُّلوكِ على طَريقَةِ المُتصَوِّفَةِ المُنْشَوِينِ إلى الاتِّحادِ^(٤)، هو أبو حفصِ عمرُ بنُ أبي الحسَنِ عليِّ بنِ المُزَيْدِ بنِ عليِّ، الحَمَوِيُّ الأَصْلِي، المِصْرِيُّ المولِدِ والدارِ والوفاةِ، كان أبوه يَكْتُبُ فروضَ النساءِ والرجالِ، وقد تكلَّم فيه غيرُ واحدٍ من مشايخنا بسببِ قصيدتهِ المشارِ إليها، وقد ذكره شيخنا أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ في «مِيزَانِهِ»^(٥) وحطَّ عليه. مات في هذه السنة وقد قاربَ السُّتَيْنِ^(٥).

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١٣٥ / ٦، وتكملة إكمال الإكمال ص ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٤٥٤ / ٣، وسير أعلام النبلاء ٣٦٨ / ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٩، ونهاية الأرب ٢٩ / ٢١٠.

(٣) في الأصل : «الإلحاد» . و «الاتحاد» هو ما يعرف في عصرنا بوحدة الوجود . نعوذ بالله من الضلال !

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ٢١٤ .

(٥) في الأصل : «التسعين» . وفي م : «السبعين» . والمثبت موافق لما في مصادر الترجمة؛ حيث ذكرت أنه توفي وله ست وخمسون عامًا .

١) ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثلاثين وستمائة

فيها^(٢) قطع الكامل وأخوه الأشرف الفُرات ، وأصلحا ما كان أفسده جيشُ الرومِ من بلادِهما ، وخرَّب الكاملُ قلعةَ الرُّها ، وأحلَّ بَدْنَيْسِرَ بأسًا شديدًا ، وجاء كتابُ بدرِ الدينِ صاحبِ الموصلِ بأن التتارَ^(٣) أقبلوا بمائةِ طُلُبٍ ، كلُّ طُلُبٍ بخمسمائةِ فارسٍ ، فرجع المملكان إلى دمشقَ سريعًا ، وعاد جيشُ الرومِ إلى بلادِهما بالجزيرةِ ، وأعادوا الحصارَ كما كان ، ورجعت التتارُ عنهم ذلك إلى بلادِهم . واللهُ تعالى أعلم^(٤) .

ومَن تُوفِّي فيها مِنَ الأعيانِ والمُشاهيرِ :

ابنُ عُتَيْبِ الشاعِرِ ، وقد تقدَّمت ترجمتهُ في سنةِ ثلاثين .

ابنُ دِحْيَةَ ، أبو الخطَّابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ [٢٦١/١٠] فَرَجِ^(٤)

(١ - ١) سقط من: الأصل .

(٢) مرآة الزمان ٦٩٥/٨ - ٦٩٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ١٦٤، ونهاية الأرب ٢١١/٢٩ - ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣ - ١٦ .

(٣) في م: «الروم». والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٤) في م: «فرج». انظر تبصير المنتبه ١٠٧٢/٣ . وانظر ترجمته في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠٥/١٩، ومرآة الزمان ٦٩٨/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٤٤٨/٣، ونهاية الأرب ٢١٣/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣٨٩/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٥٧، وميزان الاعتدال ١٨٦/٣، والوفى بالوفيات ٢٢/٤٥١ .

ابن خلف بن قويمس بن مزلال بن ملال^(١) بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلبى^(٢) المغربى السبى، كان قاضيها ثم صار إلى مصر^(٢)، الحافظ شيخ الديار المصرية فى الحديث، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملة بها. قال السبى^(٣): وقد كان كابن عنيين فى ثلب المسلمين والوقيع فيهم، ويتزيد فى كلامه، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وقد كان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانها، وتوفى فى ربيع الأول بالقاهرة، ودفن بقرافة مصر.

وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وللشيخ السخاوى فيه أبحاث حسنة.

وقال القاضى ابن خلكان^(٤) بعد سياق نسيه كما تقدم، وذكر أنه كتبه من خطه، قال: وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبى عبد الله بن أبى البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، فلهذا كان يكتب بخطه: ذو السبىين، بين دحية والحسين، رضى الله عنهما.

قال ابن خلكان^(٤): وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، اشتغل ببلاد المغرب، ثم رحل إلى الشام، ثم إلى العراق، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة،

(١) فى الأصل، م: «بلال». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) مرآة الزمان ٦٩٨/٨ (القسم الثانى).

(٤) وفيات الأعيان ٤٤٩/٣.

فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعقنى بالمولد النبوي، فعجل له كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» وقرأه عليه بنفسه، فأجازه بألف دينار. قال: وقد سمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في سنة خمس^(١) وعشرين وستمائة.

قلت: وقد وقفت على هذا الكتاب، وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة.

قال ابن خلكان^(٢): وكان مولده في سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وقيل: ست أو سبع^(٣) وأربعين وخمسمائة. وتوفي في هذه السنة، وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث الكاملة بمصر، وتوفي بعده بسنة.

قلت: وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب، وكنت أود أن أقف على إسناده لتعلم كيف رجاله، وقد أجمع العلماء - كما ذكره ابن المنذر^(٤) وغيره - على أن المغرب لا يُقصر.

^(٥) وقد وقفت على جزء جمعه المحدث المثقن المفيد أبو صادق محمد بن الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطاردي في ترجمة شيخه أبي الخطاب بن دحية هذا، جمع فيه أقوال الناس في ثلثه والكلام في مزياته ومنشئه واشتغاله وطلبه، وذكر بعضهم أنه ولي القضاء بسبته، فالله أعلم^(٥).

(١) في م: «ست».

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٥٠.

(٣) في م: «تسع». والذي في المصادر: «ثمان».

(٤) الإجماع ص ٩.

(٥ - ٥) سقط من: م.

^(١) وذكر طعن الناس في ادعائه نسبه إلى دحية الكلبي، وأنه انقطع نسله من بعد ثلاثمائة، وأنشد لابن عنين فيه - قائل البيتين الشهيرين وهما - قوله ^(٢) :

دحية لم يُعقب فكم تفتري ^(٣) إليه بالبهتان والإفك
ما صحَّ عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك
وإن من أقبح ما رأيت في هذا الجزء ما ذكره عن شيخه الحافظ المؤرخ ابن
التجار ^(٤)، عن الحافظ علي بن المفضل أنه قال: اجتمعت أنا وابن دحية في
مجلس السلطان، فسألني السلطان عن حديث فأجبت فيه، فقال لي: من رواه؟
فلم يحضرنى إسناده ^(٥) فانفصلنا، فاجتمع بي ابن دحية وقال لي: يا فقيه، لِمَا
سألك السلطان عن إسناده ذلك الحديث، لم تذكر له أي إسناده شئت؟ فإنه
ومن حضر مجلسه لا يعلمون ^(٥) هل هو صحيح أم لا فعظمت في أعينهم.
فعلمت أنه يتهاون بأمر الدين، جرى على الكذب.

ثم قال: وحدثني الفقيه تقي الدين عبيد بن محمد بن [١٠/٢٦٦ ظ] عباس
الإسعدي، عن شيخنا الفقيه الإمام العالم أوحده الأمام مفتي المسلمين بهاء الدين
أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي، يعني ابن الجُمَيْري، أنه
قال: كان السلطان الملك الكامل قد خرج إلى الشام، فخرج أبو الخطاب عمر
ابن دحية معه، وولد الشيخ معين الدين بن شيخ الشيوخ، فحضرت صلاة ^(١)

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٢٠.

(٣) في الديوان: «تتني».

(٤) الاستفادة من تاريخ بغداد ١٩/٢٠٨.

(٥ - ٥) في الأصل: «فلما لم يدرون». والمثبت من الاستفادة.

(١) المغرب، فقدّم السلطان ابن دحية فصلّى بهم المغرب، فلما أن فرغ من الصلاة، قال ابن شيخ الشيوخ: ما أعلم أحدًا من الأئمة يُجوّز قصر صلاة المغرب في السفر. فقال ابن دحية: كيف لا وقد أخبرنا فلان عن فلان. وسرد إسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قصر المغرب في السفر. فلم يُجب ابن شيخ الشيوخ ومكث على حاله. قلت: هذا وضع فاحش مخالف لما أجمع عليه العلماء، كما ذكره ابن المنذر وغيره، ومثل هذا الإسناد لا يُحفظ؛ لأنّ سامعه لم يضبطه، وواضعه لا يُقدّر على إعادته ثانيًا، واللّه أعلم^(١).

الحاجريُّ الشاعر^(٢)، صاحبُ الديوان المشهور، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن حمارتكين بن طاشتيكين الإزبلي، شاعرٌ مُطَبِّقٌ، ترجمه ابن خلكان، وذكر أشياء من شعره كثيرة، وذكر أنه كان صاحبهم، وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يشتو حش منه:

اللّه يعلم ما أبتى سوى رمي منى فراقك يا من قزبه الأمل
فابعث كتابك واستودعه تغزية فرما مت شوقًا قبل ما يصل

وذكر له في الخال، رحمه الله تعالى:

ومَهْفَهْفٍ من شعره وجبينه أمسى الوري في ظلمة وضياء
لا تُنكروا الخال الذي في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١

- ٦٤٠) ص ١١٧، والنجوم الزاهرة ٦/٢٩٠.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها^(١) حاصرت التتار إزبل بالمجانيق، ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة، فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم، وامتنعت عليهم القلعة، وفيها^(٢) النائب من جهة الخليفة، فدخل فصل الشتاء، فأقلعوا عنها، وأنشروا إلى بلادهم، وقيل: إن الخليفة جهز لهم جيشاً، فانهزم التتار.

وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تبثوا من جيش جلال الدين، وأنفصلوا عن الرومي، فقوى جأش الصالح أيوب. وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة؛ لتكون قوة له وعلاًفاً لدوابه إذا جاز القرات مع أخيه في البواكير، فقال الكامل: أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بنى أمية؟ فأرسل الأشرف الأمير فلک الدين بن المسيري إلى الكامل في ذلك، فأغظ له في الجواب، وقال: أيش يعمل بالملك؟ يكفيه عشرته للمغانى وتعلمه لصناعتهم. فغضب الأشرف عند ذلك وتنمر، وبدت الوحشة بينهما، وأرسل الأشرف إلى حماة وحلب وبلاد الشرق، فحالف أولئك الملوك على أخيه الكامل، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه؛ وذلك لكثرة ميل الملوك إليه؛ لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل، ولكنه أذركته مبيته في أول السنة الداخلة، رحمه الله تعالى.

(١) مرآة الزمان ٦٩٩/٨ - ٧٠٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧ - ١٩.
(٢) بعده في الأصل: «قتلوا».

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الملك العزيز بن^(١) الظاهر صاحب حلب ، محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين [٢٧/١٠] فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنه الناصر أصحاب ملوك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة ، كريماً عفيفاً ، تُؤْفَى وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مُدَبِّرَ دولته الطواشي شهاب الدين ، وكان من الأمراء ، رحمه الله تعالى . وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف .

صاحب الروم كيقباد الملك علاء الدين^(٢) ، صاحب بلاد الروم ، كان من أعَدَلِ^(٣) الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوجه العادل ابنته وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت ، وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى ، رحمهما الله .

الناصر الحنبلي^(٤) ، في ثالث المحرم تُؤْفَى الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن ابن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وهم ينتسبون إلى سعد

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ ، والمختصر في أخبار البشر ١٥٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٥ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٧ ، والوفاء بالوفيات ٤/٣٠٦ .

(٢) مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٠ .

(٣) في م : «أكابر» .

(٤) مرآة الزمان ٧٠٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/١٩٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٦ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٢٩١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/١٩٣ .

ابن عبادة، رضى الله عنه، وُلد الناصح سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان يعظ في بعض الأحيان. وقد ذكرنا قبل أنه وعظ في حياة الشيخ الحافظ عبد الغنى، وهو أول من درّس بالصالحية التي بالجبل، وله بيت، وله تصانيف. وقد اشتغل على ابن المنى ببغداد، وكان فاضلاً صالحاً، وكانت وفاته بالصالحية، ودُفن هناك، رحمه الله.

الكمال بن مهاجر التاجز^(١)، كان كثير الصدقات والإحسان إلى الناس، مات فجأة في جمادى الأولى بدمشق، فدُفن بقاسيون، واستحوذ الأشرف على أمواله، فبلغت التركة قريباً من ثلاثمائة ألف دينار، من ذلك سبحة فيها مائة حبة^(٢)، كل واحدة مثل بيضة الحمامة.

الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية^(٣)، أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية، كان قد ولى دار الحديث الكاملة حين غزل أخوه عنها، حتى تُوفى في عامه هذا، وكان ندر^(٤) في صناعة الحديث أيضاً، رحمه الله تعالى.

القاضي عبد الرحمن التكريتي^(٥)، الحاكم بالكرك، ومدرّس مدرسة الزبداني، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس، ثم إلى دمشق، فكان ينوب بها عن القضاة، وكان فاضلاً نزهة عفيفاً دينا، رحمه الله تعالى ورضى عنه.

(١) مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٢١٧/٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٤، والوفى بالوفيات ١٧٢/٤.

(٢) بعده في م: «لؤلؤ».

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠٤، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٢/٤، والوفى بالوفيات ٤٧٩/١٩، وبغية الوعاة ١٣٣/٢.

(٤) ندر: تقدم وقل وجود نظيره. الوسيط (ن د ر).

(٥) مرآة الزمان ٧٠٢/٨، والتكملة لوفيات النقلة ٢٢٢/٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٥، والوفى بالوفيات ١٤٢/١٨.

ثم دخلت سنة خمسٍ وثلاثين وستمائة

فيها^(١) كانت وفاةُ الأشرفِ ، ثم أخيه الكاملِ ، أما الأشرفُ موسى بنُ العادلِ^(٢) بنى دارَ الحديثِ الأشرافيةِ وجامعِ التَّوْبَةِ وجامعِ جِرَاحِ ، فإنه تُوفِّي في يومِ الخميسِ رابعِ المُحَرَّمِ مِنْ هذهِ السَّنَةِ ، بالقلعةِ المنصورةِ ، ودُفِنَ بها حتى نَجِزَتْ تربتهُ التي بُنِيَتْ له شماليَّ الكَلَّاسَةِ ، ثم حُوِّلَ إليها ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى ، في جُمادَى الأولى ، وقد كان ابتداءً مرضه في رجبٍ مِنْ^(٣) السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ^(٤) ، واختَلَفَتْ عليه الأدواءُ حتى كان الجرائِحُ يُخْرِجُ العِظَامَ مِنْ رَأْسِهِ ، وهو يُسَبِّحُ اللهُ عز وجل ، فلما كان آخِرُ السَّنَةِ تَزَايَدَ به المرضُ واعتراه إسهالٌ مُفْرِطٌ ، فخازرت قوتهُ ، فشرعَ في التَّهَيُّؤِ لِلِقَاءِ اللهِ تعالى ، فأعْتَقَ مائتي غلامٍ وجاريةً ، ووقفَ دارَ فَرُخْشَاهُ التي يقالُ لها : دارُ السَّعَادَةِ . وبستانه بالتَّيْرِبِ على ابنته^(٤) ، وتصدَّقَ بأموالٍ جزيلةً ، وأحضَرَ له كفنًا كان قد أعدَّهُ مِنْ ملابسِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَشَايخِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وقد كان رَحِمَهُ اللهُ ، شَهْمًا شَجَاعًا كَرِيمًا جَوَادًا مُجِيبًا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، ولا سِيْمًا لِأَهْلِ الْحَدِيثِ ، ومقَادِسةِ الصَّالِحِيَّةِ ، وقد بنى لهم دارَ حديثِ

(١) مرآة الزمان ٧٠٤/٨ - ٧١٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ - ١٦٧ ، ونهاية الأرب ٢١٨/٢٩ - ٢٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠ - ٢٦ .
(٢) مرآة الزمان ٧١١/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٢٤٢ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٣٠ ، ونهاية الأرب ٢١٨/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٢/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٨ .

(٣ - ٣) في الأصل : « هذه السنة » .

(٤) في م : « ابنته » .

بالسَّفْحِ ، وبالمدينة للشافعية أخرى ، وجعل فيها نعل النبي ﷺ الذي ما زال [٢٧/١٠] حريصاً على تحصيله من النُّظَامِ ابنِ أبي الحديد التاجر ، وقد كان النُّظَامُ ضنيناً به ، فعزم الأشرف على أخذ قطعة منه ؛ خوفاً من أن يذهب بالكلية ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق ، فأوصى للملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتباً سنينة نفيسة ، وبنى جامع التوبة بالعقبة ، وقد كان خاناً للزُّجَّارِي ، فيه من المنكرات شئٌ كثيرٌ ، وبنى مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير فخر الدين عثمان الزُّجَّارِي ، وكان أبوه يُحبُّه ، وكذلك أخوه المعظم ، ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة ؛ منها الرها وحران ، ثم اتسعت مملكته حتى ملك خلاط ، وكان من أعف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه وجواريه ، مع أنه كان يعاني الشراب ، وهذا من أعجب الأمور .

حكى السُّبُطُ عنه قال ^(١) : كنت يوماً بهذه المنظرة من خلاط إذ دخل الخادم فقال : بالباب امرأة تستأذن . فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي ، فذكرت أن الحاجب علياً قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكراء ، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت برد ضيعتها إليها ، وأمرت لها بدار تسكنها ، وقد كنت قمت لها حين دخلت ، وأجلستها بين يدي ، وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومعها عجوزٌ ، فحين قضيت شغلها قلت لها : انهضى على اسم الله تعالى .

(١) مرآة الزمان ٧١١/٨ ، ٧١٢ (القسم الثاني) .

فقال العجوزُ: يا حَوْنُدُ، إنما جاءت لتَحْطَى بِخَدْمَتِكَ هذه الليلةَ . فقلتُ: مَعَاذَ اللَّهِ، لا يَكُونُ هذا . واستَحْضَرْتُ في ذِهْنِي ابنتي ربما يُصَيِّبُهَا نَظِيرُ ما أَصَابَ هذه، فقامت وهي تقولُ: سَتَرَكَ اللَّهُ مِثْلَ ما سَتَرْتَنِي . وقلتُ لها: مهما كان لك مِن حاجةٍ فَأَنْهِيهَا إِلَيَّ أَقْضِيهَا لك . فدَعَت لِي وانصَرَفَتْ . فقالت لِي نفسِي: ففِي الحَلالِ مُنْذُوحةٌ عَنِ الحرامِ، فَتَزَوَّجْها . فقلتُ: وَاللَّهِ لا كانَ هذا أَبَدًا، أَيْنَ الحَياءُ وَالكَرَمُ وَالْمُرُوءَةُ!؟

قال: ومات مملوكٌ مِن مَماليكِي، وتركَ وَلَدًا ليس يَكُونُ فِي الناسِ بِتلكِ البلادِ أَحسَنُ شِبابًا ولا أَحلى شِكلًا مِنْهُ، فَأَحْبَبْتُهُ وَقَرَّبْتُهُ، وكانَ مَنْ لا يَفْهَمُ أَمْرِي يَتَّهَمُنِي بِهِ، فَاتَّفَقَ أَنه عدا على إنسانٍ، فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، فَاشْتَكَى عَلَيْهِ إِلَيَّ أَوْلِياءُ المَقْتُولِ، فقلتُ: أثْبِتُوا أَنه قَتَلَهُ . فَأَثْبِتُوا ذلكَ، وَحاجَفَتْ عَنهُ مَماليكِي، وَأرادوا إِرضاءَهُم بِعَشْرِ دِياتٍ، فلم يَقْبَلُوا، ووقفوا لِي فِي الطَرِيقِ وقالوا: قد أثْبِتْنَا أَنه قَتَلَهُ . فقلتُ: خُذوه . فَتَسَلَّمُوهُ، فَأَخْذُوهُ فَقتلوه، ولو طَلَبُوا مِنِّي مُلْكِي فِداءً لَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِم، وَلكنني اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَن أَعْرِضَ شَرْعَهُ بِحِظِّ نَفْسِي . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ولما ملكَ دِمَشقَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَسِتِّمِائَةِ نَادَى مُنادِيَهُ بِها أَن لا يَشْتَغَلَ أَحَدٌ مِنَ الفُقهاءِ بِشَيْءٍ مِنَ العِلْمِ سِوَى الحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالفِقْهِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ فِي المَنْطِقِ وَعِلْمِ الأَوائِلِ^(١) . نُفِي مِنَ البَلَدِ . وكانَ البَلَدُ بِهِ فِي غايَةِ الأَمْنِ وَالعَدْلِ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ وَالخَيْرَاتِ؛ كانتِ القَلْعَةُ لا تُغْلَقُ فِي لِياليِ رَمضانَ [٢٨/١٠] كُلِّها، وَضُحُونُ الحَلالِواتِ خارجَةً مِنْها إِلى الجامعِ وَالخَوانِقِ وَالرُّبُطِ

(١) انظر ما تقدم في صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

والصالحية ، إلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثرُ جلوسه بمسجدِ
أبي الدرداءِ الذي جدده وزخرفه بالقلعة ،^(١) « وكان ميمونَ التقيية » ، ولم تُكسّر له
راية قط ، وقد استدعى الزبيديّ من بغداد حتى سمع هو والناسُ عليه « صحيحَ
البخاريّ » وغيره ، وكان له مئيلٌ كثيرٌ إلى الحديثِ وأهله ، رحمه الله تعالى . ولما
تُوّفّي رآه بعضهم في المنامِ وعليه ثيابٌ خضراءُ ، وهو يطيرُ مع جماعةٍ من الصالحين ،
فقالوا له : ما هذا وقد كنتُ تُعاني الشرابَ في الدنيا ؟ فقال : ذاك البدنُ الذي كنا
نُفعلُ به ذاك عندكم في الدنيا ، وهذه الروحُ التي كنا نُحبُّ بها هؤلاء فهي معهم .
وقد صدق ، رحمه الله ؛ قال رسولُ الله ﷺ : « المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ »^(٢) .

وقد كان أوصى بالملكِ بعده لأخيه الصالحِ إسماعيلَ ، فلما تُوفّي أخوه
ركب في أُبهةِ الملكِ ، ومشى الناسُ بينَ يديه ، وركب إلى جانبه صاحبُ
حِمَصٍ وعزُّ الدينِ أئيك المعظميَّ حاملُ الغاشيةِ^(٣) على رأسه ، ثم إنه صادر
جماعةً من الدماشقة الذين قيل عنهم : إنهم مع الكاملِ . منهم^(٤) « العَلَمُ تعاسيفُ »
وأولادُ ابنِ مُزَهِرٍ ، وحبسهم ببُضْرَى ، وأطلق الحريرىَّ من قلعةِ عزّتنا ، وشرط

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه البخارى (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠ ، ٢٦٤١) ، عن ابن مسعود وأبي موسى عند كليهما .
(٣) الغاشية : هى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ،
تُحمل بين يدي الملك عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها . صبح الأعشى ٧/٤ .
(٤ - ٤) فى الأصل : « المعلم بعاسف » ، وفى م : « العالم تعاسيف » ، وفى مرآة الزمان : « العلم
يوسف » . والمثبت من نهاية الأرب وتاريخ الإسلام . وهو قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر
الأصفونى . يُنعت بالعلم ، كنيته أبو المعالى ويُعرف بتعاسيف . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة بأصفون
من صعيد مصر وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة . انظر ترجمته فى الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء
الصعيد ص ٤٦٩ ، وحسن المحاضرة ١/٥٤٢ .

عليه أن لا يَدْخُلَ دمشقَ ، ثم قَدِمَ الكاملُ مِن مصرَ ، وانضاف إليه الناصرُ داوُدُ صاحبُ الكَرْكِ ونايُبُلسَ والقدسِ ، فحاصروا دمشقَ حصارًا شديدًا ، وقد حصَّنَها الصالحُ إسماعيلُ ، وقُطِعَتِ المِياهُ ، وردَّ الكاملُ ماءَ بَرْدَى إلى ثَوْرًا ، وأُخْرِقَتِ العُقَيْبَةُ وقصرُ حَجَّاجٍ ، فافتقرَ خَلْقٌ كثيرٌ ، واخترقَ آخرونَ ، وجرتِ خُطوبٌ كثيرةٌ ، ثم آلَ الحالُ في آخِرِ جُمادى الأولى إلى أن سلَّم الصالحُ إسماعيلُ دمشقَ إلى أخيه الكاملِ ، على أن له بَعْلَبَكَّ وبُضْرَى ، وسكَن الأُمُرُ ، وكان الصُّلحُ بينهما على يدى القاضى مُحَيى الدين يوسفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزى ؛ اتَّفَقَ أنه كان بدمشقَ قد قَدِمَ فى رَسْليَّةٍ من جهة الخليفةِ إلى دمشقَ ، فجزاه اللهُ تعالى خيرًا . ودخَلَ الكاملُ دمشقَ ، وأطلقَ الفَلَكَّ بنَ المَسيرى من سجنِ الحَيَّاتِ بالقلعةِ الذى كان أوْدَعَه فيه الأَشْرَفُ ، ونقَلَ الأَشْرَفَ إلى تربيته ، وأمرَ الكاملُ فى يومِ الاثنينِ سادسِ جُمادى الآخِرَةِ أئمةَ الجامعِ أن لا يُصَلُّى أحدٌ منهم المغربَ سوى الإمامِ الكبيرِ ؛ لِما كان يَقَعُ مِنَ التَّشْوِيشِ والاختلافِ بسببِ اجتماعِهم فى وقتٍ واحدٍ ، ولِنِعْمَ ما فَعَلَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى . وقد فُعِلَ هذا فى زماننا فى صلاةِ التَّراويحِ ، اجتمعَ الناسُ على قارئٍ واحدٍ ، وهو الإمامُ الكبيرُ فى الحُرَابِ المُقَدَّمِ عندَ المنبرِ ، ولم يَتَّقَ به إمامٌ حينئذٍ سوى الذى بالحلبِيةِ عندَ مشهَدِ عُلَى ، ولو تُرِكَ لكانَ حَسَنًا . واللهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ ^(١)

تملَّكَ الكاملُ دمشقَ مدةَ شهرينَ ، ثم أخذته أمراضٌ مختلفةٌ ، مِن ذلك

(١) مرآة الزمان ٧٠٥/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٧٠/٦ ، والذَّيل على الروضتين ص ١٦٦ ، ووفيات الأعيان ٧٩/٥ ، ونهاية الأرب ٢٢٧/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٤ ، والوفاء بالوفيات ١٩٣/١ .

شِعَالٍ وإِسْهَالٍ وَنَزْلَةً فِي حَلْقِهِ ، وَنَقْرَسٌ فِي رِجْلَيْهِ ، فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ فِي بَيْتِ صَغِيرٍ مِنْ دَارِ الْقَصْبَةِ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي تُؤْفَى فِيهِ عَمُّهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صِلَاحُ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْكَامِلِ أَحَدٌ حَالَ مَوْتِهِ مِنْ شِدَّةِ هَيْبَتِهِ ، بَلْ دَخَلُوا فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سِنَةِ ثَلَاثٍ ^(١) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَكْبَرَ أَوْلَادِ الْعَادِلِ بَعْدَ مُؤَدُّودٍ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى الْعَادِلُ ؛ لِعَلِمِهِ بِشَائِهِ ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ ، وَوُفُورِ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ جَيِّدَ الْفَهْمِ ، يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ ، وَيَسْأَلُهُمْ أَسْئَلَةً مُشْكِلَةً ، وَلَهُ كَلَامٌ جَيِّدٌ عَلَى « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ، وَكَانَ ذَكِيًّا ، مَهِيَّبًا ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، عَادِلًا مُنْصِيفًا ، لَهُ حُزْمَةٌ وَافِرَةٌ ، وَسَطْوَةٌ قَوِيَّةٌ ، مَلَكَ مِصْرَ ثَلَاثِينَ سَنَةً كَامِلَةً ، [٢٨١/١٠ ط] وَكَانَتْ الطَّرِيقَاتُ فِي زَمَانِهِ آمِنَةً ، وَالرَّعَايَا مُتَنَاصِفَةً ، لَا يَتَجَسَّرُ أَحَدٌ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا ، شَتَّى جَمَاعَةً مِنَ الْأَجْنَادِ أَخَذُوا شَعِيرًا لِبَعْضِ الْفَلَاحِينَ بِأَرْضِ أَمِدَ ، وَاشْتَكَى إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّكَبَادِيَّةِ أَنْ أَسْتَاذَهُ اسْتَعَمَلَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلَا أَجْرَةٍ ، فَأَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ الرُّكَبَادِيَّةِ ، وَأَلْبَسَ الرُّكَبَادِيَّ ثِيَابَ الْجُنْدِيَّ ، وَأَمَرَ الْجُنْدِيَّ أَنْ يَخْدُمَ الرُّكَبَادِيَّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ ، وَيَحْضُرَ الرُّكَبَادِيَّ الْمَوْكِبَ وَالْخِدْمَةَ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْأَجَلُ ، فَتَأَدَّبَ النَّاسُ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَدَبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي رَدِّ ثَعْرٍ دِمْيَاطٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْفَرَنْجُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَرَابَطَهُمْ أَرْبَعَ سِنِينَ ، حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَوْمٌ أَخَذَهُ لَهُ وَاسْتِرْجَاعِهِ إِيَّاهُ يَوْمًا مَشْهُودًا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ مُفْصَلًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ بِالْقَلْعَةِ حَتَّى كَمَلَتْ تَرْبَتُهُ الَّتِي بِالْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الْجَامِعِ ذَاتِ الشُّبَّاكِ

(١) فِي م : « سِت » .

الذى هناك قريباً من مقصورة ابن سنان، وهى الكنديّة التى عند الحلبيّة، نُقل
إليها ليلة الجمعة الحادى والعشرين من رمضان من هذه السنّة.

ومن شعره يَسْتَحِثُّ أخاه الملك الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان مُحاصِراً
بدمياط^(١) :

يا مُشعفى إن كنتَ حقاً مُشعفى فازحلّ بغيرِ تَقَيُّدٍ وتوقُّفٍ
واطوِ المنازلَ والديارَ ولا تُنخِ إلا على بابِ المليكِ الأشرفِ
قَبْلَ يديه لا عِدِمْتَ وَقُلْ له عَنى بحسَنِ تَعَطُّفٍ وتَلَطُّفٍ
إن تَأْتِ^(٢) صِنُوكَ عن قريبٍ تَلَقَّه ما بينَ حدِّ مُهَنِّدٍ ومُثَقِّفِ
أو تُبْطِ عن إنجاده فلقاؤه يومَ القيامةِ فى عِراضِ الموقفِ

ذِكْرُ مَا جَرَى بَعْدَهُ

كان قد عهد لولده العادل - وكان صغيراً - بالديار المصرية وبالبلاد
الشامية^(٣)، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة، فأمضى الأمراء ذلك، فأما
دمشق فاختلف الأمراء بها فى الملك الناصر داود بن المعظم، والملك الجواد مظفر
الدين يونس بن مؤدود بن العادل، فكان ميثل عماد الدين بن الشيخ إلى الجواد،
وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد، وجاءت الرسالة
إلى الناصر أن اخرج من البلد، فركب من دار أسامة، والعامّة^(٤) من داره^(٤) إلى

(١) الأبيات فى تاريخ الإسلام ص ٢٥٦.

(٢) فى الأصل: «يأت»، وفى م: «مات». والمثبت من تاريخ الإسلام.

(٣) فى م: «الدمشقية».

(٤) - (٤) فى م: «وراء».

القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة، فلما جاوز العمادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لا، لا، لا. فسار حتى نزل القابون عند وطأة بزرزة^(١). فعزم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراءه، فتقدم إلى عجلون، فتحصن بها وأمن. وأما الجواد فإنه ركب في أبهة الملك، وأنفق الأموال والخيل على الأمراء. قال السبسط^(٢): فرّق ستة آلاف دينار وخمسة آلاف خيلة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى الخواطيء، واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من عجلون نحو غزة وبلاد السواحل، فاستحوذ عليها، فركب الجواد في طلبه، ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرفية: كاتبوه وأطعموه. فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم، فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس، فقصد الجواد وهو نازل على جينين، والناصر على سبسطية^(٣)، فهرب الناصر، فاستحوذوا على حواصليه [٢٩/١٠] وأثقاله، فاستغنوا بها، وأفتقر بسببها فقراً مديقاً، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا وتلك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم، ونهبوا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار، فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

(١) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق. وبرزة: قرية من غوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٥٦٣/١، ٥/٤.

(٢) مرآة الزمان ٧٠٨/٨ (القسم الثاني).

(٣) جينين: بلدة بين نابلس وبيسان، من أرض الأردن. وسبسطية، بلدة من نواحي فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يومان، وهي من أعمال نابلس، معجم البلدان ٣/٣٣.

ليُحاصِرَه وَيَأْخُذَه فِي قَفْصِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَكْرَهُونَ مُجَاوِرَتَهُ لِكِبْرِهِ وَقُوَّةِ سَطْوَتِهِ ، فَلَمْ يَتَّقَ إِلَى أَخْذِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ ، فَكَاتَبَ الْخَوَارِزْمِيَّةَ ، وَاسْتَشْتَجَدَ بِهِمْ ، وَخَضَعَ لَهُمْ وَوَعَدَهُمْ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ جَرَائِدَ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الْبَدْرِ لَوْلُوْءُ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ لَوْلُوْءُ هَرَبَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَثْقَالِهِ ، فَوَجَدُوا فِيهَا شَيْئًا كَثِيرًا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ الْمَوْصِلِ جَرِيدَةً خَائِبًا ، وَسَلِمَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

(١) الْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ يَاسِينَ ، الْخَطِيبُ جَمَالُ الدِّينِ الدَّوْلَعِيُّ ، نِسْبَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ بِأَرْضِ^(٢) الْمَوْصِلِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَ تَرْجُمَةِ عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يَاسِينَ الْخَطِيبِ بِدَمَشَقَ أَيْضًا^(٣) ، وَكَانَ مُدْرِّسًا بِالْعَزَالِيَّةِ مَعَ الْخَطَابَةِ ، وَقَدْ مَنَعَهُ الْمُعَظَّمُ فِي وَقْتِ عَنِ الْفَتْوَى ، فَعَاتَبَهُ السُّبُطُ فِي ذَلِكَ ، فَاعْتَدَرَ بِأَنْ شِيُوخَ بَلَدِهِمْ أَشَارُوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ ، لِكثْرَةِ أَخْطَائِهِ فِي فِتَاوِيهِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْمُوَظَّاتَةِ عَلَى الْوِظَافَةِ لَا يَكَادُ يُفَارِقُ بَيْتَ الْخَطَابَةِ ، وَلَمْ يَحْجْ قَطُّ مَعَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَفَ مَدْرَسَةً بِجَيْرُونَ ، وَقَدْ وُلِيَ الْخَطَابَةَ بَعْدَهُ أَخُّ لَهُ ، وَكَانَ جَاهِلًا ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهَا ، وَتَوَلَّاهَا الْكَمَالُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبِيَةَ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ النَّصِيبِيِّ ، وَوُلِيَ تَدْرِيسَ الْعَزَالِيَّةِ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧١٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٥٨/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٤/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٣ ، والوفى بالوفيات ٣٢٧/٤ .

(٢) في م : « بأصل » .

(٣) تقدمت ترجمته في ٧١٨/١٦ ، وفي وفيات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

القاضي شمس الدين بن الشيرازي :

محمد بن هبة الله^(١) بن محمد بن هبة الله^(٢) بن ميميل^(٣) الشيخ أبو نصر بن الشيرازي، وُلد سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسمع الكثير على الحافظ بن عساكر وغيره، واشتغل في الفقه، وأفتى ودرّس بالشامية البرّانية، وناب في الحكم عدة سنين، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً كئيباً، حسن الأخلاق، عارفاً بالأخبار وأيام العرب والأشعار، كريم الطباع، حميد الآثار، وكانت وفاته ليلة^(٤) الخميس ثالث جمادى الآخرة، ودُفن بقاسيون، رحمه الله تعالى.

القاضي شمس الدين بن سني الدولة يحيى، أبو البركات بن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضيها^(٥)، كان عالماً عفيفاً فاضلاً عادلاً منصفاً نزيهاً، كان الملك الأشرف يقول: ما ولي دمشق مثله. وقد ولي الحكم بيت المقدس مدةً، وناب بدمشق عن القضاة، ثم استقل بالحكم، وكانت وفاته يوم الأحد سادس ذي القعدة، وصُلّي عليه بالجامع، ودُفن بقاسيون، وتأسف الناس عليه، رحمه الله تعالى، وتولّى^(٥) بعده الشيخ شمس الدين بن الخويّي.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٠٩/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٣١/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦١، والوافي بالوفيات ١٥٧/٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٦/٨، وغاية النهاية ٢٧٤/٢.

(٢) في م: «جميل». قال التاج السبكي: ميميل بفتح الميم، ومعناه محمد.

(٣) في م: «يوم».

(٤) مرآة الزمان ٧١٧/٨، (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢٧/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٥٨/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٤٧/١.

(٥) في م: «توفى». وهو تحريف.

(^١) ابنُ الأَستَازِ القَاضِي زَيْنُ الدِينِ عَبْدِ اللَّهِ بِنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابنِ عَلْوَانَ الأَسَدِيّ، عُرِفَ بابنِ الأَستَازِ الحَلَبِيِّ، قاضِيها بَعْدَ بَهاةِ الدِينِ بْنِ
شَدَّادٍ، وَكانَ رَئِيسًا عالِمًا فاضِلًا، حَسَنَ الخُلُقِ والسَّمَتِ، وَكانَ أبُوهُ مِنَ
الصالحينِ الكِبارِ، رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى .

(^٢) الشَّيْخُ الصالِحُ المَعْمَرُ، أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسعودِ بْنِ بَهْرُوزِ
البَغدادِيّ (^٣)، ظَهَرَ سَماعُهُ مِنَ أَبِي الوَقْتِ فِي سَنَةِ خَمسَ عَشْرَةَ وَسَمائَةِ، فانثال
الناسُ عَلَيْهِ يَسْمَعُونَ مِنْهُ، وَتَفَرَّدَ بِالرِوايَةِ عَنْهُ فِي الدنِيا بَعْدَ الزَّيْديّ وَغَيرِهِ، تُوفِّي
لِيلةِ السَّبْتِ التَّاسِعِ والعَشرِينَ مِنَ شَعْبَانَ، رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى (^٤) .

الأَمِيرُ الكَبيرُ المَجاهِدُ المُرابِطُ صارِمُ الدِينِ خَطَلَبَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (^٥)، مَمْلوكُ
سَرْكَس (^٥) وَنائبُهُ بَعْدَهُ مَعَ وِليهِ عَلِيُّ تَبَيَّنَ وَتَلَّكَ الحُصُونِ، وَكانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ
وَالإِحسانِ، وَدُفِنَ مَعَ أَسْتاذِهِ بِقَبابِ سَرْكَس (^٥)، وَهُوَ الَّذِي بَناهَا بَعْدَ أَسْتاذِهِ،
وَكانَ خَيرًا، قَليلَ الكَلامِ، كَثِيرَ العَزْوِ، مُرابِطًا مَدَّةَ سَنينَ، رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى،
وَعفا عَنْهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٦/٢٧٣، والذيل على الروضتين ص
١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٣٩، والوفى بالوفيات ١٧/٢٤٦،
وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٥٥، والمقفى الكبير ٤/٤٢٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٦/٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات
٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٩، والوفى بالوفيات ٥/٢٤.

(٤) مرآة الزمان ٨/٧٠٥، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠)
ص ٢٣٧، والوفى بالوفيات ١٣/٣٤٧.

(٥) في م: «شركس».

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها^(١) قبض الملك الجَوَادُ على الصَّفِيِّ بنِ مَرْزُوقٍ ، وصادَره بأربعمائة [١٠٠] / ٢٩ ظ ألف دينارٍ ، وحبسه بقلعة حِمَصَ ، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء ، وقد كان ابنُ مَرْزُوقٍ قبلَ ذلك يُحسِنُ إلى الجوادِ إحسانًا كثيرًا .

وسلَّطَ الجَوَادُ خادِمًا لزوجته يقالُ له : الناصحُ . فصادَرَ الدَّماشقَةَ ، وأخذ منهم نحوًا من ستمائة ألف دينارٍ ، ومسك الأميرَ عِمَادَ الدينِ بنِ الشيخِ الذي كان سببَ تملكِهِ دمشقَ ، ثم خاف من أخيه فخرِ الدينِ بنِ الشيخِ الذي بديارِ مصرَ ، وقلق من مُلكِ دمشقَ ، وقال : أئشِ أَعْمَلُ بالملكِ ؟ بازٌ وكتبَ أحبَّ إليَّ من هذا . ثم خرجَ إلى الصيدِ ، وكاتبَ الصالحَ نَجْمَ الدينِ أيوبَ بنَ الكاملِ ، فتقايسًا من حصنِ كَيْفَا وسِنجَارَ وما يَتَّبِعُ ذلكَ إلى دمشقَ ، فملكَ الصالحُ أيوبُ دمشقَ ، ودخلها في مُستَهَلِّ جُمادى الأولى من هذه السنة ، والجَوَادُ بينَ يديه بالغاشية^(٢) ، ثم حملها المظفرُ صاحبُ حماةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، ثم نزلَ الجوادُ بدارِ السعادة^(٢) ، ونديم على ما كان منه ، فأراد أن يَسْتَدْرِكَ الفاتتَ ، فلم يَتَّفِقْ له ، وخرجَ من دمشقَ ، والناسُ يَلْعَنونه في وجهه ؛ بسببِ ما أسداه إليهم من المُصادراتِ ، وأرسلَ إليه الصالحُ أيوبُ ليرُدَّ إلى الناسِ أموالهم ، فلم يَلْتَفِتْ إليه ، وسارَ وبقية في ذمته .

(١) مرآة الزمان ٧١٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٧ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٨ -

٢٧٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧ .

(٢) - ٢) سقط من : م .

ولما استقرَّ الصالحُ في ملكِ مصرَ، كما سيأتى، حبسَ الناصحَ الخادمَ، فمات في أسوأِ حالةٍ، مِنَ القِلَّةِ والقَمَلِ، جِزَاءً وَفَاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفيها ركب الصالحُ أيوبَ من دمشق في رمضانَ قاصداً الديارَ المصرية؛ ليأخذها من ابنِ أخيه العادلِ لصِغَرِهِ، فنزلَ بنابئلسَ واستولى عليها، وأخرجها من يدِ الناصرِ داودَ، وأرسلَ إلى عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ بَغْلَبِكْ ليقدِّمَ عليه ليكونَ في صحبته إلى الديارِ المصرية، وكان قد جاء إليه إلى دمشق ^(١) وبإيَّته، فجعلَ يُسوِّفُ به، ويعمَلُ عليه، ويُحالفُ الأمراءَ بدمشقَ ليكونَ ملكهم، ولا يتجاسرُ أحدٌ من الصالحِ أيوبَ لجرَّوته أن يُخبره بذلك، وانقضتِ السنَّةُ، وهو مُقيمٌ بنابئلسَ يستدعيه إليه، وهو يُماطلُه.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

جمالُ الدينِ الحَصِيرِيُّ الحَنَفِيُّ، محمودُ بنُ أحمدَ ^(٢)، العَلَّامَةُ جمالُ الدينِ الحَصِيرِيُّ شيخُ الحَنَفِيَّةِ بدمشقَ، ومُدْرَسُ الثَّوْرِيَّةِ، أصلُه من قريةٍ يُقالُ لها: حَصِيرُ. من مُعامَلَةِ بُخَارَى، تفقَّهَ بها، وسمعَ الحديثَ الكثيرَ، وصارَ إلى دمشقَ، فانتَهتْ إليه رياسَةُ الحَنَفِيَّةِ بها، لاسيَّما في أيامِ المُعَظِّمِ، كان يقرَأُ عليه «الجامعُ الكبيرُ»، وله عليه شَرْحٌ، وكان يحترِّمُه ويُعظِّمُه ويُكرِّمُه، وكان رَحِمَه اللهُ تعالى، غزيرُ الدُّمَعَةِ، كثيرُ الصَّدَقَاتِ، عاقلاً نَزِهاً عَفِيفاً، تُوفِّيَ يومَ الأحدِ

(١ - ١) في م: «ليبايعه».

(٢) مرآة الزمان ٧٢٠/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٢٨٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٨، والجواهر المضية ٣/٤٣١.

ثامنٌ صَفِيرٌ، ودُفِنَ بمقابرِ الصُّوفِيَّةِ، تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ. تُوفِّيَ وله تسعون سنةً، وأوَّلُ دَرِسِهِ فِي الثُّورِيَّةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، بَعْدَ الشَّرْفِ دَاوُدَ الَّذِي تَوَلَّاهَا بَعْدَ البُرْهَانِ مَسْعُودٍ أَوَّلِ مُدَرِّسِيهَا، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

الأميرُ عِمَادُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ شَيْخِ الشُّيُوخِ صَدْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حَمَّوَيْهِ^(١)، كان سببًا في ولايةِ الجَوَادِ دِمَشقَ، ثم سار إلى مصرَ، فلامه صاحبها العادلُ، فقال: الآن أُرْجِعُ إلى دِمَشقَ، وأمُرُ الجَوَادَ بالمسيرِ إليك، على أن تكونَ له إسْكَندَرِيَّةَ عِوَضَ دِمَشقَ، فإن امتنع عزلته عنها، وكنتُ أنا نائِبَكَ فيها. فنهاه أخوه فخرُ الدِّينِ بِنُ الشُّيُخِ عن تعاطي ذلك، فلم يقبلَ، ورجع إلى دِمَشقَ، فنلقاه الجَوَادُ إلى المِصْلَى، وأنزله عنده بالقلعةِ بدارِ المِسرَّةِ، وخادعه عن نفسه، ثم دسَّ إليه من قتله جَهْرَةً في صورةِ مُسْتَغِيثٍ به، واستحوذ على أمواله وحواصله، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ، ودُفِنَ بقاسيونَ.

الوزيرُ جَمَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ جَرِيرٍ^(٢)، وَرَرَ للأشرفِ، واستوزره الصالح [٣٠٠/١٠] أيوبُ أَيامًا، ثم مات عَقِبَ ذلك، كان أصله من الرِّقَّةِ، وكان له أملاكٌ يَسِيرَةٌ يَعِيشُ منها، ثم آل أمره إلى أن وَرَرَ للأشرفِ بِدِمَشقَ، وقد هجاه بعضهم، وكانت وفاته بالخوانيقِ^(٣) في جُمادى الآخرةِ، ودُفِنَ بمقابرِ الصُّوفِيَّةِ.

(١) مرآة الزمان ٧٢١/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٠٠، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٢/٨.

وجاء اسمه في السير وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية عمر بن محمد بن عمر بن علي بن حمويه.
(٢) في م: «حديد»، وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٢٤/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٨ - وفيه: «حريز» - ونهاية الأرب ٢٩/٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٨.

(٣) في الأصل: «الحواسق»، وفي م: «الجواليق». والمثبت من مرآة الزمان ونهاية الأرب =

جعفر بن علي بن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمداني^(١)، زاوية
السلفي، قدم إلى دمشق ضحبة الناصر داود، وسمع عليه أهلها، وكانت وفاته
بها، ودفن بمقابر الصوفية، رحمه الله تعالى، وله تسعون سنة.

الحافظ الكبير زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
البرزالي الإشبيلي^(٢)، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرز فيه، وأفاد الطلبة،
وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة، ثم سافر إلى حلب، فتوفي بحماة في رابع
عشر رمضان من هذه السنة، وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن
محمد البرزالي، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة،
وقد ذيلت أنا على «تاريخه» بعون الله تعالى وقدرته.

= والخوانيق: جمع الخناق، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق. انظر اللسان (خ ن ق).
(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/٢٩١، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٨٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/٤٩٧، والوافي
بالوفيات ١١/١١٧.
(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/٣١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٥٥،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٧، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٢٣، والوافي
بالوفيات ٥/٢٥٢.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

استهلت هذه السنة^(١) وسلطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل مُحَيِّمٍ عند نابلُس، يستدعى عمه الصالح إسماعيل ليسيير إلى الديار المصرية، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى صحبة الصالح أيوب بنابلُس، فهما يُنفقان الأموال في الأمراء ويُخلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل، فلما تم الأمر، وتمكن الصالح إسماعيل من مراده، أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه ببغلبك، ويسير هو إلى خدمته، فأرسله إليه، ولا يستشعر الصالح أيوب بشيء مما وقع، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطبيب وزير الصالح - وهو الأمين واقف الأمانة ببغلبك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل، وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق، فدخلاها بغتة من باب الفراديس، فنزل الصالح إسماعيل بداره من درب الشغارين، ونزل صاحب حمص بداره، وجاء نجم الدين بن سلام^(٢)، فهتأ الصالح إسماعيل، ورقص بين يديه، وهو يقول: إلى بيتك جئت. وأصباحوا فحاصروا القلعة، وبها المغيث عمر بن الصالح نجم الدين، ونقبوا القلعة من ناحية

(١) مرآة الزمان ٧٢٤/٨ - ٧٣٠ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، ونهاية الأرب ٢٣٨/٢٩ - ٢٧٤، حوادث سنتي ست وثلاثين وسبع وثلاثين وستمائة فقد وصلهما المصنف مقاً، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢ - ٣٩.
(٢) في م: «سلامة».

بابِ الفرجِ، وهتكوا حُرْمَتَهَا ودخلوها وتسَلَّموها، واعتقلوا المُغيثَ في بُوجِ هنالك .

قال أبو شامة^(١) : واخترقت دارُ الحديثِ وما هنالك من الحوانيتِ والدُّورِ حولَ القلعةِ . ولما وصل الخبِرُ بما وقعَ إلى الصالحِ أيوبَ تفرَّقَ عنه أصحابُه والأمرأءُ؛ خوفاً على أهاليهم من الصالحِ إسماعيلَ، وبقي الصالحِ أيوبُ وحده في مماليكِه وجاريتِه أمَّ خَليلِ، وطمع فيه الفلاحون والغوارنة^(٢)، وأرسل الناصرُ داوُدُ صاحبُ الكركِ إليه مَنْ أخذه من نابلَسَ مُهانًا على بَعْلَةٍ، بلا مِهْمَازٍ ولا مِقْرَعَةٍ^(٣)، فاغْتقله عنده سبعةَ أشهرٍ، وأرسل العادلُ من مصرَ إلى الناصرِ يَطْلُبُ منه أخاه الصالحَ أيوبَ، ويُعطيه مائةَ ألفِ دينارٍ، فما أجابه إلى ذلك، بل عكسَ ما طَلَبَ منه بإخراجِ الصالحِ من سجنِه والإفراجِ عنه وإطلاقِه^(٤) مع الجيشِ يَزْكَبُ وَيَنْزِلُ، فعندَ ذلك حارَبَتِ الملوكُ من دمشق ومصرَ وغيرهما الناصرَ داوُدَ، وبرزَ العادلُ من الديارِ المصريةِ إلى بُلبِيسَ قاصداً قِتالَ الناصرِ داوُدَ، فاضطربَ الجيشُ عليه، واختَلَفَ الأمرأءُ، وقَيَّدوا العادلَ، واعتقلوه في خَرَكَاه، وأرسلوا إلى الصالحِ أيوبَ يَسْتَدْعونه إليهم [٣٠/١٠ظ]، فامْتَنَعَ الناصرُ داوُدُ من إرسالِه حتى اشْتَرَطَ عليه أنه يَأْخُذُ له دمشقَ وحمصَ^(٥) وحلبَ وبلادَ الجزيرةِ وديارَ بكرِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٢) الغوارنة: نسبة لأهل الغور. والقور: موضع منخفض بين القدس وحوزان، مسيرة ثلاثة أيام في

عرض فرسخين. انظر تاج العروس (غ و ر).

(٣) المِهْمَاز: حديدة تكون في مؤخر حُفِّ الرائض. والمقْرَعَة: لحام الدابة. انظر اللسان (ه م ز)،

(ق ر ع).

(٤ - ٤) في م: «من الحبس».

(٥) بعده في مصادر التخريج - عدا الذيل على الروضتين فقد ذكره مختصراً - : «وحماة».

ونصف مملكة مصر ونصف ما فى الخزانين من الحواصِل والأموال والجواهر. قال الصالح أيوب: فأجبتُ إلى ذلك مُكرِّهاً، ولا يُقدِرُ على جميع ما اشترط عليّ ملوك الأرض، وسِرنا فأخذته معى خوفاً أن يكونَ هذا الكتابُ من المصريين مكيدةً، ولم يكنْ لى به حاجةٌ. وذكر أنه كان يشكرُ، ويخبِطُ الأمورَ، ويُخالِفُ الآراءَ السَّديدةً. فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم، ودخل الديار المصرية سالماً مؤيِّداً منصوراً مُظفِّراً مخبوراً مسروراً، فأرسل إلى الناصر داودَ عشرين ألفَ دينارٍ، فردَّها عليه ولم يقبلها منه. واشتقرَّ ملكه بمصرَ، وأما الجوادُ فإنه أساء السيرة بسنجارَ، وصادر أهلها وعسفهم، وكاتبوا بدرَ الدين لؤلؤاً صاحبَ الموصلِ، فقصدهم - وقد خرج الجوادُ للصيدِ - فأخذ البلدَ بغيرِ شيءٍ، وصار الجوادُ إلى عانة^(١)، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك.

وفى ربيع الأولِ درَّس القاضى الرَّفيغُ عبدُ العزيز بنُ عبد الواحدِ الجليليُّ بالشامية البرَّانية.

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخِرِ ولى الشيخُ عزُّ الدين عبدُ العزيز بنُ عبد السلامِ بنِ أبى القاسمِ السُّلمى خطابةً جامعِ دمشقَ، وخطبَ الصالحُ إسماعيلُ لصاحبِ الرومِ ببلادِ دمشقَ وغيرها؛ لأنه حالفه على الصالحِ أيوبَ.

قال أبو شامة^(٢): وفى حَزيرانَ أيامَ المِشمِشِ جاءَ مطرٌ عظيمٌ هدمَ كثيراً من الحيطانِ وغيرها، وكنْتُ يومئذٍ بالمِرَّةِ^(٣).

(١) فى م: «عانة». وعانة: بلد بالأردن. انظر معجم البلدان ٣/٥٩٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٠.

(٣) المزة: قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. معجم البلدان ٤/٥٢٢.

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

صاحبُ حمصَ الملكُ المُجاهدُ أسدُ الدينِ شيركوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ ابنِ أسدِ الدينِ شيركوه بنِ شادى^(١) ، ولأه إياها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ إحدى وثمانين وخمسمائةً ، فمكثَ فيها سبعا وخمسين سنةً ، وكان من أحسنِ الملوكِ سيرةً ، طهرَ بلاده من الخمرِ والمكوسِ والمُنكراتِ ، وهى فى غايةِ الأمنِ والعَدلِ ، لا يتجاسرُ أحدٌ من الفِرنجِ ولا العربِ يَدْخُلُ بلاده إلا أهانه غايةَ الإهانةِ ، وكانت ملوكُ بنى أيوبَ يَتَّقونَه ؛ لأنه كان يرى أنه أحقُّ بالأمرِ منهم ؛ لأنَّ جدَّه هو الذى فَتَحَ مصرَ ، وأولُ من ملكَ منهم ، وكانت وفاته رجمه اللهُ بـحمصَ ، وعُجِّلَ عزاءُه بجامعِ دمشقَ ، عفا اللهُ عنه بمئة .

القاضى الخُوَئِيُّ شمسُ الدينِ أحمدُ بنُ خليلِ بنِ سعادةِ بنِ جعفرِ الخُوَئِيِّ^(٢) ، قاضى القضاةِ بدمشقَ يومئذٍ ، وكان عالماً بفنونٍ كثيرةٍ من الأصولِ والفروعِ وغيرِ ذلك ، وكانت وفاته يومَ السبتِ ، بعدَ الظهرِ ، السابعِ من شعبانَ ، وله خمسٌ وخمسون سنةً ، بالمدرسةِ العادليةِ ، وكان حسنَ الأخلاقِ ، جميلَ المعاشرةِ ، وكان يقولُ^(٣) : لا أقدرُ على المناصبِ ، إلى مُستَحَقِّها^(٤) . له

(١) مرآة الزمان ٧٣١/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٤٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٩ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢٧ ، والوفاء بالوفيات ١٧/٢١٦ .

(٢) مرآة الزمان ٧٣٠/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٤٤ ، وبغية الطلب ٢/١٤٨ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٩ ، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٠٦ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٦٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣١٥ ، والوفاء بالوفيات ٦/٣٧٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٦ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٤) بعده فى م : « إيصال » . وجاءت العبارة فى الذيل : لا أقدر على إمساك المناصب .

مُصَنَّفَاتٍ ، منها عَرُوضٌ . قال فيه أبو شامة^(١) :

أحمدُ بنُ الخليلِ أَرَشَدَهُ الدُّهُ لَمَّا أَرَشَدَ الخَلِيلَ بنَ أحمدَ
ذَلكَ مُسْتَخْرِجَ العَرُوضِ وهذا مُظْهِرُ السَّرِّ منه والعَوْدُ أحمدُ

وقد ولي القضاء بعده^(٢) رَفِيعُ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ إسماعيلِ
ابنِ عبدِ الهادي الجليلي مع تَدْرِيسِ العادليَّةِ ، وكان قاضيًا بِيَعْلَبَكُ ، فأخضَرَهُ إلى
دمشقَ الوزيرُ أمينُ الدينِ الذي كان سامريًّا^(٣) فأسْلَمَ ، وَزَرَ للصالحِ إسماعيلَ ،
وأتَّفَقَ هو وهذا القاضي على أَكْلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ . قال أبو شامة^(٤) : ظَهَرَ
منه^(٤) سُوءُ سيرةٍ وَعَسْفٌ وَفِسْقٌ وَجَوْرٌ ومُصادرةٌ في الأموالِ .

قلتُ : وقد ذَكَرَ غيرُهُ عنه أنه ربما حَضَرَ يَوْمَ الجمعةِ في المَشْهَدِ الكَمالِيِّ
بالشُّبَّانِكِ وهو سَكَرَانٌ بالخمرِ ، وَأَن قَنانِيَّ^(٥) الخمرِ كانت تَكُونُ على بِرْكَةِ العادليَّةِ
يَوْمَ السَّبْتِ ، وكان يَعْتمِدُ في التَّرِكَاتِ اعْتِمادًا سيئًا جدًّا ، وقد عامَلَهُ اللهُ تعالى
بِنَقِيضِ [٣١/١٠] مَقْصُودِهِ ، وأَهْلَكَه اللهُ على يَدِي مَنْ كان سَبَبَ سَعادَتِهِ ، كما
سيأتِي بيأَنُهُ قَريبًا إن شاء اللهُ تعالى^(٦) .

(١) الذليل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٢) في م : « بعد » .

(٣) السامري من السامرة ، وهم قوم من اليهود من قبائل بني إسرائيل يخالفونهم - أي اليهود - في بعض أحكامهم ، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام ، وغير ذلك . تاج العروس (س م ر) .

(٤) أي من القاضي رفيع الدين .

(٥) قناني : جمع قنينة ، وهي القارورة . الوسيط (ق ن ن) .

(٦) انظر ما سيأتي في حوادث سنة إحدى وأربعين وستمائة في صفحاتي ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثينٍ وستمائةٍ

فيها^(١) سلم الصالح إسماعيلُ صاحبُ دمشقَ حصنَ شَقِيفِ^(٢) أَرْزُونِ^(٣) لصاحبِ صَيْدَا الفِرَنْجِيِّ ، فاشتدَّ الإنكارُ عليه بسببِ ذلك من الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ خطيبِ البلدِ ، والشيخِ أبي عمرو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيَّةِ ، فاعتقلهما مدةً ، ثم أطلقهما وألزمهما منازلهما ، وولى الخطابةَ وتدريسَ العزاليَّةِ لعمادِ الدينِ داودَ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ المقدسيِّ خطيبِ بيتِ الآبارِ ، ثم خرجَ الشيخانِ من دمشقَ ، فقصدَ أبو عمرو الناصرَ داودَ بالكركِ ، ودخلَ الشيخُ عزُّ الدينِ الديارَ المصريَّةَ ، فتلقاهُ صاحبُها الصالحُ أيوبُ بالاحترامِ والإكرامِ ، وولاهُ خطابةَ القاهرةِ وقضاءَ مصرَ ، واشتغلَ عليه أهلُها ، فكان ممن أخذَ عنه الشيخُ تقيُّ الدينِ بنُ دَقِيقِ العيدِ ، رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى .

وفيها قَدِمَ رسولٌ من ملكِ التَّارِ تولى بنِ جِنِكِرْخانِ إلى ملوكِ الإسلامِ يَدْعُوهم إلى طاعتهِ ويأمرُهم بتخريبِ أسوارِ بلدانِهِم ، وعنوانُ الكتابِ : من نائبِ ربِّ السماءِ ، مسحِ وجهِ الأرضِ ، ملكِ الشرقِ والغربِ خاقان^(٤) . وكان الكتابُ مع رجلٍ مسلمٍ من أهلِ أَصْبَهَانَ ، لطيفِ الأخلاقِ ، فأولُ ما وردَ على

(١) مرآة الزمان ٧٣٢/٨ - ٧٣٥ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص ١٧٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٧٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠ - ٤٣ .

(٢) في م : «سعيف» .

(٣) في م : «أربون» .

(٤) في الأصل : «قازان» ، وفي م : «قان قان» . والمثبت من مرآة الزمان .

شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميثافريقين، وقد أخبره بعجائب في أرضهم غريبة، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناسا أغينهم في مناكبهم، وأفواهم في صدورهم، يأكلون السمك، وإذا رأوا أحدا من الناس هربوا. وذكر أن عندهم بزرا ينبت منه الغنم، يعيش الحروف منها شهرين وثلاثة، ولا يتناسل، ومن ذلك أن بمارندران عينا يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة^(١) مثل المنارة، فتقيم طول النهار، فإذا غربت الشمس غاصت في العين، فلا ترى إلى^(٢) مثل ذلك الوقت، وأن بعض الملوك احتال ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها فغارت، وقطعت تلك السلاسل، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل، وهي إلى^(٣) الآن كذلك.

قال أبو شامة^(٤): وفيها قلت المياه من السماء والأرض، وفسد كثير من الزرع والثمار. والله أعلم.

ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير:

مُحْيِي الدين بن عربي^(٥)، صاحب «القصص» وغيرها، محمد بن علي ابن محمد، ابن عربي، أبو عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي، طاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنّف فيها كتابه المسمّى بـ«الفتوحات المكية» في نحو عشرين

(١) سقط من: الأصل. وفي مرآة الزمان: «غليظة».

(٢) في الأصل: «إلا».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧١.

(٥) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٧٤، والوفى بالوفيات ٤/١٧٣، وغاية النهاية ٢/٢٠٨، والمقفى الكبير ٦/٣٤٨.

مُجَلِّدًا ، فيه ما يُعَقَّلُ وما لا يُعَقَّلُ ، وما يُنْكَرُ وما لا يُنْكَرُ ،^(١) وما يُعْرَفُ وما لا يُعْرَفُ^(٢) ، وله الكتابُ المُسَمَّى «بُفُصُوصِ الْحِكْمِ» فيه أشياء كثيرةٌ ظاهرٌها كَفْرٌ صريحٌ ، وله «العِبَادَاتُ»^(٣) ، وديوانٌ شعريٌّ رائقٌ ، وله مُصَنَّفَاتٌ أُخْرُ كثيرةٌ ، وأقام بدمشقَ مدَّةً طويلةً قَبْلَ وفاته ، وكان بنو الزُّكَيْيِّ لهم عليه اِشْتِمَالٌ ، وبه اِخْتِفَالٌ ، ولجميع ما يَقُولُهُ اِحْتِمَالٌ .

قال أبو شامة^(٤) : وله تصانيفٌ كثيرةٌ ، وكانت^(٥) عليه سهلةٌ ، وله شعْرٌ حسنٌ ، وكلامٌ طويلٌ على طريقِ التَّصَوُّفِ ، وكانت له جِنَازَةٌ حسنةٌ ، ودُفِنَ بمقبرةِ القاضي مُحميِّ الدينِ بنِ الزُّكَيْيِّ بقاسيونَ ، وكانت جِنَازَتُهُ في الثاني والعشرين من ربيعِ الآخِرِ من هذه السَّنَةِ .

وقال السُّبُطُ^(٥) : كان يَقُولُ إنه يَحْفَظُ الاسمَ الأَعْظَمَ ، ويقولُ إنه يَعْرِفُ الكِيمِيَاءَ بطريقِ المُنَازَلَةِ لا بطريقِ الكَسْبِ ، وكان فاضلاً في عِلْمِ التَّصَوُّفِ ، وله تصانيفٌ كثيرةٌ .

القاضي نَجْمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ خلفِ بنِ راجِحِ المقدسيِّ الحنبليِّ الشافعيِّ ، المعروفُ بابنِ الحنبليِّ^(٦) ، كان شيخاً فاضلاً دَيِّناً بارِعاً في عِلْمِ الخِلافِ ، [٣١/١٠ظ] وَيَحْفَظُ «الجمَعَ بينَ الصَّحِيحَيْنِ»

(١ - ١) في الأصل : « ولا يعرف » .

(٢) في الأصل ، م : « العبادات » . والمثبت من الروافى بالوفيات ، وهو الذى ذكر جملة كبيرة من تصانيفه .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٠ .

(٤) زيادة من الذيل على الروضتين .

(٥) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ (القسم الثانى) .

(٦) مرآة الزمان ٧٣٥/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ /

٧٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٦٠ ، والوفيات بالوفيات ٢٥ / ٨ ، وطبقات

الشافعية للإسنوى ٤٤٨ / ١ .

للحميدى، وكان متواضعا، حسن الأخلاق، قد طاف البلدان في طلب العلم، ثم استقر بدمشق، ودرس بالعدراوية^(١) والصارمية والشامية البرانية^(٢) وأمّ الصالح، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفى بها، وهو نائب الرفيع الجليلي، وكانت وفاته يوم الجمعة سادس شوال، ودُفن بقاسيون.

ياقوت بن عبد الله، أمين الدين الرومي^(٣)، منسوب إلى ولاء^(٤) أتابك، قديم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ. قال ابن الساعي: اجتمع به، وهو شاب أديب فاضل، يكتب خطأ حسنا وهو في غاية الجودة، وينظم شعرا جيدا. ثم روى عنه شيئا منه. قال: وتوفى في جمادى الآخرة محبوبا.

(١) في م: «بالفداوية». وانظر الدارس ١/٣٧٣، ٥٤٨.

(٢) في الأصل، م: «الجوانية». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) في م: «الرولى». وانظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ص ٢٣٧، وعده ابن الديبى في جملة من اسمه عبد الرحمن، ووفيات الأعيان ٦/١٢٢، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٥، ووفيات سنة سبع وثلاثين وستمئة.

(٤) في م: «بيت». نسبة الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: الأتابكى الموصلى.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها^(١) قصد الملك الجَوَادُ أن يَدْخُلَ مِصرَ لِيَكُونَ فِي خِدمَةِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فلما وَصَلَ إِلَى الرَّمْلِ تَوَهَّمُ مِنْهُ الصَّالِحُ أَيُوبَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كِمَالُ الدِّينِ بِنَ الشَّيْخِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ الْجَوَادُ ، فَاسْتَجَارَ بِالنَّاصِرِ دَاوُدَ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا ، فَالْتَقَوْا مَعَ ابْنِ الشَّيْخِ ، فَكَسَرُوهُ وَأَسْرَوْهُ ، فَوَبَّخَهُ النَّاصِرُ دَاوُدَ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَأَقَامَ الْجَوَادُ فِي خِدمَةِ النَّاصِرِ حَتَّى تَوَهَّمُ مِنْهُ ، فَقَبَّضَهُ^(٢) وَأَرْسَلَهُ تَحْتَ الحَوْطَةِ إِلَى بَغدَادَ ، فَأَطْلَقَهُ بِطَرْنٍ مِنَ الْعَرَبِ عَن قُوَّةٍ ، فَلَجَأَ إِلَى صَاحِبِ دِمَشقَ مَدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الفَرِنجِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشقَ ، فَحَبَسَهُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بَعْرَتًا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ كَمَا سَيَأْتِي .

وَفِيهَا شَرَعَ الصَّالِحُ أَيُوبُ فِي بِنَاءِ المَدَارِسِ بِمِصرَ ، وَبَنَى قَلْعَةً بِالْجَزِيرَةِ غَرِيمَ عَلَيْهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ بَيْتِ المَالِ ، وَأَخَذَ أَمْلاكَ النَّاسِ ، وَخَرَّبَ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ مَسْجِدًا ، وَقَطَعَ أَلْفَ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ أَخْرَبَهَا التُّرُكُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .

وَفِيهَا رَكِبَ المَلِكُ المَنْصُورُ^(٣) إِبراهيمُ بِنُ المَلِكِ المِجَاهِدِ صَاحِبِ حِمصَ ، وَمَعَهُ

(١) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ ، ٧٣٧ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧١ ، ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٤ - ٤٦ ، ونهاية الأرب ٢٨١/٢٩ - ٢٩٩ ، وكنز الدرر ٣٤٧/٧ .

(٢) في الأصل : « قصده » .

(٣) بعده في م : « بن » .

الحليثون ، فاقْتَنَلُوا مع الخُوَارِزْمِيَّةِ بِأَرْضِ حَرْآنَ ، فَكَسَرُوهُمْ وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ،
وَعَادُوا مَنْصُورِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَاضْطَلَحَ شَهَابُ الدِّينِ غَازِي صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ
مع الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وَأَوَاهَمَ إِلَى بَلَدِهِ لِيَكُونُوا مِنْ جِزْيِهِ .

قال أبو شامة^(١) : وفيها كان دخولُ الشيخِ عِزِّ الدِّينِ إلى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ،
فَأَكْرَمَهُ صَاحِبُهَا ، وَوَلَّاهُ الخَطَابَةَ بِالقَاهِرَةِ وَقَضَاءَ القُضَاةِ بِمِصْرَ ، بَعْدَ وَفَاةِ القَاضِي
شَرِيفِ الدِّينِ المَوْقِعِ^(٢) ، ثُمَّ عَزَلَ نَفْسَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَانْقَطَعَ فِي بَيْتِهِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .
قال^(٣) : وفيها تُؤَفَّى بِالمَوْصِلِ^(٤) الشَّمْسُ بِنِ الخُبَّازِ النُّحُوثِيِّ الضَّرِيرِ فِي سَابِعِ
رَجَبٍ . وَالكَمَالُ بِنِ يُونُسَ الفَقِيهَ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَكَانَا فَاضِلَيْنِ بِلَدَيْهِمَا
فِي فَنَّهُمَا .

قلتُ : أَمَّا الشَّمْسُ بِنِ الخُبَّازِ^(٥) فَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بِنِ الحُسَيْنِ بِنِ أَحْمَدَ
ابنِ مَعَالِي بِنِ مَنْصُورِ بِنِ عَلِيِّ ، الضَّرِيرُ النَّحُوثِيُّ المَوْصِلِيُّ ، المَعْرُوفُ بِابنِ الخُبَّازِ ،
اشْتَعَلَ بِعِلْمِ العَرَبِيَّةِ وَحَفِظَ « المَفْصَلَ » وَ« الإِبْضَاحَ وَالتَّكْمِلَةَ » وَالعَرُوضَ
وَالحِسَابَ ، وَكَانَ يَحْفَظُ « المَجْمَلَ » فِي اللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ شَافِعِي المِذْهَبِ ،
كَثِيرُ النُّوَادِرِ وَالمَلَحِّ ، وَلَهُ أشْعَارٌ جَيِّدَةٌ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي العَاشِرِ مِنْ رَجَبٍ ، وَلَهُ
مِنَ العَمْرِ خَمْسُونَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) في الأصل : « ابن الموقع » ، وفي م : « المرقع » . والمثبت من الذيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٤) سقط من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩ ،

وبغية الوعاة ١/٣٠٤ ، والنجوم الزاهرة ٦/٣٤٢ .

وأما الكمالُ بنُ يونسَ^(١) فهو موسى بنُ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنعَةَ بنِ مالكِ العُقَيْلِيِّ، أبو الفتحِ الموصليُّ، شيخُ الشافعيةِ بها، ومدرّسٌ بعدةِ مدارسٍ فيها، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالأصولِ والفروعِ والمَعقولاتِ والمنطِقِ والحكمةِ، [٣٢/١٠] ورحل إليه الطلبةُ من البُلدانِ، وبلغَ ثمانيةً وثمانينَ عامًا، وله شعرٌ حسنٌ. فَمِنَ ذلك ما امتدَحَ به البدرَ لؤلؤًا صاحبَ الموصليِّ، وهو قوله^(٢):

لئن شَرَفْتَ أرضَ بِمَالِكِ رِقِّهَا^(٣) فَمَمْلَكَةُ الدنِيا بِكُمْ تَتَشَرَّفُ
بَقِيَّتَ بقاءِ الدهرِ أَمْوَكِ نَافِذُ وَسَعِيكَ مَشكُورُ وَحُكْمُكَ مُنِصَفُ^(٤)

كان مولده سنةً إحدى وخمسين وخمسمائةً، وتُوُفِّيَ للنصفِ مِن شعبانِ هذه السنةِ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

قال أبو شامة^(٥): وفيها تُوُفِّيَ بدمشقَ: عبدُ الواحدِ الصُوفِيُّ^(٦) الذي كان قَسًا راهبًا بكنيسةِ مَرْيَمَ سبعينَ سنةً، أُسْلِمَ قَبْلَ موتهِ بأيامٍ، ثم تُوُفِّيَ شيخًا كبيرًا بعدَ أن أقامَ بخانقاهِ السُّمَيْسَاطِيَّةِ أيامًا،^(٧) ودُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُوفِيَّةِ، وكانت له جِنَازَةٌ حافلةٌ، حَضَرَتْ دَفنَهُ والصلاةُ عليه، رَحِمَهُ اللهُ تعالى^(٨).

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، ووفيات الأعيان ٣١١/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٧، وتاريخ ابن الوردي ١٧١/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧٨/٨.
(٢) انظر وفيات الأعيان ٣١٥/٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٨٣/٨.
(٣ - ٣) الأصل، م: «لئن زينت الدنيا بمالك أمرها». ويختل به الوزن. والمثبت من مصدرى التخريج.
(٤) في م: «ينصف»، وبعده في وفيات الأعيان:
«ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما تمكن في أمصار فرعون يوسف»

أما في الطبقات فالبيت قبله.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٥.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

أبو الفضل^(١) أحمدُ بنُ إسفنديارِ بنِ الموقِّ بنِ أبي عليِّ البوسنجيِّ^(٢)
الواعظُ ، شيخُ رباطِ الأرجوانيةِ .

قال ابنُ الساعي : كان جميلَ الصورةِ ، حسنَ الأخلاقِ ، كثيرَ التَّوَدُّدِ
والتَّواضُعِ ، مُتَكَلِّمًا مَفَوِّهًا مُنْطِقِيًّا ، حسنَ العبارةِ ، جيدَ الوعظِ ، طيبَ الإنشادِ ،
عَذَبَ الإيرادِ ، له نَظْمٌ حسنٌ . ثم ساق عنه قصيدةً يمدِّحُ بها الخليفةَ المُستنصرَ .

أبو بكرٍ محمدُ بنُ يحيى بنِ المُظفَّرِ بنِ عليِّ بنِ نُعيمِ ، المعروفُ بابنِ الحُبَيْرِ
السَّلامِيِّ^(٣) ، شيخُ صالحِ عالمِ فاضلٌ ، كان حَنَبَلِيًّا ، ثم صار شافعيًّا ، ودرَّس
بعدهِ مدارسَ بيغدادَ للشافعيةِ ، وكان أحدَ المُعدِّلينَ بها ، تولى مُباشراتِ كثيرةً ،
وكان فقيهاً أصوليًّا عالمًا بالخلافِ ، وتقدَّم ببلدهِ وعظُم كثيرًا ، ثم استنابه ابنُ
فَضْلانَ بدارِ الحَرَمِ ، ثم صار من أمره أن درَّس بالنِّظاميةِ ، وحُجِّع عليه بيغلةً ،
وحضَّر عنده الأعيانُ ، وما زال بها حتى تُوفِّي عن ثمانين سنةً ، ودُفِنَ ببابِ
حربِ .

قاضي القضاةِ بيغدادَ أبو المعالي عبدُ الرحمنِ بنُ مُقبِلِ بنِ عليِّ الواسطيِّ
الشافعيِّ^(٤) ، اشتغل بيغدادَ ، وحصل وأعاد في بعضِ المدارسِ ، ثم استنابه قاضي
القضاةِ عمادُ الدينِ أبو صالحِ نصرُ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ عبدِ القادرِ ، في أيامِ الخليفةِ

(١) كذا في النسختين ، وفي مصادر الترجمة : « العباس » ، وانظر ترجمته في تاريخ إربل ١/٣٣٨ .
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩ ، والوفى بالوفيات ٦/٢٤٨ .

(٢) في النسختين : « البوسنجي » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) المختصر المحتاج إليه ص ٩٢ ، ٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٨/٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٢ ،
والوفى بالوفيات ١٨/٢٨٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٨٧/٨ ، وطبقات الشافعية للإسنوي
٥٥٣/٢ .

الظاهر بن الناصر، ثم ولي قضاء القضاة مُستَقِلاً، ثم ولي تدريس المُستَنصِرية بعد موت أول من درّس بها مُحَيّ الدين محمد بن فضلان، ثم عُزِل عن ذلك كلّه، «وعُيِّن لمُشِيخة^(١) بعض الرُّبُط، ثم كانت وفاته في هذا العام، وكان فاضلاً ذِيئنا مُتواضِعاً، رَحِمه اللهُ تعالى وعفا عنه.

(١ - ١) في م: «وعن مشيخة». وانظر مصادر ترجمته.

ثم دخلت سنة أربعين وثمانية

فيها ^(١) تُوفِّي المُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ وَخِلافةُ وَلِدِهِ المُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ، فَكَانَتْ وَفاةُ الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أميرِ المؤمنين بُكرةً يومِ الجمعةِ عاشرَ جُمادى الآخرةِ، وله من العُمُرِ إحدى وخمسون سنةً، وأربعةً أشهرٍ وسبعةً أيامٍ، وكُتِمَ موتهُ حتى كان الدعاءُ له على المنابرِ ذلكَ اليومِ، وكانت مدَّةُ ولايتهِ ستَّ عشرةً سنةً وعشرةً أشهرٍ وسبعةً وعشرين يومًا، ودُفِنَ بدارِ الخِلافةِ، ثم نُقِلَ إلى الترابِ مِنَ الرُّصافةِ . وكان جميلَ الصورةِ، حسنَ السَّريرةِ ^(٢)، جيدَ السَّيرةِ، كثيرَ الصَّدقاتِ والبرِّ والصَّلاتِ، مُحسِنًا إلى الرعيةِ بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه، كان جدُّه الناصرُ قد جمعَ ما يَتَحَصَّلُ مِنَ الذهبِ في بركةِ بدارِ الخِلافةِ، فكان يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أترى أَعِيشُ حتى أملاًها . وكان المُسْتَنْصِرُ يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أترى أَعِيشُ حتى أنْفَقَها كلَّها . كان يَبْنِي الرُّبُطَ والخاناتِ والقناطرَ في الطُّرقاتِ مِنْ سائرِ الجهاتِ، وقد عَمِلَ بكلِّ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحالِّ بَغدادَ دارَ ضيافةٍ للفقراءِ، لا سِِّما في شهرِ رمضانَ، وكان يَتَقَصَّدُ الجوارى اللاتي قد بَلَغْنَ الأربعينَ، فيشْتَرِيْنَ لَهُ فيُعْتِقُنَهُنَّ ويُجَهِّزُهُنَّ ويُرَوِّجُهُنَّ، وفي كلِّ وقتٍ يُبْرِزُ صَلاتِهِ أَلوفَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الذهبِ، تُفَرَّقُ [٣٢/١٠] في المَحالِّ ببغدادَ على ذَوِي الحاجاتِ والأراملِ والأيتامِ

(١) مرآة الزمان ٧٣٩/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٥٢.
(٢) بعده في الأصل: «جميل».

وغيرهم ، تقبّل الله تعالى منه وجزاه خيراً ، وقد وضع بيغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث^(١) ومارشانا^(٢) وحماما ودار طب ، وجعل لمُستحقّيها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفواكه ما يحتاجون إليه في أوقاته ، وأوقف عليها أوقافا عظيمة حتى قيل : إن ثمن الثّبن من غلات ربيعها يكفي المدرسة وأهلها . ووقف فيها كُتبا نفيسة ليس لها في الدنيا نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالا لبغداد ، بل لسائر البلاد .

وقد احترق في^(٣) هذه السنة المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى عليّ الهادي والحسن العسكري ، وقد كان بناه أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك التواحي ، في حدود سنة خمسين^(٤) وأربعمائة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له ، وصنّفوا فيه أخبارا ، وأنشدوا أشعارا كثيرة لا معنى لها ، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لا حقيقة له ، لا عين ولا أثر ، ولو لم يُبّن لكان أجود^(٥) ، وهو الحسن بن عليّ^(٦) بن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق^(٧) بن محمد بن الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بكر بلاء ، ابن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ، وقبح من يغلو فيهم ويغض بسببهم من هو أفضل منهم .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده في م : « أول » .

(٣) في الأصل : « خمس » .

(٤) في م : « أجدر » .

(٥) بعده في الأصل : « الهادي » .

(٦) بعده في الأصل : « بن علي » . وانظر أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٠١ .

(٧) بعده في الأصل : « بن » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٠١ .

وكان المُسْتَنْصِرُ، رَحِمَهُ اللهُ، كَرِيماً حَلِيمًا رَئِيسًا مُتَوَكِّدًا إِلَى النَّاسِ، وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، عَلَيْهِ نَوْرُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. وَحُكِيَ أَنَّهُ اجْتَازَ رَاكِبًا فِي بَعْضِ أَرْقَةِ بَغْدَادَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مِنْ رَمَضَانَ، فَرَأَى شَيْخًا كَبِيرًا، وَمَعَهُ إِنَاءٌ فِيهِ طَعَامٌ، قَدْ حَمَلَهُ مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى مَحَلَّةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، لِمَ لَا أَخَذْتَ الطَّعَامَ مِنْ مَحَلَّتِكَ؟ أَوْ أَنْتَ مُحْتَاجٌ فَتَأْخُذُ مِنَ الْمَحَلَّتَيْنِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا سِيدِي - وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ - وَلَكِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ نَزَلَ بِي الْوَقْتُ، وَأَنَا أَسْتَجِي مِنْ أَهْلِ مَحَلَّتِي أَنْ أَزَاجِمَهُمْ وَقَتَ الطَّعَامِ^(١)، وَأَتَحَيَّنُ وَقْتَ كَوْنِ النَّاسِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرَبِ، فَأَدْخُلُ بِالطَّعَامِ إِلَى مَنْزَلِي حَيْثُ لَا يَرَانِي أَحَدٌ. فَبَكَى الْخَلِيفَةُ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ، فَلَمَّا دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَرِحَ الشَّيْخُ فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ انْشَقَّ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ مَاتَ فَحُمِلَتْ الْأَلْفُ دِينَارٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُفْ وَارثًا. وَقَدْ أَنْفَقَ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا، فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: شَيْءٌ قَدْ خَرَجْنَا عَنْهُ لِلَّهِ لَا يَعُودُ إِلَيْنَا، تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ مَحَلَّتِهِ.

وَقَدْ خَلَفَ مِنَ الْأَوْلَادِ ثَلَاثَةٌ؛ اثْنَانِ شَقِيقَانِ، وَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَعَصِمُ بِاللَّهِ الَّذِي وُلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ أَبُو^(٢) أَحْمَدَ عَبْدَ اللهِ، وَالْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَأَخْتُهُمَا مِنْ أُمِّ أُخْرَى كَرِيمَةٍ، صَانَ اللهُ حِجَابَهَا. وَقَدْ رثَاهُ النَّاسُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ، أَوْزَدَ مِنْهَا ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً صَالِحَةً، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

(١) بَعْدَهُ فِي م: «فِي شِمْتِ بِي مِنْ كَانَ يَبْغِضُنِي فَمَا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَحَلَّتِي فَأَخِذْ الطَّعَامَ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَأَبُو». وَهُوَ خَطَأٌ فَأَبُو أَحْمَدَ عَبْدَ اللهِ هُوَ الْمُسْتَعَصِمُ بِاللَّهِ.

ولم يَشْتَوِزْ أَحَدًا ، بل أَقْرَأَ^(١) الحَسَنَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ^(٢) الْقُمِّيَّ عَلَى نِيَابَةِ
الْوِزَارَةِ ، ثم كَانَ بَعْدَهُ نَصِيرٌ^(٣) الدِّينِ أَبُو الْأَزْهَرِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ^(٤) النَّاقِدِ
الَّذِي كَانَ أَسْتَاذَ دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

خِلَافَةُ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٥)

وهو آخرُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ ، وهو الخليفةُ الشَّهِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ التُّتَارُ
[٣٣/١٠] بِأَمْرِ هُلَاوُو بْنِ تَوَلَّى مَلِكِ التُّتَارِ بْنِ جِنْكِرْخَانَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، فِي سَنَةِ سِتِّ
وخمسين وسُمَّائَةٍ ، كما سيأتى بيانه ، إن شاء الله تعالى ، وهو أميرُ المؤمنينِ
الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ الْإِمَامُ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرِ بِاللَّهِ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ
اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضِيءِ^(٦) بِأَمْرِ اللَّهِ^(٦) أَبِي مُحَمَّدِ الْحَسَنِ
ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِدِّ بِاللَّهِ أَبِي الْمُظَفَّرِ يَوْسُفَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللَّهِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَبَقِيَّةُ نَسَبِهِ إِلَى الْعَبَّاسِ فِي

(١) بعده في الأصل : « محمد » . وانظر الوافي بالوفيات ١/١٤٧ .

(٢) بعده في الأصل : « بن » . وانظر المصدر السابق ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٦ .

(٣) في م : « نصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٠٨ .

(٤) سقط من : م . وانظر المصدر السابق .

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/٢٥٣ - ٢٥٧ ، ونهاية الأرب ٢٣/٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٦) في الأصل ، م : « بالله » . والمثبت من المصدرين السابقين ، ومما تقدم في صفحة ١٣٣ .

ترجمة جدّه الناصر^(١)، وهؤلاء الذين ذكّرناهم كلّهم وليّ الخلافة، يتلّو بعضهم بعضًا، ولم يتفق هذا لأحد قبل المشتعصم؛ أن في نسبه ثمانية ولّوا الخلافة نسقًا لم يتخلّلهم أحد، وهو التاسع، رحمه الله تعالى.

لما تُوفّي أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستّ مائة استُدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبُيع بالخلافة، ولُقّب بالمستعصم، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهرو، وقد أتقن في شبابه تلاوة القرآن حفظًا وتجويدًا، وأتقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبي المظفر عليّ بن محمد بن النيار^(٢) أحد أئمة الشافعية في زمانه، وقد أكرمه، وأحسن إليه في خلافته، وكان المستعصم، على ما ذكر، كثير التلاوة، حسن الأداء، طيب الصوت، يظهر عليه خشوع وإناهة، وقد نظر في شيء من التفسير وحلّ المشكلات، وكان مشهورًا بالخير، مشكورًا، مُقتدًا بأبيه المستنصر جُهدَه وطاقته، وقد مشّت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة، ولله الحمد والمنّة.

وكان القائم بهذه البيعة المشتعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصر، فبايعه أولًا بنو عمّه وأهلُه من بنى العباس، ثم أغنيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولى الحلّ والعقد والعامّة وغيرهم، وكان يومًا مشهودًا، ومجمعا محمودًا، ورأيًا سعيدًا، وأمرا حميدًا، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار، والبلدان والأمصار، وحُطِب

(١) انظر ما تقدم صفحة ١٣٣، ١٣٤.

(٢) في الأصل: «النيار». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧٤/٢٣، ٣٢٣.

له في سائر البلدان، والأقاليم والرساتيق، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً، بُعداً وقرباً، كما كان أبوه وأجداده من بنى العباس، رحمهم الله أجمعين.

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة أنه كان بالعراق وباءً شديدًا في آخر أيام المُستنصر، وغلا السكر والأذوية، فتصدق الخليفة المُستنصر بالله، رحمه الله تعالى، بسكرٍ كثيرٍ على المَرْضَى، تقبَّل الله منه.

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المُستعصم بالله لأبي الفرج عبد الرحمن بن مُحَيَّب الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي - وكان شابًا ظريفًا فاضلاً - في الوَعْظِ ببابِ البدرية، فتكلم وأجاد وأفاد، وامتدح الخليفة المُستعصم بقصيدة مُفيدة^(١) طويلة جليَّة^(١) فصيحة مليحة^(١)، سردها ابن الساعي بكمالها، ومن يُشابهه أباه فما ظلم، والشُّبْلُ في الخَبْرِ^(٢) مثلُ الأسد.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الحلبيين^(٣) وبين الخوارزمية^(٣)، ومع الخوارزمية شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين، فكسرهم الحلبيون كسرة عظيمة مُنكرة، وغنموا [٣٣/١٠ ظ] من أموالهم شيئًا كثيرًا جدًا، ونهبت نصيبين مرة أخرى، وهذه سابع عشر مرة نهبت في هذه السنين، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وعاد غازي إلى ميفارقين، وتفرقت الخوارزمية يعيثون في الأرض فسادًا ضحبة مُقدِّمهم بركات خان، لا بارك الله فيه، وقدم على شهاب الدين غازي منشورًا بمدينة خِلاط فتسلَّمها وما فيها من الحواصل.

(١) سقط من: م.

(٢) في الأصل: «الخبر».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

وفيها عزم الصالح أيوب صاحب مصر على دخول الشام، فقبل له: إن
العساكر مختلفة، فجهز عسكراً إليها، وأقام هو بمصر يدبّر مملكته.

ومن توفى فيها من الأعيان:

المستنصر بالله أمير المؤمنين كما تقدّم.

والحزمة المصونة الجليلة بركات^(١) خاتون بنت عز الدين مسعود بن مؤدود
ابن زكي بن آقسنقر الأتابكية، واقفة المدرسة الأتابكية بالصالحية، وكانت
زوجة السلطان الملك الأشرف، رحمه الله، وفي ليلة وفاتها كانت وقفت
مدرستها وتربّيها بالجبل. قاله أبو شامة^(٢)، ودُفنت بها، رحمه الله تعالى وتقبّل
منها.

(١) سقط من: م. وانظر ترجمتها في: الذيل على الروضتين ص ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٣٢، والوفى بالوفيات ١٠/٣٨٠، وفيهما: «توكان». ولعله الصواب.
انظر العبر ٥/١٦٤، والدارس ١/١٢٩، وأعلام النساء ١/١٧١.
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة

فيها^(١) ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على أن يرُدَّ إليه ولده المغيَّب عمر بن الصالح أيوب المُتَقَلِّ في قلعة دمشق، وتشتقِرَ دمشق في يد الصالح إسماعيل، فوقع الصلح على ذلك، وخطب للصالح أيوب بدمشق، فخاف الوزير أمين الدولة أبو الحسن غزَّال المسلماني، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر، فقال لمخدومه: لا تردُّ هذا الغلام إلى أبيه تخرُج البلاد من يدك، هذا خاتم سليمان في يدك للبلاد. فعند ذلك أبطل ما كان وقع من الصلح، وردَّ الغلام إلى القلعة، وقُطِعَت الخطبة للصالح أيوب، ووقعت الوحشة بين الملكين، وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستخضِرهم لحصار دمشق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت الخوارزمية قد فتحوا في هذه السنة بلاد الروم، وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين، وكان قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع، ويسلِّطها على الناس، فاتفق أنه عضه سبُع فمات، فتغلبوا على البلاد حينئذ.

وفيها احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجليلي، وضرب بعضهم بالمقارع، وضوِّدوا، ورسم على القاضي الرفيع بالمدرسة المُقدِّمية داخل باب الفرديس، ثم أُخْرِج ليلاً وذهب به، فسجن بمغارة أفقه من نواحي البقاع، ثم انقطع خبره.

(١) مرآة الزمان ٧٤١/٨ - ٧٤٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٣، ١٧٤، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٧١، ١٧٢، ونهاية الأرب ٣٠٢/٢٩ - ٣٠٤.

وقال أبو شامة^(١): وذكروا أنه تُوفِّي لا^(٢) رحمه الله تعالى ، ومنهم من قال : إنه أُلقي من شاهق . ومنهم من قال : خُنق . وذلك كله بذي الحِجَّة من هذه السنة .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ منشور ولاية القضاء بدمشق لمحبي الدين يحيى^(٣) بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشُّبَّاك الكمالي بالجامع . كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٤) .

وزعم السُّبُّط^(٥) أن عزله إنما كان في السنة الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه أورد إلى خزانته من الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، وردَّ عليه الجواب أنه لم يرِد سوى ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول : فأنا أحاقق الوزير . [١٠٠/٣٤٤] وكان الصالح لا يُخالِفُ الوزير ، فأشار حينئذ على الصالح بعزله لتبراً ساحة السلطان من شناعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان . وفوض أمر مدارسه إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، فعين العادلية للكمال التُّفَيْسِي ، والعُدراوية لمحبي الدين ابن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمينية لابن عبد الكافي ، والشامية البرانية للثقي الحموي ، وتعيب القاضي الرفيع ، وأسقط عدالة شهوده .

قال السُّبُّط^(٦) : أرسله الأمين مع جماعة على بغلٍ يكافٍ لبعض النصارى

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) زيادة من : الأصل . وفي الذيل على الروضتين : « محبي الدين محمد بن علي » . وهو خطأ ؛ فمحيي الدين محمد بن علي هو والد محبي الدين يحيى بن محمد ، وقاضي القضاة في أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين . انظر الذيل على الروضتين ص ٣١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٥) مرآة الزمان ٨/٧٤٤ ، ٧٤٥ (القسم الثاني) .

(٦) مرآة الزمان ٨/٧٥٠ (القسم الثاني) .

إلى مَغَارَةِ أَفْقِهِ فِي جَبَلِ بُنْيَانَ مِنْ نَاحِيَةِ السَّاحِلِ ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَدْلَيْنِ مِنْ بَعْلَبَكَّ لِيَشْهَدَا عَلَيْهِ بِبَيْعِ أَمْلَاكِهِ مِنْ أَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَذَكَرَا أَنَّهُمَا شَاهِدَاهُ ، وَعَلَيْهِ تَخْفِيفٌ^(١) وَقَنْدُورَةٌ^(٢) ، وَأَنَّهُ اسْتَطْعَمَهُمَا شَيْئًا مِنَ الزَّادِ ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا ، وَأَطْعَمَاهُ مِنْ زَوَادِيهِمَا ، وَشَهِدَا عَلَيْهِ وَأَنْصَرَفَا ، ثُمَّ جَاءَ دَاوُدُ النَّصْرَانِيُّ فَقَالَ : قُمْ ، فَقَدْ أَمْرُنَا بِحَمَلِكَ إِلَى بَعْلَبَكَّ . فَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ حَيْثُذِ ، فَقَالَ : دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . فَقَالَ : قُمْ . فَقَامَ فَصَلَّى ، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ ، فَرَفَسَهُ النَّصْرَانِيُّ ، فَأَلْقَاهُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي الَّذِي هُنَاكَ ، فَمَا وَصَلَ حَتَّى تَقَطَّعَ ، وَحَكِي أَنَّهُ تَعَلَّقَ ذَيْلُهُ بِسِنِّ الْجَبَلِ ، فَمَا زَالَ دَاوُدُ يَزِمِيهِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَلْقَاهُ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي ، وَذَلِكَ عِنْدَ الشَّقِيفِ^(٣) الْمُطَّلِّ عَلَى نَهْرِ إِبْرَاهِيمَ .

قَالَ السُّبُطُ^(٤) : وَقَدْ كَانَ فَاسِدَ الْعَقِيدَةِ ، ذَهْرِيًّا مُسْتَهْزِئًا بِأُمُورِ الشَّرْعِ ، يَخْرُجُ إِلَى الْمَجْلِسِ سَكْرَانًا ، وَيَخْضُرُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ دَارُهُ كَالْخَانَاتِ . فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . قَالَ^(٥) : وَأَخَذَ الْمُؤَفَّقُ الْوَاسِطِيُّ أَحَدَ أَمْنَائِهِ - وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْبَلَايَا - أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ سِتْمَائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَعُوقِبَ عُقُوبَةً عَظِيمَةً حَتَّى أُخِذَتْ مِنْهُ ، وَقَدْ كُسِرَتْ سَاقَاهُ ، وَمَاتَ تَحْتَ الضَّرْبِ ، فَالْقِيَّ فِي مَقَابِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَأَكَلَتْهُ الْكَلَابُ .

وَمَنْ تُؤَفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْفُتُوحِ^(٦) عَمْرُ بْنُ^(٦) أَسْعَدَ بْنِ الْمُتَجَمِّي التَّنُوخِيُّ

(١) التخفيفة : العمامة . انظر الملابس المملوكية ص ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٥٤ .

(٢) القندورة : من ملابس النساء . تاج العروس (قندر) .

(٣) في الأصل ، م : « سقيف » . والمثبت من مرآة الزمان . وانظر معجم البلدان ٣/٣٠٩ .

(٤) مرآة الزمان ٧٥٠/٨ (القسم الثاني) .

(٥) المصدر السابق ٧٥٠/٨ ، ٧٥١ .

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء =

المَعْرِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، قاضي حَرَآنَ قَدِيمًا ، ثم قَدِيمَ دَمَشَقَ ، ودرَّسَ بِالمِشْمارِيَّةِ ، وتَوَلَّى خِدْمًا فِي الدَّوْلَةِ المَعْظُمِيَّةِ ، وَكَانَتْ لَهُ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ صَابِرٍ وَالْقَاضِيَيْنِ ؛ الشَّهْرَزُورِيِّ وَابْنِ أَبِي عَصْرُونَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَابِعِ عَشَرَ^(١) ربيعِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ،^(٢) وَتَوَفَّى أَخُوهُ العِزُّ بَعْدَهُ فِي ذِي الحِجَّةِ ، وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ الَّتِي بِالْحَبَلِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .^(٣)

الشَّيْخُ الحَافِظُ الصَّالِحُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الأَزْهَرِ الصَّرْفِينِيُّ^(٤) ، كَانَ يَدْرِي الحَدِيثَ ، وَلَهُ بِهِ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ ، أَتَتْهُ عَلَيْهِ أَبُو شَامَةَ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دَمَشَقَ ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ ، رَحِمَهُ اللهُ .

وَاقِفُ الكَرَوَاسِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ كَرَوَسَ ، جَمَالُ الدِّينِ مُخْتَسِبٌ دَمَشَقَ^(٥) ، كَانَ كَيْسًا مُتَوَاضِعًا ، تُوفِّيَ بِدَمَشَقَ فِي شَوَّالٍ ، وَدُفِنَ بِدَارِهِ الَّتِي جَعَلَهَا مَدْرَسَةً ، وَلَهُ دَارٌ حَدِيثٌ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ .

المَلِكُ الجَوَادُ يُونُسُ بْنُ مَمْدُودِ بْنِ العَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، المَلِكُ الجَوَادُ^(٦) ، وَكَانَ أبُوهُ أَكْبَرُ أَوْلَادِ العَادِلِ ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الأَحْوَالُ ، وَمَلَكَ دَمَشَقَ بَعْدَ عَمِّهِ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ العَادِلِ ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ جَيِّدًا مُجَبًِّا لِلصَّالِحِينَ ، وَلَكِنْ

= ٨٠ / ٢٣ ، والعبر ١٧٠ / ٥ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٢٥ .

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، والذيل على طبقات الحنابلة .
(٢ - ٢) سقط من : م . وهو عثمان بن أسعد عز الدين أبو عمر . انظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٨٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٢٢٦ ، والدارس ٢ / ١١٧ .
(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٨٩ ، والوافي بالوفيات ٦ / ١٤١ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٢٢٧ .

(٤) مرآة الزمان ٨ / ٧٤٣ (القسم الثاني) ، والوافي بالوفيات ٤ / ٩٨ .

(٥) مرآة الزمان ٨ / ٧٤٣ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٨٤ ، والعبر ٥ / ١٧١ ، وفوات الوفيات ٤ / ٣٩٦ ، ومرآة الجنان ٤ / ١٠٤ .

كان في بابه من يظلم الناس، وينسب ذلك إليه، فأبغضته العامة، وسبوه، وأجتمهوا إلى أن قايض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفاً^(١)، ثم لم يحفظهما بل خرّجتا عن يده، ثم [٣٤/١٠] آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بحصن عزّتا، حتى كانت وفاته في هذه السنة، رحمه الله تعالى، فنقل في سؤال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون، وكان عنده ابن يعمور مُعْتَقَلًا، فحوّله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق، فلما ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية، وشفقه مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل، على قلعة القاهرة، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب، رحمه الله تعالى؛ أما ابن يعمور فإنه عميل عليه حتى حوّل عنه مُلْك دمشق إلى الصالح إسماعيل، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إليه، فانتقم منهما بهذا، وهو مَعذُورٌ في ذلك.

مسعود بن أحمد بن مسعود بن مازة البخاري^(٢)، أحد الفقهاء الحنفيّة الفضلاء، وله علمٌ بالتفسير وعلم الحديث، ولديه فضلٌ غزيرٌ، قديم بغداد صُحْبَةً رسول التّار للحجّ، فحُجِس^(٣) عنده سنتين^(٤)، ثم أُفْرِج عنه، فحجّ^(٤) ثم عاد، فمات ببغداد في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البَطْرِيْقِ بن نصر بن حمدون بن ثابت الأَسَدِيُّ الحِلِّيُّ، ثم الواسطي، ثم

(١) في المصادر: «عانة».

(٢) في م: «المحاري». ورد ذكره في الجواهر المضية ٣/٢٨٥.

(٣ - ٣) في م: «مدة سنين».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل. لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

البغدادى، الكاتب الشاعر الشيعى، فقيه الشيعة، أقام بدمشق مدة، وامتدح
كثيراً من الأمراء والملوك، منهم الكامل صاحب مصر وغيره، ثم عاد إلى بغداد،
فكان يشغل الشيعة في مذهبهم، وكان فاضلاً ذكياً، جيد النظم والنثر، ولكنه
مخذول محجوب عن الحق. وقد أورد ابن الساعى قطعة جيدة من أشعاره^(١) فى
الكامل وغيره^(١).

(١ - ١) فى م: «الدالة على غزارة مادته فى العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه».

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها^(١) استنوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد ابن علي بن محمد بن^(٢) العلقمي؛ المشعوم على نفسه وعلى أهل بغداد، والذي لم يعصم المستعصم في وزارته؛ فإنه لم يكن وزير صدق ولا مروضي الطريقة، فإنه الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء^(٣) وجنوده، قبحه الله وإياهم، وقد كان ابن العلقمي قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة، فلما مات نصر الدين محمد بن الناقد استنوزر ابن العلقمي، وجعل مكانه في الأستاذ دارية الشيخ محيي الدين يوسف بن أبي الفرج بن الجوزي، وكان من خيار الناس، رحمه الله تعالى، وهو واقف الجوزية التي بالنشأين بدمشق، تقبل الله منه.

وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد، وخلع عليه، ووكل الخليفة عبد الوهاب بن المطهر وكالة مطلقاً، وخلع عليه.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر قد استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسين صاحب

(١) مرآة الزمان ٧٤٤/٨ - ٧٥٢ (القسم الثاني)، والدليل على الروضتين ص ١٧٤، ونهاية الأرب ٣٠٥/٢٩ - ٣٠٩.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «هولاءكو».

دمشق، فنزلوا على غزّة، وأرسل إليهم الصالح أيوب الأموال والخيل والأقمشة والعساكر، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك، والمنصور صاحب حمص مع الفرينج، واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكّرة فظيعة، هزمت الفرينج بضلّبانها وراياتها العالية على رؤوس أطلاب المسلمين، وكانت كئوس الخمر دائرة بين الجيوش، فنابت كئوس المنون عن تلك الخمر، فقتل من الفرينج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألفاً، وأسروا [١٠/٣٥٥] جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم، وخلقا من أمراء المسلمين، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر، وكان يومئذ يوماً مشهوداً وأمراً محموداً، وقد قال بعض أمراء المسلمين: قد علمت أننا لما وقفنا تحت ضلّبان الفرينج أنا لا نُفْلِح. وغنمت الخوارزمية من الفرينج وممن كان معهم شيئاً كثيراً، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها، فحاصنها الصالح إسماعيل، وحرب من حولها رباعاً كثيرة، وكسر جسر باب ثوما، فكسر النهر، فراجع الماء حتى صار بُحيرة من باب ثوما وباب السلامة، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران، واقتّر كثير من الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومَن توفى فيها من الأعيان:

الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب^(١)، كان الصالح إسماعيل قد أسره، وسجنه في بُرج قلعة دمشق، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب، فاجتهد أبوه بكلّ ممكن في خلاصه فلم يقدر، وعارضه فيه أمين الدولة غزالّ المسلماني، واقف المدرسة الأمينية ببغلبك، فلم يزل الشابّ محبوساً بالقلعة

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/١٧٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٧٥، والسلوك ١/٣١٨، والنجوم الزاهرة ٦/٣٥١.

من سنة ثمانٍ وثلاثين إلى ليلة الجمعةِ ثانی عشرَ ربيعِ الآخِرِ من هذه السنةِ ، فأصبحَ ميِّتًا في مَحْبِسِهِ غَمًّا وحُزْنًا ، ويقالُ : إنه قُتِل . فاللَّهُ أعلمُ . وكان من خيارِ أبناءِ الملوكِ ، وأحسنِهِم شكلاً ، وأكملِهِم عقلاً . ودُفِنَ عندَ جدِّه الكاملِ في تربتهِ شماليِّ الجامعِ ، فاشتدَّ حَنَقُ أبيه الصالحِ أيوبَ على صاحبِ دمشق .

شيخُ الشيوخِ بدمشقَ ، تاجُ الدينِ أبو محمدٍ^(١) عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عليٍّ^(٢) ابنِ محمدِ بنِ حَمُوَيْهِ ، أحدُ الفضلاءِ المؤرِّخينِ المصنِّفينِ ، له كتابٌ في ثمانِي مجلدياتٍ ، ذَكَرَ فيه أصولَ الأشياءِ ، وله «السياسةُ الملوكيةُ» صنَّفها للكاملِ محمدٍ ، وغيرُ ذلك ، وسمعَ الحديثَ وحفظَ القرآنَ ، وكان قد بلغَ الثمانينَ ،^(٣) وقيل : إنه لم يَبْلُغْها ، وقد سافرَ إلى بلادِ المغربِ في سنةِ ثلاثٍ وتسعينَ ، واتَّصلَ^(٤) بمبرَّاكشَ عندَ ملكِها المنصورِ يعقوبَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ ، فأقامَ هناكَ إلى سنةِ ستمائةٍ ، فقدمَ إلى بلادِ مصرَ ، وولى مَشِيخَةَ الشيوخِ بعدَ أخيه صدرِ الدينِ بنِ حَمُوَيْهِ ، رحمه اللهُ تعالى .

الوزيرُ نصيرُ^(٥) الدينِ أبو الأزهرِ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ أحمدَ بنِ

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧٤٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٤ ، وتكملة إكمال الإكمال ص ٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ٩٦/٢٣ ، ومرآة الجنان ١٠٥/٤ ، والنجوم الزاهرة ٦/٣٥٠ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في م : « نصر » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧٤٧/٨ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٠٨ ، والوفاء بالوفيات ٦٤/٨ ، والنجوم الزاهرة ٦/٣٥٠ . وفي مرآة الزمان والنجوم الزاهرة : « شهاب الدين » .

(٥) سقط من : م .

الناقد البغدادي، وزير المستنصر، ثم ابنه المستعصم، كان من أبناء التجار، ثم توصل إلى أن وزر لهذين الخليفتين، وكان فاضلاً بارعاً حافظاً للقرآن، كثير التلاوة، نشأ في حُشمة باذخة، ثم كان في وجاهة هائلة، وقد أُقيد في آخر أمره، وهو في ذلك في غاية الاحترام والإكرام، وله أشعارٌ حسنة كثيرة، أورد منها ابن الساعي قطعةً صالحةً، تُؤفى في هذه السنة وقد جاوز الخمسين.

نقيبُ النقباءِ وخطيبُ الخطباءِ ووكيلُ الخلفاءِ، أبو طالبِ الحسينِ بنِ أحمدَ ابنِ عليِّ بنِ أحمدَ^(١) بنِ هبةِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الخليفةِ المهتدي باللهِ العباسيِّ، كان من ساداتِ العباسيين وأئمةِ المسلمين، وخطباءِ المؤمنين، واستمرت أحواله على الشدادِ والصَّلاحِ، ولم ينقطع قطُّ عن الخطابةِ، ولم يَمْرُض قطُّ حتى كانت ليلةُ السبتِ الثاني^(٢) والعشرين^(٣) من رجبٍ^(٣) من هذه السنة؛ قام في أثناءِ الليلِ لبعضِ حاجاته، فسقط على أمِّ رأسه، فسقط من فيه دمٌ كثيرٌ، وسكت فلم ينطق كلمةً واحدةً يومه ذلك إلى الليلِ، فمات رحمه الله تعالى، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ.

(١) بعده في الأصل: «بن علي»، وبعده في م: «بن معين». والمثبت كما في الوافي بالوفيات ١٢ /

٣٣٨.

(٢) في م: «الثامن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة^(١)

وهي سنة الخوارزمية؛ وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية، ومعهم ملكهم [٣٥/١٠] بركات خان^(٢) في ضحية معين الدين بن الشيخ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح إسماعيل أبا الحيش صاحب دمشق، وأحرق قصر حججاج، وحكرو السماقي، وجامع جراح خارج باب الصغير، ومساجد كثيرة، ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية، ونصبت داخل البلد منجنيقات^(٣) أيضا، وترامى الفريقان، وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق، وأرسل يقول: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك. فأرسل إليه المعين بزقير وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر، وأرسل يقول له: أما السجادة فإنها تصلح لي، وأما أنت فهذا أولى بك. ثم أصبح ابن الشيخ، فاشتد الحصار بدمشق، وأرسل الصالح إسماعيل، فأحرق جوسق والده العادل، وامتد^(٤) الحريق في زقاق الرمان إلى العقبيية فاحترقت بأسرها، وقطعت الأنهار، وغلت الأسعار، وأخيفت الطرق، وجرى بدمشق أمور شنيعة بشعة جدا، لم تيم عليها

(١) مرآة الزمان ٧٥٢/٨ - ٧٥٥ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٥ - ١٧٨، ونهاية الأرب ٣١٠/٢٩ - ٣١٨، والعبر ١٧٣/٥، ١٧٤.
(٢) في مرآة الزمان ونهاية الأرب: «بركة خان». ولم يذكر في المصدرين الآخرين.
(٣) في الأصل، م: «منجنيقان». والمثبت من الدارس ٢٨٢/٢ نقلا عن المصنف.
(٤) في الأصل: «اشتد».

قط، وامتدَّت الحِصارُ شهرًا من هذه السنة إلى جمادى الأولى، فأرسل أمينُ الدولة يطلبُ من ابنِ الشيخِ شيئًا من ملابسه، فأرسل إليه بفرجِيَّةٍ وعمامةٍ وقميصٍ ومنديلٍ، فليس ذلك الأمينُ، وخرج إلى معين الدين، فاجتمع به بعد العشاء طويلاً، ثم عاد، ثم خرج مرةً أخرى، فاتفق الحالُ على أن يخرج الصالح إسماعيلُ إلى بعلبك، ويُسلمَ دمشقَ إلى الصالحِ أيوب^(١)، ودخل معينُ الدين بنُ الشيخ، فنزل في دارِ أسامة، فولَّى وعزل، وقطع ووصل، وفوض قضاءَ القضاة إلى صدرِ الدين بنِ سننِّ الدولة، وعزل القاضى مُحبي الدين بنَ الرُّكبي، واستتاب ابنَ سننِّ الدولة التُّفليسيّ الذى ناب لابنِ الرُّكبي، والعزير^(٢) السنجاريّ، وأرسل معينُ الدين بنُ الشيخ أمينَ الدولة عزال بنَ المسلمانيّ وزير الصالحِ إسماعيلَ تحت الحوطة إلى الديارِ المصرية.

وأما الخوارزميةُ فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريّا، فنهبوا وساروا نحو بلادِ الشرق، وكاتبوا الصالحِ إسماعيلَ فحالفوه على الصالحِ أيوب، ففرح بذلك، ونقض الصلح الذى كان وقع منه، وعادت الخوارزميةُ فحاصروا دمشق، وجاء إليهم الصالح إسماعيلُ من بعلبك، فضاقت الحالُ على الدماشيّة، فعدمت الأوقات^(٣)، وغلت الأسعارُ جدًّا، حتى إنه بلغ ثمنُ الغرارة^(٤) ألفًا وستمئة، وقنطارِ الدقيقِ بسبعِمائة^(٥)، والخبزُ كلُّ وقيتين إلا ربعًا بدرهم، ورطلُ اللحمِ بسبعة، وأبيعت

(١) بعده فى م: «فاستبشر الناس بذلك، وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك».

(٢) فى الأصل: «الغرز»، وفى م: «الفرز». والمثبت من مرآة الزمان.

(٣) فى م: «الأموال».

(٤) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. الوسيط (غ ر ن).

(٥) فى م: «تسمائة»، وفى مرآة الزمان: «ستمائة».

الأملاك بالدقيق، وأكَلت القِطاطُ والكِلابُ والميتاتُ والجيفُ، وتماوت الناسُ في الطرقاتِ، وعجزوا عن الغسلِ والتَّكفينِ^(١) والإقبارِ^(٢)، فكانوا يُلقون موتاهم في الآبارِ، حتى أُنْتنت المدينةُ وضجِر الناسُ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه الأيامِ تُوفى الشيخُ تقي الدين بنُ الصلاح^(٣)، شيخُ دارِ الحديثِ وغيرها من المدارسِ، فما أُخرج من بابِ الفرجِ فدُفن بالصوفيةِ إلا بالجهدِ الجَهِيدِ، رحمه اللهُ تعالى.

قال السُّبُطُ^(٤): ومع هذا كانت الحُمورُ دائرةً والفسقُ ظاهرًا، والمكوسُ بحالها.

وذكر الشيخُ شهابُ الدين^(٥) أن الأشعارَ غلت في هذه السنةِ جدًّا، وهلك الصَّعاليكُ بالطرقاتِ؛ كانوا [٣٦/١٠] يَسألون لُقمةً، ثم صاروا يَسألون لُبابةً، ثم تنازلوا إلى فليس يَسْتَرُونَ به نُخالةً^(٥) يَتَلونها ويأْكُلونها كالِدجاجِ. قال: وأنا شاهدتُ ذلك. وذكر تفاصيلَ الأشعارِ وغلاؤها في الأُطعمةِ وغيرها، ثم زال هذا كُلُّه في آخرِ السنةِ بعدَ عيدِ الأضحى، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

ولما بَلَغ الصالحُ أيوبُ أن الخوارزميةَ قد مالَتْوا عليه، وصالحوا عمَّهُ الصالحَ إسماعيلَ، كاتبَ الملكِ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ شيركوه صاحبِ حمصَ، فاستماله إليه، وقوى جانبُ نائبِ دمشقِ مُعينِ الدينِ حسنِ^(٦) بنِ الشيخِ، ولكنه

(١ - ١) في الأصل: «ولا مقابر».

(٢) ستأتي ترجمته في صفحة ٢٨١.

(٣) مرآة الزمان ٧٥٤/٢ (القسم الثاني).

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٨.

(٥) النخالة: ما بقي من الشيء بعد نخله. الوسيط (ن خ ل).

(٦) في الأصل، م: «حسين». والمثبت من مرآة الزمان والعبير. وهو حسن بن محمد بن عمر بن حمويه. وسيأتي اسمه على الصواب في ترجمته في صفحة ٢٨٦.

تُوْفِي فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْوَفَايَاتِ .

ولما رجع المنصورُ صاحبُ حمصَ عن مُوالاةِ الصالحِ إسماعيلَ ، شرَعَ في جمعِ الجيوشِ مِنَ الحَلِيبِيِّينَ وَالتُّرْكَمَانِ وَالْأَعْرَابِ لِاسْتِيقَاضِ دِمَشْقَ مِنَ الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وَحِصَارِهِمْ إِيَّاهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الخُوَارِزْمِيَّةَ فَخَافُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَائِلَتِهِ ، وَقَالُوا : دِمَشْقُ مَا تَفُوتُ ، وَالْمَصْلَحَةُ قِتَالُهُ عِنْدَ بَلَدِهِ . فَسَارُوا إِلَيْهِ عِنْدَ بُحَيْرَةِ حَمصَ ، وَأَرْسَلَ النَّاصِرُ دَاوُدَ جَيْشَهُ إِلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ مَعَ الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وَسَاقَ جَيْشُ دِمَشْقَ فَأَنْضَفُوا إِلَى صَاحِبِ حَمصَ ، وَالتَّقَوْا مَعَ الخُوَارِزْمِيَّةِ عِنْدَ بُحَيْرَةِ حَمصَ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، قُتِلَ فِيهِ عَامَّةُ الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ بَرَكَاتُ خَانَ ، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُفْحٍ ، فَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ ، وَتَمَزَّقُوا شَذَرَ مَدَرَ ، وَسَاقَ الْمَنصُورُ صَاحِبَ حَمصَ إِلَى بَغْلَبَكُ ، فَتَسَلَّمَهَا الصَّالِحُ أَيُوبُ ، وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَنَزَلَ بِبُيُوتَانِ سَامَةِ^(١) خِدْمَةَ لِلصَّالِحِ أَيُوبَ ، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَخِذِهَا ، فَاتَّفَقَ مَرَضُهُ ، فَمَاتَ رَجِمَهُ اللَّهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، وَنُقِلَ إِلَى حَمصَ ، فَكَانَتْ مَدَّةَ مَلِكِهِ لَهَا بَعْدَ أَبِيهِ عَشْرَ^(٢) سِنِينَ ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِيهَا ابْنُهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مَدَّةَ سِنَتَيْنِ ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ عَلَى مَا سَيَأْتِي ، وَتَسَلَّمَ نَوَّابُ الصَّالِحِ أَيُوبَ بَغْلَبَكُ وَبُصْرَى ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا مَالٌ ، بَلْ أُخِذَ جَمِيعُ مَالِهِ ، وَنُقِلَتْ عِيَالُهُ تَحْتَ الحَوَاطَةِ إِلَى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَسَارَ هُوَ فَاسْتَجَارَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ العَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِي صَاحِبِ حَلَبَ ، فَأَوَاهُ وَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، وَقَالَ الْأَتَابِكُ لَوْلَوْ الحَلِيبِيُّ لَابِنِ أَسْتَاذِهِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ شَابًّا صَغِيرًا : انْظُرْ إِلَى عَاقِبَةِ الظَّالِمِ . وَأَمَّا الخُوَارِزْمِيَّةُ فإِنَّهُمْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م . وَفِي مَرَاةِ الزَّمَانِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ : « أَسَامَةُ » .

(٢) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ أَنَّهَا كَانَتْ سِتِّ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ . وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَذِكْرِ ذَلِكَ فِي ذَيْلِ الرُّوضَتَيْنِ وَالعَبِيرِ .

ساروا إلى ناحية الكرك، فأكرمهم الناصر داود صاحبها، وأحسن إليهم، وصاهرهم وأنزلهم بالصلت، فأخذوا معها نابلس، فأرسل إليهم الملك الصالح أيوب جيشاً مع فخر الدين بن الشيخ، فكسروهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد، وحاصر الناصر بالكرك، وأهانته غاية الإهانة، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية، فدخل دمشق في أبهة عظيمة، وأحسن إلى أهلها، وتصدق على الفقراء والمساكين، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى، وإلى صرخد فتسلمها من صاحبها عز الدين أيتك المعظمي، وعوضه عنها، ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً. وهذا كله في السنة الآتية، ولله الحمد والمِنَّة.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار، لعنهم الله، فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة، وفرقوا شملهم، وهربوا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم، ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكربهم، وعملاً بقوله ﷺ: «اتركوا الترك ما تركوكم».

وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان، على شق جبل داخله، من الأبنية الغريبة العجيبة ما يحاظر فيه الناظر، [٣٦/١٠ ظ] وقد قيل: إن ذلك من بناء الجن، وأورد صفته ابن الساعي في «تاريخه».

ومن توفى في هذه السنة من الأعيان:

الشيخ تقي الدين بن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان^(١)، الشيخ

(١) تقدم تخريجه في صفحة ١٦٤.

(٢) مرآة الزمان ٧٥٧/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٥، ووفيات الأعيان ٢٤٣/٣، ونهاية الأرب ٣١٨/٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٤٠/٢٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٠/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٢٦/٨، وطبقات المفسرين للداودي ٣٧٧/١.

الإمام العلامة، مفتى الشام ومُحدِّثه، تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح،
الشَّهْرَزُورِيُّ ثم الدمشقي، سَمِعَ الحديثَ ببلادِ الشرقِ، وتفقَّهَ هنالك بالموصلِ
وحلبَ وغيرهما، وكان أبوه مُدْرِّسًا بالأَسَدِيَّة التي بحلب، وواقفها أسدُ الدين
شيزكوه بن شاذي، وقدم الشام، وهو في عدادِ الفضلاءِ الكبارِ، وأقام بالقدسِ
الشريفِ مدةً، ودرَّسَ بالصَّلاحيةِ، ثم تحوَّلَ منه إلى دمشق، ودرَّسَ بالرَّواحيةِ ثم
بالشاميةِ الجوانيةِ، ثم بدارِ الحديثِ الأشرافيةِ، وهو أولُ مَنْ وليها من شيوخِ
الحديثِ، وهو الذي صنَّفَ كتابَ وقفها، وقد صنَّفَ كتبًا كثيرةً مُفيدةً في علومِ
الحديثِ وفي الفقه، وتعاليقَ حسنةً على «الوسيط» وغيره من الفوائد التي يُرْحَلُ
إليها. وكان ذِيَّنا زاهدًا ورعًا ناسكًا، على طريقةِ السلفِ الصالحِ، كما هي
طريقةُ متأخريِ أكثرِ المُحدِّثين، مع الفَضيلةِ التامةِ في فنونِ كثيرةٍ، ولم يزلْ على
طريقةٍ جيدةٍ حتى كانت وفاته بمنزله في دارِ الحديثِ الأشرافيةِ، في ليلةِ الأربعاءِ
الخامسِ والعشرينِ من ربيعِ الآخِرِ من سنةِ ثلاثِ وأربعينِ وستُمائةٍ، وصُلِّيَ عليه
بجامعِ دمشق، وشيَّعه الناسُ إلى داخلِ بابِ الفرجِ، ولم يُمكنهم البروزُ لظاهِرِهِ
لِحِصارِ الخوارزميةِ، وما صحَّبه إلى جَبانةِ الصوفيةِ إلا نحوُ العشرةِ، رَحِمَهُ اللهُ
تعالى وتغمَّده برَحْمَتِهِ. وقد أنثى عليه القاضي شمسُ الدينِ بنُ خَلْكانَ، وكان
من شيوخِهِ. قال السَّبْطُ^(١): أنشدني الشيخُ تقيَ الدينِ بنُ الصلاحِ من لفظهِ،
رَحِمَهُ اللهُ:

أخَذَرُ مِنَ الوَاوَاتِ أُرُوعَةً فَهِنَّ مِنَ الحُتُوفِ
وَإِوَاءِ الوَصِيَّةِ وَالوَدِيدِ عَةِ وَالوَكَالَةِ وَالوُقُوفِ

(١) مرآة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثاني).

وحكى ابن خلكان عنه أنه قال ^(١) : أُلْهِمْتُ فِي الْمَنَامِ هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؛ اذْفَعِ الْمَسْأَلَةَ مَا وَجَدْتَ التَّجْمُلَ ^(٢) يُمَكِّنُكَ ، فَإِنْ لَكُلُّ يَوْمٍ رِزْقًا جَدِيدًا ، وَالْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ يُذْهِبُ الْبِهَاءَ ، ^(٣) وَمَا أَقْرَبَ الصَّنِيعِ مِنَ الْمَلْهَوفِ ^(٤) ، وَرَبْمَا كَانَتْ الْغَيْرُ نَوْعًا مِنَ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُظُوظُ مَرَاتِبٌ فَلَا تَعْجَلْ عَلَى ثَمَرَةٍ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ ، فَإِنَّكَ سَتَنَالُهَا فِي أَوَانِهَا ، ^(٥) وَلَا تَعْجَلْ فِي حَوَائِجِكَ فَتَضَيِّقَ بِهَا دَرْعًا ، وَيَعْشَاكَ الْقُنُوطُ ^(٦) .

ابن النُّجَّارِ الحَافِظُ صَاحِبُ « التَّارِيخِ » : مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ مَحَاسِنَ بْنِ النُّجَّارِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ ^(٧) ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَوُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ ^(٨) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ ، وَشَرَعَ فِي كِتَابِهِ « التَّارِيخِ » وَعَمَرَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالنَّحْوَ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَشَايخِ كَثِيرًا ، حَتَّى حَصَلَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ شَيْخٍ ، مِنْ ذَلِكَ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ امْرَأَةٍ ، وَتَغَرَّبَ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَقَدْ جَمَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، مِنْ ذَلِكَ « الْقَمَرُ الْمُنِيرُ فِي الْمُسْنَدِ الْكَبِيرِ » ، يَذْكُرُ لِكُلِّ صَحَابِيٍّ مَا رَوَى ، وَ« كَنْزُ الْأَيَّامِ فِي مَعْرِفَةِ السَّنَنِ وَالْأَحْكَامِ » ، وَ« الْمُخْتَلِفُ وَالْمُؤْتَلِفُ » ، وَ« السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ » ، وَ« الْمُتَّفِقُ وَالْمُفْتَرِقُ » ، وَكِتَابُ « الْأَلْقَابِ » ، وَ« نَهْجُ

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٤٥ .

(٢) في الأصل ، م : « التحمل » . والمثبت من الوفيات .

(٣ - ٤) في الوفيات : « وما أحسن الصنيع إلى الملهوف » .

(٤) الغير : غير الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . الوسيط (غ ب ر) .

(٥ - ٦) سقط من : الأصل .

(٦) معجم الأدباء ٤٩/١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٨/٤ ، والوفائي

بالوفيات ٩/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٨/٨ .

(٧) في م : « ثلاث » .

الإصابة في معرفة الصحابة»، و«الكمال»^(١) في أسماء الرجال»، وغير ذلك مما لم يَمِّمَ أكثره، وله كتاب «الذليل على تاريخ مدينة السلام»، في ستة عشر مجلداً كاملاً، وله في أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس، و«غرر الفوائد» في خمس مجلدات^(٢)، [٣٧/١٠] وأشياء كثيرة جداً، سردها ابن الساعي في ترجمته، وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عُرض عليه الإقامة في المدارس، فقال: معي ما أَسْتَعْنِي به. فاشترى جارية، وأولدها ولداً، وأقام بُزْهَةً يُنْفِقُ على نفسه من كسبه، ثم احتاج إلى أن نزل مُحدِّثاً في جماعة المُحدِّثين بالمدرسة المُستَنصِرِيَّة حين وُضِعَتْ، ثم مرض مدة شهرين، وأوصى إلى ابن الساعي في أمر تركته، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة، وله من العمر خمس وسبعون سنة، وصُلِّي عليه بالمدرسة النظامية، وشهد جنازته خلق كثير، وكان يُنادى حول جنازته: هذا حافظ حديث رسول الله ﷺ، الذي ينفي الكذب^(٣) عنه. ولم يترك وارثاً، وكانت تركته عشرين ديناراً وثياب بدنه، وأوصى أن يُتَصَدَّقَ بها، وأوقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار، فأمضى ذلك الخليفة المُستَعصِمُ، وقد أثنى عليه الناس، ورثوه بمراثٍ كثيرة، سردها ابن الساعي في آخر ترجمته.

الحافظ ضياء الدين المقدسي^(٤) صاحب «الأحكام»: محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي^(٥)، سمع الحديث الكثير، وكتب

(١) في م: «الكافي».

(٢) في مصادر ترجمته: «ست مجلدات».

(٣) في الأصل: «الكدر».

(٤ - ٥) في م: «ابن الحافظ».

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ - ذكره ولم يترجم له - وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٢٦، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٠٥، والوافي بالوفيات ٤/٦٥، وذيل طبقات الخنابلة ٢/٢٣٦.

كثيرًا، ورحل وطاف وجمع وصنّف وألّف كتبًا مفيدةً حسنةً كثيرةً الفوائد، من ذلك كتاب «الأحكام» ولم يُتِمّه، وكتاب «المختارة» وفيه علومٌ حسنةٌ حديثةٌ، وهى أجودُ من «مُستدركِ الحاكم» لو كَمَل، وله «فضائلُ الأعمال»، وغير ذلك من الكتبِ الحسنةِ الدالةِ على حفظِهِ وإطلاعه وتضلُّعه من علمِ الحديثِ مثنًا وإسنادًا. وكان رحمه الله تعالى فى غايةِ العبادةِ والزَّهادةِ والورعِ والخيرِ، وقد وقَّف كتبًا كثيرةً عظيمةً بخطِّه لخزانةِ المدرسةِ الضيائيةِ التى وقَّفها على أصحابِهِم من أهلِ الحديثِ والفُقهَاءِ، وقد وقَّفت عليها أوقافٌ أُخرُ كثيرةٌ بعد ذلك.

الشيخُ علمُ الدينِ أبو الحسنِ السَّخاوى، على بنُ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ابنِ عبدِ الأَحدِ بنِ عبدِ الغالبِ الهَمْدانىِّ المِصرىِّ ثمَ الدمشقىِّ^(١)، شيخُ القُرَاءِ بدمشقَ، ختمَ عليه أُلوفٌ من الناسِ، وكان قد قرأ على الشاطبىِّ، وشرح قصيدته، وله شرحُ «المُفَصَّلِ» وله تَفْسِيرٌ وتَصانيفٌ كثيرةٌ، ومدائِحُ فى رسولِ الله ﷺ، وكان له حلقةٌ بجامعِ دمشقَ، وولى مَشِيخةَ الإقراءِ بتريةِ أمِّ الصالحِ، وبها كان مَسْكَنُهُ، وبه تُؤفَى ليلةُ الأَحدِ ثانى عَشَرَ جُمادى الآخرةِ، ودُفِنَ بقاسيونَ. وذكرَ القاضى ابنُ خَلْكانَ^(٢) أن مولده فى سنةِ ثمانٍ وخمسينَ وخمسمائةٍ، وذكرَ من شعرِهِ قوله :

قالوا غداً نأتى ديارَ الحمى ويُنزِلُ الرِّكبُ بمغناهم
وكلُّ من كان مُطيعاً لهم أَصْبَحَ مَسْرورًا بلُقياهم

(١) معجم الأدياء ٦٥/١٥، ومرآة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٣/٣٤٠، ونهاية الأرب ٣١٩/٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٢/٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٩٧/٨، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٥٦٨/١، وبغية الوعاة ٣١١/٢.
(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٤١.

قلتُ فلى ذنْبٍ فما جِئلتى بأىِّ وجهٍ أتلقَّاهُم
قالوا أليس العفوُ من شأنهم لاسيَّما عمَّن ترجَّاهُم

ربيعَةُ خاتون^(١) واقفةُ الصاحبةِ بقاسيونَ : ربيعةُ خاتون^(١) بنتُ أيوبَ أختُ
السلطانِ صلاحِ الدينِ ، زوّجها أخوها أولاً بالأَميرِ سعدِ الدينِ مسعودِ بنِ مُعينِ
الدينِ أنزَ ، وتزوَّج هو بأخْتِهِ عِصْمَةَ الدينِ خاتونَ ، التى كانت زوجةَ الملكِ نُورِ
الدينِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى ، واقفةُ الخاتونيةِ الجَوَانِيَةِ والخانقاهِ ، ثم لما مات الأَميرُ
سعدُ الدينِ زوّجها مِنَ الملكِ مُظفَّرِ الدينِ صاحبِ إزْبِلَ ، فأقامت عنده بِإزْبِلَ أَزِيدَ مِنْ
أربعينِ سنةً حتى مات ، ثم قَدِمَت دَمَشقَ ، فسكَّنت فى دارِ العَقِيْقَى حتى كانت
وفاتها فى هذه السنةِ وقد جاوَزَت الثمانينَ ، ودُفِنَت بِقاسيونَ ، وكانت فى خدمتها
الشيخةُ الصالحةُ العالمةُ أُمَّةُ اللُّطيفِ بنتُ الناصحِ الحنبليِّ ، [٣٧/١٠٠ ظ] وكانت
فاضلةً ، ولها تصانيفُ ، وهى التى أُرشدتها إلى وَقْفِ المدرسةِ الصاحبةِ بسفحِ قاسيونَ
على الحنابلةِ ، وأوقفت أُمَّةُ اللُّطيفِ على الحنابلةِ مدرسةً أُخرى ، وهى الآن شرقى
الرُّباطِ الناصرىِّ ، ثم لما ماتت الخاتونُ وَقَعَت العالمةُ فى المُصادراتِ ، وحُبِسَت مدةً ثم
أُفْرِجَ عنها ، وتزوَّجها الأَشْرَفُ صاحبُ حِمَصَ ، وسافرت معه إلى الرِّحْبَةِ وتلَّ
باشِرٍ^(٢) ، ثم تُوفِّيت فى سنةِ ثلاثٍ وخمسينَ ، ووُجِدَ لها بدمشقَ ذَخائِرُ كثيرةٌ
وجواهرُ نفيسةٌ ، تُقاربُ ستمائةَ ألفِ درهمٍ ، غيرَ الأُملاكِ والأوقافِ .

مُعيْنُ الدينِ الحسنُ بنُ شيخِ الشيوخِ^(٣) ، وزيرُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ ،

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى مرآة الزمان ٧٥٦/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين
ص ١٧٧ ، ووفيات الأعيان ١٢٠/٤ ، ونهاية الأرب ٣١٧/٢٩ ، والوفى بالوفيات ٩٧/١٤ .

(٢) فى م : «راشد» . وتل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب . معجم البلدان ٨٦٤/١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ ، ومرآة الزمان ٧٥٥/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب =

أُرْسِلَهُ إِلَى دِمَشْقَ، فَحَاضَرَهَا مَعَ الْخَوَازِمِيَّةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى أَخَذَهَا مِنْ يَدِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا مِنْ جِهَةِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، ثُمَّ تَمَّلاً الْخَوَازِمِيَّةَ مَعَ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ، فَحَضَّرُوهُ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ سِتِّ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مَدَّةُ وِلَايَتِهِ بِدِمَشْقَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ عِمَادِ الدِّينِ .
 وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ وَاقِفِ الْقَلْبِجِيَّةِ الْحَنْفِيَّةِ ^(١)، وَهُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَنُ قَلْبِجِ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ الَّتِي بِمَدْرَسَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، الَّتِي كَانَتْ سَكَنَهُ بَدَارِ فُلُوسٍ، تَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ .

وَخَطِيبُ الْجَبَلِ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بَنُ الشَّيْخِ أَبِي عَمَرَ ^(٢)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالسَّيْفُ أَحْمَدُ بَنُ عَيْسَى بِنِ الْإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بِنِ قُدَامَةَ ^(٣) .

وَفِيهَا تُوفِّيَ إِمَامُ الْكَلَّاسَةِ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بَنُ أَبِي جَعْفَرٍ ^(٤)، مُسْنِدُ وَقْتِهِ، وَشَيْخُ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِ رِوَايَةً وَصَلَاحًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْمُحَدِّثَانِ الْكَبِيرَانِ الْحَافِظَانِ الْمُفِيدَانِ شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بَنُ الْجَوْهَرِيِّ، وَتَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْأَبْهَرِيُّ ^(٥) .

= ٣١٤/٢٩، وَالْعَبْرُ ١٧٥/٥، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٤٦/١٢ .

(١) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٧٧، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٩٤/٢١ .

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٧٧، وَالْعَبْرُ ١٧٦/٥، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٢٣٤/٢ .

(٣) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٧٧، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١١٨/٢٣، وَتَذَكُّرَةُ الْحَفَازِ ١٤٤٦/٤، وَمِرْآةُ

الْجَنَانِ ١٠٨/٤، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٧٣/٧، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٢٤١/٢ .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٧٦، وَالْعَبْرُ ١٧٩/٥ .

(٥) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٧٥ .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها^(١) كسر المنصور الخوارزمية عند بختيار حِمَصَ ، واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبغلبك وبُصْرَى ، ثم في جمادى الآخرة كسر فخر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلّت كسرةً ، فرّق بقية^(٢) شملهم ، ثم حاصر الناصر بالكرّك ، ورجع عنه إلى دمشق .

وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذى القعدة ، فأحسن إلى أهلها ، وتسلم هذه المدن ، وانتزع صرخد من يد عز الدين أئيك ، وعوضه عنها ، وأخذ الصلّت من الناصر داود بن المعظم ، وأخذ حصن الصبيبة من السعيد بن العزيز بن العادل ، وعظم شأنه جدًّا ، وزار في رُجوعه بيت المقدس ، وتفقد أحواله ، وأمر بإعادة أسواره أن تُعمّر كما كانت في الدولة الناصرية ،^(٣) فاتح القدس^(٤) ، وأن يُصرف الخراج وما يتحصّل من غلات بيت المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئًا صرفه من عنده .

وفيها قدمت الرسل من عند البابا الذي للنصارى تُخبر بأنه قد أباح دم الأنبرور ملك الفرنج ؛ لتهاونه في قتال المسلمين ، وأرسل طائفة من عنده ليقتلوه ، فلما انتهوا إليه كان قد استعدّ لهم ، وأجلس مملوكًا له على السرير ، فاعتقدوه

(١) مرآة الزمان ٧٦٠/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨ ، ونهاية الأرب ٢٩/٣١٩ ، والعبير ١٨١/٥ ، ١٨٢ .

(٢) في الأصل : « عليه » .

(٣ - ٣) كذا في الأصل ، م ، ويعنى المصنف بالدولة الناصرية الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف .

الملك فقتلوه ، فعند ذلك أخذهم الأنبرورُ فصلبهم على بابِ قَصْرِهِ بعدَ ما ذَبَحَهُمْ
وسلَّخَهُمْ وحشًا جلودَهُمْ تَبْنًا ، فلما بَلَغَ ذلكَ البابا أُرْسِلَ إليه جيشًا كثيرًا لقتاله ،
فأَوْقَعَ اللهُ تعالى بينهم الخِلافَ بسببِ ذلكَ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وبه التوفيقُ
والعِصْمَةُ .

وفيهما ^(١) هبَّت رِيحٌ عاصفةٌ شديدةٌ بمكةَ يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشرَ ربيعِ الآخرِ
[١٠/٣٨] ، فألقت سِتارةَ الكعبةِ المُشْرِفةِ ، وكانت قد عَثَقَتْ ، فإنها من سنةِ
أربعين لم تُجَدِّدْ ؛ لعدمِ الحجِّ في تلكَ السنينِ من ناحيةِ الخليفةِ ، فما سَكَنَتْ الرِّيحُ
إلا والكعبةُ عُريانةٌ وقد زال عنها شِعَارُ السَّوَادِ ، وكان هذا فألاً على زوالِ دولةِ بنى
العباسِ ، ومُنْذِرًا بما سَيَقَعُ بعدَ هذا من كائنةِ التَّارِ ، لعَنَهُمُ اللهُ تعالى . فاستأذَنَ
نائبُ اليَمَنِ عمرُ بنُ رسولِ شيخِ الحرمِ العفيفِ منصورَ بنِ منعةَ في أن يَكْشُوَ
الكعبةَ ، فقال : لا يَكُونُ هذا إلا من مالِ الخليفةِ . ولم يَكُنْ عندهُ مالٌ ، فاقْتَرَضَ
ثلاثمائةَ دينارٍ ، واشْتَرَى ثيابَ قُطْنٍ ، وصبغها سَوَادًا ، وركَّبَ عليها طِرَازَاتِهَا
العتيقةَ ، وكسا بها الكعبةَ ، ومكَّنتُ الكعبةَ ليس عليها كِسْوَةٌ إحدى وعشرين
ليلةً .

وفيهما فُتِحَتْ دارُ الكُتُبِ التي أنشأها الوزيرُ مُؤَيَّدُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ
العَلْقَمِيُّ بدارِ الوِزارةِ ، وجاءت في نهايةِ الحُسْنِ ، ووُضِعَ فيها من الكُتُبِ النَّفِيسَةِ
النافعةِ شيءٌ كثيرٌ ، وامتدَّحها الشعراءُ بأبياتٍ وقصائدٍ حسَّانًا .

وفي أواخرِ ذِي الحِجَّةِ طَهَّرَ الخليفةُ المُشْتَعَصِمُ باللهِ ولديه الأميرينِ أبا العباسِ
أحمدَ وأبا الفضائلِ عبدَ الرحمنِ ، وعَمِلَتْ وِلايَتُهُ ومآكلُ وأفراخُ لا يُسْمَعُ بِمِثْلِهَا

(١) انظر إتحاف الوري بأخبار أم القرى ٦٢/٣ .

مِنَ أزمانٍ مُتطاوِلَةٍ ، وكان ذلك وِداعًا لِمَسَرَّاتِ بَغدادَ وأهلِها في ذلك الزمانِ .
 وفيها اختطاطُ الناصرِ داوُدُ صاحبِ الكَرَكِ على الأميرِ عمادِ الدينِ داوُدَ بنِ
 مُوسَكَ ، وكان مِن خِيارِ الأُمراءِ والأجوادِ الأُمجادِ ، واضطَفى أموالَه كُلَّها ،
 وسجَنه عندَه في الكَرَكِ ، فشَفَعَ فيه فخرُ الدينِ بنُ الشَیخِ لما كان مُحاصِرَه في
 الكَرَكِ فأطَلَقَه ، فخرَجَت في حَلِقَه خُراجَةٌ^(١) ، فبَطَّها فمات ، ودُفِنَ عندَ قَبْرِ
 جَعفِرِ والشُّهداءِ بِمُوتَةَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى .

وفيها تُوفِّي ملكُ الخُوارزْمِيَةِ قَبلاً بِرِكاتِ^(٢) خانٍ لما كُسيَرتِ أَصحابُه عندَ
 بُحَيْرَةِ حِمصَ ، كما تَقَدَّمَ ذِكرُه .

وفيها تُوفِّي : الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ إبراهيمُ بنُ الملكِ المُجاهِدِ أسدِ
 الدينِ شيركُوهِ^(٣) صاحبِ حِمصَ بِدمشقَ ، بعدَ أن سَلَّمَ بَعَلَبَكَ لِلملكِ الصالحِ
 أَيوبَ ، ونُقِلَ إلى حِمصَ ، وكان نُزولُه أولاً بِبُستانِ سامَةَ^(٤) ، فلما مَرِضَ حُمِلَ
 إلى الدَّهْشَةِ بِبُستانِ الأَشرفِ بِالنَّيْرِبِ ، فماتَ بِهِ .

وفيها تُوفِّي : الصائِنُ مُحَمَّدُ بنُ حَسانِ بنِ رافعِ العامريِّ الخَطيبِ^(٥) ،
 وكان كَثيرَ السَّماعِ مُسَنِّدًا ، وكانت وفاتُه بِقَصْرِ حَجَّاجِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى .

(١) في م : «جراحه» والخراجة : ما يخرج بالبدن من القروح . وبَطَّها : شَقَّها . الوسيط (خ رج) ، (ب ط ط) .

(٢) في مصدرى التخریج : «بركة» .

(٣) مرآة الزمان ٧٦٤/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ٤٨١/٢ ،

ونهاية الأرب ٣٢٣/٢٩ ، والعبر ١٨٣/٥ ، والوفى بالوفيات ٢٠/٦ .

(٤) في مرآة الزمان : «أسامة» .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٩ - وفيه : «الضياء» - وسير أعلام النبلاء ١٤٧/٢٣ ، والعبر

١٨٤/٥ .

وفيها تُوفِّي: الفقيهُ العَلَّامةُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ المنعمِ المراتبيِّ^(١)
الحنبلِيّ، وكان فاضلاً ذا فنونٍ، أثنى عليه أبو شامة، وقال: صحبته قديماً، ولم
يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة. وُصِّلَ عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بسفحِ
قاسيون، رحمه الله.

والضياءُ عبدُ الرحمنِ العِمادِيّ^(٢) المالكيُّ، الذي ولي وظائفَ الشيخِ أبي
عمرو بنِ الحاجبِ حينَ خَرَجَ مِنْ دمشقَ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ، وجلسَ في حلقته،
ودرسَ مكانه بزاوية المالكية.

والفقيهُ تاجُ الدينِ إسماعيلُ بنُ جهيلٍ^(٣) بحلب، وكان فاضلاً دنيئاً، سليمَ
الصدر، رحمه الله.

(١) سقط من الأصل. وفي م: «الرامي». والمثبت من مصادر ترجمته؛ والذيل على الروضتين ص
١٧٩، والعبر ٥/١٨٤، والوافي بالوفيات ٦/١١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٤٢.
والمراتبى نسبة إلى باب المراتب ببغداد. انظر المشتبه ٢/٥٨١، وتاج العروس (رت ب).
(٢) في م: «الغماري». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٧٩.
(٣) في م: «جميل». وانظر ترجمته في المصدر السابق.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها^(١) كان عوُدُ السلطانِ الملكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبِ بنِ الكاملِ من الشامِ إلى الديارِ المصرية^(٢)، وزار في طريقه بيتَ المقدسِ، وفرَّق في أهله أموالاً كثيرةً، وأمر بإعادة سُورِهِ، كما كان في أيامِ عمِّ أبيه الملكِ الناصرِ فاتحِ القُدسِ، ونزَّل الجيوشَ لحصارِ الفِرْنَجِ، ففتحت طَبْرِيَّةُ في عاشرِ صفرٍ، وفتحت عسقلانُ في أواخرِ جمادى الآخرة^(٣).

وفي رجبٍ غزِلَ الخطيبُ عمادُ الدينِ داوُدُ^(٤) بنُ خطيبِ بيتِ الآبارِ عن الخطابةِ بالجامعِ الأمويِّ، وتدرّس [٣٨/١٠ ظ] الغزاليَّة، وولى ذلك القاضي عمادُ الدينِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ الحرَّستانيِّ شيخُ دارِ الحديثِ بعدَ ابنِ الصلاحِ .
وفيها أرسلَ الصالحُ أيوبُ يَطْلُبُ جماعةً من أعيانِ الدَّمَشِيقَةِ اتَّهَمُوا بِمُؤَالاةِ

(١) مرآة الزمان ٧٦٦/٨ - ٧٦٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٣٢٥/٢٩ - ٣٢٨، والعبر ١٨٥/٥.

(٢) ذُكرت عودة الملك نجم الدين أيوب في المرأة عام أربع وأربعين وستمائة، وفي العبر عام سبع وأربعين وستمائة.

(٣) في نهاية الأرب ذكر فتح عسقلان في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وأنه رحل بعدها إلى طبرية ففتحها، وفي العبر ذكر أن فتح عسقلان كان في جمادى الآخرة وأن فتح طبرية كان قبلها بأيام. ولم يتعرض لذكر الأشهر في مرآة الزمان.

(٤) (٤ - ٤) في نهاية الأرب: «خطيب». ولم يذكره في العبر. ولا تعارض بين كونه خطيب بيت الآبار، وكونه ابن خطيبها. فقد كان أبوه خطيب بيت الآبار، وكان هو كذلك خطيبه بعد وفاة أبيه، فقد رجع إلى خطابة قريته بعد عزله ذلك الذي أشار إليه المصنف هنا؛ انظر الوافي بالوفيات ٤٨٠/١٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٤٣/١.

الصالح إسماعيل، منهم القاضي مُحَيَّبُ الدينِ بنُ الزَّكِيِّ، وبنو صَضْرَى وابنُ العمادِ الكاتبِ، والحَكِيمِيُّ^(١) مملوكُ الصالحِ إسماعيلَ، والشُّهابُ غازي والي بَصْرَى، فلما وصلوا إلى مصرَ لم يَكُنْ إليهم شَيْءٌ مِنَ العُقوباتِ والإِهانةِ، بل خَلَعَ على بعضهم وثَرَكوا باختيارِهِم مُكْرَمِينَ.

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ المَشَاهِيرِ:

الحسِينُ بنُ الحسينِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْزَةَ العَلَوِيُّ الحُسَيْنِيُّ، أبو عبدِ اللَّهِ الأَقْسَاسِيُّ^(٢) النَّقِيبُ قُطْبُ الدينِ، أصلُهُ مِنَ الكوفةِ، وأقام ببغدادَ، وولى النَّقابةَ، ثم اغتَقِلَ بالكوفةِ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مُطَبِّقاً، أُوْرِدَ له ابنُ الساعى أشعاراً كثيرةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشَّلَوِيِّنُ التَّحَوِيُّ^(٣): هو عمرُ بنُ محمدِ بنِ «عمرِ بنِ» عبدِ اللَّهِ الأزديِّ، أبو عليٍّ الأَنْدَلُسِيُّ الإشبيليِّ، المعروفُ بالشَّلَوِيِّينَ. وهو بلغة

(١) فى م: «الحكىمى». ولم يذكر فى المرأة الحكيمى ولكن ذكر أبا الشامات مملوك الصالح إسماعيل، أما فى نهاية الأرب فقد ذكرهما معاً على أنهما شخصين مختلفين ولكن لم يذكر أن الحكيمى مملوك الصالح إسماعيل. ولم يتعرض لذكر الخبر فى الذيل على الروضتين والعبر.

(٢) فى الأصل، م: «الأفساسى». ولم نجد له ترجمة، وظاهر أن المصنف - رحمه الله - ذكر وفاته من تاريخ ابن الساعى. وأثبتنا الأفساسى لأنه المذكور فى الأنساب ١/ ٢٠٠، ومعجم البلدان ١/ ٣٣٧، ٣٣٨؛ قال ياقوت: أفساس قرية بالكوفة، وينسب إلى هذا الموضع أبو محمد يحيى بن محمد... بن الحسين بن على بن أبى طالب الأفساسى، توفى سنة نيف وسبعين وأربعمائة بالكوفة، وجماعة من العلويين كذلك يُنسبون إليها. ولم نجد نسبة «الأفساسى» هذه.

(٣) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٢، وإشارة التعيين ص ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٧، والعبر ٥/ ١٨٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٤. وجاء فى الإنباه ووفيات الأعيان: «الشلوينى». قال فى بغية الوعاة: بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون، وربما زيد بعدها ياء النسبة.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته.

الأندلسيين: الأبيض الأشقر. قال ابن خلكان^(١): خُتِمَ به أئمة النحو، وكان فيه تَعَفُّلٌ. وذكر له شعراً ومُصَنَّفَاتٍ، منها «شُوحُ الجُزُولِيَّةِ» وكتاب «التَّوَطُّعَةِ». وأرَّخ وفاته بهذه السنة. وقد جاوز الثمانين، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

الشيخ عليّ^(٢) الحَرِيرِيُّ: عليّ بن أبي الحسن بن المنصور البُشَيْرِيُّ، المعروف بالحريري، أصله من قرية بُشَيْرَ شرقى زُرْع^(٣)، وأقام بدمشق مدةً يَعْمَلُ صَنَعَةَ الحَرِيرِ، ثم ترك ذلك، وأقبل يَعْمَلُ الفَقِيرِيَّ^(٤) على يد الشيخ عليّ المغزبلي^(٥) تلميذ الشيخ رسلان التركمانى الجعبري، فأتبعه طائفة من الناس يقال لهم: الحريرية^(٥). وابتنى له زاوية على الشرف القبلي، وبدرت منه أفعالٌ أتكراها عليه الفقهاء، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم، فلما كانت الدولة الأشرفية حُبِسَ في قلعة عَزَّتَا مدةً سنين، ثم أطلقه الصالح إسماعيل، واشترط عليه أن لا يُقيم بدمشق، فلزم بلدَه بُشَيْرَ مدةً حتى كانت وفاته في هذه السنة.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الذيل»^(٦): وفي رمضان أيضاً تُوفِّي

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٥١، ٤٥٢.

(٢) - ٢) سقط من: م. وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٨،

وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٢٤، والعبير ٥/١٨٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٧٨.

(٣) في م: «زرع». وزرع من أعمال حوران؛ وحوران كورة واسعة من أعمال دمشق. وقد كانت

زرع تسمى «زُرّاً» و«زُرّة»، وذكر الحموي في موضع أن «زرع» تسمية العوام. انظر معجم البلدان ١/

٦٢١، ٣٥٧/٢، ٩٢١.

(٤) يعمل الفقيري: أي تَمَقَّرَ. بلفظ الحافظ الذهبي في العبير. وقال عنه في سير أعلام النبلاء: كبير

الفقراء البطلة. ويعنى المصنف أنه صار من الصوفية.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٠.

الشيخ علي المعروف بالحريري، المقيم بقريّة بُشَر في زاويته، وكان يتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء، وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزيّ^(١) المنافي للشرعية، وباطنهم شرّ من ظاهرهم، إلا من رجع إلى الله منهم، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشرعية والتهاون بها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء دمشق، وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار^(٢)، يجمع مجلسه الغناء الدائم والرّقص والمُردان، وترك الإنكار^(٣) على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات، وكثرة التفقات، فأصل خلقا كثيرا، وأفسد جمعا غفيرا، ولقد أفتى في قتله مرارا جماعة من علماء الشريعة، ثم أراح الله تعالى منه. هذا لفظه بحروفه.

واقف العزّية الأمير عز الدين أيتك^(٤) أستاذ دار المعظم، وكان من العقلاء الأجواد الأمجاد، استنابه المعظم على صرخد، فظهرت منه نهضة وكفاية^(٥)، ووقف العزّيتين الجوانية والبرانية. ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها^(٦)، وأقام بدمشق، ثم وُشي به بأنه يُكاتب الصالح إسماعيل، فاحتيط

(١) سقط من: م.

(٢) خليع العذار: منهك في الغي لا يستحي. انظر الوسيط (ع ذ ر).

(٣) في الذيل على الروضتين: «الاحتجار».

(٤) مرآة الزمان ٧٦٧/٨ (القسم الثاني)، والمختصر في أخبار البشر ١٧٨/٣، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٧، وتاريخ ابن الوردي ١٨٠/٢. وأرخت وفاته في المختصر وتاريخ ابن الوردي سنة ست وأربعين وستمائة.

(٥) بعده في م: «وسداد».

(٦) كذا قال المصنف، ونقل ذلك عنه صاحب الدارس ٥٥١/١، ولكن لم نجد في المصادر أن الصالح أيوب عوضه عن صرخد، أما في مرآة الزمان ونهاية الأرب فذكر اعتقاله مباشرة، وفي المختصر وتاريخ ابن الوردي جاء أنه اعتقل سنة أربع وأربعين وستمائة ثم حُبس حتى مات في حبسه.

[٣٩/١٠] عليه وعلى أمواله وحواصيله ، فمرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هذا
أخِرُ عهدي . ولم يَكَلِّمْ حتى مات ، ودُفِنَ ببابِ النصرِ بمصرَ ، ثم نُقِلَ إلى تربته
التي فوقَ الوِزَاقَةِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَإِنَّمَا أَرَّخَ السَّبْطُ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

الشَّهَابُ غَازِي بَنُ الْعَادِلِ ^(٢) صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ وَخِلَاطَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ
الْبُلْدَانِ ، كَانَ مِنْ عُقْلَاءِ بَنِي أَيُوبَ وَفُضْلَائِهِمْ ، وَأَهْلِ الدِّيَانَةِ مِنْهُمْ ، وَمَا أُشْهِدَ
قَوْلُهُ ^(٣) :

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْكَ جَالِسٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
فَسِيرُكَ يَا هَذَا كَسِيرِ سَفِينَةٍ بِقَوْمِ جُلُوسٍ وَالْقُلُوعُ تَطِيرُ

(١) كَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهُوَ أَحَدُ التَّأْرِيخِينَ اللَّذِينَ ذَكَرَهُمَا السَّبْطُ ، وَالتَّأْرِيخُ الْأَوَّلُ
هُوَ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةَ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ السَّبْطُ فِي وَفَاتِهَا وَبَعْدَهَا سَاقَ تَرْجَمَتِهِ قَالَ : وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ
فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةَ .

(٢) مَرَّةَ الزَّمَانِ ٧٦٨/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٢٩/٢٩ ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ سَنَةُ سِتِّتٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسِتْمِائَةَ ، وَالْعَبْرَ ١٨٧/٥ ، وَمَرَّةَ الْجَنَانِ ١١٤/٤ .

(٣) انظُرْ مَرَّةَ الزَّمَانِ ٧٦٩/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة

فيها^(١) قديم السلطان الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية إلى دمشق، وجهز الجيوش والمجانيق إلى حمص؛ لأنه كان صاحبها الملك الأشرف موسى بن المنصور بن أسد الدين شيركوه قد قايض بها تلّ باشير لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز، ولما علمت الحلييون بخروج الدماشقة برزوا أيضًا في جحفل عظيم ليمنعوا حمص منهم، وأتفق مجيء الشيخ نجم الدين البادرائي مدرس النظامية ببغداد في رسالة، فأصلح بين الفريقين، وردّ كلاً من الفئتين إلى مستقرها، ولله الحمد.

وفيها قتل مملوك تركي شاب صبي سيده على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة، فضلب الغلام مُسمّراً، وكان شاباً حسناً جداً، فتأسف الناس له لكونه صغيراً ومظلوماً وحسناً، ونظّموا فيه قصائد؛ ومَن نظم فيه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الذيل»^(٢)، وقد أطلال قصته جداً.

وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق من دمشق، عند قصر أم حكيم، فتهدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين، وكان سقوطها نهاراً. وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية،

(١) مرآة الزمان ٧٧٠/٨ - ٧٧٢ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٣٢٥/٢٩ - ٣٢٨، والعبر ١٨٥/٥.

(٢) لعل الذي في الذيل ليس من نظم أبي شامة، فقد قال: وما قيل فيه: وساق القصيدة.

فأحرق جميع حشوها، وكانت سلالها سيقالاتٍ من خشبٍ، وهلك للناس
ودائعٌ كثيرةٌ كانت فيها، وسلّم الله الجامع، ولله الحمد. وقدم السلطان بعد أيامٍ
إلى دمشق، فأمر بإعادتها كما كانت.

قلتُ: ثم احترقت وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمائة، وأعيدت
عمارتها أحسن مما كانت، ولله الحمد، وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية
بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى، عليه السلام، عليها، كما سيأتي
بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى^(١).

ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضًا في محفةٍ إلى الديار المصرية وهو ثقيلٌ
مُدْنِفٌ،^(٢) وما شغله مرضه وما هو فيه^(٣) عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن
الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه، وقد كان سجنه سنة استحوذ
على مصر، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بحنقه، فحُنيق ودُفن بترية
شمس الدولة، فما عمّر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ
حالي وأشدّ مرض، فسبحان من له الخلق والأمر.

وفيهما كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية:

أفضل^(٣) الدين الخونجى، الحكيم المنطقى البارع في ذلك، وكان مع ذلك
جيد السيرة في أحكامه. قال أبو شامة^(٤): أثنى عليه غير واحد.

(١) انظر ما سيأتي في الفتن والملاحم.

(٢ - ٢) في م: «شغله ما هو فيه».

(٣) في م: «فضل». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/٣٣٠،

وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٢٨، والوفى بالوفيات ٥/١٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٠٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

ومن تُوفى فيها :

عليُّ بنُ يحيى ، جمالُ الدين أبو الحسنِ المُخرمِيُّ^(١) ، كان شائباً فاضلاً أديباً شاعراً ماهراً ، صنّف كتاباً مُختصراً وجيزاً جامعاً لفنونٍ كثيرةٍ في الرياضة [٣٩/١٠ظ] والعقلِ وذمُّ الهوى ، وسمّاه « نتائج الأفكار » ، قال فيه من الكَلِمِ المُستفادَةِ الحِكْمِيَّةِ : السلطانُ إمامٌ متَّبوع ، ودينٌ مشروع ، فإن ظلمَ جارتِ الحكامِ لظلمِهِ ، وإن عدلَ لم يَجْزُ أحدٌ في حكمِهِ ، مَنْ مكَّنهُ اللهُ في أرضِهِ وبلادِهِ ، وأثَمَّنَهُ على خلقِهِ وعبادِهِ ، وبسطَ يدهُ وسلطانَهُ ، ورفعَ محلَّهُ ومكانَهُ ، فحَقِيقٌ عليه أن يُؤدِّيَ الأمانةَ ، ويُخْلِصَ الديانةَ ، ويُجَمِّلَ السَّريَةَ ، ويُحَسِّنَ السَّيرَةَ^(٢) ، وَيَجْعَلَ العَدْلَ دأبَهُ المعهودَ ،^(٣) والأمنَ بَحْرَ^(٤) غرضِهِ المقصودَ ، فالظلمُ يُزِلُّ القَدَمَ ، ويُزِيلُ النِّعمَ ، وَيَجْلُبُ النِّقَمَ^(٥) ، وَيُهْلِكُ الأُمَّمَ .

وقال أيضاً : مُعارِضَةُ الطَّيِّبِ تُوجِبُ التَّغْذِيبَ . رَبُّ حِيلَةٍ أَنْفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ .
« الموتُ في طلبِ الثارِ خيرٌ من الحياةِ في العارِ »^(٦) . سَمِينُ الغَضَبِ مَهْزُولٌ ، ووالى العَدْرِ مَعزُولٌ . قلوبُ الحُكَماءِ تَسْتَشِفُّ الأَشْرارَ مِنْ لِحَاتِ الأَبْصارِ . ارضَ مِنْ أحيكِ في ولايَتِهِ بَعْشِرٍ ما كُنْتَ تَعَهْدُهُ مِنْ مودَتِهِ . التَّواضُعُ مِنْ مَصائِدِ الشَّرَفِ . ما أَحْسَنَ حُسنَ الظَّنِّ لولا أن فيه^(٧) العَجْزَ . ما أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ لولا أن فيه الحَزَمَ .

(١) الأعلام للزركلى ١٨٥/٥ ، ومعجم المؤلفين ٧/٢٦١ .

(٢) فى الأصل : « السرية » .

(٣ - ٣) فى م : « والأجر » .

(٤) فى م : « الفقر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « منه » .

وذكر في عُيونِ كلامِهِ أن خادماً لعبدِ اللهِ بنِ عمرٍ أذنبَ ، فأراد ابنُ عمرٍ أن يُعاقِبَهُ على ذنْبِهِ ، فقال : يا سيدي ، أما لك ذنْبٌ تَخافُ اللهُ تعالى منه ؟ قال : بلى . قال : فبالذي أمهَلَكَ لما أمهَلتَنِي . ثم أذنبَ العبدُ ثانياً ، فأراد عُقوبتَهُ ، فقال له مثلَ ذلك ، فعفا عنه ، ثم أذنبَ الثالثةَ ، فعاقِبَهُ وهو لا يَتَكَلَّمُ ، فقال له ابنُ عمرٍ : ما لك لم تُقُلَ ما قلتَ في الأوَّلَيْنِ^(١) ؟ فقال : يا سيدي ، حياءٌ مِن جِلْمِكَ مع تَكَرُّرِ جُزْمِي . فبَكَى ابنُ عمرٍ وقال : أنا أحنُّ بالحياءِ مِن ربي ، أنت حَزْرٌ لوجهِ اللهِ تعالى .

وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدُحُ الخَلِيفَةَ :

يا مَنْ إِذا ضَنَّ^(٢) السَّحابُ بِمائه هَطَلَتْ يَداهُ على البَرِّيَّةِ عَسْجِداً^(٣)
جَوَّزَتْ كِيسرى يا مُبْخَلِ حاتمٍ فغَدَتْ بنو الأمالِ نَحْوَكَ سَجْداً

وقد أوردَ له ابنُ الساعى أشعاراً كثيرةً حسنةً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

الشيخُ أبو عمرو بنُ الحاجبِ المالكي^(٤) عثمانُ بنُ عمرِ بنِ أبي بكرِ بنِ يونسَ الدَّويني^(٥) ثم المصري ، العَلَّامةُ أبو عمرو بنُ الحاجبِ شيخُ المالكية ، كان أبوه حاجباً^(٦) للأميرِ عزِّ الدينِ مُوسى الصَّلاحى ، واشتغل هو بالعلم ، فقرأ

(١) فى الأصل : « الأولين » .

(٢) فى م : « بخل » .

(٣) العسجد : الذهب . الوسيط (عسجد) .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٢٩/٣٣٠ ، وسير أعلام

النبلأ ٢٣/٢٦٤ ، ومعرفة القراء الكبار ٢/٥١٦ ، والطلع السعيد ص ٣٥٢ ، والدياج المذهب ٢/٨٦ ،

وبغية الوعاة ٢/١٣٤ .

(٥) فى الأصل : « الرونى » ، وفى م : « الروينى » ، والمثبت من مصادر الترجمة ، والدوينى نسبة إلى

دوين ؛ بلدة فى نواحى أزان فى آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس . معجم البلدان ٢/٦٣٢ .

(٦) فى الأصل ، م : « صاحبا » ، والمثبت من مصادر الترجمة .

القراءات ، وحرر النحوَ تحريراً بليغاً ، وتفقه وساد أهل عصره ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والعروض والتفسير ، وغير ذلك .

وقد كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستمائة ، ودرّس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في سنة ثمان وثلاثين ، فصارا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالإسكندرية ، ودُفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد .

قال الشيخ أبو شامة^(١) : وكان من أذكى الأمة قريحةً ، وكان ثقةً حجةً متواضعاً عفيفاً ، كثير الحياء ، منصفاً مجتنباً للعلم وأهله ناشراً له ، مُحْتَمِلاً للأذى ، صبوراً على البلوى ، قديم دمشق مرازماً ، آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مُدَرِّساً للمالكية وشيخاً للمُسْتَفِيدِينَ عليه في عِلْمِي القراءاتِ والعربية ، وكان رُكْنًا من أركانِ الدينِ في العلمِ والعملِ ، بارعاً في العلوم^(٢) ، مُتَقِنًا لمذهبِ مالكِ بن أنسٍ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وقد أثنى عليه ابنُ خَلْكَانَ ثناءً كثيراً^(٣) ، وذكر أنه جاء إليه في أداءِ شَهَادَةِ حِينَ كان ابنُ خَلْكَانَ نائِبًا [١٠/٤٠٠و] في الحُكْمِ بِمِصْرَ ، وسأله عن مسألةٍ اِغْتِرَاضِ^(٤) الشَّرْطِ عَلَى الشَّرْطِ ، كإِذَا قَالَ : إِنْ أَكَلْتِ إِنْ شَرِبْتِ فَأَنْتِ طَالِقٌ . لِمَ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٢ .

(٢) بعده في الذيل : «الأصولية وتحقيق علم العربية» .

(٣) وفيات الأعيان ٢٤٨/٣ - ٢٥٠ .

(٤) في الأصل : «دخول» .

كان لا^(١) يَقَعُ الطَّلَاقُ^(٢) حَتَّى تَشْرَبَ^(٣) أَوْلَا؟ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَجَابَ عَنِ ذَلِكَ فِي تُوَدَّةٍ وَشُكُونٍ .

قُلْتُ : لَهُ مُخْتَصَرٌ فِي الْفِقْهِ مِنْ أَحْسَنِ الْمُخْتَصَرَاتِ ، انْتَضَمَ فِيهِ « جَوَاهِرُ^(٣) ابْنِ شَاشٍ » ، وَمُخْتَصَرٌ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عَامَّةَ فَوَائِدِ « الْإِحْكَامِ » لِسَيْفِ الدِّينِ الْآمِدِيِّ ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِحِفْظِهِ ، وَجَمَعْتُ كَرَارِيْسَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا أُوذِعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْيَاثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، وَلَهُ « شَرْحُ الْمُفْصَلِ » وَ « الْأَمَالِي » فِي الْعَرَبِيَّةِ وَ « الْمُقَدِّمَةُ » الْمَشْهُورَةُ فِي النَّحْوِ ، اخْتَصَرَ فِيهَا « مُفْصَلُ الزَّمْخَشَرِيِّ » وَشَرَحَهَا ، وَقَدْ شَرَحَهَا غَيْرُهُ أَيْضًا ، وَلَهُ « التَّصْرِيفُ » وَ « شَرْحُهُ » ، وَلَهُ الْعَرُوضُ عَلَى وَزْنِ الشَّاطِبِيَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : « حَتَّى يَشْرَبَ » . وَفِي م : « حِينَ شَرِبْتَ » . وَالتَّبَيُّنُ مُوَافِقٌ لِسِيَاقِ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ .

(٣) فِي م : « فَوَائِدُ » . وَانظُرْ مَعْجَمَ الْمُؤَلِّفِينَ ٦ / ١٥٨ .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها^(١) كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه المعظم ثوران شاه ، وتولية المعز عز الدين أيك التركمانى على ما سياتى .

وفى رابع المحرم يوم الاثنين توجه السلطان الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية فى محفة . قاله السببط^(٢) : وكان قد نادى فى دمشق : من له عندنا شىء فليأت . فاجتمع خلق كثير بالقلعة ، فدفعت إليهم أموالهم .

وفى عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يعقوب من جهة الصالح أيوب ، فنزل بدرج الشعارين داخل باب الجابية .

وفى جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثه فى وسط باب البريد ، وأمر أن لا يبقى فيه دكان سوى ما فى جانبه إلى جانب الحائطين القبلى والشمالى^(٣) ، وما فى الوسط يهدم . قال أبو شامة^(٤) : وقد كان العادل هدم ذلك ، ثم أعيد ، ثم هدمه ابن يعقوب ، والمزجوا استمراره على هذه الصفة .

وفىها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب ، فأرسل الصالح أيوب إلى نائبه بدمشق جمال الدين بن يعقوب بخراب دار سامة المنسوية إلى الناصر بدمشق ،

(١) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ - ٧٧٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦ ، ونهاية الأرب ٣٣٤/٢٩ - ٣٥٥ ، والعبر ١٩٢/٥ - ١٩٥ .

(٢) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ (القسم الثانى) .

(٣) فى م : « والشامى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٣ .

وَبُشْتَانِهِ الَّذِي بِالْقَابُونِ ، وَهُوَ بُشْتَانُ الْقَصْرِ ، وَأَنْ تُقْلَعَ أَشْجَارُهُ وَيُخْرَبَ الْقَصْرُ ،
وَتَسَلَّمَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ الْكَرَّكَ مِنَ الْأَمْجَدِ حَسَنِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَأُخْرِجَ مَنْ كَانَ بِهَا
مِنْ بَيْتِ الْمُعْظَمِ ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلِهَا وَأَمْوَالِهَا ، فَكَانَ فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ أَلْفُ
أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَقْطَعَ الصَّالِحُ الْأَمْجَدَ هَذَا إِقْطَاعًا جَيِّدًا .

وفيهما ^(١) طغى الماء بيغداداً حتى أثلف شيئاً كثيراً من المحالِّ والدُّورِ الشهيرة ،
وتعدَّرت الجُمُوعُ في أكثرِ الجوامعِ بسببِ ذلك سوى ثلاثةِ جوامعٍ ، ونُقِلَتْ تَوَابِيثُ
جَمَاعِيَةٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى الثَّرَبِ مِنَ الرُّصَافَةِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ تَغْرُقَ مَحَالُّهُمْ ؛
مِنْهُمْ الْمُعْتَصِدُ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ دَفْنِهِ بِنَيْفٍ وَخَمْسِينَ
سَنَةً وَثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَذَا نُقِلَ وَلَدُهُ الْمُكْتَفَى ، ^(٢) وَكَذَا الْمُتَّقَى ^(٣) بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ،
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيهما هَجَمَتِ الْفِرْنَجُ عَلَى دِمْيَاطَ ، فَهَرَبَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ ،
وَاسْتَحْوَذَ الْفِرْنَجُ عَلَى الثَّغْرِ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ
الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فَنَصَبَ السُّلْطَانُ الْمُحَيِّمُ نُجَاهَ الْعَدُوِّ بِجَمِيعِ الْجَيْشِ ، وَشَقَّ ^(٤) خَلْقًا مِّنْ
هَرَبَ مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَوَلَّاهُمْ عَلَى تَرْكِ الْمَصَابِرَةِ قَلِيلًا لِيُزْهِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُمْ ،
وَقَوَى الْمَرْضُ ، وَتَزَايَدَ بِالسُّلْطَانِ جَدًّا ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ تُوفِّيَ
إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَنْصُورَةِ ، فَأَخْفَتَ جَارِيَتُهُ أُمُّ وَلَدِهِ خَلِيلِ الْمَدْعُوءَةِ شَجَرَ الدَّرِّ

(١) لم نقف لهذا الخبر على مصدر ، ولعله في تاريخ ابن الساعى .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل ، وفي م : « وكذا المقتفى » . وهو تصحيف . والتصويب مما تقدم من ترجمة
المقتفى لله في ٣١٤/١٥ في وفيات سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وتقدمت ترجمة المقتفى في ٣٩٣/١٦ في
وفيات سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

(٤) في الأصل : « حبق » . وحقيقه . ضربه بأداة كالجرید أو الحبل أو السوط . الوسيط (ح ب ق) .

موتَه ، وأظهرت أنه مريضٌ مُدْنِفٌ لا يُوصَلُ إليه ، وبقيت تُعَلِّمُ عنه بعلامته سِوَاءَ ، وأعلّمت إلى أعيانِ الأمراءِ ، فأرسلوا إلى ابنه [٤٠/١٠ ظ] الملكِ المُعظَّمِ ثورانشاه ، وهو بحصنٍ كَثِيفًا ، فأقدموه إليهم سريعًا ، وذلك بإشارةِ أكابرِ الأمراءِ ؛ منهم فخرُ الدين بنُ الشيخِ ، فلما قدِمَ إليهم ملكوه عليهم ، وبايعوه أجمعون ، فركب في عَصَائِبِ المُلْكِ ، وقاتل الفرنجَ ، فكسروهم وقتل منهم ثلاثين ألفًا ، وللهِ الحمدُ ، وذلك في أولِ السنةِ الداخلةِ ، ثم قتلوه بعدَ شهرينِ من مُلكِه عليهم ، ضربه بعضُ الأمراءِ - وهو عزُّ الدينِ أَيْتُكُ التُّركمانِي ، ^(١) فضربه في يده ، فقطعَ بعضُ أصابعه ^(٢) ، فهرب إلى قصرٍ من خشبٍ في الحَيِّمِ ، فحاصروه فيه ، وأحرقوه عليه ، فخرج من بابِه مُسْتَجِيرًا برسولِ الخليفةِ ، فلم يَقْبَلوا منه ، فهرب إلى التَّيْلِ ، فانتَمَر فيه ، ثم خرج ، فقُتِلَ سريعًا سَرًّا قَتْلَةً ، وداشوه بأرجلِهِم ، ودُفِنَ كالجيفةِ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . وكان فيمن ضربه البُنْدُقْدَارِيُّ على كتفه ، فخرج السيفُ من تحتِ إبطِه الآخرِ ، وهو يَسْتَعِيثُ فلا يُعَاثُ .

ومَن قُتِلَ في هذه السنةِ :

فخرُ الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ بنِ حَمُوَيْهِ ^(١) ، وكان فاضلاً دِينًا مَهِيَّبًا وقورًا ، خَلِيقًا بالملكِ ، كانت الأمراءُ تُعَظِّمُهُ جَدًّا ، ولو دعاهم إلى مُبايعته بعدَ الصالحِ لما اِخْتَلَفَ عليه اثنان ، ولكنه كان لا يَرَى ذلك ؛ حِمَايَةً لجانِبِ بنِي أَيُوبَ ، قَتَلته الدَاوِيَّةُ مِنَ الفِرْنَجِ شَهِيدًا قبلَ قُدُومِ المُعظَّمِ ثورانشاهِ إلى مصرَ ، في ذِي القَعْدَةِ ،

(١ - ١) في الأصل : « وهو جالس على السماط في يده بالسيف وذلك أنه صالح على أيك التركماني فضربه في يده فأنكاه » .

(٢) مرآة الزمان ٧٧٦/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٠٠ ، ونهاية الأرب ٣٣٨/٢٩ ، والعبر ١٩٤/٥ .

وَنُهَيْتْ أَمْوَالُهُ وَخَوَاصِلُهُ وَخِيُولُهُ ، وَخُرِّبَتْ دَارُهُ ، وَلَمْ يَتْرُكُوا شَيْئًا مِنَ الْأَفْعَالِ
السَّنِيعَةِ الْبَشِيعَةِ إِلَّا صَنَعُوهُ بِهِ ، مَعَ أَنَّ الَّذِينَ تَعَاظَوْا ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاءِ كَانُوا مُعْظَمِينَ
لَهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ . وَمِنْ شَعْرِهِ :

عَصَيْتُ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعِنْدَمَا رَمْتَنِي اللَّيَالِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكِبَرِ
أَطَعْتُ الْهَوَى عَكْسَ الْقَضِيَةِ لِيَتَنَى خُلِقْتُ كَبِيرًا وَانْتَقَلْتُ إِلَى الصَّغَرِ

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة^(١)

فى ثالثِ المحرمِ يومِ الأربعاءِ كان كسرُ المعظمِ ثورانشاهِ للفرنجِ على ثغرِ دِمياطِ، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل: مائة ألفٍ. وغنموا شيئاً كثيراً، وللهِ الحمدُ، ثم قتل جماعةً من الأمراءِ الذين أُسروا، وكان فيمن أُسر ملكُ الإفرنجيين وأخوه، وأُرسِلتِ غفارة^(٢) ملكِ الإفرنجيين إلى دمشق، فلبسها نائبها فى يومِ المؤكِبِ، وكانت من سقرلاط^(٣) أحمر، تحتها فزؤ سنجاب، فأئشَد فى ذلك جماعةً من الشعراءِ فرحاً بما وقع، ودخل الفقراءُ كنيسةَ مزيم، فأقاموا بها سماعاً^(٤)؛ فرحاً بما نصر الله تعالى على النصارى، وكادوا أن يُخرَّبوها، وكانت النصارى يتغلبك وقد فرحوا حين أخذت النصارى دِمياط، فلما كانت هذه الكثرةُ عليهم سَحَموا وُجوة الصُورِ، فأرسل نائبُ البلدِ فجنّاهم، وأمر اليهودَ فصَفَعوهم، ثم لم يُخرُج شهرُ المحرمِ حتى قتل الأمراءِ ابنَ أستاذِهِم المعظمِ ثورانشاهِ، ودفنوه إلى جانبِ التِّلِ من الناحيةِ الأخرى، رجمه اللهُ تعالى، ورجم أسلافه بمثه وكرمه.

(١) مرآة الزمان ٧٧٨/٨ - ٧٨٥ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٣٥٥/٢٩، والعبر ١٩٥/٥ - ٢٠١.

(٢) الغفارة: زردٌ ينسج من الدرود على قدر الرأس يلبس تحت القنوسة. والغفارة: المعطف. والجمع غفائر. اللسان (غ ف ر). وانظر السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٣).

(٣) فى م: «سقرلاط». وفى الذيل على الروضتين: «اسكرلاط»، وفى نهاية الأرب: «اسقلاط». وهو نوع من القماش كان يرد من بلاد أيرلندة لونه قرمزى. السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٤).

(٤) سقط من: م.

تمليك الملك المعز عز الدين أئيك التركمانى مصر

بعد بنى أيوب، وتداول دولة الأتراك

لما قتل الأمراء البحريّة وغيرهم من الصالحية ابن أستاذهم المعظم غياث الدين ثورانشاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب، وكان ملكه بعد أبيه بشهرين كما تقدّم بيانه، ثم لما قُتِلَ وانفصل أمره نادوا فيما بينهم: لا بأس لا بأس. واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أئيك التركمانى، [٤١/١٠] فملكوه عليهم وبايعوه، ولقبوه بالملك المعز، وركبوا إلى القاهرة، ثم بعد خمسة أيام أقاموا لهم صبياً من بنى أيوب ابن عشر سنين، وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف بن المسعود^(١) أقيس بن الكامل، وجعلوا المعز أتابكّه، فكانت السكّة والخطبة باسميهما، وكتبوا أمراء الشام بذلك، فما تمّ لهم الأمر بالشام، بل خرج عن أيديهم، ولم تستقرّ لهم المملكة إلا على الديار المصرية، وكلّ ذلك عن أمر الخاتون شجر الدرّ أم خليل حظيّة الصالح أيوب، فتزوّجت بالمعز، وكانت الخطبة والسكّة باسمها، يُدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها، وكذا تُضرب السكّة باسمها أم خليل، والعلامة على المناشير والتّوابع بخطّها واسمها، مدة ثلاثة أشهر قبل المعز، ثم آل أمرها إلى ما سنذكره من الهوان والقتل.

ذكر ملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن

الناصر فاتح القدس، صاحب حلب، لدمشق حرسها الله تعالى

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم ثورانشاه بن الصالح أيوب

(١) فى الأصل: « المنصور ».

ركب الحلبيون، معهم ابنُ أستاذهم الناصر يوسفُ بنُ العزيزِ محمدِ بنِ الظاهرِ غازی بنِ الناصرِ يوسفَ فاتحِ بيتِ المقدسِ، ومَن كانَ عندهم من ملوكِ بني أيوبَ، منهم الصالحُ إسماعيلُ بنُ العادلِ، وكانَ أحقَّ الموجودين بالملكِ، من حيث السنِّ والعقلُ^(١) والحُرْمَةُ والرِّياسَةُ، ومنهم الناصرُ داوُدُ بنُ المُعظَّمِ بنِ العادلِ، والأشرفُ موسى بنُ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ شيركوه الذى كانَ صاحبَ حمصَ، وغيرُهُم، فجاءوا إلى دمشقَ، فحاصروها فملكوها سريعاً، ونهبت دارَ ابنِ يَغمورِ، وحبس في القلعةِ، وتسلَّموا ما حولها، كبعلبكَ وبُضرى والصَّلَتِ وعجلونَ^(٢) وصَرْخَدَ، وامتنعت عليهم الكركُ والشَّوْبُكُ بالملكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ بنِ الكاملِ، كانَ قد تغلَّبَ عليهما في هذه السنة حينَ قُتِلَ المُعظَّمُ ثورانِشاه، فطلبه المِصريونَ ليُملكوه عليهم، فخافَ مما حلَّ بابنِ عمِّه، فلم يَذْهَبَ إليهم.

ولما استقرَّت يدُ الحلبيينَ على دمشقَ وما حولها جلسَ الناصرُ في القلعةِ، وطيبَ قلوبَ الناسِ، ثم ركبوا إلى غَزَّةَ لِيَتَسَلَّمُوا الدِّيَارَ المِصْرِيَّةَ، فبرزَ إليهم الجيشُ المِصرى، فاقتتلوا معهم أشدَّ القتالِ، فكُسِرَ المِصريونَ أولاً بحيث إنه حُطِبَ للناصرِ بها ذلكَ اليومَ، ثم كانت الدائرةُ على الشاميينَ، فانهزموا وأسرَ من أغميَانِهِم خلقٌ كثيرٌ، وعُديمٌ مِنَ الجيشِ الصالحِ إسماعيلُ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وقد أنشدَ هنا الشيخُ أبو شامةَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى لبعضِهِم^(٣):

(١) فى الأصل: «العقدد»، وفى م: «التعدد». والمثبت ما يستقيم به السياق.

(٢) سقط من: م.

(٣) لم تقف على البيتين فى الذيل على الروضتين، وهما فى المنهل الصافى ٤٢٢/٢، ونسبهما إلى أحمد بن المعلم.

ضَيْعُ إِسْمَاعِيلَ أَمْوَالِنَا وَخَرَّبَ الْمَعْنَى بِلَا مَعْنَى
وَرَا حَ مِنْ جَلَّقَ^(١) هَذَا جِزَا مَنْ أَفْقَرَ النَّاسَ وَمَا اسْتَعْنَى

ذَكَرْ شَيْءٌ مِنْ تَرْجُمَةِ الصَّالِحِ^(٢) أَبِي الْخَيْشِ^(٣) إِسْمَاعِيلَ وَاقِفِ تَرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ .
وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَلِكًا عَاقِلًا حَازِمًا ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ أَطْوَارًا
كَثِيرَةً ، وَقَدْ كَانَ الْأَشْرَفُ مُوسَى أَوْصَى لَهُ بِدِمَشْقَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَلَكَهَا شَهْرًا ،
ثُمَّ انْتَزَعَهَا مِنْهُ أَخُوهُ الْكَامِلُ ، ثُمَّ مَلَكَهَا مِنْ يَدِ الصَّالِحِ أَيُوبَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا ،
فَاسْتَمَرَ فِيهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا مِنْهُ الصَّالِحُ أَيُوبُ عَامَ الْخَوَارِزْمِيَّةِ
سَنَةَ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ ، وَاسْتَقَرَّتْ بِيَدِهِ بَلْدَاهُ بَغْلَبُكُ وَبُضْرَى ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ كَمَا
ذَكَرْنَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، فَلَجَأَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْحَلَبِيَّةِ فِي جَوَارِ النَّاصِرِ
يُوسُفَ صَاحِبِ حَلَبَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا ذَكَرْنَا [٤١٠/١٠ ط] عُدِمَ
بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْمَعْرَكَةِ ، فَلَا يُدْرَى مَا فُعِلَ بِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهُوَ وَاقِفُ
الثُّرَيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ وَدَارِ الْحَدِيثِ وَالْإِقْرَاءِ بِدِمَشْقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَنْ تُوْفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَغْيَانِ وَالْمَشَاهِيرِ :

الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ ثُورَانِشَاهُ بْنُ الصَّالِحِ أَيُوبَ بْنِ الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ^(٤) ، كَانَ

(١) جَلَّقَ : اسْمٌ لِدِمَشْقَ ، أَوْ غَوَّطَهَا . تَاجُ الْعُرُوسِ (ج ل ق) .
(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبِي الْخَيْشِ » . وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الْمَشْتَبِهِ ٢٥٦/١ ، وَتَبْصِيرِ الْمُنْتَبِهِ ١/
٢٨٣ . وَانظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣٤/٢٢ ، وَالْعَبْرَ ١٩٨/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢١٥/٩ ،
وَعَقْدِ الْجَمَانِ ٤٧/١ ، وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي ٤٢٠/٢ . وَوَقَعَ فِي الْعَبْرِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي : « أَبُو
الْخَيْشِ » .

(٣) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٧٨١/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ ص ١٨٥ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٥٩/٢٩ ،
وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩٣/٢٣ ، وَالْعَبْرَ ١٩٩/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٤٤٥/١٠ ، وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى
لِلْسَبْكِ ١٣٤/٨ .

أولاً صاحب حصنٍ كَيْفًا في حياة أبيه ، وكان أبوه يَشْتَدِّعِيهِ إليه في أيامه فلا يُجِيبُهُ ، فلما تُوفِّي أبوه كما ذَكَرْنَا اسْتَدْعَاهُ الْأَمْرَاءُ ، فَأَجَابَهُمْ وَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ ، ثم قتلوه كما ذَكَرْنَا ، وذلك يومَ الاثْنَيْنِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ ، وقد قيل : إنه كان مُتَخَلِّعًا لَا يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ . وقد رُئِيَ أَبُوهُ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِهِ ، وهو يَقُولُ :

قَتَلُوهُ شَرًّا قَتْلَهُ صار للعالمِ مُثْلَهُ
لم يُرَاعُوا فِيهِ إِلَّا لا ولا مَنْ كان قَبْلَهُ
سَتْرَاهُمْ عَنْ قَرِيبٍ لأقلِّ النَّاسِ أُكْلَهُ

وكان ما ذَكَرْنَا مِنْ اقْتِتَالِ الْمَصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ .

ومن عُدمِ فيما بَيْنَ الصَّفَفَيْنِ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فمنهم الشَّمْسُ نُؤْلُؤُ^(١) مُدَبَّرُ مَمَالِكِ الْحَلَبِيِّينَ ، وكان مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الْأَمِيرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

^(٢) و«إِقْفَةُ الْحَافِظِيَّةِ» : وفيها كانت وفاة الخاتونِ أرغون^(٣) الحَافِظِيَّةِ ، سُمِّيَتْ الحَافِظِيَّةُ لِخَدَمَتِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا الْحَافِظَ صَاحِبَ قَلْعَةِ جَعْبَرٍ ، وكانت امرأةً عَاقِلَةً مُدَبَّرَةً ، عُمِّرَتْ دَهْرًا ، ولها أموالٌ جَزِيلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وهي التي كانت تُصَلِّحُ الْأَطْعِمَةَ لِلْمُعِيثِ عَمَرَ بْنِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فَصَادَرَهَا الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، وَأَخَذَ

(١) مرآة الزمان ٧٨٣/٨ (القسم الثاني) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمتها في : الوافي بالوفيات ٣٥١/٨ ، وعقد الجمان ٥٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .

(٣) في م : «أرغوانية» ، وفي عقد الجمان والنجوم الزاهرة : «أرغوان» .

منها أربعمائة صُندوقٍ مِنَ المَالِ، وقد وَقَفَتْ دارَها بدمشقَ على خُدَّامِها،
 واشتَرَتْ بُسْتانَ النَّجيبِ ياقوتِ الذي كان خادِمَ الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدِيِّ،
 وجعلتَ فيه تُوْبَةً وَمَسْجِدًا، ووقَفَتْ عليهما^(١) أَوْقافًا جَيِّدَةً، رَحِمَها اللهُ .
 واقِفُ الأَمِينِيَّةِ التي ببغلبَك، أَمِينُ الدَّولَةِ أَبُو الحَسَنِ غَزَالُ الْمُتَطَبِّبِ^(٢)،
 وزيرُ الصَّالِحِ إِسْماعِيلَ أَبِي الحَيْشِ الذي كان مَشعُومًا على نَفْسِهِ وعلى سُلطانِهِ،
 وسببًا في زَوَالِ النُّعْمَةِ عنه وعن مَخدُومِهِ، وهذا هو وزيرُ السُّوءِ، وقد اتَّهَمَهُ
 السُّبُطُ^(٣) بأنَّه كان مُتَسَتِّرًا^(٤) بالدينِ، وأنَّه لم يَكُنْ له في الحَقِيقَةِ دينٌ، فأراحَ اللهُ
 تعالى مِنْهُ عامَّةَ المُسلمينَ، وكان قتلُهُ في هذه السَّنَةِ لما عُذِمَ الصَّالِحُ إِسْماعِيلُ
 بديارِ مِصرَ؛ عَمَدٌ مِّنْ عَمَدِ مِنَ الأُمراءِ إِلَيْهِ وإِلَى ابنِ يَغْمُورِ ناصِرِ الدينِ،
 فشَنَقُوهُما وصلَّبُوهُما على القلعةِ بِمِصرَ . وقد وُجِدَ لِأَمِينِ الدَّولَةِ غَزَالِ هذا مِنْ
 الأُمُوالِ والتَّحْفِ والجَواهرِ والأثاثِ ما يُساوِي ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وعِشرَةُ
 آلافِ مِجلِدٍ بِخَطِّ مَنسُوبٍ، وغيرُ ذلكِ مِنَ الخَطُوطِ النَّفِيسَةِ الفائِقَةِ .

(١) في الأصل، م: «عليها». والمثبت من الدارس ٢٤٣/٢ نقلًا عن المصنف .
 (٢) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثاني)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٢٣، والعبير ٥/
 ١٩٩، وعقد الجمال ٤٦/١، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .
 (٣) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثاني) .
 (٤) في م: «مستهترا» .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها^(١) عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق، وقدمت عساكر المصريين، فحكّموا على بلاد السواحل إلى حدّ الشريعة^(٢)، فجهّز إليهم الناصر جيشًا، فطردوهم حتى ردّوهم إلى الديار المصرية، وقصروهم عليها.

وتزوّجت في هذه السنة أمّ خليل شجّر الدرّ بالملك المعزّ عزّ الدين أئيك التزكمانيّ، مملوك زوجها الصالح أيوب.

وفيها نقل تابوت الصالح أيوب إلى تربته بمدرسه، وليست الأتراك ثياب الغزاة، [٤٢١/١٠] وتصدّقت أمّ خليل بأموال جزيلة.

وفيها حرّبت الترك دمياط، ونقلوا آلاتها^(٣) إلى مصر، وأخلّوا الجزيرة أيضًا خوفًا من عود الفرج.

وفيها كمل شرح الكتاب المسمّى بـ «نهج البلاغة» في عشرين مجلدًا مما ألفه عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن العلقمي، فأطلق له الوزير مائة دينار وخلعة وفرسا، وامتدّحه عبد الحميد بقصيدة؛ لأنه كان شيعيًا معتزليًا.

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٥، ٧٨٦ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣ - ٤٢٦، وعقد الجمان ١/ ٥٣ - ٥٥.

(٢) الشريعة: أي نهر الشريعة، وهو موضع بالقرب من بيت المقدس. انظر تاج العروس (ش ر ع).

(٣) في م: «الأهالي».

وفى رمضان استُدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة التَّهْرُقُئي مدرسُ
النَّظامية ببغدادَ ، فولى قضاءَ القضاة ببغدادَ مع التَّدریس المذكورِ ، وتخلع عليه .

وفى شعبان^(١) ولى تاج الدين عبد الكريم بن أستاذ دار الشيخ مُحَيى الدين
يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حشبة بغداد بعد أخيه عبد الله الذى
تركها تزهداً عنها ، وتخلع عليه بطرحة ، ورفع على رأسه غاشية ، وركب
الحجاب فى خدمته .

وفى هذه السنة ضلَّيت صلاة العيد يومَ الفطر بعدَ العصر ، وهذا اتفاقٌ
غريبٌ .

وفىها وصل كتاب إلى الخليفة من ملك اليمن صلاح الدين يوسف بن عمر
ابن رسول يذكُر فيه أن رجلاً باليمن خرج يدعى الخلافة ، وأنه أنفذ إليه جيشاً ،
فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه ، وأخذ منه صنعاء ، وهرب هو بنفسه فى
شِرْذمة قليلة من بقى من أصحابه .

وفىها أرسل إليه الخليفة بالخلع والتقليد .

وفىها كانت وفاة بهاء الدين على بن هبة الله بن سلامة الجميزي^(٢)
خطيب القاهرة ، رحل فى صغره إلى العراق ، فسمع شُهدة^(٣) وغيرها ، وكان
فاضلاً ، أتقن معرفة مذهب الشافعي ، رحمه الله تعالى ، وكان ديتاً حسن

(١) فى الأصل : « شوال » .

(٢) فى م : « الحميرى » . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٧٨٦/٨ (القسم الثانى) . والذيل على الروضتين
ص ١٨٧ ، ونهاية الأرب ٤٢٣/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٥٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي
٣٠١/٨ .

(٣) فى م : « بها » . وشهدة : هى شهدة الكاتبة . انظر ترجمتها فى سير أعلام النبلاء ٥٤٢/٢٠ .

الأخلاقِ ، واسعَ الصِّدْرِ ، كثيرَ البرِّ ، قلَّ أن قَدِمَ عليه أحدٌ إلا أطعمه شيئًا ، وقد سمِعَ الكثيرَ على السُّلفيِّ وغيرِه ، وأسمَعَ الناسَ شيئًا كثيرًا من مَروياتِه ، وكانت وفاته في ذى الحِجَّةِ من هذه السنَةِ ، وله تسعون سنَةً ، ودُفِنَ بالقَرافَةِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَقْضَى الْقُضَاةِ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمَّغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ^(١) ، مِنْ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ ، دَرَسَ بِمَشْهَدِ أَبِي حَنيفَةَ ، وَنَابَ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنِ فَضْلَانَ الشَّافِعِيِّ ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي صَالِحِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَنْبَلِيِّ ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُقْبِلِ الْوَاسِطِيِّ ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ اسْتَقْبَلَ الْقَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّمَّغَانِيَّ الْمَذْكُورَ بِوِلَايَةِ الْحَكَمِ بِيغْدَادَ ، وَلُقِّبَ أَقْضَى الْقُضَاةِ^(٢) ، وَدَرَسَ لِلْحَنْفِيَّةِ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ مَشْهُورَ السِّيَرَةِ فِي أَحْكَامِهِ وَتَقْضِيهِ وَإِبْرَامِهِ . وَلَمَّا تُوفِّيَ تَوَلَّى بَعْدَهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِيغْدَادَ شَيْخُ النُّظَامِيَّةِ سِرَاجُ الدِّينِ التَّهْرُقَلِيُّ .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٥٠ ، والجواهر المضية ٢/٣٨١ ، وعقد الجمان ١/٥٦ .

(٢) بعده في م : « ولم يخاطب بقاضى القضاة » .

سنة خمسين وثمانية

فيها^(١) وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا، وإنما لله وإنما إليه راجعون، ووقعوا بتجار^(٢) يسيرون بين حران ورأس العين، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية، وستمائة ألف دينار، وكان عدّة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوًا من عشرة آلاف قتيل، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك، وإنما لله وإنما إليه راجعون.

[١٠/٤٢٠ظ] قال السبّط^(٣): وفيها حجّ الناس من بغداد، وكان لهم عشر سنين لم يحجّوا من زمن المشتنصر.

وفيها^(٤) وقع حريق بحلب، احترق بسببه ستمائة دار، يقال: إن الفرج، لعنهم الله تعالى، ألّقوه فيها قُصداً.

وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن عليّ النهرقليّ أمر المدرسة التاجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوامّ، وجعلوها كالتيسارية يتبايعون فيها مدة طويلة، وهي مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية، وقد كان بانيتها يقال

(١) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/٤٢٦، والعبر ٥/٢٠٤.

(٢) في م: «بسنجار».

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثاني).

(٤) انظر السلوك ١/٣٨٤ (القسم الثاني).

له : تاجُ المُلْك . وزيرُ مَلِكشاهِ السَّلْجُوقِيّ ، وأوّلُ مَنْ درّسَ بها الشَّيْخُ أبو بكرِ الشاشي .

وفيها كانت وفاة جمال الدين بن مطروح^(١) ، وقد كان فاضلاً رئيساً كيساً شاعراً من خيار المتعممين ، ثم استنابه الملك الصالح أيوب في وقت على دمشق ، فليس لبس الجندي . قال السُّبُط^(٢) : وكان لا يَلِيْقُ في ذلك . ومن شعره في الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفِرْنَجِ حين سلّمت إليهم في سنة ست وثلاثين في الدولة الكاملة ، فقال هذا الشاعر ابن مطروح :

المسجد الأقصى له عادةً سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا للكفر مُسْتَوْطِناً أن يبعث الله له ناصراً
فناصر طهره أولاً وناصر طهره آخراً

ولما عزله الصالح عن النيابة أقام حاملاً ، وكان كثير البرّ بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر .

وفيها تُوفِّي شمس الدين محمد بن سعيد المقدسي^(٣) ، الكاتب الحسن الخطّ ، كان كثير الأدب ، سمع الكثير ، وخدم السلطان الصالح إسماعيل والناصر داود ، وكان ذيّناً فاضلاً شاعراً ، له قصيدة يُنصَحُ فيها السلطان الصالح إسماعيل ، وما يَلْقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما من حواشيه^(٤) .

(١) مرآة الزمان ٧٨٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٥٨ ، وفيه أنه توفي سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٧٣ .

(٢) مرآة الزمان ٧٨٩/٨ (القسم الثاني) .

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤٩ ، والوفيات بالوفيات ٣/٩١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٤٨ ، وعقد الجمان ١/٧٤ .

(٤) بعده في حاشية الأصل : « وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون » .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا: عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ «الْمَغْرِبِيُّ أَبُوهُ»^(١)، وَوُلِدَ بِبَغْدَادَ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ، وَعُنِيَ بِطَلْبِ الْعِلْمِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي مَجَلدَاتٍ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي الْحَدِيثِ، وَحَرَّرَ فِيهِ حِكَايَةَ مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشيخ أبو عبد الله محمد بن غانم بن كريم^(٢) الأصبهاني، قديم بغداد، وكان شابًا فاضلاً، فتتلمذ للشيخ شهاب الدين الشهرزردى^(٣)، فانتفع به، وتكلم بعده على الناس في^(٤) التصوف، وفيه لطافة، ومن كلامه في الوعظ: العالم كالذرة في فضاء عظمته، والذرة كالعالم في كتاب حكيمته، الأصول فروغ إذا تجلى جمال أوليته، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفي الوسائط شمس آخريته، أستاذ الليل مسدولة، وشموع الكواكب مشعولة، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل مطرودة مغزولة، ما هذه الوقفة^(٥) والحبيب قد فتح الباب؟! ما هذه الفترة والمولى قد صرف حاجب الحجاب!؟

وَقُوفِي بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ عُقُوقُ إِذَا لَمْ أَرِدْ وَالدمعُ فِيهِ عَقِيقُ
وَإِذْ لَمْ أُمْتُ شَوْقًا إِلَى سَاكِنِ الْحِمَى فَمَا أَنَا فِيمَا أَدَّعِيهِ صَدُوقُ
أَيَا رَبِّعٍ لَيْلِي مَا الْمُحِيطُونَ فِي الْهَوَى سِوَاءَ وَلَا كُلُّ الشَّرَابِ رَحِيقُ

(١ - ١) في الأصل: «المقرى». وانظر ترجمته في عقد الجمان ١/٧٤.

(٢) في الأصل: «عبد الكريم». وانظر ترجمته في عقد الجمان ١/٧٥.

(٣ - ٣) في م: «وكان حسن الطريقة، له يد في التفسير، وله تفسير على طريقة».

(٤) في م: «الوقعة».

(٥) في م: «خرق».

ولا كُلُّ مَنْ يَلْقَاكَ ^(١) يَلْقَاكَ قَلْبُهُ ولا كُلُّ مَنْ يَحْنُو إِلَيْكَ مَشُوقٌ
تَكَاثَرَتِ الدَّعْوَى عَلَى الحُبِّ فَاسْتَوَى أَسِيرُ صَبَابَاتِ الهَوَى وَطَلِيقُ

أيها الآمنون ، هل فيكم مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟ أيها المحبسون في مَطَامِيرِ
مُسْمِيَاتِهِمْ ، هل فيكم سليمان ^(٢) الفَهْمُ لِفَهْمِ رُمُوزِ الوُحُوشِ والأَطْيَارِ؟ هل فيكم
موسى الشوقِ [٤٣/١٠] يقولُ بلسانِ شوقه: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، فقد طال
الانتظار!؟

وقال بعدَ الاستِشْقَاءِ: لما صَعِدَتِ إِلَى اللَّهِ عز وجل نفسُ المُشْتاقِ ، بَكَتْ آماقُ
الآفاقِ ، وجادَتِ بالدَّرِّ مُرْضِعَةُ السَّحَابِ ، فامتَصَّ لَبَنَ الرِّحْمَةِ رَضِيعُ التُّرابِ ،
وخرَجَ مِنْ أَخْلَافِ العِمامِ نِطَافُ المَاءِ النَّمِيرِ ، فاهْتَزَّتْ بِهِ الهامدَةُ وَقَرَّتْ عُيُونُ
العَدِيرِ ^(٣) ، وتَزَيَّنَتِ الرِّياضُ بالسُّنْدُسِ الأخضرِ ، فحَبَّرَ الصَّبِغُ حَبْرَها أَحْسَنَ تَجْبِيرِ ،
وانْفَلَقَ بِأَمْلَةٍ الصُّبا أكامُ الأنوارِ ، وانشَقَّتْ بِنَفْحَاتِ أنفاسِهِ جُيوبُ الأزهارِ ،
ونطَقَتِ أجزاءُ الكائناتِ بِلُغاتِ صفاتِها وعاداتِ عِبْرِها: أيُّها النائمون تيقظوا ، أيها
المستعدون ^(٤) تعرَّضوا: ﴿فَانظُرْ إِلَى ءَأَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِها إِنَّ ذَليكَ لَمُعْجَى المَوْجِ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

أبو الفتح نصرُ اللَّهِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ الباقي بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ
يحيى بنِ بصاقة ^(٥) الغفاري الكِنانِي المِصرِي ، ثم الدَّمَشقي ، كان مِنْ أَحْصَاءِ

(١) في م: «تلقاه».

(٢) في م: «سليم».

(٣) في م: «المدري».

(٤) في م: «المبعدون».

(٥) في الأصل: «براقه»، وفي م: «صاقعة». والمثبت من مصادر ترجمته: فوات الوفيات ٤/١٨٧،
والسلوك ١/٣٨٥ (القسم الأول)، وعقد الجمان ١/٧٥.

الملك المعظم وولده الناصر داود، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين
وستمائة، وكان أديباً مليحاً المحاضرة، ومن شعره:

ولما أبيتكم سادتي عن زيارتي وعوضتُموني بالبعادِ عن القربِ
ولم تسمَحوا بالوصولِ في حالِ يقظتي ولم يَصْطَبِرْ عنكم لِرِقَّتِهِ قلبِي
نصبتُ لصيدِ الطيفِ جفني جبالاً فأذركُ خفضَ العيشِ بالنومِ والنصبِ

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها^(١) دخل الشيخ نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأصلح بين الجيشين، وكانوا قد اشتدَّت الحرب بينهم ونشبت، وقد مألأ الجيش المصري الفرج، ووعدهم أن يُسلّموا إليهم بيت المقدس إن نصرّوهم على الشاميّين، وجرت خطوب كثيرة، فأصلح بينهم وخلص جماعة من ثبوت الملوك من الديار المصرية؛ منهم أولاد الصالح إسماعيل، وبنو الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم، فجزاه الله خيراً.

وفيها، فيما ذكر ابن الساعي، كان رجلٌ ببغداد على رأسه^(٢) زبادي قاشاني^٢، فزلق فتكسرت، ووقف يتكى، فتألم الناس له لفقره وحاجته، وأنه لم يكن يملك غيرها، فأعطاه رجلٌ من الحاضرين ديناراً، فلما أخذه نظر فيه طويلاً، ثم قال: والله هذا الدينار أعرفه، وقد ذهب مني في جملة دنائير عام أول، فشمته بعض الحاضرين، فقال له ذلك الرجل: فما علامة ما قلت؟ قال: زنة هذا كذا وكذا. وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً، فوزنوه فوجدوه^(٣) كما ذكر، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين ديناراً، وكان قد وجدها^٣، كما قال، حين

(١) مرآة الزمان ٧٨٩/٨، ٧٩٠ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ١٨٨، ونهاية الأرب ٤٢٦/٢٩.

(٢ - ٢) في م: «قاسبي». والزبادي: جمع زبديّة، وهي وعاء من خزف. وقاشاني: نسبة إلى قاشان، وهي مدينة قرب أصفهان. انظر تاج العروس، والوسيط (ز ب د)، ومعجم البلدان ١٠/٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

سَقَطَتْ مِنْهُ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا أَنْ رَجُلًا بِمَكَّةَ نَزَعَ ثِيَابَهُ لِيُعْتَسِلَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، وَأَخْرَجَ مِنْ عَضْدِهِ دُمْلُجًا^(١) زِنْتَهُ خَمْسُونَ مِثْقَالًا ، فَوَضَعَهُ مَعَ ثِيَابِهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ اغْتِسَالِهِ لَيْسَ ثِيَابَهُ ، وَنَسِيَ الدُّمْلَجَ وَمَضَى ، وَصَارَ إِلَى بَغدَادَ ، وَبَقِيَ مَدَّةَ سِنَتَيْنِ^(٢) بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَيْسَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى شَيْءٍ يَسِيرٍ ، فَاشْتَرَى بِهِ زُجَاجًا مِنَ الْقَوَارِيرِ لِيَبِيعَهَا وَيَتَكَسَّبَ بِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بِهَا إِذْ تَعَسَّ^(٣) ، فَسَقَطَتِ الْقَوَارِيرُ ، فَتَكَسَّرَتِ فَوْقَ يَتِيكِي ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَتَأَلَّمُونَ لَهُ ، فَقَالَ فِي جُمْلَةٍ كَلَامِهِ : وَاللَّهِ يَا جَمَاعَةَ ، لَقَدْ ذَهَبَ مِنِّي مِنْ مَدَّةِ سِنَتَيْنِ دُمْلُجٌ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدَ بئرِ زَمْزَمَ زِنْتَهُ خَمْسُونَ مِثْقَالًا ، مَا تَأَلَّمْتُ لِفَقْدِهِ مَا تَأَلَّمْتُ لِتَكْسِيرِ هَذِهِ الْقَوَارِيرِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ هَذِهِ كَانَتْ جَمِيعَ مَا أَمْلِكُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ : فَأَنَا وَاللَّهِ لَقَيْتُ [٤٣/١٠ ظ] ذَلِكَ الدُّمْلَجَ . وَأَخْرَجَهُ مِنْ عَضْدِهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ وَالْحَاضِرُونَ .

(١) الدُّمْلُجُ: الحُلِيُّ . لسان العرب (دملج) .

(٢) فِي الْأَصْلِ: «سِنِينَ» .

(٣) تعس: انكب فعثر، فسقط على يديه وفمه . لسان العرب (ت ع س) .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائة^(١)

قال سيبطُ ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان»^(٢): فيها وردت الأخبار من مكة، شرفها الله تعالى، بأن نارًا ظهرت في أرضِ عَدَنَ في بعضِ جبالها، بحيث إنه يطيرُ شررُها إلى البحرِ في الليلِ، ويضعُدُ منها دُخانٌ عظيمٌ في أثناءِ النهارِ، فما شكوا أنها النارُ التي ذكرَ النبي ﷺ، أنها تَظْهَرُ في آخِرِ الزمانِ^(٣)، فتاب الناسُ، وأقلَعوا عما كانوا عليه مِنَ المَظالمِ والفسادِ، وشرَعوا في أفعالِ الخيرِ والصدقاتِ.

وفيها قديمُ الفارسِ أَقْطاي^(٤) مِنَ الصَّعِيدِ، وقد نَهَبَ أموالَ المسلمين، وأسرَ بعضَهم، ومعه جماعةٌ مِنَ البَحْرِيَةِ المُفسِدِينَ في الأَرْضِ، وقد بَغَوْا وطَعَوْا وتَجَبَّرُوا، ولا يَلْتَفِتُونَ إلى المَلِكِ المُعَرِّ أَيْنِك التُّرْكُمَانِي، ولا إلى زوجتهِ شَجَرِ الدُّرِّ، فشاورَ المُعَرِّ زوجتهِ شَجَرِ الدُّرِّ في قتلِ أَقْطاي، فأذنتَ له، فعَمِلَ عليه حتى قَتَلَهُ في هذهِ السَنَةِ بِالقَلْعَةِ المنصُورَةِ بِمِصْرَ، فاستراحَ المسلمونَ مِن شرِّه، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وفيها درَّسَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بَنُ عَبْدِ السَّلَامِ بِمَدْرَسَةِ الصَّالِحِ أَيُوبَ بَيْنَ القَصْرَيْنِ.

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٧ - ٤٣٨.

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩١ (القسم الثاني).

(٣) تقدم تخريجه في ٩/ ٢٩٧.

(٤) في الأصل: «أقطايا». وكذا في مرآة الجنان ٤/ ١٢٨.

وفيها قَدِمَت بنتُ ملكِ الرومِ في تَجْمِيلِ عَظِيمٍ وإقاماتٍ هائلةٍ إلى دمشق زوجةً لصاحبها الناصرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ، وجرت أوقاتُ حافلةً بدمشق بسببها.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ:

(١) الخُسْرُو شَاهِيُّ الْمُتَكَلِّمِ: عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ عَيْسَى، الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ (١) الخُسْرُو شَاهِيُّ، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمَنْ اشْتَغَلَ عَلَى الْفَخْرِ الرَّازِيِّ فِي الْأَصُولِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَدِمَ الشَّامَ، فَلَزِمَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ دَاوُدَ بْنَ الْمُعْظَمِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ. قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٢): وَكَانَ شَيْخًا مَهِيْبًا فَاضِلًا مُتَوَاضِعًا، حَسَنَ الظَّاهِرِ، رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال السُّبْطُ^(٣): وَكَانَ مُتَوَاضِعًا كَيْسًا، مَحْضَرًا خَيْرًا، لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ آذَى أَحَدًا، إِنْ قَدَرَ عَلَى نَفْعٍ وَإِلَّا سَكَتَ، تُوفِّيَ بِدَمَشَقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ عَلَى بَابِ تَرْبِيَةِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ، رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، صَاحِبُ «الْأَحْكَامِ»^(٤) عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ^(٥)، جَدُّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وُلِدَ فِي حَدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ^(٦)

(١) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني)، والذيل على

الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٢١١/٥، وفوات الوفيات ٢٥٧/٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٣) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) العبر ٢١٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٢٩١/٢٣، وفوات الوفيات ٣٢٣/٢، وعقد الجمان ٩٧/١،

والذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٩/٢.

^(١) وخمسمائة، وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين، وسمع الكثير،
ورحل إلى البلاد، وبرع في الحديث والفقهِ وغيره، ودرّس وأفتى وانتفع به
الطلبة، ومات يومَ الفطرِ بحرّان^(١).

الشيخ كمال الدين بن طلحة^(٢)، الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الدواعي،
ثم عُزل وصار إلى الجزيرة، فولى قضاء نصيبين، ثم صار إلى حلب، فتوفى بها
في هذه السنة.

قال أبو شامة^(٣): وكان فاضلاً عالماً، طُلب أن يلى الوزارة، فامتنع من
ذلك، وكان هذا من التأييد، رحمه الله تعالى.

السديد^(٤) بن علان، آخِرُ مَنْ رَوَى عن الحافظ ابن عساكر سماعاً بدمشق.
الناصح فرج بن عبد الله الحبشي^(٥)، كان كثير السماع مُسنِداً خيراً صالحاً
مواظباً على سماع الحديث وإسماعه، إلى أن مات بدار الحديث الثورية بدمشق،
رحمه الله.

الثورة بن صلاح الدين يوسف بن أيوب^(٦)، توفى بحلب في هذه السنة.
وآخرون رحمهم الله أجمعين.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٢١٣/٥، ومراة الجنان ١٢٨/٤، والسلوك ٣٩٦/١
(القسم الثاني)، وعقد الجمان ٩٤/١.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٤) في م: «السيد». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/
٢٨٦، والعبر ٢١٣/٥، ومراة الجنان ١٢٩/٤، وعقد الجمان ٩٥/١.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وتكملة الإكمال ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٠، والعبر
٢١٣/٥، وعقد الجمان ٩٥/١.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة^(١)

قال السَّبْطُ^(٢) : فيها عاد الناصر داودُ من الأنبارِ إلى دمشقَ ، ثم عاد وحجَّ من العراقِ ، وأصلحَ بينَ العراقيينَ وأهلِ مكَّةَ ، ثم عاد معهم إلى الحِلَّةِ^(٣) .

قال أبو شامة^(٤) : [٤٤/١٠] وفيها في ليلة الاثنين ثامنَ عشرَ صفرٍ ، تُوفِّي بحلبَ الشيخُ الفقيهُ :

ضياءُ الدينِ صَفْرُ^(٥) بنُ يحيى بنِ سالمٍ ، وكان فاضلاً دَيِّناً ، ومن شعره قوله
رحمه الله تعالى :

مَنْ ادَّعى أَنْ لَهُ حَالَةً تُخْرِجُهُ عَنْ مَنْهَجِ الشَّرِيعِ
فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ صَاحِبًا فَإِنَّهُ ضُرٌّ بِلَا نَفْعِ

واقفُ القُوصِيَّةِ ، أبو العربِ^(٦) إسماعيلُ بنُ حامدِ بنِ عبدِ الرحمنِ
الأنصاريِّ القُوصيِّ ، واقفُ دارِهِ بالقربِ مِنَ الرَّحْبَةِ على أهلِ الحديثِ ، وبها

(١) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨ ، ونهاية الأرب ٤٢٩/٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني) .

(٣) الحِلَّةُ بفتح الحاء : قرية مشهورة في طرف دُجَيْلِ بغداد من ناحية البرية ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ .

ودجيل : نهر . والحلة بكسر الحاء : علم لعدة مواضع بالعراق . انظر معجم البلدان ٣٢٢/٢ ، ٣٢٣ .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٣/٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٤/٧ .

(٥) في الذيل على الروضتين : « سقر » .

(٦) في الأصل ، م : « العز » ، والمثبت من مصادر الترجمة : الذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وسير أعلام

النبلأ ٢٣/٢٨٨ ، والوافي بالوفيات ١٠٥/٩ ، والنجوم الزاهرة ٣٥/٧ .

قبره، وكان مُدْرَسًا بحلقة جمال الإسلام تُجاة البرادة^(١)، فَعُرِفَتْ به، وكان ظريفًا مطبوعًا، حسنَ المحاضرة، وقد جمع له مُعْجَمًا حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة.

قال أبو شامة^(٢): وقد طالعتُه بخطه فرأيتُ فيه أعاليط وأوهامًا في أسماء الرجال وغيرها، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادة بن دُلَيْمٍ، فقال: سعدُ ابنُ عبادة بن الصامت. وهذا غلطٌ فاحشٌ. وقال في مسند^(٣) خرقه التصوف، فغلط وصحَّف حبيبا^(٤) أبا محمد: مُحْسِنًا. قال أبو شامة^(٥): رأيتُ ذلك بخطه، وكانت وفاته يومَ الاثنين سابعَ عشرَ ربيعِ الأولِ من هذه السنة، رحمه الله.

وقد تُوفِّي الشريفُ المُرْتَضَى^(٦) نقيبُ الأشرافِ بحلب، وكانت وفاته بها، رحمه الله تعالى.

(١) في م: «البدارة». وانظر الدارس ٤٣٨/١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣) في م: «شدة». وفي الذيل: «سنه».

(٤) في م: «حيبا».

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/٤١٠.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها^(١) كان ظهورُ النارِ من أرضِ الحِجَازِ التي أضاءت لها أغناقُ الإبلِ
يُبْصِرُ، كما نطقَ بذلكَ الحديثُ المُتَّفَقُ عليه، وقد بسَطَ القولُ في ذلكَ الشيخُ
الإمامُ العَلَّامةُ الحافظُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ المُقدِّسِي في كتابه «الذَّيْلُ»^(٢)
وشرَّحه واختصره، واستَحْضَره من كتبٍ كثيرةٍ ورَدت مُتَوَاتِرَةً إلى دمشقٍ من
أرضِ الحِجَازِ بصفةٍ أمرِ هذه النارِ التي سُوهِدَت مُعَايِنَةً، وكيفيةِ خُروجِها وأمرِها،
وهذا مُحَرَّرٌ في كتابٍ دَلَّائِلِ الثُّبُوتِ مِنَ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، في أوائلِ هذا الكتابِ،
وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

ومُلَخَّصٌ ما أُوْرده أبو شامةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه قال: وجاء إلى دمشقَ كُتُبٌ
من المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، على ساكنِها أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، بِخُروجِ نارٍ عِنْدَهُم في
خامسِ جُمادَى الآخِرَةِ من هذه السَّنَةِ، وكُتِبَتِ الكُتُبُ في خامسِ رَجَبٍ، والنَّارُ
بِحَالِهَا، وَوَصَلَتِ الكُتُبُ إلينا في عَاشِرِ شَعْبَانَ. ثم قال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَرَدَ إلى مَدِينَةِ دِمَشقَ، حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى، في
أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةِ كُتُبٌ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فِيهَا شَرُوحٌ أَمِيرٍ عَظِيمٍ حَدَّثَ بِهَا، فِيهِ تَصْدِيقٌ لِمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ - ١٩٥، ونهاية الأرب ٤٤١/٢٩ - ٤٥٥، والعبر ٢١٥/٥ -

٢٢٠، ودول الإسلام ١٥٨/٢، ١٥٩، والمختصر في أخبار البشر ١٩١/٣، ١٩٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ٩.

(٣) تقدم تخريجه في ٢٩٧/٩.

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج ناز من أرض الحجاز تُضيء^(١) أعناق الإبل ببصرى » . فأخبرني بعض من أئق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوءها الكتب . قال : وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكأن في دار كل واحد منا سراجا ، ولم يكن لها^(٢) حرٌّ ولَفَحٌ^(٣) على عظيمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة - يعني النبوية - دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض^(٤) والحيطان والشقوق والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت ناز عظيمة [١٠ / ٤٤٤] في الحرّة قريبة من قريظة تُبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهى ناز عظيمة ، إشعالها أكثر من ثلاث منائر ، وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادى شظا^(٥) مسيل الماء ، وقد سدّت سبيل شظا وما عاد بسبيل ، والله لقد طلغنا جماعة تُبصرها ، فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدّت الحرّة طريق الحاج العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرّة ، فوقفت بعدما أشفقنا أن نجيء إلينا ، ورجعت تسيّر في الشرق ، ويخرج من وسطها سهول^(٥) وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أمودج عما أخبر الله تعالى في كتابه : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾

(١) بعده في م : « لها » .

(٢) - ٢) في الذيل : « ضوء » .

(٣) في الذيل : « المدينة » .

(٤) شظا : جبل بمكة أو قرب مكة . معجم البلدان ٣ / ٢٩٢ .

(٥) في الأصل ، م : « سهود » .

كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صُفْرًا ﴿ [المسلمات: ٣٢، ٣٣]. وقد أَكَلَتِ الْأَرْضُ. وقد كَتَبْتُ هذا الكتابَ يومَ خامسِ رجبِ سنةٍ أربعٍ وخمسينٍ وستِّمائيةٍ، والنارُ في زيادةٍ ما تَغَيَّرَتْ، وقد عَادَتْ إلى الحِجْرَارِ في قُرَيْظَةَ طريقِ عَمِيرِ الحَاجِّ العِرَاقِيِّ إلى الحِرَّةِ^(١) كُلِّهَا نيرانًا تَشْتَعِلُ، نُبَصِّرُهَا في اللَّيْلِ مِنَ المَدِينَةِ كَأَنَّهَا مَشَاعِلُ الحَاجِّ. وَأَمَّا أُمَّ^(٢) النَّارِ الكَبِيرَةِ فَهِيَ جِبَالُ نيرانِ حُمُرٍ، والأُمَّ الكَبِيرَةُ التي سالتِ النَّيرانُ مِنْهَا مِنْ عِنْدِ قُرَيْظَةَ، وقد زَادَتْ وما عادَ النَّاسُ يَدْرُونَ^(٣) أَيُّ شَيْءٍ يَتِمُّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ يَجْعَلُ العَاقِبَةَ إلى خَيْرٍ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ هذه النَّارَ.

قال أبو شامة^(٤): وفي كتابِ آخَرَ: ظَهَرَ في أوَّلِ جُمادَى مِنَ الآخِرَةِ سنةً أربعٍ وخمسينٍ وستِّمائيةٍ، ووقِعَ في شَرَقِيِّ المَدِينَةِ المُشْرِفَةِ، نارٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَها وَبَيْنَ المَدِينَةِ نِصْفُ يَوْمٍ، انْفَجَرَتْ مِنَ الْأَرْضِ، وسالَ مِنْها وادٍ مِنَ نارٍ حَتَّى حادَى جَبَلَ أُحُدٍ، ثم وَقَفَتْ وعادَتْ إلى السَّاعَةِ، ولا نَدْرِي ماذا تَفْعَلُ؟ ووَقْتُ ما ظَهَرَتْ دَخَلَ أَهْلُ المَدِينَةِ إلى نَبِيِّهم، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مُسْتَغْفِرِينَ تائِبِينَ إلى رَبِّهم تَعَالَى، وهذه دَلالُ القِيامَةِ.

قال^(٥): وفي كتابِ آخَرَ: لما كان يَوْمُ الاثْنينِ مُسْتَهَلَّ جُمادَى الآخِرَةِ، سنةً أربعٍ وخمسينٍ وستِّمائيةٍ وَقَعَ بِالمَدِينَةِ صَوْتُ يُشْبِهُ صَوْتَ الرَّعْدِ البَعِيدِ تارَةً وتارَةً، أَقامَ على هذه الحَالِ يَوْمينِ، فلما كانت لَيْلَةُ الأربَعاءِ ثالِثَ الشَّهِرِ المذکورِ تَعَقَّبَ

(١) في الأصل: «الحيرة».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) في الذيل: «يرون».

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ٩.

(٥) المصدر السابق ص ١٩١.

الصوت الذى كنا نسمعه زلازل، فتقيم^(١) على هذه الحال ثلاثة أيام يقع فى اليوم واليلة أربع عشرة زلزلة^(٢)، فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بناير عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ، وهى برأى العين من المدينة، نشاهدها وهى ترمى بشرير كالقصر، كما قال الله تعالى، وهى بموضع يقال له: أخيلين^(٣). وقد سال من هذه النار وإد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامة ونصفا، وهى تجرى على وجه الأرض، ويخرج منها أمهاد وجبال صغار، ويسير على وجه الأرض، وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الأنك^(٤)، فإذا جمد^(٥) صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر، وقد حصل بطريق هذه النار إقلاغ عن المعاصى، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٦): ومن كتاب شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن تميلة^(٧) الحسينى قاضى المدينة إلى [٤٥/١٠] بعض أصحابه؛ لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت باقى تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «أحلب»، وفى م: «أجلين»، وفى الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان: «أجلين». والمثبت من النجوم الزاهرة ١٨/٧.

(٤) الأنك: هو الرصاص الأبيض. وقيل: الأسود. وقيل: الخالص منه. النهاية ٧٧/١.

(٥) فى الذيل: «حمد». وانظر النجوم الزاهرة ١٨/٧.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩١.

(٧) فى الأصل: «قتله»، وفى الذيل: «تميلة». وانظر ذيل مرآة الزمان ٦/١، والنجوم الزاهرة ١٨/٧.

عَشْرٍ نَوْبَاتٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ زَلَزَلَتْ مَرَّةً وَنَحْنُ حَوْلَ حَجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، اضْطَرَبَ لَهَا الْمَيْبَرُ إِلَى أَنْ أُوجِسْنَا مِنْهُ ^(١) صَوْتًا لِلْحَدِيدِ الَّذِي فِيهِ ، وَاضْطَرَبَتْ قَنَادِيلُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ، وَتَمَّتْ الزَّلْزَلَةُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ صُحْحِي ، وَلَهَا دَوِيٌّ مِثْلُ دَوِيِّ الرَّعْدِ الْقَاصِفِ ، ثُمَّ طَلَعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي طَرِيقِ الْحَرَّةِ ^(٢) فِي رَأْسِ جَبَلَيْنِ ^(٣) نَارٌ عَظِيمَةٌ مِثْلُ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَمَا بَانَتْ لَنَا إِلَّا لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا ، وَخِفْنَا خَوْفًا عَظِيمًا ، وَطَلَعْتُ إِلَى الْأَمِيرِ وَكَلَّمْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ أَحَاطَ بِنَا الْعَذَابُ ، ازْجِعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . فَأَعْتَقَ كُلَّ مَمَالِكِهِ ، وَرَدَّ عَلَى جَمَاعَةِ أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قُلْتُ : اهْبِطِ السَّاعَةَ مَعَنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَهَبَطَ وَبَثْنَا لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَالنَّاسُ جَمِيعُهُمْ وَالنِّسْوَانُ وَأَوْلَادُهُمْ ، وَلَا بَقِيَ أَحَدٌ لَا فِي النَّخِيلِ وَلَا فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، ^(٤) وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا ، وَظَهَرَ ضَوْؤُهَا إِلَى أَنْ أَبْصَرْتُ مِنْ مَكَّةَ وَمِنَ الْفَلَاةِ جَمِيعَهَا . ثُمَّ سَأَلَ مِنْهَا نَهْرٌ مِنْ نَارٍ ، وَأَخَذَ فِي ^(٥) وَادِي أُجَيْلَيْنِ ^(٥) وَسَدَّ الطَّرِيقَ ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى بَحْرَةِ ^(٦) الْحَاجِّجِ ، وَهُوَ بَحْرٌ نَارٌ يَجْرِي ، وَفَوْقَهُ جَمْرٌ يَسِيرُ إِلَى أَنْ قَطَعْتَ الْوَادِيَّ ؛ وَادِي الشُّطَّا ، وَمَا عَادَ يَجْرِي ^(٧) فِي الْوَادِي سَيْلٌ قَطُّ ؛ لِأَنَّهَا ^(٨) حَفَرْتُهُ نَحْوَ ^(٨) قَامَتَيْنِ

(١) بعده في م : « إذ سمعنا » ، وأوجسنا منه : وقع في نفوسنا الخوف . والوجس : الفرع يقع في القلب

أو في السمع من صوت أو غير ذلك . انظر اللسان والوسيط (و ج س) .

(٢) في الأصل : « البصرة » .

(٣) في م : « أجيلين » . وفي الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجيلين » . وانظر النجوم الزاهرة

١٨/٧ .

(٤) (٤ - ٤) سقط من الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٥) (٥ - ٥) في الأصل : « واد بين أجيلين » ، وفي م : « وادى أجيلين » . والذيل على الروضتين وذيل مرآة

الزمان : « وادى أجيلين » . والمثبت من نسخة لذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة ١٨/٧ .

(٦) البحرة من الأرض : الواسعة والمنخفضة . تاج العروس (ب ح ر) .

(٧) في الأصل ، م ، والذيل على الروضتين : « يجيء » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة .

(٨) (٨ - ٨) في الأصل ، والذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « حرة تجيء » ، وفي م : « حضرته

نحو » . والمثبت من نسخة من ذيل مرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة .

وثلث غلؤها ، وباللَّه يا أحمى إن عيشتنا اليوم مُكَدَّرَةٌ ، والمدينةُ قد تاب جميع أهلها ، ولا بقی يُسمَعُ فيها رَبَابٌ ، ولا دُفٌّ ولا شُرْبٌ ، وتمَّت النارُ تَسِيرٌ^(١) إلى أن سَدَّتْ بعضَ طريقِ الحاجِّ وبعضَ بَحْرَةِ الحاجِّ ، وجاء في الوادى إلينا منها قَتِيرٌ^(٢) ، وخبفنا أنه يَجِيئُنا ، فاجتَمَعَ الناسُ ، ودخلوا على النبي ﷺ ، وباتوا^(٣) عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قَتِيرُها الذى مما يَلِينا فقد طَفَى بِقَدْرَةِ اللَّهِ ، سبحانه وتعالى ، وأنها إلى الساعة ما نَقَصَتْ إلا تَرَى مثلَ الجِمالِ حِجَارَةً من نارٍ ، ولها دَوِيُّ ما يَدْعُنَا نَزَقُدْ ولا نَأْكُلْ ولا نَشْرَبُ ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ لك عِظَمَها ، ولا ما فيها مِنَ الأَهْوالِ ، وأبصرها أهلُ يَثِيبِ^(٤) وندبوا قاضيهم ابنَ أسْعَدَ ، وجاء وعدا إليها ، وما أصبحَ^(٥) يَقْدِرُ يَصِفُها من عِظَمِها ، وكتبَ الكُتَّابُ يومَ خامسِ رجبٍ ، وهى على حالِها ، والناسُ منها خائفون ، والشمسُ والقمرُ من يومَ طَلَعَتْ ما يَطْلُعانِ إلا كاسِفَيْنِ ، فَنَسَأَلُ اللَّهُ العافيةَ .

قال أبو شامة^(٦) : وبان عندنا بدمشق أثرُ الكُسوفِ من ضعفِ نُورِهما على الحيطانِ ، وكنا حيارى من ذلك 'أَيْشِ هو؟'^(٧) إلى أن جاءنا الخَيْرُ عن هذه النارِ . قلتُ : وكان أبو شامة قد أرخَ قبلَ مَجِيءِ الكُتْبِ بأمرِ هذه النارِ ، فقال^(٨) : وفيها فى ليلةِ الاثنينِ السادسِ عشرَ من جُمادى الآخرةِ خسَفَ القمرُ أولَ الليلِ ،

(١) فى م : « تسيل » .

(٢) فى م : « تسير » .

(٣) فى م : « تابوا » .

(٤) ينبع : موضع عن يمين رَضْوَى - جبل بالمدينة - لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر وهى قرية كبيرة . معجم ما استعجم ٦٥٦/٢ .

(٥) فى الأصل : « يصبح » ، وفى م : « أصبح » . والمثبت من الذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩٢ .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م .

(٨) المصدر السابق ص ١٨٩ .

وكان شديد الحمرة، ثم انجلى، وكسفت الشمس، وفي غده احمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون، ضعيفة النور، والله تعالى على كل شيء قدير، ثم قال^(١): واتضح بذلك ما صورّه الشافعي من اجتماع الكسوف والعيد، واستتبعده أهل النجامة. ثم قال أبو شامة^(٢): ومن كتاب آخر من بعض [٤٥/١٠] بنى الفاشاني^(٣) بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق، وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أشوار بغداد إلى البلد، وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً، وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير^(٤) بل تلف كله^(٥)، وأشرف الناس على الهلاك، وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد، وتخترق أزقة بغداد.

قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم؛ لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها يومين، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد^(٦) ساعة بعد ساعة - وما في السماء غيم حتى نقول إنه منه - يومين إلى ليلة الأربعاء، ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوى الرعد^(٧)، فانزعج لها الناس كلهم، وانتبهوا من

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢.

(٣) في الأصل الفاء غير منقوطة، وفي ذيل مرآة الزمان ونهاية الأرب ٢٩/٤٥٢: «الفاشاني» بالقاف. والفاشاني نسبة إلى قرية من قرى مرو يقال لها: فاشان. والفاشاني نسبة إلى فاشان وهي بلدة عند قم. انظر الأنساب ٤/٣٣٨، ٤٢٦.

(٤) في م: «طفح».

(٥ - ٥) سقط من: م. وفي الأصل: «تلف». والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٦ - ٦) سقط من: م.

مراقديهم ، وضجَّ الناس بالاستغفارِ إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد ، وصلُّوا فيه ، وتمَّت تزجُّفُ الناسِ ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى الصبحِ ؛ وذلك اليومَ كلُّه يومَ الأربعاءِ وليلةَ الخميسِ كلِّها^(١) ويومَ الخميسِ^(٢) وليلةَ الجمعةِ . وصبَحَ يومَ الجمعةِ^(٣) ارتجَّت الأرضُ رجَّةً قويَّةً إلى أن اضطربَ منارُ المسجدِ بعضُه ببعضٍ ، وشمِع لسقفِ المسجدِ صريرٌ عظيمٌ ، وأشفقَ الناسُ من دُنوبهم ، وسكنت الزلزلةُ بعدَ صُبحِ يومِ الجمعةِ إلى قبلِ الظهرِ ، ثم ظهرت عندنا بالحجزةِ وراءَ قُرَيْظَةَ على طريقِ السُّورِاقِيَّةِ^(٤) بالمقاعِدِ مسيرةً من الصبحِ إلى الظهرِ نارٌ عظيمةٌ تنفجرُ من الأرضِ ، فازتاع لها الناسُ روعةً عظيمةً ، ثم ظهر لها دُخانٌ عظيمٌ في السماءِ يتعقدُ^(٥) حتى يَبْقَى كالسَّحابِ الأبيضِ^(٦) ، إلى قبلِ مغيبِ الشمسِ من يومِ الجمعةِ ، ثم ظهرت النارُ ، لها ألسُنٌ تصعدُ في الهواءِ إلى السماءِ حمراءَ كأنها العَلَقَةُ^(٧) ، وعظمت وفزعَ الناسُ إلى المسجدِ النبويِّ ،^(٨) وإلى الحجرةِ الشريفةِ ، واستجارَ الناسُ بها ، وأحاطوا بالحجرةِ وكشفوا رُءوسهم^(٩) ، وأقروا بذُنوبهم ، وابتهلوا إلى الله تعالى ، واستجاروا بنبيِّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وأتى الناسُ إلى المسجدِ من كلِّ فجٍّ ومن النَّخْلِ ، وخرجَ النساءُ من البيوتِ والصُّبَّانِ ، واجتمعوا كلُّهم ، وأخلصوا لله ، وغطت حُمْرَةُ النارِ السماءَ كلِّها حتى بقيَ الناسُ في مثلِ ضَمْوِ القمرِ ، وبقيت

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده في الذيل : «لخامس من الشهر» .

(٣) السوراقية : قرية أبي بكر بين مكة والمدينة وهي نجدية . معجم البلدان ٣ / ١٨٠ .

(٤) يتعقد : يغلظ ويتراكم . انظر الوسيط (ع ق د) .

(٥) بعده في الأصل : «متصل» ، وبعده في م : «فيصل» .

(٦) في م : «القلعة» ، والعلقة : قطعة الدم المتكون منه الجنين . الوسيط (ع ل ق) .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م . ليست في الذيل .

السَّمَاءِ كَالْعَلَقَةِ، وَأَيُّقِنُ النَّاسُ بِالْهَلَاكِ أَوْ الْعَذَابِ، وَبَاتَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ مُصَلِّ وَتَالٍ لِلْقُرْآنِ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، وَدَاعٍ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُتَنَصِّلٍ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمُسْتَعْفِرٍ وَتَائِبٍ، وَلِزِمَتِ النَّارُ مَكَانَهَا، وَتَنَاقَصَ تَضَاعُفُهَا ذَلِكَ وَلَهَيْبُهَا، وَصَعِدَ الْفَقِيهُ وَالْقَاضِي إِلَى الْأَمِيرِ يَعْظُونَهِ، فَطَرَحَ الْمَكْسُ، وَأَعْتَقَ مَمَالِيكَهَ كُلَّهُمْ وَعَبِيدَهُ، وَرَدَّ عَلَيْنَا كُلَّ مَا لَنَا تَحْتَ يَدِهِ، وَعَلَى غَيْرِنَا، وَبَقِيَتْ تِلْكَ النَّارُ عَلَى حَالِهَا تَلْتَهَبُ الْيَهَابًا، وَهِيَ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ وَكَالْمَدِينَةِ ارْتِفَاعًا وَعَرُوضًا، يَخْرُجُ مِنْهَا حَصَى يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ، وَيَهْوِي فِيهَا، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ نَارٌ تَزْمِي كَالرَّعْدِ، [١٠/٤٦٦و] وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ أَيَّامًا، ثُمَّ سَالَتْ سَيْلَانًا فِي وَادِي أُحْيَلِينَ، تَنْحَدِرُ مَعَ الْوَادِي إِلَى الشُّطْبَةِ،^(١) حَتَّى لَحِقَ سَيْلَانُهَا بِالْبَحْرَةِ بِحَرَّةِ الْحَاجِّ، وَالْحِجَارَةُ مَعَهَا تَنْحَرُّكَ وَتَسِيرُ^(٢) حَتَّى كَادَتْ تُقَارِبُ حَرَّةَ الْعَرِيضِ، ثُمَّ سَكَنْتْ، وَوَقَفَتْ أَيَّامًا، ثُمَّ عَادَتْ النَّارُ تَخْرُجُ وَتَزْمِي بِحِجَارَةٍ خَلَقَهَا وَأَمَامَهَا، حَتَّى بَنَتْ لَهَا جَبَلَيْنِ، وَمَا بَقِيَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ بَيْنِ الْجَبَلَيْنِ لِسَانٌ لَهَا أَيَّامًا، ثُمَّ إِنَّهَا عَظُمَتْ^(٣) الْآنَ، وَسَنَاهَا^(٤) إِلَى الْآنَ، وَهِيَ تَتَّقِدُ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ، وَلَهَا كُلُّ يَوْمٍ صَوْتٌ عَظِيمٌ آخَرَ اللَّيْلِ إِلَى صُخْرٍ، وَلَهَا عَجَائِبُ مَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْرَحَهَا لَكَ عَلَى الْكَمَالِ، وَإِنَّمَا هَذَا طَرَفٌ مِنْهَا كَبِيرٌ يَكْفِي، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كَأَنَّهُمَا مُنْكَسِفَانِ إِلَى الْآنَ، وَكُتِبَتْ^(٥) هَذَا الْكِتَابَ، وَلَهَا شَهْرٌ، وَهِيَ فِي مَكَانِهَا مَا تَتَقَدَّمُ وَلَا تَتَأَخَّرُ، وَقَدْ قَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ

أَيَّامًا :

(١ - ١) زيادة من: الأصل، م. انظر ذيل مرآة الزمان ٨/١.

(٢ - ٢) في الأصل: «ولسانها»، وفي م: «وسنائها». والمثبت من الذيل على الروضتين ونهاية الأرب ٥٤٣/٢٩.

(٣) في الأصل، م: «كتب». والمثبت من المصدرين السابقين وذيل مرآة الزمان. غالب هذه الأبيات تقدمت في ٢٩٩/٩، ٣٠٠.

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جرائِمِنا
نَشْكُو إليك خُطوبًا لا نُطِيقُ لها
زَلالًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلابُ لها
أقام سبعا يَرْجُحُ الأرضَ فانْصَدَعَتْ
بَحْرٌ مِنَ النارِ تَجْرِي فوقَه سُفُنٌ
يُرى^(٢) لها شَرَرٌ كالقَصيرِ طائِشَةً
تَنْشَقُّ منها قلوبُ الصَّخْرِ إِنْ زَفَرَتْ
منها تكائِفَ في الجوّ الدَّحانُ إلى
قد أَثَرَتْ سُفْعَةً في البدرِ لَفَحَتْها
تُحَدِّثُ النِّيرَاتِ السَّبْعَ أَلْسِنُها
وقد أَحاطَ لظاها بالبروجِ إلى
فيا لها آيةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسو
فبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ المَكْنونِ إِنْ عَظُمَتْ
فاسْمِعْ وهَبْ وَتَفَضَّلْ وامْنَحْ وَاغْفُ وِجْدُ
فقومٌ يونسَ لما آمَنوا كُشِفَ الـ

لقد أَحاطت بنا ياربُّ بِأَساءِ
حَمَلًا ونحن بها حَقًّا أَحِقَّاءِ
وكيف يَقْوَى على الزَّلزالِ سَماءِ
عن مَنظَرٍ منه عَيْنُ الشَّمسِ عَشواءِ
مِن الهِضابِ لها في الأرضِ إِزْساءِ^(١)
كأنها دِيمَةٌ^(٣) تَنْصَبُ هَطْلاءِ
رعبًا وتَرَعُدُ مِثْلَ السِّيفِ^(٤) أضواءِ
أَن عادَتِ الشَّمسُ منه وهى دَهْماءِ
فَلَيْلَةٌ التَّمِّ بَعْدَ النورِ لَيْلَاءِ^(٥)
بما يُلاقى بها تحتَ الثرى الماءِ
أَن كاد يُلْحِقُها بالأرضِ إهْواءِ
لِ اللَّهِ يَعْقِلُها القومُ الأَلْبَاءِ
منا الذنوبِ وساءَ القلبُ أسْواءِ
واصْفَحْ فكلُّ لِفَرْطِ الجَهِلِ خَطَّاءِ
عذابٌ عنهم وَعَمَّ القومُ نَعْماءِ

(١) بعده فى الأصل، م :

موج عليه لفرط البهج وعشاء .

« كأنما فوقه الأجمال طافية »

(٢) فى الأصل، م : « ترمى » .

(٣) الديمة : المطر يطول زمانه فى سكون : الوسيط (د و م) .

(٤) فى الأصل، م : « السعف » . وهو لفظ ما فى نهاية الأرب .

(٥) ليلاء : أشدُّ ليلالى الشهر ظلمة . اللسان (ل ي ل) .

ونحن أمةٌ هذا المصطفى ولنا منه إلى عفوك المرجو دعاءُ
هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت مَحَجَّةٌ في سبيلِ الله بيضاء
فارحَمَ وصلَّ على المختارِ ما خَطَبَتْ على غُلا منبرِ الأوراقِ ورقاءُ

قلتُ : والحديثُ الواردُ في أمرِ هذه النارِ مُخرَجٌ في « الصحيحين »^(١) من طريقِ الزُّهرِيِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن أبي هريرةَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تُضيئُ أعناقَ الإبلِ بيضرى . » وهذا لفظُ البخاريِّ .

وقد وقعَ هذا في هذه السنة - أعني سنةَ أربعٍ وخمسينِ وستِّمائةٍ - كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ التميميِّ^(٢) الحنفِيُّ الحاكمُ بدمشقَ في بعضِ الأيامِ^(٣) في المذاكرةِ^(٤) ، وجرى ذِكْرُ هذا الحديثِ ، وما كان من أمرِ هذه النارِ في هذه السنةِ فقال : سِمعْتُ رجلاً من الأعرابِ يُخبرُ والدي بيضرى في تلكِ الليالي أنهم رأوا أعناقَ الإبلِ في ضوءِ هذه النارِ التي ظهرت في أرضِ الحجاز .

قلتُ : وكان مولدهُ في سنةِ ثنتين وأربعينِ وستِّمائةٍ ، وكان والدهُ مُدرِّساً [٤٦١/١٠ ظ] للحنفيةِ بمدينةِ بَصْرَى ، وكذلك كان جَدُّه وهو أيضاً ، فدرَّسَ بها ، ثم انتقلَ إلى دمشقَ ، فدرَّسَ بالصادريةِ وبالْمُقَدِّميَّةِ^(٤) ، ثم ولي قضاءَ القضاةِ الحنفيَّةِ ، وكان مَشْكُورَ السَّيرةِ في الأحكامِ ، وقد كان عمرُه حينَ وقَّعتْ هذه

(١) تقدم تخريجه في ٢٩٧/٩ . من رواية البخاري . وهو في مسلم (٢٩٠٢/٤٢) .

(٢) انظر ما تقدم في ٢٩٨/٩ . حاشية (٦ ، ٧) .

(٣ - ٣) في الأصل : « المذكورة » . وانظر عقد الجمان ١/١٢٧ .

(٤) في م : « بالمدمية » . وانظر الدارس ١/٥٩٤ ، ٥٩٧ .

النارُ بالحجازِ ثنتي عشرة سنةً ، ومثله ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي
أخبر والده في تلك الليالي . وصلواتُ الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

ومما نظمه بعض الشعراء في هذه النارِ الحجازية وعرق بغداد قوله^(١) :

سبحانَ من أصبحت مَشِيئته جاريةً في الورى بمقدارِ
أغرقَ بغدادَ بالمياهِ كما أحرقت أرضَ الحجازِ بالنارِ

قال أبو شامة^(٢) : والصوابُ أن يُقالَ :

في سنةٍ أغرقَ العراقَ وقد أحرقت أرضَ الحجازِ بالنارِ

وقال ابنُ الساعي في تاريخِ سنةٍ أربعٍ وخمسينٍ وستمائةٍ : وفي يومِ الجمعةِ
ثامنَ عشرَ رجبٍ - يعنى من هذه السنة - كنتُ جالسًا بين يدي الوزيرِ ، فوردَ
عليه كتابٌ من مدينةِ الرسولِ ﷺ ضُحبةٌ قاصدٍ يُعرفُ بقِيمَارِ العَلَوِيِّ الحَسَنِيِّ
المدنِيِّ ، فناوله الكتابَ فقرأه ، وهو يتضمَّنُ أن مدينةَ رسولِ الله ﷺ زُلزِلت يومَ
الثلاثاءِ ثانیِ جمادى الآخرةِ حتى ارتجَّ المنيبرُ^(٣) الشريفُ النبويُّ ، وسمعَ صريرُ
الحديدِ ، وتحركتِ السلاسلُ ، وظهرت نارٌ على مسيرِ أربعةِ فراسخٍ من المدينةِ ،
وكانت تزعمى بشريرٍ^(٤) كأنه زُعوسُ الجبالِ ، ودامت خمسةَ عشرَ يومًا . قال
القاصدُ : وجئتُ ولم تنقطعْ بعدُ ، بل كانت على حالها ، وسأله : إلى أيِّ
الجهاتِ تزعمى ؟ فقال : إلى جهةِ الشرقِ . واجترتُ عليها أنا ونجابهةِ اليمنِ ، وزمينا

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٣ . وتقدم البيتان في ٣٠٠/٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في م : « القبر » .

(٤) في م : « بزبد » .

فيها سَعَفَةٌ ، فلم تُحْرِقْهَا ، بل كانت تُحْرِقُ الحِجَارَةَ وتُذِيبُهَا ، وأُخْرِجَ قِيمَاؤُ المذَكُورِ
شَيْئًا مِنَ الصَّخْرِ المُحْتَرِقِ ، وهو كالفحمِ لوناً وَخِفَّةً .

قال : وذكر في الكتابِ ، وكان بخطِّ قاضي المدينة ، أنهم لما زُلْزِلُوا دَخَلُوا
الحَرَمَ ، وكشَفُوا رِعُوسَهُمْ واشتَغَفَرُوا ، وأن نائبَ المدينة أَعْتَقَ جميعَ مَمَالِيكِهِ ،
وخرَجَ مِنْ جميعِ المَظَالِمِ ، ولم يَزَالُوا مُسْتَغْفِرِينَ متَضَرِّعِينَ^(١) حتى سَكَنَتِ
الرُّزْلَةُ ، إلا أن النارَ التي ظَهَرَتْ لم تَنْقَطِعْ ، وجاء القاصدُ المذَكُورُ ، ولها خمسة
عَشَرَ يَوْمًا وإلى الآن .

قال ابنُ الساعي : وقرأتُ بخطِّ العَدْلِ محمودِ بنِ يوسُفَ بنِ الأمعانيِّ شيخِ
^(٢) حَرَمِ المدينة النبوية ، على ساكنيها أفضلَ الصلاة والسلام^(٢) ، يقولُ : إن هذه النارَ
التي ظَهَرَتْ بالحجازِ آيةٌ عظيمةٌ ، وإشارةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ دالةٌ على اقْتِرَابِ
الساعةِ ، فالسعيدُ مَنْ انتَهَرَ الفُرْصَةَ قَبْلَ القَوْتِ^(٣) ، وتداركَ أمره بإصلاحِ حاله مع
اللَّهِ عز وجل قَبْلَ الموتِ ، وهذه النارُ في أرضِ ذاتِ حجرٍ ، لا شجرَ فيها ولا
نَبْتٍ ، وهي تَأْكُلُ بعضُها بعضًا إن لم تَجِدْ ما تَأْكُلُه ، وهي تُحْرِقُ الحِجَارَةَ
وتُذِيبُهَا ، حتى تعودَ كالطَّيْنِ المَبْلُولِ ، ثم يَضْرِبُه الهَوَاءُ حتى يعودَ كخَبَثِ الحديدِ
الذي يخرُجُ مِنَ الكَبِيرِ ، فاللَّهُ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً للمسلمينَ وَرَحْمَةً للعالمينَ ، بمحمدٍ وآله
الطاهرينَ .

قال أبو شامة^(٤) : وفي ليلةِ الجمعةِ مُسْتَهَلٌّ رمضانَ مِنْ هذه السنةِ اُحْتَرِقَ

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في الأصل : « حرم رسول الله ﷺ » .

(٣) في م : « الموت » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٤ . وانظر ذيل مرآة الزمان ١/١٠ ، ١١ ، وعقد الجمان ١/١٢٨ .

مسجدُ المدينةِ ، على ساكنيه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، ابتداءً حريقُه من زاويته [١٠٧ / ٤٧] الغزبية من الشمالِ ، وكان دخلَ أحدُ القومِ إلى خزانةِ ثَمِّ ، ومعه نارٌ فعَلِقَتْ في الآلاتِ ^(١) ثَمِّ ، وأتصَلَتْ بالسقفِ بسرعةٍ ، ثم دَبَّتْ في السقوفِ ، وأخذتْ قِبْلَةً ، فأعجَلتْ الناسَ عن قطعِها ، فما كان إلا ساعةً حتى اِخْتَرَقَتْ سقوفَ المسجدِ أَجْمَعِ ، ووقَعَتْ بعضُ أساطينه ، وذابَ رصاصُها ، وكلُّ ذلكِ قَبْلَ أن ينامَ الناسُ ، واخْتَرَقَ سقْفَ الحجرةِ النبويةِ ، ووقَع ما وقَع منه في الحجرةِ ، وبقي على حاله حتى ^(٢) شُرِعَ في عِمارةِ سقفيه وسقفِ المسجدِ النبويِّ ، على صاحبه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، وأصبحَ الناسُ ، فعزلوا موضعًا للصلاةِ ، وعُدَّ ما وقَع من تلكِ النارِ الخارجةِ وحريقِ المسجدِ من جُملةِ الآياتِ ، وكأنَّها كانت مُنذِرَةً بما يَعْقبُها في السنةِ الآتيةِ من الكائناتِ على ما سنَدُكُوه ، إن شاء اللهُ تعالى . هذا كلامُ الشيخِ شهابِ الدينِ أبي شامةٍ .

وقد قال أبو شامةٍ في الذي وقَع في هذه السنةِ وما بعدها شعراً ، وهو قوله ^(٣) :

بعد ستَّ من المئمينَ وخمسيه	من لدى أربعِ جرى في العامِ
نارُ أرضِ الحجازِ مع حزوقِ المشد	جيدٍ معه تَغْرِيقُ دارِ السلامِ
ثم أخذُ التتارِ بغدادَ في أو	لِ عامٍ من بعدِ ذاكِ وعامِ
لم يُعَرِّضْ أهلُها وللكفرِ أعوا	نَّ عليهم يا ضيعةَ الإسلامِ
وانقَضتْ دولةُ الخِلافةِ منها	صار مُسْتَعَصِمٌ بغيرِ اغْتِصامِ

(١) في م : « الأبواب » .

(٢) في الأصل : « حتى لما » ، وفي الذيل على الروضتين : « لما » .

(٣) المصدر السابق .

فحنانًا على الحِجَازِ ومُضِرٍ وسلامًا على بلادِ الشَّامِ
رَبِّ سَلَمٍ وَضُنٍّ وَعَافٍ بَقَايَا آلِ مُدُنٍ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

وفى هذه السنة^(١) كَمَلَتْ عِمَارَةُ الْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَةِ الْجَوَانِيَةِ دَاخِلَ بَابِ
الْفَرَادِيسِ ، وَحَضَرَ فِيهَا الدَّرْسَ وَأَقْفَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْمَلِكِ
العَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ
ابنِ أَيُوبَ بْنِ شَادِي فَاتِحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَدَرَّسَ فِيهَا قَاضِي الْبَلَدِ صَدْرُ الدِّينِ بْنُ
سَنِّي الدَّوْلَةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَمْرَاءُ وَالدَّوْلَةُ وَالْعُلَمَاءُ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
بدمشق .

وفيها^(٢) أُمِرَ بِعِمَارَةِ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ عِمَادُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ النَّحَّاسِ^(٣) ، تَرَكَ الْخَدَمَ^(٤) ،
وَأَقْبَلَ عَلَى الزَّهَادَةِ وَالتَّلَاوَةِ ، وَالْعِبَادَةِ وَالصِّيَامِ الْمُتَّبَعِ ، وَالانْقِطَاعِ بِمَسْجِدِهِ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ . وَلَمَّا تُوفِّيَ دُفِنَ عِنْدَ مَسْجِدِهِ
بِتَرْبِيَةِ مَشْهُورَةٍ بِهِ ، وَحَمَامٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فِي مَسَارِقِ الصَّالِحِيَةِ ، وَقَدْ أَتَتْهُ عَلَيْهِ
السُّبُطُ^(٥) ، وَأَرْخُوا وَفَاتَهُ كَمَا ذَكَرْنَا^(٦) .

(١) عقد الجمان ١/١٢١ ، والدارس ١/٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) عقد الجمان ١/١٢٢ .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/

٣٠٨ ، وذيل مرآة الزمان ١/٢٤ ، وعقد الجمان ١/١٣١ .

(٤) في م : « الخلائق » .

(٥) انظر مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثاني) .

(٦) بعده في الأصل : « وقد توفي السبط في أواخر هذه السنة الشيخ شمس الدين ابن الجوزي » .

يوسف بن الأمير حسام الدين قرغلي بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي^(١)، الشيخ شمس الدين، أبو المظفر الحنفي البغدادي، ثم الدمشقي، سبط ابن الجوزي، أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ، وقد كان حسن الصورة، طيب الصوت، حسن الوعظ، كثير الفضائل والمصنفات، وله «مراة الزمان» في عشرين مجلدًا من أحسن التواريخ، انتظم فيه «المنتظم» لجده، وزاد عليه، وذيل إلى زمانه، وهو من أحسن التواريخ وأبهجها، قدم دمشق في حدود الستمائة، وحظى عند ملوك بني أيوب، وقدموه وأحسنوا [٤٧/١٠٠] إليه، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التي يقوم عندها الوعظ اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين، وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع، ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعون ميعاده، ثم يشرعون إلى بساتينهم، فيتذكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن، على طريقة جده.

وقد كان الشيخ تاج الدين الكندي، وغيره من المشايخ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد، التي عند باب المشهد^(٢)، ويستحسنون ما يقول، ودرّس بالعزية^(٣) البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيوب المعظمي، أستاذ دار المعظم، وهو واقف العزية الجوانية التي بالكشك أيضًا، وكانت قديمًا تُعرف بدور^(٤) ابن منقذ، ودرّس السبط أيضًا بالشبلية التي بالجبل عند جسر كحيل، وقُوض إليه البدرية

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥، ووفيات الأعيان ٣/١٤٢، والذيل على مراة الزمان ١/٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٦، والعبر ٥/٢٢٠، وعقد الجمان ١/١٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/٣٩.

(٢) في الأصل: «البريد».

(٣) في الأصل: «بالغالية». وانظر الدارس ١/٥٥٠، ٥٥١.

(٤) في الأصل: «بدر».

التي قُبَلَتْهَا ، فكانت سَكَنَهُ ، وبها تُوفِّي ليلةَ الثلاثاءِ الحادى والعشرين من ذى الحِجَّةِ من هذه السنة ، وحضِرَ جنازته سلطانُ البلدِ الناصرُ بنُ العزيزِ فَمَنَ دُونَهُ ، وقد أثنى عليه الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامة^(١) فى عُلُومِهِ وَقَضَائِلِهِ وَرِياسَتِهِ وَحُسْنِ وَعَظِهِ وَطِيبِ صَوْتِهِ وَنِضَارَةِ وَجْهِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ وَزُهْدِهِ وَتَوَدُّدِهِ ، لكنه قال : وقد كُنْتُ مَرِيضًا لَيْلَةَ وَفَاتِهِ ، فرَأَيْتُ وَفَاتَهُ فى المَنَامِ قَبْلَ اليَقَظَةِ ، ورَأَيْتُهُ فى حَالَةِ مُنْكَرَةٍ ، ورآه غيرى أيضًا كذلك ، فَنَسَأَلُ اللّهَ العَافِيَةَ ، ولم أَقْدِرْ على حُضُورِ جِنَازَتِهِ ، وكانت جِنَازَتُهُ حَافِلَةً ، حَضَرَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ السُلطانُ فَمَنَ دُونَهُ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وقد كان فاضلاً عالماً ظَريفًا ، مُنْقَطِعًا مُنْكَرًا على أربابِ الدُولِ ما هم عليه مِنَ المُنْكَرَاتِ ، وقد كان مُقْتَصِدًا فى لِبَاسِهِ ، مُوَاطِبًا على المِطَالَعَةِ وَالِاسْتِغْثَالِ وَالْجَمْعِ وَالتَّصْنِيفِ ، مُنْصِيفًا لأهلِ العِلْمِ وَالْفَضْلِ ، مُبَايِنًا لأهلِ "الجَبْرِيةِ" وَ"الجهلِ" ، وتَأْتى المَلُوكُ وَأَرْبابُ الدُّوَلِ إِلَيْهِ زَائِرِينَ وَقاصِدِينَ ، ورُئِيَ فى طُولِ زَمَانِهِ فى جَاهِ عَرِيضٍ عِنْدَ المَلُوكِ وَالْعَوَامِّ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وكان مَجْلِسُ وَعَظِهِ مُطْرِبًا ، وصَوْتُهُ فيما يُورِدُهُ فيه حَسَنًا طِيبًا ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ .
^(٢) قَلْتُ : وَهُوَ مِمَّنْ يُنْشَدُ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٣) :

مازلتُ تَدَّأُبُ فى التَّارِيخِ مُجْتَهِدًا حتى رأيتُكَ فى التَّارِيخِ مَكْتُوبًا^٢
وقد سئِلَ يومَ عاشوراءَ زَمَنَ المَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ حَلَبَ أن يَذْكَرَ لِلنَّاسِ شَيْئًا
مِنَ مَقْتَلِ الحُسَيْنِ ، فصَعِدَ المِئْبَرَ ، وجَلَسَ طَوِيلًا لا يَتَكَلَّمُ ، ثم وَضَعَ المِنْدِيلَ على

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) البيت لأبى عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى النحوى ، قاله يرثى به الحافظ عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المصرى المؤرخ . انظر إنباه الرواه ١٥٨/٢ ، ١٥٩ .

وجهه ، وبكى ثم أنشأ يقول وهو يبكي شديداً :

وَيْلٌ لِمَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ وَالصُّورُ فِي نَشْرِ الخَلَائِقِ يُنْفَخُ
لَا بَدَّ أَنْ تَرِدَ القِيَامَةَ فَاطِمٌ وَقَمِيصُهَا بَدَمِ الحَسَنِ مُلَطَّخٌ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي ، وصعد إلى الصالحية وهو يبكي كذلك ، رحمه الله .

واقف مَارِسْتَانِ الصَالِحِيَّةِ : الأَمِيرُ الكَبِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الحَسَنِ يَوْسُفُ بْنُ أَبِي الفَوَارِسِ بْنِ مُوسَى القَيْمَرِيُّ الكُرْدِيُّ^(١) ، أكبرُ أُمراءِ القَيْمَرِيَّةِ ، كانوا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا تُعَامَلُ المُلُوكُ ، وَمِنْ أكبرِ حَسَنَاتِهِ وَقَفَهُ المَارِسْتَانِ الَّذِي بِسَفْحِ قَاسِيُونَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ وَدَفْنُهُ بِالسَّفْحِ فِي القُبَّةِ الَّتِي تُجَاهَ المَارِسْتَانِ المَذْكُورِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَثَرْوَةٍ ، رَحِمَهُ اللهُ .

مُجِيرُ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ المَلِكِ العَادِلِ [٤٨/١٠٠] أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ^(٢) ، دُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِتُرْبَةِ العَادِلِيَّةِ .

الأَمِيرُ مُظَفَّرُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ^(٣) بْنُ صَاحِبِ صَرَخَدَ عِزِّ الدِّينِ أُنَيْكَ أُسْتَاذِ دَارِ المَعْظَمِ واقِفِ العِزِّيَّيْنِ^(٤) ؛ البَرَّانِيَّةِ وَالجَوَّانِيَّةِ عَلَى الحَنَفِيَّةِ ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِالتُّرْبَةِ تَحْتَ القُبَّةِ عِنْدَ الوَرَّاقَةِ ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٣/١ ، والعبر ٢١٤/٥ ، وعقد الجمان ١٣٦/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٩/٧ .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٤ ، وذيل مرآة الزمان ٣٧/١ ، والعبر ٢١٩/٥ ، وعقد الجمان ١/١٣٥ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وذيل مرآة الزمان ١٥/١ ، وعقد الجمان ١٣٦/١ .

(٤) في م : « المعزيتين » .

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي^(١)، الفقيه الشافعي
مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين بن الصلاح، ودفن بالصوفية، وكانت له
جنازة حافلة، رحمه الله.

قال أبو شامة^(٢): وكثر في هذه السنة موت الفجأة. فمات خلق كثير بسبب
ذلك.

ومن توفي فيها: زكي بن الفويرة^(٣)، أحد المعدلين بدمشق، وبدر الدين
ابن التتيني^(٤) أحد رؤسائها، وعز الدين عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار
التغليبي^(٥) ابن الحنوي^(٦)، وهو سبط القاضي جمال الدين بن الحرستاني،
رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين.

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١٩/١، والعبير ٢١٨/٥، وعقد الجمان ١٣١/١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣ - ٣) في م: «زكي الدين أبو الفورية». وانظر المصدر السابق.

(٤) في م: «السنى».

(٥) في م: «التغليبي». وانظر المصدر السابق ص ١٩٤.

(٦ - ٦) في الأصل: «بن الحيري»، وفي م: «أبي الحسين» والمثبت من المصدر السابق.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها^(١) أصبح الملك المعز^(٢) صاحب مصر عز الدين أئيك التركمانى بداره ميثا، وقد ولي الملك بعد أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب بشهور، كان فيها ملك ثورانشاه المعظم بن الصالح، ثم خلفته شجر الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر، ثم أقيم هو فى الملك ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس بن الكامل مدة، ثم استقل بالملك بلا منازعة، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية، وقتل الفارس أقطاى فى سنة ثنتين وخمسين، وخلع بعده الأشرف، واستقل بالملك وحده، ثم تزوج بشجر الدر أم خليل، وكان كريما شجاعا حكيما^(٣) ديثا، ثم كان موته فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة المعزىة التى بمصر، ومجازها من أحسن^(٤) الأشياء، وهى من داخل ليست بتلك الفاتقة. وقد قال بعضهم فيها: هذه مجاز لا حقيقة له. ولما قُتِل، رحمه الله، اتهم بماليكه زوجته أم خليل المسماة بشجر الدر به، وكان قد عزم على تزويج ابنة صاحب المؤصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جواريتها أن يمسكنه لها، فما زالت تضربه بقباقيبها، والجوارى يعزكن^(٥) فى معاربه حتى مات وهو

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ - ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ١/٤٥ - ٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/٤٥٦ - ٤٦٥، وكنز الدرر ٨/٣٠ - ٣٣، والعبر ٥/٢٢٠، ٢٢١.

(٢) فى م: «المعظم».

(٣) فى م: «حيا».

(٤) فى م: «أحق».

(٥) فى الأصل: «يفركن». وعرك: ذلك وحك. والمعارى: العورة والفرج. اللسان (ع رك)، (ع رى).

كذلك ، ولما سمع مماليكه أقبلوا بضحية تملوكه الأكبر سيف الدين قُطر ، فقتلوا
والقوها على مَزْبَلَةٍ غيرَ مستورة العورة ، بعد الحجابِ المنيعِ والمقامِ الرفيع ، وقد
علّمت على المناشيرِ والتواقيعِ ، وخطب الخطباءُ باسمِها ، وضربت السكّةُ
برسمِها ، فذهبت فلا تُعرفُ بعد ذلك بعينِها ولا رسمِها : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ
الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . وأقامت الأثرُكُ بعد
أستاذهم عزّ الدين أئيك التركمانى - بإشارة أكبر مماليكه الأمير سيف الدين
قُطر - ولده نور الدين عليًا ، ولقبوه الملك المنصورَ ، وخطب له على المنابرِ ،
وضربت السكّةُ باسمِها ، وجرت الأمورُ على ما يختاره برأيه ورسمِها .

وفيهما كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغدادَ بينَ الرافضةِ وأهلِ السنةِ ، فنهبت الكرخُ
ودورُ الرافضةِ حتى دورُ قراباتِ الوزيرِ ابنِ العلقمى ، وكان ذلك من أقوى
الأسبابِ فى ممالأته التتار .

وفيهما دخلت الفقراءُ الحيدريةُ الشامَ ، ومن شعارهم لبسُ الفراجى ^(١)
والطراطيرِ ، ويَقْصُونَ لحاهم ، ويَتْرُكُونَ شواربهم ، وهو خلافُ السنةِ ، تركوها
لمتابعةِ [٤٨/١٠ ظ] شيخهم حيدرٍ حينَ أسره الملاحدةُ ، فقصوا لحيته ، وتركوا
شواربَه ، فاقْتَدَوْا به فى ذلك ، وهو مغدورٌ مأجورٌ ، وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن
ذلك ^(٢) ، وليس لهم فيه قُدوةٌ ، وقد بُنيت لهم زاويةٌ بظاهرِ دمشقَ قريبًا من العونيةِ .

(١) فى م : « الرحى » . والفراجى : جمع فَرَجِيَّة ، وهى جبة مفتوحة من الأمام من أعلاها حتى الذيل
ومزودة بصف من الأزرار . انظر الملابس المملوكية ص ٩١ .

(٢) ورد فى هذا الباب عدة أحاديث ؛ منها ما جاء فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - واللفظ
للبخارى - أن النبى ﷺ قال : « خالفوا المشركين ، ووفروا للحى . وأحفوا الشوارب » البخارى
(٥٨٩٢ ، ٥٨٩٣) ، ومسلم (٢٥٩ ، ٢٦٠) .

وفى يوم الأربعاء^(١) ثامن عشر^(٢) ذى الحجة من هذه السنة المباركة عميل عزاء واقف الباذرائية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الباذرائي البغدادي^(٣) ، مَدْرَسِ النُّظَامِيَّةِ ، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة ، وإصلاح الأحوال المذمومة ، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً ، وقد ابنتى بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة ، وشرط على المقيم بها العزوبة ، وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس ، وإنما أراد بذلك توفير خاطر الفقيه وجمعيته على طلب العلم ، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشر لبعضهم كبير ، وقد كان شيخنا الإمام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها بوهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مَدْرَسُ هذه المدرسة وابن مَدْرَسِها ، يذُكُرُ أنه لما حضر الواقف في أول يوم درس بها ، وحضر عنده السلطان الناصر ، فَرِيَّ كتاب الوقف ، وفيه : ولا يَدْخُلُها امرأة . فقال السلطان : ولا صبي ؟ فقال الواقف : يا مولانا ، ربنا ما يَضْرِبُ بعصاتين . فإذا ذكر هذه الحكاية تبسم عندها ، رحمه الله تعالى .

وكان هو أول من درس بها ، ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر في بعض الأوقات القاضي شمس الدين بن الصائغ ، ثم ائْتَرَع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف الباذرائي على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دارّة ، وجعل فيها خزانة كتب

(١ - ١) في الأصل : « عاشر » وانظر الذيل على الروضتين ، وفيه أنه عمل في ذلك اليوم صلاة الغائب ؛ لأنه توفي ببغداد ، ولم يذكر العزاء .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٨ ، وذيل مرآة الزمان ١ / ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٣٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ / ١٥٩ .

حَسَنَةً نَافِعَةً، وَقَدْ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَوَلَّى بِهَا قَضَاءَ الْقَضَاةِ كُرْهًا
مِنْهُ، فَأَقَامَ فِيهِ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُسْتَهَلِّ ذِي
الْحِجَّةِ^(١) مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ الْبَاذِرَائِيِّ بِأَيَّامِ قَلَائِلِ نَزَلَتْ التَّنَائِرُ
عَلَى بَغْدَادَ مُقَدِّمَةً لِمَلِكِهِمْ هُوَلَاوُ بْنُ تُوَلَّى بْنِ جَنْكِرْخَانَ، عَلَيْهِمُ لَعَائِنُ الرَّحْمَنِ،
وَكَانَ افْتِتَاحُهُمْ لَهَا وَجِنَائِثُهُمْ عَلَيْهَا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْآتِيَةِ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ
وَتَفْصِيلُهُ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَمَنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ:

الْبَاذِرَائِيُّ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْبَاذِرَائِيَّةِ الَّتِي بِدَمَشَقَ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ الْيَلْدَانِيُّ^(٢) بِهَا فِي ثَامِنِ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ، وَدُفِنَ بِهَا، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا مُسْتَعْلَمًا بِالْحَدِيثِ سَمَاعًا وَكِتَابَةً
وَإِسْمَاعًا، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَهُ نَحْوُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ.

قُلْتُ: وَأَكْثَرُ كِتَابِهِ وَمَجَامِيَعِهِ الَّتِي بَخَطَهُ مَوْقُوفَةٌ بِخِزَانَةِ الْفَاضِلِيَّةِ مِنْ
الْكَلاَسِيَّةِ، وَقَدْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا رَجُلٌ
جَيِّدٌ؟^(٣) قَالَ: بَلَى، أَنْتَ رَجُلٌ جَيِّدٌ^(٤). رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيِّ^(٥)، وَكَانَ شَيْخًا فَاضِلًا

(١) فِي الْأَصْلِ: «ذِي الْقَعْدَةِ».

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوَضَيْنِ ص ١٩٥، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١/٧٠، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٣/٣١١، وَالرَّوَانِيُّ
بِالْوَفِيَّاتِ ١٨/١٧٦. وَبِالْيَلْدَانِيِّ: نَسَبُهُ إِلَى يَلْدَانَ قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةِ الشَّامِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/١٠٢٥.

(٣ - ٤) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٤) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٨/٢٠٩، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوَضَيْنِ ص ١٩٥، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١/٧٦، وَسِيرُ =

مُفْتِيًا مُحَقِّقَ الْبَحْثِ ، كَثِيرَ الْحَجِّ ، له مكانةٌ عندَ الأكابرِ ، وقد افْتَنَى [٤٩/١٠]
كُتُبًا كَثِيرَةً ، وكان أكثرُ مُقَامِهِ بِالْحِجَازِ ، وحيث حلَّ عَظَمَهُ رُؤَسَاءُ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ،
وكان مُقْتَصِدًا فِي أُمُورِهِ ، وكانت وفاته ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِالزَّعْقَةِ بَيْنَ الْعَرِيشِ
وَالدَّارُومِ ^(١) فِي مُنْتَصَفِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الملك الناصر داودُ بنُ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ ^(٢) ، ملكَ دِمَشقَ بَعْدَ أَبِيهِ ،
ثم انْتَرَعَتْ مِنْ يَدِهِ ، وَأَخَذَهَا عُمَهُ الْأَشْرَفُ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْكَرْكِ وَنَابُلُسَ ، ثم
تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ، وَجَرَتْ لَهُ نُحُوبٌ طَوَالًا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَحَالِّ ،
وَأَوْدَعَ وَدِيعةً تُقَارِبُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ ^(٣) ، فَأَنْكَرَهُ إِيَّاهَا ، وَلَمْ
يَزِدَّهَا عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فَصَاحَةٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَلَدِيهِ فِضَائِلٌ جَمَّةٌ ، وَاشْتَغَلَ فِي
عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى الشَّمْسِ الْخُسْرُو شَاهِيٍّ تَلْمِيزِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ، وَكَانَ يَعْرِفُ عِلْمَ
الْأَوَائِلِ جَيِّدًا ، وَقَدْ حَكَّوْا عَنْهُ أَشْيَاءَ تُدَلُّ - إِنْ صَحَّتْ - عَلَى سُوءِ عَقِيدَتِهِ . فَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

وَذِكْرُ أَنَّهُ حَضَرَ أَوَّلَ دَرَسٍ ذِكْرٍ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،
وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ أَنْشَدُوا الْمُسْتَنْصِرَ مَدَائِحَ كَثِيرَةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي جَمَلَةٍ قَصِيدَةٍ لَهُ :

= أعلام النبلاء ٣١٢/٢٣ ، والوافي بالوفيات ٣٥٤/٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦٩/٨ ،
والعقد الثمين ٨١/٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/٢ ، وبغية الوعاة ١٤٤/١ .
(١) الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار
فرسخ . معجم البلدان ٥٢٥/٢ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠ ، وذيل مرآة الزمان ١٢٦/١ ، ووفيات الأعيان ٤٩٦/٣ ، ودول
الإسلام ١٦٠/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٧٦/٢٣ ، وفوات الوفيات ٤١٩/١ . وقد وردت ترجمته في
المصادر السابقة في وفيات سنة ستمائة وست وخمسين .

(٣) في م : «المستنصر» .

لو كنتَ في يومِ السَّقِيفَةِ شاهداً كنتَ المُقَدَّمُ والإمامُ الأعظَمُ
 فقال الناصرُ داوُدُ للشاعرِ: اشكُتُ، فقد أخطأتُ، قد كان جدُّ أميرِ المؤمنين
 العباسُ شاهداً يومئذٍ، ولم يَكُنِ المُقَدَّمُ، وما الإمامُ الأعظمُ إلا أبو بكرِ الصديقُ.
 فقال الخليفةُ: صدق. فكان هذا من أحسنِ ما نُقِلَ عنه، رَجِمَهُ اللهُ تعالى.
 وقد تقاصر أمرُه إلى أن رسمَ عليه الناصرُ بنُ العزيزِ بقريةِ البُوَيْضَا التي لعمه
 مجير^(١) الدينِ يَعقوبَ، حتى تُوفِّي بها في هذه السنة، فاجتمعَ الناسُ بجنائزِهِ،
 وحُمِلَ منها، فضلَّى عليه، حتى دُفِنَ عندَ والِدِهِ بسفحِ قاسيُونِ.

الملكُ المِعزُّ عزُّ الدينِ أَيْنِكُ التُّرْكَمانِي^(٢)، أولُ ملوكِ الأتراكِ، كان من أكبرِ
 ممالِكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبِ بنِ الكاملِ، وكان دَيْتًا صَيْبًا عَفِيفًا كريماً، مكثَ
 في الملكِ نحوًا من سبعِ سنينَ، ثم قتلته زوجته شجرُ الدرِّ أمُّ خَلِيلِ، وقام في
 الملكِ من بعده ولده نورُ الدينِ عليّ، ولُقِّبَ بالملكِ المَنْصُورِ، وكان مُدَبِّرَ مَمْلَكَتِهِ
 مَمْلُوكُ أبيه سيفُ الدينِ قُطُزُ، ثم عزَّله واستقلَّ بالملكِ بعده نحوًا من سنة، وتلقَّبَ
 بالمُظَفَّرِ، فقدَّرَ اللهُ كَسْرَ التَّارِ على يديه بعينِ جالوتَ، وقد بسَطْنَا هذا كلَّهُ في
 الحوادثِ فيما تقدَّم وما سيأتي، وللهُ الحمدُ.

شجرُ الدرِّ بنتُ عبدِ اللهِ، أمُّ خَلِيلِ التُّرْكية^(٣)، كانت من حظايا الملكِ
 الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبِ، وكان ولدها منه خَلِيلٌ من أحسنِ الصُّورِ، فمات

(١) في م: «مجد».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥٤/١، ودول الإسلام ١٥٩/٢، وسير أعلام النبلاء ١٩٨/٢٣، والوفاء بالوفيات ٤٦٩/٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٦١/١، وعقد الجمان ١٦٥/١، والدليل الشافي في النهل الصافي ٣٤٢/١، والسلوك ٤٠٤/١ (القسم الثاني)، وشذرات الذهب ٢٦٨/٥.

صغيراً، وكانت تكونُ في خدمته، لا تُفارقُه حضراً ولا سفراً من شدةِ مَحَبَّتِهِ لها، وقد ملكت الديارَ المِصْرِيَّةَ بعدَ مَقْتَلِ ابنِ زَوْجِهَا الْمُعْظَمِ ثُورَانِشَاه، فكان يُحْطَبُ لها، وَضُرِبَتِ السُّكَّةُ بِاسْمِهَا، وَعَلِمَتْ عَلَى الْمُنَاشِيرِ مَدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ تَمَلَّكَ الْمُعْزُ كَمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ تَمَلُّكِهِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةَ بِسِنَوَاتٍ، ثُمَّ غَارَتْ عَلَيْهِ لَمَّا بَلَغَهَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَدْرِ الدِّينِ لَوْلُو، فَعَمِلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلْتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَتَمَالَأَ عَلَيْهَا بِمَالِكِهِ الْمُعْزِيَّةَ فَقَتَلُوهَا وَأَلْقَوْهَا عَلَى مَرْبَلَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلَى تَرْبِيَةِ لَهَا بِالْقَرْبِ مِنْ قَبْرِ السَّتِّ نَفِيْسَةَ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتْ قَوِيَّةَ النَّفْسِ؛ لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ أُحِيطَ بِهَا أَتَلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِي، كَسَرْتُهُ فِي الْهَائُونِ، لَا لَهَا وَلَا لِغَيْرِهَا، وَكَانَ زَوِيْرَهَا فِي دَوْلَتِهَا الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمٍ^(١) الْمَعْرُوفَ بِابْنِ حِنَاءَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْاصِبِهِ .

الشيخُ الأُسْعَدُ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ صَاعِدٍ، شَرَفُ الدِّينِ الْفَائِزِيُّ^(٢)؛ لخدمته قديماً [٤٩/١٠٠ظ] الملكُ الفائزُ سابقُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَكَانَ نَضْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالصَّلَاتِ، اسْتَوَزَرَهُ الْمُعْزُ، وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ جَدًّا، لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ مُرَاجَعَتِهِ وَمُشَاوَرَتِهِ، وَكَانَ قَبْلَهُ فِي الْوِزَارَةِ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ ابْنُ بِنْتِ الْأَعْرُ، وَقَبْلَهُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ السُّنْجَارِيُّ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ الْأُسْعَدِ الْمُسْلِمَانِيِّ، وَقَدْ كَانَ الْفَائِزِيُّ يُكَاتِبُهُ الْمُعْزُ بِالْمَمْلُوكِ، ثُمَّ لَمَّا قُبِلَ الْمُعْزُ أَهْرِينَ الْأُسْعَدُ حَتَّى صَارَ شَقِيًّا، وَأَخَذَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ

(١) في م: « سليمان ». وستأتي ترجمته في صفحة ٥٤٨ ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٨٠ / ١، والنجوم الزاهرة ٥٨ / ٧، والسلوك ٤٠٧ / ١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٦٣ / ١ .

قَطُرَ خَطَّهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَقَدْ هَجَاهُ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ، فَقَالَ:

لَعَنَ اللَّهُ صَاعِدًا وَأَبَاهُ فَصَاعِدًا
وَبَنِيهِ فَنَازِلًا وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا

ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ، وَقَدْ رثاه القاضي ناصرُ الدين بنُ المنيرِ، وله فيه مدائحُ وأشعارٌ حسنةٌ يُقرِّظُهُ بها، فصيحةٌ رائعةٌ.

ابنُ أبي الحديدِ العراقيُّ الشاعرُ: عبدُ الحميدِ بنُ هبةِ الله بنِ محمدِ^(١) بنِ محمدِ^(٢) بنِ الحسينِ، أبو حامدِ بنُ أبي الحديدِ، عزُّ الدينِ المدائنيُّ، الكاتبُ الشاعرُ المُطَبِّقُ الشَّيْعِيُّ الغالي، له «شرحُ نهجِ البلاغةِ» في عشرين مجلدًا، وُلِدَ بالمدائنِ سنةً ستَّ وثمانين وخمسمائةً، ثم صار إلى بغدادَ، فكان أحدَ الكُتَّابِ والشعراءِ بالديوانِ الخليفةِ، وكان حظيًّا عندَ الوزيرِ ابنِ العلقَميِّ، لما بينهما من المناسبةِ والمقارَبةِ والمُشابهةِ؛ في التَّشْيِيعِ والأدبِ والفِضيلةِ، وقد أوردَ له ابنُ الساعي أشياء كثيرةً من مدائجه وأشعاره الفاتحةِ الرائقةِ، وكان أكثرَ فضيلةً وأدبًا من أخيه أبي المعالي مَوْفِقِ الدينِ أحمدَ^(٣) بنِ هبةِ الله، وإن كان الآخرُ فاضلاً بارعًا أيضًا، وقد ماتا في هذه السنةِ، رَجِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

المُشَدُّ الشاعرُ، الأميرُ سيفُ الدينِ عليُّ بنُ عمرِ بنِ قزل^(٤)، مُشَدُّ الدِّيوانِ

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١/٦٢، ووفيات الأعيان ٥/٣٩٢،

وفوات الوفيات ٢/٢٥٩، والوافي بالوفيات ١٨/٧٦. وعقد الجمان ١/١٦٤.

(٢) سقط من: م. قال: في وفيات الأعيان ٥/٣٩١: موفق الدين أبو المعالي أحمد، ويدعى القاسم

أيضًا. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١/١٠٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٧٤، ٣٧٢، والوافي

بالوفيات ١/١٥٤. وجاءت وفاته في هذه المصادر في السنة الآتية.

(٣) الذليل على الروضتين ص ١٩٨، والعبر ٥/٢٣٣، وفوات الوفيات ٣/٥١، والوافي بالوفيات ٢١/

٣٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/٦٧، وعقد الجمان ١/١٦١، وسمى المشد لأنه تولى شد الدواوين. وهي =

بدمشق، وكان شاعراً مُطَبِّقاً، له ديوانٌ مشهورٌ، وقد رآه بعضهم بعد موته،
فسأله عن حاله، فأشده:

نُقِلْتُ إلى رَمْسِ القُبورِ وضييقِها وخوفِ ذنوبي أنها بي تُعَثِّرُ
فصَادَفْتُ رَحْمَانًا رِعُوفًا وَأَنْعَمًا حبانِي بها نَفِيًّا^(١) لما كُنْتُ أَحَدَرُ
وَمَنْ كان حُسْنُ الظنِّ في حالِ موته جميلاً بَعَفِ اللهُ فالعَفْوُ أَجْدَرُ

بِشارَةِ بِنِ عَبْدِ اللهِ الأَرْمَنِيِّ الأَصْلِ، بَدْرُ الدِّينِ الكاتِبِ^(٢)، مولى شَيْبِلِ
الدَّوْلَةِ المَعْظَمِيِّ، سَمِعَ الكِنْدِيَّ وغيرَه، وكان يَكْتُبُ خطًّا جيِّدًا، وأَسَدٌ إليه
مولاه النَّظَرَ في أوقافِه، وجَعَلَه في ذريته، فهم إلى الآن يَنْظُرُونَ في الشُّبُلِيِّينَ،
وكانت وفاتُه في النصفِ من رمضانَ من هذه السَّنَةِ.

القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين
المصري^(٣)، ناب عن أبيه، ودرّس بالشامية، وله شعرٌ، فمنه قوله:

صَيَّرْتُ فَمِي لَفِيهِ بِاللِّثَمِ لِثامٌ عَمدا وَرَشَفْتُ من ثناياهُ مُدامٌ
فازورٌ وقال أنت في الفقه إمامٌ رِيقِي خمرٌ وعندك الخمرُ حرامٌ

= وظيفة من بحضرة السلطان. موضوعها، أن يكون صاحبها رفيقًا للوزير متحدثًا في استخلاص
الأموال، وما في معنى ذلك، وعادتها إمرة عشرة. انظر صبح الأعشى ٢٢/٤.

(١) في م: «سقيًا».

(٢) الوافي بالوفيات ١٠/١٤١، وعقد الجمان ١/١٦٢.

(٣) عقد الجمان ١/١٦٢، والدارس ١/٢٨٠.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة

فيها^(١) أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها.

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صُحبة الأميرين اللذين [٥٠/١٠] على مُقدِّمة عساكر سلطان التتار هولاكوقان،^(٢) وجاءت إليهم أمدادُ صاحبِ الموصلِ يُساعدونهم على البغادية وميرته وهداياهُ ومُحفَّه، وكلُّ ذلك خوفاً على نفسه من التتار، ومُصانعةً لهم، قَبَّحهم اللهُ تعالى^(٣)، وقد سُيرت بغداد، ونُصبت فيها المجانيقُ والعَرَّاداتُ وغيرُها من آلاتِ الممانعة التي لا تُرَدُّ من قَدْرِ اللهِ سبحانه وتعالى شيئاً، كما ورد في الأثر^(٤): «لن يُعْنَى حَذْرٌ مِنْ قَدْرِ». وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. وأحاطت التتارُ بدارِ الخلافةِ يَشُقُّونها بالشَّابِ من كلِّ جانبٍ، حتى أُصيبت جاريةٌ كانت تَلْعَبُ بينَ يدي الخليفةِ وتُضحِكُه، وكانت من جملةِ الحظايا، وكانت مُولَّدةً تُسَمَّى عرفة،

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، ١٩٩، وذيل مرآة الزمان ٨٥/١ - ٩٢، ونهاية الأرب ٢٧/٣٨٠ - ٣٨٣، والعبير ٥/٢٢٥، ٢٢٦، وعقد الجمان ١٦٧/١ - ١٨٣.

(٢ - ٣) سقط من: م.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩٢/١ بسنده عن عائشة عن النبي ﷺ بأطول من هذا، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي إسناده زكريا بن منظور، قال الحافظ الذهبي معقبا على الحاكم: زكريا مجمع على ضعفه.

جاءها سهمٌ من بعض الشَّبابيكِ فقتلها وهي تَرْفُصُ بينَ يدي الخليفةِ ، فانزَعَجَ الخليفةُ من ذلك ، ^(١) وفزع فرعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه ، فإذا عليه مكتوبٌ : إذا أراد الله إنفاذَ قضاياه وقدره سلب ^(٢) ذوى العقولِ عُقولهم . فأمر الخليفةُ عند ذلك بزيادةِ الاحترازِ ، وكثرةِ السِّتائِرِ على دارِ الخلافةِ ، وكان قدومُ هولاءِ كوقان بجنوده كلها - وكانوا نحوًا من مائتي ألفٍ مُقاتِلٍ - إلى بغدادَ في ثانی عشرَ الحُرْمِ من هذه السنةِ ، وهو شديدُ الحنقِ على الخليفةِ بسببِ ما كان تقدّمَ من الأمرِ الذي قدره اللهُ وقضاه وأنقذه وأمضاه ، وهو أن هولاءِ كوقان لما كان أولُ بُروزِهِ من همدانٍ متوجِّهًا إلى العراقِ أشارَ الوزيرُ مُؤيِّدُ الدينِ محمدُ بنُ العَلْقَمِيِّ على الخليفةِ بأن يبعثَ إليه بهدايا سنينيةٍ ؛ ليكونَ ذلك مُداراةً له عما يُريده من قصدِ بلادِهِم ، فخذل الخليفةُ عن ذلك دُوَيْدَارَهُ ^(٣) الصغيرُ أَيْتِك وغيره ، وقالوا : إن الوزيرَ إنما يُريدُ بهذا مُصانعةً ملكِ التتارِ بما يبعثُهُ إليه من الأموالِ ، وأشاروا بأن يبعثَ إليه بشيءٍ يسيرٍ ، فأرسلَ شيئًا من الهدايا ، فاحتقرها هولاءِ كوقان ، وأرسلَ إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه دُوَيْدَارَهُ المذكورَ ، وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ، ولا بالي به حتى أرفَ قدومه ، ووصلَ إلى بغدادَ بجنوده الكثيرةِ الكافرةِ الفاجرةِ الظالمةِ الغاشمةِ ، ممَّن لا يُؤمِنُ باللهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، فأحاطوا ببغدادَ من ناحيتها الغربيةِ والشرقيةِ ، وجنودُ بغدادَ في غايةِ القلَّةِ ونهايةِ الذلَّةِ ، لا

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) في م : « أذهب من » .

(٣) في ذيل مرآة الزمان ، ونهاية الأرب وعقد الجمان جاءت صفته ، أنه الدوادار . ولم يُذكر في الذيل على الروضتين . والمثبت موافق لما في العبر . والدوادرية : تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد ، هو وأمير جاندار وكاتب السر ، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب ، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء برسوم ؛ حمل رسالته وعينت فيما يكتب . انظر صبح الأعشى ١٩/٤ .

يَبْلُغُونَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسٍ، وَهُمْ ^(١) فِي غَايَةِ الضَّعْفِ ^(١)، وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَأَنْشَدَ فِيهِمُ الشُّعْرَاءُ الْقَصَائِدَ يَزِثُونَ لَهُمْ، وَيَحْزَنُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالرَّافِضِيَّةِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ، نُهِبَتْ فِيهَا الْكَرْخُ مَحَلَّةُ الرَّافِضِيَّةِ، حَتَّى نُهِبَتْ دُورُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ، فَاسْتَدَّ حَنْقُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَهَاجَهُ عَلَى أَنْ دَبَّرَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الَّذِي لَمْ يُؤَرِّخْ أَشْنَعُ مِنْهُ مِنْذُ بُنِيَتْ بَغْدَادُ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ إِلَى التَّتَارِ هُوَ، فَخَرَجَ فِي أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، فَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ هَوْلَاكُوفَانَ، لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالتُّوَلِّ بِبَيْنَ يَدَيْهِ لِتَقَعِ الْمُصَالِحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاكِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ لِلْخَلِيفَةِ، فَاجْتَمَعَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ خَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَرُءُوسِ الْأَمْرَاءِ وَالدُّوَلَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا [١٠٠/٥٠٥ هـ] مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ هَوْلَاكُوفَانَ حُجِّبُوا عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، فَخَلَصَ الْخَلِيفَةُ بِهَوْلَاءِ الْمَذْكَورِينَ، وَأُنْزِلَ الْبَاقُونَ عَنِ مَرَاقِبِهِمْ وَنُهِبَتْ، وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَأُحْضِرَ الْخَلِيفَةُ بَيْنَ يَدَيْ هَوْلَاكُوفَانَ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ اضْطَّرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبْرُوتِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صَحْبَتِهِ خَوَاجَا نَصِيرُ الطُّوسِيِّ، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَغَيْرُهُمَا، وَالْخَلِيفَةُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ وَالْمُصَادِرَةَ، فَأُحْضِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وَقَدْ أَشَارَ أَوْلَئِكَ الْمَلَأُ مِنَ الرَّافِضِيَّةِ، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى

(١ - ١) سقط من: م.

هولاكوقان أن لا يُصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وَقَعَ الصلح على المناصفة لا يَشْتَمِرُ هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبل ذلك. وحسبنا له قتلُ الخليفة، فلما عاد الخليفةُ إلى السلطانِ هولاكوقان أمر بقتله، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزيرُ ابنُ العَلَقَمِيِّ والنصيرُ الطُوسِيُّ. وكان النصيرُ عندَ هولاكوقان قد اشتَصَحَبه في خدمته لما فتح قِلاعَ الألبوتِ وانتزَعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصيرُ وزيرًا لشمسِ الشموِسِ ولأبيه^(١) من قبله علاءِ الدين ابنِ جلالِ الدين، وكانوا ينتسبون إلى نزارِ بنِ المُستَنصِرِ العُبَيْدِيِّ، وانتخب هولاكوقان النصيرَ ليكونَ في خدمته كالوزيرِ المُشيرِ، فلما قدم هولاكوقان وتَهَيَّبَ من قتلِ الخليفةِ هَوَّنَ عليه الوزيران^(٢) ذلك، فقتلوه رَفَسًا وهو في جُوالق؛ لثلا يَقَعُ إلى الأرضِ شيءٌ من دمه، خافوا أن يُؤَخَذَ بثأره فيما قيل لهم، وقيل: بل خُنِقَ. ويقال: عُرِقَ. فاللهُ أعلمُ. فباعوا بيئته وإثمَ مَنْ كان معه من ساداتِ العلماءِ والقضاةِ والأكابرِ والرؤساءِ والأمراءِ وأولى الحِلِّ والعقدِ ببلادِ بغداد - وستأني ترجمةُ الخليفةِ في الوفاياتِ - ومالوا على البلدِ، فقتلوا جميعَ مَنْ قَدَرُوا عليه من الرجالِ والنساءِ والولدانِ والمشايخِ والكهولِ والشُّبانِ، ودخل كثيرٌ من الناسِ في الآبارِ وأماكنِ الحشوشِ، وقُنِيَ^(٣) الوَسَخِ، وكمنا كذلك أيامًا لا يظهرون، وكان الفُتَّامُ من الناسِ يَجْتَمِعون في الخاناتِ، ويُعلِقون عليهم الأبوابَ، فَتَفْتَحُها التتارُ إمَّا بالكسرِ أو بالنارِ، ثم يَدْخُلون عليهم فيَهْرَبون منهم إلى أعلى المكانِ، فيقتلونهم في الأسطِحةِ، حتى تَجْرَى الميازيبُ من الدماءِ في

(١) في الأصل: «لابنه».

(٢) في م: «الوزير».

(٣) قنى: جمع قناة. انظر الوسيط (ق ن و).

الأزقة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك في المساجد والجوامع والرُّبُط، ولم يُنَجَّ منهم أحدٌ سوى أهلِ الذِّمَّةِ مِنَ اليهودِ والنصارى، ومن التَّجَأَ إليهم وإلى دارِ الوزيرِ ابنِ العَلَمِيِّ الرافِضِيِّ، وطائفةٍ مِنَ التجارِ أَخَذُوا لَهُمْ أمانًا بَدَلُوا عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتِ أَمْوَالُهُمْ. وعادت بغدادُ بعدَما كانت آنَسَ المَدِينِ كُلُّهَا كَأَنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا القَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذَلِيلَةٍ وَقِلَّةٍ. وكان الوزيرُ ابنُ العَلَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الحادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الجُيُوشِ وَإِسقاطِ أسْهُمِهِمْ^(١) مِنَ الدِّيوانِ، فَكانتِ العَساكِرُ فِي آخِرِ أَيامِ المُسْتَنْصِرِ قَريبًا مِنَ مائَةِ أَلْفِ مُقاتِلٍ، فِيهِمْ مِنَ الأَمْرَاءِ مَنْ هُوَ كالمَلوكِ الأَكْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْليلِهِمْ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَشْرَةُ أَلْفٍ، ثُمَّ كاتَبَ التَّنَّازَ، وَأَطْمَعَهُمْ [١٠/١٠٥١] فِي أَخْذِ البَلادِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَجَلَّى لَهُمْ حَقِيقَةَ الحالِ، وَكشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِجالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالكُلِّيَّةِ، وَأَنْ يُظْهِرَ البِدْعَةَ الرافِضِيَّةَ وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الفاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبَيِّدَ العُلَماءَ وَالمُفْتينَ، وَاللَّهُ غالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَأَذَلَّهُ بَعْدَ العِزَّةِ القَعَساءِ^(٢)، وَجَعَلَهُ حَوْشِكا شامًا لِلتَّنَّازِ بَعْدَ ما كانَ وزيرًا لِلخُلَفاءِ، وَاکْتَسَبَ إِثْمًا مِنْ قُتيلِ بَمْدِينَةِ بَغدادَ مِنَ الرِجالِ وَالنساءِ وَالأَطْفالِ، فَالحِكمُ لِلَّهِ العَلِيِّ الكَبيرِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسماِءِ.

وقد جرى على بنى إسرائيل بيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد، كما قصَّ اللهُ تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز، حيث يقول: ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ١٠١ فإِذَا

(١) في م: «اسمهم».

(٢) القعساء: الممتعة الثابتة. انظر الوسيط (ق ع س).

جَاءَ وَعَدَّ أَوْلَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعَدًا مَّفْعُولًا ﴿ [الاسراء ٤، ٥] الآيات . وقد قُتِلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَلْقٌ مِنْ الصُّلَحَاءِ ، وَأَسِيرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَخُرِبَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بَعْدَمَا كَانَ مَعْمُورًا بِالْعِبَادِ وَالزُّهَادِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، فَصَارَ خَاوِيًا عَلَى غُرُوشِهِ ، وَاهَى الْبِنَاءِ .

وقد اختلف الناس في كمية من قُتِلَ ببغداد من المسلمين ^(١) فقيل : ثمانمائة ألف . وقيل : ألف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ . وقيل : بلغت القتلَى ألفى ألفٍ نفسٍ . فإنما لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم .

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحًا ، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر ، وعفى قبره ، وكان عمره يومئذ ستًا وأربعين سنةً وأربعة أشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنةً وثمانية أشهر وأيام ، وقُتِلَ معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس وعشرون سنةً ، ثم قُتِلَ ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ، وله ثلاث وعشرون سنةً ، وأسير ولده الأصغر مبارك ، وأُسيرت أخواته الثلاث ؛ فاطمة وخديجة ومريم ، وأسير من دار الخلافة من الأبقار ما يقارب ألف بكرٍ فيما قيل ، والله أعلم ، فإنما لله وإنا إليه راجعون .

وقُتِلَ أستاذدار ^(٢) الخلافة الشيخ محبى الدين ^(٣) يوسف بن الشيخ أبي الفرج

(١) بعده في م : « في هذه الواقعة » .

(٢) في الأصل ، وعقد الجمان : « استادار » . والمثبت موافق لما في العبر وذيل مرآة الزمان ١٣٣/١ في ترجمة محبى الدين هذا ، ولم يُذكر في الذيل على الروضتين ونهاية الأرب . واستادار من الاستادارية : وهي وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان . انظر صبح الأعشى ٢٠/٤ .

(٣ - ٣) في عقد الجمان : « بن يوسف » . وانظر ما يأتي في ترجمته ومصادرها ص ٣٧٦ .

ابن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقُتِلَ أولاده الثلاثة؛ عبد الرحمن، وعبد الله، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدًا بعد واحد، منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أئيك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد. وكان الرجل يُستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه وجواريه، فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنطرة، فيذبح كما تُذبح الشاة، ويؤسر بمن يختارون من بناته وجواريه.

وقُتِلَ شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقُتِلَ الخطباء والأئمة، وحملت القران، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهرين ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي، قبحه الله ولعنه، أن يعطل المساجد والجماعات والمدارس والرُبط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرُفض، وأن يئتي للرافضة مدرسة هائلة ينشرون [٥١/١٠٠ظ] علمهم وعلمهم بها وعليها، فلم يُقدِره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهرين يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعوا - والله أعلم - في الدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمد الأمر المقدور، وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على غروشيها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقَتلى في الطرقات كأنها الثلوث، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت البلد من جيفهم، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والقننى

والمغايير^(١) كأنهم الموتى إذا نُبشوا من القبور، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف
 الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا ولحقوا بمن سلف من
 القتلى، واجتمعوا في البلى تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله
 إلا هو له الأسماء الحسنى.

وكان زحيل السلطان المسلط هولاكوقان عن بغداد في جمادى الأولى من
 هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر، فووض إليه
 الشحنة^(٢) بها وإلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، فلم يمهله الله ولا
 أهمله بعد، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث
 وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء، ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه
 كان شيعياً جلدًا حبيثاً رافضياً، فمات كمداً وغماً وحزناً وندماً، إلى حيث
 ألفت رحلها أم قشعم^(٣)، فولج بعده الوزارة ولده عز الدين^(٤) أبو الفضل
 محمد، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام، ولله الحمد والمِنَّة.

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني^(٥)، أنه
 أصاب الناس في هذه السنة بالشم وباءً شديداً، وذكروا أن سبب ذلك من فساد

(١) في م: «المغايير».

(٢) الشحنة: وظيفة يتولاها الشحنة وهو صاحب الشرطة أو متولى رئاسة الشرطة. دوزي. كذا ذكر
 معناه في حاشية عقد الجمان ١/١٧٦.

(٣) هذه عبارة المصنف مأخوذة من قول زهير:

فشد ولم يُفزع بيوتاً كثيرة
 لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم

وأم قشعم: الحرب، وقيل: الميئة. وقيل: الضبع. وقيل: العنكبوت. وقيل: الدلة. وبكل فسر قول
 زهير المذكور. انظر اللسان (قشعم).

(٤ - ٤) في م: «بن الفضل».

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/٩١، والعبير ٥/٢٢٦.

الهواء والجو، فسَد من كثرة القتلى ببلاد العراق، وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام. فالله أعلم.

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل بن أبي بكر بن العادل الكبير، وكان في جيشه^(١) جماعة من أمراء البحرية، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري، فكسره المصريون، ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال، وأسروا منهم جماعة من رعوس الأمراء،^(٢) فقتلوا صبراً، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حالة وأشنعها، وجعلوا يفسدون في الأرض، ويعيثون في البلاد، فأرسل إليهم الناصر صاحب دمشق جيشاً ليكفهم عن ذلك، فكسره البحرية، واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه، فلم يلتفتوا إليه، وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور، وجزت حروب وخطوب يطول بسطها، وبالله المستعان.

ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان :

خليفة الوقت المستعصم بالله^(٣) أمير المؤمنين، آخر خلفاء بني العباس بالعراق، وهو أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين [١٠/٥٢٠] المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين

(١) في م : « حيسه » .

(٢ - ٢) زيادة من : م . توافق ما ذكره صاحب ذيل مرآة الزمان ؛ أنه قبض يومئذ على بعض الأمراء - سقامهم هناك - وأحضروا بين يدي سيف الدين قطز وبهادر وأمر بضرب أعناق هؤلاء الأمراء، فضربت وحملت رعوسهم إلى القاهرة .

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٧٤، وفوات الوفيات ٢/٢٣٠، والعقد الثمين ٥/٢٩٠، وعقد الجمان ١/٢٠٥ .

المُسْتَنْجِدِ بِاللَّهِ أُمِّي الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللَّهِ أُمِّي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أُمِّي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ أُمِّي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَمِيرِ الذَّخِيرَةِ أُمِّي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أُمِّي جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ أُمِّي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أُمِّي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أُمِّي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ الْمُؤَفَّقِ أُمِّي أَحْمَدَ طَلْحَةَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أُمِّي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ أُمِّي إِسْحَاقَ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ أُمِّي مُحَمَّدِ هَارُونَ بْنِ الْمَهْدِيِّ أُمِّي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ أُمِّي جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بْنِ هَاشِمِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ ، مَوْلَاهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَبُوعٍ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعِينَ ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَيَكُونُ عَمْرُهُ يَوْمَ قَتْلِهِ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وقد كان ، رحمه الله تعالى ، حسنَ الصُّورَةِ ، جيدَ السَّيْرَةِ صَحيحَ الشَّرِيْرَةِ ، صَحيحَ العَقِيْدَةِ ، مُقْتَدِيًا بِأَيِّهِ الْمُسْتَنْصِرِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَكَثْرَةَ الصَّدَقَاتِ وَإِكْرَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ ، وَقَدْ اسْتَجَازَ لَهُ الْحَافِظُ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ مَشَايخِ خُرَاسَانَ ، مِنْهُمْ الْمُؤَيَّدُ الطُّوسِيُّ ، وَأَبُو رُوْحٍ عَبْدِ الْمُعِزِّ^(١) بْنُ مُحَمَّدِ الْهَرَوِيِّ ، وَأَبُو بَكْرِ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الصَّفَّارِ وَغَيْرُهُمْ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مُؤَدَّبُهُ شَيْخُ الشُّيُوخِ صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّيَّارِ ، وَأَجَازَ هُوَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِيِّ الدِّينِ بْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَلِلشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الْبَاذِرَائِيِّ ، وَحَدَّثَا عَنْهُ بِهَذِهِ الْإِجَازَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : «عبد العزيز» . وَالمَثْبُوتُ مِنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ . وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١١٤/٢٢ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٧ .

وقد كان ، رحمه الله تعالى سُنِّيًّا على طريقة السلفِ واعتقادِ الجماعةِ كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لينٌ وعدمٌ تيقُّظٍ ومَحَبَّةٌ للمالِ وجمعه ، ومن جملة ذلك أنه غلَّ الوديعَةَ التي استودَعه إياها الناصرُ داودُ بنُ المعظَّمِ ، وكانت قيمتها نحوًا من مائة ألفِ دينارٍ ، فاستُفْبِحَ هذا من مثلِ الخليفةِ ، وهو مُسْتَفْبِحٌ مِمَّنْ هو دونَه بكثيرٍ ؛ بل من أهلِ الكتابِ مَنْ إن تَأَمَّنَه بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كما قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إن تَأَمَّنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

قتلته النَّشَارُ مَظْلُومًا مُضْطَهَدًا في يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ صفرٍ من هذه السنة ، وله من العمرِ ستةٌ وأربعون سنةً وأربعةٌ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافتهِ خمسَ عشرةَ سنةً وثمانيةَ أشهرٍ وأيامًا ، فرجِمه اللهُ وأكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وبلَّ بالرحمةِ ثراه . وقد قُتِلَ بعده ولداه ، وأسيرَ الثالثُ مع بناتِ ثلاثٍ من صُلْبِهِ ، وشعَرَ مَنْصِبُ الخِلافةِ بعده ، ولم يَبْتَقِ في بنى العباسِ مَنْ سَدَّ مَسَدَهُ ، فكان آخرَ الخلفاءِ من بنى العباسِ الحاكمين بالعدلِ بينَ الناسِ ، ومن يُزَجَّبِي منهم النَّوَالُ ويُخَشَى منهم الباسُ ، وختِموا بعبدِ اللهِ المُسْتَعَصِمِ ، كما افتتِحوا بعبدِ اللهِ السَّفَّاحِ ،^(١) وكان عدةُ خلفاءِ بنى العباسِ إلى المستعصمِ سبعةً وثلاثين خليفةً ، فكان أولهم عبدُ اللهِ السَّفَّاحُ^(١) ، بُوع له بالخِلافةِ ، وظهرَ مُلْكُهُ وأمرُهُ في سنةٍ ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاءِ دولةِ بنى أميةٍ كما تقدَّم بيأته ، وآخرهم عبدُ اللهِ المُسْتَعَصِمُ ، وقد زال مُلْكُهُ ، وانقَضَت خِلافتُهُ في هذا العامِ ، أعنى سنةً ستَّ وخمسين وستِّمائةً ، [١٠/٥٢ظ] فجملتهُ أيامهم خمسمائةٍ سنةٍ وأربعٍ وعشرون سنةً ، وزالت يدهم عن العراقِ والحكمِ بالكليةِ مدةً سنةٍ وشهورٍ في أيامِ البساسيريِّ بعدَ الخمسين وأربعمائةٍ ، ثم عادت

(١ - ١) سقط من : م .

كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله ، ولله الحمد .
ولم تكن أيدي بنى العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية
قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمنصار ، فإنه قد خرج عن بنى العباس بلاد
المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعض بنى أمية ممن بقى منهم من ذرية عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعد دهور متطاولة كما
ذكرنا ، وقارن بنى العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد
المغرب وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة^(١) .

واستمرت دولة الفاطميين قريبا من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد
الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية المقدسية كما
ذكرنا ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكا^(٢) متخلفا ، ومدة ملكهم
تحريرا من سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفى العاضد سنة بضع وستين
 وخمسمائة ، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين
سنة ، كما نطق بها الحديث الصحيح^(٣) ، فكان فيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم
عثمان ، ثم علي ، ثم ابنه الحسن بن علي ستة أشهر حتى كملت بها الثلاثون ،
كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا ، فكان أول ملوك الإسلام من
بنى أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم

(١) بعده في م : « وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر وتداولتها الملوك دولا بعد
دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم
بالشبهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطا في الحوادث والوفيات .
(٢) في الأصل : « خليفة وإن شئت قلت » .
(٣) تقدم في ١٥٣/٩ ، ١٥٤ .

ابن ابنيه معاوية بن يزيد بن معاوية، وانقرض هذا البطن المفتوح بمعاوية الختم بمعاوية، ثم ملك مزوان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ثم ابنته عبد الملك، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم أخوه سليمان، ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، ثم يزيد بن الوليد، ثم أخوه إبراهيم الناقص، وهو ابن الوليد أيضًا، ثم مزوان بن محمد الملقب بالحمار، وكان آخرهم، فكان أولهم اسمه مزوان وآخرهم اسمه مزوان^(١)، وكان أول خلفاء بني العباس السفاح واسمه عبد الله، وكان آخرهم المستعصم واسمه عبد الله، كذلك أول خلفاء الفاطميين اسمه عبد الله المهدي^(٢)، وآخرهم عبد الله العاضد، وهذا اتفاق غريب جدًا، قل من يتنبه له. والله سبحانه أعلم.

وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء انتظم فيها ذكر جميع الخلفاء^(٣):

الحمد لله العظيم عرشه	القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والذهور	وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد	على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام	السادة الأئمة الأعلام
^(٤) وبعد هذا هذه أرجوزة ^(٤)	نظمتها لطيفة وجيزة
نظمت فيها الراشدين الخلفاء	من قام من بعد النبي المصطفى

(١) بعده في م: «ثم انقرضوا من أولهم إلى آخرهم».

(٢) في م: «العاضد».

(٣) نقلها العيني في عقد الجمان ١/٢١٠.

(٤ - ٤) في الأصل: «وبعد هذه أرجوزة». وفي م: «وبعد فإن هذه أرجوزة». والمثبت من عقد الجمان.

وَمَنْ تَلَاهُمْ وَهَلُمَّ جَزًّا
لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ ذُو التَّصْوِيرِ
وَكُلُّ ذِي مَقْدِرَةٍ وَمُلْكٍ
وَفِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْمُلْكُ لِلْجَبَّارِ فِي بِلَادِهِ
وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَلِلْفَنَاءِ
وَلَا يَدُومُ غَيْرُ مُلْكِ الْبَارِي
مُنْفَرِدٍ بِالْعِزِّ وَالْبَقَاءِ
أَوَّلُ مَنْ بُوِيعَ بِالْخِلَافَةِ
أَعْنَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ^(١) الصُّدِّيقِ
فَفَتَحَ الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَ
وَقَامَ بِالْعَدْلِ قِيَامًا يُرْضَى
وَرَضَى النَّاسُ بِذِي النُّورَيْنِ
ثُمَّ أَتَتْ كِتَابَتُ مَعَ الْحَسَنِ
فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ
وَأَجْمَعَ^(٢) النَّاسَ عَلَى مُعَاوِيَةَ
فَمَهَّدَ الْمُلْكَ كَمَا يُرِيدُ
ثُمَّ ابْنُهُ وَكَانَ بَرًّا رَاشِدًا

جَعَلْتُهَا تَبْصِرَةً وَذَكَرَى
[١٠/٥٣] كَيْفَ جَزَتْ حَوَادِثُ الْأُمُورِ
مُعَرِّضُونَ لَلْفَنَاءِ وَالْهَلْكَ
تَبْصِرَةً لِكُلِّ ذِي اعْتِبَارٍ
يُورِثُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ
وَكُلُّ مُلْكٍ فِإِلَى انْتِهَاءِ
سُبْحَانَهُ مِنْ مِلْكِ قَهَّارٍ
وَمَا سِوَاهُ فِإِلَى انْقِضَاءِ
بَعْدَ النَّبِيِّ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ
ثُمَّ ارْتَضَى مِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقَ
وَاسْتَأْصَلَتْ سَيُوفُهُ الْكُفَّارَا
بِذَلِكَ جَبَّارَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ عَلِيٌّ وَالِدَ السُّبُطَيْنِ
كَادُوا بِأَنْ يُجَدِّدُوا بِهَا الْفِتْنَ
كَمَا عَزَا نَبِيْنَا إِلَيْهِ
وَنَقَلَ الْقِصَّةَ كُلَّ رَاوِيهِ
وَقَامَ فِيهِ بَعْدَهُ يَزِيدُ
أَعْنَى أَبِي لَيْلَى وَكَانَ زَاهِدًا

(١) فِي م: «الهادي» .

(٢) فِي م: «وجمع» .

فترك الإمرة لا عن غلبه
وابن الزبير بالحجاز يدأب
وبالشام بايعوا مروانا
ولم يدم في الملك غير عام
واشتوسق الملك لعبد الملك
وكل من نازعه في الملك
فقتل المصعب بالعراق
إلى الحجاز بسيف الثقم
فجاء^(٣) بعد قتله بضربه
وعند ما صفت له الأمور
ثم أتى من بعده الوليد
ثم اشتفاض في الورى عدل عمر
وكان يدعى بأشج القوم
فجاء بالعدل وبالإحسان
مقتدياً بسنة الرسول
فجرع الإسلام كأس فقده
ثم يزيد بعده هشام

ولم يكن منه إليها طلبة^(١)
في طلب الملك وفيه ينصب
بحكم من يقول كُن فكانا
وعافسته أسهم الحمام
ونار^(٢) نجم سعه في الفلك
خر صريعاً بسيف الهلك
وسير الحجاج ذا الشقاق
وابن الزبير لائد بالحرم
ولم يخف في أمره من ربه
تقلبت لحينه^(٤) الدهور
ثم سليمان الفتى الرشيد
تابع أمر ربه كما أمر
وذى الصلاة والثقى والصوم
وكف أهل الظلم والطغيان
والراشدين من ذوى العقول
ولم يروا مثلاً له من بعده
ثم الوليد فت منه الهام

(١) الطلبة: الحاجة. الوسيط (ط ل ب).

(٢) فى العقد: «نار». ونار: انتشر. الوسيط (ن و ر).

(٣) فى م: «فجار».

(٤) فى م: «بجسمه».

فجاءه جماعه مُعافِصا
 وكان كلُّ أمرِه سَقِيمًا
 فكان مِن أمورِه ما كانا
 وحادِثُ الدهرِ سَطًا عليه
 ولم تُفِذه كثرَةُ العَدِيدِ
 واشتُرِعتْ عنهم ضُروبُ النِّعمِ
 لا زال فينا ثابتَ الأساسِ
 وقلَّدتْ بيعتَهُم كلُّ الأُممِ
 خرَّ صرِيحًا لليدين والقمِ
 حينَ تولَّى القائمِ المُستَعصِمِ
 وبعده المنصورُ ذو النَّجاحِ
 يثْلوه موسى الهادئِ الصَّفِيّ
 ثم الأمينُ حينَ ذاق فقدهُ
 وبعده المُتَّصِمِ المَكِينِ
 ثم أخوه جعفرُ موفِي الذَّمِ
 لله ذى العَرشِ القديمِ الأولِ^(٣)
 وقامت السُّنَّةُ فى أوَانِه

ثم يزيدُ وهو يُدعى الناقصا
 ولم تَطُلْ مدَّةُ إِبْراهيمَا
 وأسندَ المُلْكُ إلى مَرْوانا
 وأنقَرَضَ المُلْكُ على يَدَيْهِ
 وقتلُه قد كان بالصَّعِيدِ
 وكان فيه حَتْفُ آلِ الحَكَمِ
 ثم أتى مُلْكُ بنى العباسِ
 وجاءت البيعةُ مِن أرضِ العَجَمِ
 وكلُّ مَنْ نازَعَهُم مِن أُممِ
 وقد ذَكَرْتُ مَنْ تولَّى منهمِ
 أولُهم يُنَعْتُ بالسَّفَّاحِ
 ثم أتى "مِن بَعْدِهِ" المهدئِ
 وجاء هارونُ [٥٣/١٠هـ] الرشيدُ بعدهُ
 وقام بعدَ قتله المأمونُ
 واشتُخِلِفَ الواثقُ بعد المُتَّصِمِ
 وأخْلَصَ النيةَ فى التَّوَكُّلِ^(٢)
 فأذْحَضَ البدعةَ^(٤) فى زمانِه

(١ - ١) فى الأصل: «محمد» .

(٢) فى الأصل، م: «التوكل»، وهو تحريف . والمثبت من عقد الجمان .

(٣) فى الأصل: «الأزلى» .

(٤) فى الأصل: «الباطل» .

ولم يُبَقِّ بِدَعَاةٍ مُضِلَّةٍ
 فرحمةُ اللَّهِ عليه أبدا
 وعندما استشهد قام المنتصر
 وجاء بعد موته المُعْتَزُّ
 وبعده استولى وقام المُعْتَمِدُ
 والمُكْتَفَى في الصُحُفِ العُلْيَا سَطِرُ
 واستوسق الملكُ بعزُّ القاهرِ
 والمُتَّقَى مِن بعدُ والمُسْتَكْفَى
 والطائِعُ الطائِعُ ثم القادرُ
 والمُتَقَدِّى مِن بعده المُشْتَظْهِرُ
 وبعده الراشدُ ثم المُقْتَفَى
 والمستضى العادلُ في أفعاليه
 والناصرُ الشهمُ الشديدُ الباسِ
 ثم تلاءهُ الظاهرُ الكريمُ
 ولم تَطُلْ أيامُهُ في المملكةِ
 وعهدهُ كان إلى المستنصرِ
 دام يسوسُ الناسَ سبعَ عشرةَ
 ثم تَوَفَّى عامَ أربعينا

وألْبَسَ المُعْتَزِلِيَّ ذِلَّةً^(١)
 ما غار نَجْمٌ في السماءِ أو بَدَا
 والمُسْتَعِينُ بعده كما ذُكِرُ
 والمُهْتَدَى المَكْرَمُ^(٢) الأَعَزُّ
 ومهَّدَ المُلْكَ وساسَ المُعْتَضِدُ^(٣)
 وبعده ساسَ الأُمُورَ المُقْتَدِرُ
 وبعده الراضى أخو المُفَاخِرِ
 ثم المُطِيعُ ما به مِن خُلْفِ
 والقائمُ الزاهدُ وهو الشاكِرُ
 ثم أتى المُشْتَزِشِدُ المُوقَّرُ
 وحينَ مات استنجدوا بيوسفِ
 الصادقُ الصدوقُ في أقوالِهِ
 ودام طولُ مُكْثِهِ في الناسِ
 وَعَدْلُهُ كُلُّ بِهِ عَلِيمُ
 غيرَ شهرٍ واعتزتهُ الهلكةُ
 العادلِ البَرِّ الكريمِ العنصرِ
 وأشهرًا بعزَمَاتِ بَرَّةٍ
 وفي جُمادى صادفَ المنونا

(١) في م : « ثوب ذلة » .

(٢) في م : « الملتزم » .

(٣) في م : « المقتصد » .

وبايَعِ الخلائقُ المُستَعصِمَا
 'يَبْعُ نُجْبٌ' الرُّسُلِ فِي الآفَاقِ
 وشَرَّفوا بِذِكْرِه المَنابِرا
 وسار فِي الآفَاقِ حُسنُ سِيرَتِه
 صَلَّى عَلِيهِ رُبُّنا وَسَلِّمًا
 يَقضُونَ بِالْبِيعَةِ وَالْوِفاقِ
 ونَشروا^(٢) مِن جُودِهِ المَفْخِرا
 وَعَدْلُهُ الزَّائِدُ فِي رِعيَتِه

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: ثم قلت أنا بعد ذلك أحياناً:

ثم ابتلاه اللهُ بعدُ بالتتارِ
 'صَحْبَةَ إِبْنِ ابْنِ لِه' هولاكو
 فمَزَّقوا جنودَه وشملَه
 ودَمَّروا بَغدادَ والبِلادا
 وانتهبوا المَالَ مع الحريمِ
 وغرَّهَم إنظارَه وجِلْمُه
 وشَعَرَت مِن بَعْدِه الخِلافةُ
 ثم أقام المَلِكُ^(٥) أَعنى الظاهِرا
 ثم ولى مِن بَعْدِ ذاكِ الحاكِمِ
 ثم ابْنُه الخِليفةُ المُستَكفِي
 ثم ولى مِن بَعْدِه جماعُه
 أتباعِ 'جِنكيزِ الخانِ'^(٣) الجَبَّارِ
 فلم يَكُن مِن أَمْرِهِ فِكاكُ
 وَقَتَلوا نَفْسَه وَأَهْلَه
 وَقَتَلوا الأَحفادَ والأَجدادا
 ولم يخافوا سِطوَةَ العَظيمِ
 وما اقتضاه عَدْلُه وحِكمُه
 ولم يورِّخْ مِثلُها مِن آفِه
 خِليفةً أَعنى بِه المُستنصِرا
 قَسيمُ بَيْبَرَسُ الإمامِ العالِمِ
 وبعَضُ هذا لِلبَيبِ يَكْفِي
 ما عَندَهُم عِلْمٌ ولا بِضاعُه

(١ - ١) في م: «فأرسل».

(٢) في الأصل: «بشروا».

(٣ - ٣) في الأصل: «جنكيزخان»، وفي م: «جنكيزخان». والمثبت من عقد الجمان.

(٤ - ٤) في م: «صحبتة ابن ابنه».

(٥) المَلِكُ: اللسان (م ل ك).

ثم «خليفة الوقت» المعتضد
 في حُسنِ خُلُقٍ واعتقادٍ وِجَلَى
 سادوا البلادَ والعبادَ فضلا
 أولادِ عمِّ المصطفى محمدٍ
 صَلَّى عليه اللهُ ذو الجلالِ
 ولا يكادُ الدهرُ مثلهُ يَجِدُ
 وكيف لا وهو من «الشَّمِّ الألى»^٢
 ومَلَكُوا الأقطارَ [١٠/٤٥٥] حِكْمًا وعدلاً
 وأفضلِ الخلقِ بلا تردُّدٍ
 ما دامتِ الأيامُ والليالي

فصل

والفاطميون قليلو العدة
 فمُلِكُوا بضْعًا وستينَ سنه
 والعِدةُ اربعَ عشرةَ المهدي
 أعنى به المعزُّ باينى القاهرة
 والظاهرُ المستنصرُ المستغلي
 والظافرُ الفائرُ ثم العاضدُ
 أهْلِكَ بعدَ البِضْعِ والسُّتَيْنَا
 وقد رَقِمْتُ العُمَرَ فوق الاسمِ^٣
 وقد بسطنا ذاك فيما سلفاً^٣
 لكنهم مُدَّ لهم فى المدَّة
 من بعدِ مائتينِ وكانتِ كالسنَّة
 والقائمُ المنصورُ والمُعدي
 ثم العزيزُ الحاكمُ الكوافرة
 والأمرُ الحافظُ سوءَ الفعلِ
 آخرُهم وما لهذا جاحدُ
 من قبلها خمسمائةِ سنينا
 ومُدَّةُ الدولةِ تحتِ الرسمِ
 وأصلُهم يهودُ «ما هم» شرفاً

(١ - ١) فى م: «تولى وقتنا». وفى الوزن اضطراب .
 (٢ - ٢) فى الأصل: «السم الأولى»، وفى م: «السيم الأولى» .
 (٣ - ٣) سقط من: م. وقد أعلم المصنف - كما قال - بالأرقام عمر كل واحد منهم ومدة ملكه،
 ولكن جاءت الأرقام مختلطة وغير واضحة .
 (٤ - ٤) فى م: «ليسوا» .

بذاك أفتى السادة الأئمة أنصار دين الله من ذى الأمة

فصل

وهكذا حُلفا بنى أمية
ولكن المدة كانت ناقصة
وكلهم قد كان ناصبياً
معاوية ثم ابنه يزيد
مزوان ثم ابن له عبد الملك
ثم استقل بعده بالملك
ثم الوليد الثَّجَلُ بنى الجامع
ثم سليمان الجواذ وعمرو
أعنى الوليد بن يزيد الفاسقا
يُلَقَّبُ الناقص وهو كامل
ثم مروان الحمار الجعدي

عدَّتْهم كعدَّةِ الرفضيَّةِ
عن مائةٍ من السنين خالصة
إلا الإمامَ عمرَ التقيِّا
وابنُ ابنه معاوي السديدُ^(١)
مُنابذُ لابنِ الزُّبيرِ حتى هَلَكَ
فى سائرِ الأرضِ بغيرِ شكِّ
وليس مثلُ شكِّه من جامعٍ
ثم يزيدُ وهشامُ وعُدْرُ
ثم يزيدُ بنُ الوليدِ فائقا
ثُمَّتْ إبراهيمُ وهو عاقلُ
آخِرُهُم فافظرو بذا من بَعْدِي^(٢)

(١) فى الأصل: «السعيد».

(٢) بعده فى م:

كذلك نحمده على الإنعام
على النبي المصطفى محمد
فى سائر الأوقات والأعصار
ثمانية تنمة المناقب»

«والحمد لله على التمام
ثم الصلاة مع تمام العدد
وآله وصحبه الأخيار
وهذه الأبيات نظم الكاتب

وَمَنْ قُتِلَ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَقَفَّ الْجَوْزِيَّةَ بِدَمَشَقَ أَسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ الصَّاحِبُ
مُحْيَى الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ
ابنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ الْقَرَشِيِّ التَّمِيمِيِّ
الْبَكْرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَوْزِيِّ^(١)، وَوُلِدَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ
ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَنَشَأَ شَابًّا حَسَنًا، وَحِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَعَظَّ فِي مَوْضِعِهِ،
فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَوَلِيَ حِسْبَةَ بَغْدَادَ مَعَ الْوَعْظِ الرَّائِقِ وَالْأَشْعَارِ
الْحَسَنَةِ الرَّائِقَةِ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ الْحَنَابِلَةِ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَمِّمِائَةٍ،
وَكَانَتْ لَهُ تَدَارِيسُ أُخْرَى^(٢)، ثُمَّ لَمَّا وَوَلِيَ مُؤَيَّدُ الدِّينِ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْوِزَارَةَ وَشَعَرَ عَنْهُ
الْأُسْتَاذُ دَارِيَّةً وَلِيَهَا مُحْيَى الدِّينِ هَذَا^(٣)، وَانْتَصَبَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْحِسْبَةِ
وَالْوَعْظِ،^(٤) فَأَجَادَ فِيهَا، وَشَعَرَ أَيْضًا حَسَنًا^(٥)، ثُمَّ كَانَتْ الْحِسْبَةُ تَنْتَقِلُ فِي بَنِيهِ
الثَّلَاثَةِ؛ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَشَرِيفِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ، وَتَاجِ الدِّينِ
عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ قُتِلُوا مَعَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَلِحْيَى الدِّينِ هَذَا
مُصَنَّفٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي أَشْعَارًا حَسَنَةً يُهَيِّئُ
بِهَا الْخَلِيفَةَ فِي الْمَوَاسِمِ وَالْأَعْيَادِ، تَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةٍ تَامَّةٍ وَفَصَاحَةٍ بِالْغَايَةِ، وَقَدْ وَقَفَ
الْمَدْرَسَةَ الْجَوْزِيَّةَ بِدَمَشَقَ، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الْمَدَارِسِ وَأَوْجَهَهَا، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَثَابَهُ
بِرَحْمَتِهِ.

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٧٢، والعبير ٥/٢٣٧، والذيل على طبقات
الحنابلة ٢/٢٥٨، وعقد الجمان ١/١٨٤.

(٢ - ٢) في م: «ولى أستاذ دار الخلافة وكان رسولاً للملوك من بني أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء».

(٣ - ٣) سقط من م. و «شعر» أى نظم الشعر.

الصَّرْصَرِيُّ المَادُخُ: يَحْيَى [١٠/٥٤هـ ظ] بِنُ يُوْسُفَ بِنِ يَحْيَى بِنِ مَنْصُورِ بِنِ
 الْمُعَمَّرِ بِنِ^(١) عَبْدِ السَّلَامِ، الشَّيْخُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ البَارِعُ، جَمَالُ الدِّينِ أَبُو زَكْرِيَا
 الصَّرْصَرِيُّ، الشَّاعِرُ^(٢) المَادُخُ الحَنْبَلِيُّ الصَّرِيرِيُّ البَغْدَادِيُّ، وشِعْرُهُ فِي مَدَائِحِ رَسولِ
 اللَّهِ ﷺ مَشْهُورٌ، وَدِيوانُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ غَيْرُ مَنكُورٍ،^(٣) وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِ
 وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الحَدِيثَ وَالفِقَةَ وَاللُّغَةَ^(٤)، وَيَقَالُ: إِنَّهُ كانَ يَحْفَظُ
 «صِحاحَ الجَوْهَرِيِّ» بِكَمالِها. وَصَحِبَ الشَّيْخَ عَلِيَّ بِنَ إِدْرِيسَ تَلْمِيذَ الشَّيْخِ
 عَبْدِ القادِرِ، وَكانَ ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ^(٥)، يَنْظِمُ عَلى البَدِيهَةِ سَريعًا أَشياءَ حَسَنَةً فَصيحَةً
 بليغَةً، وَقد نَظَّمَ «الكافِي» لِلشَّيْخِ مُوقِّيِ الدِّينِ بِنِ قُدَّامَةَ، وَ «مُخْتَصَرَ الحِرَقِيِّ»،
 وَأما مَدائِحُهُ فِي رَسولِ اللَّهِ ﷺ فيقالُ: إِنَّها تَبْلُغُ عَشْرِينَ مُجَلَّدًا^(٥). وَلما دَخَلَ
 التَّنارُ إِلى بَغدادَ دُعِيَ إِلى «دارِ بِها قُزَمانُ» مِنْ هولاكو^(٦)، فَأَتى أَنْ يُجيبَ إِليه،
 وَأَعَدَّ فِي دارِهِ حِجارَةً، فَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ التَّنارُ رَماهُم بِتَلْكَ الأَحجارِ، فَهَشَمَ
 مِنْهُم جَماعَةً، فَلما خَلَصوا إِليه قَتَلَ بَعكازِهِ أَحدهم، ثُمَّ قَتَلَهُ شَهِيدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعالَى وَأَكْرَمَ مَناوِهِ، وَلَهُ مِنَ العَمْرِ ثَمانِ وَستونَ سَنَةً. وَقد أُرْزِدَ لَهُ الشَّيْخُ قَطْبُ

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: الذيل على مرآة الزمان ١/٢٥٧، والعبر ٥/٢٣٧، وفوات
 الوفيات ٤/٢٩٨، ونكت الهميان ص ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٦٢، وعقد الجمان ١/
 ١٨٥، والسلوك ١/٤١٣ (القسم الثاني).

(٢) في م: «الفاضل».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) بعده في م: «نورا».

(٥) بعده في م: «وما اشتهر عنه أنه مدح أحدًا من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء».

(٦ - ٦) في الأصل: «دار بها قرمان بن هولاكو»، وفي م: «ذارتها كرمون بن هولاكو». والمثبت من
 عقد الجمان نقلًا عن المصنف. وليس لهولاكو ابن اسمه قرمان. انظر جامع التواريخ ١/٣٢٣ - ٣٢٩،
 وعقد الجمان ١/٦٦٣، وفيهما سرد لأبناء هولاكو. والفرمان: الأمر. المعجم الذهبي ص ٤٣٠.

الدين الثويني من ديوانه قطعةً سالحةً في ترجمته في «الذليل»^(١)، استوعب حروف المعجم كلها، وذكر قصائد طويلاً كثيرةً حسنةً، رحمه الله تعالى.

البهاء زهير صاحب الديوان^(٢)، وهو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين^(٣) بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبى العتكي المصري، ولد بمكة، ونشأ بقوص، وأقام بالقاهرة، الشاعر المطبق، الكاتب الجواد في حسن الخط، له ديوان مشهور، وقدم على السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان عزيز المروعة، حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس، ودفع الشر عنهم، وقد أثنى عليه القاضي شمس الدين بن خلكان^(٤)، وقال: أجاز لي رواية ديوانه، وهو مشهور^(٥). وقد بسط ترجمته الشيخ قطب الدين الثويني.

الحافظ زكي الدين المنذرى عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد^(٦)، الإمام العلامة الحافظ أبو محمد زكي الدين المنذرى الشافعي المصري، وأصله من الشام، ولكنه ولد بمصر، وكان شيخ الحديث بها مدةً طويلةً، إليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولية،^(٧) وقيل: إنه

(١) الذيل على مرآة الزمان ٢٥٨/١ - ٣٣٢.

(٢) وفيات الأعيان ٣٣٢/٢، والذيل على مرآة الزمان ١٨٤/١، وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٢٣، والعبر

٢٣٠/٥، وعقد الجمان ١٨٦/١، وشذرات الذهب ٢٧٦/٥.

(٣) في الأصل، م: «الحسين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) وفيات الأعيان ٣٣٢/٢، ٣٣٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢٤٨/١، وسير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٤، والعبر ٥/

٢٣٢، وفوات الوفيات ٣٦٦/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٥٩/٨، وطبقات الشافعية

للإسنوي ٢٢٣/٢.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

وُلِدَ بِالشَّامِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ وَطَلَبَ،
وَعْنَى بِهَذَا الشَّانِ، حَتَّى فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِيهِ، وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ، وَاخْتَصَرَ «صَحِيحَ
مُسْلِمٍ»، وَ«سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ»، وَهُوَ أَحْسَنُ اخْتِصَارًا مِنَ الْأَوَّلِ، وَلَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي
اللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ، وَكَانَ ثِقَةً مُحَجَّةً مُتَحَرِّيًا زَاهِدًا، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ ذِي
الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَةِ بِمِصْرَ. وَدُفِنَ بِالْقَرَأَةِ، رَجَمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى.

التُّورُ أَبُو بَكْرٍ ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ^(٢) بْنِ
رُسْتَمِ الْإِسْعَرْدِيِّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ الْخَلِيعُ، كَانَ الْقَاضِي صَدْرُ الدِّينِ بْنِ سَنِّي
الدَّوْلَةِ قَدْ أَجْلَسَهُ مَعَ الشُّهُودِ تَحْتَ السَّاعَاتِ ^(٣)، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ النَّاصِرُ صَاحِبُ
الْبَلَدِ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُلَسَائِهِ وَتَدْمَائِهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَ الْأَجْنَادِ، فَانْسَلَخَ مِنْ هَذَا
الْفَنِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَجَمَعَ كِتَابًا سَمَّاهُ «الرُّزُجُونُ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمَجُونِ» وَذَكَرَ فِيهِ
أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنَ النُّظْمِ وَالتَّنْزِيلِ فِي الْخَلَاعَةِ، [١٠/٥٥٥] وَمِنْ شِعْرِهِ:

لَذَةُ الْعَمْرِ خَمْسَةٌ فَاقْتَنَيْهَا مِنْ خَلِيعِ غَدَا أَدِيئًا فَقَيَّهَا
فِي نَدِيمٍ وَقَيْنِيَّةٍ وَحَبِيبٍ وَمُدَامٍ وَسَبِّ مَنْ لَامَ فِيهَا

الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيُّ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْوَزِيرُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ الْبَغْدَادِيُّ ^(٤)،

(١) بعده في الأصل، م: «بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافي بالوفيات ١/١٨٨، وفوات
الوفيات ٣/٢٧١، والسلوك ١/٤١٤ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١/١٨٩، وفي الدليل الشافعي ٢/
٦٨٤، وشذرات الذهب ٥/٢٨٤.

(٢) - ٢) في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات: «عبد الصمد».

(٣) انظر ما تقدم عن الساعات في ١٢/٥٩٩.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦١، والعبر ٥/٢٣٥، والوافي بالوفيات ١/١٨٤، وفوات الوفيات =

خَدَمَ فِي أَيَّامِ الْمُشْتَقِصِ أُسْتَاذَ دَارِ الْخِلاَفَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ اسْتَوَزَرَهُ الْمُشْتَقِصِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ وَزِيرَ صِدْقٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْأَدْبَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَافِضِيًّا حَبِيثًا ، رَدَى الطَّوِيَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْوَجَاهَةِ فِي أَيَّامِ الْمُشْتَقِصِ مَا لَمْ يَحْضُرْ لكَثِيرٍ مِّنْ قَبْلِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، ثُمَّ مَالًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ لِلتَّارِ أَصْحَابٍ هُوَ لَا كَوْقَانَ ، حَتَّى جَاءُوا فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ أَمْرًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ فِي أَيَّامِهِمُ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَزَوَالِ سِتْرِ اللَّهِ ، مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، رَأَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي أَيَّامِ التَّارِ يُوَدُّونَا ، وَسَائِقٌ يَضْرِبُ فَرْسَهُ ، فَوَقَّتْ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَتْ : يَا بَنَ الْعَلْقَمِيِّ ، هَكَذَا كَانَ بَنُو الْعَبَاسِ يُعَامِلُونَكَ ؟ فَوَقَّتْ كَلِمَتُهَا فِي قَلْبِهِ ، وَأَنْقَطَعَ فِي دَارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَمَدًا فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً ، وَذُفِنَ فِي قُبُورِ الرِّوَافِضِ ، وَقَدْ سَمِعَ بِأُذُنِهِ وَرَأَى بِعَيْنَيْهِ مِنَ الْإِهَانَةِ مِنَ التَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْوِزَارَةَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ سَرِيعًا ، وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ :

يَا فِرْقَةَ الْإِسْلَامِ نُوحُوا وَأَنْدُبُوا أَسْفًا عَلَى مَا حَلَّ بِالْمُسْتَقِصِمْ
دَسْتُ الْوِزَارَةَ كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ لَابِنِ الْفُرَاتِ فَصَارَ لَابِنِ الْعَلْقَمِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَةَ ، فَتَحَ الدِّينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَدْلِ^(١) ، مُخْتَسِبٌ دِمَشْقَ ، كَانَ مِنَ الصُّدُورِ الْمَشْكُورِينَ ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ،

= ٢٥٢/٣ ، ومراة الجنان ١٤٧/٤ - وفي هذه المصادر : « محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب » -
وعقد الجمان ٢٠٢/١ ، وشذرات الذهب ٢٧٢/٥ ، وفيهما : « محمد بن أحمد بن علي بن أبي طالب » .

(١) الوافي بالوفيات ٢٥٧/٣ ، وعقد الجمان ١٩٠/١ .

وجده العَدْلُ نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَةَ ، وهو واقفُ المدرسة التي بالزُّبْدَانِيِّ ^(١) في سنةٍ تسعين وخمسمائة ، تقَبَّلَ اللَّهُ منه .

القُرْطُبِيُّ صَاحِبُ « المَفْهِمِ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ » : أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمَرَ ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَنْصَارِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْمَالِكِيُّ ^(٢) ، الْفَقِيهُ الْحَدِيثُ الْمُدْرَسُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وُلِدَ بِقُرْطُوبَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ هُنَاكَ ، وَاخْتَصَرَ « الصَّحِيحَيْنِ » ، وَشَرَحَ « صَحِيحَ مُسْلِمٍ » بِكُتَابِهِ الْمُسَمَّى بِ« المَفْهِمِ » ، وَفِيهِ أَشْيَاءٌ حَسَنَةٌ مُفِيدَةٌ مُخَرَّرَةٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْكَمَالُ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ ^(٣) ، أَحَدُ مَشَايخِ الشَّافِعِيَّةِ ، أَخَذَ عَنْهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدِيُّ الدِّينِ النَّوَاوِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَكَانَ مُدْرَسًا بِالرَّوَاحِيَّةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

الْعِمَادُ دَاوُدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ « يَوْسُفَ بْنِ » يَحْيَى بْنِ عَمَرَ بْنِ كَامِلِ أَبِي الْعَالِي وَأَبُو سَلِيمَانَ الزُّبَيْدِيُّ الْمُقَدِّسِيُّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ ، خَطِيبُ بَيْتِ الْآبَارِ ، وَقَدْ خَطَبَ بِدَمَشَقَ سِتِّ سِنِينَ بَعْدَ انْفِصَالِ الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَنْهَا ، وَدَرَّسَ بِالْعَزَّالِيَّةِ ، ثُمَّ عُزِلَ عَنْهَا وَعَادَ إِلَى بَيْتِ الْآبَارِ ، فَمَاتَ بِهَا .

(١) الزبدياني : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعليك . معجم البلدان ٩١٣/٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩٥/١ ، والعبر ٢٢٦/٥ ، والوافي بالوفيات ٢٦٤/٧ ، والديباج المذهب ٢٤٠/١ ، وعقد الجمان ١٩٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٦٩/٧ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤٨ ، والعبر ٥/٢٠٥ ، والوافي بالوفيات ٨/٤٠٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٢٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/١٤١ . ووقع في هذه المصادر أن وفاته كانت في سنة خمسين وستمائة . غير أن الحافظ الذهبي عاد وذكره في سنة ست وخمسين في العبر ٥/٢٢٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ١/١٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٠١ ، والعبر ٥/٢٢٩ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/١٤٢ .

علی بن محمد بن الحسین، صدّر الدین أبو الحسن بن التّیار^(١) شیخ
 الشیوخ بیغداد، وكان أولاً مؤدّباً للإمام المُستعصم بالله، فلما صارت الخِلافةُ إليه
 نال الشیخُ رِفعةً عظيمةً ووجاهةً هائلةً، وولاه مشیخةَ الشیوخ بیغداد، وانتظمت
 إليه أزمّةُ الأمور، ثم إنه [٥٥٠/١٠ ظ] ذبح بدارِ الخِلافةِ كما تُذبحُ الشاةُ في هذه
 السنة، رَحِمَهُ اللهُ تعالی.

الشیخُ العابدُ علی الحَبَّاز^(٢)، كان له أصحابٌ وأتباعٌ بیغداد، وله زاویةٌ یزارُ
 فيها، قتلته التتارُ، وألقى علی مَرْبَلِةٍ بیابِ زاویتهِ ثلاثةَ أيامٍ حتى أَكَلَتِ الكلابُ
 من لحمِهِ، ويقالُ: إنه أَخْبَرَ بذلك عن نفسه فی حیاته، رَحِمَهُ اللهُ تعالی.

محمدُ بنُ إسماعیل بن أحمد بن أبی^(٣) الفَتْحِ، أبو^(٣) عبدِ اللهِ المَقْدَسِی
 خطیبُ مَرْدَا^(٤)، سَمِعَ الكثيرَ، وعاش تسعين سنةً، وقَدِمَ فی سنةِ ثلاثٍ
 وخمسين، فسَمِعَ الناسُ علیه الكثيرَ بدمشقَ، ثم عاد فمات ببلده فی هذه
 السنة، رَحِمَهُ اللهُ.

البدْرُ لؤلؤُ صاحبُ الموصلِ الملقَّبُ بالملكِ الرحيم^(٥)، كانت وفاته فی

(١) عقد الجمان ١/١٩١، والدليل الشافى ١/٤٧٧.

(٢) العبر ٥/٢٣٣، وعقد الجمان ١/١٩٢، وشذرات الذهب ٥/٢٨٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وفي م: «الفرج أبو». والمثبت من مصادر ترجمته؛ سير أعلام النبلاء
 ٢٣/٣٢٥، والعبر ٥/٢٣٥، والوفى بالوفيات ٢/٢١٩، وعقد الجمان ١/١٩٣، والدليل على طبقات
 الحنابلة ٢/٢٦٧، وشذرات الذهب ٥/٢٨٣.

(٤) فى م: «براد». ومردا: قرية قرب نابلس. معجم البلدان ٤/٤٩٣.

(٥) كنز الدرر ٨/٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٥٦، والعبر ٥/٢٤٠، ومراة الجنان ٤/١٤٨، وعقد
 الجمان ١/١٩٩، والنجوم الزاهرة ٧/٧٠، وشذرات الذهب ٥/٢٨٩.

وقد ذكرت هذه المصادر وفاته فى سنة سبع وخمسين وستمائة ما عدا عقد الجمان، فذكره فى
 وفیات هذه السنة نقلا عن المصنف.

شعبانَ من هذه السنة عن مائة سنة^(١)، وقد ملك الموصل نحوًا من خمسين سنة، وكان ذا عقلٍ ودهاءٍ ومكرٍ، لم يزل يعمل على أولادٍ أشتاده حتى أبادهم، وزالت الدولة الأتابكية عن الموصل، ولما انفصل هولوكوقان عن بغداد بعد الوقعة الفظيعة، سار إلى خدمته متاقياً^(٢) له، ومعه الهدايا والتحف، فأكرمه واحترمه، ورجع من عنده، فمكث بعد مَرْجِعِهِ بالموصل أيامًا يسيرةً، ثم مات، وذُفِن بمدرسته البدرية، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة مَعْدِلَتِهِ، وقد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه المسمى بـ «الكامل في التاريخ»، فأجازه عليه، وأحسن إليه، وكان يُعْطَى لبعض الشعراء ألف دينارٍ ونحوها، وقد قام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل.

وقد كان بدر الدين لؤلؤ أزمناً اشتراه رجلٌ خياطٌ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب الموصل، وكان مَلِيحَ الصورة، فحظي عنده، وتقدّم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرةً عليه، والوفود من سائر جهات مُلِكِهِمْ إليه. ثم إنه أخنى على أولادٍ أشتاده^(٣) فقتلهم غيلةً واحدًا بعد واحدٍ، إلى أن لم يَبْقَ معه أحدٌ منهم، فاستقل بالملك حينئذٍ، وصفت له الأمور وراقت، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهدٍ على قنديلًا^(٤) زنته ألف دينارٍ، وقد بلغ من العمر قريبًا من تسعين

(١) كذا في الأصل، م. وفي كنز الدرر: «نيف وخمسة وثمانين سنة»، وفي سير أعلام النبلاء:

«عاش قريبًا من تسعين سنة» - ووافقه المصنف في آخر الترجمة - وفي عقد الجمان: «ثمانين سنة»،

وفي النجوم الزاهرة: «في عشر التسعين سنة»، وفي شذرات الذهب: «نيف على الثمانين».

(٢) في م: «طاعة». وقوله: «متاقياً» لعلها من معنى التقية.

(٣) أخنى عليهم: غدر بهم. انظر اللسان (خ ن و).

(٤) بعده في م: «ذهبا».

سنةً، وكان شابًا حسنَ الشبابِ، مِن نَضارةٍ وجِهه، وحُسنِ شكله، وكانت العامةُ تُلقِّبه بقَضيبِ الذهبِ، وكان ذا هِمَّةٍ عاليةٍ، وداهيةٍ شديدِ المكرِ، بعيدَ العُورِ^(١).

الملكُ الناصرُ داوُدُ بنُ المُعَظِمِ^(٢)، تزجَمه الشيخُ قُطُبُ الدينِ اليُونِنِيُّ في تَدْيِيلِه على «الجِرَآةِ»^(٣) في هذه السنةِ، وبسَطَ ترجمته جدًّا، وما جرى له مِن مُبْتَدَأِ أمرِه إلى^(٤) آخِرِ زمانِه، وأورَدَ مِن أشعارِه وأقوالِه شيئًا كثيرًا، وأفادَ أشياءَ حسنةً، رَحِمه اللهُ تعالى^(٥). وقد ذَكَرنا ترجمته^(٦) في الحوادثِ^(٦)، واللَّهُ أعلمُ، وقد مَلَكَ بعدَ أبيه مدينةَ دِمَشقَ وأعمالها مدةً، ثم تَمَلَّأَ عليه عمَّاه الكاملُ والأشرفُ وانترعاها مِن يده، وعوَضاه منها الكَرَكَ والصَّلَتَ وَعَجَلونَ ونابُلَسَ، ثم ذَهَبَ ذلك كُلُّه مِن يده وصار إلى العِراقِ^(٧)، فاستودَعَ الخليفةَ المُستَعصِمَ في سنةِ سبعٍ وأربعينَ وديعةً قيمتها مائةُ ألفِ دينارٍ، فغلَّها ولم يردها إليه، وتكرَّرَ وفودُه إليه وتوسَّلُه بالناسِ في ردها إليه، فلم يُفِدْ مِن ذلك شيئًا، ومن أحسنِ مَقاماتِ [٥٦١/١٠] الناصرِ داوُدَ؛ لما حَضَرَ الدرسَ بالمُسْتَنصِرِيَّةِ في سنةِ ثلاثٍ وثلاثينَ وسِتِّمِائَةٍ، والخليفةُ حاضرٌ، فقام الفقيهُ وجيهُ الدينِ القَيروانيُّ فامتدح الخليفةَ بقصيدةٍ قال في بعضها:

(١) بعده في م: «وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه، والله أعلم».

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة ٣٥١.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/١٢٦.

(٤ - ٤) في م: «آخره».

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦ - ٦) في الأصل: «فيما بعد». وقد تقدمت في التراجم.

لو كنت في يوم السَّقِيفَةِ حاضرًا كنتَ المُقَدَّمُ والإمامَ الأزرعًا^(١)

فقال له الناصرُ داوُدُ : أخطأتَ ؛ قد كان جدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ حاضرًا يومَ السَّقِيفَةِ^(٢) ، وإنما كان المُقَدَّمُ والإمامَ الأزرعًا أبو بكرِ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدق . وخلع عليه ، ونفى الوجيةَ القَيْرَوَانِيَّ^(٣) إلى مصرَ ،^(٤) فدرَسَ في مدرسةِ الوزيرِ صفِيِّ الدينِ بنِ شُكْرِ^(٥) ، وكانت وفاةُ الناصرِ داوُدَ بقريةِ البُوَيْضَا مُرْسَمًا عليه ، وشهدَ جنازتهُ صاحبُ دمشق^(٥) .

(١) وفي م : « الأزرعاً » . وانظر : ذيل مرآة الزمان ١/١٣٦ .

(٢) بعده في م : « ولم يكن المقدم وهو أفضل من أمير المؤمنين » .

(٣) في الأصل ، م : « الفزاري » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/١٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٧٩ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) في الأصل : « حلب » . وكانت دمشق وحلب كلتاها للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازي بن الناصر فاتح القدس .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة

استهلت هذه السنة^(١) وليس للمسلمين خليفة، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر فاتح بيت المقدس، وهو واقع بينه وبين المصريين^(٢)، وقد ملكوا نور الدين علي ابن المعز أئيك التزكمانى، ولقبوه بالمنصور، وقد أرسل الملك الغاشم هولاقوقان إلى الملك الناصر بدمشق يستدعيه إليه، فأرسل ولده العزيز وهو صغير، ومعه هدايا كثيرة وتحف، فلم يحتفل به هولاقو، وغضب على أبيه إذ لم يقبل إليه^(٣)، وقال: أنا الذى أسيير إلى بلاده بنفسى. فانزعج الناصر لذلك، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليخصصهم بها، وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات، فصار كثير منهم إلى الديار المصرية فى زمن الشتاء، ومات كثير منهم ونهب آخرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقبل هولاقو، فقصد نحو الشام بجنوده وعساكره، وقد كانت ميفارقين قد امتنعت على التتار مدة سنة ونصف، فأرسل إليها ولده أشموط، فافتتحها قسرا، واستنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل، فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب، فقتله بين يديه، واستتاب عليها بعض مماليك الأشراف، وطيف

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ - ٢٠٣، وذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ - ٣٤٤، ونهاية الأرب ٢٩/

٣٨١ - ٣٨٤، ٤٦٧ - ٤٧٠، والعبر ٢٣٨/٥، وعقد الجمان ٢١٧/١ - ٢٢٤.

(٢) أى: والحرب قائمة بينه وبين المصريين.

(٣) بعده فى م: «وأخذ ابنه».

برأس الكامل في البلاد، ودخلوا برأسه إلى دمشق، فنُصِبَ على بابِ الفَراديسِ
البيزانتى، ثم دُفِنَ بمسجدِ الرأسِ (داخلَ بابِ الفَراديسِ الجَوَانى^(١))، فنظَّم أبو
شامة^(٢) في ذلك قصيدةً يذكُرُ فيها فضلَه وجهادَه، وشبَّهه بالحسينِ فى قتله
مَظلوماً، ودُفِنَ رأسُه عندَ رأسِه.

وفىها عَمِلَ الخَوَاجَا نَصيرُ الدينِ الطُوسى الرِّصَدَ^(٣) بمدينةِ مَرَاغَةَ، ونَقَلَ إليه
شيئاً كثيراً من كتبِ الأوقافِ التى كانت ببغدادَ، وعَمِلَ دارَ حِكْمَةٍ فيها
فَلَاسِفَةٌ، لكلِّ واحدٍ فى اليومِ ثلاثةُ دراهمٍ، ودارَ طِبِّ، فيها للحكيمِ فى اليومِ
درهمان، ومدرسةٌ، لكلِّ فقيهٍ فى اليومِ درهمٌ، ودارَ حديثٍ، لكلِّ مُحدِّثٍ
نصفُ درهمٍ فى اليومِ.

وفىها قَدِمَ القاضى الوزيرُ كَمالُ الدينِ عمرُ بنُ أبى جرادةَ المَعروفُ بابنِ العَدِيمِ
إلى الديارِ المصريةِ رسولاً من صاحبِ دمشقِ الناصرِ بنِ العزيزِ يَسْتَنْجِدُ المِصْرِيِّينَ
على قتالِ التُّتارِ، بأنهم قد اقْتَرَبَ قُدومُهُم إلى الشامِ، وقد اسْتَوْلَوْا على بلادِ
الجزيرةِ^(٤) وَحَرَآنَ وغيرِها، فى هذه السنةِ، وقد جازَ أشموطُ بنُ هولَكو
الفراتَ، [٥٦١/١٠٠ هـ] واقْتَرَبَ من مدينةِ حَلَبَ، فعَقِدَ عندَ ذلكَ مجلسَ بينِ يدي
المنصورِ ابنِ المَعزِّ التُّركمانى، وحضَرَ قاضى الديارِ المصريةِ بدرُ الدينِ السَّنْجَارى،
والشيخُ عَزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ، وأفاضوا الكلامَ فيما يَتَعَلَّقُ بأخذِ شىءٍ من
أموالِ العامَّةِ لمُساعدَةِ الجُنْدِ، وكانتِ العُمْدَةُ على ما يَقُولُهُ ابنُ عبدِ السلامِ، فكانَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة.

(٣) الرصد: دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء. انظر السلوك ١/٤٢٠، ٤٢١ (القسم الثانى).

(٤ - ٤) سقط من: م.

حاصلهُ : إذا لم يَتَّقَ في بَيْتِ المَالِ شَيْئاً ، وَأَنْفَقْتُمُ الحَوَائِصَ ^(١) الذَّهَبَ وَغَيْرَهَا مِنَ الزَّيْنَةِ ، وَتَسَاوَيْتُمُ أَنْتُمْ وَالعَامَّةُ في المَلابِسِ سِوَى آلاَتِ الحَرْبِ ، وَلَمْ يَتَّقَ لِلجُنْدِيِّ شَيْئاً سِوَى فَرَسِهِ التِّي يَرْكَبُهَا ، سَاغَ أُخْذُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ في دَفْعِ الأَعْدَاءِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَهَمَ العَدُوُّ وَجَبَ عَلى النَّاسِ كَافَّةً أَنْ يَدْفَعُوهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ .

وَلَايَةُ المَلِكِ المُظَفَّرِ قُطْرُ

وَفِيهَا قَبْضُ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قُطْرُ عَلى ابْنِ أَسْتَاذِهِ نُورِ الدِّينِ عَلى المُلَقَّبِ بِالمَنْصُورِ ، وَذَلِكَ فِي غَيبَةِ أَكْثَرِ الأَمْرَاءِ مِنْ مَمَالِكِ أَبِيهِ وَغَيْرِهِمْ فِي الصَّيْدِ ، فَأَمْسَكَهُ وَسَيَّرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَابْنِهِ وَإِخْوَتِهِ ^(٢) إِلَى بِلَادِ الأَشْكَرِيِّ ^(٣) ، وَتَسَلَّطَنَ هُوَ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالمَلِكِ المُظَفَّرِ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ تَعَالَى بِالمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَسِّرُ اللّهُ عَلى يَدَيْهِ كَثْرَةَ التَّنَارِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى . وَهَذَا الَّذِي اعْتَدَرَ بِهِ إِلَى ^(٤) ابْنِ العَدِيمِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : لِأَبَدِ لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانِ قَاهِرٍ يُقَاتِلُ التَّنَارَ ، وَهَذَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَا يَعْرِفُ تَدْبِيرَ المَمْلَكَةِ .

وَفِيهَا بَرَزَ المَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دَمَشَقَ إِلَى وَطَاءَ بَرَزَةَ فِي جِحَافِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ

(١) فِي م : « الحوائض » .

(٢) فِي نَهَايَةِ الأَرَبِ وَعَقْدِ الجِمَانِ أَنَّهُ سِيرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ . وَلَمْ تَذَكَرْ بَقِيَةَ المَصَادِرِ ذَلِكَ .

(٣) كَذَا فِي عَقْدِ الجِمَانِ ، وَذَكَرَ أَيْضًا هُوَ وَالنَّوِيرِيُّ فِي نَهَايَةِ الأَرَبِ أَنَّهُ شَفَّرَ هُوَ وَأَخُوهُ وَأُمَّهُمَا إِلَى القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَلَعَلَّهَا هِيَ المَقْصُودَةُ بِبِلَادِ الأَشْكَرِيِّ ، وَذَكَرَ فِي حَاشِيَةِ عَقْدِ الجِمَانِ أَنَّ المَقْصُودَ الدَّوْلَةَ البِيْزَنْطِيَّةَ .

(٤) بَعْدَهُ فِي م : « الفقهاء والقضاة وإلى » . وَليْسَ فِي المَصَادِرِ اعْتِدَارُهُ هَذَا ، وَلَكِنْ ذَكَرَ فِي عَقْدِ الجِمَانِ أَنَّ تَوَلَّى قُطْرُ السُّلْطَةَ كَانَ بِحَضْرَةِ ابْنِ العَدِيمِ .

الجيشِ والمُطَوَّعَةِ والأَعْرَابِ وغيرِهِم ، ولما عَلِمَ ضَعْفَهُم عن مُقاوِمَةِ المَغُولِ اِرْفَضَ^(١) ذلكَ الجَمْعُ ، ولم يَصْبِرْ^(٢) لا هو ولا هم ، فإنَّا لِلَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها تُوفِّي مِنَ الأَعْيَانِ :

واقفُ الصَّدرِيَّةِ^(٣) الرِّيسُ صَدْرُ الدِّينِ أَسْعَدُ^(٤) بِنُ عِثْمَانَ بِنِ أَسْعَدَ^(٥) بِنِ المُنَجَّأِ^(٦) بِنِ بَرَكَاتِ بِنِ مُؤَمَّلِ^(٧) التَّنُوخِيِّ المَعَرِّيِّ^(٨) ، ثم الدَّمَشَقِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، أحدُ المَعَدِّلِينَ ذَوِي الأُمُوالِ والمُرُواتِ والصَّدَقَاتِ الدَّارَةِ البَارَةِ ، وَقَفَ مَدْرَسَةً لِلحَنْبَالَةِ ، وقَبْرُهُ بها إلى جانِبِ تربةِ القاضِي المِصرِيِّ في رَأْسِ دَرْبِ الرِّيحانِ مِنَ ناحِيَةِ الجامعِ الأُمُوِيِّ^(٩) ، وقد ولى نَظَرَ الجامعِ مَدَّةً ، وقد اسْتَجَدَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، منها سَوقُ النَّحَّاسِينَ قِبَلِي الجامعِ ، ونَقَلَ الصَّاعَةَ إلى مَكانِها الآنَ ، وقد كانت قَبْلَ ذلكَ حيثُ يُقالُ لها : الصَّاعَةُ العَتِيقَةُ . وَجَدَّ الدَّكَاكِينَ التي بَيْنَ أُعْمِدَةِ الرِّيادَةِ^(٩) ، وَثَمَّرَ لِلجامعِ أُمُوالًا جَزِيلَةً ، وكانت له صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ

(١) اِرْفَضَ : تَفَرَّقَ . الوسيط (ر ف ض) .

(٢) في م : « يسر » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ ، والعبر ٢٣٩/٥ ، والوافي بالوفيات ٤٣/٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٦٨/٢ ، والسلوك ٤٢١/١ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٢٢٥/١ . وقد جاء اسمه مختصرا على الشهرة في الذيل على الروضتين والسلوك « صدر الدين أسعد بن المنجا » وزاد في السلوك كنيته « أبا الفتوح » . وانظر الحواشي القادمة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، وليس في عقد الجمان . والمثبت من العبر والوافي والذيل على طبقات الحنابلة .

(٥) في م : « المنجاة » .

(٦) في الوافي : « المؤيد » . وقد ذكره على الصواب في ترجمة جده القاضي وجيه الدين بن المنجا ٤٤/٩ .

(٧) في الأصل ، م : « المغربي » . والمثبت من عقد الجمان لانفراده بذكر النسبة . وانظر أيضا نسبته في ترجمة جده القاضي وجيه الدين في سير أعلام النبلاء ٤٣٦/٢١ .

(٨) في الأصل : « المبرور » .

(٩) في م : « الزيارة » .

يَعْمَلُ^(١) صِنْعَةَ الكِيمِيَا ، وَأَنَّهُ صَحَّ مَعَهُ^(٢) عَمَلُ الفِضَّةِ ، وَعِنْدِي أَن هَذَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الشيخُ يوسُفُ القَمِينِيُّ^(٣) كَانَ يُعْرَفُ بِالْأَقْمِينِيِّ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ قَمِينَ حَمَامِ نَوْرِ الدِّينِ الشَّهِيدِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ ثِيَابًا طَوِيلًا تُحْفُ^(٤) عَلَى الأَرْضِ ، وَيَبُولُ فِي ثِيَابِهِ ، وَرَأْسُهُ مَكْشُوفٌ ، وَلَهُ أَحْوَالٌ وَكُشُوفٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ العَوَامِّ وَغَيْرِهِمْ يَعْتَقِدُونَ صِلَاحَهُ وَوِلَايَتَهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٥) أَنَّ الكُشُوفَ قَدْ تَصَدَّرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ كَمَا كَانَ ابْنُ صَبْيَانَ ، وَمَنْ البَرِّ وَالفَاجِرِ^(٦) ، فَلَا بَدَّ مِنْ اخْتِبَارِ صَاحِبِ الحَالِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، فَمَنْ وَافَقَ حَالَهُ الكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، فَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ [١٠ / ٥٧٧] سِوَاءَ كَاشِفٍ أَمْ لَا ، وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ فَلَيْسَ بِرَجُلٍ صَالِحٍ سِوَاءَ كَاشِفٍ أَمْ لَا .

قَالَ الشَّافِعِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٦) : إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمِشِي عَلَى المَاءِ ، وَيَطِيرُ فِي الهَوَاءِ ، فَلَا تَعْتَرِّوْا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

وَلَمَّا مَاتَ دُفِنَ بِتَرِيَةِ بَسْفَحِ قَاسِيُونَ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِهَ شَرْقِيٍّ^(٧) تَرِيَةِ أَبِي عَمْرِ المَقْدَسِيِّ^(٧)

(١) فِي م : « كَانَ يَعْرِفُ » .

(٢) فِي عَقْدِ الجَمَانِ : « عِنْدَهُ » .

(٣) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوَضَتَيْنِ ص ٢٠٢ ، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١ / ٣٤٨ ، وَالعَبْرُ ٥ / ٢٤٠ ، وَعَقْدُ الجَمَانِ ١ / ٢٢٦ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥ / ٢٨٩ .

(٤) فِي م : « تُحْفُ » . وَتُحْفَفُ : تَجْرَفُ . اللِّسَانُ (ج ح ف) .

(٥ - ٥) فِي م : « شَرَايِطُ الوِلَايَةِ وَلَا الصِّلَاحِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الكُشُوفَ قَدْ تَصَدَّرُ مِنَ البَرِّ وَالفَاجِرِ وَالمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ كَالرَّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ وَكَالدِّجَالِ وَابْنِ صِيَادٍ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ الجَنَّ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ وَتَلْقِيهِ عَلَى أُذُنِ الإِنْسِي وَلا سِيْمَا مِنْ يَكُونُ مَجْتُونًا أَوْ غَيْرِ نَقِيُّ الثِّيَابِ مِنَ النِّجَاسَةِ » .

(٦) أَخْرَجَهُ البِيهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ ١ / ٤٥٣ بِإِسْنَادِهِ عَنْهُ بِنَحْوِهِ .

(٧ - ٧) سَقَطَ مِنْ م : .

الرواحية، وهى مُزخرَفَةٌ، قد اغتنى بها بعض من كان يعتقدُ فيه^(١). وكانت وفاته فى سادسِ شعبانٍ من هذه السنة. وكان الشيخُ إبراهيم^(٢) الجيعانةُ لا يتجاسرُ^(٣) أن يدخُلَ البلدَ والقَمِينِيَّ حَتَّى، فيومَ مات الأقمينيُّ دخلها^(٤) وكان بالشاغورِ^(٥)، ودخل العوامُ معه يصيحون ويضربون. وهم أتباعُ كلِّ ناعقٍ^(٦).

الشمسُ عليُّ بنُ النَّشَبِيِّ^(٧) المحدثُ، ناب فى الحِشْبَةِ عن الصِّدْرِ البَكْرِىِّ، فى أيامه، وقرأ الكثيرَ بنفسه، وسمع وأسمع، وكتب بخطه كثيراً، رحمه الله تعالى.

أبو عبدِ اللهِ الفاسيُّ شارحُ «الشاطبية»^(٨)، اشتهر بالكُتُبِ، وقيل: إن اسمه القاسمُ. وكانت وفاته بحلب، وكان عالماً فاضلاً فى العربية والقراءات وغير ذلك، وقد أجاد فى شرحه «للشاطبية» وأفاد، واشتَحَسَنه الشيخُ شهابُ الدين

(١) بعده فى م: «فزخرها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة وهذا كله من البدع».

(٢) بعده فى م: «بن سيعد». ولم نجد قصته هذه فى مصادر ترجمة يوسف القميينى.

(٣) بعده فى م: «فيما يزعم».

(٤ - ٥) سقط من: م. والشاغور: محلة بالبواب الصغير من دمشق مشهورة فى ظاهر المدينة. معجم البلدان ٢٣٦/٣.

(٥ - ٥) فى م: «أذن لنا فى دخول البلد. وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، فقيل لجيعانة: ما منعك من دخولها قبل اليوم؟ فقال: كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع راibusاً فيه فلا أستطيع الدخول، وقد كان سكن بالشاغور وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة، وقد دفن جيعانة عنده فى تربته بالسفح. والله أعلم بأحوال العباد».

(٦) فى الأصل، م: «النشبي». والمثبت من مصادر ترجمته الآتية: الذيل على الروضتين ص ١٩٩، والعبر ٢٣٣/٥، والنجوم الزاهرة ٦٨/٧، وشذرات الذهب ٢٨٠/٥، وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة.

(٧) الذيل على الروضتين ص ١٩٩، والعبر ٢٣٥/٥، ومعرفة القراء الكبار ٥٣٣/٢، والوفى بالوفيات ٣٥٤/٢، والجواهر المضية ١٣٠/٣، وعقد الجمان ١٩٤/١. وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة.

أبو شامة شارحها أيضًا .

التَّجْمُ أَخُو الْبَدْرِ مُفَضَّلٌ^(١) ، وكان شيخَ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازةٌ من السلفي .

خطيبُ العقبيَّة^(١) بدرُ الدين يحيى بنُ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ على جدِّه^(٢) ، وكانت جنازته حافلةً ، رحمه الله تعالى .

سعدُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ مُحيي الدينِ بنِ عربيٍّ^(٣) ذكره أبو شامة ، وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره ،^(٤) وذكر ما يدلُّ على فضيلته وأدبٍ وشعرٍ فيه قوة^(٥) .

وقد ذكر أبو شامة^(٦) وفاةَ الملكِ الناصرِ داودَ في هذه السنة ،^(٧) وقد قدمنا ترجمته في التي قبل^(٨) .

سيفُ الدينِ بنُ صبرة^(٩) متولِّي سُروطِ دمشق ، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حيةً فنهشت أفضاه ، وقيل : إنها التقت في أكفانه ، وأغشى الناس دفعها . قال : وقيل : إنه كان نُصيريًّا^(١٠) رافضيًا خبيثًا مُدمنَ خمرٍ . نسألُ الله العافية .

التَّجِيبُ بنُ شَقِيشِقَةَ^(١١) الدَّمشقيُّ ، أحدُ الشهودِ بها ، له سَماعٌ حَدِيثٍ ،

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٩ ، ذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٢) أي على قبر جده ، كما في الذيل على الروضتين .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠ . ذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٤ - ٤) في م : « هذا إن لم يكن من أتباع أبيه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) نُصيريًا : منسوب إلى النَّصِيرِيَّةِ وهي طائفة من الزنادقة مشهورة بقولون بألوهية عليٍّ ، تعالى الله علوا كبيرا . انظر تاج العروس (ن ص ر) .

(٧) في م : « شعيشعة » . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٢٠١ ، والعبر ٢٣٦/٥ ، وعقد

الجمان ١٩٣/١ ، وشذرات الذهب ٢٨٥/٥ . وذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة عندهم .

ووقف داره بدرزب البانياسي دار حديث، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزي^(١) قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرافية. قال أبو شامة^(٢): وكان ابن شقيشقة، وهو التحيب أبو الفتح نصر الله بن أبي^(٣) العز بن أبي^(٤) طالب الشيباني، مشهورًا بالكذب ورفقة الدين وغير ذلك، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم، ولم يكن بحال^(٥) أن يؤخذ عنه. قال: وقد أجلسه أحمد بن يحيى^(٦) بن هبة الله^(٧) الملقب بالصدر بن سني الدولة في حال ولايته قضاء القضاة بدمشق، فأنشد فيه بعض الشعراء:

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا بأبيكما^(١) ماذا عدا فيما بدا
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الد جال أم عديم الرجال ذوو الهدى
عجبًا لمحلول العقيدة جاهل بالشرع قد أذنوا له أن يعقدا^(٧)

[١٠/٥٧ هـ] قال أبو شامة^(٨): في سنة سبع وخمسين وستمائة توفى شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، وكان يسكن مدارس فقهاء المسلمين، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين فيما بلغنى، وكان

(١) في الأصل: «المزي».

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠١.

(٣ - ٤) سقط من: م.

(٤) في م: «بأهل».

(٥ - ٥) سقط من: م. وأجلسه: يعني أجلسه شاهدًا.

(٦) في م: «تبا لكم».

(٧) في م: «يقعدا». ولعل مناسبة ذكر هذا اللفظ أن ابن سني الدولة ميزه بأن جعله عاقداً للأنكحة،

كما صرح بذلك صاحب الذيل على الروضتين.

(٨) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢.

^(١) يَتَّجَاهَرُ بِاسْتِنْقَاصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ يُعْرَفُ ^(٢) بِابْنِ الْفَخْرِ ^(٣) بِنِ الْبَدِيعِ
الْبِنْدَهِيِّ، كَانَ ^(٤) أَبُوهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ تَلَامِيذَةِ ^(٣) الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ابْنِ خَطِيبِ
الرَّيِّ ^(٣) صَاحِبِ الْمَصْنُفَاتِ ^(٤).

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في الذيل على الروضتين : « بالفخر » . وانظر عقد الجمان ١/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، فقد ترجمه نقلا
عن أبي شامة بمثل ما أثبتناه .

(٣ - ٣) في م : « ابن خطيب الري الرازي » .

(٤) بعده في م : « حية ولد حية » .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة^(١)

استهلت هذه السنة يوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقين
وخراسان وغير ذلك من بلاد الشرق السلطان هولاكوقان ملك التتار ابن تولى بن
جنكيزخان، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز مملوك المعز أئتك
التتوكماني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي بن
الناصر فاتح القدس، وبلاد الكرك والشوبك للملك المعيث بن العادل أبي بكر بن
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وهو جزب^(٢) مع الناصر صاحب
دمشق على المصريين، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد عزموا
على قتال المصريين وأخذ البلد منهم.

أخذ التتار حلب ودمشق

وبينما الناس على هذه الحال، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام،
إذ دخل جيش المغول ضجة ملكهم هولاكو، وجازوا الفرات على جسور
عملوها، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ - ٢١١، وذيل مرآة الزمان ٣٤٩/١ - ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/

٤٧١، وكنز الدرر ٤٥/٨ - ٦٦، والعبر ٢٤١/٥، ٢٤٤.

(٢) في م: « حرب ».

أيام، ثم افتتحوها بالأمان، وغدروا بهم، فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد، فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزّة أهلها أذلةً وكذلك يفعلون، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وامتنعت عليهم قلعته شهراً، ثم تسلّموها بالأمان، وخرّب أسوار البلد وأسوار القلعة، وبقيت حلب كأنها حِمَاً أجزّب، وكان نائبها الملك المعظم ثورانشاه بن صلاح الدين، وكان عاقلاً حازماً، لكنه لم يوافق الجيش على "المصلحة ولكن سرعوا" وكان أمر الله قَدَرًا مقدورًا. وقد كان السلطان هولاءكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدم بجحافلهم: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، ونحن نريد منكم أن تجعلوا بالقلعة شحنةً، فإن كانت الثصرة لنا فالبلاذ كلها في حكمنا، وإن كانت علينا فإن شئتم قتلتم^(٢) الشحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه: مالك عندنا إلا السيف. فتعجب من ضعفهم وجوابهم بهذا، فزحف حينئذ إليهم، وأحاط بالبلد، وكان ما كان بقضاء الله وقدره، ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إليه، فاستتاب عليها رجلاً من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له: حُسروشاه. فخرّب أسوارها كما فعل بمدينة حلب.

(١ - ١) في م: «القتال»، وسرعوا: عجلوا. الوسيط (س ر ع).

(٢) في م: «قبلتم».

وزوال ملكهم عنها سريعاً

أُرْسِلَ هولاكو وهو نازلٌ على حلب جيشاً مع أميرٍ من كبار دولته يقال له :
كثبغا نوين . فورَدُوا دمشقَ في آخِرِ صَفْرِ ، فأخَذوها سريعاً من غيرِ مُمانعةٍ ولا
مُدافعةٍ ، بل تلقَّاهم كبارها بالرَّحْبِ والسَّعةِ ، وقد كَتَبَ معهم السلطانُ هولاكو
فرمانَ أمانٍ لأهلِ البلدِ ، ففَرَّئُ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ ، وَنُوْدِي بِهِ فِي الْبَلَدِ ، فَأَمِنَ النَّاسُ
عَلَى وَجَلٍ أَنْ يَغْدِرُوا كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ حَلَبَ ، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُتَّيَعَةٌ مَسْتَوْرَةٌ ، وَفِي
أَعَالِيهَا الْمَجَانِيقُ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْحَالُ شَدِيدَةٌ ، فَأَخْضَرَتِ النَّتَارُ مَجَانِيقَ تُحْمَلُ عَلَى
عَجَلٍ وَالْخِيُولُ تُجْرُهَا ، وَهَمَّ رَاكِبُونَ عَلَى الْخَيْلِ ، وَأَسْلِحَتُهُمْ تُحْمَلُ عَلَى أَتْقَارٍ
كثيرةٍ ، فَنَصِبَ الْمَجَانِيقُ عَلَى الْقَلْعَةِ مِنْ غَرِيبِهَا ، وَهَدَمُوا حِيطَانًا كَثِيرَةً وَأَخَذُوا
حِجَارَتَهَا وَرَمَوْا بِهَا الْقَلْعَةَ رَمِيًا مُتَوَاتِرًا كَالْمَطَرِ الْمُتَدَارِكِ ، فَهَدَمُوا كَثِيرًا مِنْ أَعَالِيهَا
وَشُرْفَاتِهَا ، وَتَدَاعَتِ لِلسَّقُوطِ ، فَأَجَابَهُمْ مُتَوَلِّئُهَا فِي آخِرِ ذَلِكَ النَّهَارِ لِلْمُصَالِحَةِ ،
فَفَتَّحُوهَا وَخَرَّبُوا كُلَّ بَدْنَةٍ فِيهَا ، وَأَعَالَى بُرُوجِهَا ، وَذَلِكَ فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ
جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَتَلُوا الْمُتَوَلِّئَ بِهَا بَدْرَ الدِّينِ بَنَ قَرَاجَا ^(١) ،
وَنَقَبِيهَا ^(٢) جَمَالَ الدِّينِ ^(٣) بَنَ الصَّيْرَفِيِّ الْحَلَبِيِّ ، وَسَلَّمُوهَا ^(٤) إِلَى أَمِيرٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ :
إِيلِ سَبَانَ . وَكَانَ لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى مُعَظَّمًا لِدِينِ النَّصَارَى ، فَاجْتَمَعَ بِهِ أَسَاقِفَتُهُمْ
وَقُسُوسُهُمْ ، فَعَظَّمَهُمْ جَدًّا وَزَارَ كَنَائِسَهُمْ ، فَصَارَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَحَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ

(١) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ : « قَرْمَجَاهُ » ، وَفِي عَقْدِ الْجَمَانَ : « قَرَل » ، وَفِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : « قَرَبَجَار » .

(٢ - ٢) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَعَقْدِ الْجَمَانَ : « كَمَالَ الدِّينِ » .

(٣) فِي م : « وَسَلَّمُوا الْبَلَدَ وَالْقَلْعَةَ » .

بسببه ، لعنهم الله تعالى ، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاء كواهدايا وتُحْفٍ ،
وقدموا من عنده ومعهم أمانٌ ؛ فرمأً من جهته ، ودخلوا البلد من بابِ ثوماء
ومعهم صليبت منصوبٌ يَحْمِلونه على رُءوسِ الناسِ ، وهم يُنادُونَ بِشِعَارِهِمْ ،
ويقولون : ظَهَرَ الدينُ الصحيح ، دينُ المسيح . وَيَذْمُونَ دينَ الإسلامِ وأهله ،
ومعهم أوانى فيها خَمْرٌ لا يَمْرُونَ على بابِ مسجدٍ إلا رَشُوا عنده خَمْرًا ، وقَمَاقِمُ
مَلَانةٌ خَمْرًا يَرشُونَ منها على وُجوهِ الناسِ ، وَيَأْمُرُونَ كُلَّ مَنْ يَجْتَازون به فى
الأسواقِ والطرقَاتِ أن يقومَ لصلبيهِم ، ودخلوا من دربِ الحجرِ ، فوقفوا عند
رباطِ الشيخِ أبى البيانِ ، ورشوا هنالك خمرًا ، وكذلك على بابِ مسجدى دَرْبِ
الحجرِ الصغيرِ والكبيرِ ، واجتازوا فى السوقِ حتى وصلوا إلى دربِ الرِّيحانِ أو
قريبٍ منه ، فتكأثر عليهم المسلمون ، فردوهم إلى سوقِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ ، فوقفَ
خطيبُهُم إلى ذَكَّةٍ دُكَّانٍ فى عطفَةِ السوقِ هنالك ، فذكر فى خطبته مدحَ دينِ
النصارى ، وذمَّ دينِ الإسلامِ وأهليه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم ولجوا بعدَ ذلك
إلى كَنِيسَةِ مَرْيَمَ ، وكانت بعدُ عامرةً ، ولكن كان هذا سببَ خرابِها ، وللهِ
الحمْدُ .

وحكى الشيخُ قطبُ الدينِ فى « الذيلِ على المرأةِ »^(١) أنهم ضربوا بالناقوسِ
بكَنِيسَةِ مَرْيَمَ . فاللهُ أعلم .

قال^(٢) : وذكر أنهم دخلوا إلى الجامعِ بخميرِ ، وكان من نيتهم إن طالت مدَّةُ
التَّارِ أن يُخَرَّبوا كثيرًا من المساجدِ وغيرها ، فكفى الله شرَّهم . ولما وقع هذا فى

(١) لم نقف عليه فى الذيل ، وانظر عقد الجمان ١/٢٤٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٢ ، ٣٦٣ .

البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء، فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى مُتَسَلِّمها إيل سبان، فأهينوا وطردوا، [١٠/٥٨٠ظ] وقُدِّم كلام رؤساء النَّصَارَى عليهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن العزيز، قد أقام في وطأة بزرزة، ومعه خلق كثير من الجيوش والأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم، وكان ممن معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية، والكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة، لما يُريده الله عز وجل. وقد عرمت طائفة من الأمراء على خلع الملك الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على، فلما تنسّم^(١) الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العساكر سذرت مذر، وساق الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في أصحابه إلى ناحية غزة، فاشتد عاه الملك المظفر قطز إليه، واستقدمه عليه، وأقطع قلبوب، وأنزله بدار الوزارة، وعظم شأنه لديه، وإنما كان حثفه على يديه.

وَقَعَةُ عَيْنِ جَالوت^(٢)

واتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت إلا ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ولله الحمد، وذلك أن الملك المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى

(١) في م: «عرف». وتنسم فلان الخير: تلتطف في التماسه شيئا فشيئا. الوسيط (ن س م).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧، وذيل مرآة الزمان ٣٦٦/١، ونهاية الأرب ٤٧٢/٢٩.

عَزَّةَ ، وقد عَزَمُوا على الدخولِ إلى الديارِ المصرية^(١) وقد عَزَمَ المَلِكُ الناصرُ صاحبَ دمشق على الرحيلِ إلى مصر ، وليته فعل^(٢) . وكان في ضُحْبَتِهِ المَلِكُ المنصورُ صاحبُ حَمَاةَ ، وخلقُ مِنَ الأُمراءِ وأبناءِ الملوِكِ ، وقد وَصَلَ إلى قَطِيَّةَ^(٣) ، وتهياً المَلِكُ المظفَّرُ للقائه وأرسلَ إليه وإلى المنصورِ مستحِثِّينَ ، وأرسلَ إليه يقولُ : تقدَّم حتى نكوُنَ كَتِيفًا واحدًا على التَّارِ . فتحَيَّلَ من ذلك وخاف أن ينتصرَ عليه ، فكرَّ راجعًا إلى ناحِيَةِ تِيهِ بنى إِسْرَائِيلَ ، ودخَلَ عامَّةً من كان معه إلى الديارِ المصريةِ وأكْرَمَ المظفَّرُ المَلِكَ صاحبَ حَمَاةَ ، ووعدَه بيلدِه ، ووَفَّى له بذلك ، ولم يَدْخُلِ الناصرُ وليته فعل فإنه كان على كل حالٍ أَيَسَّرَ عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لعداوةِ ما بينه وبينهم ، فعَدَلَ إلى ناحِيَةِ الكَرْكِ ، فتحَصَّنَ بها ، وليته اسْتَمَرَّ فيها ، ولكنه قَلِقَ ، فركبَ نحوَ البَرِّيَّةِ - وليته ذَهَبَ فيها - واستَجَارَ ببعضِ أُمراءِ الأعرابِ ، فقصدته التَّارُ ، وأتلفوا تلكَ الديارَ ونهبوا ما هنالك مِنَ الأموالِ ، وقتلوا الكِبَارَ والصغارَ ، وهجَموا على الأعرابِ التي بتلكِ النَّواحِيِ ، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وسبَّوْا مِنَ نساءِهم وأبنائِهم ، وقد اقتص منهم العربُ بعدَ ذلك ، فأغاروا على خَيْلِ جِشَارِهِم^(٣) في نصفِ شعبانَ ، فساقوها بأَسْرِهِا ، فسأقت وراءهم التَّارُ ، فلم يُدْرِكوا منهم العُبارَ ، ولا اسْتَرَدُّوا منهم فرسًا ولا حمارًا ، وما زال التَّارُ وراءَ الناصرِ حتى أخذوه وأسروه عندَ بَرَكَةِ زِيْزَاءَ^(٤) ، وأرسلوه مع ولده العزيزِ وهو صغيرٌ ، وأخيه إلى ملكِهم هُولَاكُو وهو نازلٌ على حَلَبَ ، فكانوا في

(١ - ١) سقط من: الأصل .

(٢) قطية : قرية من نواحي الحفار في الطريق بين مصر والشام وفي وسط الرمل قرب الفرما . انظر معجم البلدان ٤/ ١٤٤ . والقاموس الجغرافي ١/ ٣٥٠ (القسم الأول) .

(٣) خيل جشارهم: الخيل ترى أمام البيوت . تاج العروس (ج ش ر) .

(٤) زيزاء: من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان ٢/ ٩٦٦ .

أشبهه حتى قتلهم في السنة الآتية، كما سنذكره .

والمقصود أن المظفر لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة، وأنهم عازمون على الدخول إلى الديار المصرية بعد تمهيد مملكتهم [١٠/٥٩٠] بالشام، بأدرهم هو قبل أن يبادروه، وبرز إليهم، أيده الله تعالى، وأقدم عليهم قبل أن يُقدّموا عليه، فخرج بالعساكر المصرية، وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهت بمن معه من العساكر المنصورة إلى الشام، واستيقظ له عسكر المغول، وعليهم كتبغا نوين، وكان إذ ذاك في البقاع، فاستشار الأشرف صاحب حمص والقاضي مجير الدين بن الزكي في لقاء المظفر، فأشار بعضهم بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو، فأبى إلا أن يناجزه سريعاً،^(١) فصمدوا إليه، فكان اجتماعهم على عيّن جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً شديداً، فكانت النصر، ولله الحمد، للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل كتبغا نوين وجماعة من بنيهِ، وقد قيل: إن الذي قتل كتبغا نوين الأمير جمال الدين أقوش الشنسي، وأتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع وفي كل مازق، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر في هذه الوقعة قتالاً عظيماً، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المشتعرب، وكان أتابك العسكر، وقد أسير من جماعة كتبغا نوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل، فأمر المظفر بضرب عنقه، واستأمن الأشرف صاحب حمص وكان مع التتار، وقد جعله هولاكو نائبا على الشام كله، فأمنه الملك المظفر، وردّ إليه حمص، وكذلك ردّ حماة إلى المنصور، وزاده المعرة^(٢)

(١ - ١) في م: «فساروا إليه وسار المظفر إليهم».

(٢) المعرة: معرة النعمان، وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. انظر

معجم البلدان ٤/٥٧٤، ٥٧٥.

وغيرها، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب،
 وأتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم
 في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من بدمشق منهم،
 وكان هربهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان^(١) صيحة النصر الذي
 جاءت فيه البشارة بالنصرة على عين جالوت^(٢)، فتبعهم المسلمون من دمشق
 يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم، ويستتفكون الأسارى من أيديهم قهرا
 ولله الحمد والمنن على جبره الإسلام، ومعامليته إياهم بلطفه الحسن. وجاءت
 بذلك البشارة السارة، فجارتها البشائر من القلعة المنصورة وفرح المؤمنون يومئذ
 بنصر الله فرحا شديدا، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدا، وكبت أعداء الله
 النصارى واليهود والمنافقون، وظهر دين الله وهم كارهون، ونصر الله دينه ونيته
 ولو كره الكافرون. فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج
 منها الصليب، فانتهبوا ما فيها، وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها، فاخترقت دوز
 كثيرة للنصارى، وملا الله بيوتهم وقبورهم نارا، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة،
 وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان
 كما كان من عبدة الصلبان. وقتلت العامة في وسط الجامع شيخا رافضيا كان
 مُصانعا للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر محمد بن يوسف الكنجي. كان
 خبيث الطوية مشرقيا ممالقا لهم على أموال المسلمين، قبحه الله تعالى، وقتلوا
 جماعة مثله من المنافقين الممالئين على المسلمين ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقد كان السلطان هولوكو أرسل تقليدا بولاية القضاء على جميع المدائن؛

(١ - ١) سقط من: م.

الشام،^(١) والجزيرة^(٢)، والموصل، [٥٩/١٠] وماردين، وميتافارقين، والأكراد وغير ذلك، للقاضي كمال الدين عمر بن بُندار^(٣) التَّقْلِيْسِيُّ. وقد كان نائب الحكيم بدمشق عن القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سنن الدولة من مدة خمس عشرة سنة، فحين وصل التَّقْلِيدُ في سادس وعشرين ربيع الأول قُرئ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، فَاسْتَقْلَ بِالْحَكْمِ فِي دِمَشْقَ، وَكَانَ مِنَ الْفَضَلَاءِ، فَسَارَ الْقَاضِيَانِ الْمَعْرُولَانِ صَدْرُ الدِّينِ بِنُ سَنَنِ الدَّوْلَةِ وَمُحْيَى الدِّينِ بِنُ الزُّكَيْيِّ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ هُوَلَاكُو إِلَى الْبِلَادِ الْحَلِيبِيَّةِ، فَخَدَعَ ابْنُ الزُّكَيْيِّ لَابْنَ سَنَنِ الدَّوْلَةَ، وَبَدَلَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ وَرَجَعَا، فَمَاتَ ابْنُ سَنَنِ الدَّوْلَةَ بِيَعْلَبَكَّ، وَقَدِمَ ابْنُ الزُّكَيْيِّ عَلَى الْقَضَاءِ، وَمَعَهُ تَقْلِيدُهُ وَخِلْعَةٌ مُذَهَّبَةٌ، فَلَبِسَهَا وَجَلَسَ فِي خِدْمَةِ إِيْلِ سِبَانَ تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ^(٤) عِنْدَ الْبَابِ الْكَبِيرِ^(٥)، وَبَيْنَهُمَا الْخَاتُونُ زَوْجَةُ إِيْلِ سِبَانَ حَاسِرَةٌ عَنْ وَجْهِهَا، وَقُرئُ التَّقْلِيدُ هُنَاكَ وَالْحَالُ كَذَلِكَ، وَحِينَ ذُكِرَ اسْمُ هُوَلَاكُو، لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، نُثِرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فَوْقَ رِعْوَسِ النَّاسِ، فَإِنَا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٦)، قَبَّحَ اللَّهُ ذَلِكَ الْقَاضِيَّ وَالْأَمِيرَ وَالزَّوْجَةَ وَالسُّلْطَانَ^(٧).

وذكر أبو شامة^(٨) أيضًا أنه استحوذ على مدارس كثيرة في مدته هذه القصيرة، فإنه عُزِلَ قَبْلَ رَأْسِ الْحَوْلِ، فَأَخَذَ الْعُدْرَاوِيَّةَ وَالسُّلْطَانِيَّةَ وَالْفَلَكَيَّةَ وَالرُّكْنِيَّةَ وَالْقَيْمُرِيَّةَ وَالْعَزِيزِيَّةَ مَعَ الْمُدْرَسَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا بِيَدِهِ؛ التَّقْوِيَّةَ وَالْعَزِيزِيَّةَ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في م: «بدار».

(٣ - ٣) في عقد الجمال: «وهو النائب الكبير».

(٤ - ٤) زيادة من: م.

(٥) الدليل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦.

وأخذ لولده عيسى تدرّيس الأئمينية ومشيخة الشيوخ ، وأخذ أمّ الصالح لبعض أصحابه ، وهو العماد المصري ، وكذا أخذ الشامية البرّانية لصاحب له ، واشتتاب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبيش في القضاء ، وولاه الرواحية والشامية البرّانية . قال أبو شامة^(١) : مع أن شرط واقفها أن لا يُجمَع بينها وبين غيرها .

ولما رجعت المملكة إلى المسلمين سعى القاضى محيي الدين وبذل أموالاً جزيلة ليستمرّ في القضاء والمدارس التي استولى عليها في مدة هذه الشهور ، فلم يشتمرّ بل غزل بالقاضى نجم الدين أبى بكر بن صدر الدين بن سنّى الدولة ، فقرئ توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادى والعشرين من ذى القعدة بالشبّاك الكمالى من مشهد عثمان من جامع دمشق . ولله الحمد .

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ، ودخل دمشق فى أبهة عظيمة ، وفرح الناس به فرحاً شديداً ، ودعوا له دعاءً كثيراً ، وأقرّ صاحب حمص الملك الأشرف على بلده ، وكذلك المنصور صاحب حماة ، واشترّد حلب أيضاً من أيدي التتار ، وعاد الحق إلى نصابه ، ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ليطرود التتار ويتسلم مدينة حلب ، ووعد بنياتها ، فلما طردهم عنها ، وأخرجهم منها ، وتسلمها المسلمون اشتتاب عليها غيره ، وهو علاء الدين بن صاحب الموصل ، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما ، واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً ، ولله الأمر .

(١) الدليل على الروضتين ص ٢٠٦ .

وعَزَمَ الْمُظَفَّرُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَاسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ الْأَمِيرِ عَلَمَ
الدِّينِ سَنَجَرَ الْحَلْبِيِّ الْكَبِيرِ وَالْأَمِيرِ مُجِيرِ الدِّينِ بَنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَزَلَ ابْنَ الرَّكِّيِّ عَنِ
قَضَاءِ دِمَشْقَ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا نَجْمَ الدِّينِ ابْنَ سَنَى الدَّوْلَةِ ، [١٠ / ٦٠] ثُمَّ عَادَ إِلَى
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَغِيُونَ الْأَعْيَانِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ شَرْزًا
مِنْ شِدَّةِ هَيْبَتِهِ .

ذِكْرُ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَهُوَ الْأَسَدُ الضَّارِي بَيْبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيِّ ^(١)
وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ قَطَرَ لَمَّا عَادَ بِالْعَسَاكِرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ،
فَوَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْغُرَابِيِّ ^(٢) وَالصَّالِحِيَّةِ ^(٣) ، عَادَا عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ ، فَقَتَلُوهُ هُنَاكَ ، وَقَدْ
كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَلَا يَتَعَاطَى الشَّرَابَ وَلَا شَيْئًا مِمَّا
يَتَعَاطَاهُ الْمُلُوكُ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مَلَكَهِ مِنْ حِينَ عَزَلَ ابْنَ أُسْتَاذِهِ الْمَنْصُورَ عَلِيَّ بَنَ الْمُعِزِّ
الثُّرُكْمَانِيَّ إِلَى هَذِهِ الْمَدَّةِ ، وَهِيَ أَوَاخِرُ ذِي الْقَعْدَةِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ،
وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا . وَكَانَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ قَدْ
اتَّفَقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ضَرَبَ دَهْلِيَّزَهُ ،
وَسَاقَ خَلْفَ أَرْنَبٍ ، وَسَاقَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ الْأُمَرَاءُ ، فَشَفَعَ عِنْدَهُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ
فِي شَيْءٍ فَشَفَعَهُ ، فَأَخَذَ يَدَهُ لِيَقْبَلَهَا فَأَمْسَكَهَا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ أَوْلَئِكَ الْأُمَرَاءُ فَضَرَبُوهُ
بِالسُّيُوفِ ، وَأَلْقَوْهُ عَنِ فَرَسِهِ ، وَرَشَقُوهُ بِالثُّشَابِ حَتَّى أَجْهَرُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ كَرُّوا
رَاجِعِينَ إِلَى الْخَيْمِ ، وَبِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ مُصْلَتَةً ، فَأَخْبَرُوا مَنْ هُنَاكَ بِالْخَبْرِ ، فَقَالَ

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١/٢ - ٣ ، ونهاية الأرب ٣/٣٠ - ١٦ ، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٠٧ ،
٢٠٨ ، وعقد الجمان ١/٢٦١ - ٢٦٤ .

(٢) في م : « الغزالي » . والغرابي : رمل معروف بطريق مصر بين قطية والصالحية . انظر معجم البلدان ٣/٧٨٠ .

(٣) الصالحية : قرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وهي غير الصالحية التي تتبع محافظة
القليوبية . انظر القاموس الجغرافي ١/٤٢ ، ١١٢ (القسم الثاني) .

بعضهم : مَنْ قَتَلَهُ ؟ ^(١) فقال رُكْنُ الدِّينِ : أَنَا . فقيل له : أَنْتَ الْمَلِكُ . وقيل : لِمَا قُتِلَ حَارِ الْأُمَرَاءِ بَيْنَهُمْ فِيمَنْ يُؤَلُّونَ الْمَلِكَ ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَخْشَى ^(٢) غَائِلَةَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ غَيْرَهُ سَرِيعًا ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَنْ بَايَعُوا الْأَمِيرَ رَكْنَ الدِّينِ يَبِيرُسَ الْبُنْدُقَدَارِيَّ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَكْبَارِ الْمُقَدِّمِينَ فِيهِمْ ، وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يُجَرَّبُوا فِيهِ ، وَلَقَّبُوهُ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ ، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ وَحَكَمَهُ ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ ، وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ وَالبُوقَاتُ ، وَصَفَّرَتِ الشَّبَابَةُ ^(٣) ، وَزَعَقَتِ الشَّائِوُشِيَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعَانَ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ وَالعَسَاكِرُ فِي خِدْمَتِهِ ، فَدَخَلَ قَلْعَةَ الْجَبَلِ ، وَجَلَسَ عَلَى كَرْسِيِّهَا ، وَحَكَمَ فَعَدَلَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ، أَقَامَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ لَشِدَّةِ اِحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الشَّدِيدِ وَالأَمْرِ العَسِيرِ ، وَكَانَ أَوْلَىٰ قَدْ لَقَّبَ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ الْقَاهِرِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : إِنَّ هَذَا اللَّقْبَ لَمْ يُفْلِحْ مَنْ تَلَقَّبَ بِهِ ؛ تَلَقَّبَ بِهِ الْقَاهِرُ بْنُ الْمُعْتَصِدِ ^(٤) فَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ حَتَّىٰ تُخْلَعَ وَسُمِّلَ ، وَلُقِّبَ بِهِ الْقَاهِرُ صَاحِبُ الْمُوَصِّلِ ، فَسَمَّ فَمَاتَ . فَعَدَلَ عَنِ هَذَا اللَّقْبِ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، ثُمَّ شَرَعَ فِي مَسْئَلِكِ مَنْ يَرَىٰ فِي نَفْسِهِ رِئَاسَةً مِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ حَتَّىٰ مَهَّدَ الْمَلِكُ كَمَا يَرِيدُ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ هُوَ لَا كُوقَانَ لَمَّا بَلَغَهُ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ جَيْشِهِ بَعَيْنِ جَالُوتَ أَرْسَلَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ جَيْشِهِ إِلَىٰ بِلَادِ الشَّامِ لِيَسْتَعِيدُوهُ مِنْ أَيْدِي جَيْشِ الْإِسْلَامِ ، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، وَرَجَعُوا وَهُمْ خَائِبُونَ خَاسِرُونَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَهَضَ إِلَيْهِمُ الْهَزْرِيُّ الْكَاسِرُ وَالسَّيْفُ الْبَاتِرُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ الظَّاهِرُ ، فَقَدِمَ إِلَىٰ

(١ - ١) فِي م : « فَقَالُوا : رَكْنَ الدِّينِ بَيْرِس . فَقَالُوا : أَنْتَ قَتَلْتَهُ . فَقَالَ : نَعَمْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَحْتَمِي مِنْ » .

(٣) فِي م : « الشَّغَابَةُ » .

(٤) فِي م : « الْمُعْتَمِد » .

دمشق، وأرسل الجيوش من كل جانب؛ لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل، فلم يقدر التتار على الدنو إليه، ولا القدوم عليه، ووجدوا الدولة قد تغيرت، والسواعيد قد سُمرت،^(١) والسيوف البواتر قد سُلت، والرماح الخطيئة قد اعتقلت، والقيسي قد وُترت، والنبال قد حُصلت^(٢)، والخيول قد سُمرت^(٣)، والطبول قد حُصلت^(٤)، وعناية الله بأهل الشام قد تنزلت، ورحمته بهم قد تداركت، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابها، وكرت راجعة [٦٠/١٠٠ظ] القهقري على أذنايها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،^(٥) وتكمل المسرات، في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات^(٦).

وقد كان الملك المظفر قطز، رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي أحد الأتراك، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة، ودعا لنفسه وتسمى بالملك المجاهد، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة، فدعا الخطيب أولاً للمجاهد، ثم للظاهر ثانياً، وضربت السكّة باسمهما معاً، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين، كما سيأتي.

وقد اتفق في هذا العام أمورٌ عجيبة، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز، ثم في المنتصف من صفر صارت لهولاكوقان ملك التتار، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قطز، ثم في أواخر ذي القعدة انتقلت إلى مملكة السلطان الظاهر بيبرس، وقد شرکه في دمشق الملك المجاهد علم الدين

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أى جمعت وأحضرت...

(٣) تضمير الخيول بأن يظهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلق إلا قوتا. لسان العرب (ض م ر).

سَنَجُرُّ، كما ذكرنا، وكذلك كان القضاة في أولها بالشام لصدر الدين ابن سني الدولة، ثم للكمال عمر الثفليسي، ثم لمحبي الدين بن الزكي، ثم لتنجم الدين ابن سني الدولة. وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني من سنين متطاولة، فعزل في شوال من هذه السنة بالعماد الإسعدي، وكان صبيًا قارئًا مجيدًا، ثم أعيد العماد الحرستاني في أول ذي القعدة منها. فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ومن توفي فيها من الأعيان :

قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن^(١) بن يحيى بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة بن الحيات، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس بن سني الدولة التعلبي دمشق الشافعي، وسني الدولة^(٢) هو الحسن^(٣) بن يحيى المذكور كان كاتبًا^(٤) لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسمائة، وله أوقاف على ذريته. وابن الحيات الشاعر صاحب الديوان، هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التعلبي، عم سني الدولة.

وُلد القاضي صدر الدين سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وسمع الخشوعي وابن طبرزد والكندى وغيرهم، وحدّث ودرّس في عدة مدارس وأفتى، وكان

(١) في م: «الحسين». وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٢٠٦، وذيل مرآة الزمان ١/٣٨٥، ١٠/٢، والعبر ٥/٢٤٤، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٤١، والوفى بالوفيات ٨/٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٤١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/٥٤٨، وعقد الجمان ١/٢٧٣، وشذرات الذهب ٥/٢٩١.

(٢ - ٣) في م: «الحسين».

(٣) في م: «قاضيا».

فاضلاً عارفاً بالمذهب، مشكور السيرة، ولكن الشيخ شهاب الدين أبو شامة ينال منه^(١). فالله أعلم.

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين، واستمر إلى هذه السنة، فسار حين عزل بالكمال التقليسي هو والقاضي محيي الدين بن الزكي إلى هولاء، ثم عاد من عنده وقد تولى ابن الزكي القضاء، فاجتاز ابن سني الدولة ببعابك وهو متمرص، فمات بها، ودُفن عند الشيخ عبد الله اليونيني، رحمه الله تعالى، وقد كان الملك الناصر يئني عليه كما كان الملك الأشرف يئني على والده قاضي القضاة شمس الدين بن سني الدولة. ولما استقر أمر السلطان الملك الظاهر بيبرس ولي ولده القاضي نجم الدين^(٢) أبا بكر بن قاضي القضاة صدر الدين القضاء بدمشق، وعزل ابن الزكي، ثم عزله بعد سنة، وثني بابن خلكان على ما سيأتي [١٠١/٦١] بيأته، وبالله المستعان. والقاضي صدر الدين^(٣) ابن سني الدولة هذا هو الذي أحدث في زمن المشمش بطالة الدروس؛ لأنه كان له بُشتان بأرض السهم، فكان يشق عليه الثرول في ذلك الوقت إلى الدرس، فبطل للناس هذه الأيام، فاتبعوه في ذلك^(٤).

وفيها توفي صاحب ماردین الملك السعيد نجم الدين^(٤) إيل غازي بن

(١) جاءت ترجمة صدر الدين في الذيل على الروضتين قصيرة مقتضبة ولم نجد ما يدل على أن أبا شامة نال منه.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) بعده في م: «والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الفواكه وكثرة الشهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة».

(٤) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ١/٣٧٨، ٢/١٤، وكنز الدرر ٨/٦٥، والوافي بالوفيات ١٠/٢٧، وعقد الجمان ١/٢٧٦، والمنهل الصافي ٣/١٨٨.

المنصور أَرْزُقُ^(١) أَرْسَلانِ بْنِ إِيلِ غازِي بْنِ أَلْيِ^(٢) بْنِ تَمْرَتاشِ بْنِ إِيلِ غازِي
ابنِ أَرْزُقِ ، وكان شجاعًا معظَّمًا ، ملكَ يومًا في قلعتِهِ^(٤) .

تُورَانِ شاهِ بْنِ المَلِكِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بْنِ أَيُوبَ^(٥) ، كان نائِبًا للمَلِكِ
النَّاصِرِ بْنِ العَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ عَلَي حَلَبَ حَتَّى تَمَلَّكَ دِمَشقَ ، وقد حَصَّنَ
حَلَبَ مِنْ أَيدي المَعْوَلِ مَدَّةَ شَهْرٍ ، ثم سَلَّمَهَا بَعْدَ مُحاصِرَةِ شَدِيدَةٍ صُلْحًا . ثم
كانت وفاتُهُ في هذه السَنَةِ وَدُفِنَ بِدِهْلِيْزِ دارِهِ .

وفيها قُتِلَ المَلِكُ السَّعِيدُ حَسَنُ بْنُ^(٦) العَزِيزِ عِثْمَانَ بْنِ المَلِكِ العادِلِ أَبِي بَكْرِ
ابنِ أَيُوبَ ، كان صاحِبَ الصَّيْبِيَّةِ وَبائِنِاسَ بَعْدَ أَبِيهِ ، ثم أُحْدِثَتْ مِنْهُ ، وَحُيِسَ بِقِلْعَةِ
البَيْرَةِ ، فلما جاءتِ التَّنارُ كان مَعَهُمْ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ بِلادَهُ ، فلما كانت وَقَعَةُ عَيْنِ
جالوتَ أَتَى بِهِ أَسِيرًا إِلَى بَيْنِ يَدَيِ المَلِكِ المُظَفَّرِ قُطْرَ ، فَضُرِبَ عُنُقُهُ ؛ لِأَنَّهُ كان قد
لَيْسَ سراقِوَجَ التَّنارِ^(٧) ، وَناصِحَهُمْ .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ^(٨) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ

(١) بعده في م : « بن » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) في م : « السني » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) كذا في الأصل ، م . ولعل هنا سقطا في الترجمة .

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/٤٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٥٨ ، والعبر ٥/٢٤٥ ، والوفى بالوفيات ١٠/٤٤٣ ، والسلوك ١/٤٤٠ ، والنجوم الزاهرة ٧/٩٠ .

(٦) بعده في م : « عبد » . وانظر مصادر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/١٦ ، والعبر ٥/٢٤٥ ، والوفى بالوفيات ١٢/١٠٠ ، وعقد الجمان ١/٢٧٧ ، والنجوم الزاهرة ٧/٩٢ ، وشذرات الذهب ٥/٢٩٢ .

(٧) السراقوج : قلنسوة لها مخروطى طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى . انظر الملابس المملوكية ص ٥٦ .

(٨ - ٨) سقط من : م . وفي الأصل : « عبد الرحيم بن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٢/١٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٤٨ ، والعبر ٥/٢٤٧ ، والوفى بالوفيات ١٨/١٥٧ ، وعقد الجمان ١/٢٧٤ ، وشذرات الذهب ٥/٢٩٣ .

عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن الحسين بن علي ، أبو طالب شرف الدين بن العجمي الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ، ووقف مدرسة بها ، ودفن بها ، وكانت وفاته حين دخلت التتار حلب في صفر ، فعذبوه بأن صبوا عليه ماءً باردًا في الشتاء ، فتشنج حتى مات ، رحمه الله تعالى .

الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركي^(١) ، أخص ممالك الملك المعز عز الدين أيبك التركماني ، أحد ممالك الصالح أيوب ، ثم إنه لما قتل أستاذه المعز قام في تولية ابن أستاذه المنصور نور الدين علي ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة بسبب صغر ابن أستاذه ، فعزله ودعا إلى نفسه ، فبوع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة كما تقدم ، ثم سار إلى التتار ، فجعل الله على يديه نصرة الإسلام كما ذكرنا بعين جالوت ، وقد كان شجاعًا بطلاً ، كثير الخير ، ممالئًا للإسلام وأهله ، وهم يحبونه .

ذكر عنه أنه لما كان بالمعركة يوم عين جالوت قتل جواده ، ولم يجد أحدًا في الساعة الراهنة من الوشاقية^(٢) الذين معهم الجنائب ، فترجل وبقى واقفًا كذلك على الأرض ثابتًا في محل المعركة وموضع السلطنة من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه ، وحلف على السلطان ليزكب ، فامتنع السلطان وقال : ما كنت لأحرم المسلمين نفعك . ولم يزل كذلك حتى جاءت الوشاقية فركب ،

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٠ ، وذيل مرآة الزمان ١/٣٧٩ ، ٢/٢٨ ، وكنز الدرر ٨/٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٠ ، والعبير ٥/٢٤٧ ، وفوات الوفيات ٣/٢٠١ ، وعقد الجمان ١/٢٥٤ ، والنجوم الزاهرة ٧/٧٢ .

(٢) الوشاقية أو الأوشاقية أو الأوجاقية ، واحدها أوجاقي وهو لقب الذي يتولى ركوب الخيول للتسيير والرياضة . انظر صبح الأعشى ٤/٤٥٤ .

فلامه بعضُ الأمراءِ وقال: يا خُونُدُ، لمَ لا رَكِبْتَ فرسَ فلانٍ؟ فلو كان رآكَ بعضُ الأعداءِ لَقَتَلَكَ وهَلَكَ الإسلامُ بسببِكَ. فقال: أما أنا فكنْتُ أزوِّجُ إلى الجنَّةِ، وأما الإسلامُ فله ربٌّ لا يُضَيِّعُه، قد قُتِلَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ - وعدَّدَ خلقًا مِن الملوكِ - فلم يُضَيِّعِ اللهُ الإسلامَ.

وكان حينَ ساقِ مِنَ الديارِ المصريةِ في خدمتهِ خلقٌ مِن كبارِ الأمراءِ البحريةِ وغيرِهِم، ومعه المنصورُ صاحبُ حَمَاةٍ وجماعةٌ [١٠/٦١١ظ] مِن أبناءِ الملوكِ، فأرسلَ إلى صاحبِ حَمَاةٍ يقولُ له: لا تتعَنَّ بِمَدِّ سِمَاطٍ في هذه الأيامِ، وليَكُنْ معَ الجندِيِّ حَمَةً^(١) في سَوَاقِهِ^(٢) يَأْكُلُهَا، والعَجَلُ العَجَلُ. وكان اجتماعُه بعدوِّه كما ذَكَرْنَا في العشرِ الأخيرِ مِن رمضانَ يومَ الجمعةِ، وهذه بِشارةٌ عظيمةٌ، فإن وقعةَ بدرٍ كانت يومَ الجمعةِ في شهرِ رمضانَ، ولهذا نصرَ اللهُ الإسلامَ نصرًا عزيزًا، ولما قديمَ دمشقَ في شِوَالٍ أقامَ بها العَدْلُ، ورَتَّبَ الأمورَ كما ذَكَرْنَا، وأرسلَ الأميرُ رُكْنَ الدينَ بِيَهْرَسَ البُنْدُقَدَارِيَّ خلفَ التتارِ ليُخْرِجَهُم وَيَطْرُدَهُم عن حلبَ، ووعده بنيابيتها، فلم يَفِ له^(٣)، فوقعتِ الوَحْشَةُ بينهما بسببِ ذلك، فلما عادَ المظفَرُ قَطْرَ إلى مصرَ تَمَالًا عليه البُنْدُقَدَارِيَّ وغيرُهُ مِنَ الأمراءِ فقتلوه بينَ الغرَابِيِّ والصالحِيَّةِ، ودُفِنَ بالقَصْرِ^(٤)، وكان قبرُهُ يُزارُ، فلَمَّا تَمَكَّنَ الظاهرُ مِنَ المَلِكِ بَعَثَ إلى قبرِهِ فغَيَّبَهُ عن الناسِ، فكان لا يُعْرَفُ بعدَ ذلك، وكان مَقْتَلُهُ يومَ السبتِ

(١ - ١) سقط من: م. والسولق والصلوق: كيس من جلد يضعه الشخص في حزامه على الجانب الأيمن. انظر الملابس المملوكية ص ٤٣.

(٢) بعده في م: «لما رآه من المصلحة».

(٣) كذا في الأصل، م. وفي ذيل مرآة الزمان ٢/٢٩، وعقد الجمان: «القصير». والقصر والقصير اسمان قديمان لقرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية، وتسمى اليوم الجعافرة، وهي غير الجعافرة التي تتبع محافظة القليوبية. انظر القاموس الجغرافي ١/٣٢، ١١١ (القسم الثاني).

سادس عشر من ذى القعدة، رحمه الله تعالى .

وحكى الشيخ قُطْبُ الدين اليُونِينِي فِي «الدَّبْلِ عَلَى المِرْآةِ»^(١) عن الشيخِ
عَلَاءِ الدينِ بنِ غانِمٍ، عن المَوْلى تاجِ الدينِ أحمدَ بنِ الأثيرِ كاتبِ السُّرِّ في أيامِ
الناصرِ صاحبِ دمشقَ، قال: لما كنا مع السلطانِ الناصرِ بوطْأةَ بَرْزَةَ جاءت
البريديةُ يُخبرون بأنَّ المظْفَرَ قُطِرَ قد تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ بالديارِ المصريةِ، فقرأتُ ذلكَ
على السلطانِ، فقال: اذْهَبْ إلى فلانٍ وفلانٍ فأخبرهم بهذا. قال: فلما
خَرَجْتُ من عنده لِقَيْتَنِي بعضُ الأجنادِ فقال لى: جاءكم الخبرُ من الديارِ المصريةِ
بأنَّ قُطْرَ قد تَمَلَّك؟ فقلتُ: ما عندى من هذا علمٍ، وما يُدْرِيك أنتَ بهذا؟
فقال: بلى والله إنه سِلى المَمْلَكَةَ، وَيَكْسِرُ التَّارَ. فقلتُ: من أين تَعْلَمُ هذا؟
فقال: كنتُ أَخْدُمُهُ وهو صغيرٌ، وكان عليه قَمَلٌ كثيرٌ، فكنتُ أَفْلِيه وأهينُهُ،
فقال لى يوماً: ويلك، أَيْشِ تُرِيدُ أنْ أُعْطِيكَ إذا مَلَكْتُ الديارَ المصريةِ؟ فقلتُ
له: أنتَ مجنونٌ؟! فقال: لقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فى المنامِ، وقال لى: أنتَ
تَمَلِّكُ الديارَ المصريةِ، وتَكْسِرُ التَّارَ. وقولُ رسولِ اللهِ ﷺ حَقٌّ لا شكَّ فيه.
فقلتُ له حينئذٍ - وكان صادقاً - أريدُ منكِ إمْرَةَ خمسينِ فارساً. فقال: نعم.
قال ابنُ الأثيرِ: فلما قال لى هذا قلتُ: هذه كتبُ المِصْرِيِّينَ بأنه قد تَوَلَّى
السُّلْطَنَةَ. فقال: والله لِيَكْسِرَنَّ التَّارَ. فكان كذلكَ كما قال. ولما رجع الناصرُ
إلى ناحيةِ الديارِ المصريةِ، وأراد دُخولَها، ورجع عنها ودخلها أكثرُ الجيوشِ
الشاميةِ كان هذا الأميرُ الحاكى فى جملةِ مَنْ دخلها، فأعطاه المظْفَرُ إمْرَةَ خمسينِ
فارساً، ووفى له بالوعْدِ، وهو الأميرُ^(٢) حسامُ الدينِ البرَكَةُ خانى^(٢). قال ابنُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٨١/١ - ٣٨٣، ٣٠/٢ - ٣٢.

(٢ - ٢) فى الأصل: «جمال الدين التركخانى»، وفى م: «جمال الدين التركمانى». والمثبت من

مرآة الزمان ٣٨٣/١، ٣٠/٢. وانظر كنز الدرر ٤١/٨، ٤٢.

الأثير: فلقينى بالديار المصرية بعد أن تأمر، فذكرنى بما كان أخبرنى عن المظفر، فذكرته، ثم كانت وقعة التار على إثر ذلك^(١)، ولله الحمد والمِنَّة.

وفيهما هلك كَثْبُغَانُونَيْن^(٢) نائب هولاء على بلاد الشام، لعنهما الله، ومعنى نُونَيْن يعنى أمير عشرة آلاف، وكان هذا الحبيث قد فتح لأستاذه هولاء من أقصى بلاد العجم إلى الشام، وقد أدرك جَنْكِرْخان^(٣) جد هولاء، وقد كان كَثْبُغَا هذا يَعْتَمِدُ فى حروبه للمسلمين ببلاد خراسان والعراق أشياء لم يسبقه إليها أحد، كان إذا فتح بلدًا ساق المقاتلة منه إلى البلد الذى يليه، ويطلب من أهل البلد [١٠١٢/١٠] أن يؤووا هؤلاء إليهم، فإن فعلوا حصل مقصوده فى تضييق الأطمعة والأشربة عليهم، فتقصر مدة الحصار عليه^(٤)، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم^(٥) بهؤلاء حتى يفتنى هؤلاء، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهولاء ثم استأنف قتالهم بمن عنده حتى يفتحه. وكان يبعث إلى الحصن يقول لهم: إن ماءكم قد قل، فافتحوا صلحًا قبل أن نأخذكم قسرًا. فيقولون: إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء. فيقول: لا أصدق حتى أبعث من عندى من يُشرف عليه، فإن كان كثيرًا أنصرفت عنكم. فيقولون: ابعث من يُشرف

(١) بعده فى م: «فكسرهم وطردهم عن البلاد وقد روى عنه أنه لما رأى عصاب التار قال للأمرء والجيوش الذين معه: لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفىء الظلال وتهب الرياح ويدعوا لنا الخطباء والناس فى صلاتهم رحمه الله تعالى».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٣/٢، والعبر ٢٤٩/٥، وعقد الجمان ٢٨٠/١، والنجوم الزاهرة ٧٨/٧، وذكره فى وفيات سبع وخمسين وستمائة، وهو الصواب؛ لأنه قتل فى معركة عين جالوت وكانت فى سنة سبع وخمسين وستمائة.

(٣) بعده فى الأصل: «الكبير»، وبعده فى ذيل مرآة الزمان ٣٥/٢: «الأخير».

(٤) بعده فى م: «لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم».

(٥) بعده فى م: «بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذى فتحه قبل ذلك فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك».

على ذلك . فيُرْسِلُ رَجَالًا مِنْ جَيْشِهِ ، مَعَهُمْ رِمَاحٌ مُجَوَّفَةٌ مَحْشُورَةٌ سُمًْا ، فَإِذَا دَخَلُوا سَاطُوا^(١) ذَلِكَ الْمَاءَ بِتِلْكَ الرِّمَاحِ ، فَيَنْفَتِحُ ذَلِكَ السُّمُّ وَيَسْتَقِرُّ فِي الْمَاءِ ، فَيَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ . وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدِ اسْتَسَنَّ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى دِينِ النَّصَارَى ، وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ عَنْ حَكْمِ جَنْكِرْخَانَ فِي الْيَاسَاقِ .

قال الشيخ قُطْبُ الدِّينِ الْيُونِنِيُّ^(٢) : وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِبَغْلَبَكْ حِينَ حَاصَرَ قَلْعَتَهَا ، وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا ، لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ مُسْتَرْسِلَةٌ رَقِيقَةٌ قَدْ ضَفَرَهَا مِثْلَ الدَّبُوقَةِ ، وَتَارَةً يُعَلِّقُهَا فِي حَلْقَةٍ بِأُذُنِهِ ، وَكَانَ مَهِيئًا ، شَدِيدَ السَّطُورَةِ . قَالَ : وَقَدْ دَخَلَ الْجَامِعَ ، فَصَعِدَ الْمَنَارَةَ لِيَتَأَمَّلَ الْقَلْعَةَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْغَرْبِيِّ ، فَدَخَلَ دُكَّانًا خَرَابًا ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَكْشُوفُ الْعَوْرَةِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مَسَحَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِقَطْنٍ مُلَبَّدٍ مَسْحَةً وَاحِدَةً .

قال^(٣) : وَلَمَّا بَلَغَهُ خُرُوجُ الْمُظْفَرِ إِلَيْهِ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ تَلَوَّمَ فِي أَمْرِهِ ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ نَفْسُهُ الْأَيُّبَةَ عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَنْتَصِرُ كَمَا كَانَتْ عَادَتُهُ ، فَحَمَلَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَيْسِرَةِ فَكَسَرَهَا ، ثُمَّ أَيَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَثَبَّتَهُمْ ، فَحَمَلُوا حَمَلَةً صَادِقَةً عَلَى التَّنَارِ ، فَهَزَمُوهُمْ هَزِيمَةً لَا تُجْبَرُ أَبَدًا ، وَقُتِلَ كَثَبُغَانِيُّونَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَأُسِرَ ابْنُهُ ، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا ، فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُظْفَرِ فُطْرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَهْرَبَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَهْرُبُ . فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُهُ صَرَخَ وَبَكَى ، فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ

(١) ساطوا: خَلَطُوا وَمَزَجُوا . الْوَسِيطُ (س و ط) .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/٣٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/٣٥ .

المُظْفَرُ^(١) قال : نام^(٢) طَيِّبًا ، كان هذا سَعَادَةَ النَّارِ ، وبقتله ذهب سَعْدُهُمْ . وهكذا كان كما قال ، ولم يُفْلِحُوا بَعْدَهُ أَبَدًا ، وكان قتله يومَ الجمعةِ الخامسِ والعشرين من رمضانَ ، لعنه اللهُ تعالى ، وكان الذى قتل كُنْبَغَانَوِيْنَ الأَمِيرُ جمالُ الدينِ آقوشُ الشَّمْسِيُّ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

الشيخُ محمدُ الفقيهُ اليُونِنِيُّ الحنبليُّ البَغْلَبَكِيُّ الحافظُ^(٣) ، هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ أبى الرجالِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ محمدِ^(٤) ابنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ إسحاقِ بنِ جعفرِ الصادقِ - كذا نقل هذا الانتسابُ الشيخُ قُطُبُ الدينِ اليُونِنِيُّ من خطِّ أخيه الأكبرِ أبى الحسينِ^(٥) عليِّ ، وأخبره أن والده قال له : نحن من سُلالةِ جعفرِ الصادقِ . قال^(٦) : وإنما ذَكَرَ له هذا عندَ الموتِ لِيَتَحَرَّجَ مِنْ قَبولِ الصَّدَقَةِ - أبو عبدِ اللهِ بنُ أبى الحسينِ اليُونِنِيُّ الحنبليُّ تَقَى الدينِ الفقيهُ الحنبليُّ الحافظُ المَفِيدُ البارِعُ العابدُ الناسكُ ، وُلد سنةَ ثنتينِ وسبعينِ وخمسمائةٍ ، وسمعَ الخُشوعِيَّ وحنبلًا والكنديَّ والحافظَ عبدَ الغنِيِّ المقدِسِيَّ ، وكان يُثْنِي عليه ، وتفقهَ على الشيخِ المَوْقِقِ ، ولزمَ صحبةَ الشيخِ عبدِ اللهِ اليُونِنِيِّ ، وانتفعَ به ، وكان الشيخُ عبدُ اللهِ يُثْنِي عليه ، ويُقَدِّمُهُ ويُقْتَدِي به فى الفتاوى الشرعية ، وقد لبسَ الخِرْقَةَ مِنَ الشيخِ عبدِ اللهِ البَطَائِحِيِّ ، وبرعَ فى علمِ

(١) بعده فى م : « سجد لله تعالى ثم » .

(٢) كذا فى الأصل ، وذيل مرآة الزمان . وفى م : « أنام » . والذى قال ذلك ابن كنيغا ، قاله للسلطان قطز . والصواب : « نام » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، والذيل على مرآة الزمان ٣٨/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٩/٤ ، والعبير ٢٤٨/٥ ، والوافى بالوفيات ١٢١/٢ ، والدليل الشافى ٥٨٨/٢ ، وشذرات الذهب ٢٩٤/٥ .

(٤) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « بن أحمد » .

(٥) فى ذيل مرآة الزمان : « الحسن » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٥٦/٢ ، ٥٧ .

الحديث، وحفظ «الجمع» [٦٢/١٠] بين الصحيحين» بالفاء والواو، وحفظ قطعةً صالحةً من «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»، وكان يَعْرِفُ العَرَبِيَّةَ، أخذ ذلك عن التاج الكِنْدِيُّ، وكتب مَلِيحًا حَسَنًا، وكان النَّاسُ يَنْتَفِعُونَ بِفُنُونِهِ الكَثِيرَةِ، وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ الطَّرِيقَةَ الحَسَنَةَ، وَحَصَلَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ المُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، تَوَضَّأَ مَرَّةً عِنْدَ المَلِكِ الأَشْرَفِ وَهُوَ عِنْدَهُ بِالقَلْعَةِ حَالَ سَمَاعِ «البُخَارِيِّ» عَلَى الزَّيْدِيِّ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الوُضُوءِ نَقَضَ السُّلْطَانُ تَخْفِيفَةً، وَبَسَطَهَا عَلَى الأَرْضِ لِيَطَّأَ عَلَيْهَا، وَحَلَفَ السُّلْطَانُ لَهُ أَنَّهَا طَاهِرَةٌ وَلَا بَدَّ أَنْ يَطَّأَهَا بِرِجْلِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. وَلَمَّا قَدِمَ الكَامِلُ عَلَى أَخِيهِ الأَشْرَفِ دِمَشْقَ، أَنْزَلَهُ القَلْعَةَ، وَتَحَوَّلَ الأَشْرَفُ لِدَارِ السَّعَادَةِ، وَجَعَلَ يَذْكُرُ لِلکَامِلِ مَحَاسِنَ الشَّيْخِ الفَقِيهِ، فَقَالَ: أَشْتَهَى أَنْ أَرَاهُ. فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ إِلَى بَغْلَبَكِّ بِطَاقَةٍ، فَاسْتَحْضَرَهُ فَوَصَلَ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، فَنَزَلَ الكَامِلُ إِلَيْهِ، وَتَحَادَّثَا وَتَذَاكَّرَا شَيْئًا مِنَ العِلْمِ، فَذُكِرَتْ مَسْأَلَةُ القَتْلِ بِالمُتَّقِلِ، وَجَرَى ذِكْرُ حَدِيثِ الجَارِيَةِ الَّتِي قَتَلَهَا اليَهُودِيُّ، فَوَضَّ رَأْسَهَا بَيْنَ حَجْرَيْنِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ^(١)، فَقَالَ الكَامِلُ: إِنَّهُ لَمْ يَعْتَرِفْ. فَقَالَ الشَّيْخُ الفَقِيهُ: فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: فَاعْتَرَفَ. فَقَالَ الكَامِلُ: أَنَا اخْتَصَرْتُ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ»، وَلَمْ أَجِدْ هَذَا فِيهِ. «قَالَ: بَلَى^(٢). فَأُرْسِلَ الكَامِلُ، فَأَخْضَرَ خَمْسَ مَجْلَدَاتٍ اخْتِصَارِهِ «لِمُسْلِمٍ»، فَأَخَذَ الكَامِلُ مَجْلَدًا، وَالأَشْرَفُ مَجْلَدًا، وَعِمَادُ الدِّينِ بَنُ مُوسَى آخَرَ^(٣)، وَالمَلِكُ الصَّالِحُ مَجْلَدًا^(٤) وَأَخَذَ الشَّيْخُ الفَقِيهُ مَجْلَدًا، فَأَوَّلَ مَا فَتَحَهُ وَجَدَ الحَدِيثَ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الفَقِيهُ، فَتَعَجَّبَ الكَامِلُ مِنْ اسْتِحْضَارِهِ وَشُرُوعِهِ كَشْفِهِ،

(١) أخرجه البخارى (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) كلاهما من حديث أنس بن مالك.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وهو الصواب ليكون عدد الأشخاص مناسبًا لعدد المجلدات.

وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية ، فأرسله الأشرفُ سريعاً إلى بَغْلَبَك ، وقال للكامل : إنه لا يُؤثِرُ ببِغْلَبَك شيئاً . فأرسل له الكاملُ ذهباً كثيراً^(١) . قال ولده قُطْبُ الدين^(٢) : كان والدي يَقْبَلُ بِرَّ الملوكِ ، ويقولُ : أنا لى فى بيتِ المالِ أكثرُ مِن هذا . ولا يَقْبَلُ مِنَ الأمراءِ ولا مِنَ الوُزراءِ شيئاً إلا أن يَكُونَ هديةً مأكولٍ ونحوه ، ويُرسِلُ إليهم من ذلك ، فيَقْبَلونه على سبيلِ التَّبرُّكِ والاستِشفاءِ . وذكر أنه كثرَ ماله وأثرى ، وصار له سَعَةٌ مِنَ المالِ كثيرةً ، وذكر له أن الأشرفَ كَتَبَ له كتاباً بقريةِ يُونين ، وأعطاه الحُصْبَى الدينِ بنِ الجوزىِّ ليأخُذَ عليه خطَّ الخليفةِ ، فلما شعرَ والدى بذلك أخذَ الكتابَ ومزَّقه ، وقال : أنا فى عُنيةٍ عن ذلك . قال : وكان والدى لا يَقْبَلُ شيئاً مِنَ الصدقةِ ، وَيَزْعُمُ أنه مِن ذريةِ جعفرِ الصادقِ بنِ محمدِ الباقرِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللهُ عنه . قال : وقد كان قبلَ ذلك فقيراً لا شىءَ له . وكان للشيخِ عبدِ اللهِ زوجةً ، ولها ابنةٌ جميلةٌ ، وكان الشيخُ يقولُ لها : زَوِّجِيها مِنَ الشيخِ محمدِ . فتقولُ : إنه فقيرٌ ، وأنا أُحِبُّ أن تَكُونَ ابنتى سعيدةً . فيقولُ لها : كأنى أَنْظُرُ إليهما إياه وإياها فى دارٍ فيها بركةٌ ، وله رزقٌ كثيرٌ ، والملوكُ يَتَرَدَّدونَ إلى زيارته . فزَوَّجتها منه ، فكان الأمرُ كذلك ، وكانت أولى زوجاته ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

وكانت الملوكُ كُلُّها تجىءُ مدينته ، ويُعظِّمونه جدًّا ؛ بنو العادلِ وغيرهم ، وكذلك كان مَشايخُ الفقهاءِ كابنِ الصلاحِ ، وابنِ عبدِ السلامِ ، وابنِ الحاجبِ ، والحَصيرىِّ ، وشمسِ الدينِ بنِ سَنَى الدولةِ ، وابنِ الجوزىِّ ، وغيرهم يُعظِّمونه وَيَزِجَعونَ [٦٣/١٠ و] إلى قولِهِ لعلِمِهِ وعَمَلِهِ وديانَتِهِ وأمانَتِهِ .

(١) فى ذيل مرآة الزمان أنه امتنع من قبول الذهب .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٤ / ٢ ، ٤٥ .

وقد ذُكِرَتْ له أحوالٌ ومُكاشَفاتٌ وكراماتٌ كثيرةٌ، قدَّس اللهُ رُوحَه ، وزعمَ بعضهم^(١) أنه قُطِبَ منذ ثنتي عشرة سنةً . فاللهُ أعلمُ . وذكرَ الشيخُ الفقيهُ قال : كنتُ عزمتُ مرةً على الرحلةِ إلى حِرَّانَ ، وكان قد بلغني أن رجلاً بها يعلِّمُ علمَ الفرائضِ جيداً ، فلما كانت الليلةُ التي أريدُ من صبيحتها أسافرُ جاءني رسالةُ الشيخِ عبدِ اللهِ اليُونينيِّ يعزِّمُ عليَّ إلى القدسِ الشريفِ ، وكأني كرهتُ ذلكَ ، وفتحتُ المصحفَ ، فطلعَ قوله : ﴿ أَتَسِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمُ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس : ٢١] . فخرجتُ معه إلى القدسِ ، فوجدتُ ذلكَ الرجلَ الحِرَّانيَّ بالقدسِ الشريفِ ، فأخذتُ عنه علمَ الفرائضِ حتى خُيِّلَ لي أني قد صرْتُ أبرعَ فيه منه .

وقال الشيخُ أبو شامة^(٢) : كان رجلاً ضخماً ، وحصلَ له قبولٌ كثيرٌ من الأُمراءِ وغيرِهِم ، وكان يلبسُ قُبَّعًا ، صوفُه إلى خارجِ ، كما كان شيخُه عبدُ اللهِ اليُونينيُّ . قال : وقد صنَّفَ شيئاً في المعراجِ ، فردِّدْتُ عليه في كتابِ سَمِّيَتْهُ « الواضحُ الجليُّ في الردِّ على الحنبليِّ » . وذكرَ ولدهُ قُطِبُ الدينِ أنه مات في التاسعِ عشرَ من رمضانَ من هذه السنةِ عن ثمانِ وثمانين سنةً ، رحمه اللهُ تعالى .

محمدُ بنُ خليلِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ بدرِ ، أبو عبدِ اللهِ البيطارُ الأكَالُ^(٣) ، أصلُه من جبلِ بنى هلالِ ، ووُلِدَ بقصرِ حجاجِ ، وكان مُقيمًا بالشاغورِ ، وكان

(١) المصدر السابق ٦٦/٢ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، وذيل مرآة الزمان ٧٢/٢ ، والوفى بالوفيات ٤٩/٣ .

فيه صلاح ودين وإيثاق للفقراء والمحاويج والمحايس، وكانت له حالٌ غريبةٌ؛ لا يأكل لأحدٍ شيئاً إلا بأجرة، وكان أهلُ البلدِ يترامون عليه ليأكلَ لهم الأشياءَ المُفْتَحَرَةَ الطيبةَ، فيمتنعُ إلا بأجرةٍ جيدةٍ، وكلما تمتعَ من ذلك حلاً عندَ الناسِ، وأحبُّوه ومالوا إليه، فيأتونه بأشياءَ كثيرةٍ من الحلواتِ والشِّوَاءِ وغيرِ ذلك، وأجرةٌ جيدةٌ مع ذلك، وهذا غريبٌ جدًّا، رحمه اللهُ تعالى، ورضى عنه بمَنه وكرمه آمين.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة

استهلت^(١) بيوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول، وليس للمسلمين خليفة، وصاحب مكة أبو نمي بن أبي سعد^(٢) بن علي بن قتادة الحسني، وعمه إدريس بن علي شريكه، وصاحب المدينة الأمير عز الدين جماز بن شيحة الحسيني، وصاحب الديار المصرية والشامية^(٣) السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وشريكه في دمشق وبعلبك والصبيبة وبنياس الأمير علم الدين سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاجين^(٤) الجوكندار^(٥) العزيزي، والكرك والشوبك للملك المغيث فتح الدين عمر ابن العادل سيف الدين أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب. وحصن صهيون^(٦) وبرزية^(٧) في يد الأمير مظفر الدين عثمان

(١) ذيل مرآة الزمان ٨٧/٢ - ٨٩، وعقد الجمان ٢٨٧/١، ٢٨٨، والنجوم الزاهرة ٢٠٠/٧، ٢٠١.

(٢) في الأصل، م: «سعيد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) يعني معظم الشام كما في ذيل مرآة الزمان، وسيذكر المصنف فيما يأتي بعض مناطق الشام - حماة وغيرها - لغير الملك الظاهر.

(٤) في م: «لاشين».

(٥) في م: «الجوكنداري». والجوكندار: لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة، ويجمع على جوكان دارية، وهو مركب من لفظتين فارسيتين، إحداهما جوكان، وهو الميخن الذي تضرب به الكرة، ويعبر عنه بالصولجان أيضًا: والثانية: دار، ومعناه تمسك. فيكون المعنى: تمسك الجوكان. والعامية تقول: لجكندار. بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف. انظر صبح الأعشى ٤٥٨/٥.

(٦) في م: «جهيون». وصهيون: موضع معروف بالبيت المقدس، محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضًا: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٤٣٨/٣.

(٧) في الأصل: «باررنا»، وفي م: «بازريا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان. وبرزية: =

ابن ناصر الدين منكورس^(١)، وصاحب حماة الملك المنصور بن تقي الدين محمود، وصاحب حمص الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر، وصاحب الموصل الملك الصالح إسماعيل بن البدر لؤلؤ، وأخوه الملك المجاهد صاحب جزيرة ابن عمر، وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيل غازی ابن أرتق، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قلیج^(٢) أرسلان بن كیحسرو السلجوقي، وشريكه في الملك أخوه كیکاوس والبلاد بينهما نصفين، وسائر بلاد المشرق من خراسان والعراق بأيدي التتار أصحاب هولوكوقان، وبلاد اليمن يملكها غير واحد من الملوك، [٦٣/١٠ظ] وكذلك بلاد^(٣) المغرب، في كل قطر منها ملك.

وفي هذه السنة^(٤) أغارت التتار على بلاد حلب، وانجفل الناس وحصل لهم رعب شديد والتقى التتار مع نائب حلب الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي، والمنصور صاحب حماة، والأشرف صاحب حمص، وكانت الوقعة عند^(٥) حمص قريبا من قبر خالد بن الوليد، والتتار في ستة آلاف، وإنما كان مع هؤلاء من المسلمين ألف وأربعمائة، فهزمهم الله تعالى، وقتلوا أكثر التتار والله

= حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، و«برزيه» نطق العامة - كما قال الحموي - ولعل المصادر ذكرته لاشتهاره واسمها: «برويه». انظر معجم البلدان ١/٥٦٥.
(١) في الأصل، م: «مكورس». والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وعقد الجمان.
(٢) في م: «فلج».
(٣) بعده في م: «الجوكندی».
(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١١، ٢١٢، وذيل مرآة الزمان ١٨٩/٢ - ٩١، ونهاية الأرب ٣٠/٤٠ - ٤٣، والعبير ٥/٢٥١، ٢٥٢، وعقد الجمان ١/٢٦٧ - ٢٧٠.
(٥) في م: «فلقبيهم صاحبها».
(٦) في م: «شمالي».

الحمْدُ ، فرجع التتارُ إلى حلب ، فحَصَرُوا أربعةَ أشهرٍ ، وضيَّقُوا عليها الأَقْواتَ ، وقتلوا مِنَ الغُرباءِ خَلقًا كثيرًا صَبْرًا ، فإنَّا لِلَّهِ وإنا إليه راجعون ، والجِوشُ الذين كَسَرُوهم على حمصَ لم يَزِجِعُوا إلى حَلَبَ ، بل ساقوا إلى الديارِ المِصرِيَّةِ فتلقَّاهم السلطانُ الملكُ الظاهرُ^(١) في أُبْهَةِ السُّلْطَنَةِ^(٢) ، وأحسَنَ إليهم ، وبقيت حلبُ مُحاصِرَةً لا ناصرَ لها في هذه المدةِ ، ولكن سلَّم اللهُ سبحانه وتعالى .

وفي يومِ الاثنينِ سابعِ صفرٍ^(٣) ركبَ الملكُ الظاهرُ في أُبْهَةِ الملكِ ، ومشى الأُمراءُ والأجنادُ بينَ يديه ، وكان ذلك أولَ رُكوبِهِ ، واستَمَرَ بعدَ ذلك يُتابعُ الرُكوبَ واللَّعبَ بالكرةِ .

وفي^(٤) الحادِي عَشَرَ من^(٥) صفرٍ خَرَجَ الأُمراءُ بدمشقَ^(٦) على الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنجَرَ الحلبِيِّ ، فقاتلوه فهزَموه ، وألجئوه إلى القلعةِ ، وحَصَرُوهُ فيها ، فهربَ منها إلى قلعةِ بَغْلَبَكْ ، وتسَلَّمَ قلعةَ دمشقَ الأميرُ علاءُ الدينِ أَيْدِيكِينِ البُنْدُقْدَارِيُّ ، وكان مملوكًا لجمالِ الدينِ بنِ^(٧) يَغْمُورٍ ، ثم للصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ ، وإليه يُنسَبُ الملكُ الظاهرُ ، فأرسله السلطانُ لِيَسَلَّمَ دمشقَ مِنَ الحلبِيِّ عَلَمِ الدينِ سَنجَرَ ، فأخذها وسكَنَ القلعةَ بها نيابةً عن الملكِ الظاهرِ ، ثم حاصروا الحلبِيَّ ببَغْلَبَكْ ، حتى أخرجوه منها على بَغْلٍ ، وأرسلوه إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فدخَلَ عليه ليلاً ، فعاتبه ثم أطلقَ له أشياءً وأكْرَمَهُ .

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩١/٢ ، والسلوك ٤٤٣/١ ، ٤٤٤ (القسم الثاني) .

(٣ - ٣) في م : « سابع عشر » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٩١/٢ ، ٩٢ ، ونهاية الأرب ٣٨/٣٠ ، ٣٩ ، وعقد الجمان ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٩٤/١ ، والسلوك ٤٤٥/١ (القسم الثاني) .

وفى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول^(١) استوزر الملك الظاهر بهاء الدين على بن محمد، المعروف بابن الحنّا .

وفى ربيع الآخر^(٢) قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوثوب عليه . وفيه أرسل إلى الشؤبك^(٣) فتسلمها من أيدي نواب المغيث صاحب الكرك .

وفى جَهز الظاهر جيشًا إلى حلب^(٤) ليَطْرُدوا التتار عنها ، فلما وصل الجيش إلى غزّة كتب الفرجُ إلى التتار يُنذرونهم ، فرحلوا عنها مُسرّعين ، واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليها الجيش الظاهريّ ، فأزالوا ذلك كله ، وصادروا بعض أهلها بألف وستمئة ألف ، ثم قدم الأمير شمس الدين آقوش البزلي^(٥) من جهة الظاهر ، فاستولى على البلد واستحوذ عليها ، فقطع ووصل وحكم^(٦) ولكن ما عدل^(٧) .

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى^(٨) باشر القضاء بالديار المصرية العلامة الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن بنت القاضي الأعزّ أبى القاسم خلف بن

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٢ ، ونهاية الأرب ١٨/٣٠ ، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢٨٨/١ ، ٢٨٩ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٢ ، ونهاية الأرب ١٨/٣٠ ، ١٩ ، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢٨٩/١ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٩٣/٢ ، ونهاية الأرب ٤٩/٣٠ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٩٣/٢ ، ٩٤ ، ونهاية الأرب ٤٢/٣٠ ، ٤٣ ، وعقد الجمان ٢٩٢/١ ، ٢٩٣ .

(٥) هنا وما سيأتى فى م : « التركى » .

(٦ - ٦) فى م : « وعدل » .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢ ، ونهاية الأرب ١٩/٣٠ ، والسلوك ٤٤٨/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢٨٩/١ .

القاضي رشيد الدين^(١) أبي الثناء محمود بن بدر العلامي^(٢) ، وذلك بعد شروط ذكرها للظاهر شديدة ، فدخل تحتها الملك الظاهر ، وغزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري ، ورُسم عليه أياماً ، ثم أُفْرِج عنه .

ذَكَرَ الْبَيْعَةَ بِالْخِلَافَةِ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرِ^(٣) بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْعَبَّاسِيِّ وَهُوَ عَمُّ الْمُسْتَعَصِمِ^(٤)

وكان مُعْتَقَلًا ببغدادَ ثم أُطْلِقَ ، فكان مع جماعة الأعراب بالعراق ، [١٠٠ /
١٠٦٤] ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم مصر ضحبة جماعة من أمراء
الأعراب عشرة ، منهم الأمير ناصر الدين مهنا ، وكان دخوله إلى القاهرة في ثامن
رجب ، فخرج السلطان ومعه الوزير^(٥) والقاضي تاج الدين^(٦) والشهود
والمؤذنون فنلقوه ، وكان يومًا مشهودًا ، وخرج أهل الثوراة بتوراتهم ، والنصارى
بإنجيلهم ، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة ، ولله الحمد والمنة ، فلما كان
يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة في الإيوان بقلعة الجبل ،
والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم ، وأُثبت نسب الخليفة المذكور على

(١) بعده في الأصل ، م : « بن » . والمثبت كما في ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) في م : « العلامي » .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢ - ٩٨ ، والسلوك ٤٤٨/١ - ٤٥١ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٢٩٣/١ - ٢٩٧ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل . والمثبت من مصادر التخريج .

الحاكم تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز.

وهذا الخليفة هو أخو المُستنصرِ باني المُستنصرية^(١)، وعمُّ المُستعصم^(٢)، بُويح بالخِلافةِ بمصرَ، بايعه الملكُ الظاهرُ والقاضي والوزيرُ والأمراءُ، وركب في دَسْتِ الخِلافةِ بديارِ مصرَ والأمراءِ بينَ يديه، والناسُ حوله، وشقَّ القاهرةَ، وكان يوماً مشهودًا، وذلك في الثالثِ عشرَ من رجبٍ من هذه السنة، وهذا الخليفةُ هو الثامنُ والثلاثونُ من خُلفاءِ بني العباسِ، بينه وبينَ العباسِ أربعةٌ وعشرونُ أبًا، وكان أولَ مَنْ بايعه يومئذِ القاضي تاجُ الدينِ عندما ثبتَ عنده نسبُه، ثم السلطانُ الملكُ الظاهرُ ثم الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ والأمراءُ والدولةُ، وللهُ الحمدُ والمنةُ، وخطبَ له على المنابرِ، وضُربَ اسمه على السكَّةِ، وكان منصبُ الخِلافةِ شاغِرًا منذَ ثلاثِ سنينَ ونصفٍ؛ لأنَّ المُستعصمَ قُتِلَ في أولِ سنةٍ ستٍّ وخمسينَ وستِّمائةً، وبُويحَ هذا في يومِ الاثنينِ في الثالثِ عشرَ من رجبٍ من هذه السنة - أغنى سنةً تسعَ وخمسينَ وستِّمائةً - وكان أسمرَ وسيماً، شديدَ القُوَى، عاليَ الهِمَّةِ، له شجاعةٌ وإقدامٌ، وقد لَقَّبوه بالمُستنصرِ كما كان أخوه باني المدرسةِ ببغدادَ تلقَّبَ، وهذا أمرٌ لم يُسبقْ إليه؛ أنْ خليفَتينِ أخوينِ يُلقَّبُ كلُّ منهما بالآخرِ، وقد ولي الخِلافةَ أخوانُ كهذينِ؛ السَّفَّاحُ وأخوه المنصورُ وُلداً^(٣) محمدِ ابنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العباسِ، والهاديُ والرشيْدُ^(٤) ابنا^(٥) المهديِّ بنِ المنصورِ، والواثقُ والمتوكلُ ابنا المعتصمِ بنِ الرشيْدِ^(٤)، والمُستزئدُ والمُقتفي وُلدا المُستظهرِ،

(١) في الأصل: «المدرسة». وهي المدرسة المستنصرية ببغداد، كما يشير لذلك المصنف قريباً.

(٢) في الأصل: «المستنصر».

(٣) في الأصل، م: «وكذا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) في الأصل: «وكذلك». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

وأما ثلاثة؛ فالأمين والمأمون والمعتصم^(١) أولاد الرشيد، والمُنْتَصِر^(٢) والمُعْتَزُّ^(٣) والمُعْتَمِدُ أولاد المتوكل^(٤)، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان؛ الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

^(٥) وقد ولى هذا الخلافة بعد ابن أخيه المستعصم بن المستنصر، ولم يكن هذا قبله إلا^(٥) في خلافة المقتضى بن المستظهر؛ فإنه وليها بعد ابن أخيه الراشد^(٦) بن المسترشد^(٦) بن المستظهر، والله أعلم^(٧) وكانت مدة خلافته إلى أن فُقد - كما سيأتى بيانه - خمسة أشهر وعشرين يوماً، وكان أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس.

وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وإبراهيم بن الوليد^(٧) سبعين يوماً، وأخيه يزيد بن الوليد [٦٤٤/١٠] خمسة أشهر. وكانت مدة خلافة الحسين بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً^(٨)، وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام^(٨)، وقد كان في خلفاء بني العباس من لم يشتكمل سنة؛ منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً.

(١) في الأصل: «المستعصم».

(٢) في ذيل مرآة الزمان: «المستنصر». وانظر سير أعلام النبلاء ٤١/١٢.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «المطيع أولاد المقتدر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر المصدر السابق. (٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: الأصل. والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وانظر سير أعلام النبلاء ٥٦١/١٩، ٥٦٨، ٥٦٩.

(٦ - ٦) سقط من: ذيل مرآة الزمان. وانظر المصدر السابق.

(٧) في الأصل: «الوليد الناقص»، وفي م: «يزيد الناقص». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. ويزيد الناقص هو أخوه الذي ذكره المصنف بعده مباشرة.

(٨ - ٨) زيادة من: الأصل، م. ليست في ذيل مرآة الزمان.

وقد أنزل الخليفة المستنصر هذا بقلعة الجبل في بُرْج هو وحشمه وخدمته ، فلما كان يوم سابع عشر رجب ركب في أبهة السواد ، وجاء إلى الجامع بالقلعة ، فصعد المنبر ، وخطب الناس خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ، ثم استفتح ، فقرأ صدرًا من «سورة الأنعام» ، ثم صلى على النبي ﷺ ، وترضى عن الصحابة ، ودعا للسلطان الظاهر ، ثم نزل فصلّى بالناس ، فاستحسنوا ذلك منه ، وكان وقتًا حسنًا ويومًا مشهودًا .

تولية الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر السلطنة^(١)

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والعقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلعاً سوداء ، وطوقاً في عنقه ، وقيداً في رجليه ، وهما من ذهب ، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبراً ، فقرأ عليه تقليد السلطان ، وهو من إنشائه وبخطه نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأبهة ، والقيد في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد ، والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة ، وقد زينت له ، وكان يوماً مشهوداً يقصُرُ اللسان عن وصفه ، وقد ذكر الشيخ قطب الدين هذا التقليد بتمامه ، وهو مُطوّل .

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٨/٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٠ ، والسلوك ٤٥٢/١ - ٤٥٧ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٢٩٦/١ - ٣٠٨ .

ذكر تجهيز الخليفة قاصداً إلى بغداد^(١)

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يُجهِّزه إلى بغداد، فرتب له جنداً هائلةً، وأقام له من كل ما ينبغي للملوك والخلفاء من الحشم والخدم والطلبخانا^(٢) وغير ذلك، ثم سار السلطان صُحْبَتَهُ قاصدين دمشق المحروسة، وكان سبب خروج السلطان إلى الشام أن البزلي، كما تقدّم، كان قد استحوذ على حلب، فأرسل إليه الظاهر الأمير عَلَمَ الدين سَنَجَرَ الحلبيّ الذي كان قد تغلّب على دمشق، فطرده عن حلب، وتسلمها منه، وأقام بها نائباً عن السلطان، ثم لم يزل البزلي حتى استعادها منه، وأخرجه منها هارباً واستولى عليها كما كان، فاستتاب الظاهر على مصر عزّ الدين أَيْدَمَرَ الحلبيّ^(٣)، وجعل تديير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنّا، واستصحب ولده فخر الدين بن الحنّا وزير الصحبة.

وجعل تديير العساكر والجيوش إلى الأمير بدر الدين بيبيك الخازندار^(٤)، ثم كان دخول السلطان صحبة الخليفة إلى دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً، وصلّى الجمعة بجامع دمشق، [٦٥/١٠] وكان دخول الخليفة من باب البريد، ودخل السلطان من باب الزيادة^(٥)، وكان يوماً مشهوداً

(١) كنز الدرر ٧٩/٨، وعقد الجمان ٣١٠/١.

(٢) الطلبخانا: طول متعددة معها أبقاق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تُدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب وهي من الآلات العامة لجميع الملوك. صبح الأعشى ٨/٤.

(٣) في م: «الحلبى».

(٤) ذكره ابن العماد في الشذرات ٥٦/٧ بوظيفة جاشنكير.

(٥) في م: «الزيارة».

أيضًا ، ثم جهَّز السلطان الخليفة وأصحابه ^(١) أولادَ صاحبِ الموصلِ ، وأنفقَ عليه وعليهم وعلى مَنْ استقلَّ معه مِنَ الجيشِ - الذين يَرُدُّون عنه ما لم يُقدِّرِ اللهُ - من الذهبِ ^(٢) العينَ ألفَ ألفِ دينارٍ ^(٣) ، وأطلقَ له وزاده ، فجزاه اللهُ خيرًا ، وقدمَ إليه صاحبُ حمصَ الملكُ الأشرفُ ، فخلعَ عليه ، وأطلقَ له ، وزاده تَلَّ باشيرٍ ، وقدمَ صاحبُ حماةَ المنصورُ ، فخلعَ عليه ، وأطلقَ له ، وكتبَ له تَقْلِيدًا ببلادِهِ ، ثم جهَّز جيشًا صُحْبَةَ الأميرِ علاءِ الدينِ البُنْدُقُداريِّ إلى حلبَ مُحَارَبَةَ البُزْلِيِّ المُتَعَلِّبِ عليها المُفْسِدِ فيها ، وقد أقام البُزْلِيُّ بحلَبَ خليفةَ آخرَ لِقَبه بالحاكمِ ، فلمَّا اجتاز به المُسْتَنْصِرُ سارَ معه إلى العراقِ ، وأنفقًا على المَصْلِحَةِ وإنفاذِ الحاكمِ للمُسْتَنْصِرِ ؛ لكونه أكبرَ منه ، وللهِ الحمدُ . لكن خرجَ عليهما في آخرِ السنةِ طائفةٌ مِنَ التُّنَّارِ ، ففرَّقوا شملهما ، وقتلوا خلقًا مَن كان معهما ، وعُدمَ المُسْتَنْصِرُ ، وهربَ الحاكمُ مع الأعرابِ . فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان المُسْتَنْصِرُ هذا فتحَ بُلْدَانًا كثيرةً في مَسِيرِهِ إلى العراقِ ، ولما قاتله بَهَادُرُ عَلِيِّ شِخْنَةَ بَغْدَادَ كسره المُسْتَنْصِرُ ، وقتلَ أكثرَ أصحابِهِ ، ولكن خرجَ كَمِينٌ مِنَ التُّنَّارِ ، فهربَ العُزْبَانُ والأَكْرَادُ الذين كانوا مع المُسْتَنْصِرِ ، وثبتَ هو في طائفةٍ مَن كان معه مِنَ التُّرْكِ ، فقتلَ كثيرٌ منهم أو أكثرَهُم ، وفقدَ هو مِنَ البَيْنِ ، ونجا الحاكمُ في طائفةٍ ، وكان هذا في أولِ المحرمِ مِن سنةِ ستينَ وسِتْمائَةٍ ، رَحِمَهُ اللهُ وأكْرَمَ مَثْوَاهُ . وهذا هو الذي أشبهه الحسينَ بنَ عَلِيِّ فِي تَوَعُّلِهِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ مع كثرةِ جنودِها ، وكان الأوَّلِي لهذا أن يَسْتَقِرَّ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَتَّى تَتَمَهَّدَ الْأُمُورُ وَتَصْفُوَ الْأَحْوَالُ ، ولكن قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ ففعل .

(١) في م : « إلى بغداد ومعه » .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

وجَهَّزَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ جَيْشًا آخَرَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بِلَادِ الْفِرْنَجِ ، فَأَغَارُوا
 وَقَتَلُوا ، وَسَبَّوْا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ ، وَطَلَبَتْ الْفِرْنَجُ مِنَ السُّلْطَانِ الصَّلَاحَ ، فَصَالَحَهُمْ
 مَدَّةً لِاسْتِغَالِهِ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا ، وَكَانَ قَدْ عَزَلَ فِي شَوَالٍ عَنِ قَضَاءِ مِصْرَ وَحَدَّهَا
 تَاجَ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ بِنْتِ الْأَعَزِّ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا بُزْهَانَ الدِّينِ الْخَضِرَ بْنَ
 الْحُسَيْنِ السُّنْجَارِيِّ ، وَعَزَلَ قَاضِي دِمَشْقَ نَجْمَ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ بْنَ صَدْرِ الدِّينِ أَحْمَدَ
 ابْنَ شَمْسِ الدِّينِ يَحْيَى بْنَ هَبِيَةَ اللَّهِ بْنَ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ ، وَوَلَّى قَاضِي الْقَضَاءِ شَمْسَ
 الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلْكَانَ ، وَقَدْ نَابَ فِي الْحُكْمِ
 بِالْقَاهِرَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً عَنْ بَدْرِ الدِّينِ السُّنْجَارِيِّ ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ مَعَ الْقَضَاءِ نَظَرُ
 الْأَوْقَافِ وَالْجَامِعِ وَالْمَارَسْتَانِ وَتَدْرِيسَ سَبْعِ مَدَارِسَ ؛ الْعَادِلِيَّةَ وَالنَّاصِرِيَّةَ وَالْعِزْرَاوِيَّةَ
 وَالْفَلَكَيَّةَ وَالرُّكْنِيَّةَ وَالْإِقْبَالِيَّةَ وَالْبَهْنَسِيَّةَ ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ
 الصَّلَاةِ بِالشُّبَّانِكِ الْكَمَالِيِّ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقَ ، وَسَافَرَ الْقَاضِي الْمَغْزُولُ مَرْسَمًا عَلَيْهِ ،
 وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَانَ فِي وَدِيعةٍ ذَهَبٍ جَعَلَهَا
 فُلُوسًا ^(١) ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَتْ مَدَّةً وَلايَتَهُ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَفِي يَوْمِ الْعِيدِ يَوْمِ
 السَّبْتِ سَافَرَ السُّلْطَانُ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ رَاجِعًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ
 رَسُولُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ قَدِيمَ عَلَى السُّلْطَانِ بِدِمَشْقَ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ
 إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً ، فَلَمْ يَزَلْ يُوقَعُ بَيْنَهُمْ حَتَّى اسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ [٦٥ / ١٠ ظ]
 وَاسْتَوَلَى عَلَى بِلَادِهِمْ ، نَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَكَّنَ بِهِ فِي الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ بِهِ
 عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، آمِينَ .

وَفِيهَا فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عُجِلَ عَزَاءُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ

(١) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤ .

صلاح الدين يوسف بن^(١) العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن^(٢) أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس ، وكان عميل هذا الغزاء بقلعة الجبل من الديار المصرية بأمر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغهم أن هولاءكو ملك التتار قتله ، وقد كان في قبضته^(٣) ، كما تقدم ذكره ، فلما بلغه كثره أصحابه بعين جالوت طلبه إلى بين يديه ، وقال له : أنت أرسلت الجيوش إلى الديار المصرية حتى اقتتلوا مع المغول ، فكسروهم . ثم أمر بقتله ، ويقال : إنه اعتذر إليه ، وذكر أن المصريين كانوا أعداءه ، وبينه وبينهم شتآن وقتال ، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مكرماً في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك الديار المصرية استنابه في الشام ، فلما كانت وقعة حمص في هذه السنة ، وقُتل فيها أصحاب هولاءكو مع مقدمهم بيدرة غضب وقال له : أصحابك من العزيزية أمراء أيبك والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا . ثم أمر بقتله ، وقد ذكر أنه رماه بالثشاب وهو واقف بين يديه ، وهو يسأل العفو ، فلم يفعل حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الملك الظاهر عليًا ، وأطلق ولديهما العزيز محمد ابن الناصر وزباله بن الظاهر ، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم ، فأما العزيز فإنه مات هنالك في أسر التتار ، وأما زباله فإنه صار إلى الديار المصرية ، فكان أحسن من بها ، وكانت أمه أم ولد يقال لها : وجه القمر . فتروجها بعض الأمراء بعد أستاذاها المذكور .

ويقال : إن هولاءكو لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات ، فجمعت رءوسها بحبال ، ثم ربط الناصر في الأربع بأربعته ، ثم أطلقت الحبال ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده في م : « منذ مدة » .

فرجعت كل واحدة إلى مركزها بعضو من أعضاء الناصر، رحمه الله تعالى. وقد قيل: إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب، ولما توفى أبوه في سنة أربع وثلاثين بُويع بالسلطنة بحلب، وعمره سبع سنين، وقام بتدبير مملكته جماعة من ممالك أبيه العزيز، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم أبيه صبغة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فلما توفيت في سنة أربعين وستمائة استقل الناصر بالملك، وكان جيد السيرة في الرعايا مُحَبِّبًا إليهم، كثير النِّفقات، ولا سيمًا لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وبغلبك وحران وطائفة كثيرة من بلاد الجزيرة، فيقال: إن سباطه كان كل يوم يشتل على أربعمائة رأس غنم سوى الدجاج والإوز وأنواع الطير مطبوخًا بأنواع الأطعمة والقلويات، وكان مجموع ما يعرَّم على السباط في كل يوم عشرين ألفًا، وعامته يخرج من بين يديه كما هو كأنه لم يؤكل منه شيء، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيرًا من أهل البيوتات لا يطبخون في بيوتهم شيئًا من الطرف والأطعمة بل يشترون ذلك برخص، وكانت الأرزاق كثيرة دارة في زمانه وأيامه، وقد كان خليعًا ظريفًا حسن الشكل، أديبًا يقول الشعر المتوسط، القوي بالنسبة إليه [١٠/١٦٦] وقد أورد له الشيخ قطب الدين في «الذيل» قطعة صالحة من شعره، وهي راقية لائقة، قتل ببلاد المشرق، ودُفن هنالك وقد كان أعده له تربة برياطه الذي بناه بسفح قاسيون، فلم يقدر دفنه بها، والناصرية البرانية بالسفح من أغرب الأبنية وأحسنها بنيانًا من الموكد المحكم قبلئ جامع الأفرم، وقد بُني بعدها بمدية طويلة وكذلك الناصرية الجوانية التي بناها داخل باب الفراديس هي من أحسن المدارس، وبني الخان الكبير تجاه الزنجاروي وحولت إليه دار الطعم، وقد كانت قبل ذلك غربي

القلعة في إصطَبِلِ السلطانِ اليومَ . رحمه اللهُ .
وهذا كلُّ ما بَلَّغْنَا مِنْ وَقَائِعِ هذه السَّنَةِ مُلَخَّصًا .

ثم دخلت سنة ستين وستمائة^(١)

في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قُتِل الخليفة المُستنصر بالله الذي بُويع له في رجب في السنة الماضية بمصر، وكان قتله بأرض العراق، كما ذكرنا بعد ما هُزِم من كان معه من الجنود والجيش، فإننا لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام^(٢) ومصر^(٣)، وصفت له الأمور، ولم يتق له مُنازع سوى البزلي^(٤)، فإنه قد استحوذ على البيرة^(٥)، وعصى عليه هنالك.

وفي اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خلَعَ السلطان الملك الظاهر ببلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير والقاضي تاج الدين^(٦) ابن بنت الأعر^(٧)، وعزل عنها بُهان الدين السنجاري.

وفي أواخر^(٨) المحرم أغرس الأمير بدر الدين بيليك الخزندار على بنت الأمير لؤلؤ صاحب الموصل، واختفل الظاهر بهذا الغرس اختفلاً بالغا.

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦ - ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ٤٨٣/١ - ٥٢٩ - ١٥١/٢ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٥٣/٣٠ - ٧٧، وكنز الدرر ٨٦/٨ - ٩٣، والعبير ٢٥٨/٥ - ٢٦٢، وعقد الجمان ١/٣٢٧ - ٣٤٤.

(٢ - ٣) سقط من: الأصل.

(٣) في م: «التركي».

(٤ - ٥) في م: «فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها».

(٥ - ٥) ليست في: الأصل.

(٦) في الأصل: «أوائل». وانظر نهاية الأرب ٥٣/٣٠.

قال ابن خَلْكَانَ^(١) : وفي هذه السنة اضطاد بعض أمراء الظاهر بجُرُود^(٢) حمارٍ وَحْشٍ ، فطَبِخوه فلم يَنْصَجْ ولا أثَّر فيه كثرةُ الوَقُودِ ، ثم افْتَقَدُوا أمره^(٣) ، فإذا هو موسومٌ على أذنيه : بَهْرَامِ جُور . قال : وقد أَحْضَرُوهُ إِلَيَّ ، فقرأته كذلك ، وهذا يَفْتَضِي أن لهذا الحمارِ قريبتاً من ثمانمائة سنة ، فإن بَهْرَامِ جُور كان قبل المَبْعَثِ بمدةٍ مُتَطَوِّلةٍ ، وَحُمُرُ الوَحْشِ تَعِيشُ دَهْرًا طويلاً .

قلتُ : يَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا بَهْرَامِ شاهِ الملكِ الأَمْجَدِ^(٤) ، إذ يَتَعَدُّ بقاءُ مثلِ هذا بلا اضْطِياذِ هذه المدة الطويلة ، ويكونُ الكاتبُ قد أخطأ ، فأراد كتابةً : بَهْرَامِ شاه . فكتبَ بَهْرَامِ جُور ، فحصل اللبسُ من هذا^(٥) . واللَّهُ أعلمُ .

ذَكَرَ بَيْعَةَ الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللّهِ العَبَّاسِي

في السابعِ والعشرينِ من ربيعِ الآخِرِ دَخَلَ الخليفةُ أبو العباسِ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللّهِ أَحْمَدُ بْنُ الأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ القُتَيْبِيِّ بْنِ الأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الأَمِيرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الإِمَامِ المُشْتَرِشِدِ بِاللّهِ بْنِ المُسْتَظْهِرِ بِاللّهِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ مِنْ بلادِ الشَّرْقِ ، وَصُحْبَتُهُ

(١) وفيات الأعيان ٦/٣٥٤ .

(٢) في الأصل : « لبرود » ، وفي م : « بحدود حماة » . والمثبت من وفيات الأعيان . وجرود : قرية من أعمال دمشق من جهة حمص . انظر المصدر السابق ، وعقد الجمان ١/٣٣٤ .

(٣) في م : « جلده » .

(٤) وهو الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن نائب دمشق وَوَحْشَاهُ ، المتوفى سنة ثمان وعشرين وستمائة . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٠ .

(٥) بعده في الأصل : « هذا بعيد جدا » . قال البدر العيني في عقد الجمان ١/٣٣٥ : قلت : كلام ابن كثير بعيد فأيش يحتاج إلى هذه التأويلات البعيدة ، ولا ضرورة إليها ، فإن عيش الحمر الوحشية هذه المدة غير بعيد ، وعدم وقوعها في الصيد غير بعيد ، وأيضاً فإن المواسم التي يسمون بها آذان الحيوان بأسماء الملوك مقررة عندهم مكتوبة صحيحة حتى لا يقع الاشتباه ، فكيف يلتبس بهرام شاه بهرام جور ؟

جماعةً من رُعوسِ تلك البلادِ ، وقد شهد الواقعةَ ضُحبةَ المُستَحصِرِ ، وهرب هو في جماعةٍ من المعركةِ فسلم ، فلما كان يومٌ دُخوله تلقاه السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وأظهرَ الشُرورَ والاحتِفَالَ ، وأنزله في البُرجِ الكبيرِ من قلعةِ الجبلِ ، وأجرى عليه الأرزاقَ الدائرةَ والإحسانَ .

وفي ربيعِ الآخِرِ^(١) عزَلَ الملكُ الظاهرُ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوش التَّجِيبيَّ عن أستاذارِيتهِ ، واشتَبَدَ به غيرهه ، وبعدَ ذلك أرسله نائبًا على الشامِ كما سيأتي .

وفي يومِ الثلاثاءِ^(٢) تاسعِ رجبِ حَضَرَ السلطانُ الظاهرُ إلى دارِ العَدْلِ في مُحَاكِمَةٍ في بئرِ إلى^(٣) بينِ يَدَيِ القاضِي تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ ابنِ بنتِ الأَعزِّ ، فقام الناسُ إلا القاضِي ، فإنه أشار عليه أن لا يقومَ ، وتَدَاعَى ، وكان الحَقُّ مع السلطانِ ، وله بَيِّنَةٌ عادِلَةٌ ، فانثَرَعَتِ البئرُ من يدِ العَرِيمِ ، وكان أحدَ الأَمراءِ .

وفي شوالِ^(٤) استناب السلطانُ الملكُ الظاهرُ على حَلَبِ الأميرِ علاءِ الدينِ أَيْدِيكِينِ الشُّهَابِيِّ ، وحينئذِ [٦٦١/١٠ ظ] انحازَ عَسْكَرُ سَيْسِ على الفُوعَةِ^(٥) من أرضِ حَلَبِ ، فركبَ إليهم الشُّهَابِيُّ ، فكسَرهم وأسَر منهم جماعةً ، فسَيَّرهم إلى مِصَرَ فوسَّطوا^(٦) .

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٣/٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ٤٨٨/١ ، ١٥٣/٢ .

(٣ - ٣) في م : « بيت » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٥٥/٢ ، وكنز الدرر ٩٠/٨ .

(٥) في الأصل : « القرعة » ، وفي م : « القلعة » . والمثبت من المصدرين السابقين . وانظر معجم البلدان ٩٢٣/٣ .

(٦) في م : « فقتلوا » ، وهما بمعنى . وانظر الوسيط (و س ط) .

وفيها^(١) اشتتاب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى، وكان من أكابر الأمراء، وعزل عنها علاء الدين طييزس الوزيرى، وحمل إلى القاهرة.

وفى ذى القعدة^(٢) خرج مرسوم السلطان إلى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرز أن يستنيب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائبا، فاشتتاب صدر الدين سليمان الحنفى، والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى، وشرف الدين عمر الشبكي المالكى.

وفى ذى الحجة^(٣) قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مشتامين، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأقطعهم إقطاعات حسنة، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل، ورتب لإخوانهم رواتب كافية.

وفى هذه السنة^(٤) أرسل هولاكو طائفة من جنده نحوًا من عشرة آلاف، فحاصروا الموصل، ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا، وضقت بهم الأقوات.

وفيها^(٥) أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى البزلى^(٦) يستنجده، فقدم إليه، فهزمت التتار، ثم ثبتوا فالتقوا معه، وإنما كان معه تسعمائة^(٦) مقاتل، فهزموه وجرحوه، وعاد إلى البيرة، وفارقه أكثر أصحابه إلى الديار المصرية، ثم

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٥/٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ونهاية الأرب ٦٥/٣٠.

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٦/٢.

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٥٦/٢، ١٥٧، وكنز الدرر ٨٨/٨.

(٥) فى م: «التركى».

(٦) فى م: «سبعماية».

دخَلَ هو إلى بين يَدَيِ السُّلْطَانِ المَلِكِ الظَّاهِرِ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَقْطَعَهُ تَسْعِينَ^(١) فَارْسًا، وَأَمَّا التَّنَارُ فِإِنَّهُمْ عَادُوا إِلَى المَوْصِلِ، وَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى اسْتَنْزَلُوا صَاحِبَهَا المَلِكَ الصَّالِحَ إِلَيْهِمْ، وَنَادَوْا فِي البَلَدِ بِالأَمَانِ حَتَّى اطمَأَنَّ النَّاسُ، ثُمَّ مَالُوا عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَقَتَلُوا المَلِكَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدَهُ عِلَاءَ الدِّينِ، وَخَرَّبُوا أَسْوَازَ البَلَدِ، وَتَرَكَوْهَا بِلَاقِعٍ، ثُمَّ كَثُرُوا رَاجِعِينَ، فَبَجَحَهُمُ اللّهُ أَجْمَعِينَ.

وَفِيهَا^(٢) وَقَعَ الخُلْفُ بَيْنَ هُوَ لَاقُو وَبَيْنَ السُّلْطَانِ بَرَكَةَ ابْنِ عَمِّهِ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ بَرَكَةٌ يَطْلُبُ مِنْهُ نَصِيحًا مِمَّا فَتَحَهُ مِنَ البِلَادِ^(٣)، عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ، فَقَتَلَ رَسَلَهُ، فَاسْتَدَّ غَضَبُ بَرَكَةٍ، وَكَاتَبَ الظَّاهِرَ لِيَتَّفِقَا عَلَى هُوَ لَاقُو.

وَفِيهَا^(٤) وَقَعَ عِلَاءٌ شَدِيدٌ بِالشَّامِ، فَأُيِّعَ القَمْحُ الغِرَارَةُ بِأَرْبَعِمَائَةٍ^(٥) وَخَمْسِينَ^(٥)، وَالشَّعِيرُ بِمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَاللَّحْمُ الرُّطْلُ بِسِتَةِ^(٦) وَبِسَبْعَةٍ^(٦)، فَبِاللّهِ المَسْتَعَانُ.

وَحَصَلَ فِي النِّصْفِ مِنَ شَعْبَانَ^(٧) خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنَ التَّنَارِ، فَتَجَهَّزَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ، وَأُيِّعَتِ العَلَّاتُ^(٨) حَتَّى حَوَاصِلُ القَلْعَةِ وَالأَمْراءِ^(٩)،

(١) فِي م وَكَنْزِ الدَّررِ: «سَبْعِينَ».

(٢) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١٦١/٢، ١٦٢.

(٣) بَعْدَهُ فِي م: «وَأَخَذَهُ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَسْرَارِ».

(٤) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١٦٢/٢، وَنَهَايَةُ الأَرْبِ ٦٦/٣٠، وَكَنْزِ الدَّررِ ٨٨/٨.

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ: الأَصْلُ، م. وَالمَثْبُتُ مِنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ، وَنَهَايَةُ الأَرْبِ.

(٦ - ٦) فِي م: «أَوْ سَبْعَةَ». وَكُلُّ هَذِهِ الأَنْوَاعِ الَّتِي أُيِّعَتْ تَقْدِيرُهَا بِالدَّرْهَمِ كَمَا فِي ذَيْلِ المَرَاةِ.

(٧) الذَيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٨) بَعْدَهُ فِي الأَصْلِ: «حَتَّى الأَمْراءِ». وَالأَمْراءُ جَمْعُ هُوَ: بَيْتٌ كَبِيرٌ ضَخْمٌ يَجْمَعُ فِيهِ طَعَامَ البُرِّ

وَنَحْوَهُ لِيُوزَعَهُ السُّلْطَانُ. الوَسِيطُ (ه ر ي).

(٩) فِي الأَصْلِ: «وَتَهَيَّئُوا لِلْهَرَبِ مِنَ الشَّامِ».

ورسم ولاية الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى مصر، ووقعت
الرجفة في الشام وفي بلاد الروم أيضًا، ويقال: إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد
أيضًا، فسبحان الفعّال لما يُريد، الذي بيده الأمر. وكان الأمير لأهل دمشق
بالتحوّل منها إلى مصر نائبها الأمير علاء^(١) الدين طييزوس الوزيرى، فأرسل
السلطان إليه في ذى القعدة، فأمسكه وعزله واستناب عليها^(٢) جمال الدين
آقوش^(٣) النجيبى، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة.

وفي هذه السنة^(٤) نزل القاضى شمس الدين بن خلكان عن تدريس الركنية
للشيخ شهاب الدين أبى شامة، وحضر عنده حين درّس، وأخذ فى أول
«مختصر المنزى»، أثابه الله تعالى.

وفىها تُوفى من الأعيان:

الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسى^(٥) الذى بايعه الظاهر
بمصر فى رجب من السنة الماضية، كما ذكرنا، وكان قتله فى ثالث المحرم من
هذه السنة، وكان شهماً شجاعاً، [٦٧/١٠] بطلاً فاتكاً، وقد كان السلطان
الظاهر أنفق عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد، وسار فى خدمته
خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل، وكان الملك الصالح
إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر، فأرسله ضحبة الخليفة، فلما كانت

(١) فى الأصل: «علم». وانظر المنهل الصافى ٣٥/٧.

(٢) فى الأصل: «بهاء»، وفى م: «بهاء الدين». والمثبت من المصدر السابق ٢٤/٣.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وعقد الجمان ١/٣٣٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٦٣/٢، والوفى بالوفيات ٣٨٤/٧ - ٣٨٦، وعقد الجمان ١/٣٢٨، والمنهل

الصافى ٧٢/٢ - ٧٨.

الوقعة فُقِدَ المُسْتَنْصِرُ، ورجع الصالح إلى بلاده، فجاءته التَّارُ، فحاصروه كما ذكرنا، وقتلوه وخرَّبوا بلاده، وقتلوا أهلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

العزُّ الضَّرِيرُ النَحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ^(١) واسمه الحسنُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نجَّاءٍ، من أهلِ نَصِيبِينَ، ونشأ بإربل، فاشتغلَ بعلومٍ كثيرةٍ من علومِ الأوائلِ، وكان يَشْتَغِلُ عليه أهلُ الدِّمَّةِ وغيرهم، ونُسِبَ إلى الانحلالِ وقلةِ الدينِ، وتركِ الصلواتِ، وكان ذَكِيًّا، وليس بزكِّيٍّ؛^(٢) عالمُ اللسانِ، جاهلُ القلبِ، ذكِّيُّ القولِ، خبيثُ الفعلِ^(٣)، وله شعرٌ جيدٌ رائقٌ أوردَ منه الشيخُ قطبُ الدينِ قطعةً في ترجمته، وهو الضَّرِيرُ شَبِيهٌ بأبي العلاءِ المَعَرِّيِّ، قَبَّحَهُمَا اللهُ.

ابنُ عبدِ السلامِ: عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبي القاسمِ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ المهذَّبِ، الشيخُ عزُّ الدينِ أبو محمدِ السَّلْمِيُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ، شيخُ المذهبِ ومُفِيدُ أهله، وصاحبُ مُصَنَّفَاتٍ حسانٍ؛ منها «التَّفْسِيرُ»، و«اختصارُ النهاية»، و«القواعدُ الكبرى» و«الصُّغْرَى»، و«كتابُ الصلاة» و«الفتاوى المَوْصِلِيَّةُ» وغير ذلك. وُلِدَ سنةً سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائةً، وسمعَ كثيرًا، واشتغلَ على فخرِ الدينِ بنِ عساكرٍ وغيره، وبرعَ في المذهبِ، وعلومٍ كثيرةٍ، وأفادَ الطلبةَ، ودرَّسَ بعدةِ مدارسٍ بدمشقَ، وولى خُطابَتَها، ثم انتقلَ عنها إلى الديارِ المصريةِ، فدرَّسَ بها، وخطبَ وحكَّم، وانتهتْ إليه رئاسةُ المذهبِ،

(١) الدليل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٥٣، وفوات الوفيات ١/٣٦٢، وبغية الوعاة ١/٥١٨، وشذرات الذهب ٥/٣٠١.

(٢ - ٢) ليست في: الأصل.

(٣) سقط من: م. وانظر ترجمته في: الدليل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/٥٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/٦٦، والعبر ٥/٢٦٠، والوافي بالوفيات ١٨/٥٢٠، وفوات الوفيات ٢/٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٢٠٩، وعقد الجمان ١/٣٣٨، وطبقات المفسرين ١/٣٠٨.

وُقِصِدَ بِالْفَتَاوَى مِنَ الْآفَاقِ ، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًا يَسْتَشْهَدُ بِالْأَشْعَارِ ، وَقَدْ كَانَ خُرُوجُهُ مِنَ الشَّامِ بِسَبَبِ مَا كَانَ أَنْكَرَهُ عَلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ تَشْلِيمِهِ ^(١) صَفَدَ وَالشَّقِيفَ ^(٢) إِلَى الْفَرْنَجِ ، وَوَأَقَفَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْ بَلَدِهِ ، فَسَارَ أَبُو عَمْرٍو إِلَى النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ الْكَرْكِ فَأَكْرَمَهُ ، وَسَارَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُوبَ بْنِ الْكَامِلِ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَوَلَّاهُ قَضَاءَ مِصْرَ وَخَطَابَةَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ ^(٣) ، ثُمَّ انْتَزَعَهُمَا مِنْهُ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى تَدْرِيسِ الصَّالِحِيَّةِ ^(٤) ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بِهَا لِلْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بَنِي الْأَعْزِ ، وَتُوُفِّيَ فِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ وَخَلَقَ كَثِيرٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

كَمَالُ الدِّينِ بْنِ الْعَدِيمِ الْحَنْفِيُّ ^(٥) : عَمْرٌو بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبِيَةَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَبِيَةَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ^(٥) عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ ، كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْعَدِيمِ ، الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ ، وَوُلِدَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَحَدَّثَ وَتَفَقَّهَ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَصَنَّفَ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدْ تَرَسَّلَ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ مِرَارًا عَدِيدَةً ، وَكَانَ يَكْتُبُ حَسَنًا طَرِيقَةً مَشْهُورَةً ، وَصَنَّفَ لِحَلَبَ تَارِيخًا مُفِيدًا يَقْرُبُ

(١ - ١) فِي م : « صَغَدَ وَالثَّقِيفَ » . وَصَفَدَ : مَدِينَةٌ فِي جِبَالِ عَامَلَةَ الْمُطَّلَةِ عَلَى حِمصَ بِالشَّامِ وَهِيَ مِنْ جِبَالِ لُبْنَانَ . وَالشَّقِيفَ : قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ جَدًّا فِي كَهْفٍ مِنَ الْجِبَالِ قَرِبَ بَانِيَّاسَ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/ ٣٩٩ ، ٣٠٩ .

(٢) الْجَامِعُ الْعَتِيقُ : جَامِعُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ . انظُرْ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبْرَى لِلْسَّبْكِ ٨/ ٢١٠ .

(٣) الْمَعْرُوفَةُ بَيْنَ الْقَصْرِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ . انظُرْ الْمَصْدَرَ السَّابِقَ .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ٢١٧ ، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١/ ٥١٠ ، ١٧٧/٢ ، وَالْعَبْرُ ٥/ ٢٦١ ، وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٣/ ١٢٦ - وَفِيهِ أَنَّهُ تُوُفِيَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ - وَعَقَدَ الْجَمَانَ ١/ ٣٣٩ .

(٥) بَعْدَهُ فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : « ابْنُ » .

من أربعين مجلداً، وكان جيدَ المعرفة [٦٧/١٠٠ ظ] بالحديث، حسنَ الظنِّ بالفُقراءِ والصالحين، كثيرَ الإحسانِ إليهم، وقد أقام بدمشقَ في الدولةِ الناصريةِ المتأخرةِ، وكانت وفاته بمصرَ، ودُفِنَ بسفحِ المُقَطَّمِ بعدَ الشيخِ عزِّ الدينِ بعشرةِ أيامٍ، وقد أُورِدَ له قُطْبُ الدينِ أشعارًا حسنةً^(١).

يوسفُ بنُ يوسفَ^(٢) بنِ يوسفَ^(٣) بنِ سلامةَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ محمدِ القاقانيِّ الزينبيِّ بنِ إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، مُحَيِّبِ الدينِ أبو المعزِّ، ويقالُ: أبو الحَاسِنِ. الهاشميُّ العباسيُّ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ زبلاقِ الشاعرِ، قتَلته التُّتارُ لما أخذوا الموصلَ في هذه السنةِ عن سبعِ وخمسينَ سنةً، ومن شعره قولُه:

بعثتَ لنا من سِخْرِ مُقَلَّتِكَ الوَسْنَى سُهادًا يَدُوذُ الجَفْنَ^(٣) أنْ يَأْلَفَ الجَفَنَّا
وأبصَرَ جِسمي حُسنَ خَصْرِكَ ناجلاً فحَاكاه لكن زاد في دَقَّةِ المَعْنَى
وأبْرَزْتَ وَجْهاً أُخْجَلُ الصَبِيحِ طالِعًا ومِلْتَ بِقَدِّ عِلْمِ الهَيْئِ الغَصِنَا^(٤)
حَكِيَّتَ أَخاك البَدْرِ ليلَةَ تَمِّهِ سَنًا وَسَناءَ إِذ تَشابَهْتُمَا سَنًا

وقال أيضًا، وقد دُعِيَ إلى موضعٍ، فبعثَ يَعتَذِرُ بهذين البيتينِ:

(١) ذيل مرآة الزمان ٥١١/١، ١٧٩/٢.

(٢-٢) سقط من: م. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٥١٣/١، ١٨١/٢، والعبير ٢٦٢/٥، وفوات الوفيات ٣٨٤/٤، والسلوك ٤٧٦/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٣٤٢/١، وشذرات الذهب ٣٠٤/٥.

(٣) في م: «الكرى».

(٤) في م: «الغصن اللدنا».

أنا فى منزلى وقد وهب الـ له نديماً وقينةً وعقاراً
فابسطوا العذر فى التأخرِ عنكم شغلَ الحلى أهله أن يُعاراً^(١)

قال أبو شامة^(٢) : وفيها فى ثانى عشرَ جمادى الآخرة تُوفى :

البدْرُ المِزاعى الخِلافى المعروف بالطويل، وكان قليلَ الدين، تاركاً
للصلاة، مُغْتَبِطاً بما كان فيه من معرفةِ الجدَلِ والخِلافِ على اصطلاحِ
التأخرين،^(٣) رحِمنا اللهُ تعالى وجميعَ المسلمين^(٤).

وفيها تُوفى محمدُ بنُ داودَ بنِ ياقوتِ الصارمى^(٥) المُحدِّثُ، كَتَبَ كثيراً؛
الطَبِقاتِ وغيرها، وكان دَيْناً حَيِّراً، يُعِيرُ كَتَبَهُ، ويُدَاوِمُ على الاشتغالِ بِسَماعِ
الحديثِ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

(١) هذا البيت ينسب إلى فضيل الأعرج، وإلى العباس بن الأحنف. انظر التمثيل والمحاضرة ص ٨٢،
ومعجم الأدياء ٢٨١/٢ (ترجمة جحظة البرمكى).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢١٧.

(٣ - ٣) فى م: «راضياً بما لا يفيد».

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ١٧٩/٢، وعقد الجمان ٣٤٣/١.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة

استهلت^(١) وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية الملك الظاهر بيبرس البندقداري، ونائبه على الشام جمال الدين آقوش النجيبى، وقاضيه شمس الدين ابن خلكان، والوزير بها عز الدين بن وداعة، وليس للناس خليفة، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذى قتل فى السنة الماضية.

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير
أبى على القببى بن الأمير على بن الأمير أبى بكر بن الإمام
المسترشد بالله أمير المؤمنين أبى منصور الفضل بن الإمام
المستظهر بالله أبى العباس أحمد العباسى الهاشمى.

فلما كان يوم الخميس^(٢) ثانى المحرم^(٢)، جلس السلطان الملك الظاهر^(٣) ركن الدين بيبرس وأمرأؤه وأهل الحل والعقد^(٣) فى الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجاء

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، ٢٢٢، وذيل مرآة الزمان ٥٣٠/١ - ٥٥٠، ١٨٦/٢ - ٢٢٩، ونهاية الأرب ٧٩/٣٠ - ٩٠.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ٥٣٠/١: «تاسع المحرم».

(٣ - ٣) فى م: «والأمراء».

الخليفة الحاكم بأمر الله راكبًا حتى نزل عند الإيوان، وقد بسط له إلى جانب السلطان، وذلك بعد ثبوت نسيه، فقرأ نسيه على الناس، ثم أقبل عليه الملك الظاهر بيبزس، فبايعه وبايعه الناس بعده، وكان يومًا مشهودًا.

فلما كان يوم الجمعة ثانيه خطب الخليفة بالناس، فقال في خطبته^(١): الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركنًا ظهيرًا، وجعل لهم من لدنه سلطانًا نصيرًا، أحمده على السراء والضراء، وأستعينه على شكر ما أسبغ [١٠/٦٨] من النعماء، وأستنصره على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الهدى، وأئمة الأئمة الأربعة، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبي السادة الخلفاء^(٢) الراشدين وأئمة المهديين^(٣)، وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الناس، اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سبب الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا شفكت الدماء إلا بازتكاب الجرائم، فلو شاهدتم أعداء الإسلام لما دخلوا دار السلام، واشتباخوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأطفال^(٤)، وهتكوا حرمة الخلافة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات بالبكاء والعيول^(٥)، وعلت الضججات من هول ذلك اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته

(١) ذيل مرآة الزمان ١٨٨/٢. وانظر عقد الجمان ٣٤٩/١.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) بعده في م: «وسوا الصبيان والبنات وأئمتهم من الآباء والأمهات».

(٤ - ٤) سقط من: م.

بدمائه ، وكم من طفلٍ بكى فلم يُزَحَمْ لبكائه ، فشَمَّروا عن ساقِ الاجتهادِ في إحياءِ فرضِ الجهادِ ، ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] فلم يَبْتَقِ مَعْدِرَةً في القُعودِ عن أعداءِ الدينِ ، والمحاماةِ عن المسلمين ، وهذا السلطانُ الملكُ الظاهرُ السيدُ الأجلُّ العالمُ العادلُ المُجاهدُ المؤيَّدُ رُكْنُ الدنيا والدينِ ، قد قام بنصرِ الإمامةِ عندَ قلةِ الأنصارِ ، وشرَّدَ جيوشَ الكفرِ بعدَ أن جاسوا خلالَ الديارِ ، فأضَبَتِ البيعةُ بهتمامِهِ مُنْتَظِمَةً العُقودِ ، والدولةُ العباسيةُ به مُتَكَاثِرَةً الجنودِ ، فبادروا عبادَ اللهِ إلى شُكْرِ هذه النعمةِ ، وأخْلِصُوا نياتِكُمْ تُنَصَّرُوا ، وقَاتِلُوا أوليَاءَ الشيطانِ تَظْفَرُوا ، ولا يَزُوعَنَّكُم ما جَزَى ، فالْحَرْبُ سِجَالٌ والعاقبةُ للمتقين ، والدهرُ يومان ، والأجرُ للمؤمنين ، جَمَعَ اللهُ على الهدى أمرَكُم ، وأَعَزَّ بالإيمانِ نصرَكُم ، وأَسْتَغْفِرُ اللهُ العظيمَ لى ولكم ولسائرِ المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ . ثم خطب الثانية ، ونزل فصلُّ .

وكتب يبعثه إلى الآفاقِ ليُخطبَ له ، وَضَرَبَتِ السُّكَّةُ بِاسْمِهِ . قال أبو شامة^(١) : فخطب له بجامعِ دمشقِ وسائرِ الجوامعِ يومَ الجمعةِ سادسَ عشرَ المحرمِ من هذه السنةِ . وهذا الخليفةُ هو التاسعُ والثلاثونُ من خلفاءِ بنى العباسِ ، ولم يَلِ الخِلافةَ من بنى العباسِ مَنْ ليس والدُه وجدُّه خليفةً بعدَ السَّقَّاحِ والمنصورِ سوى هذا ، فأما مَنْ ليس والدُه خليفةً فكثيرٌ ، منهم المُسْتَعِينُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُعْتَصِمِ ، والمُعْتَصِدُ بنُ طلحةَ بنِ المُتَوَكِّلِ ، والقادرُ بنُ إسحاقِ بنِ المُقْتَدِرِ ، والمُقْتَدِي بنُ الذَّخِيرَةِ بنِ القائمِ بأمرِ اللهِ .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١ .

ذِكْرُ أَخْذِ الظَّاهِرِ الكَرَكِ وإِغْدَامِ صَاحِبِهَا

وفيها^(١) ركب الملك الظاهر من الديار المصرية في العساكر المنصورة قاصداً ناحية بلاد الكرك، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل، فلما قدم عليه بعد جهده أرسله إلى الديار المصرية [٦٨/١٠٠ظ] مُغْتَقلاً فكان آخر العهد به، وذلك أنه كاتب هولاء، وحثه على القدوم إلى الشام مرة أخرى، وجاءته كتب التتار بالثبات ونيابة البلاد، وأنه سيقدّم عليه عشرون ألفاً لفتح الديار المصرية، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله، وعرض ذلك على ابن خلّكان - وكان قد استدعاه من دمشق - وعلى جماعة من الأمراء، ثم سار فتسلم الكرك^(٢) يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى^(٣)، ودخلها يومئذ في أبهة عظيمة، ثم عاد إلى الديار المصرية مؤثماً منصوراً.

وفيها قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له: قد علمت محبتي لدين الإسلام، وعلمت ما فعل هولاءكو بالمسلمين، فازكب أنت من ناحية، وآتته أنا من ناحية حتى نضطلّمه أو نُخرجه من البلاد، وأيا ما كان أعطيتك جميع ما كان بيده من البلاد. فاستصوب الظاهر هذا الرأي، وشكره وخلع على رسله وأكرمهم. وفيها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها.

(١) ذيل مرآة الزمان ٥٣١/١ - ٥٣٣، ١٩٢/٢ - ١٩٤، ونهاية الأرب ٧٩/٣٠ - ٨٤.
(٢ - ٣) في ذيل مرآة الزمان ١٩٤/٢: «يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة»، وفي نهاية الأرب ٨٢/٣٠: «يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة».

وفى رمضان جهَّز الملك الظاهر صُنَاعًا وأخشابًا وآلاتٍ كثيرةً لِعِمارةِ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ حريقه، فطيفَ بتلك الأخشابِ والآلاتِ بالديارِ المصريةِ فرحةً بها وتعظيمًا لها، ثم ساروا بها إلى المدينةِ النبويةِ .

وفى شوالِ سار الظاهرُ إلى الإسكندريةِ، فنظَرَ فى أحوالِها وأمورها، وعزَلَ قاضيها وخطيبها ناصرَ الدينِ أحمدَ بنَ المُنيرِ، وولَّى غيره .

وفىها التَمَّى بَرَكةُ قان وهولاوو ومع كلِّ واحدٍ جُيوشٌ كثيرةٌ، فاقْتتلوا فهُزم هولاكو هزيمةً فظيمةً، وقُتِلَ أكثرُ أصحابِه، وغرقَ أكثرُ مَنْ بقى، وهرب هو فى شِردِمةٍ قليلةٍ من أصحابِه، وللهِ الحمدُ . ولما نظَرَ بَرَكةُ قان إلى كثرةِ القَتلى قال : يَعِزُّ عَلَى أَنْ يَقْتَلَ المَعُولُ بَعْضُهُم بَعْضًا، ولكن كيف الحيلةُ فيَمَن غيَّرَ سُنَّةَ جِنكِرْخان؟! ثم أغارَ بَرَكةُ على بلادِ القُسطنطينيَّةِ، فصانعه صاحبُها، وأرسلَ الظاهرُ هدايا عَظيمةً إلى بَرَكةَ وتحفًا كثيرةً هائلةً .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

١) محمدُ بنُ أحمدَ^(١) بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ سيِّدِ الناسِ، أبو بكرِ اليغمُرى الأندلسيِّ الحافظُ، وُلِدَ سنةَ سبعٍ وتسعينٍ وخمسمائةٍ، وسمعَ الكثيرَ، وحصَّلَ كتبًا عَظيمةً، وصنَّفَ أشياءَ حسنةً، وحُتِمَ به الحُفَاطُ فى تلكِ البلادِ، تُوفى بمدينةِ ثُونَسَ فى^(٢) الرابعِ والعشرينَ من^(٣) رجبٍ من هذهِ السنةِ .

(١ - ١) فى م : «أحمد بن محمد» . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ١٣١/٢، والعبير ٢٥٥/٥، والوفى بالوفيات ١٢١/٢، وعقد الجمان ٣٢٦/١، وشذرات الذهب ٢٩٨/٥ .
وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى سنة تسع وخمسين وستمئة .
(٢ - ٢) فى م : «سابع عشرين» .

عبد الرزاق بن رزق الله^(١) بن أبي بكر بن خليف عز الدين، أبو محمد الرُسغني^(٢)، المحدثُ المُفسِّرُ، سَمِعَ الكثيرَ وحَدَّثَ، وكان مِنَ الفُضلاءِ الأديبِ، له مَكانَةٌ عندَ البَدْرِ لؤلؤِ صاحبِ الموصِلِ، وكذلك عندَ صاحبِ سنجارِ، وبها تُوفِّي في ليلةِ الجمعةِ الثاني عشرَ من ربيعِ الآخِرِ، وقد جاوزَ السبعينَ^(٣)، ومن شعره:

نَعَبَ الغرابُ فدلَّنا بِنَعِيهِ أن الحبيبَ دنا أو أن مَغِيهِ
يا سائلِي عن طيبِ عيشِي بعدَهُم جُدْ لي بعيشِ ثم سَلْ عن طيبِهِ
محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَنترِ السَّلَمِيِّ الدَّمَشَقِيِّ^(٤) مُحْتَسِبِها، وكان من عُدولِها وأعيانِها، وله بها أملاكٌ وثروةٌ وأوقافٌ، تُوفِّي بالقاهرة، ودُفِنَ بالمَقَطَمِ.

[١٠/٦٩٦] عَلَمُ الدِّينِ «أبو محمدٍ» القاسمُ بنُ أحمدَ ابنِ الموفِّقِ بنِ جعفرِ المُرْسِيِّ اللُّوزَقِيِّ^(١) اللغويُّ النحويُّ المُقَرِّئُ، شرح «الشاطبية» شرحًا مختصرًا، وشرح «المفصل» في عدةِ مجلداتٍ، وشرح «الجزولية» وقد اجتمع بمُصنِّفيها، وسأله عن بعضِ مسائلِها، وكان ذا فُنونٍ مُتَعَدِّدَةٍ، حسنَ الشكْلِ،

(١ - ١) في الأصل، م: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ١/٥٤٥، ٢/٢١٩، والعبير ٥/٢٦٤، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٧٤، وعقد الجمان ١/٣٦٧، والسلوك ١/٥٠٢ (القسم الثاني)، والنجوم الزاهرة ٧/٢١١، وطبقات المفسرين ١/٢٩٢، وشذرات الذهب ٥/٣٠٥.
(٢) في الأصل: «الرُسغني»، وهو تصحيف. انظر الأنساب ٣/٦٤، ومعجم البلدان ٢/٧٣٢.
(٣) في الأصل: «التسعين». وانظر مصادر الترجمة.
(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٦، وذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٠، وعقد الجمان ١/٣٦٧.
(٥ - ٥) في م، وذيل مرآة الزمان ٢/٢٢١: «أبو القاسم». قال الحافظ الذهبي في العبير ٥/٢٦٦: والعلم أبو القاسم والأصح أبو محمد. وانظر بقية مصادر ترجمته: غاية النهاية ٢/١٥، والسلوك ١/٥٠٢، ٥٠٣ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١/٣٦٨، وبقية الوعاة ٢/٢٥٠، وشذرات الذهب ٥/٣٠٧.
(٦) في م: «البورقي»، وفي السلوك: «اللورى». وانظر المصادر السابقة.

مليح الوجه ، له هيئة حسنة وبرزة وجمال ، وقد سمع الكِنْدِيُّ وغيره .
الشيخ أبو بكر الدِينَوْرِيُّ^(١) ، وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكانت له فيها
جماعة مُريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة ، رحمه الله .

مَوْلِدُ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ شَيْخِ الإِسْلَامِ^(٢) ، قال الشَّيْخُ شَمْسُ
الدِّينِ الذَّهَبِيُّ : وفي هذه السَّنة وُلِدَ شَيْخُنَا تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ
شِهَابِ الدِّينِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيِّ بِحَرَّانَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ عَاشَرَ
رَبِيعِ الأوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةَ .

الأَمِيرُ الكَبِيرُ مُجِيرُ الدِّينِ أَبُو الهَيْجَاءِ بْنُ^(٣) عَيْسَى بْنِ خُشْتَرِينَ^(٤)
الأَزْكَشِيُّ^(٥) الكُرْدِيُّ الأَمَوِيُّ^(٦) ، كان مِنْ أَعْيَانِ الأَمْرَاءِ وَشُجْعَانِهِمْ ، وله يَوْمَ
عَيْنِ جالوتَ اليَدُ البِيضَاءُ فِي كَسْرِ السَّارِ ، ولما دَخَلَ المَلِكُ المُظْفَرُ إِلَى دَمَشقَ بَعْدَ
الوَقْعَةِ جَعَلَهُ مَعَ الأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سَنَجَرَ الحَلْبِيِّ نَائِبِ البَلَدِ مُسْتَشَارًا وَمُشَارِكًا فِي
الرَّأْيِ والمَرَايِسِمِ والتَّدْبِيرِ ، وكان يَجْلِسُ مَعَهُ فِي دارِ العَدْلِ ، وله الإِقْطَاعُ الكَامِلُ
والرِّزْقُ الواسِعُ ، إِلَى أن تُوفِّيَ فِي هذه السَّنة . قال أَبُو شامَةَ^(٧) : ووالده الأَمِيرُ

(١) عقد الجمان ١/٣٦٨ .

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

(٣) سقط من : م . والمثبت موافق لبعض مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/
٩٠ ، والسلوك ١/٥٠٢ (القسم الثاني) ، وما في «م» موافق لما في عقد الجمان ١/٣٦٩ ، وما في
النجوم الزاهرة موافق لما في م ولكنه مصحح إلى ما أثبتناه .

(٤) في الأصل : «حشير» ، وفي م : «حشير» . والمثبت من مصادر الترجمة . وانظر الوافي بالوفيات ١٣/٣١٨ .

(٥) في الأصل ، والسلوك : «الأركسي» . وفي ترجمة ابنه : «الإربلي» والتي ستأتي ضمن وفيات سنة
سبعمائة .

(٦) في الأصل : «الأسدي» .

(٧) الذيل على الروضتين ص ٢٢٧ . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٣ .

مُحْسَمُ الدِّينِ تُوفِّيَ فِي حَبْسٍ^(١) الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بِيْلَادِ الشَّرْقِ هُوَ وَالْأَمِيرُ عِمَادُ
الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْمَشْطُوبِ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وَوَلَدُهُ الْأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ تَوَلَّى وِلَايَةَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - أَعْنَى دِمَشْقَ - مَدَّةً ،
وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ دَرْبُ سَقُونِ^(٢) بِالصَّاعَةِ الْعَتِيقَةِ ، فَيَقَالُ :
دَرْبُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ . لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ سَكْنُهُ ، وَكَانَ يَعْمَلُ الْوِلَايَةَ فِيهِ ، فَعُرِفَ بِهِ ،
وَبَعْدَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ كَانَ فِيهِ نُزُولُنَا حِينَ قَدِمْنَا مِنْ حَوْرَانَ وَأَنَا صَغِيرٌ ، فَخَتَمْتُ فِيهِ
الْقِرَانَ الْعَظِيمَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : «جَيْش» . وَالثَّبْتُ مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «ابن سنون» ، وَفِي م : «ابن سقور» . وَالثَّبْتُ مِمَّا سَيَأْتِي صَفْحَةَ ٧٤١ .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة

اشتَهَلَتْ^(١) والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللهِ العباسيُّ ، وسلطانُ الإسلامِ الذائبُ عن حوزتِه الملكُ الظاهرُ ركنُ الدينِ بَيْرَسُ البُنْدُقاريُّ - أيده اللهُ وشُدَّ عُضْدَه - ونائبُ الشامِ الأميرُ جمالُ الدينِ آقوش النجيبُ ، وقاضيه شمسُ الدينِ بنُ خلكانَ .

وفيها^(٢) في أولِها كَمَلتِ المدرسةُ الظاهريةُ التي بينَ القَصْرَيْنِ ، ورُتِبَ لتدريسِ الشافعيةِ بها القاضي تقيُّ الدينِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ رَزِينِ ، ولتدريسِ الحنفيةِ مجدُّ^(٣) الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ الدينِ عمرَ بنِ العَدِيمِ ، ولمشيخةِ الحديثِ بها الشيخُ شرفُ الدينِ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفِ الحافظِ الدُّمياطيِّ .

وفيها^(٤) عمَّرَ الظاهرُ بالقدسِ الشريفِ خانًا ، ووقفَ عليه أوقافًا للنازلين به من إصلاحِ نِعَالِهِمْ وأكْلِهِمْ وغيرِ ذلك ، وبنى به طاحونًا وفُرْنا .

وفيها^(٥) قَدِمَتِ رسلُ الملكِ بَرَكةَ قانِ إلى الملكِ الظاهرِ ، ومعهم الأشرَفُ بنُ شهابِ الدينِ غازي بنِ العادلِ ، ومعهم مِنَ الكُتُبِ والمُشافَهاتِ ما فيه سُروُرٌ للإسلامِ وأهلِه مما حلَّ بهولاكو وأهلِه .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١ ، وذيل مرآة الزمان ١/٥٥٠ ، ٢/٢٢٩ ، وكنز الدرر ٨/١٠٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/٥٥٠ ، ونهاية الأرب ٣٠/٩٣ ، وكنز الدرر ٨/١٠٣ .

(٣) في الأصل : « مجير » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ١/٥٥٤ ، ٢/٢٣١ ، وعقد الجمان ١/٣٧٥ .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢ .

وفي جُمادى الآخرة منها^(١) درّس الشيخ شهابُ الدين أبو شامةَ عبدَ الرحمن ابنُ «إسماعيلَ بنِ إبراهيمٍ» المقدسيُّ بدارِ الحديثِ الأشرافيةِ، بعدَ وفاةِ القاضي عمادِ الدينِ بنِ الحرّستانيِّ، وحضّرَ عندهُ القاضي شمسُ الدينِ ابنُ خَلْكَانَ وجماعةٌ مِنَ الفضلاءِ^(٢) والأعيانِ، وذكرَ حُطْبَةَ كتابهِ «المُبْعَثُ»، [١٠/٦٩ظ] وأوردَ الحديثَ بسننِهِ ومُتَنِهِ، وذكرَ فوائِدَ كثيرةً مُستَحْسَنَةً، ويقالُ: إنّه لم يُراجِعْ شيئًا حتى أوردَ درّسَهُ، ومثله لا يُستَكثَرُ عليه ذلك. رَحِمَهُ اللهُ تعالى..

وفيهما قديم نصيرُ الدينِ الطوسيُّ إلى بغدادَ مِنْ جهةِ السلطانِ هولاءِ كوقان، فنظّرَ في الأوقافِ وأحوالِ البلدِ، وأخذَ كتبًا عظيمةً كثيرةً مِنْ سائرِ المدارسِ، وحوّلها إلى الرّصيدِ الذي بناه بمِراغةً، ثم انْحَدَرَ إلى واسطِ والبصرةِ.

وفيهما كانت وفاةُ:

الملكِ الأشرَفِ موسى بنِ الملكِ المنصورِ إبراهيمِ بنِ الملكِ المُجاهِدِ أسدِ الدينِ شيركوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شيركوه الكبيرِ^(٤)، كانوا مُلوكَ حمصَ كابرًا عن كابرٍ إلى هذا الحينِ، وقد كان مِنَ الكرماءِ المؤصّفينِ، والكُبراءِ الدماشقةِ المُتزيّفينِ، ويعتنى بالمأكلِ والمشاربِ، والملابسِ والمراكبِ، وقضاءِ الشّهواتِ والمآربِ، وكثرةِ التّنعمِ بالمغانى والحباتِ^(٥)، ولما تُوفّي وُجِدَتْ له

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٠.

(٢) (٢ - ٢) في الأصل: «إبراهيم إسماعيل»، وفي م: «إسماعيل». والمثبت من مصادر ترجمته، وستأتي ترجمته في ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) في م: «القضاة».

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ١/٥٥٥، ٢/٣١٠ - ٣١٤، ونهاية الأرب ٣٠/٩٤، والعبير ٥/٢٧٠، وعقد الجمال ١/٣٧٢.

(٥) بعده في م: «ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضعاف أحلام، أو كظل زائل، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره».

حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وعاد ملكه إلى الدولة الظاهرية^(١) .
وتُوفِّي معه في هذه السنة الأميرُ حُسامُ الدين الجوكندار نائب حلب^(٢) .
وفيها كانت كسرةُ التَّارِ على حمصَ ، وقُتِل مُقَدَّمُهُم بَيْدَرَةُ بِقَضَاءِ اللَّهِ
وقَدَرِه الحسِنِ الجميلِ .

وفيها كانت وفاةُ الرَّشيدِ العَطَّارِ^(٣) المُحدِّثِ بمصرَ ، والذي حَضَرَ مَسْخَرَةَ^(٤)
الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ .

والتاجرُ المشهورُ الحاخَّ نصرِ بنِ تروس^(٥) ، وكان ملازمًا للصلواتِ بالجامعِ ،
وكان من ذَوِي اليَسارِ والخيرِ .

الخطيبُ عمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانِي : عبدُ الكَرِيمِ بنُ قاضي القضاةِ جمالِ
الدينِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدِ بنِ الحَرَسْتانِي^(٦) ، كان خَطيبًا بدمشقَ ، وناب في
الحكمِ عن أبيه في الدولةِ الأشرافيةِ بعدَ ابنِ الصَّلَاحِ ، إلى أن تُوفِّي في دارِ الخطابةِ
في التاسعِ والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة ، وُصِّلَ عليه بجامعِ
دمشقَ ، ودُفِنَ عندَ أبيه بقاسيونَ ، وكانت جنازتهُ حافلةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، وقد
جاوَزَ الثمانينَ بخمسينَ سنينَ ، وقد تولَّى بعدهُ الخطابةُ والعزَّاليةُ ولدهُ مجيرُ^(٧)

(١) بعده في الأصل : « واستتاب بيلاده من الممالك البحرية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وذيل مرآة الزمان ٣٠٠ / ٢ ، والعبر ٢٧١ / ٥ ، وعقد الجمان ٣٩٧ / ١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ .

(٤) مسخرة : جمعها مساخر ؛ وهي ألعاب لإضحاك الناس . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة في

مراجع العصر المالكي ص ٤٤٩ الملحق بكتاب العصر المالكي في مصر والشام نقلا عن معجم dozy .

(٥) في م : « دس » . وانظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وفيه : « بردس » ، وذيل مرآة الزمان ٣١٤ / ٢ .

(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وذيل مرآة الزمان ٢ / ٢٩٥ ، والعبر ٥ / ٢٦٨ ، وعقد الجمان ١ / ٣٨٩ .

(٧) في م : « مجد » .

الدين، وبأشر بعده مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة .

مُحْيِي الدين 'محمد بن أحمد بن محمد' ^(١) بن إبراهيم بن الحسين بن سُرَاقَةَ الحافظ المُحدِّث الأنصاري الشاطبي، أبو بكر المغربي، عالم فاضل دِين، وأقام بحلب مدة، ثم اجتاز بدمشق قاصداً الديار المصرية. وقد ولي دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المنذري، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد، وقد جاوز السبعين .

الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الإسكندراني ^(٢)، كان مُقيماً بغيطة له يفتات منه، ويعمل فيه ويتدبره، ويتورع جداً، ويُطعم الناس من ثماره، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة بالإسكندرية، وله خمس وسبعون سنة، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويؤدع الولاة عن الظلم، فيسمعون منه ويُطيعونه ^(٣)، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلّمهم من طاقة المنزل، وهم راضون منه بذلك .

ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل، فلما كان بعد أيام جاءه الرجل [٧٠/١٠] فقال: يا سيدي، إن الدابة ^(٤) لا تأكل عندي شيئاً. فنظر إليه الشيخ، فقال له: ما تُعاني من الصنائع ^(٥)؟ فقال: رَقاص عند الوالي. فقال: إن

(١ - ١) كذا في الأصل، م. وفي مصادر ترجمته: «محمد بن محمد»: الذليل على الروضتين ص ٢٣٠،

وذيل مرآة الزمان ٢/٣٠٤، والعبر ٥/٢٧٠، والوفائي بالوفيات ١/٢٠٨، والدليل الشافي ٢/٦٩٠.

(٢) الذليل على الروضتين ص ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/٣١٥، والعبر ٥/٢٧١، وعقد الجمان ١/٣٩٠.

(٣) بعده في م: «لزهده».

(٤) بعده في م: «التي اشتريتها منك».

(٥) في م: «الأسباب».

دَابَّتْنَا لَا تَأْكُلُ الْحَرَامَ . وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَأَعْطَاهُ دِرَاهِمَهُ وَمَعَهَا دِرَاهِمٌ كَثِيرَةٌ قَدْ اخْتَلَطَتْ بِهَا فَلَا تُمَيِّزُ، فَاشْتَرَى النَّاسُ مِنَ الرَّقَاصِ كُلَّ دِرْهَمٍ بِثَلَاثَةِ لِأَجْلِ الْبَرَكَةِ، وَأَخَذَ دَابَّتَهُ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ تَرَكَ مِنَ الْأَثَاثِ مَا يُسَاوِي خَمْسِينَ دِرْهَمًا^(١)، فَأُيِّعَ بِمَبْلَغِ عَشْرِينَ أَلْفًا .

قال أبو شامة^(٢) : وفي الثامن^(٣) والعشرين من ربيع الآخر تُوُفِّيَ مُخَيِّ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقٍ بَدَارِهِ بِدِمَشْقَ الْمُجَاوِرَةَ لِلْمَدْرَسَةِ الثُّورِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قلتُ : داره هذه هي التي بُجِعِلَتْ مَدْرَسَةً لِلشَّافِعِيَّةِ، وَقَفَهَا الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ النَّجِيبِيُّ،^(٤) الَّتِي يُقَالُ لَهَا : النَّجِيبِيَّةُ . تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ، وَبِهَا إِقَامَتُنَا، جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا تَعْقُبُهَا دَارُ الْقَرَارِ فِي الْفَوْزِ الْعَظِيمِ .

وقد كان أبوه صَفِيُّ الدِّينِ وَزِيرًا مَدَّةً لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، وَمَلَكَ مِنَ الذَّهَبِ سِتْمَائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ خَارِجًا عَنِ الْأَمْلَاكِ^(٥) وَالْأَثَاثِ وَالْبِضَائِعِ، وَكَانَتْ وَفَاةً أَبِيهِ بِمَصْرَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قال أبو شامة^(٦) : وجاء الخبير من مصر بوفاة الفخر عثمان المصري المعروف بعين عين^(٧) .

(١) في الأصل : «دينارا» .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١ .

(٣) في م : «الرابع» .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) في الأصل : «الأموال» .

(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢ .

(٧) في م : «غين» .

قال^(١): وفي ثامنَ عشرَ ذى الحِجَّةِ تُوفِّي الشمسُ الوتارُ^(٢) الموصليُّ، وكان قد حصَّل شيئًا من علمِ الأدبِ، وخطبَ بجامعِ المِرَّةِ مدةً. فأُنشِدني لنفسِه في الشَّيْبِ وَخِضايهِ:

وكنْتُ وإياها مذ اختَطَّ عارضِي كزوحين^(٣) في جسمٍ وما نَقَصْتُ عهدًا
فلما أتاني الشَّيْبُ يَقْطَعُ بيننا توهُمُته سيقًا فألبسْتُهُ غمْدًا

وفيها^(٤) استَحْضَرَ الملكُ هولاءَ كوقان ملكِ التَّارِ الزَّيْنِ الحافظيِّ، وهو سليمانُ^(٥) ابنُ المؤيدِ^(٥) بنِ عامرِ العقربانيِّ المعروفِ بالزَّيْنِ الحافظيِّ، وقال له: قد ثبتَ عندي خِيائنتُكَ. وقد كان هذا المُعْتَرِّ لما قديمِ التَّارِ مع^(٦) هولاءِ كدمشقَ وغيرها مألًّا على المسلمينِ وآذاهم، ودلًّا على عَوْرَاتِهِمْ، حتى سلَّطهم اللهُ عليه بأنواعِ العُقوباتِ والمَثَلاتِ ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأُنعام: ١٢٩].

وفي الجملةِ مَنْ أعانَ ظالمًا سلَّطَ عليه،^(٧) «فإنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ بِالظَّالِمِ»، ثم يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ جميعًا، نَسألُ اللهَ العافيةَ مِنْ انتقامِهِ وَغضِبِهِ وَعقابهِ وَشَرِّ عبادِهِ^(٧).

(١) الذليل على الروضتين ص ٢٣٢.

(٢) في م: «الوبار». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣١٠/٢.

(٣) في الذليل على الروضتين: «كزوحين». والمثبت من الأصل، م موافق لما في ذيل مرآة الزمان الموضع السابق.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢٣٤/٢، ونهاية الأرب ١٠٩/٣٠، وكنز الدرر ١٠٤/٨.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) في الأصل: «سنة».

(٧ - ٧) زيادة من: م.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة

فيها^(١) جهَّز السلطانُ الملكُ الظاهرُ عسكرًا جمًّا كثيرًا إلى ناحيةِ الفراتِ لطردِ التتارِ النازِلينَ بالبصرةَ ، فلما سمِعوا بالعساكرِ الظاهريةِ قد أقبلتْ تولَّوا على أعقابِهِم منهُمِين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، فطابتْ تلكِ الناحيةُ ، وأمنتْ تلكِ المعاملةُ ، وقد كانتْ قبلَ ذلكِ لا تُسكَنُ من كثرةِ الفسادِ بها والخوفِ ، فعمرتْ وأمنتْ وللهِ الحمدُ .

وفيها^(١) خرجَ الملكُ الظاهرُ في عساكرٍ أُخِرَ عظيمَةٍ ، فقصدَ بلادَ الساحلِ لحصارِ الفِرنجِ ، ففتحَ قيساريَّةَ في ثلاثِ ساعاتٍ من يومِ الخميسِ ثامنِ جمادى الأولى وهو يومُ نُزولِهِ عليها ، وتسلمَ قلعَتها في يومِ الخميسِ الآخرِ خامسِ عشرِهِ فهدمها ، وانتقلَ إلى غيرها ، وللهِ الحمدُ والمنَّةُ ، ثم جاءَ الخبرُ بأنه فتحَ مدينةَ أرسوفَ^(٢) ، وقتلَ من بها من الفِرنجِ ، وجاءتِ البريديَّةُ بذلكِ . فدقَّتْ البشائرُ في بلادِ^(٣) المسلمين ، وفرحوا بذلكِ فرحًا شديدًا .

وفيها^(٤) وردَ خبرٌ من بلادِ المغربِ بأنهم انتصروا على الفِرنجِ ، وقتلوا منهم خمسةً وأربعين ألفَ مقاتلٍ وأسروا عشرةَ آلافِ ، واسترجعوا منهم ثنتين

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣ ، وذيل مرآة الزمان ٣١٨/٢ ، وكنز الدرر ١٠٧/٨ .

(٢) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ٢٠٧/١ .

(٣) في الأصل : « قلاع » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ ، وعقد الجمان ٤٠٩/١ .

[٧٠/١٠] وثلاثين^(١) بلدة، منها شريش^(٢) وإشبيلية وفوطبة ومزسية، وكانت
النصرة في يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة ثنتين وستين.

وفي رمضان^(٣) من هذه السنة شرع في تبليط باب البريد من باب الجامع إلى
القناة التي عند الدرج، وعمل في الصف القبلي منها بركة وشاذروان. وكان في
موضعها قناة من القنوات يتنفع الناس بها عند انقطاع نهر بانياس^(٤)، فغيرت
وعمل هذا الشاذروان. قلت: ثم غير ذلك وعمل مكانه دكاكين.

وفيها^(٥) استدعى السلطان نائبه على دمشق الأمير جمال الدين آقوش
النجيبي فسار إليه ستمًا وطاعة، وقد ناب عنه الأمير علم الدين الحصني حتى
عاد مكرّمًا معززًا.

وفيها^(٦) ولي السلطان الملك الظاهر من بقية المذاهب قضاة في الديار المصرية
مشتقلين، يؤلون من جهتهم في البلدان أيضًا كما يؤلى الشافعي، فكان للشافعية
القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، وتولى قضاء الحنفية شمس الدين
سليمان، وقضاء المالكية شمس الدين السبكي، والحنابلة شمس الدين محمد^(٧)
المقدسي، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل^(٨)،

(١) في م: «أربعين».

(٢) في الأصل: «شريش»، وفي م: «برنس»، وفي عقد الجمان: «سرين»، والمثبت من الذيل على
الروضتين. وشريش: مدينة كبيرة من كورة شدونة وهي قاعدة هذه الكورة، وشدونة: مدينة بالأندلس.
انظر معجم البلدان ٣/٢٨٥، ٢٦٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٦.

(٤) كذا في الأصل، والذيل على الروضتين، وفي م: «ماناس». ولعل الصواب «باناس». انظر معجم
البلدان ١/٤٨٢.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥، والعبر ٥/٢٧٢، وعقد الجمان ١/٤٠٧.

(٧) بعده في الأصل: «بن».

(٨) في الأصل: «العقل».

وكان سبب ذلك كثرة توقيف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعرز^(١) في أمور تُخالف مذهب الشافعي، وتوافق غيره من المذاهب^(٢)، فأشار الأمير جمال الدين أيدغددي العزيزي على السلطان بأن يُؤلَّى من كل مذهب قاضي قضاة وكان يُحب رأيه ومشورته، فأجابه إلى ذلك ففعل كما ذكرنا^(٣)، وبعث بأحشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ، وأرسل منبرًا، فنُصب هنالك.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر، وأتهم النصارى، فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة^(٤).

وفيها^(٥) جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هولاء هلك إلى لعنة الله و غضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة^(٦)، ودُفن بقلعة تلاً، وتُبيت عليه قبة، واجتمعت التتار على ولده أبعًا، فقصدته الملك بركة خان، فكسره وفرق مجموعته، ففرح الملك الظاهر بذلك فرحًا شديدًا، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق، فلم يتمكّن من ذلك لتفرق العساكر في الإقطاعات.

وفيها^(٧) في ثاني عشر شوال سلطن الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان، وأخذ له البيعة من الأمراء، وأزكبه ومشى الأمراء بين يديه، وحمل والده الغاشية بنفسه، والأمير بدر الدين يتسرى الشمسي حامل الجتر^(٨)،

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر نهاية الأرب ٣٠ / ١١٥ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢ / ٣٢٢، والمختصر في أخبار البشر ٤ / ٢، وكنز الدرر ٨ / ١١٤ .

(٤) ستأتي ترجمته صفحة ٤٦٨، ضمن وفيات سنة أربع وستين .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢ / ٣٢٢ .

(٦) في م : « الحيز » . والحيز : المظلة ؛ من الآلات الملوكية المختصة بالموكب العظام، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ؛ على أعلاها طائر من فضة مطليّة بالذهب تحمل على رأس الخليفة عند =

والقاضي تاج الدين ابن بنت الأعز والوزير بهاء الدين بن جتا راكبان بين يديه ،
وأعيان الأمراء رُكبان ، وبقيتهم مُشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك ، وكان
يوماً مشهوداً .

وفي ذى القعدة^(١) ختن السلطان ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه
جماعة من أولاد الأمراء ، وكان يوماً مشهوداً .

ومن تُوفّي فيها :

الزين خالد بن يوسف بن سعد النابلسي^(٢) الشيخ زين الدين الحافظ^(٣) ،
شيخ دار الحديث الثورية بدمشق ، كان عالماً بصناعة الحديث ، حافظاً لأسماء
الرجال ، اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين التواوي وغيره ، وتولّى بعده
مُشيخة الثورية الشيخ تاج الدين الفزاري ، وكان الشيخ زين الدين حسن
الأخلاق ، فكة النفس ، كثير المزاج على طريقة المُحدّثين ، وكان قد رحل إلى
بغداد ، فاشتغل بها ، وسمع الحديث [٧١/١٠] وكان فيه خيرٌ وصلاحٌ وعبادة ،
وكانت جنازته حافلة ، ودُفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو القاسم الحوّاري : هو أبو القاسم بن يوسف بن أبي القاسم بن
عبد السلام الأموي^(٤) الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحوّاري ، تُوفّي ببلده ،

= ركوبه ، ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكبر الأمراء . انظر صبح الأعشى
٤٦٩/٣ ، ٧/٤ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٢٣/٢ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣ ، وذيل مرآة الزمان ٣٢٦/٢ ، والعبر ٥/٢٧٣ ، وفوات الوفيات ١/٤٠٣ ،
والوفاي بالوفيات ١٣/٢٨٣ ، وعقد الجمان ١/٤١١ .

(٣) في م : « ابن الحافظ » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧ ، وذيل مرآة الزمان ٣٣٦/٢ ، والعبر ٥/٢٧٥ ، وعقد الجمان ١/٤١٢ ،
وشذرات الذهب ٥/٣١٣ .

وكان خَيْرًا صالحًا ، له أتباع وأصحاب يُحِبُّونه ، وله مُريدون كثيرٌ من قرايا حورانَ
في «الجَبِيلِ والبَنِيَّةِ»^(١) ، وهم حنابلةٌ لا يَزُون الضربَ بالدَّفِّ بل بالكَفِّ ، وهم
أمثلُ من غيرهم .

القاضي بدرُ الدين الكُزْدِيُّ السُّنْجَارِيُّ^(٢) الذي باسَّر القضاءَ بالديارِ المصريةِ
مرازاً وكانت وفاته بالقاهرة . قال أبو شامة^(٣) : وكانت سيرته معروفةً في أخذِ
الرِّشَا من قُضاةِ الأطرافِ والشهودِ والمُتَحَاكِمِينَ ، إلا أنه كان جَوَادًا كريمًا ثم
صُوِّدِر هو وأهلُه .

(١ - ١) في م : «الحل والبنيّة» .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ ، وذيل مرآة الزمان ٣٣٢/٢ ، والعبر ٢٧٤/٥ ، وعقد الجمان ٤١١/١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ .

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم العباسي ، وسلطان المسلمين الملك الظاهر ، وقضاة مصر أربعة .

وفيهما استجدَّ بدمشق أربعة قضاة^(٢) ، كما فعل في العام الماضي في ديار مصر وسيأتي تفصيله ، ونائب الشام أقوش التَّجِيبي ، وفيها وردت الولايات لقضاء القضاة من المذاهب ؛ فصار كلُّ مذهبٍ فيه قاضي قضاة ، فكان في منصب الشافعية شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن خلكان البزيمكي ، وصار على قضاء الحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا ، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر^(٣) محمد بن أحمد بن قدامة^(٤) ، وللمالكية عبد السلام ابن الزواوي ، وقد امتنع من الولاية ، فألزم بها حتى قيل ، ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها ، فقيل بشرط أن لا يباشِرَ أوقافًا ، ولا يأخذَ جامكيةً على أحكامه^(٤) ، فأجيب إلى ذلك ، وكذلك قاضي الحنابلة لم يأخذَ على أحكامه أجرًا وقال : نحن في كفاية . فأعفى من ذلك أيضًا ، رحمهم الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يُسبقَ إليه مثله قد فعل في العام الماضي بالديار المصرية أيضًا ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال والله الحمد .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧ ، وذيل مرآة الزمان ٣٣٦/٢ ، ونهاية الأرب ١٢٧/٣٠ .

(٢) بعده في م : « من كل مذهب قاض » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) في الأصل : « الحاكم » .

وفيهما كَمَلْ عِمَارَةُ الحَوْضِ الذِي شَرَقِيَّ قَنَاةِ بَابِ البَرِيدِ ، وَغُمِلَ لَهُ شَاذِرِوَانٌ ،
وفيه ^(١) أَنَايِبُ يَجْرِي فِيهَا المَاءُ مِنَ القَنَاةِ التِي هِيَ غَرْبِيَّةٌ إِلَى جَانِبِ الدَّرَجِ
الشَّمَالِيَّةِ .

وفيهما قَدِيمُ السُّلْطَانِ المَلِكِ الظَّاهِرِ بَعْسَاكِرِهِ وَنَازِلُ مَدِينَةِ صَفَدَ ، وَاسْتَدْعَى
بِالمَجَانِيْقِ مِنَ دِمَشَقَ ، وَأَحَاطَ بِهَا ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى افْتَتَحَهَا ، وَنَزَلَ أَهْلَهَا عَلَى
حُكْمِهِ ، فَتَسَلَّمَ البَلَدَ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَتَلَ
المُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وَقَدْ كَانَ المَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ افْتَتَحَهَا فِي شَوَالٍ أَيْضًا فِي
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا أَيْضًا فَانْتَزَعَهَا مِنْهُمْ قَسْرًا وَقَهْرًا
المَلِكُ الظَّاهِرُ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ فِي نَفْسِهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى فَتْحِهَا طَلَبُوا الأَمَانَ ^(٢) ، فَأَجْلَسَ عَلَى سَرِيرِ
مَمْلَكَتِهِ الأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ كَرْمُونَ التُّرَيْيَ ، وَجَاءَتْ رَسُلُهُمْ ، فَحَلَّفُوهُ ^(٣)
وَانصَبَرُوا ، ^(٤) وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ الذِي أُعْطَاهُم العُهُودَ بِالأَمَانِ إِنَّمَا هُوَ الأَمِيرُ الذِي
أَجْلَسَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَالحَرْبُ خَدَعَةٌ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الإِسْتِبْرَائِيَّةُ وَالدَّائِيَّةُ مِنَ
القَلْعَةِ ، وَقَدْ فَعَلُوا بِالمُسْلِمِينَ الأَفَاعِيلَ ، فَأَمَكَنَ اللهُ [٧١/١٠] مِنْهُمْ ، فَأَمَرَ
السُّلْطَانُ بِضَرْبِ أعْنَاقِهِمْ عَنِ آخِرِهِمْ ، وَجَاءَتْ البِشَائِرُ إِلَى القَلَاعِ بِذَلِكَ ، فَدَقَّتْ
البِشَائِرُ ، وَرُيِّنَتْ البِلَادُ وَفَرِحَ العِبَادُ وَلِلَّهِ الحَمْدُ ، ثُمَّ بُنِيَ السَّرَايَا يَمِينًا وَشِمَالًا فِي
بِلَادِ الفِرْنَجِ ، فَاسْتَوَلَى المُسْلِمُونَ عَلَى حَصُونِ كَثِيرَةٍ تُقَارِبُ عَشْرِينَ حَصْنًا ،

(١) فِي م : « قبة و » .

(٢) بَعْدَهُ فِي الأَصْلِ : « عَلَى أَنَّ يُعْطِيهِمُ السُّلْطَانُ الأَمَانَ » .

(٣) فِي م : « فحلّمه » .

(٤) - ٤ (زيادة من : م .

وَأَسْرُوا قَرِيْبًا مِنْ أَلْفِ أَسِيرٍ مَا بَيْنَ امْرَأَةٍ وَصَبِيٍّ ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَدَقَّتِ
البشائرُ في البُلْدَانِ ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ .

وفيها^(١) قَدِيمٌ وَلَدُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ
الْعَبَّاسِيِّ - وَاسْمُهُ عَلِيُّ - إِلَى دِمَشْقَ فَأُكْرِمَ وَأُنزِلَ بِالْدَارِ الْأَسَدِيَّةِ تَجَاهَ الْمَدْرَسَةِ
الْعَزِيزِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي التُّتَارِ ، فَلَمَّا كَسَّرَهُمْ بَرَكَتُهُ خَانَ تَخَلَّصَ مِنْ
أَيْدِيهِمْ ، وَصَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَلَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ صَفَدَ أَخْبِرَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ
أَشْرَى الْمُسْلِمِينَ أَنَّ سَبَبَ أَسْرِهِمْ أَنَّ أَهْلَ قَرْيَةٍ قَارَا كَانُوا يَأْخُذُونَهُمْ فَيَحْمِلُونَهُمْ إِلَى
الْفِرْنَجِ ، فَيَبِيعُونَهُمْ مِنْهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَكِبَ السُّلْطَانُ قَاصِدًا قَارَا ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ بِأَسَا
شَدِيدًا ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسَرَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ أَخْذًا بَثْرًا الْمُسْلِمِينَ ،
جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . ثُمَّ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ جَيْشًا هَائِلًا إِلَى بِلَادِ سَيْسِ ،
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَفَتَحُوا سَيْسَ عَنُودَ ، وَأَسْرُوا ابْنَ مَلِكِهَا وَقَتَلُوا أَخَاهُ ،
وَنَهَبُوا وَقَتَلُوا أَهْلَهَا ، وَأَخَذُوا بَثْرًا الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَضْرَّ
شَيْءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ زَمَنِ التُّتَارِ ، لَمَّا أَخَذُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَغَيْرَهَا أَسْرُوا مِنْ نِسَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَأَطْفَالِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا ، ثُمَّ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ يُغَيِّرُونَ عَلَى بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ^(٢) فِي زَمَنِ هَوْلَاكُو^(٣) ، فَكَبَّتْهُ اللَّهُ وَأَهَانَهُ عَلَى يَدِي أَنْصَارِ الْإِسْلَامِ ،
^(٣) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ كَثِيرًا دَائِمًا ، وَكَانَتِ النَّصْرَةُ عَلَيْهِمْ فِي^(٣) يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الْعِشْرِينَ
مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَى الْبِلَادِ ، وَضُرِبَتْ
البشائرُ .

(١) عقد الجمان ٤٢٦/١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) في م : « هو وأميره كتبنا وكان أخذ سيس » .

وفي الخامس والعشرين من ذى الحجة دخل السلطان الملك الظاهر دمشق المحروسة وبين يديه ابن صاحب سبب وجماعة من ملوك الأرمين أسارى أذلاء صغرة والعساكر صخبته، وكان يوماً مشهوداً. ثم سار إلى الديار المصرية مؤيداً منصوراً مسروراً محبوباً ولله الحمد، وطلب صاحب سبب أن يفادى ولده من السلطان فقال: لا نفاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له: سنقر الأشقر. فذهب صاحب سبب إلى ملك التتار، فتدلل وتخضع له، حتى أطلق له سنقر الأشقر فأطلق السلطان ابن صاحب سبب.

وفيها^(١) عمر الظاهر الجيسر المشهور بين قرأوا^(٢) ودامية، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن نهار^(٣) وبدر الدين محمد بن رحالي والى نابلس والأغوار، ولما تم بناؤه اضطرب بعض أركانه، فقلق السلطان لذلك، وأمر بتأكيده، فلم يستطيعوا من قوة جزي الماء حينئذ، فاتفق بإذن الله أن انسالت على النهر أكمة^(٤) من تلك الناحية، فسكن الماء بمقدار ما أضلحوا ما يريدون، ثم عاد الماء كما كان، وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة.

ومن توفى فيها:

أيّدغدى بن عبد الله، الأمير جمال الدين العزيمي^(٥)، كان [٧٢/١٠] من

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٤٦/٢.

(٢) في الأصل: «سرا»، وفي م: «قرارا». والمثبت من المصدر السابق. وقرأوا: قرية من أعمال نابلس. انظر معجم البلدان ٥١/٤.

(٣) في الأصل: «بهار»، وفي م: «بهادر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر النجوم الزاهرة ٧/١٤١ حاشية (٢) ..

(٤) الأكمة: التل. الوسيط (أك م).

(٥) ذيل مرآة الزمان ٣٥٠/٢، ونهاية الأرب ١٣٠/٣، والعبر ٢٧٧/٥، والوافي بالوفيات ٤٨٤/٩، والنهال الصافي ١٥٩/٣.

أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملك الظاهر، لا يكاد يخرج عن رأيه، وهو الذى أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب على سبيل الاستقلال، وكان، رحمه الله تعالى، متواضعا لا يلبس محرما، كريما وقورا رئيسا معظما فى الدولة، أصابته جراحة فى حصار صفد فلم يزَل مريضا منها حتى مات ليلة عرفة، ودُفِن بالرباط الناصرى بسفح قاسيون^(١).

هُولَاكُوقَانُ بْنُ تُولَى قَانُ بْنُ جِنِكْزُخَانَ^(٢) ملك التتار بن ملك التتار بن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، والعامَّة يقولون هولاؤون مثل قلاوون، وقد كان ملكا جبارا عنيدا، قتل من المسلمين شرقا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم، وسيجازيه على ذلك شرّ الجزاء، كان، لعنه الله، لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفرخاتون قد تنصرت، وكانت تُفضل النصارى، وكان، لعنه الله، يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة عنده لهم وجهة ومكانة، وإنما كانت همته فى تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتى أباده الله فى هذه السنة، وقيل: فى سنة ثلاث وستين^(٣)، ودُفِن بمدينة تالا، لا رحمه الله، وقام فى الملك من بعده ولده أبغا فى المملكة، وكان أبغا أحد إخوة عشرة ذكور. والله سبحانه أعلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) بعده فى م: «من صلاحية دمشق رحمه الله».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٥٧/٢، ودول الإسلام ١٦٩/٢.

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٤٦١.

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة^(١)

فى يوم الأحد ثانى المحرم توجّه السلطان الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية، وضحبته العساكر المنصورة، وقد استولت الدولة الإسلامية على بلاد سيسى بكمالها، وعلى كثير من معاقل الفرنج فى هذه السنة، وقد أرسل العساكر بين يديه إلى غزّة، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر فى أحوالها، فلما كان عند بركة زيزى تصيد هنالك، فسقط عن فرسه، فانكسرت فخذه، فأقام هنالك أياما يتداوى حتى أمكنه أن يزكّب فى المحفة، وسار إلى مصر، فبرأت رجله فى أثناء الطريق، فأمكنه الركوب وحده على الفرس. ودخل القاهرة فى أبهة عظيمة، وتجمّل هائل، وقد زينت البلد، واحتفل الناس له احتفالاً عظيماً، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحاً كثيراً. ثم فى رجب منها رجع من القاهرة إلى صفد، وحفر خندقاً حول قلعتها، وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه، وأغار على ناحية عكا، فقتل وأسر وغنم وسلم، وضربت لذلك البشائر بدمشق. وفى ثانى عشر ربيع الأول^(٢) صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة، ولم تكن تُقام به الجمعة من زمن العنبيديين إلى هذا الحين، مع أنه أول مسجد وضع بالقاهرة، بناه جوهر القائد، وأقام فيه الجمعة، فلما بنى الحاكم جامعته حول الجمعة منه إليه، وترك الأزهر لا الجمعة فيه، فصار فى حكم بقية المساجد، وشعث حاله، وتغيّرت

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٨، وذيل مرآة الزمان ٣٦٠/٢، ونهاية الأرب ١٣٣/٣٠.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٦٠/٢، وعقد الجمان ٦/٢.

أحواله، فأمر السلطان بعمارته وبياضه وإقامة الجمعة، وأمر بعمارة جامع الحسينية، فأكمل في سنة سبع وستين، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

وفيها أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق، وأمر بإخراج الخزائن منه، والمقاصير التي كانت فيه، فكانت قريباً من ثلاثمائة [٧٢/١٠ ظ] خزانة ومقصورة، ووجدوا فيها قوارير البول والفُرَش والسجاجيد الكثيرة، فاستراح الناس والجامع من ذلك، واتسع على المصلين.

وفيها^(١) أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها، وأن يكتب عليها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفيها^(٢) التقى أنغا ومنكوتر الذي قام مقام بركة خان، فكسره أنغا وغنم منه شيئاً كثيراً.

وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال^(٣): بلغنا أن رجلاً^(٤) بدير أبي سلامة^(٤) من ناحية بصرى، كان فيه مجون واشتهتار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج. يعنى دُبْرَه، فأخذ سواكاً، فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة

(١) نهاية الأرب ١٣٧/٣٠، وعقد الجمان ٧/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٦٣/٢.

(٣) عقد الجمان ١٠/٢.

(٤ - ٤) في م: «يدعى أبا سلامة».

أشهر، فوضع ولدًا على صفة الجزذان، له أربعة قوائم، ورأسه كرأس السمكة، وله دبر كدبر الأرنب. ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين، ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلنى وقطع أمعائى. وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيًا قبل أن يموت، ومنهم من رآه بعد موته.

ومَن تُوفى فيها من الأعيان:

السلطان بركة خان بن تولى بن جنكزخان بن خاقان^(١) وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يُحب العلماء والصالحين، ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريقه جنوده، وكان يُنصح الملك الظاهر ويُعظمه ويُكرّم رسله إليه، ويُطلق لهم شيئًا كثيرًا، وقد قام فى الملك بعده بعض أهل بيته، وهو منكوتمر بن طغان بن باتو بن تولى بن جنكزخان، وكان على طريقته ومثاله، ولله الحمد.

قاضى القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر ابن بنت الأعرز الشافعي^(٢)، كان ديتًا عفيفًا نزهًا، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يقبل شفاعاة أحد، وجميع له قضاء الديار المصرية بكما إليها، والخطابة والحسبة،

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٦٤/٢، ونهاية الأرب ٣٥٨/٢٧، والعبر ٢٨٠/٥، والوافى بالوفيات ١٠/١١٧، وعقد الجمان ١٦/٢.

(٢) الذليل على الروضتين ص ٢٤٠، وذيل مرآة الزمان ٣٦٩/٢، ونهاية الأرب ١٤٠/٣٠، والعبر ٥/٢٨١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٨/٨، وعقد الجمان ١٢/٢.

ومَشِيخَةُ الشُّيُوخِ، ونَظَرُ الأَحْبَاسِ^(١)، وتَدْرِيسُ قُبَّةِ^(٢) الشَّافِعِيِّ والصَّالِحِيَّةِ وإِمَامَةُ الجامعِ، وكان يبيده خمسَ عَشْرَةَ وظيفَةً، وباشَرَ الوِزَارَةَ في بعضِ الأوقاتِ، وكان السلطانُ يُعَظِّمُهُ، والوزيرُ ابنُ الحَنَّا يَخَافُ منه كثيرًا، وكان يُحِبُّ أن يَنكُبَهُ عندَ السلطانِ وَيَضَعَهُ، فلا يَسْتَطِيعُ ذلكَ، وكان يَشْتَهِي أن يَأْتِيَ دارَهُ ولو عائدًا، فمَرِضَ في بعضِ الأحيانِ، فجاءه القاضي عائدًا، فقام لَتَلْقِيهِ إلى وَسَطِ الدارِ، فقال له القاضي: إِنما جِئنا لِعِيادَتِكَ، فإذا أنتَ سَوِيٌّ صَحيحٌ، سلامٌ عليكم. فرجع ولم يَجْلِسْ عنده. وكان مولدُهُ في سنةِ أربعٍ وسِتِّمِائَةٍ، وتولَّى بعده القَضَاءَ تَقِيُّ الدينِ بنُ رَزِينِ.

واقفُ القَيْمُورِيَّةِ الأَمِيرُ الكَبِيرُ ناصرُ الدينِ أبو المَعَالِي الحَسِينُ بنُ عَزِيزِ بنِ أَبِي الفَوَارِسِ القَيْمُورِيُّ الكُزْدِيُّ^(٣)، كان مِن أعظَمِ الأُمراءِ مكانَةً عندَ الملوِكِ، وهو الذي سَلَّمَ الشَّامَ إلى المَلِكِ الناصِرِ صاحِبِ حَلَبَ، حينَ قُتِلَ ثورَانشاهُ بنُ الصَّالِحِ أيوبَ بِمِصرَ، وهو واقفُ المَدْرَسَةِ القَيْمُورِيَّةِ [٧٣/١٠] عندَ مِثْدَنَةِ فَيْرُوزَ، وعَمِلَ على بابِها الساعاتِ التي لم يُسَبِّقْ إلى مِثْلِها، ولا عَمِلَ على شَكْلِها، يقالُ: إنهُ غَرِمَ عليها أربعين ألفَ درهمٍ.

الشَّيْخُ شَهابُ الدينِ أبو شامَةَ^(٤): عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ إِسْماعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ

(١) في الأصل: «الجيش»، وفي م: «الأجياش»، والمثبت من عقد الجمان.

(٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٩، وذيل مرآة الزمان ٣٦٦/٢، ونهاية الأرب ١٤٦/٣٠، والعبر ٥/٢٨٠، وعقد الجمان ١٥/٢.

(٤) الذيل على الروضتين ص ٣٧، وذيل مرآة الزمان ٣٦٧/٢، والعبر ٥/٢٨٠، والوافي بالوفيات ١٨/١١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦٥/٨، غاية النهاية ٣٦٥/١، وبغية الوعاة ٧٧/٢، وطبقات المفسرين للداودي ٢٦٣/١.

عثمان بن أبي بكر بن عباس، أبو^(١) محمد وأبو القاسم المقدسي، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة، شيخ دار الحديث الأشرافية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، له «اختصار تاريخ دمشق» في مجلدات كثيرة، وله «شرح الشاطبية»، وله «الرد إلى الأمر الأول»، وله في البعث^(٢) وفي الإسرائ^(٣)، وكتاب «الروضتين في الدولتين الثورية والصلاحية»، وله «الذليل» على ذلك، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والفرائد^(٤) التي هي كالعقيان. وُلد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة^(٥)، وذكر لنفسه ترجمة في هذه السنة في «الذليل»، وذكر مَرَبَاهُ وَمُنْشَأَهُ، وطلبه العلم، وسماعه الحديث، وتفقهه على الفخر بن عساكر، وابن عبد السلام، والسيف الأمدى، والشيخ مؤفّق الدين بن قدامة، وما رُئِيَ له مِنَ المَنَامَاتِ الحسنة. وكان ذا فُنُونٍ كثيرة، أخبرني الشيخ عَلَمُ الدين البيزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري، أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رُتْبَةَ الاجْتِهَادِ، وقد كان يَنْظُمُ أشعارًا في أوقَاتِ، منها ما هو مُسْتَحْلَى، ومنها ما لا يُسْتَحْلَى. فاللَّهُ يَغْفِرُ لنا وله.

وبالجملَةِ فلم يَكُنْ في وقته مثله في نفسه وديانته، وعفته وأمانته، وكانت وفاته بسبب جماعة^(٦) ألَبُوا عليه، فأرسلوا إليه من اغتاله، وهو بمنزل له بطواحين الأُسنان، وقد كان اتُّهِمَ بِأَمْرِ^(٧) الظاهر براءته منه، وقد قال جماعة من أهل

(١) كذا في الأصل، م، وفي الذيل على الروضتين قال المصنف عن نفسه: يكنى أبا القاسم محمد، وفي ذيل مرآة الزمان: «بن».

(٢) وهو كتاب «شرح الحديث المقتضى في مبعث المصطفى».

(٣) وهو كتاب «نور المسرى في تفسير آية الإسرائ».

(٤) في م: «الفرائد».

(٥ - ٥) في الأصل: «ستمائة». وانظر الذيل على الروضتين ص ٣٧.

(٦) في م: «محنة».

(٧) في م: «برأى».

الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوماً . ولم يَزَلْ يَكْتُثِبُ في « التاريخ » حتى وصل إلى رجبٍ من هذه السنة ، فذكر أنه أُصِيبَ بِمِخْنَةٍ في منزله بطواحين الأُسنانِ ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل ، فَضَرَبُوهُ لِيَمُوتَ ، فلم يُمِتْ ، فقيل له : ألا تَشْتَكِي عليهم . فلم يَفْعَلْ ، وأنشأ يقول^(١) :

قلتُ لمن قال ألا تَشْتَكِي ما قد جرى فهو عَظِيمٌ جليلٌ
يُقَيِّضُ اللَّهُ تعالى لنا من يأخذُ الحَقَّ وَيَشْفِي العَليلُ
إذا توَكَّلنا عليه كفى فحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيلُ

وكانهم عادوا إليه مرةً ثانيةً ، وهو في المنزل المذكور ، فقتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاءِ تاسعَ عَشَرَ من رمضانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .^(٢) ودُفِنَ من يومه بمقابرِ بابِ^(٣) الفَراديسِ^(٤) ، وبأشْرَ بعده مَشِيخةَ دارِ الحديثِ الأشرافيةِ الشيخِ مُحْيِي الدينِ التَّووي . وفي هذه السنة كان مؤلِّدُ الحافظِ عَلمِ الدينِ القاسمِ بنِ محمدِ البِزْالي ، وقد ذُيِّلَ على تاريخِ الشيخِ أبي شامةَ ؛ لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه ، وسلك نحوه ، ورَتَّبَ ترتيبه ، وهذَّبَ تهذيبه ، وهذا مِّنْ يقالُ فيه وفي أمثاله في تراجمهم^(٥) :

ما زلتُ تَكْتُبُ في التاريخِ مُجْتهدًا حتى رأيتُك في التاريخِ مَكْتُوبًا

ويُناسِبُ أن يُنشدَ هنا قولُ الشاعرِ^(٥) :

إذا سيِّدٌ منا حَلاَ قام سيِّدٌ قَؤُولٌ لما قال الكِرامُ فَعولٌ

(١) الأبيات في الذيل على الروضتين ص ٢٤٠ .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) في الأصل : « دار » . والمثبت من غاية النهاية وعقد الجمان ١٥/٢ .

(٤) انظر ما تقدم صفحة ٣٤٤ .

(٥) البيت للسؤال بن عاديا . انظر الحماسة لأبي تمام ٨١/١ ، وديوان السموأل المجموع ص ٩١ .

ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة^(١)

استهلَّت هذه السنة والحاكم العباسي خليفة، وسلطان البلاد الملك الظاهر، وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان [٧٣/١٠] من الديار المصرية بالعساكر المنصورة، فنزل على مدينة يافا بعتة، فأخذها عنوة، وسلم إليه أهلها قلعته صلحا، فأجلاهم منها إلى عكا، وخرَّب القلعة والمدينة^(٢) أيضا، وقد كان الفرينج اعتنوا بعماريتها وتحصينها، فجعلها بلقعا لئلا يكون لهم إليها عودة^(٣)، وسار منها في رجب قاصدا حصن الشقيف، وفي بعض الطريق أخذ من بعض بريدية الفرينج كتابا من أهل عكا إلى أهل الشقيف يُعلمونهم بقُدوم السلطان عليهم، ويأمرونهم بتحصين البلد، والمبادرة إلى إصلاح أماكن يُخشى على البلد منها. ففهم السلطان كيف يأخذ البلد، وعرف من أين تُؤكل الكيف، واستدعى من قوره رجلا من الفرينج، فأمره أن يكتب بدله كتابا على ألسنتهم إلى أهل الشقيف، يُحذِّر الملك من الوزير، والوزير من الملك، ويؤمى الخلف بين الدولة. فوصل إليهم، فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته، وجاء السلطان فحاصرهم ورامهم بالمنجنيق، فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب، وأجلاهم إلى صور، وبعث بالأنقال^(٤) إلى دمشق، ثم ركب جريدة فيمن نشط من

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٧٣/٢ - ٤٠٦، ونهاية الأرب ١٥٠/٣٠ - ١٥٦، وكنز الدرر ١٢٣/٨ -

١٣٩، والعبر ٢٨٣/٥.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «بالأنفال».

الجيش، فشنَّ الغارة على طرابلس وأعمالها، فهبَّ وقتل وأزعب، وكرَّ راجعاً مؤيِّداً منصوراً، فنزل على حصن الأكراد^(١) تحته^(٢) في المَوج، فحمل إليه أهله من الفِرْنَج الإقامات، فأبى أن يقبلها وقال: أنتم قتلتم جُنْدِيًّا من جيشي، وأريدُ دينته مائة ألف دينار. ثم سار، فنزل على حمص، ثم منها إلى حماة، ثم إلى أقامية^(٣)، ثم سار منزلةً أخرى، ثم سار ليلاً، وتقدَّم إلى العسكرِ فليسوا العُدَّة، وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية.

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخير، يقال: إن دور سُورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بُروجها مائة وستة وثلاثون بُرجاً، وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألف شرفية، كان نزوله عليها في مُستَهَلَّ شهر رمضان، فخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان، وشرطوا شروطاً عليهم له، فأبى أن يُجيبهم، وردَّهم خائبين، وصمَّم على حصارها، ففتحها يوم السبت رابع شهر^(٤) رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره، وغنم منها شيئاً كثيراً، وأطلق للأمرءِ أموالاً جزيلةً، ووجد من أسارى

(١) حصن الأكراد: من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها روض، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس، وهي على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهي بين حمص وطرابلس. النجوم الزاهرة ١٤٢/٧ حاشية (٤).

(٢) في م: «لحجته».

(٣) في الأصل: «إقامته»، وهو تصحيف. وأقامة: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص... ويسمونها بعضهم قامية. معجم البلدان ١/٣٢٣.

(٤) في م: «عشر». وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/٣٨٣، والنجوم الزاهرة ٧/١٤٣.

المسلمين من الحلبيين فيها خلقًا كثيرًا، كلُّ هذا في مقدارِ أربعةِ أيامٍ . وقد كان الأفريس^(١) صاحبها وصاحب طرابلس، من أشدَّ الناسِ أذيةً للمسلمين، حينَ ملك التتار حلب، وفرَّ الناسُ منها، فانتقمَ اللهُ سبحانه منه بمن أقامه للإسلامِ ناصرًا وللصليبِ داعمًا وكاسرًا، وللهِ الحمدُ والمنَّةُ، وجاءت البشارةُ بذلك مع البريديَّة، فجاءتْها البشائرُ من القلعة المنصورة، وأرسل أهلُ بَغْرَاس^(٢) حينَ سمِعوا بقصدِ السلطانِ إليهم يطلبون منه أن يبعثَ إليهم من يَسَلِّمُها، فأرسل إليهم أستاذَ داره الأميرَ آقشَنقَرُ الفارقاني في ثالثِ عشرِ رمضانَ فتسلَّمها، وتسلَّموا حصونًا كبيرةً وقلاعًا كثيرةً، وعاد السلطانُ مؤيَّدًا منصورًا، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضانَ من هذه السنة في أُبَّهةٍ عظيمةٍ وهَيِّيةٍ هائلةٍ، وقد زُيِّت له البلدُ، ودُقَّت له البشائرُ فرحًا بنصرةِ الإسلامِ على الكفرةِ الطغام، لكنه كان قد عزَم على أخذِ أراضٍ كثيرةٍ من القرى والبساتين التي بأيدي مَلَائِكها بزعمِ أنه قد كانت التتارُ استحوذوا عليها، [٧٤/١٠] ثم استنقذها منهم، وقد أفتاه بعضُ الفقهاءِ مِنَ الحنفيَّةِ بذلك، تفريعًا على أن الكفارَ إذا أخذوا شيئًا من أموالِ المسلمين ملكوها، فإذا استزجعت لم تُردَّ إلى أصحابها، وهذه المسألةُ مشهورةٌ، وللناسِ فيها قولان؛ أصحُّهما قولُ الجمهورِ أنه يَجِبُ رُدُّها إلى أصحابها؛ لحديثِ العَضْبَاءِ ناقةِ رسولِ اللهِ ﷺ^(٣)، حينَ استزجعتها رسولُ اللهِ ﷺ، وقد كان أخذها المشركون، استدلُّوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفةَ رحمه اللهُ تعالى . وقال بعضُ العلماءِ: إذا أخذ الكفارُ أموالَ المسلمين، وأسلموا وهي في أيديهم

(١) في م: «الأغريس» .

(٢) بفراس: مدينة في لطف - أصل - جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلَّة على نواحي طرسوس . انظر معجم البلدان ١/٦٩٣ .

(٣) تقدم تخريجه في ٦/١٧٥ .

اسْتَقَرَّتْ عَلَى أَمْلَاكِهِمْ . وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١) :
« وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ » . وَقَدْ كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ
هَاجَرُوا ، وَأَسْلَمَ عَقِيلٌ وَهِيَ فِي يَدِهِ ، فَلَمْ تُنْتزَعْ مِنْ يَدِهِ ، وَأَمَّا إِذَا انْتزَعَتْ مِنْ
أَيْدِيهِمْ قَبْلُ ، فَإِنهَا تُرَدُّ إِلَى أَرْبَابِهَا لِحَدِيثِ الْعَضْبَاءِ .

والمقصود أن الظاهر عقد مجلسنا اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر
المذاهب ، وتكلموا في ذلك ، وصمم السلطان على ذلك اعتماداً على ما بيده من
الفتاوى ، وخاف الناس من غائلة ذلك ، فتوسّط صاحبُ فخر الدين بن الوزير
بهاء الدين بن الحنّاء ، وكان قد درّس بالشافعيّ بعد ابن بنت الأعرّ ، فقال : يا
خوند ، أهل البلد يُصالحونك عن ذلك كله بألف ألف درهم تُقسّطُ ؛ كل سنة
مائتا ألف درهم . فأبى إلا أن تكون مُعجّلةً بعد أيام ، وخرج متوجّهاً إلى الديار
المصرية ، وقد أجاب إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة بذلك^(٢) وقرئت على المنبر ،
ففرح الناس بذلك^(٣) ، ورسم أن يُعجلوا من ذلك أربعمائة ألف درهم ، وأن تُعادَ
إليهم^(٤) العَلَّاتُ التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسم والثمار ، وكانت
هذه الفعلة مما شعّنت خواطر الناس على السلطان .

ولما استقر أمرُ أبقا على التّار أمر باستيفار وزيره نصير الدين الطوسي ،
واستتاب على بلاد الروم البرواناه^(٤) ، وارتفع قدره عنده جداً ، واستقل بتدبير
تلك البلاد ، وعظم شأنه فيها .

(١) تقدم تخريجه في ٥٥٥/٦ ، كما أخرجه مسلم (٤٣٩ ، ٤٤٠/١٣٥١) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « إليه » . وانظر كنز الدرر ٣٨٧/٨ .

(٤) البرواناه : لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب ، وقد أطلق في دولة السلاجقة الروم بأسيا الصغرى
على الوزير الأكبر . انظر السلوك ٥٧٢/١ (القسم الثاني) حاشية (١) .

وفيها كَتَبَ صَاحِبُ الْيَمَنِ إِلَى الظَّاهِرِ بِالْخُضُوعِ وَالْإِثْمَاءِ إِلَى جَانِبِهِ ، وَأَنَّهُ
يَخْطُبُ لَهُ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ هَدَايَا وَتُحَقَّقًا كَثِيرَةً ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ
هَدَايَا وَخِلَعًا وَسَنْجَقًا وَتَقْلِيدًا .

وفيها رَافِعُ ضِيَاءُ الدِّينِ بِنُ الْفُقَاعِيِّ لِلصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْحِجْنَاءِ عِنْدَ
الظَّاهِرِ ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ ابْنُ الْحِجْنَاءِ ، فَسَلَّمَهُ الظَّاهِرُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُهُ بِالْمَقَارِعِ
وَيَسْتَخْلِصُ أَمْوَالَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ ضَرَبَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ
مِفْرَعَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفيها عَمِلَ الْبُرْزَوَانَاءُ عَلَى قَتْلِ الْمَلِكِ عَلَاءِ الدِّينِ صَاحِبِ قُونِيَّةَ ، وَأَقَامَ وَلَدَهُ
غِيَاثَ الدِّينِ مَكَانَهُ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَتَمَكَّنَ الْبُرْزَوَانَاءُ فِي الْبِلَادِ [٧٤/١٠]
وَالْعِبَادِ ، وَأَطَاعَهُ جَيْشُ الرُّومِ .

وفيها^(١) قَتَلَ الصَّاحِبُ عَلَاءُ الدِّينِ صَاحِبُ الدِّيوانِ بِيغَدَادَ ابْنَ الْخُشْكَرِيِّ
التُّغْمَانِيَّ الشَّاعِرَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَهَرَ عَنْهُ أَشْيَاءٌ عَظِيمَةٌ ، مِنْهَا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ فَضْلَ شِعْرِهِ
عَلَى الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ الصَّاحِبَ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطِ ، فَلَمَّا كَانَ بِالتُّغْمَانِيَّةِ
حَضَرَ ابْنَ الْخُشْكَرِيِّ عِنْدَهُ ، وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً قَدْ قَالَهَا فِيهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُنْشِدُهَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِذْ أَدَّنَ الْمُؤَدُّنُ ، فَاسْتَنْصَبَتَهُ الصَّاحِبُ ، فَقَالَ ابْنُ الْخُشْكَرِيِّ : يَا مَوْلَانَا ، اسْمَعْ
شَيْئًا جَدِيدًا ، وَأَعْرِضْ عَنِ شَيْءٍ لَهُ سَنُونَ . فَثَبَّتَ عِنْدَ الصَّاحِبِ مَا كَانَ يُقَالُ
عِنْدَهُ عَنْهُ ، ثُمَّ بَاسَطَهُ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا قَالَ حَتَّى اسْتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ ،
فَإِذَا هُوَ زَنْدِيقٌ ، فَلَمَّا رَكِبَ قَالَ لِإِنْسَانٍ مَعَهُ : اسْتَفْرِدْهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ وَأَقْتُلْهُ .
فَسَايَرَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ قَالَ لِحَمَاعَةٍ مَعَهُ : أَنْزِلُوهُ عَنِ فَرَسِهِ .
كَالْمُدَاعِبِ لَهُ ، فَأَنْزَلُوهُ وَهُوَ يَشْتُمُهُمْ وَيَلْعَنُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْزِعُوا عَنْهُ ثِيَابَهُ . فَسَلَبُوهَا

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/٣٨٧، وعقد الجمان ٢/٣٥.

وهو يُخاصِمُهُمْ ، ويقولُ : إنكم أجلافٌ ، وإن هذا لَعَبٌّ باردٌ . ثم قال : اضربوا عنقه . فتقدّم إليه أحدُهم ، فضربه بسيفه ، فأبان رأسه .

وفيها تُوفِّي :

الشيخُ عَفِيفُ الدِّينِ يُوْسُفُ بْنُ البَقَّالِ^(١) ، شيخُ رِبَاطِ المَرْزُبَانِيَّةِ ، كان صالحاً ورِعاً زاهداً ، حكى عن نفسه قال : كنتُ بمصرَ فبلغني ما وقع من القتلِ الذريعِ ببغدادَ في فِتْنَةِ التتارِ ، فأثكرتُ في قلبي ، وقلتُ : ياربُّ ، كيف هذا وفيهم الأطفالُ ومَن لا ذنبَ له ؟ فرأيتُ في المنامِ رجلاً وفي يده كتابٌ ، فأخذته فقرأته ، فإذا فيه هذه الأبياتُ ، فيها الإنكارُ عليَّ :

دَعِ الإِغْتِرَاضَ فما الأُمْرُ لكُ ولا الحُكْمُ في حَرَكَاتِ الفَلَكِ
ولا تَسْأَلِ اللّهَ عن فِعْلِهِ فَمَنْ خَاضَ لُجَّةَ بَحْرِ هَلَكِ
إِلَيْهِ تَصِيرُ أُمُورُ العِبَادِ دَعِ الإِغْتِرَاضَ فما أَجْهَلَكُ

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الأَعْيَانِ :

الحافظُ أبو إبراهيمِ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ^(٢) المَعْرُوفُ بابنِ قَاضِي اليَمَنِ ، عن ثمانِ وستينِ سَنَةً ، ودُفِنَ بِالشَّرْفِ الأَعْلَى ، وكان قد تفرَّدَ بِرواياتِ جَيِّدَةٍ ، وانتَفَعَ النَّاسُ بِهِ .

وفيها^(٣) وُلِدَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ، أخو الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَالخَطِيبُ القَرْوِينِيُّ^(٤) .

(١) عقد الجمان ٣٥/٢ .

(٢) بعده في الأصل : « بن عبد الله » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) عقد الجمان ٣٨/١ .

(٤) سنأتي ترجمته في ٤١٧/١٨ ضمن وفيات سنة تسع وثلاثين وسبعمئة .

ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة^(١)

في صفرٍ منها جدّد السلطانُ الظاهرُ البيعةَ لولده من بعده الملكِ السعيدِ محمدِ بركة خان، وأحضّر الأُمراءَ كلَّهم والقُضاةَ والأعيانَ، وأزكبه ومشى بين يديه، وكتب له ابنُ لُقمانَ تَقْلِيدًا هائلًا بالملكِ من بعد أبيه، وأن يَحْكُمَ عنه أيضًا في حالِ حياتِهِ، ثم ركب السلطانُ في عساكرِهِ في جُمادى الآخِرَةِ قاصدًا الشامَ، فلما دخل دمشقَ جاءته رسلٌ من أبعًا ملكِ التتارِ، معهم مُكاتباتٌ ومُشافهاتٌ، فمِن جملَةِ المُشافهاتِ: أنت مملوكٌ أُبعِتَ بسيواس^(٢)، فكيف يَصُلُحُ لك أن تُخالفَ مملوكَ الأرضِ؟! واغلم أنك لو صعدتَ إلى السماءِ أو هبطتَ إلى الأرضِ ما تَخَلَّصتَ مني فاعمَلْ لنفسِكَ على مُصالحةِ السلطانِ أبعًا. فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك، ولا عدّه شيئًا، بل أجاب عنه أتمَّ جوابٍ، وقال لِرُسلِهِ: أعلِّموه أنى من ورائِهِ بالمطالِبَةِ، ولا أزالُ حتى أُنْتزِعَ منه جميعَ البلادِ التي استَحْوَذَ عليها من بلادِ الخليفةِ، وسائرِ أقطارِ الأرضِ.

وفي جُمادى الآخِرَةِ رَسَمَ السلطانُ [٧٥/١٠] الملكُ الظاهرُ بإِقامةِ الخُمورِ وتَبْطِيلِ المُفْسِداتِ والخَوَاطِئِ بالبلادِ كُلِّها، فَنهَبتِ الخَوَاطِئُ وسُلِبَتِ جميعَ ما كان مَعَه^(٣) وُحِيسِن^(٣) حتى يَتَزَوَّجَن، وكتبَ إلى جميعِ البلادِ بذلك، وأسْقَطت

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٠٦/٢ - ٤٣٠، ونهاية الأرب ١٥٧/٣٠ - ١٦٧، وكنز الدرر ١٣٩/٨ - ١٤٢.

(٢) سيواس: بلد بالروم. التاج (س و س).

(٣) - ٣) سقط من: م.

المكوس التي كانت مُرْتَبَّةً على ذلك ، وعَوْضَ مَنْ كان مُحالاً على ذلك بغيرها ،
وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ثم عاد السلطانُ بعساكره إلى مصرَ ، فلما كان في أثناءِ الطريقِ عندَ خربةِ
اللُّصُوصِ تعرَّضتْ له امرأةٌ ، فذكرتْ له أن ولدها دخلَ مدينةَ صُورَ ، وأن
صاحبها الفِرْنجيَّ غدرَ به وقتله ، وأخذ ماله ، فركبَ السلطانُ وشنَّ الغارةَ على
صُورَ ، فأخذ منها شيئاً كثيراً ، وقتل خلقاً ، فأرسلَ إليه مَلِكُها : ما سببُ هذا ؟
فذكرَ له غدرَه ومكرَه بالثجارِ ، ثم قال السلطانُ لمُقدِّمِ الجيوشِ : أوهمِ الناسَ أني
مريضٌ ، وأني بالمِحْفَةِ ، وأحضِرِ الأطباءَ ، واستوصِفْ لي منهم ما يصلُحُ لمريضٍ به
كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك ، فأحضِرِ الأشرَبَةَ إلى المِحْفَةِ ، وأنتم سائرون . ثم
ركبَ السلطانُ على البريدِ ، وساق مُسرِعاً "حتى دخلَ الديارَ المصرية" ،
فكشَفَ أحوالَ ولده ، وكيف الأمرُ بالديارِ المصريةِ بعده ، ثم عاد مُسرِعاً إلى
الجيشِ ، فجلَسَ في المِحْفَةِ ، وأظهروا عافيتَه ، وتباشروا بذلك . وهذه جُزْأَةٌ
عظيمةٌ ، وإقدامٌ هائلٌ .

وفيها حجَّ السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وفي صحبته الأميرُ بدرُ الدينِ الخزندارُ ،
وقاضى القضاةِ صدرُ الدينِ سليمانُ الحنْفِيّ ، وفخرُ الدينِ بنُ لُقْمانَ ، وتاجُ الدينِ
ابنُ الأثيرِ ، ونحوُ من ثلاثمائةِ مملوكٍ ، وأجنادٌ من الحلقةِ المنصورةِ ، فسارَ على
طريقِ الكَرَكِ ، ونظَرَ في أحوالها ، ثم منها إلى المدينةِ النبويةِ ، فأحسنَ إلى أهلها ،
ونظَرَ في أحوالها ، ثم منها إلى مكةَ ، فتصدَّقَ على المُجاوِرِينَ ، ثم وقَفَ بعرفةَ ،
وطافَ طَوافَ الإفاضةِ ، وقُبِحَتْ له الكعبةُ ، فغسلها بماءِ الوردِ ، وطَيَّبها بيده ، ثم

(١ - ١) سقط من : م .

وَقَفَ بِيَابِ الكَعْبَةِ، فَتَنَاوَلَ أَيْدِيَ النَّاسِ لِيَدْخُلُوا الكَعْبَةَ، وَهُوَ بَيْنَهُمْ كَأَحْدِهِمْ^(١)، ثُمَّ رَجَعَ فَرَمَى الجَمَرَاتِ، ثُمَّ تَعَجَّلَ النَّفْرَ، فَعَادَ عَلَى المَدِينَةِ النّبَوِيَّةِ، فَزَارَ القَبْرَ الشَّرِيفَ مَرَّةً ثَانِيَةً، عَلَى سَاكِنِهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ التَّسْلِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الكَرَامِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى الكَرْكِ، فَدَخَلَهَا فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَأُرْسِلَ البَشِيرُ إِلَى دِمَشَقَ بِقُدُومِهِ سَالِمًا، فَخَرَجَ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ النُّجَيْبِيُّ نَائِبُهَا لِيَتَلَقَّى البَشِيرَ فِي ثَانِيِ الحَرَمِ، فَإِذَا هُوَ السُّلْطَانُ نَفْسُهُ يَسِيرُ فِي المَيْدَانِ الأَخْضَرِ، وَقَدْ سَبَقَ الجَمِيعَ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَةِ سَيْرِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلْدِهِ، ثُمَّ سَارَ مِنْ قُورِهِ حَتَّى دَخَلَ حَلَبَ فِي سَادِسِ الحَرَمِ لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى حِمَاةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشَقَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثَ صَفْرِ مِنَ السَّنَةِ المُقْبِلَةِ، رَجِمَهُ اللَّهُ.

وَفِي أَوَاخِرِ ذِي الحِجَّةِ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ أَعْرَقَتْ مَائِئَتَيْ مَرَكَبٍ فِي النَّبْلِ، وَهَلَكَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَوَقَعَ هُنَالِكَ مَطَرٌ شَدِيدٌ جَدًّا، وَأَصَابَ الشَّامَ مِنْ ذَلِكَ صَقْعَةٌ أَهْلَكَ الثَّمَارَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَفِيهَا أَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى الخُلْفَ بَيْنَ الثُّنَارِ مِنْ أَصْحَابِ أَنْبَا وَأَصْحَابِ ابْنِ مَنكُوتَمِرِ ابْنِ عَمِّهِ وَتَفَرَّقُوا وَاشْتَعَلُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلِلَّهِ الحَمْدُ.

وَفِيهَا خَرَجَ أَهْلُ حِرَّانَ مِنْهَا وَقَدِمُوا الشَّامَ، وَكَانَ فِيهِمْ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ صُحْبَةَ أَبِيهِ، وَعَمْرُهُ سِتُّ سِنِينَ، وَأَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَشَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُمَا أَصْغَرُ مِنْهُ.

(١) لَيْسَتْ فِي : م .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الأمير عز الدين أيديمُر بن عبد الله الحلبي^(١) الصالحى، كان من أكابر
الأمراء وأخطاهم عند الملوك، ثم عند الملك الظاهر، كان يشتبهه إذا [٧٥/١٠ ظ]
غاب، فلما كانت هذه السنة أخذته معه، وكانت وفاته بقلعة دمشق، ودُفن
بترتبه بالقرب من اليعمورية، وخلف أموالاً جزيلة، وأوصى إلى السلطان في
أولاده، وحضر السلطان عزاءه بجامع دمشق.

شرف الدين^(٢) أبو الطاهر^(٢) محمد بن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية
المصرى، وُلد سنة عشر وستمائة، وسمع أباه وجماعة، وتولى مشيخة دار
الحديث الكاملية مدة، وحدث، وكان فاضلاً.

القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن وثاب بن رافع البجلي
الحنفى^(٣)، درّس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق، ومات بعد خروجه من الحمام
على مساطب الحمام فجأة، ودُفن بقاسيون.

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدر
الرحبى^(٤)، شيخ الأطباء بدمشق، ومدرّس الدخوارية عن وصية واقفها بذلك،
وله التقدمة فى هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه، ومن شعره قوله:

(١) فى م : « الحلبي ». وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤١٣/٢، والوفى بالوفيات ٥/١٠،
والسلوك ٥٨٢/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٥٦/٢، والمنهل الصافى ١٧٠/٣.

(٢ - ٢) فى م : « أبو الطاهر ». وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤٢١/٢، والوفى بالوفيات ٤١/٣،
وعقد الجمان ٥٢/٢، والدليل الشافى ٦١٩/٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤٢٨/٢، والوفى بالوفيات ١٧٣/٥، والجواهر المضية ٣٨٩/٣، والدليل الشافى ٧١٠/٢.

(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٧٥، والوفى بالوفيات ٣٥١/٢٢، والسلوك ٥٨٣/١ (القسم الثانى)،
وعقد الجمان ٥٢/٢، والدارس ١٣٠/٢ وفيه : الرضى بدلا من : الرحبى، وشذرات الذهب ٣٢٧/٥.

يُسَاقُ بنو الدنيا إلى الحَتْفِ عَنوَةً ولا يَشْعُرُ الباقي بحالِهِ مَنْ يَمْضِي
كَأَنَّهُمُ الأَنْعَامُ فِي جَهْلِ بَعْضِهَا بِمَا تَمَّ^(١) مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ عَلَى بَعْضِ

الشيخ نَصِيرُ الدِّينِ المَبَارِكُ بنُ يحيى بنِ أبي الحَسَنِ، أبو البَرَكَاتِ بنُ
الطَّبَاحِ^(٢) الشَّافِعِيُّ، العَلَّامَةُ فِي الفِقْهِ والحَدِيثِ، دَرَسَ وَأَفْتَى وَصَنَّفَ وَانْتَفَعَ بِهِ،
وَعُمِّرَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي حَادِي عَشَرَ جُمَادَى الآخِرَةِ^(٣) مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ، رَجِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

الشيخُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ إِبْرَاهِيمِ الكُوفِيُّ المَغْرِبِيُّ^(٤)
النَّحْوِيُّ، المُلَقَّبُ بِسَيِّوَيْهِ، وَكَانَ فَاضِلاً بَارِعاً فِي صِنَاعَةِ النِّحْوِ، تُؤْفَى
بِمَارِسَتَانِ القَاهِرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، عَنِ سَبْعِ وَسْتِينَ سَنَةً، رَجِمَهُ اللهُ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

عَذَّبْتَ قَلْبِي بِهَجْرٍ مِنْكَ مُتَّصِلٍ يَا مَنْ هَوَاهُ ضَمِيرٌ غَيْرُ مُتَفَصِّلِ
مَا زَادَنِي غَيْرَ تَأْكِيدِ صَدِّكَ لِي فَمَا عُذُّوْلُكَ مِنْ عَطْفٍ إِلَى بَدَلِ
وَفِيهَا^(٥) وَوُلِدَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ الأَنْصَارِيِّ بنُ
الزَّمْلَكَانِيِّ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ.

(١) فِي م: «ثم». وانظر مصادر الترجمة.

(٢) فِي م: «الصباغ». وانظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٤٧٦/٤، وعقد الجمان ٥٣/٢، وحسن
المحاضرة ٤١٦/١.

(٣) فِي م: «الأولى». وانظر مصادر الترجمة.

(٤) فِي الأَصْل، م: «المقرى». والمثبت من مصادر ترجمته: السلوك ٥٨٣/١ (القسم الثاني)، وعقد
الجمان ٥٣/٢، والدليل الشافعي ٤٦٠/١، وبغية الوعاة ١٧٠/٢.

(٥) عقد الجمان ٥١/٢. وستأتي ترجمته في ٢٩١/١٨، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة^(١)

في ثاني المحرم منها دخل السلطان من الحجاز^(٢) على الهُجْنِ، فلم يرِع^(٣) الناس إلا وهو في الميدان الأخضرِ يسيّر، وفرح الناس بذلك، وأراح الناس من تلقّيه بالهدايا والتحف، وهذه كانت عادته، وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلوّ همته، ثم سار إلى حلب، ثم سار إلى مصر، فدخلها في ثالث^(٤) الشهر مع الرّكبِ المصريّ، وكانت زوجته أم الملك السعيد في الحجاز هذه السنة، ثم خرج في ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الإسكندرية، فتصيّد هنالك، وأطلق للأمراء الأموال الكثيرة والخلّع، ورجع مؤيّدًا منصورًا.

وفي المحرم منها قُتل صاحب مراكش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد ابن يوسف الملقّب بالواثق، قتله^(٥) بنو مرين في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مراكش.

وفي ثالث عشر ربيع الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيشه، وقد لقوا في الطريق مشقة كثيرة من البرد والوحل، فحَيّم على

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/٤٣٠ - ٤٤٢، ونهاية الأرب ٣٠/١٦٩ - ١٧١، وكنز الدرر ٨/١٤٢ - ١٥٠، وانظر العبر ٥/٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) أي دخل السلطان دمشق قادمًا من الحجاز بعد أداء حجه. انظر ما تقدم صفحة ٤٨٣.
(٣) في الأصل: «يزع».

(٤) في م: «سادس». وانظر ما تقدم صفحة ٤٨٢، ٤٨٣.

(٥ - ٥) في م: «بنومين». وهو تصحيف. وانظر السلوك ١/٥٨٨ (القسم الثاني)، وشذرات الذهب ٥/٣٢٧.

الزَّنْبِقِيَّةُ^(١) ، وبلغه أن ابنَ أختِ زيتونٍ^(٢) خرجَ مِنْ عَكَّا يَقْصِدُ جيشَ المسلمين ، فركبَ إليه سريعًا ، فوجده قريبًا مِنْ عَكَّا ، فدخلها خوفًا منه^(٣) .

وفى رجبٍ تسلَّم نُوابُ السلطانِ مِصْيافَ^(٤) مِنَ الإسماعيلية ، وهربَ منها [٧٦/١٠] أميرُهم الصارمُ مباركُ بنُ الرَضِيِّ ، فتحَيَّلَ عليه صاحبُ حَمَاةٍ حتى أسره ، وأرسله إلى السلطانِ ، فحبَّسه فى بعضِ الأبرجةِ بالقاهرة .

وفىها أرسلَ السلطانُ الدَّرَايزِنَاتِ^(٥) إلى الحجرِ النبوية ، وأمرَ أن تُقامَ حَوْلَ القبرِ صِيَانَةٌ له ، وعَمِلَ لها أبوابًا تُفْتَحُ وتُغْلَقُ مِنَ الديارِ المصرية ، فركبَ ذلكَ عليها .

وفىها اشتَفَاضَتِ الأُخبارُ بقصدِ الفِرْنَجِ بلادَ الشامِ ، فجهَّزَ السلطانُ العساكرَ لقتالِهِمْ ، وهو مع ذلكَ مُهْتَمٌّ بالإسكندريةِ خوفًا عليها ، وقد حصَّنَها ، وعَمِلَ جسورَةً إليها إن دهمها العدوُّ ، وأمرَ بقتلِ الكلابِ منها .

وفىها انقَرَضَتِ دولةُ بنى عبدِ المؤمنِ من بلادِ المغربِ ، وكان آخرهم إدريسُ ابنُ عبدِ اللّهِ بنِ^(٦) محمدِ بنِ^(٦) يوسفَ صاحبِ مَرَّاكُشَ ، قتله بنو مَرِينِ فى هذه السنة .

(١) فى الأصل : « الزنبيقية » .

(٢) فى الأصل : « زيتون » .

(٣) فى ذيلِ مرآةِ الزمانِ ٤٣١/٢ : « فصادفَ ابنَ أختِ زيتونٍ قد خرجَ فالتقى به فكسره واستأسره وجماعةٍ من أصحابه وقتلَ منهم خلقًا » .

(٤) فى الأصل : « مصيات » . وانظر معجمَ البلدانِ ٥٥٦/٤ ، وصبحِ الأعشى ١٤٦/٤ .

(٥) الدراريذينات : جمعُ الدراريزين ، وهو الحاجز .

(٦ - ٦) سقط من : م .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الصاحبُ زَيْنُ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّفِيعِ^(١) بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ الْمَصْرِيِّ المعروفِ بِابْنِ الزُّبَيْرِيِّ^(٢)، كانَ فاضلاً رَئِيساً، وَزَرَ لِلْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ قُطْنَ، ثمَ لِلظَّاهِرِ بَيْبُوسَ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ، ثمَ عَزَلَهُ، وَوَلَّى بَهَاءَ الدِّينِ بْنِ الْحَيْثَا، فَلَزِمَ مَنْزِلَهُ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ نَظَّمُ جَيْدٌ.

الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خَلِيفَةَ الْخَزْرَجِيِّ الطَّبِيبُ، المعروفُ بِابْنِ أَبِي أَصْبِيْعَةَ^(٣)، لَهُ «تَارِيخُ الْأَطْبَاءِ» فِي عَشْرِ مَجَلَدَاتٍ لِطَافِيفٍ، وَهُوَ وَقَفَّ بِمَشْهَدِ ابْنِ عَزُورَةَ بِالْأُمُويِّ، تُوفِّيَ بِصَرْحَدَ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ^(٤).

الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُكَيْرٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُقَدَّسِيُّ النَّابُلُسِيُّ^(٥)، تَفَرَّدَ بِالرَّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَائِخِ، وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدْ سَمِعَ، وَرَحَلَ إِلَى بُلْدَانِ شَتَّى، وَكَانَ فَاضِلاً يَكْتُبُ سَرِيعاً، حَكَى الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَنَّهُ كَتَبَ «مُخْتَصَرَ الْخَرْقِيِّ» فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَخَطَّهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ حُلُوٌّ، وَقَدْ كَتَبَ «تَارِيخَ ابْنِ عَسَاكِرَ» مَرَّتَيْنِ، وَاخْتَصَرَهُ لِنَفْسِهِ أَيْضاً، وَأَضَرَّ فِي آخِرِ عَمْرِهِ أَرْبَعَ سَنِينَ،

(١ - ١) فِي م: «عَبْدُ اللَّهِ». وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: ذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٤١/٢، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧٢/٣٠، وَالسَّلُوكُ ٥٨٩/١ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٦٥/٢، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٧٩١/٢.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «الزَّيْن». وَانظُرْ نَهَايَةَ الْأَرْبِ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «صَبِيْعَةٌ». وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: عَيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ ص ٥، وَذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٣٧/٢، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٢٩٥/٧، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٦٥/٢، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٢٩/٧، وَشَدْرَاتُ الذَّهَبِ ٣٢٧/٥.

(٤) فِي م: «التَّسْعِينَ».

(٥) ذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٣٦/٢، وَالْعَبْرُ ٢٨٨/٥، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٣٤/٧، وَوَفَاةُ الْوَفِيَّاتِ ٨١/١، وَالذَّلِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْخَتَابَةِ ٢٧٨/٢ وَفِيهِ: بَكَرٌ بَدَلَ بَكِيرٍ، وَشَدْرَاتُ الذَّهَبِ ٣٢٥/٥.

وله شعرٌ أورد منه قُطِبَ الدينِ في «تذليله»، تُوفِّي بسفحِ قاسيونَ ، وبه دُفِنَ في بُكرةِ الثلاثاءِ عاشرِ رجبٍ ، وقد جاوزَ التسعينَ ، رحمه اللهُ تعالى .

القاضي مُحيى الدين بنُ الزكيِّ : أبو الفضلِ يحيى بنُ قاضي القضاةِ مُحيى^(١) الدينِ أبي المعالي محمد بنِ علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي^(٢) بن الحسين بن محمد^(٣) بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي ابنُ الزكيِّ ، تولَّى قضاءَ دمشقَ غيرَ مرةٍ ، وكذلك آباؤه من قبله ، كلُّ قد وليها ، وقد سَمِعَ الحديثَ من حنبلٍ وابنِ طَبْرُزْدٍ والكنديِّ وابنِ الحرَّشثانيِّ وجماعةٍ ، وحدَّثَ ودَرَسَ في مدارسٍ كثيرةٍ ، وقد ولي قضاءَ الشامِ في الدولةِ الهلاونيةِ ، فلم يُحمَدْ ، على ما ذكره أبو شامة^(٤) ، تُوفِّي بمصرَ في الرابعِ عشرَ من رجبٍ ، ودُفِنَ بالمقطَّمِ ، وقد جاوزَ السبعينَ . وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ ، وحكى الشيخُ قُطِبُ الدينِ في ذيلهِ^(٥) - بعد ما نسبته كما ذكرنا - عن ولده^(٦) القاضي بهاء الدين أنه كان يذهبُ إلى تفضيلِ عليِّ بنِ عثمانَ موافقةً لشيخه مُحيى الدين بنِ عزيِّ ،

(١) في م : « بهاء » . والمثبت من مصادر ترجمته : نهاية الأرب ١٧١ / ٣٠ ، والعبر ٢٨٩ / ٥ ، والسلوك ٥٨٩ / ١ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٦٦ / ٢ ، وشذرات الذهب ٣٢٧ / ٥ . ولم يذكر في ذيل مرآة الزمان ٤٤٠ / ٢ لقبه وإنما ذكر اسمه .

(٢) بعده في الأصل ، م : « بن عبد العزيز بن علي » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان . (٣ - ٣) في الأصل : « الحسن » .

(٤) انظر الذيل على الروضتين ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وانظر ما تقدم صفحة ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٤٤٠ / ٢ ، ٤٤١ .

(٦) في الأصل ، م : « والده » . وهو خطأ . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١ / ٢ ، وعقد الجمان ٦٧ / ٢ ، وفيه : « شهاب الدين » بدل « بهاء الدين » . والولد هو ابن الشيخ محيى الدين أبي الفضل صاحب الترجمة .

ولنأمن رآه بجامعِ دمشقٍ مُعْرِضًا عنه بسببِ ما كان من بنى أميةَ إليه في أيامِ
صِفِّينَ ، فأصبحَ فنظَمَ في ذلك قصيدةً يذكُرُ فيها ميله إلى عليٍّ ، وإن كان هو
أموئيًّا :

أدينُ بما دان الوصيُّ ولا أرى سواه وإن كانت أميةٌ مَحْتَدِي
ولو شهدت صِفِّينَ خيلي لأعذرتُ [٧٦١/١٠] وساءَ بنى^(١) حربَ هنالكِ مُشْهَدِي
لكنْتُ أَسُنُّ البِيضَ عنهم مواضيا^(٢) ^(٣) وأزويَ أزماحي ولما تَقَصَّدِ^(٤)
وأجلبها خيلاً ورجلاً عليهم^(٥) وأمنعهم نيلَ الخلافةِ باليدِ

ومن شعره :

قالوا ما^(٥) في جِلَّتِي نُزْهَةٌ تُسْلِيكَ عَمَّنْ أَنْتَ بِهِ مُعْرَى
يا عاذلي دونك في لحظه سهماً وقد عارضه سطرًا

الصاحبُ فخرُ الدينِ محمدُ بنُ الصاحبِ بهاءِ الدينِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ
سليمِ بنِ الحنا المصريِّ^(٦) ، كان وزيرَ الصُّحبةِ ، وقد كان فاضلاً ، بنى رباطًا
بالقَرافَةِ الكبرى ، ودرَّسَ بمدرسةِ والدهِ بمصرَ ، وبالشافعيِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأَعْرَ ،

(١ - ١) في الأصل: « وشاهدتني » ، وفي م: « وشاء بنى » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١ / ٢ ،
والعبر ٢٩٠ / ٥ ، ومرآة الجنان ١٧٠ / ٤ ، وشذرات الذهب ٣٢٨ / ٥ .

(٢) في الأصل ، م: « تراضيا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . والمواضي : جمع ماضٍ ، وهو الحادَّةُ
السريع القطع .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١ / ٢ .

(٤) في إحدى نسخ ذيل مرآة الزمان : « تفصد » . وتَقَصَّدَ الرمحُ : تَكَسَّرَ . الوسيط (ق ص د) .

(٥) في الأصل : « أما » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٤٣٩ / ٢ ، ونهاية الأرب ١٧١ / ٣٠ ، والوفاء بالوفيات ١٨٥ / ٤ ، وعقد الجمان ٦٧ / ٢ ،
وفيه : سليمان بن الحنا ، والدليل الشافعي ٦٥٦ / ٢ .

تُوِّفَى فِي شِعْبَانَ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ ، وَفَوَّضَ السُّلْطَانُ وِزَارَةَ الصُّحْبَةِ إِلَى وَلَدِهِ
تَاجِ الدِّينِ .

الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن بن الخزاز^(١) الصوفي البغدادي الشاعر، له
ديوان حسن، وكان جميل المعاشرة، حسن المذاكرة، دخل عليه بعض
أصحابه، فلم يَقُمْ له، وأنشده قوله:

نَهَضَ القَلْبُ حِينَ أَقْبَلْتَ إِجْلَا لَا لِمَا فِيهِ مِنْ صَاحِحِ الوِدَادِ
وَنَهَوَّضُ القُلُوبِ بِالوُدِّ أَوْلَى مِنْ نَهَوِّضِ الأَجْسَادِ لِلأَجْسَادِ

(١) في الأصل: «الجزار». وانظر ترجمته في عقد الجمان ٦٧/٢.

ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة^(١)

في مُسْتَهَلِّ صَفْرِ مِنْهَا رَكِبَ السُّلْطَانُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى عَسْقَلَانَ ، فَهَدَمَ مَا بَقِيَ مِنْ سُورِهَا مِمَّا كَانَ أُهْمِلَ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وَوَجَدَ فِيهَا هَدْمَ كُوزَيْنِ ، فِيهِمَا أَلْفَا دِينَارٍ ، ففَرَّقَهُمَا عَلَى الْأُمَرَاءِ ، وَجَاءَتْهُ الْبِشَارَةُ وَهُوَ هُنَاكَ ، بِأَنَّ مَنكُوتُمَّرَ كَسَرَ جَيْشَ أَبْعَا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

وَفِي رِيْعِ الْأَوَّلِ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ أَهْلَ عَكَّا ضَرَبُوا رِقَابَ مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا بظَاهِرِ عَكَّا ، فَأَمَرَ بَنَ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ أَسْرَى أَهْلِ عَكَّا فَضْرِبَتْ رِقَابَهُمْ فِي صَبِيحَةِ وَاحِدَةٍ ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ^(٢) أَسِيرٍ .

وَفِيهَا كَمَلَ جَامِعُ الْمُنْشِيَّةِ^(٣) ، وَأُقِيمَتْ فِيهِ الْجُمُعَةُ فِي^(٤) الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ^(٥) مِنْ رِيْعِ الْآخِرِ .

وَفِيهَا جَرَتْ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا بَيْنَ أَهْلِ تُونِسَ وَالْفِرْنَجِ ، ثُمَّ تَصَالَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْهُدْنَةِ وَوَضِعِ الْحَرْبِ ، بَعْدَ مَا قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلَائِقٌ لَا يُحْصَوْنَ . وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنَ رَجَبٍ دَخَلَ الظَّاهِرُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَفِي صُحْبَتِهِ وَلَدُهُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٤٢/٢ - ٤٥٧ ، ونهاية الأرب ١٧٣/٣٠ - ١٨١ ، وكنز الدرر ١٥٠/٨ - ١٦٣ . وانظر العبر ٢٩٠/٥ - ٢٩١ .

(٢) في م : « مائتي » .

(٣) في الأصل : « المزه » . وهو جامع بمنشأة المهراني ، التي على نهر النيل . انظر نهاية الأرب ٣٠ / ١٨١ ، والنجوم الزاهرة ١٥٠ / ٧ .

(٤ - ٤) في ذيل مرآة الزمان ٤٤٣/٢ : « ثامن عشرى » . وفي عقد الجمان ٨٠/٢ والنجوم الزاهرة الموضوع السابق : « ثامن عشرين » .

الملك السعيد وابن الحنّا الوزير وجمهور الجيش، ثم خرجوا مُتَفَرِّقِينَ وتواعدوا أن يَلْتَقُوا بالساحل؛ لِيَشْتُوا الغارة على جَبَلَة^(١) واللّاذِقِيَّة ومَرْقَب^(٢) وعِرْقَة^(٣) وما هنالك من البلاد، فلما اجْتَمَعُوا فَتَحُوا صَافِيْنَا^(٤) والمِجْدَل، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب، وله ثلاثة أشوار، فنصبوا عليها المنجنيقات، ففتحتها قهراً يوم نصف شعبان، فدخل الجيش، وكان الذي يُحاصِرُه ولدُ السلطان الملك السعيد، فأطلق السلطان أهله^(٥)، ومنّ عليهم وأجلاهم إلى طرابلس، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح، فأجلى أهلها أيضاً، وجعل كنيسة البلد جامعاً، وأقام فيه الجمعة، وولّى فيها نائباً وقاضياً، وأمر بعمارة البلد، وبعث صاحب أنطربوس^(٦) بمفاتيح بلده يَطْلُبُ منه الصلح على أن يكون نصف مُعَلِّ بلده للسلطان، وأن يكون له بها نائباً، فأجابه إلى ذلك، وكذلك فعل صاحب المَرْقَب، فصالحه أيضاً على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين، وبلغ السلطان وهو مُخَيَّم على حصن الأكراد أن صاحب [١٠/٧٧٧] جزيرة قُبْرُس قد ركب جيشه إلى عكّا لينضّر أهلها خوفاً من السلطان، فأراد

-
- (١) جبلة: قلعة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. معجم البلدان ٢/٢٥٠.
(٢) مرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. معجم البلدان ٤/٥٠٠.
(٣) في م: «عرقا»، وعِرْقَة: بلدة في شرقي طرابلس وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها. معجم البلدان ٣/٦٥٣.
(٤) في م: «صافينا» وفي ذيل مرآة الزمان ٢/٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٧/١٥٠: «صافينا». وما في الأصل، م موافق لما في كنز الدرر ٨/١٥١، ومسالك الأبصار ٨/١٢٢.
(٥) سقط من: الأصل. والمقصود أن السلطان أطلق أهل الحصن.
(٦) في الأصل: «أنطربوس» وهو موافق لما في مرآة الزمان ٢/٤٤٤، وفي م: «طرسوس». والثبت من معجم البلدان ١/٣٨٨، وأنطربوس: بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص. وانظر النجوم الزاهرة ٧/١٥٢.

السلطان أن يُعْتَنِمَ هذه الفُرْصَةَ، فَبَعَثَ جَيْشًا كَثِيفًا فِي سَبْعَةِ^(١) عَشَرَ شَيْئًا لِيَأْخُذُوا جَزِيرَةَ قُبْرَسَ فِي غَيْبَةِ صَاحِبِهَا عَنْهَا، فَسَارَتِ الْمَرَائِكِبُ مُشْرِعَةً، فَلَمَّا قَارَبَتِ الْجَزِيرَةَ جَاءَتْهَا رِيحٌ قَاصِفٌ، فَصَدَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْكَسَرَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ^(٢) عَشَرَ مَرْكَبًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَغَرِقَ خَلْقٌ، وَأَسْرَ الْفَرِجُ مِنْ الصُّنَّاعِ وَالرِّجَالِ قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةِ إِنْسَانٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ، فَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ عَلَى حَصَنِ عَكَا، فَسَأَلَ أَهْلَهَا الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُجَلِّبَهُمْ^(٣)، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ فَتَسَلَّمَهُ، وَكَانَ الْحَصْنُ شَدِيدَ الضَّرْبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ وَاذٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ نَحْوَ طَرَابُلُسَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا يَقُولُ: مَا مَرَادُ السُّلْطَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: جِئْتُ لِأَرْعَى زُرُوعَكُمْ، وَأَخْرَبَ بِلَادَكُمْ، ثُمَّ أَعُودَ إِلَى حِصَارِكُمْ فِي الْعَامِ الْآتِي. فَأَرْسَلَ يَسْتَعِظِفُهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمُصَالِحَةَ وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يَسْتَعِظِفُونَهُ عَلَى الْوَدَّهِمْ وَكَانَ مَسْجُودًا بِالْقَاهِرَةِ، فَقَالَ: سَلِّمُوا إِلَيَّ الْعَلِيَّةَ، وَانزِلُوا فَخُذُوا إِقْطَاعَاتٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَتَسَلَّمُوا أَبَاكُمْ. فَلَمَّا نَزَلُوا أَمَرَ بِحَبْسِهِمْ بِالْقَاهِرَةِ، وَاسْتَنَابَ بِحَصَنِ الْعَلِيَّةِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَوَالٍ جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَثْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَغَرِقَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، لَا سِيَّمَا الْحُجَّاجُ مِنَ الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا نَزُولًا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، أَخَذَهُمُ السَّيْلُ وَجَمَالَهُمْ وَأَحْمَالَهُمْ، فَهَلَكُوا وَغُلَّتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى الْبَلَدِ مِنْ مَرَامِي^(٤) الشُّورِ، وَمِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ، فَغَرِقَ خَانَ ابْنِ

(١) فِي م : « ثِي » .

(٢) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢/٤٥٤ : « أَحَد » .

(٣) فِي م : « يَجْلِبُهُمْ » .

(٤) فِي م : « مَرَامِي » .

المقدم، وأتلف شيئًا كثيرًا، وكان ذلك في زمن الصيفِ أيامَ المِشْمِشِ .

ودخل السلطانُ إلى دمشقَ يومَ الأربعاءِ خامسَ عشرَ شوالٍ، فعزّل القاضي ابنَ خَلْكَانَ، وكان له في القضاةِ عشرُ سنينَ، وولّى القاضي عزَّ الدين بنَ الصائغِ، وخلعَ عليه، وكان تَقْلِيدُهُ قد كُتِبَ بظاهرِ طرابُلُسَ بيسفارةِ الوزيرِ ابنِ الحنَّاءِ، فسار ابنُ خَلْكَانَ في ذى القعدةِ إلى مصرَ . وفي "حادى عشرَ" شوالٍ دخلَ حضرٌ^(١) الكُردىُّ شيخُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ وأصحابه إلى كنيسةِ اليهودِ، فصلُّوا فيها، وأزالوا ما فيها من شعائرِ اليهودِ، ومدُّوا فيها سِمَاطًا، وعمِلوا سَمَاعًا، وبَقُوا على ذلكَ أيامًا، ثم أُعيدت إلى اليهودِ .

ثم خرج السلطانُ إلى السواحلِ، فافتتَحَ بعضَها، وأشرف على عكَّا وتأمَّلها، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ، وكان مقدارُ ما غرِمه في هذه المدَّةِ وفي الغزواتِ قريتا من ثمانمائةِ ألفِ دينارٍ، وأخلفها اللهُ عليه، فكان وصولُهُ إلى القاهرةِ يومَ الخميسِ ثالثَ عشرَ ذى الحِجَّةِ . وفي اليومِ "السابعَ عشرَ"^(٢) من وصوله أمسك على جماعةٍ من الأمراءِ، منهم الحلبيُّ^(٣) وغيره، بلَغَهُ أنهم أرادوا مسكَّهُ على الشَّقِيفِ .

وفي اليومِ السابعِ عشرَ من ذى الحِجَّةِ أمرَ بإِرافةِ الخُمورِ من سائرِ بلادِهِ، وتهتَدُّ مَنْ يَعْصِرُها أو يَغْتَصِرُها بالقتلِ، وأسقطَ ضمانَ ذلكَ، وكان ذلكَ بالقاهرةِ وحدها، "كلُّ يومٍ ضمانُهُ"^(٤) ألفُ دينارٍ، ثم سارت البُرُودُ بذلكَ إلى الآفاقِ .

(١ - ١) في م: «ثانى عشر» .

(٢) في م: «حصن» . وانظر نهاية الأرب ١٧٦/٣٠، وعقد الجمان ٧٨/٢ .

(٣ - ٣) كذا في الأصل، م، وفي ذيل مرآة الزمان ٤٥٣/٢ وعقد الجمان ٧٩/٢: «الثانى» .

(٤) وهو علم الدين سنجر الحلبي الكبير . انظر النجوم الزاهرة ١٥٣/٧، ١٥٤ .

(٥ - ٥) في الأصل: «ضمانه كل شهر» . وانظر ذيل مرآة الزمان ٤٥٤/٢، والنجوم الزاهرة ٧/١٥٤ .

وفيهما قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب الكرك، وعلى [١٠/٧٧٧ظ]
جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته .

ومن تُوفّي فيها من الأعيان :

الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب^(١) بن شادي ،
وهو آخر من بقي من أولاد العادل ، وقد سَمِعَ الحديث من الكندي وابن
الحرستاني ، وكان مُحْتَرَمًا عند الملوك ، لا يُؤْفَعُ عليه أحدٌ في المجالس والمواكب ،
وكان لَيِّنَ الأخلاق ، حسن العشرة ، لا تُتَمَلُّ مُجالسته . تُوفّي يوم الجمعة الثاني
والعشرين من جمادى الآخرة بدرج الریحان ، ودُفِنَ بترتبه بسفح قاسيون .

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح بن
عيسى الشبكي المالكي^(٢) ، وُلِدَ سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع
الحديث ، وتفقه وأفتى ودرّس بالصالحية ، وولى حِسبة القاهرة ، ثم ولى القضاء
سنة ست^(٣) وستين ، لما ولّوا من كل مذهب قاضيًا ، وقد امتنع أشدَّ الامتناع ، ثم
أجاب بعد إكراه ، وشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية ، وكان مشهورًا بالعلم
والدين ، روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة وغيره . تُوفّي^(٤) لخمس بقين^(٤)
من ذى القعدة .

(١ - ١) ليس في الأصل . وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ٢/٤٦٠ ، ونهاية الأرب ٣٠/١٨١ ، وعقد
الجمان ٢/٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٣٢ ، والدليل الشافي ١/٣٨٠ .

(٢) تكملة إكمال الإكمال ص ٢٣٣ ، وذيل مرآة الزمان ٢/٤٦١ ، ونهاية الأرب ٣٠/١٨١ ، والوافي
بالوفيات ٢٢/٥٠٢ ، والسلوك ١/٥٩٦ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٢/٨٤ .

(٣) في م : « ثلاث » .

(٤ - ٤) في نهاية الأرب ٣٠/١٨٢ : « ثاني عشرين » .

الطواشي شجاع الدين مُرشد المُظفرى الحموى^(١)، كان شجاعاً بطلاً من الأبطال الشجعان، وكان له رأى سديد، وكان أستاذه لا يُخالفه، وكذلك الملك الظاهر، تُوفى بحماة، ودُفن بترتبه بالقرب من مدرسته بحماة.

ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين، قُطب الدين أبو محمد المقدسى الرُقوطى^(٢)، نسبة إلى رُقوطة بلدة قريية من مُرسية^(٣)، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتوَلد له من ذلك نوع من الإلحاد، وصنّف فيه، وكان يعرف السيميا^(٤)، فكان يُلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء، ويَزعم أنه حال من أحوال القوم، وله من المُصنّفات كتاب «البد»^(٥)، وكتاب «الهُو»، وقد أقام بمكة، واشتحوذ على عقل صاحبها أبو^(٦) نُعمى، وجاور في بعض الأوقات بغار جراء يزنجي - فيما يُنقل عنه - أن يأتيه فيه^(٧) وحثى كما أتى النبي ﷺ، بناءً على ما يُعتقد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مُكتسبة، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحمير حول

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٦٥/٢، والمختصر في أخبار البشر ٧/٤، ونهاية الأرب ١٨٣/٣٠، وعقد الجمان ٨٧/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٦٠/٢، ونهاية الأرب ١٨٢/٣٠، والعبر ٢٩١/٥، وفوات الوفيات ٢٥٣/٢،

والسلوك ٥٩٧/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٨٥/٢، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٧.

(٣) مرسية: مدينة بالأندلس. معجم البلدان ٤٩٧/٤.

(٤) السيميا: السحر. الوسيط (س ي م).

(٥) فى الأصل: «الند»، وفى م: «البدو». والمثبت من فوات الوفيات ٢٥٥/٢. وقد فسرها محمد

بن شاعر الكتبي فى فوات الوفيات بقوله: يعنى لابد للعارف منه.

(٦) فى الأصل، م: «ابن». والمثبت من مصادر ترجمته وستأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة.

(٧) فى الأصل: «منه».

المدار، وإنهم لو طافوا به كان ذلك أفضل من طوافهم بالبيت . فالله يحكم فيه
وفى أمثاله، وقد نُقِلت عنه عِظائِمٌ من الأقوال والأفعال، تُوفى في الثامن
والعشرين من شوال بمكة .

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة^(١)

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي، وسلطان الإسلام الملك الظاهر.

وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم^(٢) ركب السلطان إلى البحر^(٣) لإلقاء الشواني^(٤) التي عملت عوضاً عما غرق بجزيرة قُبُوس^(٥)، فركب في شينئ منها، ومعه الأمير بدر الدين الخزندار، فمالت بهم فسقط الخزندار في البحر، فغاص في الماء، فألقى إنسان نفسه وراءه [٧٨/١٠] فأخذ بشعره وأنقذه من الغرق، فخلع السلطان على ذلك الرجل، وأحسن إليه.

وفي أواخر المحرم^(٥) ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك، واشتصحب نائبها معه إلى دمشق، فدخلها في ثاني عشر صفر، ومعه الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك، فولاه نيابة دمشق، وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيب في رابع عشر صفر، ثم خرج إلى حماة،

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٦٦/٢ - ٤٩٠، ونهاية الأرب ١٨٥/٣ - ١٩٥، وكنز الدرر ١٦٤/٨ - ١٦٧. وانظر العبر ٢٩٢/٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٦٦/٢، وعقد الجمان ٨٩/٢.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «لالتقاء الشواني». والمثبت من عقد الجمان. والشواني جمع شونة والشونة: المركب المعد للجهاد في البحر. وهي لغة مصرية. تاج العروس (ش و ن).

(٤) بعده في م: «وهي أربعون شينياً».

(٥) عقد الجمان ٩٠/٢.

وعاد بعد عشرة أيام .

وفى ربيع الأول^(١) وصلت الجفالة^(٢) من حلب وحمّاء وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار، وجفل^(٣) خلق كثير من أهل دمشق .

وفى ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق، فسار بهم منها فى سابع الشهر، فاجتاز بحمّاء، واستصحب ملكها المنصور، ثم سار إلى حلب، فخيّم بالميدان الأخضر بها، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمّعوا نحوًا من عشرة آلاف فارس، وبعثوا طائفة منهم، فأغاروا على عين تاب^(٤)، ووصلوا إلى قسطون^(٥)، ووقعوا على طائفة من التتركان بين حارم وأنطاكية، فاستأصلوهم، فلما سمع التتار بوصول السلطان، رجّعوا على أعقابهم، وكان بلغه أن الفرج أغاروا على بلاد قاقون^(٦)، ونهبوا طائفة من التتركان، فقبض على الأمراء الذين هناك؛ حيث لم يهتّموا بحفظ البلاد، وعاد إلى الديار المصرية .

وفى ثالث شعبان^(٧) أمسك السلطان قاضى الحنابلة بمصر شمس الدين محمد^(٨) بن العمامد المقدسى، وأخذ ما عنده من الودائع، فأخذ زكاتها، وردّ

(١) المختصر فى أخبار البشر ٧/٤، وعقد الجمان ٩٠/٢، ٩١ .

(٢) فى م: «الجفالة». والجفالة: الجماعة من الناس ذهبوا أو جاءوا. اللسان (ج ف ل) .

(٣) جفل: انزعج وفرغ. الوسيط (ج ف ل) .

(٤) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية. معجم البلدان ٧٥٩/٣ .

(٥) فى الأصل: «بسطون»، وفى م: «نسطوم». والمثبت من ذيل مرآة الزمان وغيره. وقسطون:

حصن كان بالرّوج من أعمال حلب. معجم البلدان ٩٧/٤ .

(٦) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل: من عمل قيسارية من ساحل الشام. المصدر السابق ١٨/٤ .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٤٧٠/٢ - ٤٧٣، ونهاية الأرب ١٩٠/٣٠، ١٩١ .

(٨) ليس فى الأصل. وفى م: «أحمد». والمثبت من المصدرين السابقين .

بعضها إلى أربابها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذي وشى به رجلٌ من أهلِ حِرَّانَ يقالُ له : شَبِيبٌ . ثم تبيَّنَ للسلطانِ نِزَاهَةُ القاضي وبرأئُهُ ، فأعادهُ إلى مَنْصِبِهِ في سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطانُ في شعبانَ إلى أراضِي عَمَّا ، فأغار عليها ، فسأله صاحبُها المهادنةَ ، فأجابهُ إلى ذلك ، فهادنه عشرَ سنينَ وعشرةَ أشهرٍ وعشرةَ أيامٍ وعشرَ ساعاتٍ ، وعاد إلى دمشقَ ، فقرأَ بدارِ السعادةِ كتابَ الصُّلحِ ، واشتمَرَ الحالُ على ذلك ، ثم عاد السلطانُ إلى بلادِ الإسماعيليةِ ، فأخذَ عامَّتَها . قال قُطُبُ الدين^(١) : وفي جُمادى الآخرةِ وُلِدَت زُرَّافَةُ بقلعةِ الجبلِ ، وأزُضِعَت مِن بقرَةٍ . قال : وهذا شيءٌ لم يُعْهَدُ مثلهُ .

وفيهَا تُوفِّي :

الشيخُ كمالُ الدينِ سَلَّارُ^(٢) بنُ حسنِ بنِ عمرِ بنِ سعيدِ الإزبليِّ الشافعيِّ ، أحدُ مشايخِ المذهبِ ، وقد اشْتَغَلَ عليه الشيخُ مُحْيِي الدينِ التَّوَوِيُّ ، وقد اِخْتَصَرَ « البحرَ » للرويانِي في مجلداتٍ عديدةٍ هي عندي بخطِّ يده ، وكانت الفُتْيَا تَدورُ عليه بدمشقَ ، تُوفِّي في عَشْرِ السبعينَ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ ، وكان مُعيِّداً^(٣) بالبأدرائيةِ مِن أيامِ الواقفِ ، لم يَطْلُبْ زيادةً على ذلك إلى أن تُوفِّي في هذه السنةِ .

وَجِيهُ الدينِ محمدُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبِ بنِ سُويْدِ التُّكْرِيْتِي^(٤) ، التاجِرُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٦٩/٢ .

(٢) في الأصل : « رسلان » . وانظر مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤٧٩/٢ ، والعبر ٢٩٣/٥ ، ومرآة الجنان ١٧١/٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤٩/٨ ، وعقد الجمان ٩٦/٢ .

(٣) في م : « مفيدا » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤٨٧/٢ ، ونهاية الأرب ١٩٣/٣٠ ، والعبر ٢٩٤/٥ ، والوافي بالوفيات ١٨٦/٤ ، وعقد الجمان ٩٧/٢ .

الكبير^(١) ذو الأموال الكثيرة، وكان مُعظَّمًا عند الدولة، ولا سيَّما عند الملك الظاهر، كان يُجِلُّه ويُكرِّمه؛ لأنه كان قد أسدى إليه جميلًا في حال إمرته قبل أن يلى السلطنة، ودُفن بِرباطه وترتبه بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكانت كتب الخليفة تردُّ إليه في كلِّ وقت، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك، حتى ملوك الفِرْنَج في السواحل [٧٨/١٠ ظ] وفي أيام التتار في أيام هولاوون، وكان كثير الصدقات والبر.

نَجْمُ الدِّينِ يَحْيَى بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ اللُّبُودِيِّ^(٢) واقف اللبودية التي عند حَمَامِ الفلكِ المُسِيرِيِّ^(٣) على الأطباء، ولديه فضيلة بمعرفة الطب، وقد ولي نظَرَ الدَّوَابِّ بِدمشق، ودُفن بِترتبه عند اللبودية.

الشيخ عليُّ البكاء^(٤) صاحبُ الزاوية بالقرب من بلد الخليل، عليه السلام، كان مشهورًا بالصلاح والعبادة والإطعام لمن اجتاز به من المارَّة والزَّوَارِ، وكان الملك المنصورُ قلاوون يُثني عليه ويذكرُ أنَّه اجتمع به وهو أميرٌ، وأنه كاشفه في أشياء وقَّعت جميعها، ومن جملتها أنه سيِّمك. نقل ذلك قُطْبُ الدِّينِ اليُونِنِيُّ، وذكر أن سبب بُكائه الكثير أنه صحب رجلاً كانت له أحوالٌ وكراماتٌ، وأنه خرَّج معه من بغداد، فانتَهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة، وأن ذلك الرجل قال له: إني سأموث في الوقت

(١) بعده في الأصل: «بن التاجر بن سويد»، وفي م: «بين التاجر بن سويد».

(٢) عقد الجمان ٩٨/٢، والدارس ١٣٥/٢.

(٣) في الأصل: «المبرز»، وفي م: «المبرر». والمثبت من عقد الجمان.

(٤) الوافي بالوفيات ٣٥٧/٢٢، وعقد الجمان ٩٨/٢، والسلوك ٦٠٤/١ (القسم الثاني).

الفلانيّ ، فاشهّدني في ذلك الوقت^(١) . قال : فلما كان في ذلك الوقتِ حضرتُ عنده وهو في السّياقِ ، وقد استندار إلى جهةِ الشّرقِ ، فحوّله إلى القبلةِ ، فاستندار إلى الشّرقِ ، فحوّله أيضًا ، ففتح عينيه وقال : لا تتعب فإني لا أموتُ إلا على هذه الجهة . وجعل يتكلّم بكلام الرّهبانِ حتى مات ، فحملناه فحجّنا به إلى دَيْرِ هناك ، فوجدناهم في حُزْنٍ عظيمٍ ، فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا : كان عندنا شيخٌ كبيرٌ ابنُ مائةِ سنةٍ ، فلما كان اليومُ مات على الإسلامِ . فقلنا لهم : أخذوا هذا بدّله وسلّموا إلينا صاحبنا . قال : فولينا ، فغسلناه وكفّناه ، وصلّينا عليه ودفّناه مع المسلمين ، وولّواهم ذلك الرجلَ فدَفَنوه في مقبرةِ النّصارى ، نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتمةِ . مات الشيخُ عليّ في رجبٍ من هذه السنةِ .

(١) بعده في م : « في البلدِ الفلانيّ » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة^(١)

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهّدها، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة، فأقام بها سنة، ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر^(٢).

وفي المحرم منها وصل صاحب الثوبية إلى عيذاب^(٣)، فنهب مجازها، وقتل خلقاً من أهلها، منهم الوالي والقاضي، فسار إليه الأمير علاء الدين أيدغدي الخزندار، فقتل خلقاً من بلاده، ونهب وحرّق وهدم ودوّخ البلاد، وأخذ بالثار، ولله الحمد والمنّة.

وفي ربيع الأول تُوفي الأمير سيف الدين محمد بن مُظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس^(٤) صاحب صهيون، ودُفن في تربة والده في عشر السبعين، وكان له في ملك صهيون وبرزيه^(٥) إحدى عشرة سنة، وتسلمها بعده ولده سابق الدين، وأرسل إلى الملك الظاهر يشتأذنه في الحضور، فأذن له، فلما

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣ - ٣٠، ونهاية الأرب ١٩٧/٣٠ - ٢٠١، وكنز الدرر ١٦٨/٨ - ١٧١، وانظر العبر ٥/٢٩٥ - ٢٩٧.

(٢) كذا في الأصل، م. وفي المصادر أن السلطان الظاهر خرج من دمشق في ثالث عشر من المحرم إلى مصر ثم عاد إلى دمشق في رابع صفر من نفس السنة.

(٣) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان ٧٥١/٣.

(٤) في الأصل: «منكور بن». وانظر ذيل مرآة الزمان ٢٥/٣.

(٥) برزويه: بالفتح وضم الزاء وسكون الواو وفتح الباء، والعامّة تقول برزیه: حصن قرب السواحل الشامية. معجم البلدان ٥٦٥/١.

حَضَرَ أَقْطَعَهُ خَبْرًا^(١) ، وَبَعَثَ إِلَى الْبَلَدَيْنِ نُورَابًا مِنْ جِهَتِهِ .

وفى خامسِ جُمادى الأولى^(٢) وَصَلَ السُّلْطَانُ بِعَسْكَرِهِ إِلَى الْفُرَاتِ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ التُّنَّارِ هُنَالِكَ ، فَخَاضَ إِلَيْهِمُ الْفُرَاتَ بِنَفْسِهِ وَجُنْدِهِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَوْلَادِكَ مَقْتَلَةً كَبِيرَةً وَخَلَقًا كَثِيرًا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَقْتَحَمَ الْفُرَاتَ يَوْمَئِذٍ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَلَاوُونَ وَبَدْرُ الدِّينِ يَيْسَرِي ، وَتَبِعَهُمَا السُّلْطَانُ ، ثُمَّ فَعَلَ بِالتُّنَّارِ مَا فَعَلَ ، ثُمَّ سَاقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبِيرَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ مُحَاصِرَةً بِطَائِفَةٍ مِنَ التُّنَّارِ أُخْرَى ، فَلَمَّا سَمِعُوا [٧٩/١٠] بِقُدُومِهِ هَزَبُوا وَتَرَكَوا أَمْوَالَهُمْ وَأَتَقَالَهُمْ ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبِيرَةِ فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ ، وَفَرَّقَ فِي أَهْلِهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى . وَخَرَجَ مِنْهَا فِي سَابِعِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَخَرَجَ وَلَدَهُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ لِتَلْقَائِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَمَا قَالَ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ الْكَاتِبِ - وَأَوْلَادُهُ يَقَالُ لَهُمْ : بَنُو الشُّهَابِ مَحْمُودٍ - فِي خَوْضِ السُّلْطَانِ الْفُرَاتِ بِالْجَيْشِ :

سِرُّ حَيْثُ شَتَّتَ لَكَ الْمُهَيَّمِينَ جَارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ الَّذِي أَظْهَرْتَهُ
لَمَّا تَرَاقَصَتِ الرَّءُوسُ تَحَرَّكَتْ
خُضَّتْ الْفُرَاتُ بِسَابِحِ^(٣) أَفْضَى بِهِ
وَاحْكُمُ فَطَرُوعُ مُرَادِكَ الْأَقْدَارُ
يَا زُكْنَهُ عِنْدَ الْأَعَادِي ثَارُ
مِنْ مَطْرِبَاتِ قِسِيكَ الْأَوْتَارُ
مَوْجُ الصَّبَا مِنْ فَعْلِهِ^(٤) الْآثَارُ

(١) خبز: جمعه أخباز، من معاني هذا اللفظ في عصر المماليك إقطاع من الأرض، فيقال: أخباز الأجناد أى إقطاعهم. انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة في مرجع العصر المماليكى ص ٤١٢ للملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم Dozy .

(٢) فى الأصل، م: «الآخرة» والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/٣، وكنز الدرر ١٦٩/٨، ١٧٠، وهو ما يقتضيه سياق ما سأتى .

(٣) فى م: «بعسكر». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/٣، والنجوم الزاهرة ١٥٩. /٧.

(٤ - ٤) فى م: «موج الفرات كما أتى»، وفى المصدرين السابقين: «هوج الصبا من نعله» .

حَمَلْتِكَ أَمْوَالِ الْفُرَاتِ وَمَنْ رَأَى
وَتَقَطَّعْتَ فَرْقًا وَلَمْ يَكُ طَوْدَهَا
بَحْرًا سِوَاكَ تُقِلُّهُ الْأَنْهَارُ
إِذْ ذَاكَ إِلَّا جَيْشُكَ الْجِرَارُ
وَقَالَ بَعْضُ مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ^(١) :

وَمَا تَرَاءَيْنَا الْفُرَاتَ بَخِيلِنَا
فَأَوْقَفْتَ التِّيَّارَ عَنْ جَرِيَانِهِ
سَكَرْنَا^(٢) مِنْ^(٣) بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ^(٤)
إِلَى حَيْثُ عَدْنَا بِالْغِنَى وَالْغَنَائِمِ
وَقَالَ آخَرُ^(٥) «وَلَا بَأْسَ بِهِ» :

الْمَلِكُ الظَّاهِرُ سُلْطَانُنَا
اقتحم الماءَ لِطُفْيِ بِهِ
نَفْدِيهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَهْلِ
حَرَارَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْمُغْلِ^(٥)
وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثِ رَجَبٍ خَلَعَ عَلَى جَمِيعِ الْأَمْرَاءِ مِنْ حَاشِيَتِهِ وَمُقَدَّمِي
الْحَلَقَةِ وَأَزْبَابِ الدَّوْلَةِ، وَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْخَيْلِ وَالذَّهَبِ
وَالْحَوَائِصِ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَنْفَقَ بِذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَفِي شَعْبَانَ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى مَنْكُوتَمُرَ هَذَا يَا عَظِيمَةً.

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ اسْتَدْعَى السُّلْطَانُ شَيْخَهُ الشَّيْخَ خَضِرًا
الْكُرْدِيَّ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَحَوَّقَ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ^(٦) رُزْمِيَّ بِهَا، وَعَلَى
مَنْكَرَاتٍ كَثِيرَةٍ^(٦) اِزْتَكَبَهَا، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ بِاِغْتِقَالِهِ وَحَبْسِهِ ثُمَّ بِاِغْتِيَالِهِ،
وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

(١) هو الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكتاني الشاعر . انظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠ .

(٢) سكرناه : سكر النهر ونحوه : سده وحبسه . الوسيط (س ك ر) .

(٣ - ٣) في المصدرين السابقين : « بالقوى والقوائم » . وانظر فوات الوفيات ١/ ٢٣٩ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . والبيتان للموفق عبد الله بن عمر الأنصاري ، وهما في المصادر السابقة .

(٥) في الأصل : « الغل » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

وفى ذى القعدة سلمت الإسماعيلية ما كان بقى بأيديهم من الحصون،^(١) وهى الكهف والقدموس والمينقة^(٢)، وغوضوا عن ذلك بإقطاعات، ولم يتق بالشام شىء لهم من القلاع، واستناب السلطان فيها.

وفىها أمر السلطان بعمارة جسورة فى السواحل، وغرم عليها مالا كثيرا، وحصل للناس بذلك رفق كبير.

ومن توفى فيها من الأعيان:

الشيخ تاج الدين^(٣) أبو الفضل^(٤) يحيى بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي بن هبة الله بن الحبوبى^(٥) الثعلبى^(٦) الدمشقى، كان من أعيان أهل دمشق، ولى نظرا الأيتام والحسبة، ثم وكالة بيت المال، وسمع الكثير،^(٧) وخرج له^(٨) ابن بلبان مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفزارى^(٩) بالجامع، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء، رحمه الله.

الخطيب فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد ابن تيمية الحرانى^(١٠)، الخطيب بها، وبيته معروف بالعلم والخطابة والرياسة، ودفن بمقبرة الصوفية، وقد قارب الستين، رحمه الله تعالى،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م: «المنطقة»، وفى ذيل مرآة الزمان: «المنيقة». والمثبت من صبح الأعشى ١٤٧/٤.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «أبو المظفر». والمثبت من مصدرى ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٢٦/٣، وعقد الجمان ١٠٧/٢.

(٤) فى الأصل، م: «الحوى»، وفى ذيل مرآة الزمان: «المحبوبى». والمثبت من عقد الجمان ١٠٧/٢.

(٥) فى م: «الثعلبى». وانظر المصدرين السابقين.

(٦ - ٦) فى الأصل: «من». وانظر عقد الجمان.

(٧) فى م: «الغراى». وانظر المصدر السابق.

(٨) ذيل مرآة الزمان ١٦/٣، ونهاية الأرب ٢٠١/٣٠، والسلوك ٦٠٩/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١٠٧/٢.

وقد سَمِعَ الحديثَ مِنْ جَدِّهِ الخَطِيبِ فخرِ الدينِ صاحبِ ديوانِ الخُطْبِ المشهورةِ، تُوفِّيَ بخائِقه القصرِ ظاهرِ دمشقِ .

الشيخُ خَضِرُ بنُ أَبِي بكرِ المَهْرانِيِّ العَدَوِيِّ^(١)، شيخُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ، كانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ مُكْرَمًا لَدِيهِ، لَهُ عِنْدَهُ المِكانَةُ الرَّفِيعَةُ، كانَ السُّلطانُ يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ إِلى زِوايَتِهِ الَّتِي بناها لَهُ فِي الحُسَيْنِيَّةِ فِي كُلِّ أُسبوعٍ مرَّةً أو مرَّتَيْنِ، وَبَنَى لَهُ عِنْدَها جامِعًا يَخْطُبُ فِيهِ لِلجمِعةِ، وَكانَ يُعْطِيهِ مالًا كَثيرًا، وَيُطَلِّقُ لَهُ ما أَرادَ، وَوَقَفَ [٧٩/١٠٠ظ] عَلى زِوايَتِهِ شَيئًا كَثيرًا جَدًّا، وَكانَ مُعْظَمًا عِنْدَ الخِصِّ وَالعامِّ بِسببِ حُبِّ السُّلطانِ وَتَعْظِيمِهِ لَهُ، وَكانَ يُمازِحُهُ إِذا جَلَسَ عِنْدَهُ، وَكانَ فِيهِ خَيْرٌ وَدينٌ وَصِلاخٌ، وَقد كاشَفَ السُّلطانُ بِأَشياءَ كَثيرَةٍ، وَقد دَخَلَ مرَّةً كَنِيسَةَ القِمامَةِ بِالمَقْدِسِ، فَذَبَحَ قَسِيَسَها بِيَدِهِ، وَوَهَبَ ما فِيها لِأَصحابِهِ، وَكَذلكَ فَعَلَ بِالكَنِيسَةِ الَّتِي بِالإسْكَندَرِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ كَنائِسِهِم، نَهَبَها وَحوَّلَها مَسْجِدًا وَمدرِسةً أَنْفقَ عَلَیْها أُمُوالًا كَثيرَةً مِنْ بَيتِ المِمالِ، وَسَمَّاهَا المَدْرِسةَ الخَضْرَاءَ، وَكَذلكَ فَعَلَ بِكَنِيسَةِ اليَهُودِ بِدمشقَ، دَخَلها وَنَهَبَ ما فِيها مِنْ الآلاتِ وَالأُمْتِعةِ، وَمدَّ فِيها سِماطًا، وَأَتَّخَذَها مَسْجِدًا مَدَّةً، ثُمَّ سَعَوْا إِليهِ فِي رُدِّها إِليهِمْ وَإِيقائِها عَلَیهِمْ، ثُمَّ اتَّفَقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنَّهُ وَقَعَتْ مِنْهُ أَشياءُ أُنْكَرَتْ عَلَیهِ، وَحُوقِقَ عَلَیْها عِنْدَ السُّلطانِ المَلِكِ الظاهرِ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ ما أَوْجَبَ سَجْنتَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِعادِمِهِ وَهَلاكِهِ، وَكانتِ وَفاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ بِزِوايَتِهِ، سَأَمَحَهُ اللهُ، وَقد كانَ السُّلطانُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً حَتى إِنَّهُ سَمَّى بَعْضَ أَوْلادِهِ خَضِرًا مُوافِقَةً لِاسْمِهِ، وَإِليهِ تُنسَبُ القُبَّةُ الَّتِي عَلى الجَبَلِ غَربِي الرُّبُوعِ الَّتِي يُقالُ لَها: قَبَةُ الشَّيخِ خَضِرِ .

(١) كذا ذكره المصنف في وفيات هذه السنة، كما سيورده في وفيات سنة ست وسبعين وستمائة وهو الذي رجحه المصنف نفسه هناك والمؤرخون كما في مصادر ترجمته، انظر ما سيأتي صفحة ٥٣٨.

مُصَنَّفُ « التَّعْجِيزِ » العَلَّامَةُ تاجِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(١)
ابنِ يُونُسَ^(٢) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمُوصِلِيُّ ، مِنْ بَيْتِ الْفَقْهِ
وَالرِّيَاسَةِ وَالتَّدْرِيسِ ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ وَاشْتَعَلَ وَحَصَّلَ
وَصَنَّفَ ، وَاخْتَصَرَ « الْوَجِيزَ » فِي كِتَابِهِ « التَّعْجِيزِ » ، وَاخْتَصَرَ « الْمُحْصُولَ » ، وَلَهُ
طَرِيقَةٌ فِي الْخِلَافِ أَخَذَهَا عَنْ رُكْنِ الدِّينِ الطَّائِوسِيِّ ، وَكَانَ جَدُّهُ عِمَادُ الدِّينِ بْنِ
يُونُسَ شَيْخَ الْمَذْهَبِ فِي وَقْتِهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ١٤ / ٣ ، وتذكرة الحفاظ
١٤٦٣ / ٤ ، والوافي بالوفيات ١٨ / ٣٩١ ، ومرآة الجنان ٤ / ١٧١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ /
١٩١ ، وعقد الجمان ٢ / ١٠٨ .
(٢) في الأصل : « يوسف » .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة^(١)

فى صفرٍ منها قدم الملكُ الظاهرُ إلى دمشقَ ، وقد بلغه أن أبغًا وصل إلى بغدادَ ، فتصيّد بتلك الناحية ، فأرسل إلى العساكرِ المصرية أن يتأهبوا للحضورِ ، واشتعدَّ السلطانُ لذلك .

وفى جمادى الآخرةِ أخضرَ ملكَ الكُرجِ إلى بين يديه بدمشقَ ، وكان قد جاء مُتَّكِرًا لزيارة بيتِ المقدسِ ، فظهر عليه ، فحُجِل إلى بين يديه ، فسجنه بالقلعةِ .

وفىها كمل بناءُ جامعِ دَيْرِ الطينِ ظاهرِ القاهرةِ ، وصُلِّي فيه الجمعةُ .

وفىها سار السلطانُ إلى القاهرةِ ، فدخلها فى سابعِ رجبٍ .

وفى أواخرِ رمضانَ دخلَ الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ إلى دمشقَ فى طائفةٍ من الجيشِ ، فأقام بها شهرًا ثم عاد .

وفى يومِ عيدِ الفطرِ ختنَ السلطانُ ولدهَ خَضِرًا الذى سمّاه باسمِ شيخه ، وختنَ معه جماعةً من أولادِ الأمراءِ ، وكان وقتًا هائلًا .

وفىها فوّضَ ملكُ التتارِ إلى علاءِ الدينِ صاحبِ الديوانِ ببغدادَ النظرَ فى أمرِ تُسْتَرَ وأعمالِها ، فسار إليها ليَتَصَفَّحَ أحوالها ، فوجد بها شابًا من أبناءِ التجارِ يقالُ له : لى^(٢) . قد قرأ القرآنَ وشيئًا من الفقهِ و «الإشاراتِ» لابنِ سينا ، ونظرَ فى

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٠/٣ - ٣٤ ، ونهاية الأرب ٢٠٣/٣٠ - ٢١٧ ، وعقد الجمان ١١٢/٢ - ١٢٠ .

(٢) فى عقد الجمان : « كى » .

النجوم، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم، وصدقه على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة، فاستحضره وسأله عن ذلك، فرآه ذكياً، إنما يفعل ذلك عن قصد، فأمر به، فقتل [٨٠/١٠] بين يديه، جزاه الله خيراً، وأمر العوام فنهبوا أتباعه^(١).

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

مُوَيَّدُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي الصِّدْرُ الرَّئِيسُ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي غَالِبِ الْمُظْفَرِ^(٢) الْوَزِيرِ
 مُوَيَّدُ الدِّينِ أَسْعَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ التَّمِيمِيِّ بْنِ
 الْقَلَانِسِيِّ، جَاوَزَ التَّسْعِينَ، وَكَانَ رَئِيسًا كَبِيرًا وَاسِعَ التَّعْمَةِ، لَا يُبَاشِرُ شَيْئًا مِنْ
 الْوِظَائِفِ، وَقَدْ أَلْزَمُوهُ بَعْدَ ابْنِ سُوَيْدٍ بِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِ السُّلْطَانِ، فَبَاشَرَهَا بِلَا
 جَامِكِيَّةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبُسْتَانِهِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَلَاثَ عَشَرَ
 الْحَرَمِ. وَالِدُ الصِّدْرِ عَزُّ الدِّينِ حَمْزَةُ رَئِيسُ الْبَلَدَيْنِ دِمَشْقَ وَالْقَاهِرَةَ، وَجَدُّهُمْ
 مُوَيَّدُ الدِّينِ أَسْعَدُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَبِيرِ، كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ النَّاصِرِ
 فَاتِحِ الْقُدْسِ، كَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا، لَهُ كِتَابٌ «الْوَصِيَّةُ فِي الْأَخْلَاقِ الْمَرْصِيَّةِ» وَغَيْرُ
 ذَلِكَ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ جَيِّدَةٌ فِي النَّظْمِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَا رَبِّ جُدْ لِي إِذَا مَا ضَمَّنِي جَدَّتِي بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ
 أَحْسِنْ جَوَارِي إِذَا أَمْسَيْتُ جَارَكَ فِي لِحْدِي فَإِنَّكَ قَدْ أَوْصَيْتَ بِالْجَارِ

(١) في م: «أمتعته وأمتعة العوام ممن كان اتبعه».

(٢) في الأصل، م: «المظفر». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/٣٦، ونهاية الأرب ٣٠/٢١٤، والعبير ٥/٢٩٧، والوفى بالوفيات ٩/٣٩، ومرآة الجنان ٤/١٧٢، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤١.

وأما والده حمزة بن أشعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد، وكان يكتب جيدًا، وصنف تاريخًا فيما بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته في خمس وخمسين وخمسمائة.

الأمير الكبير فارس الدين أقطاي المستعرب^(١)، أتاك العساكر المصرية، كان أولًا مملوكًا لابن يمين، ثم صار مملوكًا للصلاح أيوب فأمره، ثم عظم شأنه في دولة المظفر، وصار أتاك العساكر، فلما قُتل امتدت أطماع أكابر الأمراء إلى المملكة، فبايع أقطاي الملك الظاهر، فتبعه الجيش على ذلك، وكان الظاهر يعرفها له ولا ينساها، ثم قبل وفاته بقليل انهضم عند الظاهر، ومات في هذه السنة بالقاهرة.

الشيخ عبد الله بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي^(٢)، له زاوية بناهلس، وله أشعار رائعة، وكلام قوي في علم التصوف، وقد طوّل اليونيني ترجمته، وأورد من أشعاره شيئًا كثيرًا.

قاضي القضاة كمال الدين أبو الفتح عمر بن بندان بن عمر بن علي التفليس الشافعي^(٣)، وُلد بتفليس سنة إحدى وستمائة، وكان فاضلاً أصوليًا منظرًا، ولى نيابة الحكم مدة، ثم استقل بالقضاء في دولة هلاؤون، وكان عفيفًا نزيهاً، لم يزدد^(٤) منصبًا ولا تدريسًا مع كثرة عياله وقلة ماله، ولما انقضت أيامهم

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٥/٣، ونهاية الأرب ٢١٦/٣٠، وفيه أن وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة، والعبير ٢٩٧/٥، ودول الإسلام ١٧٤/٢، والوافي بالوفيات ٣١٨/٩ ومرآة الجنان ١٧٢/٤، وعقد الجنان ١٢٨/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥١/٣، والوافي بالوفيات ٣٩٨/١٧، وعقد الجنان ١٢٢/٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣، والعبير ٢٩٨/٥، والوافي بالوفيات ٤٤٢/٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٩/٨، وعقد الجنان ١٢٢/٢.

(٤) في م: «يرد».

تَغَضَّبَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ، ثُمَّ أُلْزِمَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا يُفِيدُ النَّاسَ ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ الصُّغْرَى ^(١) .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاكِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّنُوخِيُّ ^(٢) ، وَتَنُوخٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، كَانَ صَدْرًا كَبِيرًا ، وَكَتَبَ الْإِنْشَاءَ لِلنَّاصِرِ دَاوُدَ بْنِ الْمُعْظَمِ ، وَتَوَلَّى نَظَرَ الْمَارِسْتَانِ الثُّورِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

خَابَ رَجَاءُ امْرِئٍ لَهُ أَمَلٌ بِغَيْرِ رَبِّ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلَهُ
أَيَّبَتْنِي غَيْرُهُ أَخُو ثِقَةٍ وَهُوَ بِيْطِنِ الْأَحْشَاءِ قَدْ كَفَلَهُ
وله أيضًا :

خَرَسَ اللِّسَانُ وَكَلَّ عَنْ أَوْصَافِكُمْ مَاذَا يَقُولُ وَأَنْتُمْ مَا أَنْتُمْ
الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ قَدْ تَاهَ عَقْلًا أَنْ يُعَبَّرَ عَنْكُمْ
[ظ ٨٠/١٠] الْعَجْزُ وَالتَّقْصِيرُ وَصَفَى دَائِمًا وَالبِرُّ وَالْإِحْسَانُ يُعْرَفُ مِنْكُمْ
الشيخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مَالِكٍ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ^(٣)

(١) بعده في حاشية الأصل : « الشيخ صدر الدين القنوي ، وله تصانيف عديدة ؛ من جملتها مفتاح الغيث وشرح الأسماء وشرح سورة الفاتحة ، وكان عالما تقيا عظيم الشأن ، وكان من أبناء الملوك ، ورياه الشيخ محيى الدين ابن العربي ، ودفن في قونية رحمه الله رحمة واسعة » .

وصدر الدين هذا اسمه محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف . وتوفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وذكره الحافظ الذهبي في وفياتها في تذكرة الحفاظ ١٤٩١/٤ وقال : كبير مشايخ الاتحادية .

وانظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٢/٢٠٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٥/٨ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨ ، والعبر ٥/٢٩٩ ، ودول الإسلام ٢/١٧٤ ، والوافي بالوفيات ٩/٧١ ، وعقد الجمان ٢/١٢٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/٧٦ ، ونهاية الأرب ٣٠/٢١٤ ، والعبر ٥/٣٠٠ ، وفوات الوفيات ٣/٤٠٧ ، والوافي بالوفيات ٣/٣٥٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٦٧ ، وعقد الجمان ٢/١٣٢ ، وغاية النهاية ٢/١٨٠ ، وبغية الوعاة ١/١٣٠ ، ونفح الطيب ٢/٢٢٢ .

أبو عبد الله الطائفي الجبائي النحوي، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة؛ منها «الكافية الشافية» و«شرحها»، و«التسهيل» و«شرحه»، و«الألفية» التي شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً. وُلد بجبائ سنة ستمائة، وأقام بحلب مدة، ثم بدمشق، وكان كثير الاجتماع بابن خلكان، وأثنى عليه غير واحد، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة، وأجاز لشيخنا علم الدين البيزلي، تُوفّي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء ثاني عشر رمضان، ودُفن بثرية القاضي عز الدين بن الصائغ بقاسيون.

النصير الطوسي : محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله الطوسي، كان يقال له: المولى نصير الدين. ويقال: الخواجه نصير الدين. اشتغل في شبابه، وحصل علم الأوائل جيداً، وصنف في ذلك في علم الكلام، وشرح «الإشارات» لابن سينا، ووزر لأصحاب قلاع الأموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاءكو، وكان معه في واقعة بغداد، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاءكو بأن يقتل الخليفة، فالله أعلم، وعندى أن هذا لا يصدُر من فاضل ولا عاقل. وقد ذكره بعض البغاددة، فأثنى عليه وقال: كان عاقلاً فاضلاً، كريم الأخلاق. ودُفن في مشهد موسى بن جعفر، في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله، وهو الذي كان قد بنى الرصد بمراعة، ورُتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء، وبنى له فيه قبة عظيمة، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً، تُوفّي ببغداد في ثاني عشر ذي الحجة

(١ - ١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٧٩/٣، والمختصر في أخبار البشر ٨/٤، والعبر ٣٠٠/٥، وفوات الوفيات ٢٤٦/٣، والوفاء بالوفيات ١٧٩/١، وعقد الجمان ١٢٤/٢، وروضات الجنات ٣٠٠/٦.

من هذه السنة، وله خمس وسبعون سنة، وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ، وأصلُ اشتغاله على المعينِ سالمِ بنِ بدرانٍ^(١) بنِ عليِّ المصريِّ المُعْتزِلِيِّ المُتَشَيِّعِ، فنَزَعَ فيه عروقٌ كثيرةٌ منه، حتى فَسَدَ اعتقاده.

الشيخُ مُسَلِّمٌ^(٢) البزقيُّ البدويُّ، صاحبُ الرِّباطِ بالقِرافَةِ الصغرى، كان صالحاً مُتَعَبِّدًا يُقَصِّدُ لِلزِّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكِ بِدَعَائِهِ، وله اليومَ أصحابٌ معروفون على طريقه.

(١) في الأصل، م: «بدار»، وفي عقد الجمان: «بدر». والمثبت من مصادر ترجمته.
(٢) في الأصل، م: «سالم». والمثبت من مصدري ترجمته: الذيل على مرآة الزمان ١٠٣/٣، وعقد الجمان ١٣٦/٢ - وجاءت وفاته فيهما سنة ثلاث وسبعين وستمائة - وانظر تبصير المنتبه ١٢٨٥/٤.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسَبْعِينَ وَسْتَمَائَةٍ^(١)

فِيهَا أَطَّلَعَ السُّلْطَانُ عَلَي ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ الْمَصْرِيِّينَ ، مِنْهُمْ قَجْقَارُ الْحَمَوِيُّ ، وَقَدْ كَانُوا كَاتِبُوا التَّنَزُّرَ يَدْعُونَهِمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْهَمُ مَعَهُمْ عَلَي السُّلْطَانِ ، فَأَخَذُوا فَأَقْرَبُوا بِذَلِكَ ، وَجَاءَتْ كِتَابُهُمْ مَعَ الْبَرِيدِيَّةِ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ .

وَفِيهَا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ بِالْعَسَاكِرِ ، فَدَخَلَ بِلَادَ سَيْسٍ^(٢) مِنْ نَاحِيَةِ الدَّرْبِنْدَاتِ^(٣) ، فَمَلَكَهَا وَمَلَكَ إِيَّاسَ وَالْمِصْبِيصَةَ وَأَذَنَةَ ، وَكَانَ دَخُولُهُ إِلَى سَيْسٍ^(٢) يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَبْقَارِ وَالْأَعْنَامِ وَالْأَثْقَالِ وَالِدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ ، فَأُيِّعَ بِأَرْخِصِ ثَمَنِ ، ثُمَّ عَادَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْقَضَتِ السَّنَةُ .

وَفِيهَا ثَارَ عَلَي أَهْلِ الْمَوْصِلِ زَمْلٌ حَتَّى عَمَّ الْأُفُقَ ، وَخَرَجُوا مِنْ دُورِهِمْ يَبْتَهِلُونَ إِلَى اللَّهِ حَتَّى كَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٨٤/٣ - ١١٠ ، ونهاية الأرب ٢١٥/٣٠ - ٢١٧ ، وكنز الدرر ١٧٦/٨ - ١٨٢ ، وعقد الجمان ١٣٠/٢ - ١٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٥/٧ - ٢٤٨ .
(٢) سقط من : م .
(٣) الدربندات : باب الأبواب . معجم البلدان ٥٦٤/٢ .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

ابنُ عَطَاءِ الْحَنْفِيُّ^(١) : قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن [١٠١/٨١٠] عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرعى الحنفى ، وُلد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، سَمِعَ الحديثَ وتَفَقَّهَ على مذهبِ أبى حنيفة ، وناب فى الحكمِ عن الشافعى مدةً ، ثم استقلَّ بقضاءِ الحنفيةِ أولَ ما وليتُ القضاةَ من المذاهبِ الأربعةِ ، ولما وقَّعتِ الحوطةَ على أملاكِ الناسِ أرادَ السلطانُ منه أن يَحْكُمَ بها بمقتضى مذهبه ، فغضبَ من ذلك وقال : هذه أملاكُ بأيدى أربابها ، وما يحلُّ لمسلم أن يتعرَّضَ لها . ثم نهَضَ من المجلسِ فذهب ، فغضبَ السلطانُ من ذلك غضبًا شديدًا ، ثم سَكَنَ غضبه ، فكان يُثنى عليه بعدَ ذلك ويمدِّحُه ، ويقولُ : لا تُثبتوا^(٢) كتابًا إلا عنده^(٣) . كان ابنُ عطاءٍ من العلماءِ الأخيارِ ، كثيرِ التواضعِ ، قليلَ الرغبةِ فى الدنيا ، روى عنه ابنُ جماعةٍ ، وأجاز للبرزاليِّ . تُؤْفَى يومَ الجمعةِ تاسعَ جمادى الأولى ، ودُفِنَ بالقربِ من المعظميةِ بسفحِ قاسيونَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

يَمُنْدُ بْنُ يَمُنْدَ بْنِ يَمُنْدَ^(٣) ، إرَّيسُ^(٤) طرابلُسَ الفِرْنجيِّ ، كان جدُّه نائبًا لبنتِ صنجل^(٥) الذى تملك طرابلُسَ من ابنِ عمَّارٍ فى حدودِ الخمسمائةِ ، وكانت

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٥/٣ ، ونهاية الأرب ٢١٦/٣٠ ، والعبر ٣٠١/٥ ، ومرآة الجنان ١٧٣/٤ ، والجواهر المضية ٣٣٦/٢ ، والسلوك ٦١٩/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١٣٥/٢ .

(٢ - ٢) فى م : « كتبنا إلا عنه » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٣ ، والوفى بالوفيات ٣٦٨/١٠ ، وعقد الجمان ١٣٨/٢ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٦ ، والمنهل الصافى ٥١٥/٣ .

(٤) فى م : « ابرنس » . والإريس : الأمير . تاج العروس (أ ر س) .

(٥) فى الأصل ، م : « صيحل » . والمثبت من مصادر ترجمته .

يَتِيْمَةً تَشْكُرُ بَعْضَ جَزَائِرِ الْبَحْرِ ، فَتَغْلِبُ هَذَا عَلَى الْبَلَدِ لِبُعْدِهَا عَنْهُ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهَا
وَلَدُهُ ، ثُمَّ حَفِيْدُهُ هَذَا ، وَكَانَ شَكِيلاً مَلِيْحًا . قَالَ قُطُبُ الدِّيْنِ الْيُونِنِيُّ ^(١) : رَأَيْتُهُ
بِغُلْبَكٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ حِيْنَ جَاءَ مُسَلِّمًا عَلَى كَتْبُعَا نُؤِيْنَ ، وَرَامَ
أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ بَغْلَبَكٌ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ . وَلَمَّا تُؤِفِّي دُفِيْنَ فِي كَنِيسَةِ
طَرَابُلُسَ ، وَلَمَّا فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ وَسِتِّمِائَةٍ نَبَشَ النَّاسُ قَبْرَهُ ،
وَأَخْرَجُوهُ مِنْهُ ، وَأَلْقَوْا عِظَامَهُ عَلَى الْمَزَابِلِ لِلْكِلَابِ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٣ .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة^(١)

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة^(٢) نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل؛ خمسة عشر ألفاً من المغول، وخمسة عشر ألفاً من الروم، والمقدم على الجميع البيرواناه، بأمر أبقا ملك التتر، ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والأكراد، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً، فخرج أهل البيرة في الليل، فكتبوا^(٣) عسكر التتار، وأحرقوا المنجنيقات، ونهبوا شيئاً كثيراً، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور، ثم رجعوا عنها بغيتهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. ولما بلغ السلطان نزول التتر على البيرة أنفق في الجيش ستمائة ألف دينار، ثم ركب سريعاً وفي صحبته ولده السعيد، فلما كان في أثناء الطريق بلغه رحيل التتر عنها، فعاد إلى دمشق، ثم ركب في رجب إلى القاهرة، فدخلها في ثامن عشر، فوجد بها خمسة وعشرين رسولاً من جهة ملوك الأرض ينتظرونه، فتلقوه وحذثوه وقبلوا الأرض بين يديه،^(٤) ودخل القلعة في أبهة عظيمة.

ولما عاد البيرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار؛ منهم شرف الدين

(١) ذيل مرآة الزمان ١١١/٣ - ١٢٥، ونهاية الأرب ٢١٩/٣٠ - ٢٣١، وكنز الدرر ١٨٢/٨ -

١٨٧، وعقد الجمان ١٣٩/٢ - ١٥٠، والسلوك ٦١٩/١ - ٦٢٥ (القسم الثاني).

(٢) في م: «الأولى».

(٣) في الأصل: «فكسروا».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

مسعودٌ وضيَاءُ الدينِ محمُودٌ ابنا الخَطِيرِ، وأمِينُ الدينِ ميكَائِيلُ، وحُسامُ الدينِ
بيجارٌ^(١)، وولدهُ بهاءُ الدينِ، على أن يَكُونوا مِن جهةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ،
وَيُنابِذُوا أُبْعَا، فحلَفُوا له على ذلك، وكتبَ إلى الظاهرِ بذلك، وأن يُرْسِلَ إليه
جيشًا، وَيَحْمِلَ له ما كان يَحْمِلُهُ إلى التَّارِ، وَيَكُونُ غِيَاثُ الدينِ كَيْخُشْرُو على
ما هو عليه، يَجْلِسُ على تَحْتِ تَمَلِكَةِ الرومِ.

وفي هذه السنةِ اسْتَشَقَى أَهْلُ بَغدَادَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَوَلَاءٌ فَلَمْ يُشَقِّقُوا.

[١٠/٨١ظ] وفيها في رمضانَ منها وُجِدَ رَجُلٌ وامرأةٌ في نَهَارِ رَمَضَانَ على
فاحشةِ الزَّنى، فَأَمَرَ عَلاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ برجمِهما فَرَجِمَا، ولم يُرَجَمْ
بِغَدَادَ قَبْلَهُمَا قَطُّ أَحَدٌ مَنذُ بُيُوتِ. وهذا غريبٌ جدًّا.

وفيها اسْتَشَقَى أَهْلُ دِمَشقَ أيضًا مرتينِ؛ في أواخرِ رَجَبٍ وأوائلِ شعبانِ -
وكان ذلك في أواخرِ كانونِ الثاني - فلم يُشَقِّقُوا أيضًا.

وفيها أُرْسِلَ السلطانُ جيشًا إلى دُنْقَلَةَ، فكسَرَ جيشَ الشُّودانِ، وقتلوا منهم
خلفًا، وأَسَرُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الشُّودانِ، بحيث أُبِيعَ الرَّقِيقُ الرَّأْسُ بثلاثةِ دراهمِ،
وهربَ ملكُهُم داوُدُ إلى صاحبِ التُّوبَةِ، فأرسلَهُ إلى الملكِ الظاهرِ مُحتَاطًا عليه،
وقرَّرَ الملكُ الظاهرُ على أَهْلِ دُنْقَلَةَ جِزْيَةً تُحْمَلُ إليه في كلِّ سنةٍ. كلُّ ذلك كان
في شعبانَ مِن هذه السنةِ.

وفيها عَقِدَ عَقْدُ الملكِ السعيدِ بنِ الظاهرِ، على بنتِ الأميرِ سيفِ الدينِ

(١) في الأصل: «منجار»، وفي م: «ميجار». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر ترجمته في الوافي
بالوفيات ٣٦٠/١٠.

قَلَاوُونَ الْأَلْفِي، فِي الْإِيوَانِ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَالدَّوْلَةِ عَلَى صَدَاقِ خَمْسَةِ آلَافٍ دِينَارٍ، يُعَجَّلُ مِنْهَا أَلْفَا دِينَارٍ، وَكَانَ الَّذِي كَتَبَهُ وَقَرَأَهُ مُحْيَى الدِّينِ بَنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ، فَأُعْطِيَ مِائَةَ دِينَارٍ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ مُسْرِعًا، فَوَصَلَ إِلَى حَصَنِ الْكَرْكِ، فَجَمَعَ الْقَيْمَرِيَّةَ الَّذِينَ بِهِ إِذَا هُمْ سِتْمَائَةَ نَفِيرٍ، فَأَمَرَ بِشَنْقِهِمْ، فَشَفِعَ فِيهِمْ عِنْدَهُ، فَأُطْلِقَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ مِنْهُ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَ مَنْ فِيهِ، وَيُقِيمُوا مَلِكًا عَلَيْهِمْ، وَسَلَّمَ الْحَصْنَ إِلَى الطَّوَّاشِيِّ شَمْسِ الدِّينِ رِضْوَانَ الشَّهْبَلِيِّ، ثُمَّ عَادَ فِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ إِلَى دِمَشْقَ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ الشَّهْرِ.

وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ بِأَخْلَاطَ^(١)، وَاتَّصَلَتْ بِيَلَادِ بَكْرٍ.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْعَلَامَةُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو النَّثَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ الصَّرْحَدِيُّ الْحَنْفِيُّ^(٢)، كَانَ مَشْهُورًا بِالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ، وَالْعِفَّةِ وَالصَّلَاحِ، وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَوُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَى، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ فِي رَيْبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا، وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشَّيْخُ الْإِمَامُ عِمَادُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ

(١) قَالَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ : خَلَاطُ : بَلَدٌ بِأَرْمِينِيَّةٍ مَشْهُورٌ. قَالَ : وَلَا تَقُلْ : أَخْلَاطُ، بِالْأَلْفِ كَمَا هُوَ عَلَى لِسَانِ الْعَامَّةِ. تَاجُ الْعُرُوسِ (خ ل ط).

(٢) ذَيْلُ مِرْآةِ الزَّمَانِ ٣/١٥٤، وَالْعَبْرُ ٥/٣٠٢، وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٤/١٢١، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيِئَةُ ٣/٤٤١، وَالسَّلُوكُ ١/٦٢٤ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/١٥١، وَبَغِيَّةُ الرَّعَاةِ ٢/٢٧٨.

«ابن عبد الخالق^(١) بن خليل بن مقلد الأنصاريّ الدمشقيّ، المعروف بابن الصائغ، كان مُدَرِّسًا بِالْعَدْرَاوِيَّةِ وشاهدًا بِالخِزَانَةِ بِالْقَلْعَةِ، يَعْرِفُ الْحِسَابَ جَيِّدًا، وله سَمَاعٌ وَرِوَايَةٌ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

ابن الساعي المؤرِّخ^(٢) : تاج الدين بن الحُتَّسِبِ الْمَعْرُوفُ بابن الساعي البَغْدَادِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاعْتَنَى بِالتَّارِيخِ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَلَا الضَّابِطِ الْمُتَّقِنِ. وَقَدْ أَوْصَى إِلَيْهِ ابْنُ النَّجَّارِ حِينَ تُوُفِّيَ، وَلَهُ تَارِيخٌ كَبِيرٌ عِنْدِي أَكْثَرُهُ، وَمُصَنَّفَاتٌ أُخْرُ مُفِيدَةٌ، وَأَخْرَجُ مَا صَنَّفَ كِتَابٌ فِي الرَّهَادِ، كَتَبَ فِي حَاشِيَتِهِ زَكِيُّ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَبِيبِ الْكَاتِبِ :

ما زال تاج الدين طول المدى من عمره يُعْنِقُ^(٣) في السير
في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا ضير
علا على بتصانيفه وهذه خاتمة الخير

(١ - ١) في الأصل، م، ومصادر ترجمته : عقد الجمان ١٥١/٢، والمنهل الصافي ٣٠٢/٧، والدارس ٣٧٦/١ : « عبد الله ». والمثبت مما سيأتي في ترجمة أبيه في صفحة ٥٩٤ ضمن وفيات سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٤٧/٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٦٩/٤، وعقد الجمان ١٥٢/٢، والدليل الشافي ١/٤٥١، وشذرات الذهب ٣٤٣/٥، وتاريخ علماء المستنصرية ص ٣٣٧ .

(٣) يعنق : يسرع . الوسيط (ع ن ق) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة^(١)

في «ثالث عشر الحرم»^(٢) منها دخل السلطان إلى دمشق، وسبق العساكر إلى بلاد حلب، فلما توافقت إليه أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الأتابكي بألف فارس إلى البلستين^(٣)، فصادف بها [١٠/٨٢٠] جماعة من عسكر الروم، فركبوا إليه وحملوا إليه الإقامات، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الإسلام، فأذن لهم، فدخل طائفة؛ منهم بيجار^(٤) وابن الخطير، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة، فتلقاهم الملك السعيد، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة، فدخلها في «ثاني عشر ربيع الآخر»^(٥).

وفي خامس جمادى الأولى عميل السلطان عمروس ولده الملك السعيد على بنت قلاوون، واحتفل السلطان به احتفالاً عظيماً، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون، ويحمل بعضهم على بعض، ثم خلع على

(١) ذيل مرآة الزمان ١٦٤/٣ - ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٣٣/٣٠ - ٢٣٥، وكنز الدرر ١٨٧/٨ - ٢٠٧، والعبر ٣٠٤/٥، ٣٠٥.

(٢ - ٢) في ذيل مرآة الزمان ١٦٥/٣، ١٦٦: «أواخر الحرم»، وفي نهاية الأرب ٢٣٤/٣٠: «رابع عشر الحرم».

(٣) في معجم البلدان ٩٣/١: «أبلستين»، وهي مدينة ببلاد الروم قريبة من أبسوس مدينة أصحاب الكهف.

(٤) في الأصل: «نجار»، وفي نهاية الأرب ٢٣٣/٣٠: «بينجار». وانظر ذيل مرآة الزمان ١٦٦/٣.

(٥ - ٥) في نهاية الأرب ٢٣٥/٣٠: «رابع عشر ربيع الأول».

الأمرء وأرباب المناصب ، وكان مبلغ ما خُلع ألفاً وثلاثمائة خِلعاً بمصر ، وجاءت مراسيمُه إلى الشام بالخِلع على أهلها ، ومدَّ السلطان سِماطاً عظيماً حضره الخاص والعام ، والشاردُ والواردُ ، وجلس فيه رسلُ التتارِ ورسلُ الفِرنج ، وعليهم كلُّهم الخِلعُ الهائلةُ ، وكان وقتاً مشهوداً ، وحمل صاحبُ حماة هدايا عظيمةً ، وركب إلى مصرَ للتهنئة .

وفي حادى عشرَ شوالٍ طيف بالمحمِلِ وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوماً مشهوداً .

وَقْعَةُ البُلْسْتَيْنِ وَفَتْحُ قَيْسَارِيَّةَ

ركب السلطانُ من مصرَ في العساكرِ ، فدخلَ دمشقَ في سابعَ عشرَ شوالٍ ، فأقام بها ثلاثةَ أيامٍ ، ثم سار حتى دخلَ حلبَ في مُستَهَلِّ ذى القعدةِ ، فأقام بها يوماً ، ورسمَ لثائبِ حلبَ أن يُقيمَ بعسكرِ حلبَ على الفُراتِ لحفظِ المعابرِ ، وسار السلطانُ فقطعَ الدَّرْبَ بِنَدَ في نصفِ يومٍ ، ووقعَ سُنْفُ الأَشْقَرُ في أثناءِ الطريقِ بثلاثةِ آلافٍ مِنَ المَعُولِ ، فهزَمَهم يومَ الخميسِ تاسعِ ذى القعدةِ ، وصعدَ العسكرُ الجبالَ ، فأشرفوا على وَطْأَةِ البُلْسْتَيْنِ ، فأروا التتارَ قد رتبوا عسكرَهم وكانوا أحدَ عشرَ ألفَ مُقاتِلٍ ، وعزلوا عنهم عسكرَ الرومِ خوفاً من مُخامرتِهِم ، فلما تراءى الجمعان حملت ميسرةُ التتارِ ، فصدمت سناجقَ السلطانِ ، ودخلت طائفةٌ منهم بينهم فشقُّوها ، وسأقت إلى الميمنةِ ، فلما رأى السلطانُ ذلك أزدفَ المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتةٌ ، فرأى الميسرةَ قد كادت أن تتخطمَ ، فأمر

جماعة من الأمراء بإزدافها، ثم حمل بالعسكر جميعه حملة واحدة على التتار، فترجّلوا إلى الأرض عن آخرهم، وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، وصبر المسلمون صبراً عظيماً، فأُنزل الله نصره على المسلمين، فأحاطت بالتتار العساكر من كل جانب، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقُتل من المسلمين أيضاً جماعة، وكان في جملة من قُتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير، و« سيف الدين قِيماز »، وسيف الدين قَفَجَقُ^(١) الجاشنكير، وعز الدين أَيْبِك الشقيفي^(٢)، وأسير جماعة من أمراء المغول ومن أمراء الروم، وهرب البرواناه، فنجاً بنفسه، ودخل قيسارية في بُكرة الأحد ثاني عشر ذى القعدة، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين، وأشار عليهم بالهزيمة، فأنهزموا منها وأخلوها، فدخلها الملك الظاهر، وصلى بها الجمعة سابع عشر ذى القعدة، وحُطِب له بها، ثم كرّ راجعاً مؤيداً منصوراً. وسارت بذلك البشائر إلى البلدان، ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله تعالى. ولما بلغ خبر هذه الوقعة أبغوا حتى وقف بنفسه وجيشه، وشاهد مكان المعركة [٨٢/١٠] ومَن فيها من قتلى المغول، فغاضه ذلك وأعظمه، وحق على البرواناه إذ لم يُعلمه بجليّة الحال، وكان يظن أن أمر الملك الظاهر دون هذا كله، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك

(١ - ١) في ذيل مرآة الزمان ١٧٥/٢، ونهاية الأرب ٣٥٢/٣٠ وكنز الدرر ١٩٩/٨، والعبر ٥/٣٠٤، والنجوم الزاهرة ١٦٩/٧: « شرف الدين قيران العلاني ».

(٢) في الأصل: « تنجو ». وفي م: « بنجو ». والمثبت من العبر. وانظر عقد الجمان ٥٨١/٢، والنجوم الزاهرة ١٦٩/٧، والسلوك ٦٢٩/١ (القسم الثاني). والجاشنكير: هو الذي يتحدث في أمر الطعام والمطابخ مع الأستاذار. انظر صبح الأعشى ٢١/٤.

(٣) في الأصل، م: « الثقفى ». وفي ذيل مرآة الزمان: « الشقيقى ». والمثبت من العبر، والنجوم الزاهرة.

الناحية ، فقتل منهم قريباً من مائتي ألف ، وقيل : قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزين الروم ، وكان في جملة من قُتل القاضي جلال الدين حبيب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ومَنْ تُوفِّي فيها مِنَ الأعيان :

الشيخ أبو الفضل عيسى^(١) بن الشيخ عُبيد بن عبد الخالق الدمشقي ، ودُفن بالقرب من الشيخ رسلان . قال الشيخ عَلَم الدين : وكان يذكُر أن مولده كان سنة أربع وستين وخمسمائة .

الطواشي يُمن الحَبَشِيُّ^(٢) ، شيخُ الخُدَّامِ بالحرمِ الشريفِ النبوي ، كان دَيِّناً عاقلاً عدلاً ، صادق اللُّهجة ، مات في عَشْرِ السبعين ، رَحِمَهُ اللهُ .

الشيخُ المُحدِّثُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرِ الموصلي ، ثم الدمشقي الصوفي^(٤) ، سَمِعَ الكثير ، وكتبَ الكتبَ الكبارَ بخطِّ رفيعٍ جيدٍ واضحٍ ، جاوزَ السبعين^(٣) ، ودُفنَ ببابِ الفَراديسِ .

الشاعرُ شهابُ الدينِ أبو المكارمِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ مسعودِ بنِ بركةِ بنِ سالمِ بنِ عبدِ اللهِ الشَّيبانيِّ التَّلغَفَرِيُّ^(٥) ، صاحبُ ديوانِ الشعرِ ، جاوزَ الثمانين ،

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته في عقد الجمان ١٦٩ / ٢ ، وفيه : « عيسى بن عبد الله » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٣١ / ٣ ، وعقد الجمان ١٧٣ / ٢ ، والدليل الشافي ٧٩٦ / ٢ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) عقد الجمان ١٦٩ / ٢ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢١٨ / ٣ ، والعبر ٣٠٦ / ٥ ، والوافي بالوفيات ٢٥٥ / ٥ ، وفوات الوفيات ٦٢ / ٤ ،

والسلوك ٦٣٤ / ١ (القسم الثاني) ، والنجوم الزاهرة ٢٥٥ / ٧ ، وشذرات الذهب ٣٤٩ / ٥ .

تُوْفِي بِحَمَاةَ ، وَكَانَ الشُّعْرَاءُ مُتَرَبِّينَ لَهُ مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي هَذَا الْفَنِّ . وَمِنْ
شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لساني طرّيتُ منك يا غايةَ المنى ومن ولّهي أني خطيبٌ وشاعرٌ
فهذا المعنى حُسنٍ وجهك ناظمٌ وهذا لدمعي في تجنّيك ناثرٌ

القاضي شمس الدين عليّ بن محمود بن عليّ بن عاصم الشهرزوريّ
الدمشقيّ^(١) ، مُدَرِّسُ الْقَيْمَرِيَّةِ بِشَرْطِ وَاقْفِهَا لَهُ وَلذَرِيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ^(٢) التَّدْرِيسَ مَنْ
تَأَهَّلَ مِنْهُمْ ، فَدَرَّسَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوْفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ صِلَاحُ
الدِّينِ ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ بَعْدَ ابْنِ جَمَاعَةَ ، وَطَالَتْ مَدَّةُ حَفِيدِهِ . وَقَدْ وُلِيَ شَمْسُ الدِّينِ
عَلِيٌّ نِيَابَةَ ابْنِ خَلْكَانَ فِي الْوَالِيَةِ الْأُولَى ، وَكَانَ فَقِيهًا جَيِّدًا نَقْلًا لِلْمَذْهَبِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) ، وَقَدْ سَافَرَ مَعَ ابْنِ الْعَدِيمِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَسَمِعَ بِهَا ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ
الصُّوْفِيَّةِ بِالْقُرْبِ مِنْ ابْنِ الصَّلَاحِ .

الشيخُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدِ اللَّهِ بْنِ جَمَاعَةَ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ حَازِمِ بْنِ صَخْرٍ^(٣) الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْفَقْهِ
وَالْحَدِيثِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ^(٤) وَتَسَعِينَ بِحَمَاةَ ، وَتُوْفِيَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَدُفِنَ

(١) ذيل مرآة الزمان ١٩٢/٣ ، والوفاء بالوفيات ١٨٥/٢٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٠٠ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٢٠/٢ ، ٣٥٧ ، وعقد الجمان ١٧٠/٢ .
(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) في م : «سنجر» . وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ١٨٧/٣ ، ونهاية الأرب ٢٣٦/٣٠ ،
والوفاء بالوفيات ٣٥٣/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١١٥/٨ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٥١ .

(٤) في ذيل مرآة الزمان : «سبع» .

بمأملا ، وسمع من الفخر بن عساكر ، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة .

الشيخ الصالح جندل بن محمد المنيئ^(١) ، كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة ، وكان الناس يترددون إلى زيارته ،^(٢) زاره الملك الظاهر مرات وكذلك الأمراء^(٣) بمنين ، وكان يتكلم بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بألفاظ غريبة ، وحكى عنه الشيخ تاج الدين^(٤) أنه سمعه يقول : ما تقرب أحد إلى الله بمثل الذل له والتضرع إليه . وسمعه يقول : المؤلثة منقبة من طريق الله يعتقد أنه واصل ، ولو علم أنه منقبة رجع عما هو فيه ؛ لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : السماع وظيفة أهل البطالة . قال الشيخ تاج الدين : وكان الشيخ جندل من أهل الطريق وعلماء التحقيق . قال : وأخبرني في سنة إحدى وستين وستمائة أنه قد بلغ من العمر خمسا وتسعين سنة . قلت : فعلى هذا يكون قد جاوز المائة ؛ لأنه توفي في رمضان من هذه السنة ، ودفن في زاويته المشهورة بقريه منين ، وورد الناس إلى قبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها ، رحمه الله تعالى .

^(٤) محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن

(١) ذيل مرآة الزمان ١٩١/٣ ، والوافي بالوفيات ١٩٦/١١ ، وعقد الجمان ١٧١/٢ ، والدليل الشافعي ٢٥١/١ ، وشذرات الذهب ٣٤٧/٥ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) هو تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري . انظر : ذيل مرآة الزمان ١٩١/٣ .

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ٢٠٣/٣ ، والعبر ٣٠٦/٥ ، والوافي بالوفيات ٢٣٥/٣ ، والجواهر المضية ٢١٩/٣ ، والمقفي الكبير ١٦١/٦ ، وعقد الجمان ١٧١/٢ ، =

الفُوَيْرِهِ^(١) السَّلْمِيُّ الحَنْفِيُّ ، اشْتَغَلَ عَلَى الصِّدْرِ سَلِيمَانَ وَابْنَ عَطَاءٍ ، وَفِي النُّحُورِ عَلَى ابْنِ مَالِكٍ ، وَحَصَّلَ وَبَرَعَ وَنَظَّمَ وَنَثَرَ ، وَدَرَّسَ فِي الشُّبُلِيَّةِ وَالْقَصَّاعِينَ ، وَطَلَّبَ لِنِيَابَةِ الْقَضَاءِ فَاثْتَنَعَ ، وَكَتَبَ الْكِتَابَةَ الْمُنْسُوبَةَ . وَقَدْ رَأَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَا كَانَ لِي مِنْ شَافِعٍ عِنْدَهُ غَيْرُ اعْتِقَادِي أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى^(٢) ، وَدُفِنَ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مُحَمَّدٌ [٨٣/١٠] بَنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مَنْصُورِ شَمْسِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الْحَوَازِنِيُّ الْحَنْبَلِيُّ^(٣) ، تَلْمِيزُ الشَّيْخِ مَجِيدِ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَكَّمَ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ نِيَابَةً عَنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بَنِي الْأَعَزِّ ، ثُمَّ وَلِيَ
شَمْسُ الدِّينِ بَنُ الشَّيْخِ الْعِمَادِ الْقَضَاءَ مُسْتَقِلًّا ، فَاسْتَنَابَ بِهِ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ ،
وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ يَشْتَغِلُ وَيُفْتِي إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَقَدْ نَيْفَ عَلَى السِّتِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

= والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٧ ، وشذرات الذهب ٣٤٧/٥ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « النُّويرة » . وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ عَدَا الْجَوَاهِرِ الْمُضْبِيَّةِ .

(٢) فِي م : « الْآخِرَةُ » .

(٣) ذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٢٠٦/٣ ، وَالْعَبْرُ ٣٠٦/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٧٥/٤ ، وَفَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٤٢٨/٣ ،

وَالذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٢٨٧/٢ ، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٦٥١/٢ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٤٨/٥ .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة^(١)

فيها كانت وفاة الملك الظاهر رُكن الدين بيبُرس، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة خان الملقب بالملك السعيد، من بعده، ووفاته الشيخ محيي الدين النووي إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها.

ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم، وقد كسر التتار على البلستين، ورجع مؤيداً منصوراً، فدخل دمشق، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غريب دمشق بين الميدانين الأخضرين، وتواترت الأخبار إليه بأن أبتغا جاء إلى المعركة، ونظر إليها، وتأسف على من قُتل من المغول، وأمر بقتل البيزواناه، وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام، فأمر السلطان بجمع الأمراء، وضرب مشورة، فاتفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان، وتقدم بضرب الدهليز على القصر، ثم جاء الخبر بأن أبتغا قد رجع إلى بلاده، فأمر برد الدهليز، وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أسر حال، وأنعم بال. وأما أبتغا فإنه أمر بقتل البيزواناه - وكان نائبه على بلاد الروم - وكان اسمه معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن، وإنما قتله لأنه اتهمه بُمالاته للملك الظاهر، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٣٢/٣ - ٢٩٢، ونهاية الأرب ٣٦٥/٣٠ - ٣٨٤، وكنز الدرر ٢٠٧/٨ - ٢٢٤، وانظر العبر ٣٠٧/٥ - ٣١٣.

بلاد الروم، وكان البزواناه شجاعًا حازمًا كريمًا جوادًا، وله مِثْلٌ إلى الملك
الظاهر، وكان قد جاوز الخمسين لما قُتِل .

ثم لما كان يوم السبتِ خامسَ عشرَ المحرمِ تُوْفِيَ الملكُ القاهرُ بهاءَ الدينِ عبدُ
الملكِ بنِ السلطانِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوب^(١)، عن أربعِ
وستين سنةً، وكان رجلًا جيدًا، سَلِيمَ الصُّدْرِ، كَرِيمَ الأخلاقِ، لَيِّنَ الكَلِمَةِ،
كثيرَ التواضعِ، يُعاني ملابسَ العربِ ومراكبهم، وكان مُعَظَّمًا فى الدولةِ شجاعًا
مُقدِّمًا، وقد رَوَى عن ابنِ اللُّثِيِّ، وأجاز للبِزْزَالِيِّ . قال البِزْزَالِيُّ : ويقالُ : إنه
سُمِّ . وذكرَ غيرهُ أن السلطانَ الملكَ الظاهرَ سَمَّه فى كأسٍ ثم ناوَلَه إياه، فشربَه
وقام السلطانُ إلى المُرْتَفَعِ، ثم عاد وأخَذَ الساقى الكأسَ من يَدِ القاهرِ، فمَلَأَه
وناوَلَه السلطانَ الظاهرَ، والساقى لا يَشْعُرُ بشيءٍ مما جرى، وأنسى اللهُ السلطانَ
ذلك الكأسَ، أو ظنَّ أنه غيرهُ لأمرٍ يُريدُه اللهُ وَيَقْضِيه، وكان قد بقى فى الكأسِ
بقيةٌ كثيرةٌ من ذلك السُّمِّ، فشربَ الظاهرُ ما فى الكأسِ، ولم يَشْعُرْ حتى شربَه،
فاشْتَكَى بطنه من ساعته، ووجد الوَهْجَ والحَرْبَ الشديدَ من فوره، وأما
القاهرُ فإنه حُمِلَ إلى منزله وهو مَغْلُوبٌ، [٨٣/١٠ ظ] فمات من ليلته، وتمرَّضَ
الظاهرُ من ذلك أيامًا حتى كانت وفاته يومَ الخميسِ بعدَ الظهرِ فى السابعِ
والعشرين من المحرمِ بالقصرِ الأَبْلَقِ، وكان ذلك يومًا عظيمًا على الأمراءِ، وحضَرَ
نائبُ السُّلْطَنَةِ عزُّ الدينِ أَيْدَمُرُ وكبارُ الأمراءِ والدولةُ، فصلُّوا عليه سرًّا، وجعلوه
فى تابوتٍ، ورفعوه إلى القلعةِ من السورِ، وجعلوه فى بيتٍ من بيوتِ البَحْرِيَّةِ إلى
أن نُقِلَ إلى تربته التى بناها ولُدُه له بعدَ موته، وهى دارُ العِيقِيَّ نُجاةِ العادليةِ
الكبيرةِ، ليلةَ الجمعةِ خامسَ رجبٍ من هذه السنةِ، وكُنِمَ موتهُ، فلم يَعْلَمَ جُمهُورُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٧٢/٣، ونهاية الأرب ٣٨١/٣٠، والنجوم الزاهرة ٢٧٨/٧، والدليل الشافى ١/

٤٣٠، وعقد الجمان ١٩٦/٢.

الناس به ، حتى إذا كان العَشرُ الأخيرُ من ربيعِ الأولِ ، وجاءت البيعةُ لولده السعيدِ من مصرَ ، حزن الناسُ عليه حُزنًا شديدًا ، وترَحَّموا عليه ترَحُّمًا كثيرًا ، ومُجدِّدَت البيعةُ أيضًا بدمشقَ ، وجاء تَقْلِيدُ النِّيابةِ بالشامِ مُجدِّدًا إلى عزِّ الدين أَيْدُمُر نائِبها .

وقد كان الملكُ الظاهرُ شَهْمًا شجاعًا ، عالى الهِمَّةِ ، بعيدَ العَوْرِ ، مقدامًا جسورًا ، مُعْتَنِيًا بأمرِ السلطنةِ ، يُشْفِقُ على الإسلامِ ، مُتَحَلِّيًا بالملكِ ، له قَصْدٌ صالحٌ فى نُصرةِ الإسلامِ وأهله ، وإقامةِ شعارِ الملكِ ، واستمَرَّت أيامه من يومِ الأحدِ سابعِ عَشرَ ذى القعدةِ سنةَ ثمانِ وخمسينِ إلى هذا الحينِ ، ففتَح فى هذه المدَّةِ فتوحاتٍ كثيرةً ؛ فَيْساريَّةَ وأرْشوفَ ^(١) وَيَافَا والشَّقِيفَ وَأَنْطَاكِيَّةَ وَبَغْرَاسَ ^(٢) وَطَبْرِيَّةَ والقُصَيْمِرَ وَحصنَ الأكرادِ وَحصنَ عَكَارِ ^(٣) والقُرَيْنَ ^(٤) وصافيتا وغيرَ ذلك من الحصونِ المنيعةِ التى كانت بأيدى الفِرْنَجِ ، ولم يَدْعُ مع الإسماعيليةِ شيئًا من الحصونِ ، وناصفَ الفِرْنَجِ على المَرْقَبِ وبنِيَّاسَ وبلادِ أَنْطَرُطوسَ ^(٥) ، وسائرِ ما بقى

(١) فى م : «أرسون» . وانظر ما تقدم صفحة ٤٥٩ .

(٢) فى م : «بغراض» . وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧٧ .

(٣) فى الأصل ، م : «عكا» . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٥٥/٣ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٢٩ .
وعكار : حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم ، وموقعه شمالى طرابلس . السلوك ١/٥٩٢ (القسم الثانى) حاشية (١) .

(٤) فى الأصل : «الفرين» ، وفى م : «الغرين» . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٥٥/٣ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٣٢ .

والقرين : حصن من حصون الأرمن ، لطائفة منهم يقال لهم : الاسبتار وكان من أمنع الحصون وأضرها على صغد . انظر نهاية الأرب ٣٠/٣٣٢ .

(٥) فى الأصل ، م ، وذيل مرآة الزمان : «أنطرسوس» . والمثبت من نهاية الأرب ٣٠/٣٢٨ ومما تقدم صفحة ٤٩٣ . وانظر معجم البلدان ١/٣٨٨ .

بأيديهم من البلاد والحصون ، وولّى فى نصيبه مما ناصفهم عليه الثواب والعمال ،
 وفتح قيساريّة من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمغول على البلستين بأسا لم يُسمع
 بمثله من دهورٍ مُتطاولة ، واستعاد من صاحب سبب بلادا كثيرة ، وجاس خلال
 ديارهم وحصونهم ، واستردّ من أيدي المتعلّين من المسلمين بعلبك وبضمرى
 وصرحد وحنص وعجلون والصلت وتدمر والرّحبة وتلّ باشير وغيرها ، والكرّك
 والشؤبك ، وفتح بلاد النوبة بكمالها من بلاد السودان ، وانتزع بلادا من التتار
 كثيرة ، منها شيرز^(١) والبيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ،
 وعمّر شيئا كثيرا من الحصون والمعاقيل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار
 الذهب بقلعة الجبل ، وبنى قبة على اثنتى عشر عمودا ملونة مذهّبة ، وصوّر فيها
 صوّر خاصّكيتيه^(٢) وأشكالهم ، وحفر أنهارا كثيرة وخُلجانا ببلاد مصر ، منها
 نهج السردوس^(٣) ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدّد بناء مسجد
 رسول الله ﷺ حين اخترق ، ووضع الدرّازينات حول الحجرة الشريفة ، وعمل
 فيه منبرا ، وسقّفه بالذهب ، وجدّد المارستان بالمدينة ، وجدّد قبر الخليل ، عليه
 السلام ، وزاد فى زاويته وما يُصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى
 قبر موسى ، عليه السلام ، قبة قبلى أريحا^(٤) ، وجدّد بالقدس أشياء حسنة ، من
 ذلك قبة السلسلة ، ورّم سقف الصخرة ، [١٠٠/٨٤] وغيرها ، وبنى بالقدس خاناً
 هائلا بماملا ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحونا

(١) فى الأصل : « شيرز » . وفى م : « شيرزور » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٥٣ .

(٢) خاصكية : ندما الملك والمقرين . انظر المعجم الذهبى ص ٢٣١ .

(٣) فى الأصل ، م : « السرداس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٨ ، وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٤ .

(٤) أريحا : مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام . معجم البلدان ١/ ٢٢٧ .

وَفُؤْنَا وَبُؤْسَتَانَا ، وَجَعَلَ لِلوَارِدِينَ إِلِيهِ أَشْيَاءَ تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ فِي نَفَقَةِ وَإِصْلَاحِ أُمَّتَيْهِمْ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَبَنَى عَلَى قَبْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالقَرَبِ مِنْ عَمَّتَا ^(١) مَشْهَدًا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ لِلوَارِدِينَ إِلَيْهِ ، وَعَمَّرَ جَسَرَ دَامِيَةً ، وَجَدَّدَ قَبْرَ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ بِنَاحِيَةِ الكَرْكِ ، وَوَقَفَ عَلَى الزَّائِرِينَ لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَجَدَّدَ قَلْعَةَ صَفَدَ ^(٢) وَجَامِعَهَا ، وَجَدَّدَ جَامِعَ الرَّمْلَةِ ، وَغَيْرَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ الَّتِي كَانَتْ الفِرْنَجُ قَدْ أَخَذَتْهَا ، وَخَرَّبَتْ جَوَامِعَهَا وَمَسَاجِدَهَا ، وَبَنَى بِحَلَبَ دَارًا هَائِلَةً ، وَبِدِمَشَقَ القَصْرَ الأَبْلَقَ وَالمَدْرَسَةَ الظَّاهِرِيَّةَ وَغَيْرَهَا ، ^(٣) وَضَرَبَ الدِّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ الجَيِّدَةَ الخَالِصَةَ عَلَى النُّصْحِ وَالمُعَامَلَةِ الجَيِّدَةِ الجَارِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ ^(٤) .

وَلَهُ مِنَ الأَثَارِ الحَسَنَةِ وَالأَمَاكِنِ مَا لَمْ يُبَيَّنْ فِي زَمَنِ الخُلَفَاءِ وَمُلُوكِ بَنِي أُيُوبَ ، مَعَ اشْتِغَالِهِ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاسْتِخْدَمَ مِنَ الجَيُوشِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَرَدَّ إِلَيْهِ نَحْوَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ المَعُولِ فَأَقْطَعَهُمْ وَأَمَّرَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَكَانَ مُفْتَصِدًا فِي مَلْبَسِهِ وَمَطْعَمِهِ ، وَكَذَلِكَ جَيْشُهُ ، وَهُوَ الَّذِي أُنْشِئَتِ الدَّوْلَةُ العَبَاسِيَّةُ بَعْدَ ذُؤُورِهَا وَبَقِيَ النَّاسُ بِلَا خَلِيفَةٍ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَهُوَ الَّذِي أَقَامَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا مُسْتَقِلًّا قَاضِي قُضَايَا .

وَكَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مُتَيَقِّظًا شَهْمًا شُجَاعًا ، لَا يَفْتُرُّ عَنِ الأَعْدَاءِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، بَلْ هُوَ مُنَاجِزٌ لِأَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ ، وَلَمْ شَعْنُهُ وَاجْتِمَاعِ شَمْلِهِ . وَبِالجَمَلَةِ أَقَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الوَقْتِ المَتَأَخَّرِ عَوْنًا وَنَصْرًا للإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ ، وَشَجًّا فِي حُلُوقِ المَارِقِينَ مِنَ الفِرْنَجِ وَالتُّتَارِ وَالمَشْرِكِينَ . وَأَبْطَلَ الخُمُورَ ، وَنَفَى

(١) فِي م : « عَمَّتَا » ، وَفِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٥٩ / ٣ : « بَعْثَا » . وَانظُرْ مَعْجَمَ البِلْدَانِ ٧٢٢ / ٣ .

(٢) فِي الأَصْلِ ، م : « صَفَتْ » . وَالمَثْبُوتُ مِنْ نَهَايَةِ الأَرْبِ ١٣٧ / ٣٠ .

(٣ - ٣) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

الفَسَاقِ مِنَ الْبِلَادِ، وَكَانَ لَا يَزِي شَيْئًا مِنَ الْفَسَادِ وَالْمَفَاسِدِ إِلَّا سَعَى فِي إِزَالَتِهِ بِجُهِدِهِ وَطَاقَتِهِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سِيرَتِهِ مَا أَرْشَدَ إِلَى حُسْنِ طَوْبِيَّتِهِ وَسِرِيرَتِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ كَاتِبُهُ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ سِيرَةً مُطَوَّلَةً ، وَكَذَلِكَ ابْنُ شَدَّادٍ أَيْضًا .

وَقَدْ تَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ عَشْرَةً ؛ ثَلَاثَةَ ذُكُورٍ وَسَبْعَ إِنَاثٍ ، وَمَاتَ وَعَمْرُهُ مَا بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى السِّتِينَ ، وَلَهُ أَوْقَافٌ وَصِلَاتٌ وَصَدَقَاتٌ ، تَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ الْحَسَنَاتِ ، وَتَجَاوِزُ لَهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

وَقَامَ فِي الْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ السَّعِيدُ بِمُبَايَعَةِ أَبِيهِ لَهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَكَانَ عَمْرُ السَّعِيدِ يَوْمَئِذٍ دُونَ الْعَشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ وَأَتْمِّ الرِّجَالِ .

وَفِي صَفِيرٍ وَصَلَتْ الْهَدَايَا مِنَ الْفُنْشِ^(١) مَعَ رَسَلِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَوَجَدُوا السُّلْطَانَ قَدْ مَاتَ ، وَقَدْ أُقِيمَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ وَلَدُهُ مَكَانَهُ ، وَالدَّوْلَةُ لَمْ تَتَغَيَّرْ ، وَالْمَعْرِفَةُ بَعْدَهُ مَا تَتَكَرَّرَتْ ، وَلَكِنْ الْبِلَادُ قَدْ فَقَدَتْ أَسَدَهَا بِلَ أَسَدَهَا وَأَسَدَهَا ، بِلَ الَّذِي بَلَغَ أَشَدَّهَا ، وَإِذَا انْفَتَحَتْ ثَغْرَةٌ مِنْ سُورِ الْإِسْلَامِ سَدَّهَا ، وَكَلِمَا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ مِنْ عُزَى الْعَزَائِمِ سَدَّهَا ، وَكَلِمَا رَامَتْ فِرْقَةٌ مَارِقَةً مِنْ طَوَائِفِ الطَّغَامِ أَنْ تَلِجَ إِلَى حَوْمَةِ الْإِسْلَامِ صَدَّهَا وَرَدَّهَا ، فَسَامَحَهُ اللَّهُ ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلَّبَةً وَمَثْوَاهُ .

وَكَانَتْ الْعَسَاكِرُ الشَّامِيَّةُ قَدْ سَارَتْ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَمَعَهُمْ مِخْفَةٌ يُظْهِرُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِيهَا مَرِيضٌ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَجَدَّدُوا الْبَيْعَةَ لِلسَّعِيدِ بَعْدَ مَا أَظْهَرُوا مَوْتَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الَّذِي هُوَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَهِيدٌ .

(١) ذَكَرَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ أَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى مَلُوكِ الْجَلَالِقَةِ مِنَ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ قَاعِدَةُ مَلِكِهِمْ طَلِيظَلَّةٌ وَبِرْشَلُونَةُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، يُقَالُ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ : «أَذْفُونْتَشُ» . وَأَنَّ هَذَا اللَّقْبَ جَارَ عَلَى مَلُوكِهِمْ إِلَى زَمَانِنَا ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَامَةُ «الْفُنْشُ» . صَبْحُ الْأَعْشَى ٤٨٤ / ٥ .

وفى يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خُطب فى جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر ، واستهلَّت عِيناه [١٠٠ / ٨٤ظ] بالدموع .

وفى منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على 'عادة والده' ، وبين يديه الجيش بكماله المصرى والشامى ، حتى وصل إلى الجبل الأحمر ، وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمزه يومئذٍ تسع عشرة سنة ، وعليه أُبهُهُ الملك ورياسة السلطنة .

وفى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فُتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبى حنيفة ، وعمل فيها مشيخة حديث وقارى . وبعده بيوم عُقد عقد ابن الخليفة المُستمسك بالله بن الحاكم بأمر الله على ابنة الخليفة المُستنصر^(٢) بن الظاهر ، وحضر والده والسلطان ووجوه الناس .

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى شُرع فى بناء الدار التى تُعرَف بدار العقيقى ، تُجاه العادلية ، لتُجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر ، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً للعقيقى ، وهى المجاورة لحمام العقيقى ، وأسس أساس التربة فى خامس جمادى الآخرة ، وأُسست المدرسة أيضاً .

وفى رمضان طلعت سحابة عظيمة بمدينة صفد^(٣) لَمع منها بَرَق شديد ،

(١ - ١) فى الأصل ، م : « عاده » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٣٤ / ٣ ، وعقد الجمان ١٨٥ / ٢ ، ١٨٦ .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٢٣٥ / ٣ : « المنتصر » .

(٣) فى الأصل ، م : « صفت » . والمثبت من المصادر .

وسَطَعَ منها لسان نارٍ، وسمِعَ منها صوتٌ شديدٌ هائلٌ، ووقعَ منها على منارةِ صَفَدٍ^(١) صاعقةٌ شقَّتْها مِن أعلاها إلى أسفلها شقًّا يَدْخُلُ الكَفُّ فيه .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

البزواناه^(٢) في العَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَرَمِ .

والمَلِكُ الظَّاهِرُ^(٣) في العَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ .

وقد تقدَّم شيءٌ من ترجمتهما .

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ بيليكِ بنِ عبدِ اللهِ الخَزَنْدَارِ^(٤)، نائبُ الديارِ المصريةِ للملكِ الظاهرِ، كان جَوَادًا مُمدِّحًا، له إلمامٌ ومعرفةٌ بأيامِ الناسِ والتواريخِ، وقد وقَّفَ درسًا بالجامعِ الأزهرِ على الشافعيةِ، ويقالُ: إنه سُمِّ فمات . فلما مات انتَقَضَ بعده حبلُ الملكِ السعيدِ، واضطَّربَتِ أموره .

قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ الحنبليُّ محمدُ بنُ الشيخِ العمادِ أبي إسحاقِ إبراهيمِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ عليِّ بنِ سُروِرِ المقدسيِّ^(٥)، أولُ مَنْ وُلِّيَ قضاةَ قضاةِ الحنابلةِ بالديارِ المصريةِ، سمِعَ الحديثَ حضورًا^(٦) على ابنِ طَبْرَزَدَ وغيرِهِ، ورحل

(١) في الأصل، م: «صفت» .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٦٨/٣، والعبر ٣١٠/٥، والوفائي بالوفيات ٤٥٧/١٥، والسلوك ٦٤٧/١ (القسم الثاني)، والمنهل الصافي ٤٣/٦، وعقد الجمان ١٦٤/٢ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٣، ونهاية الأرب ٣٦٥/٣٠، وكنز الدرر ٢٠٨/٨، والعبر ٣٠٨/٥، والوفائي بالوفيات ٣٢٩/١٠، والسلوك ٤٣٦/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٧٥/٢، والمنهل الصافي ٤٤٧/٣ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢٦٢/٣، ونهاية الأرب ٣٧١/٣٠، والعبر ٣٠٩/٥، والوفائي بالوفيات ١٠/٣٦٥، والسلوك ٦٤٣/١، ٦٤٨ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٩٧/٢، والنجوم الزاهرة ٢٧٦/٧ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢٧٩/٣، ونهاية الأرب ٣٧٦/٣٠، والعبر ٣١١/٥، والوفائي بالوفيات ٩/٢، وعقد الجمان ١٩٣/٢، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني)، والدليل الشافي ٥٧٩/٢ .

(٦) في م: «خصوصا» .

إلى بغداد، واشتغل بالفقه، وتفنن^(١) في علوم كثيرة، وولى مشيخة سعيد الشعداء، وكان شيخاً مهيباً، حسن الشئبة، كثير التواضع والبر والصدقة، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامة كيئة ليقوم في الناس بالحق في حكمه، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين، واعتقله بسبب الودائع التي كانت عنده، ثم أطلقه بعد سنتين، فلزم منزله، واشتقر بتدريس الصالحية إلى أن توفى في أواخر الحرم، وذفن عند عمه الحافظ عبد الغنى بسفح جبل المقطم، وقد أجاز لليزالي.

قال الحافظ اليزالي: وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت ستة أمراء من الديار المصرية؛ سُنقر البغدادي، وبسطا^(٢) البلدي التتري، وبدر الدين الوزيري، وسُنقر الرومي، وأفسنقر الفارقاني^(٣)، رحمهم الله.

الشيخ خضر الكزدئي شيخ الملك الظاهر: خضر بن أبي بكر بن موسى الكزدئي المهراني^(٤) العدوي، ويقال: إن أصله من قرية المحمدية من جزيرة [١٠٨٥] ابن عمر. كان يُنسب إليه أحوال ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلى الملك. فلهذا كان الملك الظاهر يعتقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولى المملكة، ويُعظمه

(١) في الأصل: «تعين».

(٢) في الأصل: «بطا».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٩٨، ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة)، والعبر ٥/٣١٤، والوفى بالوفيات ٩/٣١، والسلوك ١/٦٤٤ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٢/١٩٧، والمنهل الصافي ٢/٤٩٤.

(٤) في الأصل، م: «النهرواني». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٤، ونهاية الأرب ٣٠/٣٧٦، وكنز الدرر ٨/٢٢٠، والعبر ٥/٣٠٩، والوفى بالوفيات ١٣/٣٣٣، والمنهل الصافي ٥/٢١٨، والمقفى الكبير ٣/٧٥٠.

تعظيمًا زائدًا، ويُنزَلُ إلى عنده إلى زاويته في الأسبوع مرةً أو مرتين، ويستصحبه معه في كثيرٍ من أسفاره، ويكرمه ويحترمه ويستشيرُه، فيشيرُ عليه برأيه ومكاشفاتٍ صحيحةٍ مطابقةٍ؛ إما رَحْمَانِيَّةٍ أو شَيْطَانِيَّةٍ، أو حَالٍ أو اسْتِفَادَةٍ^(١)، لكنه أفتتنَ لما خالطَ الناسَ ببعضِ بناتِ الأمراءِ، وكن لا يَحْتَجِبُنَ منه، فوَقَعَ في الفتنةِ. وهذا في الغالبِ واقعٌ في مُخالطةِ الناسِ، فلا يَسْلَمُ المُخَالِطُ لهم من الفتنةِ، ولا سِيَّما مُخالطةَ النساءِ مع تركِ الاحتجابِ^(٢)، فلا يَسْلَمُ العبدُ البتَّةَ منهن. فلما وَقَعَ فيما وَقَعَ فيه حُوقِقَ عندَ السلطانِ ويسرى وَقَلَاوُونَ والفارسِ أَقْطَاى الأتابكِ، فأعْتَرَفَ، فهَمَّ بقتله، فقال له: إنما بينى وبينك أيامٌ قلائلُ. فأمرَ بسَجْنِهِ، فمُجِنَ سنينَ عَدِيدَةً مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ إِلَى سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ، وقد هَدَمَ بِالْقُدْسِ كَنِيْسَةً، وَذَبَحَ قَسِيْسَهَا، وَعَمِلَهَا زَاوِيَةً، وَقَدْ قَدَّمْنَا تَرْجَمَتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيْمَا تَقَدَّمَ^(٣)، ثم لم يَزَلْ مَسْجُونًا حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْخَمِيْسِ سَادِسِ الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْقَلْعَةِ، وَسُلِّمَ إِلَى قَرَابَتِهِ، فَدُفِنَ فِي تَرْبَةِ أَنْشَاها فِي زَاوِيَتِهِ. مَاتَ وَهُوَ فِي عَشْرِ السَّنِينَ، وَقَدْ كَانَ يُكَاشِفُ السُّلْطَانَ فِي أَشْيَاءَ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ قُبَّةُ الشَّيْخِ خَضِرِ التِّي عَلَى الْجَبَلِ غَرْبِي الرَّبْوَةِ، وَلَهُ زَاوِيَةٌ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ.

الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ، يَحْيَى بْنُ شَرْفِ بْنِ مَرْيَ^(٤) بْنِ حَسَنِ بْنِ

(١) في م: «سعادة».

(٢) في م: «الأصحاب».

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٥٠٨.

(٤) - ٤) سقط من: الأصل، م: والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٢٨٣/٣، ونهاية الأرب ٣٨٣/٣٠، والعبر ٣١٢/٥، وتذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي =

حسين بن جماعة بن حزام الحزامي^(١) العالم، مخبي الدين أبو زكريا النَوَوِيُّ ثم
الدمشقي الشافعي العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، وُلِدَ بنَوَى
سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ونَوَى قرية من قرى حوران، وقد قدم دمشق سنة
تسع وأربعين، وقد حفظ القرآن، فشرع في قراءة «التنبيه»، فيقال: إنه قرأه في
أربعة أشهر ونصف، وقرأ رُبْعَ العِبَادَاتِ مِنَ «المَهْدَبِ»^(٢) في بقية السنة، ثم لزم
المشايخ تصحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثنى عشر درسًا على المشايخ،
ثم اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئًا كثيرًا، منها ما أكمله، ومنها ما لم يكمله،
فمما كمل «شرح مسلم» و«الروضه» و«المنهاج» و«الرياض» و«الأذكار»
و«التبيان»، و«تحرير التنبيه وتصحيحه»، و«تهذيب الأسماء واللغات»،
و«طبقات الفقهاء» وغير ذلك. ومما لم يُتَمِّمه - ولو كمل لم يكن له نظير في
بابه - «شرح المهذب» الذي سماه «المجموع»، وصل فيه إلى كتاب الرِّبَا،
فأبدع فيه وأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاد، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره،
وحرر فيه الحديث على ما ينبغي، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه،
وقد جعله نُخبَةً^(٣) على ما عرّف له^(٤)، ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه، على
أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تُزاد فيه وتُضاف إليه.

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحرى والانجماع عن الناس على
جانب كبير، لا يُقدّر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم [٨٥/١٠] الدهر

٨ = ٣٩٥/٨، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٩٤/٢.

(١) في م: «الحزامي». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٢) في م: «المذهب». وهو خطأ.

(٣ - ٣) في الأصل: «ما عضله».

ولا يَجْمَعُ بين إدامتين ، وكان غالبُ قُوته مِمَّا يَحْمِلُهُ إليه أبوه من نَوَى ، وقد باشَر تَدْرِيسَ الإِقْبَالِيَةِ نيابَةً عن ابنِ خَلْكَانَ ، وكذلك ناب في الفَلَكِيَةِ والرُّكْنِيَةِ ، وولى مَشِيخَةَ دارِالحديثِ الأَشْرَفِيَةِ ، وكان لا يُضَيِّعُ شيئاً من أوقاته ، وحجَّ في مدة إقامته بدمشقَ ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ وَيُنْهَى عن المنكرِ للملوكِ وغيرهم . تُوفِّي في ليلةِ أربعٍ وعشرين من رجبٍ من هذه السنةِ بنَوَى ، ودُفِنَ هناك ، رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْهُ .

علِيُّ بنُ عَلِيٍّ بنِ أَسْفنديارِ نَجْمِ الدِّينِ ^(١) ، الواعظُ بجامعِ دمشقَ أيامَ السُّبُوتِ في الأشهرِ الثلاثةِ ، وكان شيخَ الخانقاهِ المُجاهدِيَةِ ، وبها تُوفِّي في هذه السنةِ ، وكان فاضلاً بارِعاً ، وكان جدُّه يَكْتُبُ الإنشاءَ للخليفةِ الناصرِ ، وأصلُهُم من بوشنج ^(٢) . ومِن شعرِ نَجْمِ الدِّينِ هذا قولُهُ :

إذا زارَ بالجُثمانِ غيري فإنني أزوُرُ مع الساعاتِ رَبِّعَكَ بالقلبِ
وما كلُّ ناءٍ عن ديارِ بنازِح ولا كلُّ دايٍ في الحقيقةِ ذو قُوبِ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٧٦/٣، والعبر ٣١١/٥، والدارس ١٦٩/٢، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمال ١٩٥/٢.

(٢) بوشنج: بلدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ٧٥٨/١.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً^(١)

كان أولها يوم الأربعاء، وكان الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللهِ العباسيَّ، وسلطانُ البلادِ شامًا ومصرًا وحلبًا الملكُ السعيدُ.

وفي أوائلِ المحرمِ اشْتَهَرَ بدمشقَ ولايةُ القاضى ابنِ خَلْكَانَ قَضَاءَ دِمَشْقَ عَوْدًا على بَدْءِ فى أواخرِ ذى الحِجَّةِ، بعدَ عَزْلِ سَبْعِ سِنِينَ، فامْتَنَعَ القاضى عِزُّ الدينِ ابنُ الصائغِ مِنَ الحَكْمِ فى سادسِ المحرمِ، وخرَجَ الناسُ لتَلَقَّى ابنِ خَلْكَانَ، فمنهم مَنْ وصلَ إلى الرُّمْلَةِ، وكان دخوله فى يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرينِ مِنَ المحرمِ، فخرَجَ نائبُ السُّلْطَنَةِ عِزُّ الدينِ أَيَّدُمُرُ بِجميعِ الأُمراءِ والمَواكِبِ لتَلْقِيهِ، وفرِحَ الناسُ بذلكَ، ومدَّحَ الشُّعراءُ، وأنشَدَ الفَقِيهَ شمسُ الدينِ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَوَانَ^(٢):

لما تَوَلَّى قَضَاءَ الشَّامِ حَاكِمُهُ قاضى القُضاةِ أبو العباسِ ذو الكرمِ
من بعدِ سَبْعِ شِدادِ قال خادِمُهُ ذا العامُ فيه يُغاثُ الناسُ بالنُّعمِ

وقال سعدُ اللهِ بنُ مَرْوانَ الفارِقِيُّ:

أدَقَّتْ الشَّامَ سَبْعَ سِنِينَ جَدْبًا غَدَاةَ هَجْرَتِهِ هَجْرًا جَمِيلًا

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٢/٣ - ٢٩٧، ونهاية الأرب ٣٨٥/٣٠ - ٣٩١، وكنز الدرر ٢٢٤/٨ - ٢٢٦،
وعقد الجمان ١٩٨/٢ - ٢٠٤.

(٢) فى الأصل، م: «جعفر». وفى عقد الجمان: «جعفران». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. والبيتان
والأبيات التالية فى الوافى بالوفيات ٣١٠/٧ فى ترجمة ابن خلكان.

فلما زُرْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ مَدَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَفِيكَ نَيْلًا
وقال آخرُ :

رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ طُرًّا ما فِيهِمْ قَطُّ غَيْرُ رَاضِي
نَالَهُمُ الْخَيْرُ بَعْدَ شَرِّ فالوقتُ بَسْطُ بلا انْقِباسِ
وَعَوَّضُوا فَرْحَةً بِحُزْنِ قد أَنْصَفَ الدهرُ فِي التَّقَاضِي
وَسَرَّهَمُ بَعْدَ طُولِ غَمِّ بُدُورُ قَاضٍ وَعَزَلُ قَاضِي
وَكُلُّهُمُ شَاكِرٌ وَشَاكٍ بحالِ مُسْتَقْبَلِ وَمَاضِي

قال اليونيني^(١) : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفرٍ ذكر الدرسَ بالظاهرية، وحضر نائب السلطنة أيَّدُمَر الظاهريُّ، وكان درسًا حافلًا حضره القضاة، وكان مُدَرِّسَ الشافعية الشيخُ رشيدُ الدين محمودُ بنُ إسماعيلَ الفارقي، ومدرس الحنفيَّة الشيخُ صدرُ الدين سليمانَ الحنفي، ولم يكنُ بناءُ المدرسة كَمَل.

وفي جمادى الأولى^(٢) باشر قضاء الحنفيَّة صدرُ الدين سليمانَ المذكورُ عَوَضًا عن مَجِدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ، بحكم وفاته، [١٠/٨٦ و] ثم تُوفِّي صدرُ الدين سليمانَ المذكورُ في رمضان، وتولَّى بعده القضاء حُسامُ الدين أبو القضاة الحسنُ بنُ أنوشروانَ الرازي الحنفي، الذي كان قاضيًا بملطية قبل ذلك. وفي العشرِ الأوَّلِ من ذى القعدة فُتِحَت المدرسة النَّجيبية، وحضرَ تَدْرِيسَها ابنُ خَلْكَانَ بنفسه، ثم نَزَلَ عنها لولده كمالِ الدين موسى، وفتحت الخانقاه النَّجيبية، وقد كانتا

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٩٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٥، وعقد الجمال ٢/٢٠٠.

وأوقافهما تحت الحوطة إلى الآن .

وفى يومِ الثلاثاءِ خامسِ ذى الحِجَّةِ^(١) دخلَ السلطانُ السعيدُ إلى دمشقَ ، وقد زُيِّنَتْ له ، وعُمِّلتْ له قِبابٌ ظاهرةٌ ، وخرجَ أهلُ البلدِ لتلقَّيهِ ، وفرحوا به فرحًا عظيمًا لمحبتهم والدَّه ، وصلَّى عيدَ النحرِ بالمَيدانِ ، وعَمِلَ العيدَ بالقلعةِ المنصورةِ ، واستَوَزَرَ بدمشقَ الصاحبَ فَتَحَ الدينَ عبدَ اللهِ بنَ القَيسَرانِيّ ، وبالديارِ المصريةِ بعدَ موتِ بهاءِ الدينِ بنِ الحِيتا الصاحبِ بُرهانَ الدينِ بنِ الخُضَرِ بنِ الحسنِ السُّنْجاريّ ، وفى العَشرِ الآخِرِ مِنْ ذى الحِجَّةِ جَهَّزَ السلطانُ العساكرَ إلى بلادِ سِيسَ صُحبةَ الأميرِ سيفِ الدينِ قَلاوونَ الصالحِيّ ، وأقامَ السلطانُ بدمشقَ فى طائفةِ يَسيرةٍ مِنَ الأُمراءِ والخاصِّكيَّةِ والخواصِّ ، وجعلَ يُكثِرُ التَّرَدُّدَ إلى الرُّنْبِيقِيَّةِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ السادسِ والعشرينِ مِنْ ذى الحِجَّةِ جَلَسَ السلطانُ بدارِ العدلِ داخلَ بابِ النصرِ ، وأسَقَطَ ما كانَ حَدَدَه والدَّه على بَساتينِ أهلِ دمشقَ ، فَتَصاعَفَتْ له منهم الأُدعيَّةُ ، وأحَبُّوه لذلكَ حُبًّا شديدًا ، فإنه كانَ قد أُجْحِفَ بكثيرٍ مِنْ أصحابِ الأُملاكِ ، ووَدَّ كثيرٌ منهم لو تَخَلَّصَ مِنْ مُلكِه جملةً بسببِ ما عليه .

وفيهَا^(٢) طُلِبَ مِنْ أهلِ دمشقَ خمسونَ ألفَ دينارٍ ، صُربَتْ أُجرَةٌ على أُملاكِهِمْ مدَّةَ شهرينِ ، وجُبيَّتْ منهم على القَهْرِ والعَسفِ .

ومَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الأعيانِ :

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٦/٣ .

(٢) عقد الجمال ٢٠٤/٢ .

آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبى أبو سعيد الصالحى^(١)، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وجعله من أكابر الأمراء، وولاه أستاذداريته، وكان يتقن إليه ويعتمد عليه، وكان مولده فى سنة تسع أو عشر وستمائة، وولاه الملك الظاهر أيضًا أستاذداريته، ثم استنابه بالشام تسع سنين، فاتخذ فيها المدرسة النجيبية، ووقف عليها أوقافًا دارّة واسعة، لكن لم يُقرّر للمستحقين قدرًا يُناسب ما وقفه عليهم، ثم عزله السلطان واشتدّ عاه مصر، فأقام بها مدة بطّالًا، ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عادته فى بعضها الملك الظاهر، ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرج ملوخيتا، ودُفن يوم الجمعة قبل الصلاة بترتبه التى أنشأها بالقرافة الصغرى، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية، وفتح لها شباكين إلى الطريق، فلم يُقدّر دفنه بها. وكان كثير الصدقة، مُحجّبًا للعلماء، مُحسِنًا إليهم، حسن الاعتقاد، شافعى المذهب، مُتغاليًا فى السنة ومحبّة الصحابة وبُغض الروافض، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والأراضى التى أوقفها على الجسورة التى قبلى جامع كريم الدين اليوم، وعلى ذلك أوقاف كثيرة، وجعل النظر فى أوقافه لابن خلكان.

أيدكين بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهابى^(٢)، واقف الخانقاه [٨٦/١٠] الشهائية داخل باب الفرج، كان من كبار الأمراء بدمشق، وقد ولّاه الظاهر بحلب مدة، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم، وله حسن ظنّ بالفقراء

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٠، والعبر ٥/٣١٤، والوافى بالوفيات ٩/٣٢٣، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨٧، وعقد الجمان ٢/٢١١.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠١، والوافى بالوفيات ٩/٤٩١، وعقد الجمان ٢/٢١٢، والمنهل الصافى ٣/١٥٢.

والإحسان إليهم ، ودُفِن بترية الشيخ عثمان^(١) الرُّومِي بسفح قاسيون ، في خامس عشر ربيع الأول ، وهو في عشرِ الخمسين ، وخانقائه داخل بابِ الفرج ، وكان لها شُبَّاكٌ إلى الطريق . والشَّهائِي نسبةٌ إلى الطَّوَّاشِي شهابِ الدين رَشِيدِ الكبيرِ الصالحِي .

قاضي القضاة صَدْرُ الدينِ سليمانُ بنُ أبي العزِّ وهَيْبُ أبو الربيعِ الحنفِي^(٢) ، شيخُ الحنفية في زمانه ، وعالمهم شرقًا وغربًا ، أقام بدمشق مدةً يُفتَى ويُدرِّسُ ، ثم انتقل إلى الديارِ المصرية يُدرِّسُ بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق ، فدرِّسُ بالظاهرية ، وولى القضاة بعدَ مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم كانت وفاته ليلةَ الجمعةِ سادسِ شعبانَ ، ودُفِن من الغدِ بعدَ الصلاةِ بدارِهِ بسفحِ قاسيونَ ، وله ثلاثٌ وثمانون سنةً ، ومن لطيفِ شعرِهِ في مملوكٍ تزوَّجَ جاريةً للملكِ المعظَّمِ :

يا صاحبيِّ قفا لي وانظرا عجبًا أتى به الدهرُ فينا من عجائبه
البدرُ أصبحَ فوقَ الشمسِ منزلةً وما العُلُوُّ عليها من مراتبه
أضحى يُمائِلُها حُسنًا و^(٣) صار لها^(٣) كُفُوًا وسار إليها في موابه
فأشكَلُ الفرقَ لولا وَشَى نَمَمَةٌ بصدغِهِ واخضراؤُ فوقَ شاربه

طه بنُ إبراهيمِ بنِ أبي بكرِ كمالِ الدينِ الهذباني^(٤) الإزبليُّ ، كان أدبنا

(١) في الأصل ، م : « عمار » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٢ ، والعبر ٥/٣١٥ ، والوافي بالوفيات ١٥/٤٠٤ ، والجواهر المضية ٢/٢٣٧ ، وعقد الجمان ٢/٢٠٥ .

(٣ - ٣) في الأصل ، م : « شاركها » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٤) في الأصل ، م ، وعقد الجمان : « الهمداني » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٣ ، =

فاضلاً شاعراً، له قُدرةٌ في تَصنيفِ دُويبتِ ، وقد أقام بالقاهرة حتى تُوفِّي بها في
جُمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرةً بالملكِ الصالحِ أيوبَ ، فجعل
يَتَكَلَّمُ في علمِ النجومِ ، فأثَّده على البديهة هذين البيتين :

دَعِ النجومَ لَطُرُقِيَّيَ يَعِيشُ بها وبالعزيمَةِ فانْهَضْ أَيُّها الملكُ
إنِ النبيِّ وأصحابَ النبيِّ نَهَوْا عن النجومِ وقد أَبْصَرْتَ ما ملكوا
وكتبَ إلى صاحبِ له اسمُه شمسُ الدينِ يَسْتَرِيه^(١) بعدَ رَمَدِ أصابه فبرأ

منه :

يَقولُ لِي الكَحَّالُ عَيْنُكَ قد هُدَّتْ فلا تَشْعَلَنَّ قلبًا عليها وطِبَّ نَفْسًا
ولى مدَّةٌ يا شمسُ لم أَرُكُمُ بها وآيَةُ بُرُوءِ العينِ أنْ تُبْصِرَ الشَّمْسًا

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ
عثمان^(٢) جمالُ الدينِ بنِ الشيخِ نجمِ الدينِ البادرائيِّ البغدادىِّ ثمَ الدمشقىِّ ،
درَّسَ بمدرسةِ أبيه من بعده حتى حينَ وفاته يومَ الأربعاءِ سادسِ رجبِ ، ودُفِنَ
بسفحِ قاسيونَ ، وكان رئيسًا حسنَ الأخلاقِ ، جاوزَ خمسينَ سنةً .

قاضى القضاةِ مجدُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ^(٣) الدينِ عمرَ بنِ أحمدَ

= طبقات الشافعية للإسنوى ١٥٣/١ ، والسلوك ٦٥١/١ (القسم الثاني) ، وشذرات الذهب ٣٥٧/٥ .

وجاء لقبه في مرآة الزمان والسلوك وعقد الجمان : « جمال الدين » .

(١) يستزيه : يطلب زيارته .

(٢) في م : « عفان » . وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦ ، والوافي بالوفيات ١٨/١٦٨ ،
وعقد الجمان ٢/٢٠٦ .

(٣) في الأصل ، م : « جمال » . والمثبت من ترجمة كمال الدين عمر التي تقدمت في صفحة ٤٤٢ .

وانظر ترجمة مجد الدين في : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٠ ، والعبر ٥/٣١٥ ،

والوافي بالوفيات ١٨/٢٠١ ، والجواهر المضية ٢/٣٨٦ ، وعقد الجمان ٢/٢٠٦ ، والمقفى الكبير ٤/٨٩ .

ابن العديم الحلبي ثم الدمشقي الحنفي، ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق، وكان رئيساً ابن رئيس، له إحسان وكرم أخلاقي، وقد ولي الخطابة بجامع القاهرة الكبير، وهو أول حنفي وليه، تُوفّي بجوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة، ودُفن بالتربة التي أنشأها عند زاوية الحريري على الشرف القبلي غربي الزيتون.

الوزير ابن الحنا: علي بن محمد بن سليم^(١) بن عبد الله صاحب [٨٧] و٨٧ بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن تُوفّي في سلخ ذى القعدة، وهو جد جد، وكان ذا رأي وعزم وتديير، ذا تمكن في الدولة الظاهرية، لا تمضي الأمور إلا عن رأيه وأمره، وله مكارم على الأمراء وغيرهم، وقد امتدحه الشعراء، وكان ابنه تاج الدين وزير الصُحبة، وقد صودر في الدولة السعيدية.

الشيخ محمد بن الظهير اللغوي: محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الإزبلي الحنفي المعروف بابن الظهير^(٢)، وُلد بإربل سنة ثنتين وستمائة، ثم أقام بدمشق، ودرّس بالقيمازية، وأقام بها حتى تُوفّي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر^(٣)، ودُفن بمقابر الصوفية، وكان بارعاً في النحو واللغة، وكانت له يدٌ طولى في النظم، وله ديوان مشهور، وشعرٌ

(١) في الأصل: «سليمان». وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٤، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨٨، والعبير ٥/٣١٥، والوفائي بالوفيات ٢٢/٣٠، وعقد الجمان ٢/٢٠٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٦، والعبير ٥/٣١٦، والوفائي بالوفيات ٢/١٢٣، وعقد الجمان ٢/٢٠٨، والجواهر المضية ٣/٥٢، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شعبة ص ٤٨، والمقفي الكبير ٥/٢٣٧، وبغية الوعاة ١/٣٧.

(٣) في عقد الجمان: «الأول».

رائق ، فَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ مَأْبَةٌ ومدى عُمْرِهِ سَرِيعٌ ذَهَابَةٌ
(^١) ثُمَّ مِنْ قَبْرِهِ سَيُخَشَرُ فَرْدًا وَأَقْفًا وَحَدَهُ يُوقَى حَسَابَةٌ
مَعَهُ سَائِقٌ لَهُ وَشَهِيدٌ وَعَلَى الْحَرَصِ وَيَحَهُ إِكْبَابَةٌ (^١)
يُخْرِبُ الدَّارَ وَهِيَ دَارُ بَقَاءٍ ثُمَّ يُبْنَى عَمَّا قَرِيبٍ خَرَابَةٌ
عَجَبًا وَهُوَ فِي التَّرَابِ غَرِيقٌ كَيْفَ يُلْهِمُهُ طَيْبُهُ وَعِلَابَةٌ
كُلُّ يَوْمٍ يَرِيدُ نَقْصًا وَإِنْ عُمَدٌ رَحَلَتْ أَوْصَالَه أَوْصَابَةٌ
وَالْوَرَى فِي مَرَاجِلِ الدَّهْرِ رَكْبٌ دَائِمُ السَّيْرِ لَا يُرْجَى إِيَابَةٌ
فَتَزَوَّدُ إِنْ التَّقَى خَيْرٌ زَادٍ وَنَصِيبُ اللَّيْبِ مِنْهُ لُبَابَةٌ
وَأَخُو الْعَقْلِ مَنْ يَقْضِي بِصَدَقٍ (^٢) شَيْبُهُ فِي صِلَاحِهِ وَشِبَابُهُ (^٢)
وَأَخُو الْجَهْلِ يَسْتَلِدُّ هَوَى النَفْسِ سِ فِيَعْدُو (^٣) شَهِدًا لَدَيْهِ (^٣) مَصَابَةٌ

وهي طويلة جدًا قريبة من مائة وخمسين بيتًا ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئًا كثيرًا من شعره الحسن الفائق الرائق .

ابن إسرائيل الحريرى ، محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل ابن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيبانى الدمشقى^(٤) ، وُلِدَ فِي ضَحَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في الأصل : « عمره في مشيبه وشبابه » .

(٣ - ٣) في الأصل : « سهلًا عليه » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/٤٠٥ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩١ ، والعبر ٥/٣١٦ ، والوفى بالوفيات ٣/١٤٣ ،

وفوات الوفيات ٣/٣٨٣ ، وعقد الجمان ٢/٢٠٩ ، والمقفى الكبير ٥/٧٠٨ ، ولسان الميزان ٥/١٩٥ .

وستمائة، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسين بن منصور البصري الحريري، في سنة ثمان عشرة، وكان قد لبس الخوذة قبله من الشيخ شهاب الدين الشهرزوري، وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق، وكان أديبا فاضلا في صناعة الشعر، بارعا في النظم، ولكن في كلامه ونظمه ما يثير به إلى نوع من الحلول والاتحاد على طريقة ابن عربي وابن الفارض وشيخه الحريري. والله أعلم بحاله وحقيقة أمره. توفي بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة، عن أربع وسبعين سنة، ودفن بتربة الشيخ رسلان معه داخل القبّة، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ علي المغربي الذي تخرج على يديه الشيخ علي الحريري شيخ ابن إسرائيل، فمن شعره قوله^(١):

لقد عادني من لاجع الشوق عائد
 وهل نازها بالأجرع الفرد تغتلي
 نديمي من سعدى أديرا حديثها
 منعمة الأطراف رقت محاسنا
 فللبدر ما لاثت عليه خمازها
 فهل عهد ذات الخال بالسفح عائد
 [١٠/٨٧ظ] لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد
 فذكرى هواها والمدامة واحد
^(٢) كما جلّ في حبي لها ما أكابد^(٢)
 وللشمس^(٣) ما جالت عليه القلائد

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٠٦/٣.

(٢ - ٢) في الأصل: «حلى لى فى حبي لها ما أكابد»، وفى م: «حلى لى فى حبيها ما أكابد».

والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

(٣) فى المصدر: «للفصن».

وله (١) :

أَيُّهَا الْمَعْتَاضُ بِالنَّوْمِ الشَّهْرِ ذَاهِلًا يَسْبِخُ فِي بَحْرِ الْفِكْرِ
سَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَى مَالِكِهِ وَاضْطَبِّرْ فَالصَّبْرُ عُقْبَاهُ الظَّفَرُ
لَا تَكُونَنَّ آيِسًا مِنْ فَرْجٍ إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْغَيْرِ (٢)
كَدَّرَ يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الصَّفَا وَصَفًا يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الْكَدْرِ
وَإِذَا مَا سَاءَ (٣) دَهْرٌ مَرَّةً سِرَ أَهْلِيهِ وَمَهْمَا سَاءَ (٣) سَرُّ
فَارَضَ عَنْ رَبِّكَ فِي أَقْدَارِهِ إِنَّمَا أَنْتَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرِ

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين الزملكاني وأصحابه على الشيخ أحمد الأغقف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعارًا كثيرة ، فمنها قصيدته الدالية المطولة التي أولها (٤) :

وَفِي لِي مَنْ أَهْوَاهُ جَهْرًا لِمَوْعِدِي وَأَرْغَمَ عُذَالِي عَلَيْهِ وَحُسْدِي
وَزَارَ عَلَيَّ شَحْطِ (٥) الْمَزَارِ مُطَوَّلًا عَلَيَّ مُغْرَمٍ بِالْوَصْلِ لَمْ يَتَعَوَّدِ
فِيا حُسْنَ مَا أَبْدَى (٦) لِعَيْنِي جَمَالَهُ وَيَا بَرْدَ مَا أَهْدَى إِلَى قَلْبِي الصِّدْيَ
وَيَا صِدْقَ أَحْلَامِي بِيُشْرَى وَصَالِهِ وَيَا نَيْلَ آمَالِي وَيَا نُجْحَ مَقْصِدِي

(١) الذيل على مرآة الزمان ٣/٤١٤ .

(٢) في م : « بالعبر » .

(٣) في المصدر : « شاه » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/٤١٧ ، وفوات الوفيات ٣/٣٨٤ .

(٥) في الأصل ، م : « شط » . والمثبت من مصدرى التخريج . والشحط : البعد . الوسيط (ش ح ط) .

(٦) في الأصل ، م : « أهدى » . والمثبت من مصدرى التخريج .

١) تجلّى وُجودى إذ تجلّى لباطنى
لقد حُقَّ لى عشقُ الوجودِ وأهله

٢) ثم تغزّل فأطال ، إلى أن قال^(٢) :

فلما تجلّى لى على كلِّ شاهدٍ
تجنّبتُ تقييدَ الجمالِ ترفُّعًا
وصار سماعى مُطلقًا منه بدوّه
ففى كلِّ مشهودٍ لقلّيبى شاهدٌ
أراه بأوصافِ الجمالِ جميعها
ففى كلِّ هيفاءِ المعاطيفِ عادةٍ
وفى كلِّ بدرٍ لاحٍ فى ليلِ شعره
وعندَ اعتناقى كلِّ قدِّ مُهفِّهفٍ
وفى الدُّرِّ والياقوتِ والطَّيبِ والحلى
وفى حللِ الأثوابِ راقٍ لناظرى
وفى الراحِ والرَّيحانِ والسمعِ والغنا
وفى الدَّوحِ والأنهارِ والزهرِ^(١) والنَّدَى

وسامرنى بالرمزِ فى كلِّ مشهدٍ
وطالعتُ أسرارَ الجمالِ المُبدِّدِ
وحاشى لثلى من سماعِ مُقيِّدِ
وفى كلِّ مسموعٍ له لحنٌ معبِّدِ^(٣)
بغيرِ اعتقادٍ للحلولِ المبعِّدِ
وفى كلِّ مضقولِ السَّوالفِ أُعيدِ
على كلِّ عُصنِ مائسِ العُطفِ أملدِ^(٤)
ورشقى رضابًا كالرحيقِ المُبرِّدِ
على كلِّ ساجى الطرفِ لَدنِ المُقلِّدِ
بزبرجها من مُذهَّبٍ ومُورِّدِ^(٥)
وفى سجعِ تزجيجِ الحمامِ المعرِّدِ
وفى كلِّ بُشتانٍ وقصرٍ مُشيدِ

(١ - ١) ليس فى فوات الوفيات .

(٢ - ٢) زيادة من : م . والأبيات فى ذيل مرآة الزمان ٤١٩/٣ - ٤٢٢ . وفيها تلميح وتصريح بالحلول والاتحاد كما ذكر المصنف .

(٣) فى المصدر : « معيد » . ومعبد هذا هو : معبد بن وهب . نابغة الغناء العربى فى العصر الأموى . انظر الأعلام ١٧٧/٨ .

(٤) المائس : المختال المتبختر . والعطف : الإبط ، أو المنكب . والأملد : اللين . تاج العروس (م ي س) ، (ع ط ف) ، (م ل د) .

(٥) فى المصدر : « معمد » .

(٦) فى المصدر : « الروح » .

وفي الروضة الفَيْحاءِ تحتَ سَمَائِهَا
 وفي صَفْوِ رَقَاقِ الغَدِيرِ إذا حَكى
 وفي اللهُوِ والأفراحِ والغَفْلَةِ التي
 وعند انبِثاءِ الشربِ في كلِّ مجلسٍ
 وعند اجتماعِ الناسِ في كلِّ جُمُعَةٍ
 وفي لَمعانِ المَشْرِفِيَّاتِ بالوغي
 وفي الأَعْوَجِيَّاتِ العِتاقِ إذا انبَرت
 وفي الشمسِ نُجْلَى^(٣) وهى في بُرُوجِ نورِها
 وفي البدرِ بدرِ الأُفُقِ ليلَةَ تَعَمُّه
 وفي أنجُمِ زانَتِ دُجَهاها كأنها
 [١٠/٨٨] وفي الغَيْثِ رَوَى الأَرْضَ بعدَ هُمودِها
 وفي البرقِ يَغْدُو موهنًا في سحابِه
 وفي حَسَنِ تَمَيِّقِ الخُطابِ وسرعةِ الـ
 وفي رِقَةِ الأَشعارِ راقَتِ لسامِعِ
 وفي عَوْدِ عيدِ الوصلِ مِن بعدِ جَفْوَةٍ
 وفي رَحمةِ المَعشوقِ شَكَوى مُحبِّه
 وفي أُرْيَحِيَّاتِ الكَرِيمِ إلى النَّدى

يُضاحِكُ نورَ الشمسِ نَوَارِها النَّدى
 وقد جَعَلْتَهُ^(١) الرِّيحَ صَفْحَةً مَبْرِدِ
 تُمَكِّنُ أهلَ الفَرِقِ من كلِّ مقصدِ
 بِهَيْجِ بأنواعِ الثُّمارِ المنضدِ
 وعيدِ وإظهارِ الرِياشِ المجددِ
 وفي ميلِ أعطافِ الفَناءِ^(٢) المتأوِّدِ
 تُسابقُ وَفَدَ الرِّيحِ في كلِّ مَطَرِدِ
 لدى الأُفُقِ الشَّرْقِيِّ مرآةَ عَسْجِدِ
 جَلَّتْه سماءٌ مثلُ صَرَحِ مُمَرِّدِ
 نِشاؤُ لآلِ في بِساطِ زَبْرَجِدِ
 قُبَالَ نَداهِ مُتَهَمِّمِ بعدَ مُنْجِدِ
 كباسِمِ ثغْرِ أو حُسامِ مُجَرِّدِ
 جِوابِ وفي الخَطِّ الأنيقِ المَجُودِ
 بَدائِعُها مِن مُقْصِرِ ومُقْصِدِ
 وفي أَمْنِ أَحشاءِ الطَّرِيدِ المُشَرِّدِ
 وفي رِقَةِ الألفاظِ عندَ التَّوَدُّدِ
 وفي عاطفاتِ العَفْوِ مِن كلِّ سَيِّدِ

(١) فى الأصل، م: « جعلته ». والمثبت من المصدر.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى المصدر: « الفتى ». والمتأود: المتثنى. تاج العروس (أ و د).

(٣) فى م: « تحكى ».

وَتَحْرِيكِهِمْ عِنْدَ السَّمَاعِ الْمُقَيَّدِ
 تَنْسَمُ^(١) رُوحَ الْوَعْدِ بَعْدَ التَّوَعُّدِ
 أَشَاهِدُهُ فِيهَا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ
 وَفِي سَطْوَةِ الْمَلِكِ الشَّدِيدِ التَّمَرُّدِ
 وَفِي نَخْوَةِ الْقَرَمِ الْمَهِيْبِ الْمَسْوَدِ
 وَفِي بؤْسِ أَخْلَاقِ التَّدِيمِ الْمُعْرَبِ
 الزَّمَانِ وَفِي إِيْلَامِ كُلِّ مُجَسَّدِ
 عَلِيٍّ وَتَحْسِينِ التَّعَدِّيِّ لِمَعْتَدِي
 وَتَكْحُلُ عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْهُ بِإِثْمِدِ
 يُعَثَّرُ فِيهِ بِالْوَشِيحِ الْمَنْضُدِ
 وَشِدَّةِ عَيْشِ بِالسَّقَامِ مُنْكَدِ
 وَفِي غَدْرِهِ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ مُؤَكَّدِ
 وَدَاعِ الْحِرَّانِ الْجَوَانِحِ مُكْمَدِ
 وَفِي كُلِّ تَشْتِيْتِ وَشَمْلِ مُبَدَّدِ
 وَفِي طَلْلِ بَالِ دَرَاكِسِ مُعْهَدِ
 قِفَارِ وَسَيْلِ بِالْمَزَايِبِ مُزْبَدِ

وَحَالَةِ بَسِطِ الْعَارِفِينَ وَأُنْسِهِمْ
 وَفِي لَطْفِ آيَاتِ الْكِتَابِ الَّتِي بِهَا
 كَذَلِكَ أَوْصَافُ الْجَلَالِ مَظَاهِرُ
 فَفِي صَوْلَةٍ^(٢) الْقَاضِي الْجَلِيلِ وَسَمْتِهِ
 وَفِي حِدَّةِ الْعَضْبَانِ حَالَةَ طَيْبِهِ
 وَفِي صَوْلَةِ الصَّهْبَاءِ حَارَ مُدِيرُهَا
 وَفِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ اللَّذَيْنِ تَقَسَّمَا
 وَفِي سِرِّ تَسْلِيْطِ الثَّقُوسِ بِشَرِّهَا^(٣)
 وَفِي عَسْرِ الْعَادَاتِ يَسْتَعْرِفُ الْقَضَا^(٤)
 وَعِنْدَ اضْطِدَامِ الْخَيْلِ فِي كُلِّ مَوْقِفِ
 وَفِي شِدَّةِ اللَّيْثِ الصَّئُولِ وَبَأْسِهِ
 وَفِي جَفْوَةِ الْمَحْبُوبِ بَعْدَ وَصَالِهِ
 وَفِي رَوْعَةِ الْبَيْنِ الْمُسَيِّءِ وَمَوْقِفِ الْ
 وَفِي فُرْقَةِ الْأُلَافِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ
 وَفِي كُلِّ دَارٍ أَقْفَرَتْ بَعْدَ أَنْسِهَا
 وَفِي هَوْلِ أَمْوَاجِ الْبِحَارِ وَوَحْشَةِ الْ

(١) فِي الْأَصْلِ: «تَقَسَّم». وَفِي ذَيْلِ الْمَرَأَةِ: «تَبَسَم». وَتَنْسَمُ: تَنْسَمُ.

(٢) فِي م: «سَطْوَةٌ».

(٣) فِي ذَيْلِ مَرَأَةِ الزَّمَانِ: «وَنَشْرَهَا».

(٤) فِي م: «وَفِي عَسْرِ الْعَادَاتِ يَشْعُرُ بِالْقَضَاءِ»، وَفِي ذَيْلِ الْمَرَأَةِ: «وَفِي عَثْرِ الْغَارَاتِ يَسْتَعْرِفُ الْقَضَا».

وعند قيامي بالفرائض كلها
وعند خشوعي في الصلاة لعزة ال
وحالة إهلال الحجيج بحجهم
وفي عسر تخليص الحلال وفترة ال
وفي ذكر آيات العذاب وظلمة ال
ويتدو بأوصاف الكمال فلا أرى
فكل ميسر لي إلى كمحسين
فلا فرق عندي بين أنس ووحشة
وسيان إفتارى وصومي وفتري
أرى تارة في حانة الخمر خالعا
تجلى لسرى بالحقيقة مشرب
تعمرت الأوطان بي وتحققت
وقلبي مع الأشياء^(٣) أجمع قلب^(٣)
فهيكل أوثان ودير لراهب
ومرئج لغزلان^(٥) وحانة قهوة

وحالة تسليم لسر التبعيد
مناجى وفي الإطراق عند التهجد
وإعمالهم للعيس في كل فدفد^(١)
ملال لقلب الناسك المتعبد
حجاب وقبض الناسك المتزهد
برؤيته شيئا قبيحا ولا ردى
وكل مفضل لي إلى كمرشد
ونور وإظلام ومذن ومبعد
وجهدى ونومي وادعاء تهجدى
عذارى وطورا في حنية معبد^(٢)
فوقتي ممزوج بكشف مسرمد
مظاهرها عندي بعيني ومشهدى
وسرى^(٤) مقسوم على كل مؤرد
وبيت لنيران وقبلة مسجد
وروضة أزهار ومطلع أسعد

(١) فى الأصل : « فرقد » .

(٢) فى م : « مسجد » . وخلع فلان عذاره : انهمك فى الغى ولم يستح . والحنية : القوس . ويريد بها محراب القبلة لأنه مقوس . الوسيط (ع ذ ر) ، (ح ن و) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « جمع مقلب » . وأجمع : أى الأشياء جميعها . وقلب : يتقلب كيف يشاء . تاج العروس (ق ل ب) .

(٤) فى م : « شربى » .

(٥ - ٥) فى م ، وذيل المرأة : « مسرح غزلان » .

وأَسْرَارُ عِرْفَانٍ وَمِفْتَاحُ حِكْمَةٍ
 وَجَيْشٌ لَضِرْغَامٍ وَخِدْرٌ لِكَاعِبٍ
 تَقَابَلَتِ الْأَضْدَادُ عِنْدِي [١٠/٨٨٨ ط] جَمِيعُهَا
 وَأَحْكَمْتُ تَقْرِيرَ الْمَرَاتِبِ صَوْرَةً
 فَمَا مَوْطِنٌ إِلَّا وَلى فِيهِ مَوْقِفٌ
 فَلَا غَرَوَ إِنْ فُتَّ الْأَنَامَ بِهَا وَقَدْ
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ تَشْفَعُ دَائِمًا
 وَأَنْفَاسُ وَجْدَانٍ وَفَيْضُ تَبَلُّدٍ
 وَظَلْمَةٌ حَيْرَانٍ وَنَوْرٌ لِمُهْتَدِي
 كَمَحَنَةِ مَجْهُودٍ وَمِنْحَةٍ مُجْتَدِي
 وَمَعْنَى وَمِنْ عَيْنِ التَّفَرُّدِ مَوْرِدِي
 عَلَى قَدَمٍ قَامَتْ بِحَقِّ التَّفَرُّدِ
 عَلِقْتُ بِحَبْلِ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ
 بِرُوحِ تَحْيَاتِ السَّلَامِ الْمُرَدِّدِ

ابن العودِ الرافضِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ^(١) الْحَسَنِ بْنِ الْعُودِ نَجِيبُ الدِّينِ
 الْأَسَدِيُّ الْحَلِّيُّ ، شَيْخُ الشُّعْبَةِ وَإِمَامُهُمْ وَعَالِمُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ
 وَمُشَارَكَةٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَحَاضِرَةِ وَالْمُعَاشِرَةِ ، لَطِيفَ النَّادِرَةِ ،
 وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَبُّدِ بِاللَّيْلِ ، وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ . وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
 وَتُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنِ سِتِّ وَتِسْعِينَ سَنَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ
 وَسِرَائِرِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ .

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤٣٤/٣ ، والعبير ٣٢٥/٥ ،
 ومرآة الجنان ١٩١/٤ . وجاءت وفاته في المصدرين الأخيرين في سنة تسع وسبعين وستمائة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة^(١)

كان أولها يوم الأحد، والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها. وقد اتفق في هذه السنة أمورٌ عجيبة، وذلك أنه وقع الخلف بين الممالك كلها، اختلفت التتار فيما بينهم، واقتتلوا فقتل منهم خلقٌ كثير، واختلفت الفرج في السواحل، وصال بعضهم على بعض، وقتل بعضهم بعضاً، وكذلك الفرج الذين في داخل البحور وجزائرها اختلفوا واقتتلوا، واقتتل قبائل الأعراب بعضها في بعض قتالاً شديداً، وكذلك وقع الخلف بين العشير من الحوارنة، وقامت الحرب بينهم على ساق، وكذلك وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية، بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بعث الجيش إلى سببس أقام بعده بدمشق، وأخذ في اللهو واللعب والأنساط مع الخاصكية، وتمكنوا من الأمور، وبعد عنه الأمراء الكبار، فعصت طائفة منهم وناذروه وفارقوه، وأقاموا بطريق العساكر الذين توجهوا إلى سببس وغيرهم، فرجعت العساكر إليهم، فلما اجتمعوا شعنوا قلوبهم على الملك السعيد، ووحشوا خواطر الجيش عليه، وقالوا: الملك لا ينبغي له أن يلعب ولا يلهو، وإنما هممة الملوك في العدل ومصالح المسلمين، والذّب عن حوزتهم، كما كان أبوه^(٢). ثم راسله الجيش في إبعاد

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٤ - ١٢، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٣ - ٤٠٠، ٧/٣١ - ٣٠، وكنز الدرر ٨/٢٢٦ -

٢٣٥، والعبر ٥/٣١٧ - ٣٢٢، وتذكرة النبي ١/٤٨ - ٥٢، وعقد الجمان ٢/٢١٥ - ٢٣٩.

(٢) بعده في م: « وصدقوا فيما قالوا فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك وفساد الرعية ».

الخاصِّكِيَّةِ عنه ودُنُو ذَوِي الأَخْلَامِ والنَّهْيِ إليه كما كان أبوه يَفْعَلُ، فلم يَقْبَلْ، وذلك كان لا يُمَكِّنُهُ ذلك؛ لقوَّةِ شوْكَةِ الخاصِّكِيَّةِ وكثرتهم، فركب الجيش وساروا قاصِدِينَ مَرَجِ الصُّفْرِ، ولم يُمَكِّنْهُمُ العبورُ على دمشق، بل أخذوا من شرقها، فلما اجْتَمَعُوا كُلُّهُم بِمَرَجِ الصُّفْرِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ أُمَّهَ إِلَيْهِمْ، فَتَلَقَّوْهَا وَقَبَلُوا الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَأَخَذَتْ تَتَأَلَّفُهُمْ^(١) وَتُضَلِّحُ الأُمُورَ، فَأَجَابُوهَا وَاشْتَرَطُوا شُرُوطًا عَلَى وَلَدِهَا السُّلْطَانِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ لَمْ يَلْتَزِمْ بِهَا، وَلَمْ تُمَكِّنْهُ الخاصِّكِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ، فَسَارَتْ العَسَاكِرُ إِلَى الدِيَارِ المِصْرِيَّةِ، فَسَاقَ السُّلْطَانُ حَلْفَهُمْ لِيَتَلَفَى الأُمُورَ قَبْلَ تَفَاقُمِهَا، فَلَمْ يَلْحَقْهُمْ [١٠/٨٩و]، وَسَبَقُوهُ إِلَى القَاهِرَةِ، وَقَدْ كَانَ أَرْسَلَ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ وَتَقَلَّهَ إِلَى الكَرْكِ، فَحَصَّنَهُمْ فِيهَا، وَرَكِبَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الجَيْشِ الذِينَ بَقُوا مَعَهُ وَالخاصِّكِيَّةِ قَاصِدِ الدِيَارِ المِصْرِيَّةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا صَدُّوهَ عَنِهَا، وَقَاتَلُوهُ فَقُتِلَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ نَفْرٌ يَسِيرٌ، فَأَخَذَهُ بَعْضُ الأَمْرَاءِ، فَشَقَّ بِهِ الصُّفُوفَ، وَأَدْخَلَهُ قَلْعَةَ الجَبَلِ لِيَسْكُنَ الأَمْرُ، فَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا، فَحَاصَرُوا حَيْثُذِ القَلْعَةِ، وَقَطَعُوا عَنْهَا المَاءَ، وَجَرَّتْ حُطُوبٌ طَوِيلَةٌ وَأَحْوَالٌ صَعِبَةٌ. ثُمَّ اتَّفَقَ الحَالُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِينِ قَلَاوُونَ الأَلْفِيِّ الصَّالِحِيِّ - وَهُوَ المُشَارُ إِلَيْهِ حَيْثُذِ - عَلَى أَنْ يَتْرَكَ المَلِكُ السَّعِيدُ المَلِكَ، وَيَتَعَوَّضَ بِالكَرْكِ وَالشُّوْبَكِ، وَيَكُونَ فِي صُحْبَتِهِ أَخُوهُ نَجْمُ الدِينِ خَضِرٌ، وَتَكُونَ المَمْلَكَةُ إِلَى أَخِيهِمَا الصَّغِيرِ بَدْرِ الدِينِ سَلَامُشَ، وَيَكُونَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِينِ قَلَاوُونَ أَتَابِكَهُ.

(١) فِي الأَصْلِ: «تتلافهم».

ذَكَرَ خَلَعَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ

وَتَوَلِيَةِ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَلَامُش

لَمَّا اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا نَزَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ فِي سَابِعِ عَشَرَ الشَّهْرِ، وَهُوَ رِيْعُ الْآخِرِ، وَحَضَرَ الْقَضَاءُ وَالِدَوْلَةَ مِنْ أَوْلَى الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَخَلَعَ السَّعِيدُ نَفْسَهُ مِنَ السُّلْطَنَةِ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ بَدَرَ الدِّينِ سَلَامُشَ، وَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَعَمَرَهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعَ سِنِينَ، وَجَعَلُوا أَتَابِكَهَ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ قَلَاوُونَ الْأَلْفَيَّ الصَّالِحِيَّ، وَخَطَبَ الْخُطْبَاءَ، وَرُسِمَتِ السُّكَّةُ بِاسْمِهِمَا، وَجُعِلَ لِلسَّعِيدِ الْكَرْكُ، وَلِأَخِيهِ خَضِرِ الشُّوْبَكُ، وَكُتِبَتْ بِذَلِكَ مَكَاتِيْبُ، وَوَضَعَ الْقَضَاءُ وَالْمُقْتُونَ خُطُوطَهُمْ بِذَلِكَ، وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ إِلَى الشَّامِ بِالتَّخْلِيْفِ لَهُمْ عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ الْمِصْرِيُّونَ. وَمُسِكَ الْأَمِيرُ أَيَّدَمُرُ نَائِبُ الشَّامِ الظَّاهِرِيُّ، وَاعْتَقَلَ بِالْقَلْعَةِ عِنْدَ نَائِبِهَا، وَكَانَ نَائِبُهَا إِذْ ذَاكَ عَلَّمُ الدِّينِ سَنْجَرُ الدَّوَادَرِيُّ، وَأُحِيطَ عَلَى أَمْوَالِ نَائِبِ الشَّامِ وَخَوَاصِلِهِ، وَجَاءَ عَلَى نِيَابَةِ الشَّامِ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ سُنُقُرُ الْأَشْقَرُ فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ، وَتَحَكَّمَ مَكِينٍ، فَنَزَلَ بَدَارِ السَّعَادَةِ، وَعَظَّمَهُ النَّاسُ وَعَامَلُوهُ مَعَامَلَةَ الْمَلُوكِ، وَعَزَلَ السُّلْطَانُ قِضَاءَ مِصْرَ الثَّلَاثَةَ؛ الشَّافِعِيَّ وَالْحَنْفِيَّ وَالْمَالِكِيَّ، وَوَلَّوْا الْقَضَاءَ صَدْرَ الدِّينِ عَمَرَ ابْنَ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنَ بِنْتِ الْأَعْرُ عَوْضًا عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ رَزِينٍ، وَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا عَزَلُوهُ لِكَوْنِهِ تَوَقَّفَ فِي خَلَعِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِي

لما كان يومُ الثلاثاءِ الحادى والعشرين من رجبِ اجْتَمَعَ الأُمراءُ بقلعةِ الجبلِ من مصرَ، وخالَعوا الملكَ العادلَ سَلامُش بنَ الظاهرِ، وأخْرَجوه مِنَ البَيْتِ، وإنما كانوا قد بايعوه صورةً لَيْسَ كَنَ الشَّرُّ عِنْدَ خَلْعِ الملكِ السعيدِ، ثم اتَّفَقوا على بَيْعَةِ الملكِ المنصورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِي، ولَقَّبوه بالملكِ المنصورِ، وجاءتِ البَيْعَةُ إلى دِمَشقَ، فوافقَ الأُمراءُ وحلفوا، وذُكِرَ أنَ الأميرِ شمسَ الدينِ سُنُقَرَ الأَشْقَرَ لم يَحْلِفْ مع الناسِ ولم يَؤْضُ بما وَقَعَ، وكأنه داخلُه حسدٌ مِنَ المنصورِ؛ لأنَّه كان يَري أَنه أعظَمُ منه عِنْدَ الظاهرِ. وخطبَ للمنصورِ على المنابرِ المصريةِ والشاميةِ، وضرِبَتِ السُّكَّةُ باسمِه، وجرتِ الأمورُ فى البلادِ بمُقْتَضَى رأيه، [١٠/٨٩ظ] فعزَلَ ووَلَّى، ونفَذَتِ مَراسيمُه فى سائرِ البلادِ بذلك، فعزَلَ عن الوِزارَةِ بُزْهانَ الدينِ السُّنْجَارِيَّ، ووَلَّى مكانَه فخرَ الدينِ بنَ لُقْمانَ كاتبَ السِّرِّ وصاحبَ ديوانِ الإنشاءِ بالديارِ المصريةِ.

وفى يومِ الخَميسِ حادى عَشَرَ ذى القَعْدَةِ مِنْ هذه السِنَةِ تُوفِّيَ الملكُ السعيدُ ابنُ الملكِ الظاهرِ بالكَرْكِ، وسيأتى ذِكْرُ ترجمتِه، إن شاء اللهُ تعالى.

وفىها حُجِلَ الأميرُ أَيْدَمُرُ الذى كان نائِبَ الشَّامِ، فى مِحْفَةٍ - لمرضِ لِحْقِه - إلى الديارِ المصريةِ، فدخَلها فى أوْاخِرِ ذى القَعْدَةِ، وَاغْتَقِلَ بقلعةِ مصرَ.

ذِكْرُ سُلْطَنَةِ سُنُقَرَ الأَشْقَرَ بِدِمَشقَ

لما كان يومُ الجمعةِ الرابعِ والعشرونِ مِنْ ذى القَعْدَةِ رَكِبَ الأميرُ شمسُ الدينِ

سُنُقُرُ الْأَشَقَرُ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَيَبِينُ يَدِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنُودِ مُشَاةً، وَقَصَدَ بَابَ الْقَلْعَةِ الَّذِي يَلِي الْمَدِينَةَ، فَهَجَمَ مِنْهُ، وَدَخَلَ الْقَلْعَةَ، وَاسْتَدْعَى الْأَمْرَاءَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى السُّلْطَنَةِ، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْكَامِلِ، وَأَقَامَ بِالْقَلْعَةِ، وَنَادَتْ الْمُنَادِيَةُ بِدِمَشْقَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ السَّبْتِ اسْتَدْعَى بِالْمُقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ وَرُؤَسَاءِ الْبَلَدِ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالْقَلْعَةِ وَحَلَّفَهُمْ، وَحَلَفَ لَهُ بَقِيَّةُ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ، وَأَرْسَلَ الْعَسَاكِرَ إِلَى غَزَّةَ لِحَفَظِ الْأَطْرَافِ وَأَخَذَ الْعَلَاتِ، وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ إِلَى الشَّوْبَكِ، فَتَسَلَّمَهَا نُوَّابِهِ، وَلَمْ يُيَاغِعْهُمْ تَجْمُ الدِّينِ خَضِرًا.

وفيهما جُذِّدَتْ خَمْسَةٌ^(١) أَضْلَاعٌ فِي قَبَةِ النَّسْرِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرِيبَةِ.

وفيهما عُزِلَ فَتْحُ الدِّينِ بْنِ الْقَيْسِرَانِيِّ مِنَ الْوِزَارَةِ بِدِمَشْقَ، وَوَلِيَهَا تَقِيُّ الدِّينِ^(٢) تَوْبَةُ التُّكْرَيْتِيُّ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

عَزُّ الدِّينِ بْنِ غَانِمِ الْوَاعِظُ: عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غَانِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَسَاكِرَ بْنِ حُسَيْنِ عَزِّ الدِّينِ^(٣) أَبُو مُحَمَّدٍ^(٣) الْأَنْصَارِيُّ الْمَقْدِسِيُّ، الْوَاعِظُ الْمَطْبُوقُ الْمَفْلُوقُ الشَّاعِرُ الْفَصِيحُ، الَّذِي نَشَجَ عَلَى مِثْوَالِ ابْنِ الْجَوَزِيِّ وَأَمْثَالِهِ، وَقَدْ أَوْزَدَ لَهُ قُطْبُ الدِّينِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً كَثِيرَةً مَلِيحَةً، وَكَانَ لَهُ قَبُولٌ عِنْدَ النَّاسِ، تَكَلَّمَ مَرَّةً نَجْمَةَ الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمَةِ، وَكَانَ فِي الْحَضْرَةِ الشَّيْخِ تَائِحِ الدِّينِ الْفَرَارِيِّ، وَالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَابْنِ الْعَجَّيْلِ مِنَ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ

(١) فِي م: «أربعة».

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، م: «بن». وَالمَثْبُوتُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ ٢/٢٣٦، وَالسَّلُوكِ ١/٦٦٥.

(٣ - ٣) فِي م: «أحمد». وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤/١٣، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/٥٤، وَالْعَبْرَ

٥/٣٢١، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٨/٤١٤، وَمَرَاةُ الْجَمَانِ ٤/١٩٠، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/٢٣٨.

العلماء والعُبادِ ، فأجاد وأفاد ، وخطب فأبلغ وأحسن . نقل هذا المجلس الشيخ شرف^(١) الدين الفزاري ، وأنه كان في سنة خمس وسبعين .

الملك السعيد بن الملك الظاهر بركة خان : ناصر الدين محمد بركة خان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري^(٢) ، بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفى أبوه بُويع له بالملك ، وله تسع عشرة سنة ، ومشت له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخاصكية ، فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوي ، وربما جاءت التوبة عليه ، فينزّل لهم ، فأثكرت الأمراء الكبار ذلك ، وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فراسلوه في ذلك ليرجع عما هو عليه ، فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك [١٠/١٠٩٠] في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة ، يقال : إنه سُم . فالله أعلم^(٣) . وقد دُفن أولاً عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بمؤتة ، ثم نُقل إلى دمشق ، فدُفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة ، وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر ، ولقب بالملك المسعود ، فانتزعتها المنصور من يده ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « تقي » ، وفي م : « تاج » . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٣/٤ ، والعبر ٣٢١/٥ ، والوافي بالوفيات ٢٧٤/٢ ، وتذكرة النبيه ٥٣/١ ، والسلوك ٦٦٩/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢٣٢/٢ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٥٩ .
(٣) وذكرت أكثر المصادر أن مما قيل أيضًا في سبب موته أنه تقطر من على فرسه - أي وقع من فوقه على جنبه - فحُم بسبب ذلك فمات بعد مدة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة^(١)

كان أولها يوم الخميس ثالث أيار، والخليفة الحاكم بأمر الله أحمد العباسي، ومليك مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى، وبعض بلاد الشام أيضًا، وأما دمشق وأعمالها فقد ملكها سنقر الأشقر، وصاحب الكرك الملك المسعود^(٢) بن الظاهر، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود، والعراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر وخراسان وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدى التتار، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضًا، ولكن فيها غياث الدين بن^(٣) زكن الدين، ولا حاكم له سوى الاسم، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف^(٤) بن عمر، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبى نمى^(٥) الحسنى، وصاحب المدينة عز الدين جماز ابن شيحة الحسينى.

ففى مُشْتَهَلِ السَّنَةِ المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان، وبين يديه الأمراء ومقدمو الحلقة يحملون^(٥) العاشية، وعليهم الخلع، والقضاة والأعيان ركب معه، فسير فى الميدان ساعة، ثم رجع إلى

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٥/٤ - ٥٤، ونهاية الأرب ٦٣/٣١ - ٧٢، والعبر ٣٢٢/٥ - ٣٢٥، وكنز

الدرر ٢٣٥/٨ - ٢٣٩، وتذكرة النبيه ٥٧/١ - ٦٠، وعقد الجمان ٢٤٠/٢ - ٢٥٨.

(٢) فى الأصل: «السعيد».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل: «شمى». وانظر ترجمته فيما سياتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة.

(٥) سقط من: م.

القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مُهتّا ملك العرب ، فقبِل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السَّماط ، وقام له الملك الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحِجاز ، وأمر الكامل سُتْقَر أن تُضاف البلاد الحَلبية إلى ولاية القاضي شمس الدين بن خَلْكَان ، وولاه تَدْرِيس الأَمينية ، وانتزَعها من ابن سِنِّي الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سُتْقَر الأَشْقَر بالشام أرسل إليه جيشًا كثيرًا ، فهزَموا عَشْكَر سُتْقَر الأَشْقَر الذي كان قد أرسله إلى غَزَّة ، وساقوهم بين أيديهم حتى وصل جيشُ المِصْرين إلى قريبِ دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يُضْرَب دِهْلِيْزُهُ بالجُشورة ، وذلك في يومِ الأربعاءِ ثانيَ عشرِ صفرٍ ، ونهَض بنفسه وبمَن معه ، فنزل هنالك ، واستخَدَم خلقًا كثيرًا ، وأنفق أموالًا جزيلاً ، وأنضاف إليه عربُ الأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بن مُهتّا ، وشهابِ الدينِ أحمدَ بنِ حَجِّي ، ونَجْدَةُ حلبَ ونَجْدَةُ حماةَ ورجالٌ كثيرةٌ من جبالِ^(١) بَغْلَبَك ، فلما كان يومُ الأحدِ السادسِ عشرِ من صفرٍ أقبل الجيشُ المِصرِيُّ صُحْبَةً الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنَجَرَ الحَلبيِّ ، فلما تراءى الجمعان وتقابل الفريقان تقاتلوا إلى الرابعةِ في النهار ، فقتلَ نَفَرٌ كثيرٌ ، وثبت الملكُ الكاملُ سُتْقَرُ الأَشْقَرُ ثباتًا جيدًا ، ولكن خامر عليه الجيشُ ، فمنهم من صار إلى المِصرِ ، ومنهم من انهزم في كلِّ وجهٍ ، وتفرَّق عنه أصحابه ، فلم يسعه إلا الانهزامُ على طريقِ المَوجِ في طائفةِ يَسيرةٍ ، في صُحْبَةِ عيسى بن مُهتّا ، فسار بهم إلى بَرِّيَّةِ الرَّحْبَةِ ، فَأَنْزَلَهُمْ فِي بيوتٍ من شَعْرِ ، وأقام بهم وبدوا بهم مدةً مُقامِهِمْ عنده ، ثم بعث الأمراء الذين انهزموا

(١) في م : « رجال » .

عنه ، فأخذوا لهم أماناً من الأمير سنجَر ، وقد نزل في ظاهرِ دمشق وهي مغلوقَةٌ ، [٩٠ / ١٠] فراسل نائب القلعة ، ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلد ، فتسلّمها للمنصور ، وأُفرج عن الأمير ركن الدين يبيزس العجمي المعروف بالجالقي^(١) ، والأمير حسام الدين لاجين المنصوري ، وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم سنقر الأشقر ، وأرسل سنجر البريدية إلى الملك المنصور يُعلمونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر ثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .

وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليُسلم على الأمير سنجَر الحلبي ، فاعتقله في علو الخانقاه النجيبية ، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجم الدين بن سنّي الدولة بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور بالعتب على طوائف الناس ، والعفو عنهم كلهم ، فتضاعفت له الأدعية ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين السلخدار المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجَر الحلبي ، فرتبته بدار السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحوّل من المدرسة العادلية الكبيرة ؛ ليشككها نجم الدين ابن سنّي الدولة ، وألح عليه في ذلك ، فاستدعى جمالاً ليتنقل أهله وثقله عليها إلى الصاحية ، فجاء البريد بكتاب من السلطان ، فيه تقرير ابن خلكان على القضاء ، والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، ومعه خلعة سنية له ، فلبسها وصلّى بها الجمعة ، وسلّم على الأمراء ، فأكرموه وعظّموه ، وفرح الناس به وبما وقع من الصّفح عنه .

(١) في م : « بالخالق » .

وأما سُئُقَرُ الْأَشْقَرُ فإنه لما خَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ فِي طَلْبِهِ فَارَقَ الْأَمِيرَ عَيْسَى بْنَ مَهْنًا، وَسَارَ إِلَى السَّوَاهِلِ، فَاسْتَحْوَذَ مِنْهَا عَلَى حُصُونٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا صِهْيُونُ، وَقَدْ كَانَ بِهَا أَوْلَادُهُ وَحَوَاصِلُهُ، وَحَصْنُ بَلَاطُنُسَ^(١) وَبَرْزِيَّةَ وَعَكَّارٍ وَجَبَلَةَ وَاللَّادِزِيَّةَ، وَالشُّعْرَ^(٢) وَبَكَاسَ^(٣) وَشَيْرَزَرَ، وَاسْتَنَابَ فِيهَا الْأَمِيرَ عَزَّ الدِّينَ أَرْدَمَرَ الْحَاجَّ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانَ الْمَنْصُورَ لِحَصَارِ شَيْرَزَرَ طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتِ التَّتَارُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ لَمَّا سَمِعُوا بِتَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ إِلَى الشَّامِ، وَمِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، فَوَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى حَلَبَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَظَنُّوا أَنَّ جَيْشَ سُئُقَرِ الْأَشْقَرِ يَكُونُ مَعَهُمْ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَوَجَدُوا الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ^(٣) كَتَبَ إِلَى سُئُقَرِ الْأَشْقَرِ: إِنَّ التَّتَارَ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُضْلِحَةُ أَنَّ تَتَفَقَّ عَلَيْهِمْ لَثَلَا يَهْلِكُ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَإِذَا مَلَكَوا الْبِلَادَ لَمْ يَدْعُوا مِنَّا أَحَدًا. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُئُقَرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَبَرَزَ مِنْ حَصِينِهِ، فَخَيَّمَ بِجَيْشِهِ لِيَكُونَ عَلَى أَهْبَةِ مَتَى طُلِبَ أَجَابَ، وَنَزَلَتْ نُوَابِهِ مِنْ حُصُونِهِمْ، وَبَقُوا مُسْتَعِدِّينَ لِقِتَالِ التَّتَارِ، وَخَرَجَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْ مِصْرَ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ.

(١) فِي م: «بِلَاطُس». وَبِلَاطُنُس: حِصْنٌ مَنِيعٌ بِسَوَاحِلِ الشَّامِ مَقَابِلَ اللَّادِزِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ. مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٧١٠/١.

(٢) سَقَطَ مِنْ: م. وَالمَثْبُوتُ مِنْ مَرَاةِ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرُ: قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ يُقَابِلُهَا قَلْعَةُ بَكَاسَ. وَانظُرْ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٧٠٤/١.

(٣) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤٥/٤: «أَمْرَاءُ الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ».

وفى يوم الجمعة^(١) الثامن والعشرين^(١) من جمادى الآخرة قُرى على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد بالملك إلى ابنه على، ولُقّب بالملك الصالح، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريديّة، فأخبروا برُجوع التّار من حلب إلى بلادهم، وذلك لما بلغهم من اتّفاق كلمة المسلمين، [٩١/١٠] ففرح المسلمون بذلك، ولله الحمد، وعاد المنصور إلى مصر، وكان قد وصل إلى غزّة، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام، فوصل إلى مصر في نصف شعبان.

وفى جمادى الآخرة أُعيد بُوهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر، ورجع فخر الدين بن لقمان إلى كتابة الإنشاء.

وفى أواخر رمضان أُعيد إلى القضاء ابن رزين، وعزل ابن بنت الأعرّ، وأُعيد القاضى نفيّس الدين بن شكر المالكي، ومعيّن الدين الحنفي، وتولّى قضاء الحنابلة عز الدين المقدسي.

وفى ذى الحجة جاء تقليد ابن خلّكان بإضافة المعاملة الحليّة إليه يستنيب فيها من يشاء من نوابه.

وفى مُستَهَلّ ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصداً الشام، واستناب على مصر ولده الملك الصالح على بن المنصور إلى حين رُجوعه.

قال الشيخ قُطب الدين^(٢): وفى يوم عرفة وقع ببلاد مصر بردٌ كبارٌ أثلف شيئاً كثيراً من المُغلات، ووقعت صاعقة بالإسكندرية وأخرى فى يومها تحت

(١ - ١) فى الأصل، م: «الثالث». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٦/٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥٣/٤.

الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها ، فأخذ ذلك الحديد فسيك ، فخرج منه أواق بالرطل المصرى .

وجاء السلطان فنزل بعساكره نجاة مدينة عكا ، فخافت الفرنج منه خوفاً شديداً ، وراسلوه فى طلب تجديد الهدنة^(١) فإنه كان قد انتهى أمد ما كان قبلها ، فأقام بهذه المنزلة إلى أول سنة ثمانين ، فكانت فيها الهدنة^(٢) ، وجاء الأمير عيسى ابن مهنّا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور وهو بهذه المنزلة ، فتلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه ، وعامله بالصّفح والعفو والإحسان .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسى^(٣) ، أحد أمراء الإسلام ، وهو الذى باشر قتل كئبغاويين أحد مقدّمى التتار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذى مسك عزّ الدين أيدمر الظاهرى فى حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

الشيخ الصالح داود بن حاتم بن عمر الحبال^(٤) ، كان حنبلى المذهب ، له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حرّان ، وكانت إقامته ببغلبك ، وتوفى فيها ، رحمه الله تعالى ، عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه اليونينى .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٥٥ ، والوافى بالوفيات ٩/٣٢٥ ، وعقد الجمان ٢/٢٦٠ ، والمنهل الصافى ٣/

٢١ - وجاءت وفاته فيه فى سنة ثمان وسبعين وستمائة - والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٤ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/٥٥ ، وعقد الجمان ٢/٢٥٩ ، والدليل الشافى ١/٢٩٥ .

الأمير الكبير نور الدين علي بن عمر، أبو الحسن الطورثي^(١)، كان من أكابر الأمراء،^(٢) وله السعي المشكور في قتال الفرنج، وله عندهم ذكر عظيم، وموقع كبير، مات^(٣) وقد نيف على تسعين سنة، وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مضاف سنقر الأشقر تحت سنايك الخيل، فمكث بعد ذلك متمرّضا إلى أن مات بعد شهرين، ودفن بسفح قاسيون.

الجزائر الشاعر، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، جمال الدين أبو الحسين^(٤) المصري، الشاعر الماجن، المعروف بالجزار، مدح الملوك والوزراء والأمراء، وكان ماجنا ظريفا حلوا المحاضرة^(٥)، ولد في حدود ستمائة بعدها بسنة أو سنتين، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة. ومن شعره:

أذكر كوني فبى من البرد هم
ليس يُنسى وفي حشائي^(٥) التيهاب
أبششى الأطماع [٩١/١٠] وهما فها جند
مى عار ولى قيرى وثياب
كلما ازرق لون جسمى من البر
د تحيئت أنه سنجاب
وقال وقد تزوج أبوه بعجوزة:

(١) فى الأصل: «الطيورى». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٥٦/٤، ونهاية الأرب ٧١/٣١، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث).

(٢) - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «الحسن». وانظر مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٦١/٤، ونهاية الأرب ٧١/٣١، والعبر ٣٢٤/٥، وفوات الوفيات ٢٧٧/٤، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٥.

(٤) فى م: «المنظرة».

(٥) فى الأصل: «حياتى»، وفى ذيل مرآة الزمان: «حشائى».

تزوِّج الشيخُ أبا^(١) شيخَةً
كأنها في فَرْشِها رِمْةٌ
«وقائلٌ قال لى^(٢) كم سنُّها
لو سَفَرَتْ غُرَّتُها في الدُّجى
ليس لها عَقْلٌ ولا ذَهْنٌ
وشَعْرُها مِن حَوْلِها قُطْنٌ
فقلتُ ما في فِمْها سِنُّ
ما جَسَرَتْ تُبْصِرُها الجِئُّ

(١) في ذيل مرآة الزمان ٦٤/٤: «إلى» .

(٢ - ٢) في م: «وقال لى»، وفي الأصل: «قائل لى قال». والمثبت من ذيل مرآة الزمان .

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم، وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون .
وفي عاشر المحرم انعقدت الهدنة بين أهل عكا والمزقب والسلطان،
وكان نازلاً على الرُّوحاء^(٢)، وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان
معه، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سُقَّر الأشر، ودخل
المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم، فنزل القلعة وقد زينت له
البلد، وفي يوم التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن
الصائغ، وعزل ابن حلكان .

وفي أول صفرٍ باشر قضاء الحنابلة نجم الدين بن الشيخ شمس الدين بن أبي
عمر، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء، وتولَّى قضاء
حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي .
وجلس الملك المنصور بدار العدل في هذا الشهر، فحكم وأنصف المظلوم
من الظالم، وقدم عليه صاحب حماة، فتلَّقاه المنصور بنفسه في موكبه، ونزل
بداره بباب القرايس .

(١) ذيل مرآة الزمان ٨٦/٤ - ١٠٠، ونهاية الأرب ٧٣/٣١ - ٨٢، والعبير ٣٢٥/٥، ٣٢٦، وكنز
الدرر ٢٤٠/٨ - ٢٤٨، وتذكرة النبيه ٦٢/١ - ٦٥، وعقد الجمان ٢٦٣/٢ - ٢٨٨ .
(٢) في ذيل مرآة الزمان: « اللجون » .

وفى ربيع الأولِ وَقَعَ الصلحُ بينَ الملكِ المنصورِ قَلاوونَ وبينَ سُنُقَرَ الأشقرِ الملكِ الكاملِ على أن يُسَلِّمَ للسلطانِ شَيْزَرَ وَيُعَوِّضَهُ عنها بِأَنْطَاكِيَّةَ وَكَفَرَ طَابَ وَشُعْرٍ وَبَكَاسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَعَلَى أَنْ يُقِيمَ عَلَى مَا بِيَدِهِ سِتْمَائَةَ فَارِسَ ، وَتَحَالَفاً عَلَى ذَلِكَ ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ لَذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ صَالِحُ صَاحِبِ الْكَرْكِ الْمَلِكِ خَضِرِ بْنِ الظَّاهِرِ عَلَى تَقْرِيرِ مَا بِيَدِهِ ، وَتُوْدَى بِذَلِكَ فِي الْبِلَادِ .

وفى العَشرِ الأولِ^(١) مِنْ هَذَا الشَّهْرِ ضَمِنَ الْحَمْرُ وَالزَّنَى بِدَمَشَقَ ، وَجُعِلَ عَلَيْهِ دِيوَانٌ وَمُشِيدٌ ، فَقَامَ فِي إِبْطَالِ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالْعَبَادِ ، فَأَبْطِلَ بَعْدَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَأُرِيقَتِ الْحُمُورُ وَأُقِيمَتِ الْحُدُودُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وفى تاسعَ عَشرَ ربيعِ الآخِرِ^(٢) وَصَلَتِ الْخَاتُونُ ابْنَةُ^(٣) بَرَكَةَ خَانَ زَوْجَةَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَمَعَهَا وَلَدُهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ قَدْ نَقَلَتْهُ مِنْ قَرْيَةِ الْمَسَاجِدِ بِالْقَرَبِ مِنَ الْكَرْكِ لِتَدْفِنَهُ عِنْدَ أَبِيهِ بِالتَّرْبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ ، فَرُفِعَ بِجِبَالِ مِنَ الشُّورِ ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ الظَّاهِرِ ، وَنَزَلَتْ أُمُّهُ بَدَارِ صَاحِبِ حَمَصَ ، وَهَيَّيَّتْ لَهَا الْإِقَامَاتُ ، وَعَمِلَ عَزَاءٌ وَلِيدَهَا يَوْمَ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ربيعِ الآخِرِ بِالتَّرْبَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْقُرَاءُ وَالْوُعَاظُ .

وفى أواخرِ ربيعِ الآخِرِ عُزِلَ التَّقِيُّ^(٤) تَوْبَةُ التَّكْرِيْتِيُّ مِنَ الْوِزَارَةِ بِدَمَشَقَ ،

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٨٩/٤: «الأوسط» .

(٢) فى الأصل ، م : «الأول» . والمثبت من المصدر السابق .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) بعده فى م : «بن» . وانظر هذا الحدث فى عقد الجمان ٢٦٩/٢ .

وبأشرها بعده تاج الدين السهري^(١).

وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعي الجيوش لأجل اقتراب مجيء التتار، فدخل أحمد بن حجي ومعه بشر كثير من الأعراب، وجاء [٩٢/١٠] صاحب الكرك الملك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثاني^(٢) عشر من جمادى الآخرة، وقدم الناس عليه، ووقدوا إليه من كل مكان، وجاءته التركمان والأعراب وغيرهم، وكثرت الأراجيف بدمشق، وكثرت العساكر بها، وانجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي، وتركوا الغلات والأموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار، ووصلت التتار صحنه منكوتمر بن هولأكو إلى^(٣) عين تاب^(٣)، وسارت العساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً، ونازلت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخرة طائفة من الأعراب، وكان فيهم ملك التتار أبغا محتفياً ينظر ماذا يصنع أصحابه، وكيف يقاتلون أعداءه، ثم خرج الملك المنصور من دمشق، وكان خروجه منها في أواخر جمادى، وقت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد وغيرها في الصلوات، وجاء مرسوم السلطان باستسلام أهل الذمة من الدواوين والكتبة، ومن لا يسلم يصلب، فأسلموا كرهاً، فكانوا يقولون: أمنا وحكم الحاكم بإسلامنا. بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخيل، وجعلت الخيل في أعناقهم، فأجابوا والحالة هذه، ولما انتهى السلطان الملك المنصور إلى حمص كتب إلى الملك الكامل سقراً الأشقر يطلبه إليه نجدة، فجاء إلى خدمته، فأكرمه السلطان، واحترمه ورتب له

(١) في عقد الجمان: «السهري».

(٢) في ذيل مرآة الزمان ٩٠/٤: «الثامن».

(٣ - ٣) في م: «عنتاب». وانظر معجم البلدان ٧٥٩/٣.

الإقاماتِ ، وتكاملت الجيوش كلها في ضُحبة الملك المنصورِ عازمين على لقاءِ العدوِّ لا محالةً مُخلصين في ذلك ، واجتمع الناسُ بعدَ خروجِ السلطانِ في جامعِ دمشقَ ، ووضعوا المصحفَ العُثمانيَّ بينَ أيديهم ، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالى في نُصرةِ الإسلامِ وأهله على الأعداءِ ، وخرَجوا كذلك والمُصحفُ على رؤوسهم إلى المصلَّى يدعون ويبتهلون ويتكفون ، وأقبلت التُّرُ قليلاً قليلاً ، فلما وصلوا حماةً أحرَقوا بُشتانَ الملكِ وقصره وما هنالك من المساكنِ ، والسلطانُ المنصورُ مُخيِّمٌ بحمصَ في عساكرٍ من الأتراكِ والتُّركُمَانِ وغيرهم في جحفلي كثيرٍ جداً ، فأقبلت التُّرُ في مائةِ ألفٍ مُقاتلي أو يزيدون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ .

وقعة حمص

لما كان يومُ الخميسِ رابعَ عشرَ رجبِ التَّميِّ الجمعانِ ، وتواجه الخُصمانِ عندَ طلوعِ الشمسِ ، وعسكرُ التُّرِ في مائةِ ألفِ فارسٍ ، وعسكرُ المسلمين على النصفِ من ذلك أو يزيدُ قليلاً ، والجميعُ فيما بينَ مشهدِ خالدِ بنِ الوليدِ إلى الرِّسْتَنِ^(١) ، فاقتلوا قتالاً عظيماً لم يُر مثله من أعصارٍ مُتطاولةٍ ، فاستظهر التُّرُ أولَ النهارِ ، وكسروا الميسرةَ ، واضطربت الميمنةُ أيضاً ، وباللهِ المُستعانُ . وانكسر جناحُ القلبِ الأيسرُ ، وثبت السلطانُ ثباتاً عظيماً جداً في جماعةٍ قليلةٍ ، وقد أنهزم كثيرٌ من عسكرِ المسلمين ، والتُّرُ في آثارهم حتى وصلوا وراءهم إلى بُحيرة

(١) في ذيل مرآة الزمان ٩٣/٤ : « الرستن » . والرستن : بليدة قديمة بين حماة وحمص . انظر معجم البلدان ٧٧٨/٢ .

حمص، ووصلوا إلى حمص وهي مغلقة الأبواب، فقتلوا خلقاً من العامة وغيرهم، وأشرف المسلمون على حطة^(١) عظيمة من الهلاك، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفُرسان تذاَمروا فيما بينهم؛ مثل سُنُقِر الأشقرِ وَيَسْرِي وطَبِيرَسَ الوَزِيرِي وَبَدْرِ الدِّينِ أميرِ سلاحٍ وأَيْتَمُش [٩٢/١٠] السَّعْدِيُّ وحُسامِ الدِّينِ لاجين وحُسامِ الدِّينِ طُرُنْطَاي^(٢) والدَّوَادِرِيُّ وأمثالهم، لما رأوا ثبات السلطان رَدُّوا إلى السلطان، وحملوا حملاتٍ مُتَعَدِّدَةً صادقةً، ولم يزلوا يُتَابِعُونَ الحَمَلَةَ بعدَ الحَمَلَةِ حتى كَسَرَ اللَّهُ بحولِهِ وقُوَّتِهِ التَّتْرَ، وجرحَ مَنكُوتَمَر، وجاءهم الأميرُ عيسى بنُ مَهَنَّا من ناحيةِ العَرُضِ فَصَدَمَ التَّتْرَ، فاضطربت الجيوشُ لصدمةِ، وتَمَّتِ الهزيمةُ، ولِلَّهِ الحَمْدُ، وقتلوا مِنَ التَّتْرِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جَدًّا، وَرَجَعَتِ الطَّائِفَةُ مِنَ التَّتْرِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا المُنْهَزِمِينَ مِنَ المَسْلَمِينَ، فوجدوا أصحابهم قد كُسِرُوا، والعساكرُ في آثارهم يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، والسلطانُ ثابتٌ في مكانه تحتَ السَّنَاجِقِ^(٣)، والكُوسَاتُ تُضْرَبُ خَلْفَهُ، وما معه إلا نحوُ ألفِ فارسٍ، فطَمِعُوا فيه فقاتلوه، فثبت لهم ثباتاً عظيماً، فأنهزموا من بين يديه، فليحَقِّمهم فقتل أكثرهم، وكان ذلك تمامَ النصرِ، وكان انهزامُ التَّتْرِ قَبْلَ العُرُوبِ، وافترقوا فوَقَّتَيْنِ؛ أَخَذَتِ فِرْقَةٌ مِنْهُمُ إِلَى نَاحِيَةِ سَلْمِيَّةَ وَالبَرِّيَّةِ، وَالأُخْرَى إِلَى نَاحِيَةِ حَلَبَ وَالفُرَاتِ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ فِي آثَارِهِمْ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، وَجَاءَتِ البِطَاقَةُ بِالبِشَارَةِ بِمَا وَقَعَ مِنَ النِّصْرِ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ خَامِسَ عَشَرَ رَجَبٍ، فَدَقَّتِ البِشَائِرُ، وَزُيِّنَتِ البَلَدُ، وَأُوْقِدَتِ الشُّمُوعُ، وَفِرِحَ النَّاسُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ

(١) الحطة : الأمر ، والحالة . الوسيط (خ ط ط) .

(٢) في الأصل : « طرقتاي » .

(٣) السناجق : جمع سنجق وشنجق ، وهي الراية . انظر المعجم الذهبى ص ٣٥٢ .

أَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَهَزِّمِينَ؛ مِنْهُمْ بَيْلِكَ^(١) النَّاصِرِيُّ وَالْجَالِقِيُّ وَغَيْرُهُمْ، فَأُخْبِرُوا النَّاسَ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْهَزِيمَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَكُونُوا شَاهِدُوا مَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَبَقِيَ النَّاسُ فِي قَلْبٍ عَظِيمٍ، وَخَوْفٍ شَدِيدٍ، وَتَهَيُّأً نَاسٍ كَثِيرًا لِلْهَرَبِ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ الْبَرِيدِيَّةُ وَأُخْبِرُوا النَّاسَ بِصُورَةِ مَا وَقَعَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَآخِرِهِ، فَتَرَجَعَ النَّاسُ وَفَرِحُوا فَرِحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ دَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ^(٢) يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٣) الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأَسَازِي، بِأَيْدِيهِمُ الرِّمَاحُ عَلَيْهَا شَعْفُ^(٤) رُءُوسِ الْقَتْلَى مِنْهُمْ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَمَعَ السُّلْطَانَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ سُتُقْرِ الْأَشْقَرِ؛ مِنْهُمْ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ، فَنَزَلَ السُّلْطَانُ بِالْقَلْعَةِ مُؤَيَّدًا مَنُصُورًا، وَقَدْ كَثُرَتْ لَهُ الْحُبَّةُ وَالْأَدْعِيَةُ، وَكَانَ سُتُقْرِ الْأَشْقَرُ قَدْ وَدَّعَ السُّلْطَانَ مِنْ حَمَصَ، وَرَجَعَ إِلَى صِهْيُونَ، وَأَمَّا التَّتْرُ فَإِنَّهُمْ أَنْهَزَمُوا فِي أَسْوَأِ حَالٍ وَأَتْعَسِيهِ؛ يُتَخَطَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُقْتَلُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْفُرَاتِ، فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَيْرَةِ، فَفَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسْرَوْا آخَرِينَ، وَالْجِيوشُ فِي آثَارِهِمْ يَطْرُدُونَهُمْ عَنِ الْبِلَادِ، حَتَّى أَرَّاحَ اللَّهُ مِنْهُمْ النَّاسَ.

وَقَدْ اسْتُشْهِدَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الْأَمْرَاءِ؛ مِنْهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْحَاجُّ عَزَّ الدِّينِ أَزْدَمَرُ الْجَمْدَارُ^(٥)، وَهُوَ الَّذِي جَرَحَ مَلِكَ التَّتَارِ يَوْمَئِذٍ مَنكُوتَمُرَ،

(١) فِي الْأَصْلِ: «يَمْلِكُ».

(٢) ٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: م.

(٣) فِي م: «شَقْفُ». وَالشَّعْفَةُ: جَمْعُ الشَّعْفَةِ، وَهِيَ الْخِصْلَةُ فِي أَعْلَى الرَّأْسِ. انظُر تَاجَ الْعُرُوسِ (ش ع ف).

(٤) الْحَاجُّ: مِنْ أَلْقَابِ مَقْدَمِي الدَّوْلَةِ وَمِهْنَتَارِيَةِ الْبَيْوتِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَجَّ. وَالْجَمْدَارُ:

هُوَ الَّذِي يَتَّصِدُ لِإِلْبَاسِ السُّلْطَانَ أَوْ الْأَمِيرِ ثِيَابَهُ، وَأَصْلُهُ جَامَا دَارٍ فَحَذَفَتْ الْأَلْفُ بَعْدَ الْجِيمِ وَبَعْدَ الْمِيمِ

اسْتِقْلَالًا وَقِيلَ جَمْدَارٌ. صَبْحَ الْأَعْيُنِ ٥/٤٥٩، ٦/١١.

فإنه خاطر بنفسه ، وأوهم أنه مُقْفِرٌ إليه ، وقلب رمحه حتى وصل إليه ، فطعنه فجرّحه ، فقتلوه ، رحمه الله تعالى ، ودُفِنَ بالقربِ من مشهدِ خالدٍ .

وخرج السلطانُ من دمشق قاصداً الديارَ المصرية يومَ الأحدِ ثاني شعبانَ ، والناسُ يدعون له ، [٩٣/١٠] وخرج معه علّمُ الدينِ الدّوّاداريّ ، ثم عاد من عَزَّةَ ، وقد ولّاه الشَّدَّ^(١) في الشامِ والنظرَ في المصالحِ ، ودخلَ السلطانُ إلى مصرَ في^(٢) ثاني عشر^٢ شعبانَ .

وفي سلخِ شعبانَ وُلّي قضاةَ مصرَ والقاهرةَ للقاضي وَجِيهِ الدينِ البهنسِيّ الشافعيّ .

وفي يومِ الأحدِ سابعِ رمضانَ فُتِحَتِ المدرسةُ الجوهريّةُ بدمشقَ في حياةِ مُنشيّها وواقفها الشيخِ نجمِ الدينِ محمدِ بنِ عباسِ بنِ أبي المكارمِ التميميّ الجوهريّ ، ودُرِّسَ بها قاضي الحنفيّةِ حُسامُ الدينِ الرازيّ .

وفي بُكرةِ يومِ السبتِ التاسعِ والعشرينِ من شعبانَ وَقَعَتِ مِئذنةُ مدرسةِ أبي عمرَ بقاسيونَ على المسجدِ العتيقِ ، فمات شخصٌ واحدٌ ، وسَلَّمَ اللهُ تعالى بقيةَ الجماعةِ .

وفي عاشِرِ رمضانَ وَقَعَ بدمشقَ ثلجٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كثيرٌ مع هواءٍ شديدٍ ، بحيثُ إنه ازنَقَعَ عن الأرضِ نحوًا من ذراعٍ ، وفسَدَتِ الخضرَاواتُ ، وتَعَطَّلتْ على الناسِ معاشُ كثيرةٌ .

(١) في م : « المشد » .

(٢ - ٢) في نهاية الأرب ٣٦/٣١ : « الثاني والعشرين » .

وفى شوالٍ وصل صاحب سنجار إلى دمشق مُقْفِرًا مِنَ التَّارِ داخلاً فى طاعة السلطان بأهله وماله ، فتلقاه نائب البلد ، وأكرمه وسيَّره إلى مصرٍ مُعَزَّزًا مُكْرَمًا .

وفى شوالٍ عُقد مجلسٌ بسببِ أهلِ الذِّمَّةِ مِنَ الكُتَّابِ الذين كانوا قد أسلموا كُرْهًا ، وقد كتب لهم جماعةٌ مِنَ المُفْتِينَ بأنهم كانوا مُكْرَهِينَ ، فلهم الرجوعُ إلى دينهم ، وأُثبت الإكراهُ بينَ يدي القاضى جمال الدين بن أبى يعقوب المالكى ، فعاد أكثرهم إلى دينهم ، وضربت عليهم الجزية كما كانوا ، سوَّد اللهُ وجوههم يومَ تَبَيَّضُ وجوهٌ وتَسْوَدُ وجوهٌ . وقيل : إنهم غرموا مالًا جزيلاً ، جملةً مُسْتَكْرَهَةً على ذلك ، قَبَّحهم اللهُ .

وفى ذى القعدة قبض السلطان على أَيْتُمُش السعدى ، وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بَلْبَانَ الهارونى وسجنه بقلعتها .

وفى بُكرة الخميس التاسع^(١) والعشرين من ذى القعدة ، وهو العاشر^(٢) من آذار ، استسقى الناس بالمصلّى بدمشق ، فسُقُوا بعدَ عشرةِ أيامٍ . وفى هذه السنة أخرج الملك المنصورُ جميعَ آلِ الملكِ الظاهرِ مِنَ النساءِ والوِلْدَانِ والحُدَّامِ مِنَ الديارِ المصريةِ إلى الكركِ ليُكونوا فى كَنَفِ الملكِ المسعودِ خَضِرِ بنِ الظاهرِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الأعيانِ :

أَبْعَا مَلِكُ التَّارِ بِنُ هُوَلَاكُوقَانَ بِنِ تُولَى بِنِ جِنِكِرْخَانَ^(٣) ، كان عالى الهِمَّةِ ،

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٩٩/٤ : « الثامن » .

(٢) فى المصدر السابق : « الثانى عشر » .

(٣) تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص ٢ ، وذيل مرآة الزمان ٤/١٠٠ ، والعبر ٣٢٨/٥ ، والوفى بالوفيات ١٨٧/٦ ، والسلوك ٧٠٤/١ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٣٦٦/٥ .

بعيدَ العُورِ، له رأْيٌ وتديبٌ، وبلغَ مِنَ العَمْرِ خمسينَ سنةً، ومدةُ مُلكِه ثمانِي عشرةَ سنةً، ولم يَكُنْ بعدَ والِدِه في التَّدبِيرِ والحَزْمِ مثلهُ، ولم تُكُنْ وَقْعَةُ حِمُصَ هذه برأْيِه ولا عن مَشورَتِه، ولكن أخوه مَنكُوتَمُرُ أَحَبَّ ذلكَ، فلم يُخَالِفْه .

ورأيتُ في بعضِ تَوَارِيخِ البَغَادَةِ أن قَدُومَ مَنكُوتَمُرٍ إلى الشَّامِ إنما كان عن مُكَاتَبَةِ سُنُقَرِ الأَشَقَرِ إليه . فاللَّهُ أَعْلَمُ . وقد جاءَ أَبْعَا هذا بِنَفْسِه فنزَلَ قَرِيبًا مِنَ الفُراتِ لينظُرَ ماذا يَكُونُ مِنَ الأَمْرِ، فلما جَرى عليهم ما جَرى ساءَ ذلكَ، وماتَ عَمًّا وحُزْنًا . تُؤَفَّى بَيْنَ العِيدَيْنِ مِنَ هذه السَّنَةِ، وقامَ في المَلِكِ بَعْدَه ولَدُه^(١) السلطانُ أَحْمَدُ .

قاضي القضاة نَجْمُ الدينِ أبو بَكْرِ بنُ قاضي القضاة صَدْرِ الدينِ أَحْمَدَ بنِ قاضي القضاة شمسِ الدينِ يحيى بنِ هَبَةِ اللَّهِ بنِ الحَسَنِ بنِ يحيى بنِ مُحَمَّدِ ابنِ [١٠/٩٣ظ] عليِّ الشافعيِّ، ابنُ سِنِيِّ الدَوْلَةِ^(٢)، وُلِدَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الحَدِيثَ، وَبَرَعَ في المَذْهَبِ، وَنابَ عن أبيه وشُكِرَتْ سِيرَتُهُ، وَاسْتَقَلَّ بالقُضاةِ في الدَوْلَةِ المُظَفَّرِيَّةِ، فَحَمِدَ أيضًا، وَكانَ الشَيْخُ شِهابُ الدينِ يَنالُ مِنْه وَمِنَ أبيه^(٣)، وَقالَ البِزْزَالِيُّ: كانَ شَدِيدًا في الأحكامِ مُتَحَرِّيًا، وَقَد أُزِمَ بالمَقامِ بِمِصْرَ، فَدَرَسَ بِجامعِ مِصْرَ، ثُمَّ عادَ إلى دِمَشقَ، فَدَرَسَ بالأَمِينِيَّةِ والرُّكْنِيَّةِ، وَباشَرَ قُضاةَ حَلَبَ، وَعادَ إلى دِمَشقَ، وَوَلاهُ سَنَجُرُ قُضاةَ دِمَشقَ، ثُمَّ عَزَلَ بِابنِ حَلْكَانَ كما تَقَدَّمَ، ثُمَّ كانتَ وفاتُهُ يَوْمَ الثَلَاثاءِ ثامِنَ المَحْرَمِ، وَدُفِنَ مِنَ

(١) كذا في الأصل، م . والصواب أنه أخوه . وانظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢١١/٤، والوفائي بالوفيات ٢٢٧/٨، والعبر ٣٤٢/٥ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٢٣/٤، ونهاية الأرب ٨٤/٣١، والعبر ٣٣٠/٥، والوفائي بالوفيات ١٢٩/٢، وتذكرة النبيه ٦٦/١، والسلوك ٧٠٤/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٩٠/٢، وشذرات الذهب ٣٦٧/٥ .

(٣) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤، ٢١٥ .

الغدِ يومَ تاشوعاءَ بثريةِ جدّه بقاسيونَ .

وفى عاشرِ المحرمِ تُوفِّي قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ القاضي تاجِ الدينِ عبدِ الوهَّابِ بنِ خلفِ بنِ أبي القاسمِ العَلامِيّ^(١) ، ابنُ بنتِ الأَعزِّ المصرىّ ، كان فاضلاً بارعاً عارفاً بالمذهبِ ، مُتَحَرِّياً فى الأحكامِ كأبيه ، ودُفِنَ بالقرافةِ .

الشيخُ إبراهيمُ بنُ سعيدِ الشاغوريّ المؤلِّهُ المعروفُ بالجِيعانية^(٢) ، كان مشهوراً بدمشقَ ، ويُذكَرُ له أحوالٌ ومُكاشفاتٌ على ألسنةِ العوامِّ ومَن لا يَعْقِلُ ، ولم يَكُنْ مَن يُحافِظُ على الصَّلواتِ ، ولا يصومُ مع الناسِ ، ومع هذا كان كثيرٌ مِنَ العوامِّ وغيرهم يَعتَقِدونه ! تُوفِّي يومَ الأحدِ سابعِ جمادى الأولى ، ودُفِنَ بتربةِ المؤلِّهينِ بسفحِ قاسيونَ عندَ الشيخِ يوسفَ القَمِينِيّ^(٣) ، وقد تُوفِّي الشيخُ يوسفُ قبلَه بمدةٍ ، وكان الشيخُ يوسفُ يَشْكُنُ قَمِينَ حمامِ نورِ الدينِ الشهيدِ بالبزوريينَ ، وكان يَجْلِسُ على النَّجاساتِ والقَدَرِ ، وكان يَلْبَسُ ثياباً بَدَاوِيَةً تَجْحَفُ على النَّجاساتِ فى الأزقةِ ، وكان له قَبولٌ مِنَ الناسِ ومحبةٌ وطاعةٌ ، وكان العوامُّ يُغالونَ فى محبتهِ واعتقادِهِ ، وكان لا يُصَلِّي ولا يَتَّقَى نَجاسةً ، ومَن جاءه زائراً جَلَسَ عندهُ بالقَمِينِ على النَّجاسةِ ، وكان العوامُّ يَذْكُرُون له مُكاشفاتِ

(١) فى الأصل : « العلامى » . ولعله تصحيف ، وفى م : « الغلامى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ١١٩/٤ ، والعبير ٣٢٩/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٠/٨ ، وتذكرة النبيه ١/٦٧ ، والسلوك ٦٨٧/١ ، ٧٠٤ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٣٦٧/٥ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٠٠/٤ - وفيه : « المولد المعروف بجيفانة » - والعبير ٣٢٨/٥ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٨ ، وشذرات الذهب ٣٦٦/٥ .

(٣) فى م : « القميينى » . وتقدمت ترجمته فى صفحة ٣٩٠ فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة .

وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهديان ، كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولاهين . ولما مات الشيخ يوسف القميني خرج في جنازته خلق كثير من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاءوا به إلى تربة المولاهين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره ، فعمل عليه حجارة منقوشة ، وعمل على قبره سقفا مقرنصا^(١) بالدهان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبوابا ، وغالى فيه مغالاة زائدة ، ومكث هو وجماعة مجاورون عند قبره مدة في قراءة وتهليل ، ويطلب لهم الطيب فيأكلون ويشربون هناك . والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجيعاني لما مات الشيخ يوسف القميني جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في صراخ وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد ، أذن لنا في دخول البلد . يكررون ذلك ، ف قيل له في ذلك ، فقال : لى عشرون سنة ما دخلت داخل سور^(٢) دمشق ؛ لأنى كلما أتيت بابا [١٠/٩٤١] من أبوابها أجد هذا السبع رابضا بالباب ، فلا أستطيع الدخول خوفا منه ، فلما مات أذن لنا في الدخول . وهذا كله تزويج على الطعام والعوام من الهمج الرعاع ، الذين هم أتباع كل ناعق ، وقيل : إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجيعاني مما يأتيه من الفتوح . والله سبحانه أعلم بأحوال عباده ، وإليه المقلب والمآب ، وعليه الحساب .

(١) سقف مقرنص - بالسين - عمل على هيئة السلم . تاج العروس (قرنس ، قرنص) .

(٢) فى الأصل : « صور » .

وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدمر السلحدار^(١) عن نحو من ستين سنة، وكان من خيار الأمراء، وله هممة عالية ينبغي أن ينال بها مكاناً عالياً في الجنة.

قاضى القضاة تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي^(٢)، وُلد سنة ثلاث وستمائة، وقد سمع الحديث، وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح، وأم بدر الحديث مدة، ودرس بالشامية، وولى وكالة بيت المال بدمشق، ثم سار إلى مصر، فدرس بها بعدة مدارس، وولى الحكم بها، وكان مشكوراً، تُوفى ليلة الأحد ثالث رجب منها، ودفن بالمقطم.

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة تُوفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محيي الدين داود بن الملك المجاهد^(٣) أسد الدين شيركوه بن الناصر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي بن صاحب حمص، ودفن بترتيم بقايسون.

وفي ذي القعدة تُوفى الشيخ جمال الدين الإسكندري الحاسب بدمشق، وكان له مكتب تحت منارة فيروز^(٤)، وقد انتفع به خلق كثير، وكان شيخ

(١) في م: « السلحداري ». وتقدم في صفحة ٥٧٦ أنه جمدار. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/١٠٥، ونهاية الأرب ٣٧/٣١، والعبر ٣٢٨/٥، والوافي بالوفيات ٣٧٠/٨، والنجوم الزاهرة ٣٤٩/٧، وشذرات الذهب ٣٦٦/٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/١٢٤، والعبر ٣٣١/٥، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٦٥، والوافي بالوفيات ٣/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٦/٨، والسلوك ١/٧٠٤ (القسم الثالث)، والدليل الشافعي ٢/٦١٦.

(٣) بعده في م: « بن ». وانظر مصادر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/١٢٨، وعقد الجمان ٢/٢٩١.

(٤) في م: « كيروز ».

الحِسَابِ فِي وَقْتِهِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

(١) الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَتِيقِ
ابنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيْقِ الرَّبْعِيِّ الْمَالِكِيِّ الْمِصْرِيِّ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَاةِ ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ
حَافِلَةٌ ، وَقَدْ كَانَ فَقِيهًا مُفْتِيًّا ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَبَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ تُوفِّيَ الصَّدْرُ الْكَبِيرُ
(٢) شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْلِمِ بْنِ مَكِّيِّ بْنِ خَلْفِ
بْنِ عَلَّانٍ (٤) الْقَيْسِيُّ الدَّمَشْقِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ مِنَ الرَّؤَسَاءِ
الْكِبَارِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَقَدْ وُلِيَ نَظَرَ الدَّوَابِّ بِدَمَشَقَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ
كُلَّهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكِتَابَةِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ سَرِيعًا ؛ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ
الْوَاحِدِ ثَلَاثَ كَرَارِيْسَ ، وَقَدْ أَسْمَعَ « مَسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَحَدَّثَ
« بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ » وَ« جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ » وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْبَزْزَالِيُّ وَالْمِزِّيُّ
وَابْنُ تَيْمِيَّةَ ، وَدُفِنَ مِنْ يَوْمِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ عَنْ سِتِّ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، رَجِمَهُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا .

الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ (٥) أَبُو الْقَاسِمِ (٥) بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ التَّمِيمِيِّ
الْحَنْفِيِّ ، شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ بِيصْرَى ، وَمَدْرَسُ الْأَمِينِيَّةِ بِهَا مَدَّةَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، كَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢ / ٢٩١ : « عَيْسَى » . وَالْمَثْبُتُ مِنْ مِصَارِ تَرْجُمَتِهِ ؛ نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣١ /

٨٤ ، وَالْوَافِي بِالْوَقَايَاتِ ٣ / ١٩ ، وَالِدِيْبَايَا الْمَذْهَبِ ٢ / ٣٢٢ ، وَالِدَلِيلُ الشَّافِي ٢ / ٦١٦ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م . وَانظُرْ مِصَارِ تَرْجُمَتِهِ فِي : ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤ / ١٢٥ ، وَالْعَبْرُ ٥ / ٣٢٢ ، وَتَذَكْرَةُ النَّبِيِّ

١ / ٦٩ ، وَالسَّلُوكُ ١ / ٧٠٥ (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) ، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧ / ٣٥٣ ، وَشَدْرَاتُ الذَّهَبِ ٥ / ٣٦٩ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « غِيلَانِ » .

(٥ - ٥) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤ / ١٢٠ : « الْقَاسِمِ » . وَانظُرْ تَرْجُمَتَهُ أَيْضًا فِي الْجَوَاهِرِ الْمُضْيَةِ ٤ / ١١٣ .

بارعًا فاضلاً عالماً عابداً مُتَّقِطَعًا عن الناسِ ، وهو والدُ قاضي القضاةِ صدرِ الدينِ
عليّ ، وقد عُمرَ دهرًا طويلًا ، فإنه وُلِدَ في سنةٍ ^(١) ثلاثٍ وثمانين وخمسمائةٍ ^(١) ،
وتُوفِّي ليلةَ نصفِ شعبانٍ من هذه السنةِ عن سبعٍ ^(٢) وتسعين سنةً ، رحمه الله
تعالى .

(١ - ١) في ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٠: «ثمان وستمائة» .

(٢) في الأصل ، م: «تسع» . والمثبت من الجواهر المضية .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله، والسلطان الملك المنصور قلاوون.

[١٠/٩٤ظ] وفيها أرسل ملك التتر أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم، وجاء في الرسالية الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلاميذ النصير الطوسي، فأجاب المنصور إلى ذلك، وكُتبت المكاتبات إلى ملك التتر بذلك.

وفي مُستَهَلِّ صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين بيسرى السعدي، وعلى الأمير علاء الدين السعدي الشمسي أيضًا.

وفيها^(٢) درس القاضي بدر الدين بن جماعة بالقيصرية، والشيخ شمس الدين ابن الصفی الحريرى بالقرخشاوية^(٣)، وعلاء الدين بن الزمكاني بالأمينية.

وفي يوم الاثنين الحادي عشر من رمضان وقع حريق باللبادين^(٤) عظيم، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلخدار وجماعة كثيرة

(١) ذيل مرآة الزمان ١٤١/٤ - ١٤٩، ونهاية الأرب ٨٧/٣١، ٩٢، وكنز الدرر ٢٤٩/٨ - ٢٦٠، والعبير ٣٣٣/٥، وتذكرة النبيه ٧٢/١ - ٧٥، والسلوك ٧٠٦/١ - ٧١١ (القسم الثالث).

(٢) الدارس ١٩١/١، ٥٦٤.

(٣) في م: «بالسرحانية».

(٤) اللبادين: موضع بدمشق مشرف على باب جيرون. معجم البلدان ٣٤٥/٤.

من الأمراء، وكانت ليلة هائلة جدًا وقى الله تعالى شرّها، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضي محيي^(١) الدين بن النّحاس ناظرًا الجامع، فأصلح الأمر، وسدّ وأعاد البناء أحسن مما كان، ولله الحمد والمنّة.

ومَن تُوفّي فيها من الأعيان :

الشيخ الصالح بقیة السلف بزهان الدين أبو إسحاق بن الشيخ صفی الدين أبي الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوی بن الرضی الحنفی^(٢)، إمام العزّية^(٣) بالكُشك. وسمع من جماعة منهم الكندى و ابن الحرساني، ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته، وقد أجاز له أبو جعفر^(٤) الصّيدلاني وعفيفة الفارقانية وابن المنادي، وكان رجلًا صالحًا مُحبًا لإسماع الحديث، كثير البر بالطلبة له، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزيّ «مُعجم الطبراني الكبير»، وسمعه منه بقراءة الحافظ البيهقي وجماعة كثيرين. وكان مولده في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وتوفّي يوم الأحد سابع صفر، وهو اليوم الذي قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز، وكان هو معهم، فمات بعد استقراره بدمشق.

القاضي أمين الدين الأشرقي^(٥) أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبي

(١) في م: «نجم».

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٤٨/٤، والعبر ٣٣٥/٥، والوافي بالوفيات ٣٢٧/٥، والجواهر المضية ٧٢/١، والمنهل الصافي ٣٧/١، والنجوم الزاهرة ٣٥٦/٧.

(٣) في م: «المعزية». والمراد بالعزّية: المدرسة العزّية الجوانية، نسبة إلى عز الدين أيبك المعظمي. انظر الدارس ٥٥٥/١.

(٤) في م: «نصر».

(٥) ذيل مرآة الزمان ١٦٥/٤، والعبر ٣٣٤/٥، والوافي بالوفيات ١٢٤/٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٥٤/١، والدليل الشافي ٥٥/١.

بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبى ، المعروف بالأشترى ،
الشافعى المحدث ، سميع الكثير وحصل ، ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرفية .
(^١) توفى بالخائفة الأندلسية يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول عن ست
وستين سنة^(١) ، وكان الشيخ محبى الدين التوى يثنى عليه ، ويُرسل إليه الصبيان
ليقرءوا عليه فى بيته ؛ لأمانته عنده وصيانتة وديانتة .

الشيخ بزهان الدين أبو الشاء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المرازى
الشافعى^(٢) ، مدرّس الفلكية ، كان فاضلاً بارعاً ، عُرض عليه القضاء فلم يقبل ،
توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسميع
الحديث وأسمعه ، ودرّس بعده بالفلكية القاضى بهاء الدين بن الزكى .

القاضى الإمام العلامة شيخ القراء زين الدين أبو محمد عبد السلام ابن
على بن عمر الزواوى المالكى^(٤) ، قاضى قضاة المالكية بدمشق ، وهو أول من
باشر القضاء بها ، وعزل نفسه عنه تورعاً وزهادةً ، واستمر بلا ولاية ثمان سنين ،
ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سميع
الحديث ، واشتغل [١٠ / ٩٥] على السخاوى وابن الحاجب .

الشيخ صلاح الدين محمد بن القاضى شمس الدين على بن محمود بن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤ / ١٧٧ ، والعبير ٥ / ٣٣٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ / ٣٦٩ ، وتذكرة
النيبه ١ / ٧٧ ، والسلوك ١ / ٧١١ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٦ ، والدارس ١ / ٢٢٢ ،
٤٣٢ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤ / ١٧٣ ، ونهاية الأرب ٣١ / ٩٢ ، والعبير ٥ / ٣٣٥ ، والوفى بالوفيات ١٨ / ٤٣١ ،
ومرآة الجنان ٤ / ١٩٧ ، وتذكرة النيبه ١ / ٧٦ ، والدليل الشافى ١ / ٤١٣ ، وغاية النهاية ١ / ٣٨٦ ،
وشذرات الذهب ٥ / ٣٧٤ .

علي^(١) الشَّهْرُزُورِيُّ، مدرِّسُ القَيْمُومِيَّةِ وابنُ مُدْرِسِهَا، تُوفِّيَ في أوَاخِرِ رَجَبٍ،
وتُوفِّيَ أخوه شرفُ الدينِ بعدَه بشهرٍ، ودرَّسَ بالقَيْمُومِيَّةِ بعدَ الصَّلَاحِ المذکورِ
القاضي بدرُ الدينِ بنِ جَمَاعَةَ.

ابنُ خَلْكَانَ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ
إبراهيمِ بنِ أبي بكرِ بنِ خَلْكَانَ الإزْبِلِيُّ الشَّافِعِيُّ^(٢)، أحدُ الأئمةِ الفُضلاءِ،
والسادةِ العلماءِ، والصدورِ الرؤساءِ، وهو أولُ مَنْ جَدَّدَ في أيامه قضاةَ القضاةِ
من سائرِ المذاهبِ، فاستقلُّوا^(٣) بالأحكامِ بعدَ ما كانوا نوابًا له، وقد كان المنصبُ
بينه وبينَ ابنِ الصائغِ ذُولاً؛ يُعزَلُ هذا تارةً ويُوَلَّى هذا، ويُعزَلُ هذا ويُوَلَّى هذا،
وقد درَّسَ ابنُ خَلْكَانَ في عدةِ مدارسٍ لم تُجمَعْ لغيره، ولم يَتَقَّ معه في آخرِ وقتهِ
سوى الأمينيةِ، ويَدَّ ابنه كمالُ الدينِ موسى النَّجِيبِيُّ. تُوفِّيَ ابنُ خَلْكَانَ بالمدرسةِ
النَّجِيبِيَّةِ المذكورةِ بإيوانها يومَ السبتِ آخِرَ النهارِ، في السادسِ والعشرينِ من
رجبٍ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ بسفحِ قاسيونَ عن ثلاثِ وسبعينِ سنةً، وقد كان يُنظِّمُ
نظماً حسناً رائعاً، وقد كانت مُحاضراتُه في غايةِ الحسَنِ، وله التاريخُ المُفيدُ الذي
رسمه «بُوفياتِ الأعيانِ» من أبداعِ المُصنِّفاتِ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

(١) بعده في الأصل: «بن محمود بن» وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/١٧٥، والوفى بالوفيات ٤/١٩٠، والدارس ١/٤٤٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/١٤٩، ونهاية الأرب ٣١/٩٣، وكنز الدرر ٨/٢٦٠، والعبير ٥/٣٣٤، وفوات الوفيات ٢/٤٢٠، والوفى بالوفيات ٧/٣٠٨، ومرآة الجنان ٤/١٩٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٣، والسلوك ١/٧١١ (القسم الثالث)، والدارس ١/١٩١.

(٣) في م: «فاشتغلوا».

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمائة

فيها^(١) قديم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أُبْهية عظيمة، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها ولي الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي، عوضًا عن محيي الدين بن الحرستاني الذي توفّي فيها كما سيأتي، وخطب يوم الجمعة الحادى والعشرين من رجب من هذه السنة. وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلعة، وأثبت ابن الحضرمي نائب الحنفى محضراً يتضمّن أن عنده وديعة بمقدار ثمانية آلاف دينار من جهة ابن الإشكاف، وكان الذى أثار ذلك شخص قديم من حلب يُقال له: تاج الدين بن السنجاري. وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محيي الدين بن الزكي، وحكم يوم الأحد ثالث وعشرين رجب، ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ، وسعى فى إثبات محضري آخر أن عنده وديعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار للصالح إسماعيل بن أسد الدين، وقام فى ذلك ابن الشاكري والجمال بن الحموي وآخرون، وتكلّموا فى قضية ثالثة، ثم عُقد له مجلس ناله فيه شدة شديدة، وتعصّبوا عليه، ثم أعيد إلى اعتقاله، وقام فى صفه نائب السلطنة حسام

(١) ذيل مرآة الزمان ١٧٩/٤ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٩٥/٣١ - ١١٣، وكنز الدرر ٢٦١/٨، ودول الإسلام ١٨٥/٢، وتذكرة النبيه ٨٠/١، ٨١، والسلوك ٧١٢/١ (القسم الثالث).

الدين لاجين وجماعة من الأمراء، فكلموا فيه السلطان، فأطلقه وخرج إلى منزله، وجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان، وانتقل من العادلية إلى داره بدرّب النقاشية، وكان عامّة جلوسه في المسجد تجاه داره.

وفي رجبٍ باشر حسبة دمشق جمال الدين بن صصرى.

وفي شعبان درّس الخطيب جمال الدين بن عبد الكافي بالغزالية عوضًا عن الخطيب بن الحرّستاني، وأخذ منه [٩٥/١٠] الدّولة لكمال الدين بن التّجار، الذى كان وكيل بيت المال، ثم أخذ شمس الدين الإزبلى تدريس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور.

وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكيم عن ابن الزّكى شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسى أحد أئمة الفضلاء وسادات العلماء المصنّفين، ولما توفى أخوه شمس الدين محمد في شوال ولى مكانه تدريس الشامية البرّانية، وأخذت منه العادلية الصغيرة، فدرّس فيها القاضى نجم الدين أحمد بن صصرى التّغلبى فى ذى القعدة، وأخذت من شرف الدين أيضًا الرّواحية، فدرّس فيها نجم الدين البيانى نائب الحكيم، رحمهم الله أجمعين.

ومن توفى فيها من الأعيان:

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل^(١) محمد بن القاضى شمس الدين

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٩٨، ونهاية الأرب ٣١/١١٣، ودول الإسلام ٢/١٨٥، والوفى بالوفيات ١/٢٠١، وتذكرة النبيه ١/٨٢، والسلوك ١/٧١٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٩، وشذرات الذهب ٥/٣٨٠.

أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي، صاحب الطريقة المنسوبة في
الكتابة، سَمِعَ الحديثَ، وكان من رؤساء دمشق وأعيانها، تُوفِّي في صَفَرِ منها.

شيخ الجبل الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد
عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة
الحنبلي^(١)، أول من ولي قضاء الحنابلة بدمشق - ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين -
وتدريس الأشرفية بالجبل، وقد سَمِعَ الحديثَ الكثيرَ، وكان من علماء الناسِ
وأكثرهم ديانةً في عصره وأمانةً، مع هُدي صالحٍ وسَميتِ حسنٍ، وخُشوعٍ
ووقارٍ. تُوفِّي ليلة الثلاثاء سَلخ ربيع الآخر من هذه السنة، عن خمسِ وثمانين
سنةً، ودُفِن في مَقبرة والده، رَحِمَهُمُ اللهُ.

ابن جفوان^(٢) العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس
ابن جفوان الأنصاري الدمشقي، المُحدِّثُ الفقيهُ الشافعي البارِعُ في النحوِ
واللغة، سَمِعْتُ شيخنا تقي الدين ابن تيميةَ وشيخنا الحافظَ أبا الحجاج المزي
يقولُ كلُّ منهما للآخر: إن هذا الرجل قرأ «مسند الإمام أحمد» - وهما
يَسْمَعان - فلم نَضْبِطْ عليه لَحَنَةً مُتَّفَقًا عليها. وناهيك بهذين ثناءً على هذا،
وهما هما.

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٨٦، ونهاية الأرب ٣١/١١٦، والوفاء بالوفيات ١٨/٢٤١، وتذكرة النبيه
١/٨١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٠٤، والسلوك ١/٧٢٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣١١،
والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٨، والدارس ١/٤٩، وشذرات الذهب ٥/٣٧٦.

(٢) في م: «ابن أبي جفوان». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/١٩٧، والوفاء بالوفيات ١/
٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/٨٤، وعقد الجمان ٢/٣١٢، والنجوم الزاهرة ٧/٣٦٠، وبغية الوعاة ١/
٢٢٤، وشذرات الذهب ٥/٣٨١.

الخطيبُ مُخَيِّ الدينِ محمدٌ^(١) بنُ الخطيبِ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ قاضي القضاةِ جمالِ الدينِ بنِ الحرَّستاني الشافعيِّ، خطيبُ دمشق ومدرسُ العزَّاليةِ، كان فاضلاً بارعاً، أفتى ودرَّس وولى الخطابةَ والعزَّاليةَ بعدَ أبيه، وحضَّر جنازته نائِبُ السلطنةِ وخلقٌ كثيرٌ، تُوفِّي في جُمادى الآخرةِ عن ثمانِ وستين سنةً، ودُفِن بقاسيونَ .

وفي خامسِ رجبِ تُوفِّي الأميرُ الكبيرُ ملكُ عربِ آلِ مِرَى^(٢) أحمدُ بنُ حَجِّي بمدينةِ بُصْرَى، وصُلِّي عليه بدمشق صلاةً الغائبِ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ شهابُ الدينِ عبدُ الحليمِ بنُ الشيخِ الإمامِ العلَّامةِ مجدِّ الدينِ^(٣) عبدِ السلامِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي القاسمِ بنِ تَيْمِيَّةِ الحرَّانيِّ، والدُ شيخنا العلَّامةِ العلِّمِ تَقِيِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةِ، مُفتي الفِرَقِ، الفارقُ بينَ الفِرَقِ، كانت له فضيلةٌ حسنةٌ، ولديه فوائدٌ كثيرةٌ، وكان له كُرْسِيٌّ بجامعِ دمشق يَتَكَلَّمُ عليه عن ظهرِ قلبه، ولى مَشِيخَةَ دارِ الحديثِ السُّكَّرِيَّةِ بالقَصَّاعِينَ، وبها كان مسكنه، ثم درَّس ولدهُ الشيخُ تَقِيِّ الدينِ بها بعده في السنةِ الآتيةِ، كما سيأتى، ودُفِن بمقابرِ [١٠/٩٦٦] الصُّوفِيَّةِ، رجمه اللهُ .

(١) في الأصل، م: «يحيى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ١٩٦/٤، والعبر ٣٤٠، الوافي بالوفيات ٢٨٢/٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٤٧/١، وتذكرة النبيه ٨٦/١، والنجوم الزاهرة ٣٦٠/٧، والدليل الشافي ٧٧٦/٢، ومشذرات الذهب ٣٨٠/٥.

(٢) في م: «مثرى»، وانظر مصادر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١٨٣/٤، ونهاية الأرب ١١٧/٣١، والوافي بالوفيات ٣٠٤/٦، والسلوك ٧٢١/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣١٤/٢ - وفيه: «ميرين» - والنجوم الزاهرة ٣٥٧/٧، والمنهل الصافي ٢٦٢/١، ومشذرات الذهب ٣٧٦/٥.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ١٨٥/٤، والعبر ٣٣٨/٥، وتذكرة النبيه ٨٥/١، وذيل طبقات الحنابلة ٣١٠/٢، وعقد الجمان ٣١٣/٢، والنجوم الزاهرة ٣٦٠/٧، والدارس ٧٤/١، ومشذرات الذهب ٣٧٦/٥.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة^(١)

فى يومِ الاثنينِ ثانى المحرمِ منها درّس الشيخُ الإمامُ العالمُ العَلامَةُ العَلمُ تَقىّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحَليمِ بنِ عبدِ السلامِ ابنُ تَيميةَ الحَرَائِىُّ بدارِ الحديثِ الشُّكريةَ التى بالقَصّاعينِ ، وحضّرَ عنده قاضى القُضاةِ بهاءُ الدينِ بنُ الزَّكِيِّ الشافعى ، والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزَارِيُّ شيخُ الشافعيةِ ، والشيخُ زَيْنُ الدينِ ابنُ المُرَحَّلِ ، وزَيْنُ الدينِ بنُ المُنَجِّجِ الحنبلى ، وكان درسًا هائلًا حافلًا ، وقد كتبه الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزَارِيُّ بخطه لكثرةِ فوائده ، وكثرة ما استَحَسَنه الحاضرون ، وقد أَطْنَبَ الحاضرون فى شكره على حَدائِةِ سنّهِ وصغره ، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنةً وستين . ثم جلسَ الشيخُ تَقىّ الدينِ المذكورُ أيضًا يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ بالجامعِ الأموىِّ بعدَ صلاةِ الجمعةِ على منبرٍ قد هُئِىَّ له لتفسيرِ القرآنِ العزيزِ ، فابتدأَ من أوله فى تفسيره ، وكان يَجْتَمِعُ عنده الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغفيرُ ، ومن كثرة ما كان يُوردُ من العلومِ المُنَوَّعةِ المحرَّرةِ مع الدَيانَةِ والرّهادةِ والعبادةِ ، سارت بذكره الرُّكبانُ فى سائرِ الأقاليمِ والبُلدانِ ، واستَمَرَّ على ذلك مدةً سنينَ مُتطاوِلةً .

وفىها قَدِمَ السلطانُ إلى دمشقٍ من مصرَ يومَ السبتِ ثانى عشرَ جمادى الآخرةِ ، فجاء صاحبُ حماةَ الملكُ المنصورُ إلى خدمتهِ ، فتلَقاه السلطانُ فى موكبه وأكرمه . فلما كان ليلةَ الأربعاءِ الرابعِ والعشرينِ من شعبانَ وَقَعَ مطرٌ عظيمٌ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٠١/٤ - ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ١١٩/٣١ - ١٢٤ ، وكتر الدرر ٢٦٢/٨ - ٢٦٧ ، وتذكرة النبيه ٨٨/١ - ٩٠ ، وعقد الجمان ٣٢٣/٢ - ٣٣١ .

بدمشق، ورغد وبرق، وجاء سيلٌ عظيمٌ جدًا حتى كسر أقفال بابِ الفراديس،
وازتفع الماء ارتفاعًا كثيرًا، بحيث أغرق خلقًا كثيرًا، وأخذ جمال الجيشِ المصريِّ
وأثقالهم، فخرج السلطانُ إلى الديارِ المصرية بعد ثلاثة أيام، وتولَّى شدَّ الدَّواوين
الأميرُ شمسُ الدين سُنْقُرُ عَوْضًا عن الدَّوادريِّ عَلمِ الدينِ سَنَجَر.

وفيها اختلف التُّرُ فيما بينهم على ملكهم السلطانِ أحمد، فعزَّله عنهم
وقتلوه، وملَّكوا عليهم السلطانَ أرغونَ بنَ أبغا، ونادوا بذلك في جيشهم،
وتأطَّدت أحوالهم، ومشت أمورهم على ذلك، وبادت دولةُ السلطانِ أحمد،
وقامت دولةُ أرغونِ بنِ أبغا.

ومَن تُوفِّي فيها مِنَ الأعيانِ :

الشيخُ طالبُ الرَّفاعي^(١)، بقصرِ حجاج، وله زاويةٌ مشهورةٌ به، وكان
يُروى بعضُ المريدينِ فمات.

القاضي الإمامُ عزُّ الدين أبو المفاخرِ محمدُ بنُ شرفِ الدينِ عبدِ القادرِ بنِ
عَفيِّفِ الدينِ عبدِ الخالقِ بنِ خليلِ الأنصاريِّ الدمشقيِّ^(٢)، ولي قضاء القضاة
بدمشقَ مرتين، عُزل به ابنُ خَلْكَانَ،^(٣) ثم عُزلَ بابنِ خَلْكَانَ^(٤)، ثم عُزلَ ابنُ
خَلْكَانَ به ثانيةً، ثم عُزلَ وسُجِنَ ووُلِّيَ بعده بهاءُ الدينِ بنُ الرُّكِّيِّ، وبقيَ مَغرولاً
إلى أن تُوفِّيَ بيُستَازِنِه في تاسعِ ربيعِ الأولِ، وُصِّلِيَّ عليه بسوقِ الخيلِ، ودُفِنَ
بسفحِ قاسيونَ، وكان مولده سنةَ ثمانِ وعشرينِ وسُمائةً، وكان مَشْكَورَ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢١٤، وعقد الجمان ٢/٣٣٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٣٢، والعبر ٥/٣٤٤، والوفاء بالوفيات ٣/٢٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى

للسبكي ٨/٧٤، وتذكرة النبيه ١/٩١، وعقد الجمان ٢/٣٣٣.

(٣ - ٣) سقط من : م.

السيرة، له عقلٌ وتُدبيرٌ واعتقادٌ كثيرٌ في الصالحين، وقد سَمِعَ الحديثَ،
 «وخرَجَ^(١) له ابنُ بَلْبَانَ مَشِيخَةً قَرَأَهَا ابنُ جَعْوَانَ^(٢) عليه، ودرَّسَ بعَدَه بِالْعَدْرَاوِيَّةِ
 الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ مَكِّيِّ بْنِ الْمُرْخَلِ، وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ، وَدَرَّسَ ابْنَهُ مُحْيَى
 الدِّينِ أَحْمَدُ بِالْعِمَادِيَّةِ وَزَاوِيَةِ الْكَلَّاسِيَّةِ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقَ، ثُمَّ تُوفِّيَ ابْنُهُ أَحْمَدُ هَذَا
 بَعْدَهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنِ رَجَبٍ، فَدَرَّسَ بِالْأَدْمَاغِيَّةِ وَالْعِمَادِيَّةِ [٩٦٦/١٠] الشَّيْخُ
 زَيْنُ الدِّينِ ابْنُ الْفَارِقِيِّ شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ، نِيَابَةً عَنْ أَوْلَادِ الْقَاضِي عَزِّ الدِّينِ بْنِ
 الصَّائِفِ بِدْرِ الدِّينِ وَعَلَاءِ الدِّينِ.

وفيهَا تُوفِّيَ: الْمَلِكُ السَّعِيدُ فَتَحُ الدِّينِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَبِي
 الْحَسَنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ^(٣) - وَهُوَ وَالِدُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ
 مُحَمَّدٍ - فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ رَمَضَانَ، وَدُفِنَ مِنَ الْعَدِ بِتَرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ، وَكَانَ
 مِنْ خِيَارِ الْأَمْرَاءِ مُخْتَرَمًا كَبِيرًا رَئِيسًا، رَوَى «الْمَوْطَأَ» عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ
 مُكْرَمِ بْنِ أَبِي الصَّقْرِ، وَسَمِعَ ابْنَ اللَّتَيْ^(٤) وَغَيْرَهُ.

القَاضِي نَجْمُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنصُورِ الْبَيْسَانِيِّ^(٥) الشَّافِعِيُّ، تُوفِّيَ فِي
 شَوَالٍ مِنْهَا، وَكَانَ فَاضِلًا، وَلِي قَضَاءَ زُرْعَ، ثُمَّ قَضَاءَ حَلَبَ، ثُمَّ نَابَ فِي
 دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالرَّوَاحِيَّةِ، وَبَاشَرَهَا بَعْدَهُ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُوحٍ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في م: «جفوان».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٢٤/٤، ونهاية الأرب ١٢٢/٣١، وتذكرة النبيه ٩٤/١، وعقد الجمان ٢/٣٣٥، والدليل الشافي ٤٢٩/١.

(٤) في م، وعقد الجمان: «الليثي».

(٥) في الأصل، م: «البياني». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تذكرة النبيه ٩٤/١، والسلوك ٧٢٧/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٣٤/٢، والدارس ٢٦٨/١.

المقدسى ، يومَ عاشرِ شوالٍ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّي بحِماةِ ملكها الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عمرِ بنِ شاهنشاه^(١) بنِ أيوبَ ، وُلِدَ سنةَ ^(٢)ثنتينِ و ^(٣)ثلاثينِ وستِّمائةٍ ، وتملَّكَ حِماةَ سنةَ ثنتينِ وأربعينِ وله عشرُ سنينَ ، فمكثَ فى الملكِ أزيدَ من أربعينِ سنةً ، وكان له بَرٌّ وصدقاتٌ ، وقد أعتقَ فى مرضِ موتهِ خلقًا من الأرقاءِ ، وقام فى الملكِ بعدهِ ولدهُ الملكُ المظفرُ بتقليدِ الملكِ المنصورِ له بذلك .

القاضى جمالُ الدينِ أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عمرِ الزواوى^(٣) ، قاضى قُضاةِ المالكيةِ ، ومُدْرِسُهُم بعدَ القاضى زَيْنِ الدينِ الزَّواوى الذى عزَل نفسه ، وقد كان يَثُوبُ عنه ، فاستقلَّ بعدهِ بالحكمِ ، تُوفِّي فى الخامسِ من ذى القعدةِ وهو فى طريقِ الحجازِ ، وكان عالماً فاضلاً ، قليلَ التَّكليفِ والتَّكْلِيفِ ، وقد شغَرَ المنصبُ بعدهِ ثلاثَ سنينَ ، ودرَّسَ بعدهِ للمالكيةِ الشيخُ جمالُ الدينِ الشَّريشى ، وبعدهِ أبو إسحاقَ اللُّورى^(٤) ، وبعدهِ بدرُ الدينِ أبو بكرِ التونسى^(٥) ، ثم لما وصلَ القاضى جمالُ الدينِ بنُ سليمانَ حاكماً درَّسَ بالمدارسِ . واللّهُ سبحانه أعلمُ .

(١) فى الأصل ، م : « ملكشاه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٢٣٦/٤ ، والعبير ٥/٣٤٥ ، والوافى بالوفيات ١١/٥ ، وتذكرة النبيه ٨٨/١ ، والسلوك ٧٢٦/١ (القسم الثالث) .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م : « الرازى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٤ ، ونهاية الأرب ١٢٣/٣١ ، وعقد الجمان ٣٣٤/٢ ، والدليل الشافى ٨٠٢/٢ ، والدارس ٥/٢ .

(٤) فى الأصل ، وإحدى نسخ الدارس : « الكورى » . وانظر المشتبه ٥٦٠/٢ .

(٥) فى م : « البريسى » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستماتية^(١)

فى أواخرِ المحرمِ قديمِ الملكِ المنصورِ إلى دمشقَ ومعه الجيوشُ، وجاء إلى خدمته صاحبُ حماة الملكُ المظفرُ بنُ المنصورِ، فتلَّقاهُ بجميعِ الجيوشِ، وخلعَ عليه خِلمةَ الملوكِ، ثم سافرَ السلطانُ بالعساكرِ المصريةِ والشاميةِ، فنزلَ المَرْقَبَ، ففتحَ اللهُ عليهم فى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشرَ صفرٍ، وجاءتِ البشارةُ بذلكِ إلى دمشقَ، فدَقَّتِ البشائرُ، وزُيِّنَتِ البلدُ، وفرحَ المسلمونَ بذلكِ؛ لأنَّ هذا الحصنَ كان مَضْرُوعاً على المسلمين، ولم يَتَّفِقْ فتحُه لأحدٍ من الملوكِ لا لصلاحِ الدينِ، ولا للظاهرِ، وفتحَ حوله بُلُنْيَاسَ ومَرْقَبَةَ^(٢)، وهى بلدةٌ صغيرةٌ إلى جانبِ البحرِ عندَ حصنٍ منيعٍ جدًّا، لا يَصِلُ إليه سهمٌ ولا حجرٌ مُنْجَنِيقٍ، فأرْسَلَ إلى صاحبِ طرَبُلُوسَ، فهَدَمَه تَقَرُّبًا إلى السلطانِ الملكِ المنصورِ، واشتَنَقَدَ المنصورُ خلقًا كثيرًا من أسارى المسلمين الذين كانوا عندَ الفِرْنَجِ، ولِلَّهِ الحمدُ، ثم عادَ المنصورُ إلى دمشقَ، ثم سافرَ بالعساكرِ المصريةِ إلى القاهرةِ.

وفى أواخرِ جمادى الآخرةِ وُلِدَ للمنصورِ ولدهُ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوونَ.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٤ - ٢٥٩، ونهاية الأرب ١٢٥/٣١ - ١٢٨، وكنز الدرر ٢٦٨/٨ - ٢٧٦،

وتذكرة النبيه ٩٦/١، ٩٧، وعقد الجمان ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٢) فى م: «مرقب». وانظر معجم البلدان ٥٠١/٤.

وفيهما عُزِلَ مُحْيَى الدِّينِ بِنُ النَّحَّاسِ عَنِ نَظَرِ الْجَامِعِ ، وَوَلِيَهُ عَزُّ الدِّينِ بِنُ
 مُحْيَى الدِّينِ بِنِ الزُّكَيْيِّ ، [١٠ / ٩٧٧] وَبَاشَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ الْوِزَارَةَ عَوَضًا عَنِ التَّقْيِّ
 تَوْبَةَ التَّكْرِيْتِي ، وَطَلِبَ التَّقْيِّ تَوْبَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَأَحِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ
 وَأَمْلَاكِهِ .

وَعُزِلَ سَيْفُ الدِّينِ طَوْغَانُ عَنِ وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ ، وَبَاشَرَهَا عَزُّ الدِّينِ بِنُ أَبِي
 الْهَيْجَاءِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخ عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد^(١) ، تُوفِّيَ فِي صَفْرِ ،
 وَكَانَ فَاضِلًا مَشْهُورًا ، لَهُ كِتَابٌ « سِيرَةُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ » ، وَكَانَ مُعْتَنِيًا بِالتَّارِيخِ .

^(٢) البندقدار^(٣) ، أَسْتَاذُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ
 أَيْدِيكِينَ^(٤) الْبَنْدُقْدَارُ الصَّالِحِيُّ ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْأَمْرَاءِ ، سَامَحَهُ اللَّهُ ، تُوفِّيَ فِي رَبِيعِ
 الْآخِرِ مِنْهَا ، وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُ نَجْمَ الدِّينِ صَادِرَ الْبَنْدُقْدَارِ هَذَا ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَمْلُوكَهُ
 بَيْبَرْسَ ، فَأَضَافَهُ إِلَيْهِ لِشَهَامَتِهِ وَنَهْضَتِهِ ، فَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ عَلَى أَسْتَاذِهِ وَغَيْرِهِ .

الشيخ الصالح العابد الزاهد شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن
 إسماعيل الإخميمي^(٤) ، كَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ هَائِلَةٌ ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٤ / ٢٧٠ ، ونهاية الأرب ٣١ / ١٢٨ ، والعبر ٥ / ٣٤٩ ، والوفاء بالوفيات ٤ / ١٨٩ ،
 وعقد الجمان ٢ / ٣٤٣ ، واسمه في ذيل مرآة الزمان والعبر : « محمد بن إبراهيم بن علي » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤ / ٢٦٢ ، ونهاية الأرب ٣١ / ١٢٨ ، والعبر ٥ / ٣٤٨ ، والوفاء بالوفيات ٩ / ٤٩١ ،
 وعقد الجمان ٢ / ٣٤٦ ، والمنهل الصافي ٣ / ١٥٥ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤ / ٢٧١ ، والعبر ٥ / ٣٥٠ - وفيه : « محمد بن محمد بن حسن » - والوفاء
 بالوفيات ٢ / ٣٥٣ ، وعقد الجمان ٢ / ٣٤٣ ، وشذرات الذهب ٥ / ٣٨٩ .

ابن عامر المقرئ^(١) ، الذى يُنسب إليه الميعاد الكبير، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبى بكر الغسولى الحنبلى ، سَمِعَ الحديثَ مِنَ الشيخِ مُوقِّ الدينِ بنِ قُدَّامَةَ وغيرِهِ ، وكان يَعْمَلُ الميعادَ ليلَةَ الأَحَدِ ، فإذا فرغوا مِن ذلك دعا بهم ثم وعظهم . تُوفِّي يومَ الأربعاءِ حادى عَشَرَ جُمادى الآخِرَةِ ، ودُفِنَ بالقربِ مِن تربةِ الشيخِ عبدِ اللهِ الأزمَنِ .

القاضى عمادُ الدينِ داوُدُ بنُ يحيى بنِ كاملِ القرشئى البُصروئى^(٢) الحنفى ، مدرسُ العِزِّيَّةِ بالكُشكِ ، وناب فى الحُكْمِ عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ ، وسَمِعَ الحديثَ ، وتُوفِّي ليلَةَ النصفِ مِن شعبانَ ، وهو والدُ الشيخِ نجمِ الدينِ القَحْجَازِ^(٣) ، شيخِ الحنفيَّةِ ، وخطيبِ جامعِ تَنكِر .

الشيخُ حسنُ الرومى^(٤) ، شيخُ سعيدِ السَّعداءِ بالقاهرة^(٥) ، وقد وليها بعدَهُ شمسُ الدينِ الأيْكِي^(٦) .

الرَّشيدُ سعيدُ بنُ عليِّ بنِ سعيدِ ، الشيخُ رَشيدُ الدينِ الحنفيِّ^(٧) ، مدرسُ

(١) العبر ٣٥٠/٥ ، وعقد الجمان ٣٤٣/٢ ، وشذرات الذهب ٣٨٩/٥ .

(٢) فى م : « النصرى » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٤٩٨/١٣ ، والجواهر المضية ١٩٧/٢ ،

وعقد الجمان ٣٤٤/٢ ، والدليل الشافى ٢٩٧/١ ، والدارس ٥٥٦/١ .

(٣) فى م ، والدليل الشافى : « القجقارى » .

(٤) عقد الجمان ٣٤٤/٢ .

(٥) سعيد السعداء : هو خاتناه للصوفية ، كان أولا دارا لأستاذ من خدام قصر المستنصر العبيدى الفاطمى ، كان يلقب بسعيد السعداء ، وقد قتل سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد وقفها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - بعد أن تملك مصر وأزال الدولة العبيدية - على الصوفية . انظر خطط المقرئى ٤٠١/٣ - ٤٠٤ .

(٦) فى الأصل ، م : « الأتابكى » . والمثبت من عقد الجمان . وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٦ ضمن وفيات سنة سبع وتسعين وستمائة .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٢٦٥/٤ ، والعبر ٣٤٧/٥ ، والوافى بالوفيات ٢٤٦/١٥ ، وتذكرة النبى ٩٩/١ ، وعقد الجمان ٣٤٤/٢ ، والمنهل الصافى ٣٩٦/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٦٦/٧ ، وبغية الوعاة ٥٨٥/١ =

الشُّبْلِيَّةِ ، وله تصانيفٌ مُفيدةٌ كثيرةٌ ، ونظَّم حسنٌ ، فمن ذلك قوله ^(١) :

قُلْ لِمَنْ يَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَهُ
أَذْهَبَ الْحُزْنَ اغْتِقَادِي أَنَّهُ
وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ ^(٢) :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
صَحِيحًا خَلَقْتَ الْجِسْمَ مِنِّي مُسَلِّمًا
وَكُنْتُ يَتِيمًا قَدْ أَحَاطَ بِي الرَّدَى
وَهَبْتَ لِي الْعَقْلَ الَّذِي بِضِيَائِهِ
وَوَفَّقْتَ لِلْإِسْلَامِ قَلْبِي وَمَنْطِقِي
وَلَوْ زُمْتُ جَهْدِي أَنْ أُجَازِيَ فَضِيلَةَ
أَلَسْتُ الَّذِي أَرْجُو جَنَابَكَ ^(٤) عِنْدَمَا
فَجُدُّ لِي بَلُطْفٍ مِنْكَ يَهْدِي سَرِيرَتِي
وَقَلْبِي وَيُدْنِينِي إِلَيْكَ ^(٥) مِنَ الْبُعْدِ

تُوْفِّي يَوْمَ السَّبْتِ ثَالِثَ رَمَضَانَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ ^(٦) الْعَصْرِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ ،
وَدُفِنَ بِالسَّفْحِ .

= والطبقات السنية ٣٧/٤ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٦٧/٤ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٦٦/٤ .

(٣) في م : « جهدي » .

(٤) في الأصل : « جنانك » ، وفي م : « حنانك » . والمثبت من المصدر السابق .

(٥ - ٥) في م : « بلا بعد » .

(٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل المرآة ٢٦٥/٤ ، وعقد الجمان .

أبو القاسم علي بن بلبان بن عبد الله الناصري^(١)، المحدث المفيد الماهر،
توفي يوم الخميس مستهل رمضان.

الأمير مجير الدين محمد بن يعقوب بن علي^(٢)، المعروف بابن تميم
الحموي الشاعر، صاحب الديوان في الشعر، فمن شعره قوله:

عائتُ وردَ الرّوضِ يَلطِمُ حَدّه ويقولُ قولاً في البتّسجِ يُحنقُ
لا تَقربوه وإن تَضَوَّعَ نَشْرُه ما بينكم فهو العدوُّ الأزرقُ

الشيخ العارف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي
الرومي^(٣)، [٩٧/١٠] ودفن بترتيبهم بسفح قاسيون، ومن عندهم خرج الشيخ
جمال الدين محمد الساجي^(٤)، وحلق ودخل في زيّ الجواليقية، وصار
شيخهم ومقدمهم.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٦٩/٤، والعبر ٣٤٨/٥، وتذكرة النبيه ١٠١/١، والسلوك ٧٣٠/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٤٥/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٧٧/٤، والعبر ٣٥٠/٥، والوفاء بالوفيات ٢٢٨/٥، وتذكرة النبيه ١٠٠/٤، وعقد الجمان ٣٤٥/٢، والدليل الشافي ٧١٢/٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٧٤/٤، والعبر ٣٥٠/٥، والوفاء بالوفيات ٨٦/٤، وتذكرة النبيه ٩٨/١، وعقد الجمان ٣٤٥/٢.

(٤) في م: «الساجي».

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد، والسلطان الملك المنصور قلاوون، ونائبه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلخدار المنصوري، والأمير بدر الدين الصوابي محاصر مدينة الكرك في أواخر السنة الماضية، وقدم عليه من مصر عسكر صعبة الأمير حسام الدين طرنتاي، فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر، في مستهل صفر، وجاءت الإشارة بذلك إلى دمشق، فدقت البشائر ثلاثة أيام، وعاد طرنتاي بالملك خضر وأهل بيته إلى الديار المصرية، كما فعل الملك الظاهر أبوه بأهل الملك المغيث عمر بن العادل، كما تقدم ذلك. واستتاب في الكرك نائباً عن أمر المنصور، ورثب أمرها، وأجلوا منها خلقاً من الكركيين، واستخدموا بقلعة دمشق. ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاهم المنصور، فأكرم لقياهم، وأحسن إلى الأخوين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش، وجعلهما يزكبان مع ابنه علي والأشرف خليل، وجعل عليهما عيوناً يزصدون ما يفعلان^(٢)، وأنزلا الدور بالقلعة، وأجرى عليهم من الرواتب والتفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة.

وكتب الأمير بدر الدين بكنوث الغلائي، وهو مجرد بحمص إلى نائب دمشق لاجين، أنه قد انعقدت زوبعة في يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص،

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٩ - ١٣٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٧٦ - ٢٧٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٢، ١٠٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٨ - ٣٥٤.

(٢) في الأصل: «يقولان».

ثم اذتفعت في السماء كهيئة العمود والحية العظيمة، وجعلت تحتطف الحجارة الكبار، فتصعد بها في الجو كأنها سهام النشاب، وحملت شيئًا كثيرًا من الجمال بأحمالها، والأثاث والحيام والدواب، ففقد الناس من ذلك شيئًا كثيرًا من الرحال والأمتعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفى هذا اليوم وقع مطرٌ عظيمٌ بدمشق، وجاء سيلٌ كثيرٌ ولا سيما بالصالحية.

وفيها أعيد علم الدين الدواداري إلى شدِّ الدواوين بدمشق، والصاحب تقي الدين توبة إلى الوزارة بدمشق.

وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف التويري^(١) عوضًا عن القاضي تقي الدين^(٢) بن شاس^(٢) الذي توفى بها.

وفيها درّس بالعرالية بدر الدين بن جماعة، انتزعها من يد شمس الدين إمام الكلاسة الذي كان ينوب عن شمس الدين الأيكي، والأيكي شيخ سعيد السعداء، بأشهرها شهرًا، ثم جاء مرسومٌ بإعادتها إلى الأيكي، وقد استتاب عنه جمال الدين الباجزبقي، فبأشهرها الباجزبقي في ثالث رجب.

ومن توفى فيها من الأعيان:

أحمد بن شيبان بن تغلب الشيباني^(٣)، أحد مشايخ الحديث المسنين

(١) في الأصل: «البربري»، وفي م: «البريدي»، وفي عقد الجمال: «التبريزي». والمثبت من نهاية الأرب ١٣٤/٣١. وستأني ترجمته في وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمئة.

(٢-٢) في الأصل، م: «براس». والمثبت من نهاية الأرب ١٣٣/٣١، والسلوك ٧٣٢/١ (القسم الثالث).

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٨٢/٤، والعبير ٣٥١/٥، والوفاء بالوفيات ٤١٧/٦، وعقد الجمال ٣٥٥/٢.

المُعَمَّرِينَ بدمشق، تُوفِّي في صفرٍ عن ثمانٍ وثمانين سنةً، ودُفِن بقاسيونَ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ البارِعُ جمالُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سُحْمَانَ البَكْرِيُّ الشَّرِيشِيُّ المَالِكِيُّ^(١)، ولدَ بِشَرِيشَ سنةً إحدى وستِّمئةَ، ورحلَ إلى العراقِ، فسمعَ بها الحديثَ مِنَ المشايخِ؛ القَطِيعِيِّ وابنِ زوربَةَ وابنِ اللَّثَمِيِّ وغيرِهِم، واشتغلَ وحصلَ، وسادَ أهلَ زمانِهِ، ثم عادَ إلى [١٠/٩٨ و] مصرَ، فدرَّسَ بالفاضليَّةِ، ثم أقامَ بالقدسِ شيخَ الحَرَمِ، ثم جاءَ إلى دمشقَ، فولَّى مَشِيخَةَ الحديثِ بِثُرَيَّةِ أُمِّ الصَّالِحِ، ومَشِيخَةَ الرِّبَاطِ الناصريِّ بالسفحِ، ومَشِيخَةَ المَالِكِيَّةِ، وعُرِضَ عليه القضاءُ فلم يقبَلْ. تُوفِّي يومَ الاثنينِ الرابعِ والعشرينِ من رجبٍ بالرِّبَاطِ الناصريِّ بقاسيونَ، ودُفِنَ بسفحِ قاسيونَ تُجَاهَ الناصريةِ، وكانت جنازَتُهُ حافلةً جدًّا .

قاضي القضاةِ أبو الفضلِ يوسفُ بنُ قاضي القضاةِ مُحيي الدينِ أبي الفضلِ يحيى بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ^(٢) بنِ الوليدِ بنِ القاسمِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ^(٣) بنِ أبانِ بنِ عثمانَ بنِ عفانَ القرشيِّ الدمشقيِّ المعروفُ بابنِ الزَّكِيِّ الشافعيِّ، كانَ فاضلاً مُبَرِّزاً، وهو آخرُ مَنْ تولَّى القضاءَ من بني الزَّكِيِّ إلى يومنا هذا، وُلِدَ في سنةِ أربعينَ، وسمعَ الحديثَ، تُوفِّي ليلةَ الاثنينِ حادي عشرَ ذي الحِجَّةِ، ودُفِنَ بقاسيونَ، وتولَّى بعده ابنُ الخُوَيْبِيِّ شهابُ الدينِ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٩٢، والعبر ٥/٣٥٤، وتذكرة النبي ١/١٠٧، والديباج المذهب ٢/٣١٩، وعقد الجمان ٢/٣٥٥.

(٢ - ٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤/٣٠٧. انظر مصادر ترجمته: ونهاية الأرب ٣١/١٣٤، والعبر ٥/٣٥٦، وتذكرة النبي ١/١٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٦٥، وعقد الجمان ٢/٣٥٦.

وتقدمت ترجمة أبيه في وفيات سنة سبع وستين وستمئة، وفي نسبه بعض الاختلاف.

الشيخ مجد الدين يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم
الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المهتار^(١)، كان فاضلاً في الحديث
والأدب، يكتُبُ كتابَةً حسنةً جداً، وتولّى مشيخة دار الحديث الثورية، وقد
سمع الكثير، وانتفع الناس به وبكتابه، تُوفّي عاشراً ذى الحجة، ودُفن بباب
الفراديس.

الشاعر الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد
المعروف بابن الخيمي^(٢)، كانت له مشاركة في علوم كثيرة، ويدُّ طولى في
النظم الرائي الفائق، جاوز الثمانين، وقد تنازع هو ونجم الدين بن إسرائيل في
قصيدة بائية^(٣)، فتحاكما إلى ابن الفارض، فأمرهما بنظم أبيات على وزنها،
فنظم كل منهما فأحسن، ولكن لابن الخيمي يدُّ طولى عليه، وكذلك فعل ابن
خلكان، وامتدحه على وزنها بأبيات حسنة، وقد أطلال ترجمته الجزري في
كتابه.

وفيهما كانت وفاة الحاج شرف بن مري^(٤)، والد الشيخ محيي الدين
النووي، رحمه الله تعالى.

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٠٧/٤، والعبر ٣٥٦/٥، وعقد الجمان ٣٥٦/٢، وشذرات الذهب ٣٩٤/٥.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٠٠/٤، ونهاية الأرب ١٣٥/٣١، والعبر ٣٥٤/٥، والوافي بالوفيات ٥٠/٤،
وتذكرة النبيه ١٠٦/١، وفوات الوفيات ٤٥٨/٢، وعقد الجمان ٣٥٦/٢.
(٣) في الأصل: «تائية». وأورد القصيدة اليوناني في مرآة الزمان والصفدي في الوافي بالوفيات،
ومطلعها:

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٨٤/٤ - وفيه أنه توفي سنة ثنتين وثمانين وستمائة - والدليل الشافعي ٣٤٣/١.

يعقوب بن عبد الحق، أبو يوسف المريني^(١)، سلطان بلاد المغرب، خرج على الواثق بالله^(٢) أبي دُبُوس^(٣)، فسلبه الملك بظاهر مراكش، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء في سنة ثمان وستين وستمائة، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة، وزالت على يديه دولة الموحدين بها.

البيضاوي صاحب التصانيف: هو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي^(٣)، قاضيا وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي، مات ببتريز سنة خمس وثمانين وستمائة، ومن مصنفاته «المنهاج في أصول الفقه»، وهو مشهور، وقد شرحه غير واحد، وله «شرح التنبية» في أربع مجلدات، وله «الغاية القصوى في دراية الفتوى»، و«شرح المنتخب» و«الكافية في المنطق»، وله «الطوالع» و«شرح المحصول» أيضا، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يُدفن بجانبه ببتريز. والله سبحانه أعلم.

(١) في الأصل، م: «المديني». والمثبت من مصادر ترجمته؛ دول الإسلام ١٨٧/٢، والسلوك ١/

٧٣٣ (القسم الثالث)، والدليل الشافي ٧٩٠/٢، وتذكرة النبي ١٠٤/١.

(٢ - ٢) في الأصل: «إلى ريوس».

(٣) الوافي بالوفيات ٣٧٩/١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٧/٨، وتذكرة النبي ١/

١٠٤، والسلوك ١/٧٣٣ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٥٧/٢، والدليل الشافي ٣٨٨/١، وبغية

الرواة ٥٠/٢ وطبقات المفسرين للداوودي ٢٤٢/١.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة^(١)

فى أول المحرم ركبت العساكرُ صُحبةً نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجينِ إلى مُحاصرةِ صِهْيُونَ وحصنِ بَرْزِيَهَ ، فمانعهم الأميرُ سيفُ الدينِ سُنُقُرُ الأشقرُ ، فلم يزلوا به [٩٨٨/١٠ ظ] حتى استنزَلوه ، وسلّمهم البلادَ ، وسار إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ المنصورِ ، فتلّقاه بالإكرامِ والاحترامِ ، وأعطاه تَقْدِمةً ألفِ فارسٍ ، ولم يزل مُعظّمًا فى الدولةِ المنصوريةِ إلى آخرها ، وانقَضت تلك الأحوالُ .

وفى النصفِ من المحرمِ حَكَمَ القاضى جلالُ الدينِ الحنْفِيّ نيابةً عن أبيه حُسامِ الدينِ الرازى .

وفى الثالثِ عشرَ من ربيعِ الأولِ قَدِمَ القاضى شهابُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الخليلِ الخُوَيْبِيّ من القاهرةِ على قضاءِ قُضاةِ دمشقَ ، وقرئ تَقْلِيدُهُ يومَ الجمعةِ مُستَهَلَّ ربيعِ الآخرِ ، واستمرَّ نيابةً شرفِ الدينِ المقدسى .

وفى يومِ الأحدِ ثالثِ شوالِ دَرَسَ بالرّواحيةِ الشيخُ صفىُ الدينِ الهِنْدِيّ ، وحضرَ عنده القُضاةُ والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزَارِيّ ، وعَلِمَ الدينِ الدُّوادارِيّ ، وتولّى قضاءَ قُضاةِ القاهرةِ تَقَى الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ بنتِ الأَعزِّ ، عَوْضًا عن بُرْهانِ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٣١٤ - ٣١٦ ، ونهاية الأرب ٣١/١٤٥ - ١٥١ ، وكنز الدرر ٨/٢٨٠ ، ٢٨١ ، وتذكرة النبيه ١/١٠٨ - ١١٠ ، وعقد الجمال ٢/٣٥٨ - ٣٦٣ .

الدين الخضير بن الحسن السنجاري، وقد كان وليها شهرًا بعد ابن الخوئي، فاجتمع حينئذ لابن بنت الأعز بين القضاء كله بالديار المصرية، وذلك في أوائل صفر منها.

وفيها استُدعي سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ريع حوزما^(١) الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى، فذكر لهم أنه وقفه، وكان المتكلم في ذلك علم الدين الشجاع^(٢)، وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر، وجعل يتقرب إليه بتحصيل الأموال، ففتق لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسي أن السامري اشتري هذا من بنت الأشرف وهي غير رشيدة، وأثبت سفهها على زين الدين بن مخلوف^(٣)، وأبطل البيع من أصله، واسترجع على السامري بمغل مدة عشرين سنة مائتي ألف درهم، وأخذوا منه حصة من الرئبعية قيمتها سبعون ألفًا، وعشرة آلاف مكملة، وتركوه فقيرًا على بزدي الديار، ثم أثبتوا رُشدًا، واشتروا منها تلك الحصة بما أرادوه، ثم أرادوا أن يشتدوا بالدماشقة واحدًا بعد واحد ويصادونهم، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يُفليح، ومن ظلم بمصر أفلح وطالت مدته، فكانوا يطلبونهم إلى مصر أرض الفراعنة والظلم، فيفعلون معهم ما أرادوا.

ومن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ الإمام العلامة قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الإمام أبي

(١) في م: «جزراء». وحرزم: اسم بليدة في واد ذات نهر جار ويساتين بين ماردين وديسر. معجم البلدان ٢/٢٣٩.

(٢) بعده في م: «وكان ظالماً».

(٣) بعده في م: «الجائر الجاهل».

العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميمون القيسي التوزري^(١) المصري ثم المكي^(٢)، الشافعي المعروف بالقسطلاني، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير، وحصل علومًا، وكان يُفتي على مذهب الشافعي، وأقام بمكة مدة طويلة، ثم صار إلى مصر، فولى مشيخة الحديث، وكان حسن الأخلاق، مُحَبِّبًا إلى الناس، تُؤْفَى في آخر الحرم، ودُفِن بالقرافة الكبرى، وله شعر حسن، أُورِد منه ابن الجزري قطعةً صالحةً.

عماد الدين محمد بن عباس الدنيسري^(٣)، الطبيب الماهر، والحاذق الشاعر، خدَم الأكابر والوزراء، وعُمِّر ثمانين سنة، تُؤْفَى في صفر من هذه السنة بدمشق.

قاضي القضاة بُرهان الدين الحَضِر بن الحسن^(٤) بن علي السنجاري، تولى الحكم بالديار المصرية [١٠/٩٩٩] غير مرة، وولى الوزارة أيضًا، وكان رئيسًا وقورًا مهيبًا، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين ابن بنت الأعرز.

(١) في الأصل، م: «النوري». وفي ذيل مرآة الزمان: «النوريزي». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/٣٣٠، ونهاية الأرب ٣١/١٥٠، ودول الإسلام ٢/١٨٧، والوفاء بالوفيات ٢/١٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٤٣، وتذكرة النبيه ١/١١٠، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٥/٣٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٣.

والتوزري: نسبة إلى توزر مدينة بأقصى إفريقية. معجم البلدان ١/٨٩٢.

(٢) في الأصل، م والسلوك: «المالكي». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٦١، وذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٨، والوفاء بالوفيات ٣/٢٠٠، وتذكرة النبيه ١/١١٢، وعقد الجمان ٢/٣٦٥.

(٤) في م: «الحسين». وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/٣١٩، والوفاء بالوفيات ١٣/٣٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٤٣، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣٦٥، والدليل الشافي ١/٢٨٨.

شرف الدين سليمان بن بُيُمان^(١)، الشاعرُ المشهورُ، له ديوانٌ، مات في صفرٍ منها.

الشيخُ الصالحُ عزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ الصَّيقلِ الحَرَائِي^(٢)، وُلِدَ سنةَ أربعٍ وتسعينٍ وخمسمائةٍ، وسمعَ الكثيرَ، ثم استوطنَ مصرَ حتى تُوفِّيَ بها في رابعِ عَشَرَ رجبٍ، وقد جاوزَ التَّسعينَ، وقد سَمِعَ منه الحافظُ عَلَمُ الدينِ البيزاليُّ لما رحلَ إلى مصرَ في سنةِ أربعٍ وثمانينَ، وحكى عنه أنه شهدَ جنازةَ بيغدادَ فتبعهم نَباشٌ، فلما كان الليلُ جاءَ إلى ذلك القبرِ ففتحَ عن الميتِ، وكان الميتُ شابًّا قد أصابته سَكَنَةٌ، فلما فتحَ القبرَ نهضَ ذلك الشابُّ الميتُ جالسًا، فسقطَ النَّبَاشُ ميتًا في القبرِ، وخرجَ الشابُّ من قبرِهِ^(٣) إلى أهله^(٣).

وحكى له قال: كنتُ مرَّةً بقلْيُوبَ، وبينَ يديَّ صُبْرَةٌ قمحٍ، فجاءَ زُنْبُورٌ فأخذَ واحدةً ثم ذهبَ بها، ثم جاءَ فأخذَ أخرى ثم ذهبَ بها، ثم جاءَ فأخذَ واحدةً أخرى أربعَ مراتٍ. قال: فاتَّبَعْتُهُ، فإذا هو يَضَعُ الحَبَّةَ في فمِ عُصْفُورٍ أَعْمَى بينَ تلكَ الأشجارِ التي هناك.

قال: وحكى لي الشيخُ عبدُ الكافي أنه شهدَ مرَّةً جنازةً، فإذا عبدٌ أسودٌ معنا، فلما صلَّى الناسُ عليها لم يُصَلِّ، فلما حضَرْنَا الدفنَ نظرَ إليَّ وقال: أنا

(١) في الأصل، م: «عثمان». والمثبت من مصادر ترجمته: الوافي بالوفيات ٣٥٦/١٥، وفوات الوفيات ٥٧/٢، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث)، والمنهل الصافي ٢٤/٦. وجاء اسمه في ذيل مرآة الزمان ٣٢١/٤، وتذكرة النبيه ١١١/١، والنجوم الزاهرة ٣٧٢/٧، وشذرات الذهب ٣٩٥/٥: «سليمان بن بليمان».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٢٨/٤، ودول الإسلام ١٨٧/٢، والوافي بالوفيات ٥٢٣/١٨، وتذكرة النبيه ١١٣/١، وعقد الجمال ٣٦٦/٢، والمنهل الصافي ٢٨١/٧، والدليل الشافي ٤١٥/١، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧، وشذرات الذهب ٣٩٦/٥.

(٣ - ٣) في م: «ودفن فيه النباش».

عمله . ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت . قال : فنظرت فلم أر شيئاً .

الحافظ أبو اليمن أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي^(١) ، ترك الرياسة والأملك ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مُقبلاً على العبادة والزَّهادة ، وقد حصل له قبولٌ من الناس شامئهم ومصريهم وغيرهم ، تُوفِّي بالمدينة النبوية في ثاني رجبٍ منها .

(١) الوافي بالوفيات ١٨/٤٤٧ ، وفوات الوفيات ٢/٣٢٨ ، والسلوك ١/٧٤٦ (القسم الثالث) - وفيهم أنه توفي سنة سبع وثمانين وستمائة - وعقد الجمان ٢/٣٦٧ ، والعقد الثمين ٥/٤٣٢ ، والمنهل الصافي ٧/٢٦٦ ، والدليل الشافي ١/٤١٣ ، وشذرات الذهب ٥/٣٩٥ .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها^(١) قديم الشُّجاعيِّ من مصرَ إلى الشامِ بِنَيْتَةِ المُصادِرَةِ لأزبَابِ الأموالِ من أهلِ الشامِ .

وفى أوَاخِرِ ربيعِ الآخِرِ قديمِ الشَّيْخِ ناصرِ الدينِ عبدُ الرحمنِ المقدِسيِّ من القاهرةِ على وَكالةِ بيتِ المالِ ونَظَرَ الأوقافِ ونَظَرَ الخاصِّ ، ومعه تقاليدُ وِجَلَعُ ، فترَدَّدَ الناسُ إلى بابِهِ ، وتكلَّمُ في الأمورِ ، وأذى كثيرًا من الناسِ ، وكانت ولايته بِسِفارةِ الأميرِ عَلَمِ الدينِ الشُّجاعيِّ المُتكلِّمِ في الديارِ المصريةِ ، توَسَّلَ إليه بِالشَّيْخِ شمسِ الدينِ الأيْكِيِّ وبابِنِ الوَجِيهِ^(٢) الكاتبِ ، وكانا عنده لهما صُورَةٌ ، وقد طَلَبَ جَماعَةٌ من أعيانِ الدِّماشِقَةِ في أولِ هذه السَّنَةِ إلى الديارِ المصريةِ ، فطُوبِوا بِأموالٍ كثيرةٍ ، فدافَعَ بعضُهم بعضًا ، وهذا مما يُخَفِّفُ عُقوبَتَهُ من ظلمِهِم ، وإلا فلو صَبَرُوا لَعُوِجِلَ الظالمُ بالعقوبةِ ، ولَزالَ عنهم ما يَكْرَهُونَ سَريعًا . ولما قَدِمَ ابنُ المقدِسيِّ إلى دَمَشقَ كان يَحْكُمُ بِتَربِيةِ أمِّ الصالحِ ، والناسُ يَتَرَدَّدُونَ إليه وَيَخافُونَ شَرَّهُ ، وقد اسْتَجَدَّ بِاشُورَةَ^(٣) بِيابِ الفَرادِيسِ وَمَساطِبِ بابِ الساعاتِ لِلشُّهُودِ ، وجَدَّدَ بابَ الجاييةِ الشماليِّ ورفَعَهُ وكان مُتَواطِفًا ، وأصْلَحَ الجَسَرَ الَّذِي تَحْتَهُ ،

(١) نهاية الأرب ١٥٣/٣١ - ١٦٥ ، وكتر الدرر ٢٨١/٨ ، ٢٨٢ ، وتذكرة النبيه ١١٥/١ ، وعقد الجمان ٣٦٩/٢ ، والسلوك ٧٣٩/١ - ٧٤٦ (القسم الثالث) .

(٢) في م : « الوحيد » .

(٣) الباشورة : سد من التراب يمنع وصول الحيالة والرجالة والسهام إلى مواضع المحاربين . السلوك ١٥٠/١ (القسم الأول) حاشية (٤) .

وكذلك أصلح جسرَ بابِ الفراديسِ تحتِ الشَّوَيْقَةِ التي جَدَّها عليه من الجانيئين . وهذا من أحسن ما عملهُ ابنُ المَقْدِسِيِّ ، وقد كان مع ذلك كثيرَ الأذية للناسِ ظلومًا غشومًا ، ويفتَحُ على الناسِ أبوابًا من الظلم لا حاجةَ إليها .

وفي عاشرٍ [١٠/٩٩ظ] جمادى الأولى قديم من الديارِ المصريةِ أيضًا قاضى القضاةِ حُسامُ الدينِ الحَنَفِيُّ ، والصاحبُ تَقِيُّ الدينِ تَوْبَةُ التُّكْرِيْتِيُّ ، وقاضى القضاةِ جمالُ الدينِ مُحَمَّدُ بنُ سليمانَ الزَّواوِيِّ المالكِيَّ على قضاءِ المالكيةِ بعدَ شُغوره عن حاكمِ بدمشقَ ثلاثَ سنينَ ونصفٍ ، فأقامَ شِعَارَ المنصِبِ ، ودَرَسَ ونشَرَ المذهبَ ، وكان له سُؤدُدٌ ورياسةٌ .

وفي ليلةِ الجمعةِ رابعَ شعبانَ تُوفِّيَ الملكُ الصالحُ علاءُ الدينِ بنُ الملكِ المنصورِ قلاوونَ بالدُّوسَنْطَارِيَّةِ^(١) فَوَجَدَ عليه أبوه وَجَدًا شديدًا ، وقد كان عهدُ إليه بالأمرِ من بعده ، وخطبَ له معه على المنابرِ من مدةِ سنينَ ، فدَفَنَهُ في تربته ، وجعلَ ولايةَ العهدِ من بعده إلى ابنه الأشرَفِ خَلِيلِ ،^(٢) وكتبَ بذلك إلى الآفاقِ ، ولما جاءت البريديَّةُ في شوالِ بولايةِ الأشرَفِ خَلِيلِ^(٣) من بعدِ أبيه ، حُطِبَ له على المنابرِ من بعدِ ذِكْرِ أبيه يومَ الجمعةِ ، ودَقَّتِ البَشَائِرُ ، ورُيِّئَتِ البلدُ سبعةَ أيامٍ ، وليسَ الجيشُ الخَلَعُ وركبوا ، وأظْهَرَ الناسُ سُروُرًا لشهامتِهِ^(٤) .

وفي رمضانَ باشَرَ حِشْبَةُ دَمَشَقَ شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ عِوَضًا عن شَرَفِ الدينِ بنِ الشَّيْرَاجِيِّ^(٤) .

(١) في الأصل : « بالبيطارية » ، وفي م : « بالسنتارية » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده في م : « مع ما في قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى » .

(٤) في الأصل : « الشيرازى » ، وفي م : « الشيرزى » ، وفي نهاية الأرب : « الشيرحى » ، وفي السلوك :

« السيرجى » . والمثبت من ترجمته في السلوك ٢٧٨/٢ (القسم الأول) ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٨ .

وابن الشيرجى هو أبو الفتح أحمد بن عيسى بن مظفر بن محمد ، توفى سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وفيه تَوَجَّهَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ بِنُ جَمَاعَةَ إِلَى خَطَابَةِ الْقُدْسِ بَعْدَ مَوْتِ خَطِيبِهِ
 قُطْبِ الدِّينِ، فَبَاشَرَ بَعْدَهُ تَدْرِيسَ الْقَيْمُورِيَّةِ عَلَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ بِنُ الْقَاضِي تَاجِ
 الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعْرَ^(١) أَخُو قَاضِي مِصْرَ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ أَخَذَ ابْنُ جَمَاعَةَ
 قِضَاءَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعْرَ^(٢).

وفى شهرِ رَمَضَانَ كَبِسَ نَضْرَانِيَّ وَعِنْدَهُ مُسْلِمَةٌ، وَهَمَا يَشْرَبَانِ الْخَمْرَ فِي
 نَهَارِ رَمَضَانَ، فَأَمَرَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ حُسَامُ الدِّينِ لِاجِينَ بِتَحْرِيقِ النَّضْرَانِيَّ، فَبَدَّلَ
 فِي نَفْسِهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَأُحْرِقَ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَعَمِلَ الشُّهَابُ
 مَحْمُودٌ فِي ذَلِكَ أَيْبَاتًا فِي قَصِيدَةٍ مَلِيحَةٍ^(٣).

وَمَنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الْخَطِيبُ الْإِمَامُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الزَّكَاةِ عَبْدُ الْمُتَعَمِّمِ بِنُ يَحْيَى بِنِ إِبْرَاهِيمَ بِنِ
 عَلِيِّ بِنِ جَعْفَرِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ سَعْدِ بِنِ إِبْرَاهِيمَ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ
 عَوْفِ الْقَرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ^(٤)، خَطِيبُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ
 الصُّلَحَاءِ الْكِبَارِ، مَجْمُوعًا عَنِ النَّاسِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ مَهِيئًا، غَزِيْرَ النَّفْسِ، يُفْتِي
 النَّاسَ، وَيَذْكُرُ التَّفْسِيرَ مِنْ حَفِظِهِ فِي الْمِخْرَابِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَقَدْ سَمِعَ
 الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْ الْأَخْيَارِ، وَوُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ سَابِعِ
 رَمَضَانَ عَنِ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ إِبْرَاهِيمُ بِنُ مِغْضَادِ بِنِ شَدَّادِ بِنِ مَاجِدِ الْجَعْفَرِيِّ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « وأما المرأة فجلدت الحد » .

(٣) تذكرة النبيه ١/١١٩، والسلوك ١/٧٤٦ (القسم الثالث) - وفيهما : « أبو الذكاء » - وعقد

الجمان ٢/٣٧٣ - وفيه : « أبو الوفا » - والمنهل الصافي ٧/٣٦٦، والدليل الشافى ١/٤٣٠ - وفيهما :

« أبو البركات » - والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٨، والأنس الجليل ٢/١٣٦ - وفيه : « أبو الذكاء » .

تَقَى الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ^(١)، أَصْلُهُ مِنْ قَلْعَةِ جَعْبَرٍ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ، فَكَانَ يَعْظُمُ النَّاسَ، وَكَانَ النَّاسُ يَنْتَفِعُونَ بِكَلَامِهِ كَثِيرًا، تُوفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ يَوْمَ السَّبْتِ الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ، وَدُفِنَ فِي تَرْبَتِهِ بِالْحُسَيْنِيَّةِ، وَهُوَ نَظْمٌ حَسَنٌ، وَكَانَ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْمَشْهُورِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشيخ الصالح ياسين بن عبد الله المقرئ الحجام^(٢)، شيخ الشيخ محيي الدين التَّوَاوِيُّ، وَقَدْ حَجَّ عَشْرِينَ حَجَّةً، وَكَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ وَكِرَامَاتٌ.

الخوندة غازية خاتون بنت الملك المنصور قلاوون^(٣)، زوجة الملك السعيد.

الحكيم الرئيس علاء الدين علي بن أبي الحزم بن نفيس^(٤)، شرح «القانون» لابن سينا، [١٠٠/١٠] وصنّف «الموجز» وغيره من الفوائد، وكان يَكْتُبُ مِنْ حَفِظِهِ، وَكَانَ اسْتِغَالَهُ عَلِي ابْنِ الدُّخْوَارِيِّ، وَتُوفِّيَ بِمَصْرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

الشيخ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين بن مالك النَّحْوِيُّ^(٥)، شارح «الألفية» التي عملها أبوه، وهو من أحسن الشُّرُوحِ وَأَكْثَرِهَا فَوَائِدَ، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًا فَاضِلًا، تُوفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّامِنِ مِنَ الْحَرَمِ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِيَابِ الصَّغِيرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) دول الإسلام ١٨٨/٢، والوفى بالوفيات ١٤٧/٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢٣/٨، وتذكرة النبيه ١١٦/١، والدليل الشافى ٢٩/١، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٧٣/٢.
(٢) مرآة الجنان ٢٠٦/٤، وعقد الجمان ٣٧٥/٢، والدليل الشافى ٧٧١/٢، وشذرات الذهب ٤٠٣/٥.
(٣) نهاية الأرب ١٥٩/٣١، وعقد الجمان ٣٧٨/٢.

(٤) دول الإسلام ١٨٨/٢، ومسالك الأبصار ٣٤٩/٩، ومرآة الجنان ٢٠٧/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٥/٨، وتذكرة النبيه ١١٥/١، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٧٤/٢، والنجوم الزاهرة ٣٧٧/٧، ومعجم الأطباء ص ٢٩٢. وهو المعروف بابن النفيس.

(٥) الوفاى بالوفيات ٢٠٤/١، وتذكرة النبيه ١١٠/١، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٦٥/٢، وبغية الوعاة ٢٢٥/١، وشذرات الذهب ٣٩٨/٥. وفيهم أنه توفى سنة ست وثمانين وستمائة.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها^(١) كان فتح مدينة طرابلس، وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيش المنصورة المصرية في ضحيتته إلى دمشق فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم صار بهم وبجيش دمشق وضحبتة خلق كثير من المطوعة، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة، وخلق من المقادسة وغيرهم، فنازل طرابلس يوم الجمعة مُستَهَلَّ ربيع الأول، وحاصرها بالمجانيق حصارًا شديدًا، وضيقوا على أهلها تضييقًا عظيمًا، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقًا، فلما كان يوم الثلاثاء^(٢) ربيع الآخر^(٣) فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء ونهبت الأموال، وشيبت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرينج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ^(٤) كان الملك صنعيل^(٤) الفرينج حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا^(٣)، وقد كانت قبل ذلك في أيدي

(١) نهاية الأرب ١٦٣/٣١ - ١٦٥، وكنز الدرر ٢٨٢/٨ - ٣٠٠، والعبير ٣٥٦/٥ - ٣٦٠،

وتذكرة النبيه ١٩٢/١ - ١٩٤، وعقد الجمان ٢٧٩/٢ - ٢٨٩.

(٢ - ٣) في الأصل، م، عقد الجمان: «رابع جمادى الآخرة». وفي كنز الدرر: «رابع عشر ربيع الآخر». والمثبت من نهاية الأرب والعبير. وجاء في تذكرة النبيه أن الحصار دام ثلاثة وثلاثين يوما.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) في الأصل: «صحيل». والمثبت من الكامل ٤١١/١٠، ٤٧٥، وكنز الدرر، وعقد الجمان.

المسلمين من زمان معاوية، فقد فتحها سفيان بن مجيب^(١) لمعاوية، فأسكنها معاوية اليهود، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها، وحصنها وأسكنها المسلمين، وصارت آمنة عامرة مطمئنة، وبها يمار الشام ومصر، فإن بها الجوز والموز والتلج والقصب، والمياه جارية فيها تصعد إلى أمكنة عالية، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلدا واحدا، ثم حوّلت من موضعها كما سيأتي الآن. ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر، وزينت البلاد، وفرح الناس فرحا شديدا، ولله الحمد والمنة.

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمار والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها، وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك، فهى هذه البلدة التي يقال لها: طرابلس^(٢) التي جعلها الله تعالى دار أمان وإيمان.

ولما فرغ السلطان [من]^(٣) فتح طرابلس^(٢) عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا مسرورا محبورا، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة، ولكنه فوض الأمور والكلام فى الأموال إلى علم الدين الشجاعى، فصادر جماعة وجمع أموالا كثيرة، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق، وبئس هذا الصنيع؛ لأن ذلك تعجيل لدمار الظالم وهلاكه، فلم يُغن عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئا، فإنه لم يعيش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله، كما سيأتى. ثم سافر السلطان فى ثانى شعبان بجيشه إلى الديار المصرية، فدخلها فى أواخر شعبان.

(١) فى الأصل، م، عقد الجمان: «نجيب». والمثبت من أسد الغابة ٢/٤٠٧. وانظر الإكمال ١/٢١٠، ٢١١.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) سقط من: الأصل. وأضفناها لتستقيم العبارة.

وفيهما فُتِحَتْ قِلاَعٌ كَثِيرَةٌ [١٠٠/١٠٠ظ] بناحية حلب؛ كَزَوَكْرُ^(١) وتلك النَّواحِي، وكُسِرَتْ طائفةٌ مِنَ الشَّرِّ هناك، وقُتِلَ ملكُهُم خَزِيندا نائِبُ الشَّرِّ على مَاطِيَّةٍ.

وفيهما تَوَلَّى الحِيسْبَةَ بدمشق جمالُ الدين يوسفُ بنُ التَّقِيِّ تَوْبَةَ التَّكْرِيتِي، ثم أخذها بعدَ شهرٍ تاجُ الدين الشُّيرازِي.

وفيهما وُضِعَ منبرٌ عندَ مَحْرَابِ الصَّحَابَةِ بسببِ عِمارةٍ كانت في المَقْصُورَةِ، فَصَلَّى بُرْهانُ الدين الإسْكَندَرِيُّ نائِبُ الحَظِيْبِ بالناسِ هناك مدةَ شهرٍ الجُماعاتِ والجُمُعَاتِ، ابْتَدَءُوا ذلكَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ الثاني والعشرين مِنْ ذِي الحِجَّةِ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الأَعْيَانِ :

الشيخةُ فاطمةُ بنتُ الشيخِ إبراهيمَ^(٢) بنتُ الرُّعَيْنِيِّ^(٣)، زوجةُ النَّجْمِ بنِ إِسْرَائِيلَ، كانت مِنْ بَيْتِ الفَقْرِ، لها سُلْطَنَةٌ وإِقْدَامٌ وترجمةٌ وكلامٌ في طريقةِ الحَرِيرِيَّةِ وغيرِهِم، وحَضَرَ جِنازَتَها خَلْقٌ كَثِيرٌ، ودُفِنَتْ عِنْدَ الشَّيْخِ رَسْلانِ.

العَلَمُ ابنُ الصَّاحِبِ المَاجِنِ، هو الشَّيْخُ الفاضِلُ عَلَمُ الدينِ أَحْمَدُ بنُ يوسُفَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ شُكْرِ^(٤)، كان مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ ورياسةٍ، وقد دَرَسَ في بعضِ المَدارسِ، وكانت لهُ وَجاهَةٌ ورياسةٌ، ثم تَرَكَ ذلكَ كُلَّهُ، وأقْبَلَ على الحَرْفِشَةِ وَصُحْبَةِ الحَرافِيشِ^(٤) والتَّشْبِيهِ بِهِم في اللُّباسِ والطَّرِيقَةِ، وأكَلَ الحَشِيشَ

(١) كزكر: حصن قرب ملطية . معجم البلدان ٤/ ٢٦٢.

(٢) - ٢) سقط من: م . انظر ترجمتها في عقد الجمان ٢/ ٣٩١، وفيه: «الزعيبي» .

(٣) العبر ٥/ ٣٥٧، والوافي بالوفيات ٨/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٨٩، والمنهل الصافي ٢/ ٢٧٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٤) الحرافيش مفردا حرفوش وهم الرعاع .

(١) «استعمل ما» كان من إلفهم في الخلاعة والمجون والزوائد الرائجة الفائقة التي لا يلحق في كثير منها، وقد كان له أولادٌ فضلاءً ينهونه عن ذلك، فلا يلتفت إليهم، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفي ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الأول.

ولما ولى القضاة الأربعة كان ابن خالته تاج الدين ابن بنت الأعرز مستقلاً في القضاء قبل ذلك، فقال له ابن صاحب المذكور: ما ميت حتى رأيتك صاحب ربيع^(٢). فقال له: تشكك وإلا خلتهم يسقونك السم. فقال له: فى قلة دينك تفعل، وفى قلة عقولهم يسمعوا منك.

وقال يمدح الحشيشة الحسيصة:

يا أهيل العقول والأفهام فى حمار الحشيش معنى مرامى
وحرام تحريم غير الحرام حرموها عن غير عقل ونقل
وله أيضاً:

فأللهو منه الفتى يعيش يا نفس ميلى إلى التصامى
إن أعوز الخمر فالحشيش ولا تملئ من سكر يوم
وله أيضاً:

فوحش لا أهتدى من السكر جمعت بين الحشيش والخمر
يزبح واللّه غاية الأجر يا من يرنى لباب مدرستى

(١ - ١) فى م: «استعمله».

(٢) الربيع: الحكم. انظر الوسيط (ر ب ع).

وقال يَهُجُو الصَّاحِبَ بَهَاءَ الدِّينِ بِنَ الحِثِّ^(١) :

أَقْعُدْ بِهَا وَتَهْنَا لَابِدًا أَنْ تَتَعَنَّى
تَكْتُبَ عَلَيَّ ابْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) مِنْ أَيْنَ لَكَ يَا بَنَ حِثًّا

فاستدعاه فضربه ، ثم أمر به إلى المارستان ، فمكث فيه سنة ، ثم أُطلق .
شمس الدين الأصبهاني شارح « المحصول » محمد بن محمود بن محمد
ابن عبَّاد السُّلَمَانِيُّ العَلَّامَةُ^(٣) ، قديم دمشق بعد الخمسين وستمائة ، وناظر
الفقهاء ، واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث ، وشرح « المحصول » للرازي ،
وصنَّف القواعد في أربعة فنون ؛ أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ،
والخلاف ، وله معرفة جيدة بالمنطق والنحو والأدب ، وقد رحل إلى مصر ، فدرَّس
بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، تُوفِّي في العشرين من
رجب في القاهرة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

الشمس^(٤) محمد بن العفيف سليمان بن علي بن عبد الله بن علي
السُّلَمَانِيُّ ، الشاعرُ المُطَبِّقُ ، كانت وفاته في حياة أبيه ، فتألم له ، ووجد عليه
وَجْدًا شديدًا ، [١٠١/١٠] ورثاه بأشعار كثيرة ، تُوفِّي يوم الأربعاء الرابع عشر من

(١) لم نقف على هذه الأبيات .

(٢) في الأصل : « بحر » .

(٣) العمر ٣٥٩/٥ ، والوفى بالوفيات ١٢/٥ ، ومراة الجنان ٢٠٨/٤ ، وتذكرة النبيه ١٢٥/١ ، والسلوك
٧٥٠/١ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٤٠٦/٥ .

(٤) بعده في الأصل : « بن » . وانظر مصادر ترجمته في : العمر ٣٥٩/٥ ، والوفى بالوفيات ١٢٩/٣ ،
وفوات الوفيات ٣٧٢/٣ ، وتذكرة النبيه ١٢٦/١ ، والسلوك ٧٥٠/١ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة
٣٨١/٧ ، وشذرات الذهب ٤٠٥/٥ .

رجبٍ، وُضِّلِي عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ. فَمِنْ رَائِقِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

وَأَنَّ ثَنَائِيهِ نَجْمٌ لَبْدَرِهِ وَهَنْ لِعَقْدِ الْحُسْنِ فِيهِ فَرَائِدُ
وَكَمْ يَتَجَافَى خَضْرَاهُ وَهُوَ نَاجِلٌ وَكَمْ يَتَحَلَّى ثَغْرَهُ وَهُوَ بَارِدُ
وَلَهُ يَذُمُّ الْحَشِيشَةَ:

مَا لِلْحَشِيشَةِ فَضْلٌ عِنْدَ آكِلِهَا لَكِنَّهُ غَيْرُ مَضْرُوفٍ إِلَى رَشْدِهِ
صَفْرَاءُ فِي وَجْهِهِ خَضْرَاءُ فِي فِيهِ حَمْرَاءُ فِي عَيْنِهِ سَوْدَاءُ فِي كَبِدِهِ^(١)
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا:

بَدَا وَجْهُهُ مِنْ فَوْقِ ذَابِلِ قَدِّهِ^(٢) وَقَدْ لَاحَ مِنْ سُودِ الذَّوَائِبِ فِي جُنْحِ
فَقَلْتُ عَجِيبٌ كَيْفَ لَمْ يَذْهَبِ الدُّجَى وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى رُوحِ
وَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ^(٣):

مَا أَنْتَ عِنْدِي وَالْقَضِي بُ اللَّذْنُ فِي حَدِّ سَوَا
هَذَاكَ حَرَّكَهُ الْهَوَا وَأَنْتَ حَرَّكَتَ الْهَوَى

الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
الْعَادِلِ^(٤)، تُوفِّيَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَعْبَانَ، وَضُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ
مِنْ يَوْمِهِ بِتَرْتِيبِهِ جَدُّهُ، وَكَانَ نَاطِرَهَا، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يُحِبُّ
أَهْلَهُ، وَكَانَ فِيهِ لُطْفٌ وَتَوَاضُعٌ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «جَسَدِهِ».

(٢) فِي الْأَصْلِ، م: «خَدِهِ». وَالمُثَبَّتُ مِنْ فَوَاتِ الوَفِيَّاتِ ٣/٣٧٨.

(٣) انظُرْ عَقْدَ الْجَمَانِ ٢/٣٨٩.

(٤) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣١/١٦٥، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٢٤، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/٣٩٠.

الشيخ فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف البغلي الحنبلي^(١)،
شيخ دار الحديث الثورية ومشهد ابن عروة، وشيخ الصدرية، كان يفتي ويفيد
الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة، وُلد سنة إحدى عشرة^(٢) وستمائة،
وتُوفِّي في رجب منها.

(١) العبر ٥/٣٥٨، ومرآة الجنان ٤/٢٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣١٩، وعقد الجمان ٢/٣٨٩،
والنجوم الزاهرة ٧/٣٨٢، وشذرات الذهب ٥/٤٠٤.
(٢) في الأصل: «وعشرين».

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها^(١) كانت وفاة الملك المنصور قلاوون، وكان الخليفة الحاكم العباسي، ونائب مصر حسام الدين طرطاي^(٢)، ونائب الشام حسام الدين لاجين، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخويي الشافعي، وحسام الدين الحنفي، ونجم الدين بن شيخ الجبل الحنبلي^(٣)، وجمال الدين الزواوي المالكي.

وجاء البريد بطلب شمس الدين سنقر الأعرس^(٤) إلى الديار المصرية، فأكرمه السلطان وقواه، وشد يده، وأمره باستخلاص الأموال، وزاده شد الجيوش، والكلام على الحصون إلى البيرة وكختا وغير ذلك، فقويت نفسه، وزاد تجبره، ولكن كان يرجع إلى مروءة سنقر، ويتفجع من ينتمي إليه، وذلك مودة في الدنيا في أيام قلائل.

وفي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين بن المقدسي وكيل بيت المال وناظر الخاص^(٥) والأوقاف^(٥)، فظهرت عليه مخاز من أكل الأوقاف وغيرها، فزيم عليه بالعدراوية، وطولبت بتلك الأموال، وضيق عليه،

(١) نهاية الأرب ١٦٧/٣١ - ١٨٤، وكتر الدرر ٣٠٠/٨ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١٣٦/١، وعقد الجمان ١٠/٣ - ٤٠، والسلوك ٧٥١/١ - ٧٥٩ (القسم الثالث).

(٢) في م: «طرطاي». وانظر المصادر السابقة.

(٣) سقط من: م. وانظر المصادر السابقة.

(٤) في م: «الأشقر».

(٥ - ٥) سقط من: م.

وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامري قصيدة يتشقى فيها لما كان أسدى إليه من الظلم والإيذاء، مع أنه راح إليه، وتعمم له وتمارحاً هنالك، ثم جاء البريد بطلبه إلى الديار المصرية، فخاف الثواب من ذهابه، «إليها وفُضوله وشِره»^(١)، فأصبح يوم الجمعة «ثالث شعبان» وهو مشنوق بالمدرسة العذراوية، فطلبت القضاة والشهود، فشاهدوه كذلك، ثم جهز وصلى عليه بعد الجمعة، ودُفن بمقابر الصوفية عند أبيه، وكان مدرساً بالرواحية وتُربة أم الصالح، مع الوكالتين والنظر.

وجاء البريد بعمل مجانيق لحصار عكا، فركب الأعمش إلى أراضى بعلبك لما هنالك من الأخشاب العظيمة التي لا يُوجد مثلها بدمشق، وهي تصلح لذلك، فكثرت الجنايات والجبايات والسخر، وكلّفوا الناس تكليفاً كثيراً، وأخذوا أخشاب الناس، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة وشدة كثيرة، إنا لله [١٠١/١٠١ظ] وإنا إليه راجعون.

وفاة الملك المنصور قلاوون، بينما الناس في هذا الهَمّ والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بريديّة، فأخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذى القعدة من هذه السنة، بالخيّم ظاهر القاهرة، ثم حُمِل إلى قلعة الجبل ليلاً، وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له، وحلف له جميع الأمراء، وخطب له على المنابر، وركب في أبهة الملك، والعسكر كلهم في خدمته مُشاةً من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخيل، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع وعلى القضاة والأعيان، ولما جاءت الأخبار بذلك حلف

(١ - ١) سقط من: م.

له الأمراء بالشام ، وقبض على حُسامِ الدين طُرنطاي نائب أبيه ، وأخذ منه أموالاً جزيلةً جداً ، فأنفق منها على العسكرِ .

وفيهما ولي خطابة دمشق زَيْنُ الدين عمرُ بنُ مَكِّي بنِ المرَّحَلِ عَوْضًا عن جمالِ الدين بنِ عبدِ الكافي ، وكان ذلك بمُساعدة الأعمسِ ، وتولَّى نظَرَ الجامعِ الرئيسِ وَجِيهَ الدينِ بنِ المُتَجِّ الحنبلِي ، عَوْضًا عن ناصرِ الدين بنِ المقدسيِّ ، وثمَّ وقَّفه وعمَّره ، وزاد مائةً وخمسين ألفًا .

وفيهما اختَرَت دارُ صاحبِ حماة ، وذلك أنه وقع فيها نارٌ في غَيْبَتِهِ ، فلم يَتَجاسرَ أحدٌ يَدْخُلُها ، فعمِلت النارُ فيها يومين ، فاخترت واخترق كلُّ ما فيها . وفي شَوَّالِ دَرَسَ بترية أمُّ الصالحِ بعدَ ابنِ المقدسيِّ القاضي إمامِ الدينِ القونويِّ .

وفيهما باشر الشرفُ حسنٌ^(١) بنُ أحمدَ بنِ الشيخِ أبي عمرَ قضاة الحنابلة عَوْضًا عن ابنِ عمِّه نجمِ الدينِ بنِ شيخِ الجبلِ ، عن مرسومِ الملكِ المنصورِ قبلَ وفاته .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة من الشام الأميرُ بدرُ الدين^(٢) بكتوت الزوباسي^(٣) ، وحجَّ قاضي القضاة شهابُ الدين بنُ الخوئيِّ ، وشمسُ الدين بنُ السلغوسِ ، ومقدَّمُ الرُّكْبِ الأميرُ عُتْبَةُ ، فتوَّهم منه أبو نُعميِّ ، وكان بينهما عداوةٌ ، فأغلق أبوابَ مكة ، ومنع الناسَ من دخولها ، فأحرق البابُ ، وقُتِلَ جماعةٌ ، ونهبَت بعضُ الأماكنِ ، وجرت خُطوبٌ فظيعةٌ ، ثم أُرسلوا القاضي ابنُ

(١) في الأصل ، م : « حسين » . والمثبت من نهاية الأرب ١٧٢/٣١ ، وعقد الجمان ٤٦/٣ ، والسلوك ٥١/١ (القسم الثالث) . وستأتي ترجمته في صفحة ٦٨٩ ضمن وفيات سنة خمس وتسعين وستمائة .
(٢ - ٣) في م : « بكتوت الدوباسي » ، وفي عقد الجمان ٤٠/٣ : « بكتاش الزوماتي » .

الخُوَيْطِيُّ لِيُصْلِحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، ولما اسْتَقَرَّ عِنْدَ أَبِي نُحَيْمٍ رَحِيلُ الرُّكُوبِ ^(١) ، وبقي هو في الحَرَمِ وَحَدَهُ ، أُرْسِلَ مَعَهُ أَبُو نُحَيْمٍ مَنْ أَحْلَقَهُ بِهِمْ سَالِمًا مُعَظَّمًا . وجاء الخبرُ بِمَوْتِ الْمَنْصُورِ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ بِعَرَفَاتٍ ، وهذا شيءٌ عَجِيبٌ ، وجاء كتابُ يَسْتَحِثُّ الْوَزِيرَ ابْنَ السَّلْعُوسِ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَيُبَيِّنُ الْأَسْطُرَ بِخَطِّ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ : يَا شَقِيرَ ، يَا وَجَهَ الْخَيْرِ ، اخْضُرْ لِتَسَلَّمَ الْوِزَارَةَ . فساق إلى الْقَاهِرَةِ ، فوَصَلَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرَ الْحَرَمِ ، فَتَسَلَّمَ الْوِزَارَةَ كَمَا قَالَ السُّلْطَانُ .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّرْكِيُّ الصَّالِحِيُّ الْأَلْفِيُّ ^(٢) ، اشْتَرَاهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ ابْنَ أَيُّوبَ بِالْفِ ^(٣) دِينَارٍ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ عِنْدَهُ وَبَعْدَهُ ، وَلَمَّا تَزَوَّجَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الظَّاهِرِ بِابْنَتِهِ غَازِيَّةَ خَاتُونٍ ، عَظُمَ شَأْنُهُ جَدًّا عِنْدَ الظَّاهِرِ ، وَمَا زَالَ يَتَوَفَّعُ فِي الدَّوْلَةِ حَتَّى صَارَ أَتَابِكَ سَلَامُشِ بْنِ الظَّاهِرِ ، ثُمَّ رَفَعَهُ مِنَ الْبَيْتِ ، وَاسْتَقْبَلَ بِالْمَلِكِ فِي ^(٤) سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَكَسَرَ التَّنَارَ عَلَى حِمَصَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ ، فَأَحْبَبَهُ النَّاسُ ، وَفَتَحَ الْمَرْقَبَ فِي ^(٥) سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَفَتَحَ طَرَابُلُسَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، وَعَزَمَ عَلَى فَتْحِ [١٠٢/١٠٠] عَكَّا وَبَرَزَ لَهَا ، فَعَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَّتِهِ بِمَدْرَسَتِهِ الْهَائِلَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بَيْنَ

(١) الرُّكُوبُ : جَمْعُ الرُّكْبِ .

(٢) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧٣/٣١ ، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٣٠١/٨ ، وَالْعَبْرُ ٣٦٣/٥ ، وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٢٠٣/٣ ، وَتَذَكْرَةُ النَّبِيَّةِ ١٣٥/١ ، وَالسَّلُوكُ ٧٥٤/١ (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٢/٣ ، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٥٤٨/٢ .

(٣) فِي م : « بِالْفِي » .

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ م .

القَصْرَيْنِ ، التي ليس بديارِ مَصْرَ ولا بالشامِ مثلها ، وفيها دارُ حديثٍ ومارِسْتانُ ،
وعليها أوقافٌ دارَّةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ ، مات عن قريبٍ من ستين سنة^(١) ، وكانت مدةُ
ملكه اثنتي عشرة سنةً ، وكان حسنَ الصورةِ مَهِيْبًا ، عليه أُبْهَةُ السُّلْطَنَةِ وَمَهَابَةُ
المُلْكِ ، تامُّ القامةِ ، حسنَ اللحيةِ ، عالي الهِمَّةِ ، شجاعًا وقورًا ، سامحه اللهُ .

الأميرُ حسامُ الدينِ طُرُنْطاي^(٢) ، نائبُ السلطنةِ المنصوريةِ بمصرَ ، أخذَه
الأشرفُ فسَجَنَه بقلعةِ الجبلِ ثم قتلَه ، وبقي ثمانيةَ أيامٍ لا يُدْرَى به ، ثم لُفَّ في
حصيرٍ وأُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ ، وحنَّ^(٣) عليه بعضُ الناسِ ، فكفَّن كآحادِ الفقراءِ
بعدَ التعميمِ الكثيرِ ، والدنيا المُتَّسِعَةِ ، والكلمةِ النافذةِ ، وقد أخذَ السلطانُ من
حواصلِهِ ستمائةَ ألفِ دينارٍ وسبعينَ قِنْطَارًا بالمصريِّ فِضَّةً ، ومن الجواهرِ شيئًا
كثيرًا ، سوى الخيلِ والبغالِ والجمالِ والأمتعةِ والبسطِ الجيادِ ، والأسلحةِ المُثَمَّنَةِ ،
وغيرِ ذلكِ من الحواصلِ والأُملاكِ بمصرَ والشامِ ، وتركَ ولَدَيْنِ أحدهما أعمى ،
وقد دَخَلَ هذا الأعمى على الأشرفِ ، فوضعَ المِنْدِيلَ على وجهِهِ وقال : شيءٌ
لِلَّهِ . وذكرَ له أن لهم أيامًا لا يَجِدُونَ شيئًا يأكُلونه ، فرقَّ لهم وأطلقَ لهم الأُملاكَ
يَأْكُلونَ مِنْ رِيعِهَا ، فسبحانَ اللهُ المُتَصَرِّفِ في خلقِهِ بما يَشَاءُ ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
مَنْ يَشَاءُ .

الشيخُ الإمامُ العَلامةُ رَشِيدُ الدينِ عمرُ بنُ إسماعيلَ بنِ مسعودِ الفارقيِّ
الشافعيِّ^(٤) ، مدرسُ الظاهريةِ ، تُوفِّيَ بها وقد جاوزَ التسعينَ ، وُجِدَ مَخْنُوقًا في

(١) بعده في الأصل : « وقيل ثمانين سنة » .

(٢) في م : « طرقتاي » . وانظر ترجمته في : نهاية الأرب ٣١ / ١٨٠ ، والعبير ٥ / ٣٦١ ، المنهل الصافي

٦ / ٣٨٦ ، وعقد الجمال ٣ / ٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٨٣ .

(٣) في م : « حزن » .

(٤) نهاية الأرب ٣١ / ١٧٢ ، والعبير ٥ / ٣٦٣ ، والوفاء بالوفيات ٢٢ / ٤٣١ ، وفوات الوفيات =

المُحَرَّم، ودُفِن بالصوفيَّة، وقد سمع الحديث، وكان منفردًا في فنونٍ من العلوم كثيرة، منها النحو والأدب وحلُّ المتزجَم والكتابةُ والإنشاء وعلمُ الفلكِ والتَّجْوِم وضربُ الرَّمْلِ والحسابُ وغيرُ ذلك، وله نَظْمٌ حسنٌ.

الخطيبُ جمالُ الدين أبو محمد عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الرُّبَيْعِيُّ^(١)، تُوفِّي بدارِ الحَظَايِبة، وحضَّر الناسُ الصلاةَ عليه يومَ السبتِ سَلَخَ جُمادى الأولى، وحُمِلَ إلى السفح، فدُفِنَ إلى جانبِ الشيخِ يوسفَ الفُقَاعِيِّ.

فخرُ الدين^(٢) أبو الطاهر^(٣) إسماعيلُ بنُ عَزِّ القُضاةِ أبي الحسنِ عليّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبي اليُمْنِ، الشيخُ الزاهدُ المُتَقَلِّلُ من متاعِ الدنيا، تُوفِّي في العشرين من رمضان، وصُلِّيَ عليه في الجامع، ودُفِنَ بتريةِ بنى الزُكِيِّ بقاسيونَ مَحَبَّةً في مَحَبِّي الدينِ بنِ عَزْبِيِّ؛ فإنه كان يَكْتُبُ من كلامِهِ كلَّ يومٍ ورتين، ومن الحديثِ ورتين، وكان مع هذا يَحْسُنُ الظَّنَّ به، وكان يُصَلِّي مع الأئمةِ كلَّهم بالجامع، وقد أُخْبِرَ عنه بعضُ العلماءِ أنه رأى بخطه:

وفى كلِّ شيءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنه عينُهُ

وقد صَحَّحَ على «عينُهُ»، وإنما الصحيحُ المَرْوِيُّ عن أنشد هذا الشعرَ أولاً:

* تَدُلُّ على أنه واحدٌ^(٤) *

= ٢٠٣/٢ - وفيه أنه توفي سنة سبع وثمانين وستمائة - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٨/٨،

وتذكرة النبيه ١٣١/١، وعقد الجمان ٤١/٣، والدارس ٣٥١/١، وبنية الوعاة ٢١٦/٢.

(١) العبر ٣٦٣/٥، ومرآة الجنان ٢٠٨/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٨٠/٨، وتذكرة النبيه

١٣١/١، وعقد الجمان ٤٣/٣، والنجوم الزاهرة ٣٨٦/٧.

(٢ - ٢) في م: «أبو الطاهر». وانظر ترجمته في: العبر ٣٦١/٥، وفوات الوفيات ١٧٩/١، والوافي

بالوفيات ١٦٦/٩، وتذكرة النبيه ١٣٠/١، وعقد الجمان ٤٤/٣، والمنهل الصافي ٤٠٨/٢.

(٣) وهو لأبي العتاهية. انظر التمثيل والمحاضرة ص ١١.

وله شعراً فمناه :

والنهرُ قد^(٢) جُنَّ بالغصونِ هوى
فغار منه النَّسيمُ عاشقُها

وله أيضاً :

لما تحقَّق بالإمكانِ فوقكم
[١٠٢/١٠] ط [٣] الجمعُ عنه وهو مُتَّحِدٌ^(٤)
وقد بدا حكمه في عالمِ الصَّوَرِ
فلاخِ فوقكم^(٤) في عالمِ الصَّوَرِ

وله :

لى سادة لا أرى سواهم
لقد أحاطوا بكلِّ جزءٍ
هم نظروا فى عمومِ فقرى
فعاملوني ببخيتِ جودِ
فلا تلم إن جررتُ ذيلى
هم عينُ مغناى عينُ^(٥) جوفى
منى وعزوا عن ذلكِ طرفى
وطولِ ذلى وفرطِ ضغفى
وصروفِ برٍّ ومحضِ لطفِ
فخرًا بهم أو تئيتُ عطفى

وله :

مواهبُ ذى الجلالِ لى تثرى
فقد أحرستنى ونطقتن شُكرا

(١ - ١) فى الأصل :

فصار برانا قبلته يمثلهها»

«والله رمنذ حسر بالغصون هوى

(٢) فى م : «مذ» . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : «فميز» .

(٤) فى م : «فرقكم» .

(٥) فى الأصل : «غير» .

فَنُعْمَى إِثْرَ نُعْمَى إِثْرَ نُعْمَى «وَبُشْرَى بَعْدَ بُشْرَى بَعْدَ بُشْرَى»^(١)
لَهَا بَدْءٌ وَلَيْسَ لَهَا أَنْتِهَاءٌ يَعْمُ مَزِيدُهَا دُنْيَا وَأُخْرَى
الْحَاجُّ طَبِيزُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَاءُ الدِّينِ الْوَزِيرِيُّ^(٢)، صِهْرُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ،
كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ ذَوِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَكَانَ دَيْتًا، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، لَهُ خَانٌ
بِدِمَشْقَ أَوْقَفَهُ، وَهُوَ فِي فِكَالِكِ الْأَسْرَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِمِائَةِ
أَلْفٍ تُصْرَفُ عَلَى الْجُنْدِ بِالشَّامِ وَمِصْرَ، فَحَصَلَ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ خَمْسُونَ دِرْهَمًا،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَتِهِ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ.

قَاضِي الْقَضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ^(٣) بْنُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ
أَبِي عَمْرٍ الْمَقْدِسِيِّ، تُوفِّي ثَانِي عَشَرَ^(٤) جَمَادَى الْآخِرَةَ مِنْهَا، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ خَلْقٌ
كَثِيرٌ وَنَائِبُ السُّلْطَنَةِ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، وَهُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً سِوَاءً^(٥)، وَكَانَ فَاضِلًا
بَارِعًا خَطِيبًا مُدْرِّسًا، دَرَسَ بِأَكْثَرِ الْمَدَارِسِ، وَهُوَ شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ وَابْنُ شَيْخِهِمْ،
وَتَوَلَّى بَعْدَهُ الْقَضَاةَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ حَسَنُ^(٥) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمْرٍ. وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ: «وَيَسْرًا بَعْدَ يَسْرًا بَعْدَ يَسْرًا».

(٢) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٨٥/٣١، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٤٩/٣، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٣٧٥/١، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٣٨٥/٧.

(٣) سَقَطَ مِنْ: م. وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْعَبْرِ ٣٦٠/٥، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٤٦/٧، وَتَذَكْرَةُ النَّبِيِّ ١٢٩/١،

وَالذَّلِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٣٢٢/٢، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٤٥/٣، وَالنَّهْلُ الصَّافِي ٣٣٠/١.

(٤ - ٤) فِي م: «رَجَبٍ بِسِوَاءٍ».

(٥) فِي الْأَصْلِ، م: «حَسِينٍ». وَانظُرْ مَا تَقْدَمُ فِي صَفْحَةِ ٦٢٥.

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة^(١)

فيها فُتِحَتْ عَكَا وَبَقِيَّةُ السَّوَاجِلِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي الْفِرْجِ مِنْ مُدَدِ مُتَطَاوِلَةٍ ،
وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِيهَا حَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ
الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، وَنَائِبُهُ بِمِصْرَ وَأَعْمَالِهَا بَدْرُ الدِّينِ
يَبْدَرَا ، وَوَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْغُوسِ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّينِ ، وَنَائِبُهُ بِالشَّامِ حُسَامُ الدِّينِ
لَاجِينِ السَّلْحَدَاؤِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَقُضَاةُ الشَّامِ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي الَّتِي قَبْلَهَا ،
وَصَاحِبُ الْيَمَنِ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ شَمْسُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْمَنْصُورِ نَوْرِ الدِّينِ عَمْرَ بْنِ
عَلِيِّ بْنِ رَسُولِي ، وَصَاحِبُ مَكَّةَ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو نُعْمَى مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
قَتَادَةَ الْحَسَنِيِّ ، وَصَاحِبُ الْمَدِينَةِ عَزُّ الدِّينِ جَمَّازُ بْنُ شَيْحَةَ الْحُسَيْنِيِّ ، وَصَاحِبُ
الرُّومِ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخَسَرُو بْنُ رُكْنِ الدِّينِ قَلِيحِ بْنِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيِّ^(٢) ،
وَصَاحِبُ حِمَاةَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيُّ الدِّينِ^(٣) مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نَاصِرِ الدِّينِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدِي ، وَسُلْطَانُ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ وَتَلِكَ

(١) نهاية الأرب ١٨٧/٣١ - ٢٢٣ ، وكنز الدرر ٣٠٥/٨ - ٣٢١ ، وتذكرة النبيه ١٣٧/١ - ١٤٣ ،
والسلوك ٧٦٠/١ - ٧٧٥ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٥٠/٣ - ٨٩ .

(٢) جاء في أحداث سنة ثنتين وثمانين وستمائة في مختصر أخبار البشر ١٧/٢ ، وعقد الجمان ٣١٩/٢ ،
والسلوك ٧١٨/١ (القسم الثالث) أن غياث الدين قتله أرغون ملك التتر ، وتولى بعده مسعود بن عز الدين
كياكوس بن كياخسر وبين كياقباد بن كياخسر بن قليح أرسلان ، وأن مسعودا هذا كان آخر من سمي
بالسلطان من السلجوقية ، وتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٣) بعده في الأصل : « محمد بن » .

النَّوْحَى أَرْغُونَ بَنُ أَبْنَعَا بِنِ هُوَلَاكُو بِنِ تُوَلَى بِنِ جِنِكِرْخَانِ .

وكان أول هذه السنة يوم الخميس ، وفيه تُصَدَّق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جدًا من الذهب والفضة ، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة ، فدُفِن بها تحت القُبَّة ، ونزل في قبره بدرُ الدين بَيَدْرَا وَعَلَمُ الدينِ الشُّجَاعِي ، وفُزِّقَت صَدَقَاتٌ كثيرةٌ حينئذٍ ، ولما قَدِمَ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدينِ بَنُ السَّلْمُوسِ مِنَ الحِجَازِ [١٠٣/١٠] خُلِعَ عليه للوزارة ، وكتبَ تَقْلِيدَه بها القاضي مُحْيَى الدينِ بَنُ عبدِ الظَّاهِرِ كَاتِبُ الإنشَاءِ بِيَدِهِ ، وركبَ الوزيرُ في أُبْهَةِ الوِزَارَةِ إلى دارِهِ وحكَمَ .

ولما كان يومُ الجمعة فُبِضَ على شمسِ الدينِ سُتْقَرُ الأَشْقَرِ وسيفِ الدينِ جرمكِ الناصريِّ ، وأُفْرِجَ عن الأميرِ زَيْنِ الدينِ كَثْبَعَا ، وكان قد فُبِضَ عليه مع طُرُنطَاي^(١) ، ورُدُّ عليه إقْطَاعُه ، وأُعِيدَ التَّقْيُ تَوْبَةً إلى وِزَارَةِ دِمَشْقَ مرةً أُخرى . وفيها^(٢) أثبتَ ابنُ الخُوَيْبِيِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن يكونَ تَدْرِيسُ الناصريةِ للقاضي الشافعيِّ ، وانتزَعَهَا مِن زَيْنِ الدينِ الفارقيِّ .

ذَكَرَ فَتْحَ عَاكَ وَبَقِيَةِ السَّوَاهِلِ^(٣)

وفيها جاء البريدُ إلى دِمَشْقَ في مُسْتَهَلِّ ربيعِ الأولِ لتَجهيزِ آلاَتِ الحِصَارِ

(١) في م : « طرقتاي » .

(٢) الدارس ١/٤٦٠ .

(٣) نهاية الأرب ٣١/١٩٥ - ٢٠٠ ، وكنز الدرر ٨/٣٠٨ - ٣١١ ، وتذكرة النبيه ١/١٣٧ ، وعقد

الجمان ٣/٥٤ ، ٥٧ - ٦٥ .

لَعَكَا، وَنُودَى فِي دِمَشقَ: العَزَاةُ فِي سَبِيلِ اللّهِ إِلَى عَكَا. وَقَدْ كَانَ أَهْلُ عَكَا فِي هَذَا الحِينِ عَدَوْا عَلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ تِجَارِ المُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأُبْرِزَتْ المُجَانِيقُ إِلَى نَاحِيَةِ الجُسُورِ، وَخَرَجَتِ العَامَّةُ وَالمُطَوَّعَةُ يَجْرُونَ فِي العَجَلِ، حَتَّى الفُقَهَاءِ وَالمُدْرَسُونَ وَالمُصْلِحَاءُ، وَتَوَلَّى سِيَاقَتَهَا الأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَرِيُّ، وَخَرَجَتِ العَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيِ نَائِبِ الشَّامِ، وَخَرَجَ هُوَ فِي آخِرِهِمْ، وَالحِقَهُ صَاحِبُ حِمَاةِ المَلِكِ المُظَفَّرُ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ عَشَكُرُ طَرَابُلُسَ، وَرَكِبَ الأَشْرَفُ مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ بِعَسَاكِرِهِ قَاصِدًا عَكَا، فَتَوَافَتِ الجِيُوشُ هُنَاكَ، فَنَازَلَهُمْ يَوْمَ الخَمِيسِ رَابِعَ^(١) ربيعِ الآخِرِ، وَنُصِبَتِ عَلَيْهَا المُجَانِيقُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُمَكِّنُ نَصْبُهَا عَلَيْهَا، وَاجْتَهَدُوا غَايَةَ الاجْتِهَادِ فِي مُحَارَبَتِهَا وَالتَّضْيِيقِ عَلَى أَهْلِهَا، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالجَامِعِ لِقَرَاءَةِ «صَحِيحِ البِخَارِيِّ»، فَقَرَأَهُ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ الفَزَارِيُّ، وَحَضَرَ القُضَاةُ وَالفُقَهَاءُ وَالأَعْيَانُ، وَفِي أَثْنَاءِ مُحَاصِرَةِ عَكَا وَقَعَ تَخْبِيْطٌ مِنْ نَائِبِ الشَّامِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِنِ، فَتَوَهَّمُ أَنْ السُّلْطَانَ يُرِيدُ مَسْكَهَ، وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ الأَمِيرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَبُو خُرْصَ^(٢). فَرَكِبَ هَارِبًا، فَرَدَّهُ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَرِيُّ بِالمَسَابِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَطَيَّبَ قَلْبَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْسَكَه بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَبَعَثَهُ إِلَى قَلْعَةِ صَفَدَا، وَاجْتَنَبَ عَلَى حَوَاصِلِهِ، وَرَسَمَ عَلَى أُسْتَدَارِهِ بَدْرَ الدِّينِ بَكَدَاشَ، وَجَزَى مَا لَا يَلِيْقُ وَقُوعُهُ هُنَاكَ، إِذِ الوَقْتُ وَقْتُ عُسْرِ وَضِيْقِ وَحِصَارِ، وَصَمَّمَ السُّلْطَانُ عَلَى الحِصَارِ، فَرتَّبَ الكُوسَاتِ ثَلَاثِمِائَةَ حِمْلٍ، ثُمَّ زَحَفَ يَوْمَ الجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ

(١) فِي المِصَادِرِ: «ثَالِثٌ».

(٢) فِي الأَصْلِ: «خُرْصُ».

جُمَادَى الْأُولَى ، وَدَقَّتِ الْكُوسَاتُ جُمْلَةً وَاحِدَةً عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَطَلَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَسْوَارِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَنُصِبَتِ السَّنَاجِقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَوْقَ أَسْوَارِ الْبَلَدِ ، فَوَلَّتِ الْفِرْنَجُ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَذْبَارَ ، وَرَكِبُوا هَارِيِينَ فِي مَرَاكِبِ الثَّجَارِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَغَنِمُوا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالرَّقِيقِ وَالْبَضَائِعِ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِهَدْمِهَا وَتَخْرِيْبِهَا ، بِحَيْثُ لَا يُسْتَفْعَى بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَسَّرَ اللَّهُ فَتْحَهَا نَهَارَ جُمُعَةٍ ، كَمَا أَخَذَتْهَا الْفِرْنَجُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَسَلَّمَتْ صُورَ وَصَيْدَا قِيَادَهُمَا إِلَى الْأَشْرَفِ ، فَاسْتَوْسَقَ السَّاحِلَ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَتَنَطَّفَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَجَاءَتِ الْبِطَاقَةُ إِلَى دِمَشْقَ بِذَلِكَ ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي جَمِيعِ الْحُصُونِ ، وَزُيِّنَتْ الْبِلَادُ لِيَتَنَزَّهُ [١٠٣/١٠١ ظ] فِيهَا النَّاضِرُونَ وَالْمُتَفَرِّجُونَ ، وَأُرْسِلَ السُّلْطَانُ إِلَى صُورَ أَمِيرًا ، فَهَدَمَ أَسْوَارَهَا ، وَعَفَا آثَارَهَا ، وَقَدْ كَانَ لَهَا فِي أَيْدِي الْفِرْنَجِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَمَّا عَكَا فَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يَوْسُفُ بْنُ أَيُوبَ أَخَذَهَا مِنْ أَيْدِي الْفِرْنَجِ ، ثُمَّ إِنْ الْفِرْنَجِ جَاءُوا فَأَحَاطُوا بِهَا بِجِيُوشِ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ صِلَاحُ الدِّينِ بِالْجِيُوشِ لِيَمَانِعَهُمْ عَنْهَا مَدَّةَ سَبْعَةِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا ، ثُمَّ فِي آخِرِ ذَلِكَ اسْتَمْلَكُوهَا ، وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنْ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ خَلِيلَ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ سَارَ مِنْ عَكَا قَاصِدًا دِمَشْقَ فِي أُبْهَةِ الْمَلِكِ وَحُزْمَةِ وَافِرَةَ ، وَفِي صُحْبَتِهِ وَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْعُوسِ وَالْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةُ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ اسْتَنَابَ بِالشَّامِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَنَجَرُ الشُّجَاعِي ، وَسَكَنَ بَدَارِ السَّعَادَةِ ، وَزَيْدٌ فِي إِقْطَاعِهِ حَرَسْتًا ، وَلَمْ تُقَطَّعْ لغيرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ

لمصالح حواصل القلعة ، وجعل له في كل يوم ثلاثمائة على دار الطعم^(١) ، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاوررة ولا مراجعة ، وأرسله السلطان إلى صيدا ؛ لأنه كان قد بقي بها بزوج عاص ، ففتحه ودقت البشائر بسببه ، ثم عاد سريعا إلى السلطان فودعه ، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب ، وبعثه إلى بيروت ليفتحها ، فسار إليها ففتحها في أقرب وقت ، وسلمت عثليث^(٢) وأنطوطوس وجبيل . ولم يتق بالسواحل - والله الحمد - معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جدا ، وكان يوما مشهودا ، وأفرج عن بدر الدين بيسرى بعد سجن تسع^(٣) سنين ، ورد عليه إقطاعه ، ورجع علم الدين سنجر الشجاعى نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور ، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية ، ولم يتق لهم بها حجز .

وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صفد ، ومعه جماعة أمراء ، ورد إقطاعاتهم إليهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفي أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين بن جماعة من القدس الشريف - وهو حاكم به وخطيب فيه - على البريد إلى الديار المصرية ، فدخلها في رابع عشرة ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلغوس ، وأكرمه جدا واحترمه ،

(١) في م : « الطعام » . ودار الطعم : دار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية . انظر صبح الأعشى ١٨٧/٤ .

(٢) في م : « عثلية » . وعتليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر . معجم البلدان ٦١٦/٣ .

(٣) في الأصل ، م : « سبع » . والمثبت من نهاية الأرب ٨٨/٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، وكنز الدرر ٣١٢/٨ . وتقدم في حوادث سنة إحدى وثمانين وستمائة أن السلطان المنصور قلاوون قبض عليه .

وكانت ليلة الجمعة، فصَرَحَ الوزيرُ بعزْلِ تقيِّ الدينِ ابنِ بنتِ الأَعزِّ وتوليةِ ابنِ جماعةَ بالديارِ المصريةِ قضاءَ القضاةِ، وجاءَ القضاةُ إلى تهنئته، وأصبحَ الشُّهُودُ في خدمته، ومع القضاءِ خطابةَ الجامعِ الأزهرِ، وتدرُّسِ الصالحيةِ، وركبَ في الخِلمَةِ والطَّرْحَةِ، ورسمَ لبقيةِ القضاةِ أن يَسْتَمِرُّوا بلبسِ الطَّرْحَاتِ، وذهبَ فخطبَ بالجامعِ الأزهرِ، وانتقلَ إلى المدرسةِ الصالحيةِ، ودرَّسَ بها في الجمعةِ الأخرى، وكان درسًا حافلًا، ولما كان يومُ الجمعةِ رسمَ السلطانُ للحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أن يخطبَ هو بنفسه الناسَ يومئذٍ، وأن يذكُرَ في خطبته أنه قد ولَّى السُّلْطَنَةَ للأشرفِ خَليلِ بنِ المنصورِ، فليسَ خِلعةً سوداءَ، وخطبَ الناسَ بالخطبةِ التي كان خطبَ بها في الدولةِ الظاهريةِ، وكانت من إنشاءِ الشيخِ شرفِ الدينِ المقدسيِّ في سنةِ ستينِ وستِّمائةِ، [١٠٤/١٠] فيكونُ بينَ الخطبتينِ أزيدُ من ثلاثينِ سنةً، وذلكَ بجامعِ قلعةِ الجبلِ، ثم استمرَّ ابنُ جماعةَ يخطبُ بالقلعةِ عندَ السلطانِ، وكان يَسْتَتِيبُ في الجامعِ الأزهرِ.

وأما ابنُ بنتِ الأَعزِّ فناله من الوزيرِ إخراجٌ ومُصادرةٌ وإهانةٌ بالغةٌ، ولم يتركْ له من مناصبه شيئًا، وكان بيده سبعةَ عشرَ منصبًا؛ منها القضاءُ، والخطابةُ، ونظَرُ الأُحْباسِ، ومَشِيخَةُ الشيوخِ، ونظَرُ الخِزَانَةِ، وتداريسُ كِبَارٍ، وصادَرَه بنحوِ من أربعين ألفًا، غيرَ مراكبهِ وأشياءَ كثيرةٍ، ولم يَظْهَرْ منه استِكانَةٌ له ولا خُضوعٌ، ثم عاد فرضى عنه، وولاه تدرِّسَ الشافعيِّ.

وعَمِلَتْ خِتمَةٌ عندَ قبرِ الملكِ المنصورِ في ليلةِ الاثنينِ رابعِ ذى القَعْدَةِ، وحضَرها القضاةُ والأمرَاءُ، ونزلَ السلطانُ ومعه الخليفةُ إليهم وقتَ السَّحْرِ، وخطبَ الخليفةُ بعدَ الخِتمَةِ حُطْبَةً بليغةً، حرَّضَ الناسَ فيها على غزوِ بلادِ العراقِ، واشتتقاذاها من أيدي التُّرِّ، وقد كان الخليفةُ قبلَ ذلكَ مُحتَجِبًا، فرآه

الناس جَهْرَةً، وركب في الأسواق بعد ذلك .

وعمل أهل دمشق خَتْمَةً عظيمةً بالميدانِ الأخضرِ إلى جانبِ القصرِ الأبلقِ ،
فقرئت خَتَمَاتٌ كثيرةٌ ، ثم خطبَ الناسَ بعدها الشيخُ عزُّ الدين الفاروئي^(١) ، ثم
ابنُ البزوريُّ ، ثم تكلمَ من له عادةٌ بالكلامِ ، وجاءت البريديَّةُ بالتَهَيُّؤِ لغزوِ
العراقِ ، وتوَدَى في الناسِ بذلك ، وعَمِلَت سَلَسِلُ عِظَامٍ بسببِ الجسورةِ على
دجلةِ بغدادَ ، وحصَّلت الأجوُزُ على المقصودِ ، وإن لم يَقَعِ المقصودُ ، وحصل
لبعضِ الناسِ أذى بسببِ ذلك .

وفيهَا نَادَى نائِبُ الشَّامِ الشُّجَاعِيُّ أن لا تَلْبَسَ امرأةٌ عِمَامَةً كبيرةً ، وخرَّب
الأبنيَّةَ التي على نهرىِ بانياسَ والجداولَ كُلَّهَا والمسَالِحَ والسُّقَايَاتِ التي على
الأنهارِ كُلَّهَا ، وأخرَّبَ جِسْرَ الزلاييةِ وما عليه مِنَ الدَّكَاكِينِ ، ونَادَى أن لا يَمِشِيَ
أحدٌ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ ، ثم أَطْلَقَ لَهُم هذه فقط ، وأخرَّبَ الحَمَامَ الذي كان بناه
الملكُ السعيدُ ظاهرَ بابِ النصرِ ، ولم يَكُنْ بدمشقَ أَحْسَنُ منه ، ووسَّعَ الميْدَانَ
الأخضرَ من ناحيةِ الشَّمالِ بِمقدَارِ سُدَيْسِهِ ، ولم يَتْرُكْ بينَهُ وبينَ النهرِ إِلا مِقْدَارًا
يَسِيرًا ، وعَمِلَ هو بنفسِهِ والأمرَاءُ في حِيْطَانِهِ .

وفيهَا حَيَسَ الأَمِيرُ جمالُ الدينِ آقوشُ الأفرُمُ المَنصُورِيُّ وأميرٌ^(٢) آخَرُ معه في
القَلْعَةِ .

وفيهَا حَمِلَ الأَمِيرُ عَلَمُ الدينِ الدَّوَادَرِيُّ إلى الديارِ المِصرِيَّةِ مُقَيَّدًا .

وقد نَظَمَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدينِ محمودٌ قَصِيدَةً في فَتْحِ عَكَّا^(٣) :

(١) في م : « القاروني » .

(٢) هو الأمير سيف الدين قرار سلان المنصوري ، انظر السلوك ٧٧٤/١ (القسم الثالث) .

(٣) نهاية الأرب ٢٠٣/٣١ - ٢٠٨ .

وَعَزَّ بِالْتَّرْكِ دِينُ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِي
رُؤْيَاهُ فِي النُّومِ لِاسْتَحْيَتِ مِنَ الطَّلَبِ
فِي الْبَحْرِ لِلشَّرِكِ^(١) عِنْدَ الْبَرِّ مِنْ أَرَبِ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا يُنْجِي سِوَى الْهَرَبِ
شَابَ الْوَلِيدُ بِهَا هَوْلًا وَلَمْ تَشِبْ
بِهِ الْفَتْوحُ وَمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ
عَسَى يَقُومُ بِهِ ذُو الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ
«لِلَّهِ أَيُّ^(٢) رَضِي فِي [١٠/١٠٤] ذَلِكَ الْغَضَبِ
مَا أَسْلَفَ الْأَشْرَفُ السُّلْطَانَ مِنْ قُرْبِ
يُبْشِرُهُ الْكَعْبَةُ الْعَرَاءُ فِي الْحُجْبِ
فَالْبَرُّ فِي طَرَبِ وَالْبَحْرُ فِي حَرَبِ^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ زَالَتْ دَوْلَةُ الصُّلْبِ
هَذَا الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ لَوْ طَلَبَتْ
مَا بَعْدَ عَكَا وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهَا لِلْكَفْرِ إِذْ خَرِبَتْ
أُمَّ الْحُرُوبِ فَكَمْ قَدْ أَنْشَأَتْ فَتَنًا
يَا يَوْمَ عَكَا لَقَدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقَتْ
لَمْ يَبْلُغِ النَّطْقُ حَدَّ الشُّكْرِ فَيْكَ فَمَا
أَغْضَبَتْ عَبَادَ عَيْسَى إِذْ أَبَدَتْهُمْ
وَأَشْرَفَ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْبَشِيرُ عَلَى
فَقَرَّ عَيْنًا لِهَذَا الْفَتْحِ وَابْتَهَجَتْ
وَسَارَ فِي الْأَرْضِ سِيرًا قَدْ سَمِعْتُ بِهِ

وهي طويلة جدًا، وله ولغيره في فتح عكا أشعار كثيرة.

ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن
السلجوس جميع ملابسه التي كانت عليه، ومزكوبه الذي كان تحته، فركبه ورسّم
له بثمانية وسبعين ألفاً من خزانه دمشق، ليشتري له بها قرية قرحتا^(٤) من بيت المال.
وفي هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الخراب الذي أصابها من
هولاًكو وأصحابه عام ثمان وخمسين.

(١) في م: «لترك».

(٢) في الأصل: «فرب راى».

(٣) في كنز الدرر ٣١٧/٨: فالبر في طلب والبحر في هرب.

(٤) قرحتا: من قرى دمشق. معجم البلدان ٥٣/٤.

وفى شوالٍ منها شُرِعَ فى عِمارةِ قلعةِ دمشقَ وبناءِ الدُّورِ السُّلْطانيةِ والطارمةِ
والقُبَّةِ الزُّرقاءِ، حسبَ ما رسمَ به السلطانُ الأشرفُ خليلُ بنُ قلاوونَ لِنائبِهِ عَلمُ
الدينِ سَنَجَرَ الشُّجاعى .

وفىها فى رمضانَ أُعيدَ إلى نيابةِ القلعةِ الأميرُ أرجواشُ ، وأُعْطى إقْطاعاتِ
سَنِيَّةٍ .

وفىها أُرْسِلَ الشَّيْخُ الرَّجِيحى من ذريةِ الشَّيْخِ يونسَ مُضَيِّقًا عليه ، مَحْصُورًا
إلى القاهرةِ .

وفىها دَرَسَ عزُّ الدينِ الفاروثى^(١) بالمدرسةِ النَّحْبِيَّةِ عِوَضًا عن كمالِ الدينِ
ابنِ حَلْكَانَ ، وفى ذلكَ اليومِ دَرَسَ نجمُ الدينِ مَكِّيُّ بالرَّوْحِيَّةِ عِوَضًا عن ناصرِ
الدينِ بنِ المَقْدَسى ، وفىه دَرَسَ كَمالُ الدينِ الطَّيْبُ بالمدرسةِ الدَّخْواريَّةِ
الطَّيْبِيَّةِ .

وفى هذا الشهرِ دَرَسَ الشَّيْخُ جلالُ الدينِ الحَبَّازى^(٢) بالخاتونيةِ البرَّانيةِ ،
وجمالُ الدينِ بنُ الباجُزبَقى بالقليجة^(٣) ، وبُزْهانُ الدينِ الإسْكَندرى بالقُوصيةِ
التي بالجامعِ ، والشَّيْخُ نجمُ الدينِ الدمشقى بالشَّريفيةِ عندَ حارةِ الغرباءِ .

وفىها أُعيدتِ الناصريةُ إلى الفارقى ، وفىه دَرَسَ بالأمنيةِ القاضى نجمُ الدينِ
ابنُ صَضْرى بعدَ ابنِ الزُّمْلَكَنى ، وأُخِذتِ منه العادليةُ الصغيرةُ لكَمالِ الدينِ بنِ
الزُّمْلَكَنى .

(١) فى م : « القارونى » .

(٢) فى الأصل : « الحناوى » . وانظر ترجمته فى صفحة ٦٥٥ فى وفيات السنة الآتية .

(٣) فى الأصل ، م : « بالفتحية » . والمثبت من عقد الجمان ٨٧/٣ ، والدارس ٥٠٤/١ .

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَزْعُونُ بْنُ أَبِغَا مَلِكُ التَّسْرِ^(١) ، كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ ، قَتَلَ عَمَّهُ السُّلْطَانَ أَحْمَدَ بْنَ هَوْلَاكُو ، فَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ الْمَغُولِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مِنْ شَرَابٍ شَرِبَهُ فِيهِ سُمٌّ ، فَاتَّهَمَتِ الْمَغُولُ الْيَهُودَ بِهِ - وَكَانَ وَزِيرُهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ الصَّيْفِيِّ^(٢) يَهُودِيًّا - فَقَتَلُوا مِنَ الْيَهُودِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جَدًّا فِي جَمِيعِ مَدَائِنِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَيَمِّنُ يُقِيمُونَهُ بَعْدَهُ ، فَمَالَتْ طَائِفَةٌ إِلَى كَيْخَتْو ، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ ، فَبَقِيَ مَدَّةً ، قِيلَ : سَنَةٌ . وَقِيلَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَكُوا بَعْدَهُ يَيْدَرًا^(٣) ، وَجَاءَ الْخَبِيرُ بِوَفَاةِ أَزْعُونِ إِلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ عَكَّا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ كَثِيرًا ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مُلْكِ أَزْعُونِ ثَمَانِ سِنِينَ ، وَقَدْ وَصَفَهُ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْعِرَاقِ بِالْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ الْجَيِّدَةِ .

الْمَسْنَدُ الْمُعَمَّرُ الرَّحْلَةُ [١٠٥/١٠] فَخْرُ الدِّينِ بْنِ الْبُخَارِيِّ^(٤) ، وَهُوَ أَبُو

الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدَّسِيِّ الْخَنْبَلِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبُخَارِيِّ ، وَوُلِدَ فِي سَلْخِ^(٥) سَنَةِ خَمْسٍ^(٥) أَوْ مَسْتَهْلُ سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ^(٦) وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ مَعَ أَهْلِهِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا نَاسِكًا ، تَفَرَّدَ

(١) نهاية الأرب ٤٠٤/٢٧ ، وكنز الدرر ٣٢٢/٨ ، العبر ٣٦٦/٥ ، والوفائي بالوفيات ٣٥٠/٨ ، وتذكرة النبيه ١٤١/١ ، وعقد الجمان ١٠٤/٣ ، والمنهل الصافي ٣١٠/٢ ، وشذرات الذهب ٤١١/٥ .

(٢) في م : « الصفي » .

(٣) في الأصل : « بندر » .

(٤) في م : « النجار » . وانظر ترجمته في : العبر ٣٦٨/٥ ، وتذكرة النبيه ١٤٤/١ ، والذيل على طبقات

الحنابلة ٣٢٥/٢ ، وعقد الجمان ٩٠/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٢/٨ ، وشذرات الذهب ٤١٤/٥ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٦) في م : « وسعين » .

بروايات كثيرة لطول عمره، وخرّجت له مشيخات، وسمع منه الخلق الكثير
والجَمِّ الغفير، وكان منصوبًا لذلك حتى كبر وأسنَّ وضعف عن الحركة، وله
شعرٌ حسنٌ، منه قوله^(١) :

تَكَرَّرَتِ السَّنُونُ عَلَيَّ حَتَّى بَلَيْتُ وَصِرْتُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وَقَلَّ النَّفْعُ عِنْدِي^(٢) غَيْرَ أَنِّي أَعْلَلُ بِالرَّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ
فَإِنْ يَكُ خَالِصًا فَلَهُ جَزَاءٌ وَإِنْ يَكُ مَالِقًا^(٣) فِإِلَى ضِيَاعِ
وله أيضًا :

إِلَيْكَ اعْتِذَارِي مِنْ صَلَاتِي قَاعِدًا وَعَجَزِي عَنْ سَعْيِي إِلَى الْجُمُعَاتِ
وَتَوَكَّى صَلَاةَ الْفَرَضِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ تَجَمَّعَ فِيهِ النَّاسُ لِلصَّلَوَاتِ
فِيَا رَبِّ لَا تَمَقُّتْ صَلَاتِي وَجَنِّي مِنَ النَّارِ وَاصْفَعْ لِي عَنِ الْهَفَوَاتِ

تُوُفِّي ضُحَى نَهَارِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ
سَنَةً، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ
عَبْدِ الْوَاحِدِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَرَزَارِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ^(٤) إِبْرَاهِيمَ بْنِ^(٥) سَبَّاحِ بْنِ ضِيَاءِ
تَاجِ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَرَزَارِيُّ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْعَلَمُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ،
حَازَ قَصَبَ السَّبْتِ دُونَ أَقْرَانِهِ، وَهُوَ وَالِدُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ بُرْهَانَ الدِّينِ . كَانَ مَوْلَدُ

(١) الأبيات في ذيل طبقات الحنابلة، وعقد الجمال، وشذرات الذهب .

(٢) في الأصل : « منى » .

(٣) في الأصل : « مايعا »، وفي ذيل طبقات الحنابلة وشذرات الذهب : « مانعا » .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل، م . والمثبت من مصدر ترجمته ؛ العبر ٣٦٧/٥، والوافي بالوفيات ٩٦/١٨،
وفوات الوفيات ٢٦٣/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦٣/٨، وتذكرة النبيه ١٤٣/١،
والنجوم الزاهرة ٣٣/٨ .

الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمائة^(١)، وتوفي ضحى يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة بالمدرسة الباذرائية، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى، تقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الحوتى، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقى، ودفن عند والده بباب الصغير، وكان يوماً شديداً الرّحام، وقد كان ممن اجتمعت فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة، والأخلاق اللطيفة، وفصاحة المنطق، وحسن التصنيف، وعلو الهمة، وفقه النفس، وكتابه «الإقليد» الذى جمعه على أبواب «التنبية» وصل فيه إلى باب الغضب، دليل على فقه نفسه وعلو قدره، وقوة همته، ونفوذ نظره، واتصافه بالاجتهاد الصحيح فى غالب ما سطره، وقد انتفع به الناس، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو والشيخ محيى الدين النووى، وله «اختصار الموضوعات» لابن الجوزى، وهو عندى بخطه، وقد سمع الحديث الكثير، وحضر عند ابن^(٢) الزبيدى «صحيح البخارى»، وسمع من ابن اللتى وابن الصلاح، واشتغل عليه وعلى ابن عبد السلام، وانتفع بهما، وخرج له الحافظ علم الدين البوزالى أحد تلاميذه مشيخة فى عشرة أجزاء عن مائة شيخ، فسمعها عليه الأعيان، وكان له شعر جيد، فمنه قوله:

لله أيام جمع الشمل ما برحت بها الحوادث حتى أصبحت سمرًا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسألتي عنكم فلم ألق لا عينًا ولا أثرًا
يا راحلين قدزتم فالتجاة لكم ونحن للعجز لا نستعجز القدرًا

(١) فى مصادر الترجمة أنه ولد سنة أربع وعشرين وستمائة.

(٢) سقط من: الأصل.

وقد ولى الدرّس بعده بالبأذرائية والحلقة والفنّيا بالجامع ولده شيخنا بزّهان الدين، فمضى على طريقة والده وهديّه ودلّه وسَمّته، رَحِمه الله .

وفى ثالث شعبان تُوفّي الطيّب الماهر عزّ الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان [١٠/١٠٥] السّويديّ الأنصاريّ^(١)، ودُفن بالسفح عن تسعين سنة، وروى شيخاً من الحديث، وفاق أهل زمانه فى صناعة الطبّ، وصنّف كتباً^(٢) فى ذلك، وكان يُزَمّى بقلّة الدين، وتزك الصلّوات، وأنجلال فى العقيدة، وإنكارِ أمورٍ كثيرةٍ مما يتعلّق باليوم الآخر، والله يحكّم فيه وفى أمثاله بأمره العدل الذى لا يُجور ولا يظلم. وفى شعره ما يدلُّ على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه، واغتراضه على تحريم الخمر، وأنه قد طال رمضان عليه فى تركها، وغير ذلك .

الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن على ابن^(٣) الإمام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاريّ الزمّلكانيّ، مدرّس الأمينية، وهو والد شيخنا الإمام العلامة كمال الدين بن أبى المعالى محمد بن على الزمّلكانيّ^(٤)، وقد درّس بعد أبيه المذكور بالأمينية، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر^(٥) بالأمينية، ودُفن بمقابر الصوفية عند والده .

(١) عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء ص ٧٥٩، والوفى بالوفيات ١٢٣/٦، وفوات الوفيات ٤٨/١، والمنهل الصافى ١٤٢/١ .

(٢) فى الأصل: « كتابا » .

(٣) بعده فى الأصل: « الحسن » . وانظر ترجمته فى: العبر ٣٦٩/٥، والوفى بالوفيات ٢١/٢٩١، ومرآة الجنان ٤/٢١٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/١٣، وتذكرة النبيه ١٤٦/١، وشذرات الذهب ٥/١٧٤ .

(٤) - ٤) سقط من: م .

(٥) فى طبقات الشافعية للإسنوى: « الأول » .

الأمير الكبير بدر الدين يمك^(١) بن عبد الله الناصري، ناظر الرباط
 بالصالحية عن وصية أستاذه، وهو الذي ولي الشيخ شرف الدين الفزاري مشيخة
 الرباط بعد ابن الشريشي جمال الدين، وقد دُفن بالتربة الكبيرة داخل الرباط
 المذكور.

الشيخ الإمام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرجي^(٢)، صهر الشيخ
 تقي الدين بن الصلاح، وأحد تلاميذه، وُلد سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ومات
 يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة، ودُفن إلى جانب ابن الصلاح.

الملك العادل بدر الدين^(٣) سلامش بن الظاهر، الذي كان قد بُوع
 بالملك بعد أخيه الملك السعيد، وجعل الملك المنصور قلاوون أتايكته، ثم استقل
 قلاوون بالملك، وأرسلهم إلى الكرك، ثم أعادهم إلى القاهرة، ثم سفرهم
 الأشرف خليل في أول دولته إلى بلاد الأشكرى من ناحية إصطنبول، فمات
 سلامش هناك، وبقي أخوه نجم الدين خضِر وأهلهم بتلك الناحية، وقد كان
 سلامش من أحسن الشباب شكلاً وأبهاهم منظرًا، وقد افتتن به خلق كثير^(٤) من
 الناس^(٤)، وشبب به الشعراء، وكان عاقلًا رئيسًا مهيبًا وقورًا.

(١) في م: «على». وانظر ترجمته في: نهاية الأرب ٢٢٣/٣١، وعقد الجمان ١٠٣/٣ والمنهل
 الصافي ١٥٥/٤ - وفيهما: «تنكر» - وورد ذكر اسمه في كنز الدرر ٢٤٥/٨ في حوادث سنة ثمانين
 وستمائة، وفي السلوك ١/٦٧٥ (القسم الثالث) حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة.
 (٢) في م: «الكرخي». والكرجي: نسبة إلى الكرج، وهي مدينة بين همدان وأصبهان. معجم البلدان
 ٤/٢٥٠، ٢٥١. وانظر ترجمته في: العبر ٥/٣٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٤٤،
 وعقد الجمان ٣/٩٥ والنجوم الزاهرة ٨/٣٣ - وفيهما أيضًا: «الكرخي» - وشذرات الذهب ٥/٤١٧.
 (٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: العبر ٥/٣٦٧، والوفى بالوفيات ١٥/٣٢٦، ومرة
 الجنان ٤/٢١٦، وتذكرة النبيه ١/١٤٢، والمنهل الصافي ٦/١٣، وشذرات الذهب ٥/٤١١.
 (٤ - ٤) في م: «واللوطية الذين يحبون المردان».

العَفِيفُ التَّلْمِيسَانِيُّ ، أبو الربيعِ سليمانُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليِّ بنِ ياسينَ العابدِيُّ الكوفيُّ^(١) ثم التَّلْمِيسَانِيُّ ، الشاعرُ الْمُتَقَرُّنُ في علومٍ ؛ منها النحوُ والأدبُ والفقهُ والأصولُ ، وله في ذلك مُصَنَّفَاتٌ ، وله شرحُ «مَوَاقِفِ النَّفَرِيِّ» ، و«شرحُ أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى» ، وله ديوانٌ مشهورٌ ، ولوليدُه محمدٌ ديوانٌ آخرٌ ، وقد نُسِبَ هذا الرجلُ إلى عَظَائِمَ في الأقوالِ والاعتقَادِ في الحُلُولِ والاتحادِ والزُّنْدَقَةِ والكُفْرِ المحضِ ، وشهرتهُ تُغْنِي عن الإطنابِ في ترجمتهِ ، تُوفِّي يومَ الأربعاءِ خامسِ رجبٍ ، ودُفِنَ بالصوفيَّةِ ، ويُذَكَّرُ عنه أنه عمِلَ أربعينَ خَلْوَةً ، كلُّ خَلْوَةٍ أربعينَ يوماً مُتتَابِعَةً . فاللَّهُ أعلمُ .

(١) في الأصل: «الكركي»، وفي م: «الكومي». والمثبت من مصادر ترجمته: العبر ٣٦٧/٥، والوافي بالوفيات ٤٠٨/١٥، وفوات الوفيات ٧٢/٢، ومراة الجنون ٢١٦/٤، وتذكرة النبيه ١٤٧/١، وعقد الجمان ٩٥/٣، والمنهل الصافي ٣٨/٦، والنجوم الزاهرة ٢٩/٨، وشذرات الذهب ٤١٢/٥.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة

فيها^(١) فُتِحَتْ قلعة الروم، وسلطان البلاد من دُنُقَلَة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكماله وسواحله [١٠٦/١٠] وبلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف خليل، ووزيره شمس الدين بن السلعوس، وقضائه بالشام ومصر هم المذكورون في التي قبلها، ونائب مصر بدر الدين بيدار، ونائب الشام علم الدين سنجر الشجاعى، وسلطان التتر ييدو^(٢) بن أزغون بن أبغا، والعمارة^(٣) فى الطارمة، وفى الدور السلطانية بالقلعة.

وفى رابع عشرين المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض الخرائن، أثلف شيئاً كثيراً من الذخائر والتفائس والكتب.

وفى التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم، وحث فى خطبته على الجهاد والتفكير، وصلّى بهم الجمعة، وجهر بالبشملة.

وفى ليلة السبت ثالث عشر صفر جىء بهذا الجزر^(٤) الأحمر الذى يباب البرادة من عكا، فوضع فى مكانه.

(١) نهاية الأرب ٢٢٥/٣١ - ٢٤٦، ودول الإسلام ١٩٣/٢، ١٩٤، وتذكرة النبيه ١٤٩/١ - ١٥٩، والسلوك ٧٧٧/٣ - ٧٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ١١٠/٣ - ١٣٥.

(٢) فى م: «بيدار».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى الأصل: «الجرن». والجزر والجزز: العمود من الحديد. والجزن: حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به. اللسان (ج ر ز)، (ج ر ن).

وفى ربيع الأول كمل بناء الطارمة وما عندها من الآذر^(١) والقبة الزرقاء، وجاءت فى غاية الحسن والكمال والارتفاع.

وفى يوم الاثنين ثانى جمادى الأولى^(٢) ذكر الدرس بالظاهرة الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم الأزموئى، عوضاً عن علاء الدين ابن بنت الأعز، وفى هذا اليوم درس بالدولة كمال الدين بن الزكى.

وفى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالتجيبية الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الطوسى، بمقتضى نزول الفاروئى له عنها.

فتح قلعة الروم

وفى ربيع الآخر^(٣) توجه السلطان الأشرف بالعساكر نحو الشام، فقدم دمشق، ومعه وزيره ابن السلعوس، فاستعرض الجيوش، وأنفق فيهم أموالاً جزيلة، ثم سار بهم نحو بلاد حلب، ثم سار إلى قلعة الروم، فافتتحها بالسيف قهراً فى يوم السبت حادى عشر رجب، وجاءت الإشارة بذلك إلى دمشق، وزُيّنت البلد سبعة أيام، وبارك الله^(٤) الخميس المسلمين فى سبتهم، وكان يوم السبت ألباً على أهل يوم الأحد، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً، مدة ثلاثة وثلاثين يوماً، وكانت المنجنيقات تزيد على ثلاثين منجنيقاً،

(١) فى م: « الدور ». والآذر: جمع الدار. اللسان (دور).

(٢) انظر الدارس ١/٢٤٤، ٣٥٢.

(٣) فى م: « الأول منها ».

(٤) - ٤) فى م: « لجيش المسلمين فى سعيهم ». والخميس: الجيش الجوار.

واشْتُهِدَ مِنَ الْأَمْرَاءِ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ الحَظِيرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، ثُمَّ عادَ السُّلْطَانُ إِلَى دَمَشَقَ، وَتَرَكَ الشُّجَاعِيَّ بِقَلْعَةِ الرُّومِ يُعَمَّرُونَ مَا وَهَى مِنْ قَلْعَتِهَا؛ بِسَبَبِ رُفِي المُنَجْنِيقَاتِ عَلَيْهَا وَقَتِ الحِصَارِ، وَكَانَ دَخُولُهُ إِلَى دَمَشَقَ بُكْرَةً يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ تاسِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ، فَاحْتَفَلَ النَّاسُ لِدَخُولِهِ، وَدَعَوْا لَهُ وَأَحْبَبُوهُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، بُسِطَ لَهُ كَمَا يُبْسِطُ لَهُ إِذَا قَدِمَ مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ ابْنِ السَّلُوسِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَسَطَ لَهُ، وَقَدْ كَسَرَ أَبُوهُ التَّتَرَ عَلَى حِمَصَ، وَلَمْ يُبْسِطْ لَهُ، وَكَذَلِكَ المَلِكُ الظَّاهِرُ كَسَرَ التَّتَرَ وَالرُّومَ عَلَى البُلْسُتَيْنِ وَفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَلَمْ يُبْسِطْ لَهُ، وَهَذِهِ بِدَعْوَةِ شَنْعَاءَ قَدْ أَحَدَتْهَا هَذَا الوَازِرُ لِلْمُلُوكِ، وَفِيهَا إِسْرَافٌ وَضِيَاعٌ مَالٍ وَأَشْرٌ وَبَطْرٌ وَرِيَاءٌ وَتَكْلِيفٌ لِلنَّاسِ، وَأَخَذَ أَمْوَالٍ وَوَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ سَأَلَهُ عَنْهَا، وَقَدْ ذَهَبَ وَتَرَكَهَا يَتَوَارَثُهَا المُلُوكُ وَالنَّاسُ عَنْهُ، وَقَدْ حَصَلَ لِلنَّاسِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ظَلَمٌ عَظِيمٌ، فَلْيَتَّقِ العَبْدُ رَبَّهُ، وَلَا يُخَدِّثْ فِي الإِسْلَامِ بِسَبَبِ هَوَاهُ وَفُرَادِ نَفْسِهِ مَا يَكُونُ [١٠٦/١٠٦] سَبَبَ مَقْتِ اللَّهِ لَهُ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْهُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُومُ لِأَحَدٍ، وَلَا يَدُومُ أَحَدٌ فِيهَا. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ مَلِكُ قَلْعَةِ الرُّومِ مَعَ السُّلْطَانِ أُسَيْرًا، وَكَذَلِكَ رُءُوسُ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ بِهِمْ دَمَشَقَ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ رُءُوسَ أَصْحَابِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الرِّمَاحِ، وَجَهَّزَ السُّلْطَانُ طَائِفَةً مِنَ الجَيْشِ نَحْوَ جَبَلِ كَسْرَوَانَ وَالجَرْدِ^(١) بِسَبَبِ مُمَالَاتِهِمْ لِلْفَرَنْجِ قَدِيمًا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَكَانَ مُقَدَّمُ العَسَاكِرِ يَتَدَرَأُ^(٢)، وَفِي صَحْبَتِهِ سُنُقَرُ الأَشْقَرِ، وَقَرَأَتْهُ

(١) فِي م : «الجزر».

(٢) هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي فِي م : «بندار».

المنصوري الذي كان نائب حلب، فعزله عنها السلطان، وولى مكانه سيف الدين بلبان الطباخي^(١) المنصوري، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار، فلما أحاطوا بالجبل، ولم يتق إلا دماز أهله، حملوا في الليل إلى بيدرا جملاً كثيراً، ففتر في قضيتهم، ثم انصرف بالجيوش عنهم، وعادوا إلى السلطان، فتلقاهم السلطان، وترجل السلطان للأمير بيدرا، وهو نائبه على مصر، ثم إن ابن السلوعس نبه السلطان على ما فعل بيدرا، فلامه وعثقه، فمرض من خوفه من ذلك مرضاً شديداً أشفى به على الموت، حتى قيل: إنه مات. ثم عوفى، فعمل حنمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان، وأشعل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان، وأطلق السلطان أهل الحبوس، وترك بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية، وتصدق عنه بشيء كثير، ونزل هو عن ضمانات كثيرة، وكان قد حاف فيها على أربابها، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليلاً على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة، أولها^(٢):

لك الراية الصفراء يقدّمها النصر	فمن كيقبأذ إن رآها وكيعشرو
إذا خفقت في الأرض ^(٣) هدّت بنودها	هوى الشرك واستغلى الهدى وأنجلي الثغر
وإن نُشِرت مثل الأصائل في وغي	جلا النقع من الألاء طلعتيها البدر
وإن ييمت زرق العدى سار تحتها	كتائب خضرو دوحها البيض والشمر

(١) في الأصل، م: «الطاحي». والمثبت من المصادر، وانظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٨٢/١٠.

(٢) القصيدة بتمامها في كنز الدرر ٣٣٤/٨. ومختصرة في فوات الوفيات ٤١٤/١، ٤١٥.

(٣) في م، وكنز الدرر: «الأفق».

كأن مَثَارَ النَّقَعِ لَيْلٌ وَخَفَقَهَا
 وَفَتَحَ أَتَى فِي إِثْرِ فَتَحَ كَأَنَّمَا
 فَكَمَ قَطَمَتْ^(١) طَوْعًا وَكَرْهًا مَعَاقِلًا
 بَدَلَتْ لَهَا عَزْمًا فَلَوْلَا مَهَابَةٌ
 قَصَدَتْ حَمَى مِنْ قَلْعَةِ الرُّومِ لَمْ يُبَيِّحْ
 وَوَالْوَهْمُ سِرًّا لِيُخْفُوا أَذَاهُمْ
 صَرَفَتْ إِلَيْهِمْ هِمَّةً لَوْ صَرَفَتْهَا
 وَمَا قَلْعَةُ الرُّومِ الَّتِي حُزِنَتْ فَتَحَهَا
 طَلِيعَةٌ مَا يَأْتِي مِنَ الْفَتْحِ بَعْدَهَا
 فَصَبَّحَتْهَا بِالْجَيْشِ كَالرُّوضِ بِهَيْجَةٍ
 وَأَبْعَدَتْ بِلْ كَالْبَحْرِ وَالْبَيْضِ مَوْجَهُ
 وَأَغْرَبَتْ بِلْ كَاللَّيْلِ غُوجُ سَيُوفِهِ
 وَأَخْطَأَتْ لَا بِلْ كَالنَّهَارِ شَمُوسَهُ
 [١٠٧/١٠٠] لِيُوثَّ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَجَانِمَهَا الْقَنَا
 فَلَا الرِّيحُ تَجْرِي بَيْنَهُمْ لِاشْتِيَابِكِهَا
 عِيُونَ^(٥) إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٦) تَعَرَّضَتْ

بُرُوقٌ وَأَنْتِ الْبَدْرُ وَالْفَلَكَ الْجَزْرُ^(١)
 سَمَاءٌ بَدَتْ تَنْزِي كَوَاكِبِهَا الرَّهْرُ
 مَضَى الدَّهْرُ عَنْهَا وَهِيَ عَانِسَةٌ بِكُرُ
 كَسَاهَا الْحَيَا جَاءَتْكَ تَسْعَى وَلَا مَهْرُ
 لَغَيْرِكَ إِذْ غَرَّتَهُمُ الْمَغْلُ فَاغْتَرَّوْا
 وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ اسْتَوَى السَّرُّ وَالْجَهْرُ
 إِلَى الْبَحْرِ لَاسْتَوَى عَلَى مَدَّةِ الْجَزْرِ^(٢)
 وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا إِلَى غَيْرِهَا جِسْرُ
 كَمَا لَاحَ قَبْلَ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ الْفَجْرُ
 صَوَارِمُهُ أَنْهَارُهُ وَالْقَنَا الرَّهْرُ
 وَجُرْدُ الْمَذَاكِي السَّفْنُ وَالْحُوْدُ الدَّرُ
 أَهْلَتْهُ وَالنَّبْلُ أَنْجَمُهُ الزَّهْرُ
 مُحْتِيَاكَ وَالْأَصَالُ رِيَاثُكَ الصَّفْرُ
 لَهَا كُلُّ يَوْمٍ فِي ذَوِي^(٤) ظَفْرِ ظَفْرُ
 عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْهَلُ مِنْ فَوْقِهِمْ قَطْرُ
 لِحْطَابِهَا بِالنَّفْسِ لَمْ يَغْلُهَا مَهْرُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَبِير». وَفِي م: «الْحَتْر». وَفِي كَنْزِ الدَّرْرِ وَاحِدِي نَسَخِ الْفَوَاتِ: «الْحَتْر». وَفِي الْفَوَاتِ: «الْبَحْر». وَالْجَزْرُ: الْوَاسِعُ. تَاجُ الْعُرُوسِ (ج ث ر).
 (٢) فِي م: «قَطَمَتْ». وَفِي الْمَصْدَرَيْنِ: «وَطَطَتْ».
 (٣) فِي الْأَصْلِ: «الزَّجْر».
 (٤) فِي م، وَالْمَصْدَرَيْنِ: «ذَرَى».
 (٥) يُقَالُ: حَرَبْتُ عَوَانَ: قَاتَلْتُ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. الْوَسِيطُ (ع و ن).
 (٦) فِي الْأَصْلِ: «غِيوَتْ».

ترى الموتَ معقودًا يهدبُ نبالهم
 ففي كلِّ سرجٍ عُصْنٌ بانٍ مُهْفَهْفٌ
 إذا صدموا شُمَّ^(١) الجبالِ تَزَلْزَلَتْ
 ولو وَرَدَتْ ماءَ الفراتِ خيولهم
 أداروا بها سُورًا فَأُضْحَتْ^(٢) كخِئْصِرٍ
 وَأَزْحَوْا إليها مِنْ^(٣) بحارِ أَكْفُهُمْ^(٤)
 كأنَّ المَجَانِيقَ التي قُمنَ حولها
 أقامت صلاةَ الحربِ ليلاً صخورها
 ودارت بها تلكَ النقوبُ فَأُسْرِفَتْ^(٥)
 فَأُضْحَتْ بها كالصَّبِّ يُخْفِي غرامه
 وشبَّتْ بها النيرانُ حتى تَمَزَّقَتْ
 فلاذوا بذيلِ العَفْوِ منك فلم يَخِبْ
 وما كَرِهَ المَغْلُ اشتغالك عنهم
 فَأَحْرَزَتْها بالسيفِ قسراً وهكذا
 وأُضْحَتْ بحمدِ اللَّهِ نَعْرًا مُمْتَعًا
 فيا أُسْرَفَ الأُمْلَاقِ فُزْتُ بَعَزْوَةٍ

إذا ما رماها القوسُ والنظرُ الشَّرُّ
 وفي كلِّ قوسٍ مَدَّةٌ ساعدٌ بدرُ
 وأصبح سهلاً تحتَ خيلهم الوعرُ
 لقليل هنا قد كان فيما مضى نهْرُ
 لَدَى خَاتَمٍ^(٢) أو تحتَ مِنطَقَةٍ خَصْرُ
 سحابٌ رَدَى لم يَخُلْ مِنْ قَطْرِهِ قُطْرُ
 رواعِدُ سُحُطٍ وبلها النازُ والصخرُ
 فأكثرها شفقٌ وأكثرها^(٤) وتُرُ
 وليس عليها في الذي فَعَلَتْ حَجْرُ^(٦)
 حذارِ أعاديهِ وفي قلبه جمرُ
 وباحت بما أخفَّته وانتهتكَ الشَّرُّ
 رجاؤهم ولولم يَشُبْ^(٧) قصدهم مكرُ
 بها عندما فَرَّوا ولكنهم سُرُّوا
 فتوحك فيما قد مضى كله قَسْرُ
 تبيدُ الليالي والعِدَى وهو مُفْتَرُ
 تحصَّلَ منها الفتحُ والذكْرُ والأجرُ

(١) في كنز الدرر والفوات : « صم » .

(٢ - ٢) في الأصل : « كخاتم لذي خنصر » . وفي م « كخاتم لذي خنصر » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٣ - ٣) في الأصل ، م : « أكف بحارهم » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٤) في م : « أكبرها » . وفي كنز الدرر : « أقتلها » .

(٥) في م : « فأسرفت » .

(٦) في الأصل : « هجر » .

لِيَهْنِكَ عِنْدَ الْمُضْطَفَى أَنْ دِينَهُ تَوَالَى لَهُ فِي يُمَيْنِ دَوْلَتِكَ النَّصْرُ
وَبُشْرَاكَ أَرْضِيَتْ الْمَسِيحَ وَأَحْمَدًا وَإِنْ غَضِبَ النَّقْفُورُ^(١) مِنْ ذَاكَ وَالْكَفْرُ
فَسِرْ حَيْثَ مَا تَخْتَارُ فَالْأَرْضُ كُلُّهَا بِحُكْمِكَ وَالْأَمْصَارُ أَجْمَعُهَا مِصْرُ
وَدُمْ وَابْتَقِ لِلدُّنْيَا لِيَحْيَى بِكَ الْهُدَى وَيُزْهِى عَلَى مَاضِي الْعَصُورِ بِكَ الْعَصْرُ
حَدَفْتُ مِنْهَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً .

وفيهما تولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروئي الواسطي بعد وفاة زين الدين بن المرخل، وخطب واستشقى بالناس فلم يشقوا، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم^(٢) فلم يشقوا، ثم ابتهل الناس من غير دعائه واستسقائه فشقوا، ثم عزل الفاروئي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المتعم بن حسين المهراني الحموي، كان خطيب حماة، ثم انتقل إلى دمشق في هذه السنة، فقام وخطب، وتألم الفاروئي لذلك، ودخل على السلطان، واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه، فإذا هو قد شعر بذلك، واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه، فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مائة ركعة بمائة « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »، فلم يقبلوا ذلك منه واستمروا بالحموي. وهذه دناءة بشعة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروئي، [١٠٧/١٠] وأصاب السلطان في عزله.

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره، فهرب هو

(١) في الأصل، م: «اليعفور»، وفي كنز الدرر: «التكفور». والنقفور: لقب ملك الأرمن.

(٢) في الأصل: « بن » .

والأميرُ حُسامُ الدينِ لاجين السَّلْحَدَارُ، فنادت عليه المُنَادِيَةُ بدمشقَ: مَنْ أَحْضَرَهُ
فله ألفُ دينارٍ، ومَنْ أَخْفَاهُ شُنِق. وركبَ السلطانُ وماليكُه في طلبِه، وصلَّى
الخطيبُ بالناسِ في الميْدانِ الأخضرِ، وعلى الناسِ كآبَةَ بسببِ تَفْرِيقِ الكَلِمَةِ
واضْطِرَابِ الجَيْشِ، واخْتَبَطَ الناسُ، فلما كان سادسُ شوالٍ أمْسَكَتِ العَرَبُ
سُنُقَرَ الأَشْقَرِ، فردَّوه على السلطانِ، فأرسله مُقَيَّدًا إلى مصرَ.

وفي هذا اليومِ ولَّى السلطانُ نيابةَ دمشقَ لعزِّ الدينِ أَيْتِكِ الحَمَوِيِّ، عِوَضًا
عن الشُّجَاعِيِّ، وقَدِمَ الشُّجَاعِيُّ مِنَ الرُّومِ في هذا اليومِ الثَّانِي من عزله، فتلقَّاه
الفاروئيُّ وقال: قد عُزِلْنَا مِنَ الخِطَابَةِ. فقال: ونحن من النِّبَايَةِ. فقال
الفاروئيُّ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فلما بلغ ابنُ السَّلْعوسِ تَغَضَّبَ عليه،
وكان قد عينَ له القَيْمَرِيَّةَ فترك ذلك، وسافرَ السلطانُ عاشَرَ شوالٍ إلى مصرَ،
فدخلها في أُبْهَةِ المَلِكِ، وفي يومِ دُخُولِهِ أَقْطَعَ قَرَأْسُنُقَرَ مائةِ فارسٍ بمصرَ عِوَضًا
عن نيابةِ حلبَ.

وفي هذه السَّنَةِ اشْتَرَى الأميرُ سَيْفُ الدينِ طغاي الأَشْرَفِيُّ^(١) قَيْسَارِيَّةَ
القَطَنِ المَعْرُوفَةَ بِإِنْشَاءِ المَلِكِ المَعْظَمِ بنِ العادلِ من بيتِ المالِ، بمَزْسومٍ من
السلطانِ، وكان حَظِيًّا عنده، ونقلَ سوقَ الحَرِيرِيِّينَ تلكَ المَدَّةَ، وكان السلطانُ
قد أَفْرَجَ عن علمِ الدينِ الدَّوَادَرِيِّ بعدَ رجوعِهِ من قلعةِ الرُّومِ، واشتَحَضَرَهُ إلى
دمشقَ، وخلَعَ عليه، واشتَضَحَبَهُ معه إلى القَاهِرَةِ، وأقْطَعَهُ مائةَ فارسٍ، وولَّاهُ
مُشَيِّدَ الدِوَابِينِ مُكْرَهًا.

(١) في م: «الأشقرى».

وفى ذى القعدة استخضر السلطان سنقر الأشقر وطُقُصُوا، فعاقبهما فاعترفا
بأنهما أرادا قتله، فسألهما عن لاجين فقالا: لم يكن معنا ولا علم له بهذا.
فحنقهما، وأطلقه بعدما جعل الوتر في حلقه، وكان قد بقي له مدة لا بد أن
يتلغها، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

وفى ذى الحجة عقد الشيخ بُرهانُ الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت
قاضي القضاة شهاب الدين ابن الخويّ بالباذرائية، وكان حافلاً.
وفيهما دخل الأمير سنقر الأغر على بنت الوزير شمس الدين بن السلغوس
على صداق ألف دينار، وعجل لها خمسمائة.

وفيهما قفر جماعة من التتر نحو من ثلاثمائة إلى الديار المصرية، فأكرموا.
ومن تُوفى فيها من الأعيان:

الخطيب زين الدين أبو حفص عمر بن مكّي بن عبد الصمد الشافعي
المعروف بابن المرّحل^(١)، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل، سمع
الحديث، وبرع في الفقه وفي علوم شتى، منها علم الهيئة، وله فيه مصنف،
تولّى خطابة دمشق، ودرّس وأفتى، تُوفى ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع
الأول، وصلى عليه من الغد ياب الخطابة.

الشيخ عز الدين الفاروئي^(٢)، ولى الخطابة قليلاً، ثم عُزل، ثم مات، ودُفن

(١) العبر ٥/٣٧٣، ومرآة الجنان ٤/٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٤٢، وتذكرة النبيه
١٥٥/١، وعقد الجمان ٣/١٣٦، والنجوم الزاهرة ٨/٣٦.

(٢) العبر ٥/٣٨١، والوفاء بالوفيات ٦/٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٦، وتذكرة النبيه
١٨٣/١، وغاية النهاية ١/٣٤، والسلوك ١/٨١١ (القسم الثالث)، والذي في هذه المصادر أن وفاته
كانت سنة أربع وتسعين وستمئة.

بياب الصَّغِيرِ، عفا اللهُ عنا وعنه .

الصاحبُ فتحُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ [١٠٨/١٠] محمدُ بنُ مُحيى الدينِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الظاهرِ^(١)، كاتبُ الأشرارِ في الدولةِ المنصوريةِ بعدَ ابنِ لُقمانَ، وكانَ ماهراً في هذهِ الصناعاتِ، وحظيَ عندَ المنصورِ، وكذا عندَ ابنهِ الأشرفِ، وقد طَلَبَ منه ابنُ السَّلْعوسِ أن يَقْرَأَ عليه كلَّ ما يَكْتُبُهُ، فقالَ: هذا لا يُمكنُ، فإنَ أشرارَ الملوكِ لا يَطَّلِعُ عليها غيرُهُم، وأبصروا لكم غيري يَكُونُ معكم بهذهِ المثابةِ. فلما بَلَغَ ذلكَ الأشرفُ أعجبه منه، وازدادتَ عندهِ منزلتهُ. تُوفِّيَ يومَ السبتِ نصفَ رمضانَ، وأُخْرِجَتْ في تَرْكِتِهِ قَصِيدَةٌ قد رَتَى^(٢) بها تاجُ الدينِ بنِ الأثيرِ، وكانَ قد تَشَوَّشَ فاعتَقَدَ أنه يموتُ، فعوفىَ فبقيتَ عندهُ، وتولَّى ابنُ الأثيرِ بعدهُ، ورثاهُ تاجُ الدينِ كما رثاهُ، وتُوفِّيَ ابنُ الأثيرِ بعدهُ بشهرٍ وأربعةِ أيامٍ.

يونسُ بنُ عليٍّ بنِ رضوانَ بنِ بَرَقِش^(٣) الأميرُ عمادُ الدينِ، كانَ أحدَ الأمراءِ الطَّبْلَخانيةِ في الدولةِ الناصريةِ، ثم حَمَلَ، وبَطَّلَ الجُنْدِيَةَ بالكليةِ في الدولةِ المظفَّريةِ، وهَلَمَّ جَرًّا إلى هذهِ السنةِ، وكانَ الظاهرُ يُكرِّمُهُ، تُوفِّيَ في شوالِ، ودُفِنَ عندَ والديهِ بتريةِ الخزيميينِ.

جلالُ الدينِ الحُبَّازِيُّ^(٤) عمرُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ، أبو محمدِ الحُبَّانديِّ،

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٤٥، والعبر ٥/٣٧٣، والوفاء بالوفيات ٣/٣٦٦، وتذكرة النبيه ١/١٥٦، والسلوك ١/٧٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/١٤٤، والنجوم الزاهرة ٨/٣٥.

(٢) في الأصل، م: «رثاه». والمثبت موافق لما في الوفاء بالوفيات.

(٣) عقد الجمان ٣/١٤٦. وفيه: «قرقس».

(٤) في الأصل: «الحناوي». وانظر ترجمته في: الجواهر المضية ٢/٦٦٨، وعقد الجمان ٣/١٣٦، والدليل الشافي ١/٥٠٥، وشذرات الذهب ٥/٤١٩.

أحدُ مشايخ الحنَفيَّة الكِبارِ، أصلُهُ من بلادِ ما وراءَ النهرِ، من بلدي يُقالُ لها: حُجَنْدَةُ. واشتغلَ هناك ودرَّسَ بِخُوَارِزْمَ، وأعادَ بيغدادَ، ثم قديمَ دمشقَ فدرَّسَ بالعِزِّيَّةِ والخاتونيةِ البِزْانيَّةِ، وكانَ فاضلاً بارِعاً مُنْصِفاً، مُصَنِّفاً في فنونٍ كثيرةٍ، تُوفِّيَ لخميسِ يَقينٍ من ذى الحِجَّةِ منها، وله اثنتانِ وستونِ سنةً، ودُفِنَ بالصوفيَّةِ.

الملكُ المُظفَرُ قَرَأَ أُرْسُلانَ الأرتقيِّ^(١)، صاحبُ ماردينَ، تُوفِّيَ وله ثمانونِ سنةً، وقامَ من بعديهِ ولدهُ شمسُ الدينِ داوُدُ، ولُقِّبَ بالملكِ السعيدِ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

(١) في م: «الأفرقي». وانظر ترجمته في: دول الإسلام ١٩٤/٢، وتذكرة النبيه ١٥٩/١، والدليل الشافى ٥٣٦/٢، والسلوك ٧٨١/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ١٤٨/٣.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة^(١)

فى تاريخٍ ظهير الدين الكازرونى^(٢) : ظهرت نارٌ بأرض المدينة النبوية فى هذه السنة ، نظير ما كان فى سنة أربع وخمسين على صفتها ، إلا أن هذه النار كان يغلو لهيئها كثيراً ، وكانت تحرق الصخر ، ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

استهلت هذه السنة^(٣) والدولة المذكورون هم الذين كانوا فى التى قبلها^(٤) .
وفى جمادى الآخرة قديم الأشرف دمشق ، فنزل فى القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وجهاز الجيوش ، وتهياً لغزو بلاد سيسى ، وقديم فى عبون ذلك رسل صاحب بلاد سيسى يطلبون الصلح ، فشفع الأمراء فيهم ، فسلموا بهننا^(٥) وتل حمدون ومزعش ، وهى أكبر بلادهم وأحسنها وأخصنها ، وهى فى فم الدربند .
ثم ركب السلطان فى ثانى رجب نحو سلمية بأكثر الجيش ، صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأمير مهننا بن عيسى ، فلما

(١) نهاية الأرب ٢٤٧/٣١ - ٢٥٧ ، وكنز الدرر ٣٤٠/٨ - ٣٤٤ ، وتذكرة النبيه ١٦٠/١ - ١٦٦ ، والسلوك ٧٨٢/١ - ٧٨٧ (القسم الثالث) .

(٢) انظر عقد الجمان ١٤٩/٣ .

(٣ - ٣) فى م : « والخليفة الحاكم العباسى وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا وبالشام عز الدين أليك الحموى وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا فى التى قبلها والوزير شمس الدين بن السلعوس » .

(٤) بهننا : قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط ، وهى اليوم من أعمال حلب . انظر معجم البلدان ١/٧٧٠ .

انْقَضَتِ الضِّيافَةُ أَمْسِكَ لَهُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِنٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ ، فَجَاءَ بِهِ ، فَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ ، وَأَمْسَكَ مُهْتَأًا بَنَ عَيْسَى ^(١) ، وَوَلَّى مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ حُدَيْفَةَ ^(٢) ، ثُمَّ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ جُمْهُورَ الْجَيْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صُحْبَةً نَائِبِهِ بَيْدَرًا ، وَوَزِيرَهُ ابْنَ السَّلْعُوسِ ، وَتَأَخَّرَ هُوَ فِي خَاصِّكَيْتِهِ ، ثُمَّ لَحِقَهُمْ .

وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا حَكَمَ الْقَاضِي حُسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ الْحَنْفِيُّ بِالتَّشْرِيكِ بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْجَعْفَرِيِّينَ [١٠٨ / ١٠] فِي الدَّبَاغَةِ الَّتِي كَانُوا يَتَنَازَعُونَهَا مِنْ مَدَّةِ مَائَتِي سَنَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ سَادَسَ عَشْرِينَ الْحَرَمِ ، بِدَارِ الْعَدْلِ ، وَلَمْ يُوَافِقْهُ ابْنُ الْحَوْثِيِّ وَلَا غَيْرُهُ ، وَحَكَمَ لِلْعَنَاكِيِّينَ بِصَحَّةِ نَسَبِهِمْ إِلَى جَعْفَرِ الطَّيَّارِ .

وَفِيهَا رَسَمَ الْأَشْرَفُ بِتَخْرِيْبِ قَلْعَةِ الشُّوْبَكِ فَهُدِمَتْ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْقِيَلَاعِ وَأَمْنَعِهَا وَأَنْفَعِهَا ، وَإِنَّمَا خَرِبَهَا عَنْ رَأْيِ عُثْبَةَ الْعَقَبِيِّ ، وَلَمْ يَنْصَحْ لِلْسُّلْطَانِ فِيهَا وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَجَا فِي حُلُوقِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ هُنَاكَ .

وَفِيهَا أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرَ عَلَمَ الدِّينِ الدَّوَادَارِيَّ إِلَى صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَى أَوْلَادِ بَرَكَةَ ، وَمَعَ الرِّسُولِ تَحْفٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، فَلَمْ يَتَّفِقْ خُرُوجُهُ حَتَّى قُتِلَ السُّلْطَانُ ، فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ .

وَفِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى دَرَسَ الْقَاضِي إِمَامُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ بِالظَّاهِرِيَّةِ الْبِرْزَانِيَّةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م . وَفِي الْمَوَادِدِ أَنَّ السُّلْطَانَ قَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ مَهْنًا بَنَ عَيْسَى وَأَرْسَلَهُ إِلَى دِمَشْقَ صَحْبَةَ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِنٍ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ . وَفِي كَنْزِ الدَّرِّ وَتَذَكُّرَةِ النَّبِيِّ وَالسُّلُوكِ : « حُدَيْفَةُ » .

وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة يوم الاثنين^(١) طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمداً وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح على ابن المنصور، وعمل مهيماً عظيماً، ولعب الأشرف بالقبض^(٢)، وتمت لهم فرحة هائلة، كانت كالوداع لسلطنته من الدنيا.

وفى أول المحرم درس الشيخ شمس الدين بن غانم بالعضرونية، وفى مستهل صفر درس الشيخ كمال الدين بن الزمكاني بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكّي؛ بحكم انتقاله إلى حلب وإغراضه عن المدرسة المذكورة.

ودخل الركب الشامى فى خامس^(٣) صفر، وكان ممن حجّ فى هذه السنة الشيخ تقي الدين ابن تيمية، رحمه الله، وكان أميرهم الباسطى، ونالهم فى معان^(٤) ريح شديدة جداً مات بسببها جماعة، وحملت الريح جمالاً عن أماكنها، وطارت العمائم عن الرؤوس، واشتعل كل أحد بنفسه.

وفى صفر منها وقع بدمشق بردٌ عظيم أفسد شيئاً كثيراً من المغلات، بحيث أبيع القمح كل عشر أواق بدرهم، ومات شئٌ كثير من الدواب، وفيه زلزلت ناحية الكرك، وسقط من قلعتها^(٥) أماكن كثيرة.

(١) عقد الجمان ١٧٠/٣.

(٢) القبق: عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى بزاح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرعاة بقسيها وترمى بالسهم جوف الدائرة، لكى تمر داخلها إلى غرض هناك؛ تمرينا لهم على إحكام الرمي، ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة الترك. السلوك ٥١٨/١ (القسم الثانى) حاشية (٦).

(٣) فى م: «آخر». والخبر فى عقد الجمان ١٩٠/٣ بدون ذكر التاريخ.

(٤) فى عقد الجمان ١٩٠/٣: «مكة». ومعان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. معجم البلدان ٥٧١/٤.

(٥) فى الأصل: «تلقينا»، وتلقينا من قرى سائر من أعمال دمشق. معجم البلدان ٨٩٨/١.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخ الأزْمَوِيُّ ، الشيخ الصالح القُدْوَةُ العارف ، أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن إبراهيم بن سلمان^(١) بن البنكو^(٢) الأزْمَوِيُّ ، المُقِيمُ بزاوريته بسفح قاسيون ، كان فيه عبادةً وأنقطاعاً ، وله أوراؤ وأذكارٌ ، وكان مُحبباً إلى الناس ، تُوفِّي بالحرم ، ودُفِنَ عندَ والده بالسفح .

ابن الأعمى صاحب « المقامة »^(٣) كمال الدين علي بن^(٤) الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي ، المعروف بابن الأعمى ، وُلِدَ سنةَ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وسمع الحديث ، وكان فاضلاً بارعاً ، له قصائدٌ يمتدح بها رسول الله ﷺ ، سَمَّاهَا الشفعية ، عددُ كُلِّ قَصِيدَةٍ اثْنانِ وَعَشْرُونَ بَيْتًا . قال البيهقي : سمعته ، وله « المقامة البحرية » المشهورة . تُوفِّي في الحرم ، ودفن بالصوفية .

الملك الزاهر مُجِيرُ الدين ، أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيزكوه صاحب حمص ابن ناصر الدين [١٠٩٠/١٠٩١] محمد بن الملك المعظم^(٥) ، تُوفِّي ببستانه عن ثمانين سنةً ، وصُلِّيَ عليه بالجامع المُظْفَرِي ، ودُفِنَ بترابته بالسفح ، وكان دَيِّناً ، كثير الصلاة في الجامع ، وله إجازةٌ من المؤيد

(١ - ١) سقط من : م . وفي الأصل : « السكن » . والمثبت من : الوافي بالوفيات ٣٦/٦ ، والمقفي الكبير ٢٣٨/١ . وانظر بقية مصادر ترجمته : العبر ٣٧٥/٥ ، ومراة الجنان ٤/٢٢٠ ، وتذكرة النبيه ١/١٦٣ ، والسلوك ٧٨٧/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/١٩١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ العبر ٣٧٦/٥ ، وفوات الوفيات ٣/٨٧ ، والوافي بالوفيات ٢٢/١٢٩ ، وتذكرة النبيه ١/١٦٥ ، والسلوك ٧٨٨/١ (القسم الثالث) - وفيه : « علي بن علي بن محمد ... » - وعقد الجمان ٣/١٩٢ .

(٣) نهاية الأرب ٣١/٢٥٥ ، والوافي بالوفيات ١٣/٤٧١ ، وتذكرة النبيه ١/١٦٣ ، وعقد الجمان ٣/١٩٨ .

الطُّوسِيّ وَزَيْنَبُ الشُّعْرِيَّةِ وَأَبِي رَوْحٍ وَغَيْرِهِمْ ، تُوفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ .

الشيخ تقي الدين الواسطي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي ، تقي الدين ^(١) ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، تُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ النَّهَارِ رَابِعَ عَشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا ، تَفَرَّدَ بِعُلُوِّ الرِّوَايَةِ ، وَلَمْ يَخْلُفْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَقَدْ تَفَقَّهَ بِيغْدَادَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ ، وَدَرَّسَ بِالصَّاحِبِيَّةِ ^(٢) مَدَّةَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَبِمَدْرَسَةِ أَبِي عَمْرٍ ، وَوَلِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ مَشِيخَةَ الْحَدِيثِ بِالظَّاهِرِيَّةِ بَعْدَ سَفَرِ الْفَارُوقِيِّ ، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ وَالصِّدْرِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ يَعُودُ الْمَرْضَى ، وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ دَرَّسَ بَعْدَهُ بِالصَّاحِبِيَّةِ ^(٣) الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ الْمَزْدَاوِيُّ ، وَبِدَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ شَرَفُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ خَوَاجَا ، إِمَامُ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِالنَّاصِحِ .

ابن صاحب حَمَاةَ ، الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيُّ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ ^(٤) ، تُوفِّيَ بِدِمَشْقَ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِهَا ، وَخُرِجَ بِهِ مِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ مَحْمُولًا إِلَى مَدِينَةِ أَبِيهِ وَتَرَبَّيْتُهُمْ بِهَا ، وَهُوَ وَالِدُ الْأَمِيرَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ بَدْرِ الدِّينِ حَسَنِ وَعَمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي تَمَلَّكَ حَمَاةَ بَعْدَ جَدِّهِ ^(٤) .

(١) العبر ٣٧٥/٥ ، والوافي بالوفيات ٦٦/٦ ، وتذكرة النبيه ١٦٢/١ ، والمنهل الصافي ٢٢/١ ، وعقد الجمان ١٩٤/٣ .

(٢) في م : « بالصاحبية » . وهي المدرسة الصاحبية والصاحبية . انظر الدارس ٧٩/٢ .

(٣) نهاية الأرب ٢٥٧/٣١ ، والوافي بالوفيات ١٨٦/٢٢ ، وتذكرة النبيه ١٦٢/١ ، والسلوك ٧٨٧/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ١٩٩/٣ .

(٤) في م : « مدة » .

ابن عبد الظاهر مُخَيِّ الدين^(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَشِيدِ الدينِ عبدِ الظاهرِ بنِ
نَشْوَانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بنِ عَلِيِّ بنِ نَجْدَةَ السَّعْدِيِّ، كاتبُ الإنشاءِ بالديارِ
المصريَّةِ، وأخِرُ مَنْ بَرَزَ في هذا القرنِ على أهلِ زمانِهِ، وسَبَقَ سائِرَ أقرانِهِ، وهو والدُ
الصاحبِ فَتَحِ الدينِ النَّديمِ، وقد تقدَّم ذكرُ وفاتِهِ قبلَ والدِهِ، وقد كانت له
مُصَنَّفَاتٌ، منها «سيرةُ الملكِ الظاهرِ»، وكان ذا مُروعةٍ، وله التَّظْمُ الفائقُ والتَّنْزُّ
الرائقُ، تُوفِّي يومَ الثلاثاءِ رابعَ رجبٍ، وقد جاوزَ السبعينَ، وُدِّفِنَ بترابِهِ التي
أنشأها بالقرافةِ.

الأميرُ عَلَمُ الدينِ سَنَجَرُ الحلبِيُّ^(٢)، الذي كان نائبَ قُطْرُ على دمشقَ، فلما
جاءته بِيَعَةُ الظاهرِ دعا إلى نفسه، فبُويِعَ وتَسَمَّى بالملكِ المُجاهِدِ، ثم حُوَصِرَ
وهزَّبَ إلى بَعْلَبَكْ، فحُوَصِرَ فأجاب إلى خدمةِ الظاهرِ، فسجَّنه مدةً وأطلقه،
وسجَّنه المنصورُ مدةً، وأطلقه الأشرَفُ، واختَرَمَه وأكْرَمَه، بَلَغَ الثمانينَ سنةً،
وتُوفِّي في هذه السنةِ.

(١) بعده في الأصل، م: «بن». والمثبت كما في مصادر ترجمته؛ نهاية الأرب ٣١/٢٥٦، والعبر ٥/٣٧٦،
والوافي بالوفيات ١٧/٢٥٧، وتذكرة النبيه ١/١٦٤، والمنهل الصافي ٧/٩٨، والنجوم الزاهرة ٨/٣٨.
(٢) الوافي بالوفيات ١٥/٤٧٣، وكنز الدرر ٨/٣٤٤، وتذكرة النبيه ١/١٦١، وعقد الجمان ٣/١٩٩،
والمنهل الصافي ٦/٧٦.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة^(١)

في أولها كان مقتل الأشراف، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم، فلما كان بأرض تزوجة^(٢) بالقرب من الإسكندرية ثانی عشر المحرم، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش، فأول من ضربه نائبه بيدرا، وتمم عليه لاجئ المنصوري، ثم اختفى إلى رمضان، وظهر يوم العيد، وكان ممن شارك في قتل الأشراف بدر الدين يتسرى وشمس الدين قراشقر المنصوري، فلما قتل الأشراف اتفق الأمراء على تملك بيدرا، وسموه الملك القاهر [١٠٩/١٠٩ظ] أو الأوحّد، فلم يتم له ذلك، فقُتل في اليوم الثاني بأمر كتبغا، ثم اتفق زين الدين كتبغا، وعلم الدين سنجر الشجاع على أن يملكوا أخاه محمداً الملك الناصر بن قلاوون، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم، وكان الوزير ابن السلغوس بالإسكندرية، وكان قد خرج في ضحبة السلطان، وتقدم هو إلى الإسكندرية، فلم يشعز إلا وقد أحاط به البلاء، وجاءه العذاب من كل ناحية، وذلك أنه كان يعامل الأمراء الكبار معاملة الصغار، فأخذوه، وتولى عقوبته من

(١) نهاية الأرب ٢٥٩/٣١ - ٢٧٩، وكنز الدرر ٣٤٥/٨ - ٣٥٦، وتذكرة النبيه ١٦٧/١ - ١٦٩، والسلوك ٧٨٨/١ - ٨٠٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٠١/٣ - ٢٤٦.
(٢) في م: «بروجه». وتروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. معجم البلدان ٨٤٥/١.

بينهم الشجاعى ، فضرب ضربًا عظيمًا ، وقُرر على الأموال ، ولم يزالوا يُعاقبونه حتى كانت وفاته فى عاشر صفر بعد أن احتيط على خواصه كلها . وأخضر جسد الأشرف ، فدُفن بتريته ، وتألّم الناس لفقده ، وأعظموا قتله ، وقد كان شهما شجاعا ، على الهمة ، حسن النظر^(١) ، كان قد عزم على غزو العراق واشتريجاع تلك البلاد من أيدى التتار ، واستعدّ لذلك ، ونادى به فى بلاده ، وقد فتح فى مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل ، ولم يتروك للفرنج فيها معلما ولا حجرا ، وفتح قلعة الروم وبهشنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الملك الناصر إلى دمشق حُطِب له بها على المنابر ، واستقرّ الحال على ذلك ، وجعل الأمير كئيبا أتاكه ، والشجاعى مشاورا كبيرا ، ثم قُتل^(٢) بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كئيبا ، فأمر أن يُطاف به فى البلد ، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا ، وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا ، ولم يتق لكئيبا منازع ، ومع هذا كان يُشاوَر كبار الأمراء تطييبا لقلوبهم .

وفى صفر ، بعد موت ابن السلغوس ، عُزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء ، وأعيد تقى الدين ابن بنت الأعرز ، واستمرّ ابن جماعة مُدرّسا بمصر فى كفاية ورياسة ، وتولّى الوزارة بمصر الصاحب تاج الدين بن الحينا ، وفى ظهر يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صفر رُتّب إمام بمخرب الصحابة ، وهو كمال الدين^(٣) عبد الرحمن بن القاضى محبى الدين بن الزكى ، وصلّى يومئذ بعد الخطيب ، ورُتّب بالمكتب الذى بباب الناطفانيين إمام أيضا ، وهو ضياء الدين بن

(١) فى م : « المنظر » .

(٢) أى علم الدين سنجر الشجاعى كما سيأتى .

(٣) بعده فى الأصل : « بن » . لم نجد ترجمة كمال الدين هذا .

بُوهانِ الدينِ الإسكَنْدريِّ، وباشرَ نظَرَ الجامعِ الشريفِ زَيْنُ الدينِ حسينُ بنُ محمدِ بنِ عَدنانَ، وعادَ سُوقَ الحَريرِيِّينَ إلى سُوْقِهِ، وأخْلَوْا قَيْساريَةَ القطنِ الذي كانَ نوابُ طُفْجِي^(١) أَلزَمُوهمَ بِسُكْنِها، وولى خِطابَةَ دِمَشقَ الشَيْخِ العَلَّامَةَ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ جَمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمَةَ بنِ أحمدَ المَقْدِسيِّ، بعدَ عَزْلِ مُؤَفِّقِ الدينِ الحَمَوِيِّ، دَعَوهُ إلى حِمَاةَ، فخطَبَ المَقْدِسيُّ يَوْمَ الجُمُعَةِ نِصْفَ رَجَبٍ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ، وَكانتَ وِلايَتُهُ بِإِشارَةِ تاجِ الدينِ بنِ الحِنا الوَزيزِ بِمِصرَ، وَكانَ فَصِيحًا بَلِيغًا عالِمًا بارِعًا.

وفى أواخرِ رَجَبِ حَلَفَ الأَمراءُ لِلأَميرِ زَيْنِ الدينِ كَتَبُغًا مَعَ المَلِكِ الناصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ، وَسارَتِ البَيْعَةُ بِذَلِكَ فى سائِرِ المَدِينِ وَالْمعاقلِ.

واقعة عَسافِ النَّصْرانِيِّ

كانَ هذا الرَّجُلُ مِنَ أَهْلِ السُّوَيْدِاءِ قَد شَهِدَ عَلَيْهِ جَماعَةٌ أَنَّهُ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَقد اسْتَجارَ عَسافُ [١١٠/١٠] هذا بِابنِ أحمدَ بنِ حَجَّيٍّ أَميرِ آلِ عَلى، فَاجْتَمَعَ الشَيْخُ تَقِيُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، وَالشَيْخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقِيُّ شَيْخُ دارِ الحَدِيثِ، فَدَخَلَا عَلى الأَميرِ عَزَّ الدينِ أَيُّبَکَ الحَمَوِيِّ نائِبِ السُّلطانِ، فَكَلَّماهُ فى أمرِهِ، فَأجابَهُما إلى ذلِكَ، وَأرْسَلَ لِیُحْضِرَهُ، فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ وَمَعَهُما خَلْقٌ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَراى النَّاسُ عَسافًا حِينَ قَدِمَ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ، فَسَبَّوهُ وَشَتَمُوهُ، فَقالَ ذلِكَ الرَّجُلُ البَدَوِيُّ: هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ. يَعْنى النَّصْرانِيِّ، فَرجَمَهُما النَّاسُ بِالحِجارَةِ، وَأصابَتِ عَسافًا، وَوَقَعَتْ خَبِطَةٌ قَويَّةٌ، فَأرْسَلَ النَّائِبُ، فَطَلَبَ

(١) فى م: «طنجي».

الشيخين ابن تيمية والفارقي ، فضربتهما بين يديه ، ورسم عليهما في العذراوية ،
وقدم النصراني ، فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ،
فحقن دمه ، ثم استدعى بالشيخين ، فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد
ذلك ببلاد الحجاز ، فاتفق قتله قريبا من مدينة رسول الله ﷺ ، قتله ابن أخيه
هنالك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه « الصارم
المسلول على ساب الرسول » .

وفي شعبان^(١) منها ركب الملك الناصر في أبهة الملك ، وشق القاهرة ، وكان
يوما مشهودا ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام ، وجاء المرسوم من
جهته ، ففرى على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطى الظلم ، وإبطال ضمان
الأوقاف والأموال إلا برضا أصحابها .

وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان^(٢) درس بالمشرورية القاضي جمال
الدين القزويني ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين بن
الحوي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكان درسا حافلا .

قال البرزالي^(٣) : وفي شعبان اشتهر أن في الغيطة بجسر ين تينا عظيمًا ابتلع
رأسًا من المغز كبيرًا صحيحًا .

وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان مختفيا منذ قتل
الأشرف ، فاعتذر له عند السلطان ، فقبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

(١) السلوك ٨٠٣/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢٤٥/٣ .

(٢) الدارس ٤٥٦/١ .

(٣) انظر عقد الجمان ٢٤٥/٣ .

وفى شوالٍ منها^(١) اشتهر أن مهتأ بن عيسى خرج عن طاعة السلطانِ الناصرِ،
وانحاز إلى التتيرِ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثامنِ ذى القعدةِ^(٢) درّس بالعزالية الخطيبُ شرفُ الدينِ
المقدسى عَوْضًا عن قاضى القضاةِ شهابِ الدينِ بنِ الخُوَيْمِيِّ - لما^(٣) تُوفِّي - وترك
الشاميةَ البَرّانيةَ، وقدم على قضاةِ الشامِ القاضى بدرُ الدينِ بنِ جماعةَ يومَ الخميسِ
الرابعِ عشرٍ من ذى الحِجَّةِ، ونزل العادليةَ، وخرج نائبُ السُلْطَنَةِ والجيشُ بكَمالِهِ
لتلقِيهِ، وامتدحه الشعراءُ، واستناب تاجُ الدينِ الجعبريُّ نائبُ الخطابةِ، وباشر
تدريسَ الشاميةِ البَرّانيةِ - عَوْضًا عن شرفِ الدينِ المقدسى - الشيخُ زَيْنُ الدينِ
الفارقي^(٤) وانتزعت من يده الناصريةَ، فدرّس بها ابنُ جماعةَ، وبالعادليةِ فى
العشرين من ذى الحِجَّةِ.

وفى هذا الشهرِ أخرجوا الكلابَ من دمشق إلى ظاهرِ القلاَةِ بأمرِ واليها
جمالِ الدينِ أقبای، وشُدّد على الناسِ والبوايين فى ذلك.

ومن تُوفِّي فيها من الأعيانِ :

الملكُ الأشرفُ خَليلُ بنُ قلاؤونِ المنصورِ^(٥)، ويَدْرَأ^(٦) [١١٠/١٠١ظ]

(١) عقد الجمان ٣/٢٤٥.

(٢) الدارس ١/٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدارس.

(٤) فى م: «الفاروقى».

(٥) نهاية الأرب ٣١/٣٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/٢٩، وكنز الدرر ٨/٣٤٥، والعبر ٥/٣٧٨،
والوافى بالوفيات ١٣/٣٣٩، وتذكرة النبى ١/١٦٧، وعقد الجمان ٣/٢٠١، والنجوم الزاهرة ٨/٤٠،
والمنهل الصافى ٥/٢٧٠، والمقفى الكبير ٣/٧٩٣.

(٦) نهاية الأرب ٣١/٢٦٣، والمختصر فى أخبار البشر ٤/٣٠، والوافى بالوفيات ١٠/٣٦٦، وعقد
الجمان ٣/٢١٦، والمنهل الصافى ٣/٤٩٣، والمقفى الكبير ٢/٥٦٢.

والشجاعى^(١)، وشمس الدين بن السلغوس^(٢).

الشيخ الإمام العلامة تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراعى^(٣)، المعروف^(٤) بأبى الجواب^(٤) الشافعى، درّس بالإقبالية وغيرها، وكان من فضلاء الشافعية، له يد في الفقه والأصول والنحو، وفهم جيد، تُوفى فجأة يوم السبت، ودُفن بمقابر باب الصغير، وقد جاوز السبعين.

الخاتون مؤنسة بنت السلطان العادل أبى بكر بن أيوب^(٥)، وتُعرف بالدار القطبية، ودار إقبال^(٦)، وُلدت سنة ثلاث وستمائة، وروت بالإجازة عن عيفة الفارانية^(٧)، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبى الفرج الثقفي، تُوفيت في ربيع الآخر بالقاهرة، ودُفنت بباب زويلة.

الصاحب الوزير فخر الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني^(٨) المصري، رأس الموقعين، وأستاذ الوزراء المشهورين، وُلد

(١) نهاية الأرب ٢٧٣/٣١، وكتز الدرر ٣٥٣/٨، والوفى بالوفيات ٤٧٥/١٥، وتذكرة النبي ١٧٢/١،

وعقد الجمان ٢٣٤/٣، والمنهل الصافى ٨٠/٦.

(٢) ستأى ترجمته آخر وفيات هذه السنة.

(٣) عقد الجمان ٢٤٧/٣، والدليل الشافى ٧٥٢/٢، والدارس ١٦١/١.

(٤ - ٤) كذا فى الأصل، م. وفى عقد الجمان والدليل الشافى: «باب الحيوان»، وفى الدارس: «باب الجواب».

(٥) عقد الجمان ٢٥٦/٣، والدليل الشافى ٧٥٥/٢.

(٦ - ٦) فى الأصل: «الدار القطبية بدار إقبال».

(٧) فى الأصل، م، والعقد: «الفارقانية» وفى الدليل الشافى: «الفارقة». والمثبت من ترجمتها فى العبر ١٧/٥. وهى عيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد أم هانىء الفارقانية نسبة إلى فارغان: قرية من قرى أصبهان. وانظر معجم البلدان ٨٣٩/٣.

(٨) فى الأصل، م: «البنانى». والمثبت من مصادر الترجمة؛ نهاية الأرب ٢٧٩/٣١، والوفى =

سنة ثنتي عشرة وستمائة، وروى الحديث، تُوفّي في آخِرِ جُمادى الآخِرَةِ في القاهرة.

الملك الحافظ غياث الدين^(١) محمد بن الملك السعيد مُعين الدين شاهنشاه بن الملك الأمجد بهرام شاه بن المعز عزّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وكان فاضلاً بارعاً، سَمِعَ الحديثَ، وروى «البُخارى»، وكان يُحِبُّ العلماءَ والفقراءَ، تُوفّي يومَ الجمعةِ سادسَ شعبانَ، ودُفِنَ عندَ جدّه لأُمّه ابنِ المُقدِّم، ظاهرَ بابِ الفَراديسِ.

قاضي القضاة شهابُ الدين بن الحُوَيتي، أبو عبدِ اللهِ محمد بن قاضي القضاة شمسِ الدين أبي العباسِ أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى ابنِ محمدِ الشافعي^(٢)، أصلُهُم من حُوَيّ، اشْتَغَلَ وحَصَلَ علوماً كثيرةً، وصنَّفَ كتباً كثيرةً، منها كتابٌ فيه عشرون فتراً، وله «نظْمُ علومِ الحديثِ» و«كِفايَةُ الْمُتَحَفِّظِ» وغيرُ ذلك، وقد سَمِعَ الحديثَ الكثيرَ، وكان مُحِبّاً له ولأهله، وقد درَّسَ وهو صغيرٌ بالدماغيةِ، ثم ولى قضاةَ القدسِ ثم المحلّةِ، ثم بهسنا، ثم ولى قضاةَ حلب، ثم عاد إلى المحلّةِ، ثم ولى قضاةَ القاهرةِ، ثم قديمَ على قضاةِ الشامِ

= بالوفيات ٩٧/٦، وفوات الوفيات ٤٣/١، والسلوك ٨٠٤/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٥٤/٣، والنجوم الزاهرة ٥٠/٨، والمنهل الصافي ١٣٦/١، والمقفى الكبير ٢٦٠/١.

(١) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في: نهاية الأرب ٢٨٠/٣١، والوفى بالوفيات ١٤٧/٣ - وفيه أن وفاته كانت سنة ثلاث وثمانين وستمائة - ومراة الجنان ٢٢٢/٤، وتذكرة النبيه ١٧٢/١، وعقد الجمان ٢٥٤/٣، والمقفى الكبير ٧١٦/٥.

(٢) العبر ٣٧٩/٥، والوفى بالوفيات ١٣٧/٢، وفوات الوفيات ٣١٣/٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ٥٠١/١، وتذكرة النبيه ١٧٠/١، والدليل الشافي ٥٩١/٢، والمقفى الكبير ١٦٦/٥، وبغية الوعاة ٢٣/١.

مع تدرّيس العادلية والعزالية وغيرهما، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام، عفيفاً نزهاً بارعاً مجتهداً للحديث وعلمه وعلمائه، وقد خرّج له شيخنا الحافظ المزيّ أربعة حديثاً متبينة الإسناد، وخرّج له تقيّ الدين بن عثبة الإسعريّ مشيخةً على حروف المعجم، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيخاً. قال البرزاليّ: وله نحو ثلاثمائة شيخ لم يُذكروا في هذا المعجم. تُوفّي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان، عن سبع وستين سنة، وصُلّي عليه ودُفن من يومه بترية والديه بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

الأمير علاء الدين الأعمى^(١)، ناظر القدس، وباني كثير من معالمه اليوم، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين بن عبد الله الصالح النجمي، كان من أكابر الأمراء، فلما أضرّ أقام بالقدس الشريف وولى نظره، فعمره وثمره، وكان مهيباً لا تُخالف مراسيمه، وهو الذي بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي ﷺ، فانتفع الناس بها في الوضوء وغيره، ووجد الناس بها تيسيراً، وأنشأ بالقدس رُبطاً كثيرة، وآثاراً حسنة، وكان يُباشِرُ [١٠/١١١] الأمور بنفسه، وله حُرمة وافرة، تُوفّي في شوال منها.

الوزير شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجال التتوخئي^(٢)، المعروف بابن السلعوس، وزير الملك الأشرف، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف

(١) الوافي بالوفيات ٩/٤٨٥، ونكت الهميان ص ١٢٣، وعقد الجمان ٣/٢٥٣، والمنهل الصافي ٣/١٦٣، والأنس الجليل ٢/٢٧٠.

(٢) نهاية الأرب ٣١/٢٧٠، والمختصر في أخبار البشر ٤/٣١، والعبر ٥/٣٨٠، والوافي بالوفيات ٤/٨٦، وتذكرة النبيه ١/١٧٣، وعقد الجمان ٣/٢٢٧، والمقفي الكبير ٦/٢٠٤، والمقفي الكبير ٦/٢٠٤، وشذرات الذهب ٥/٤٢٤.

مِقرعة، في عاشرِ صفرٍ من هذه السنة، ودُفِنَ بالقَرافة^(١)، وقيل: إنه نُقِلَ إلى الشامِ بعدَ ذلك. وكان ائْتداءً أمرِه تاجراً، ثم ولى الحِسيبةَ بدمشقَ بسفارةٍ تقيِّ الدينِ تُوْبَةَ، ثم كان يُعامِلُ الملكَ الأشرفَ قبلَ السلطنةِ، فظَهَرَ منه على عَدْلِ وصدقٍ، فلما ملكَ بعدَ أبيه المنصورِ استَدْعاهُ مِنَ الحِجِّ فولَّاهُ الوِزارَةَ، وكان يَتَعَاطَمُ على أكابرِ الأمراءِ، ويُسمِّيهم بأسمائهم، ولا يَقومُ لهم، فلما قُتِلَ أستاذُه الأشرفُ تسلَّموه بالضُّرْبِ والإهانةِ وأخذِ الأموالِ، حتى أَعَدَموه حياتَه وصَبَّروه، وأسكَنوه الثرى بعدَ أن كان عندَ نفسه قد بَلَغَ الثَّرِيًّا، ولكنَّ حَقًّا على اللَّهِ أنه ما رَفَعَ شيئًا إلا وَضَعَه.

(١) في الأصل: «بالقاهرة».

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وأشهرًا، ومدبر الممالك وأتابك العساكر الأمير زين الدين كئيغا، ونائب الشام الأمير عز الدين أيتك الحموي، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي، وشاذ الدواوين شمس الدين الأعمر، وقاضي الشافعية ابن جماعة، والحنفية حسام الدين الرازي، والمالكية جمال الدين الزواوي، والحنابلة شرف الدين حسن، والمحتسب شهاب الدين الحنفي، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، ووكيل بيت المال وناظر الجامع تاج الدين الشيرازي، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي.

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من ممالك الأشراف، وخرقوا حرمة السلطان، وأرادوا الخروج عليه، وجاءوا إلى سوق السلاح، فأخذوا ما فيه، ثم احتيط عليهم، فمنهم من صلب، ومنهم من شنيق، وقُطع أيدي آخرين منهم وألستهم، وجرت خبيطة عظيمة جدًا، وكانوا قريبًا من ثلاثمائة أو يزيدون.

(١) نهاية الأرب ٢٨١/٣١ - ٢٨٨، وكنز الدرر ٣٥٦/٨ - ٣٦٢، والعبير ٣٨٠/٥.

ذكر سلطنة الملك العادل كتبغا

وأصبح الأمير كتبغا في اليوم^(١) الحادي عشر^(٢) من المحرم، فجلس على سرير المملكة، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور، وألزمه بيت أهله، وأن لا يخرج منه، وبايعه الأمراء على ذلك وهنأوه، ومد سيماطاً حافلاً، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم، فبويع وخطب له مشتقلاً، وضربت الشكّة باسمه، وتمّ الأمر، وزينت البلاد، ودقت البشائر، ولُقب بالملك العادل، وكان عمره إذ ذاك نحواً من خمسين سنة، فإنه من سببي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من الغوريانية^(٣)، وهم طائفة من التتر، واشتتاب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، وكان بين يديه مذبذب الممالك. وقد ذكر ابن الجزري في «تاريخه»^(٤) عن بعض الأمراء أنه شهد هولاء كوقان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذي يملك الديار المصرية، فضرب وحسب، وقال له: أجده رجلاً يملكها اسمه كتبغا. فظنه كتبغائونين، وكان صهراً هولاء، فقدّمه على العساكر، فلم يكن هو، فقتل في عين جالوت كما ذكرنا، وإنما الذي [١١١/٨٠] ملك مصر هذا الرجل، وكان من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة وقصدًا في نضرة الإسلام.

وفي يوم الأربعاء^(٥) مشتهل ربيع الأول ركب كتبغا في أبهة الملك، وشقّ القاهرة، ودعا له الناس، وعزل صاحب تاج الدين بن الحنّا عن الوزارة، وولّى

(١ - ١) في كنز الدرر ٣٥٧/٨: «يوم الخميس ثالث عشر».

(٢) في م: «الغوريانية». وانظر السلوك ٧٠٨/١ (القسم الثالث) حاشية (٣).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٥٥/٨.

فخر الدين بن الخليلي، واستشقى الناس بدمشق عند مسجدِ القدم، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه الشيخ شرف الدين المقدسي، وكان مريضاً، فعزل نفسه عن القضاء، وخطب الناس بعد ذلك، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، فلم يُسَقَوْا، ثم استسَقَوْا مرةً أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور، وخطب بهم شرف الدين المقدسي، وكان الجمع أكثر من الأول، فلم يُسَقَوْا.

وفي رجبِ حَكَم كمال^(١) الدين بن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين ابن جماعة.

وفيه درس بالمُعظمية القاضي شمس الدين بن العز، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق.

وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحُد ابن الملك الناصر داود ابن المُعظِم. وفي رمضان رُسم للحنابلة أن يُصلُّوا قبل الإمام الكبير، وذلك أنهم كانوا يُصلُّون بعده، فلما أُحدث^(٢) «محراب الصحابة» كانوا يُصلُّون جميعاً في وقت واحد، فكان يحصل تشويش بسبب ذلك، فاستقرت القاعدة على أن يُصلُّوا قبل الإمام الكبير، في وقت صلاة مشهد على بالصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي.

قلت: وقد تعيَّرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمئة كما سيأتي.

وفي أواخر رمضان قديم القاضي نجم الدين بن صصرى من الديار المصرية

(١) في م: «جمال». وانظر الدارس ٢٧/١.

(٢ - ٢) في م: «محراب الصحابة لإمام».

على قضاء العساكر بالشام .

وفي ظهر يوم الخميس خامس شوالِ صَلَّى القاضي بدرُ الدين بن جماعة بِمِحْرَابِ الجامعِ إمامًا وخطيبًا عَوْضًا عن الخطيبِ المُدْرِيسِ شرفِ الدينِ المقدسيِّ ، ثم خَطَبَ مِنَ العِدِ ، وشُكِرَتْ خُطْبَتُهُ وقراءتهُ ، وذلك مُضَافًا إلى ما بيده مِنَ القَضَاءِ وغيره .

وفي أواخر^(١) شوالِ قَدِمَتْ مِنَ الديارِ المِصرِيَّةِ تَوَاقِيحُ سَتِّيٍّ ؛ منها تَدْرِيسُ العَزَّالِيَّةِ لابنِ صَضْرَى عَوْضًا عن الخطيبِ المقدسيِّ ، وتَوَاقِيحُ بَدْرِيسِ الأَمِينِيَّةِ لإمامِ الدينِ القَزْوِينِيِّ عَوْضًا عن نجمِ الدينِ بنِ صَضْرَى ، ورُسِمَ لِأَخِيهِ جلالِ الدينِ بَدْرِيسِ الظَاهِرِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ عَوْضًا عنه .

وفي شوالِ كَمَلَتْ عِمَارَةُ الحَمَامِ الَّذِي أَنشَأَهُ عَزُّ الدينِ الحَمَوِيُّ بِمَسْجِدِ القَصَبِ ، وهو مِنَ أَحْسَنِ الحَمَامَاتِ ، وبِأَشْرَ مَشِيخَةِ دارِ الحَدِيثِ الثَّوْرِيَّةِ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدينِ بنِ العَطَّارِ عَوْضًا عن شرفِ الدينِ المقدسيِّ .

وَحَجَّ فِيهَا المَلِكُ المُجَاهِدُ أَنَسُ بنُ المَلِكِ العادِلِ كَثْبَعًا ، وَتَصَدَّقُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الحَرَمَيْنِ وغيرِهِما .

وَتُوْدِي بِدَمَشَقَ يَوْمَ عَرَفَةَ أَنْ لا يَزُكَبَ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الذِّمَّةِ خِيَلًا ولا بِغَالًا ، وَمَنْ رَأَى مِنَ المُسْلِمِينَ أَحَدًا مِنَ أَهْلِ الذِّمَّةِ قَدْ خَالَفَ ذَلِكَ فَله سَلْبُهُ .

وفي أواخرِ هذه السَّنَةِ والتي تَلِيها حَصَلَ بِديارِ مِصرَ عَلاءٌ شَدِيدٌ ، هَلَكَ

(١) في م : « أوائل » .

بسببه خلق كثير، هلك في شهر ذى الحجة نحو من عشرين ألفاً .

وفيها ملك التتر قازان بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكزخان ، فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز^(١) ، رحمه الله تعالى ، ودخلت التتر أو أكثرهم في الإسلام ، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رعوس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرّب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم [١١٢ / ١٠] الجزية ، وردّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت الشيخ والهيكل مع التتر ، والحمد لله وحده .

وفيها تُوفى من الأعيان :

الشيخ أبو الرجال الميني : الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مري^(٢) بن بحتري الميني ، كانت له أحوال ومكاشفات ، وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية ميين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف ، وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريئاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين ، سالكاً طريق السلف أيضاً ، وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفى بميين في منزله في عاشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته ، فمنهم من أدركها ، ومن الناس من لم يدرك فصلّى على القبر ، ودُفن بزاويته ، رحمه الله تعالى .

(١) في م : «توزون» . وانظر كنز الدرر ٣٦١ / ٨ .

(٢) في م : «مرعي» . وانظر ترجمته في : العبر ٣٨٥ / ٥ ، ومسالك الأبصار ١٧٥ / ٨٠ ، ومرآة الجنان ٢٢٧ / ٤ ، وتذكرة النبيه ١٨٠ / ١ ، وعقد الجمان ٢٨٣ / ٣ ، وشذرات الذهب ٤٢٨ / ٥ .

وفيهما في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عَسَافَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ حَجَّيْ (١) الذي كان قد أجاز ذلك النَّصْرَانِيَّ الذي سبَّ الرسولَ عليه السلام قُتِلَ ، ففرح الناسُ بذلك .

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ الورعُ بقیةُ السلفِ ، جمالُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ الحرَّشْتَانِيَّ بنِ قاضي القضاةِ وخطيبِ الخطباءِ عمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ جمالِ الدينِ عبدِ الصَّمَدِ (٢) ، سَمِعَ الحديثَ ونابَ عن أبيه في الإمامةِ وتدریسِ العزاليَّةِ ، ثم تركَ المناصبَ والدنيا ، وأقبلَ على العبادةِ ، وكان للناسِ فيه اعتقادٌ حسنٌ صالحٌ ، يُقبَلونَ يدهُ ويسألونه الدعاءَ ، وقد جاوزَ الثمانينَ ، ودُفِنَ بالسفحِ عندَ أهله في أواخرِ ربيعِ الآخرِ .

الشيخُ مُحِبُّ الدينِ الطَّبْرِيُّ المَكِّيُّ الشافعيُّ (٣) ، سَمِعَ الكثيرَ وصنَّفَ في فنونٍ كثيرةٍ ، من ذلك كتابُ «الأحكامِ» في مجلداتٍ كثيرةٍ مفيدةٍ ، وله كتابٌ على ترتيبِ «جامعِ المسانيدِ» أسمعَه لصاحبِ اليمنِ ، وكان مولده يومَ الخميسِ السابعِ والعشرينِ منْ جمادى الآخرةِ (٤) من سنةِ خمسَ عشرةَ وستمائةٍ (٥) ، ودُفِنَ بمكةَ ، وله شعرٌ جيدٌ ، فمنه قصيدتهُ في المنازلِ التي بينَ مكةَ والمدينةِ تزيدُ على ثلاثمئةِ بيتٍ ، كتبها عنه الحافظُ شرفُ الدينِ الدُّمياطِيُّ في «مُعْجَمِهِ» .

الملكُ الْمُظْفَرُ صاحبُ اليمنِ ، يوسفُ بنُ المنصورِ نورِ الدينِ عمرَ بنِ عليِّ

(١) عقد الجمان ٣/٣٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٨/٧٤ .

(٢) العبر ٥/٣٨٣ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٤٤٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٣ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٦ .

(٣) العبر ٥/٣٨٢ ، والوفاء بالوفيات ٧/١٣٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٨ ، وتذكرة

النبية ١/١٧٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٤ ، والمقفى الكبير ١/٥١٦ ، والمنهل الصافي ١/٣٤٢ ، وشذرات

الذهب ٥/٤٢٥ .

(٣ - ٣) في الأصل ، م : « منها » . والمثبت من مصادر ترجمته عدا عقد الجمان وفيه : « عشر وستمائة » .

ابن رَسُولٍ^(١) ، أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعا وأربعين سنة ، وعمر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولى أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقيسي بن الكامل محمد ، وكان عمر بن رَسُولٍ مُقَدَّم عساكر أقيسي ، فلما مات أقيسي وثب على الملك ، فتم له الأمر ، وتسمى بالملك المنصور ، واستمر أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة ، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف مُمَهَّد الدين ، فلم يمكث سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد هزب^(٢) الدين داود بن المظفر ، فاستمر في الملك مدة ، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يُحب الحديث ويسمعه ، وجمع لنفسه أربعين حديثًا .

شرف الدين المقدسي ، الشيخ الإمام الخطيب المدرس المفتي : شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي^(٣) ، [١١٢/١٠] وُلد سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير ، وكتب حسنًا ، وصنف فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرس الغزالية ودار الحديث الثورية مع الخطابة ، ودرس في وقت بالشامية البرانية ، وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء ؛ منهم الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية ، وكان يفتخر بذلك ويفرح به ، ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء . وكان يُتقن فنونا

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٨٩ ، والعبر ٥/٣٨٤ ، وتذكرة النبي ١/١٧٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة ٨/٧١ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٧ .

(٢) في الأصل ، م : « عز » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان . وانظر ترجمته في : المختصر في أخبار البشر ٤/٩١ ، وكنز الدرر ٩/٣٠٧ ، والوفاء بالوفيات ١٣/٥٠١ ، وفوات الوفيات ١/٤٢٨ .

(٣) العبر ٥/٣٨٠ ، والوفاء بالوفيات ٦/٢٣١ ، وفوات الوفيات ١/٥٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٥ ، وتذكرة النبي ١/١٧٨ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٥ ، والمقفى الكبير ١/٣٦١ ، والمنهل الصافي ١/٢٢٩ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٤ .

كثيرة من العلوم ، وله شعرٌ حسنٌ ، وصنّف كتابًا في أصولِ الفقهِ جمع فيه شيئًا كثيرًا ، وهو عندى بخطه الحسن ، تُوفّي يومَ الأحدِ سابعَ عشرَ رمضانَ ، وقد جاوزَ السبعينَ ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ كَيْسَانَ عندَ والديه ، رحمه الله تعالى ، ورحم أباه . وقد خطبَ بعده يومَ العيدِ الشيخُ شرفُ الدينِ الفزارِيُّ خطيبُ جامعِ جراحِ ، ثم جاء المرسومُ لابنِ جماعةَ بالخطابة . ومن شعرِ الخطيبِ شرفِ الدينِ ابنِ نِعْمَةَ المقدسيِّ :

احججْ إلى الزَّهْرِ لَتَسْعَى به وازمِ جِمَارَ الهَمِّ مُسْتَنْفِرًا^(١)
 مَنْ لَمْ يَطْفُفْ بِالزَّهْرِ فِي وَقْتِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلِقَ قَدْ قَصْرًا
 واقفُ الجَوْهريةِ الصدرُ نجمُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عِيَّاشٍ^(٢) بنِ أبي
 المكارمِ التَّميمي الجوهريِّ ، واقفُ الجَوْهريةِ على الحنفيةِ بدمشقَ ، تُوفّي ليلةَ
 الثلاثاءِ تاسعَ عشرَ شوالٍ ، ودُفِنَ بمدرسه ، وقد جاوزَ الثمانينَ ، وكانت له خِدْمٌ
 على الملوكِ فَمَنْ دونهم .

الشيخُ الإمامُ العالمُ المفتي الخطيبُ الطَّيِّبُ ، مَجْدُ الدينِ أبو محمدِ عبدُ
 الوهَّابِ بنُ أحمدَ بنِ أبي الفتحِ بنِ سُخْنُونِ التُّوخيِّ الحنفيِّ^(٣) ، حَطيْبُ النَّيْرِبِ
 ومدرسُ الدماغيةِ للحنفيةِ ، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا ، تُوفّي بالنَّيْرِبِ ، وُصِّلِي عليه
 بجامعِ الصالحيةِ ، وكان فاضلاً ، وله شعرٌ حسنٌ ، وروى شيئًا من الحديثِ ، تُوفّي

(١) في فوات الوفيات ، والمنهل الصافي : « مستهترا » .

(٢) في العبر ٣٨٥/٥ ، وشذرات الذهب ٤٢٨/٥ : « عباس » . وانظر عقد الجمان ٢٩٢/٣ ، والدارس ٤٩٨/١ .

(٣) العبر ٣٨٣/٥ ، وفوات الوفيات ٤١٧/٢ ، وتذكرة النبيه ١٨١/١ ، والدليل الشافي ٤٣٢/١ ، والطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤٠٤/٤ ، وشذرات الذهب ٤٢٦/٥ ، ومعجم الأطباء ص ٢٨١ .

ليلة السبت خامس ذى القعدة عن خمس وسبعين سنة .

الفاروثي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد
ابن الشيخ محيى الدين إبراهيم بن عمر بن الفرّج بن سائبور بن علي بن غنيمّة
الفاروثي الواسطي^(١)، وُلد سنة أربع عشرة وستّمائة، وسمع الحديث، ورحل
فيه، وكانت له فيه يدٌ جيدة، وفي التفسير والفقه والرّوغظ والبلاغة، وكان دينا
ورعا زاهدا، قدّم إلى دمشق في دولة الظاهر، فأعطى تدريس الجاروخية^(٢) وإمامة
مسجد ابن هشام، ورُتب له فيه^(٣) شيء على المصالح، وكان فيه إثار، وله
أحوالٌ صالحة، ومكاشفات كثيرة؛ تقدّم يوما في محراب مسجد ابن هشام
ليصلّي بالناس، فقال قبل أن يُكبّر للإحرام - والتفت عن يمينه - فقال: اخرج
فاغتسل. فلم يخرج أحد، ثم كرّر ذلك ثانية وثالثة، فلم يخرج أحد، فقال: يا
عثمان، اخرج فاغتسل. فخرج رجل من الصف، فاغتسل ثم عاد، وجاء إلى
الشيخ يعتذر إليه، وكان الرجل صالحا في نفسه، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن
يرى شخصا، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه
يخطب غيره، فلما عيّنه باسمه علم أنه المراد.

ثم قدّم الفاروثي مرة أخرى في أواخر أيام المنصور قلاوون، [١١٣/١٠] و
فخطب بجامع دمشق مدة شهر، ثم عُزل بموقف الدين بن الحموي، وتقدّم ذكر

(١) معرفة القراء الكبار ٥٥٢/٢، والعبر ٣٨١/٥، والوفى بالوفيات ٢١٩/٦، وطبقات الشافعية
الكبرى للسبكي ٦/٨، وتذكرة النبيه ١٨٣/١، وغاية النهاية ٣٤/١، وعقد الجمان ٢٩٠/٣، والمقفي
الكبير ٣٥٠/١، وشذرات الذهب ٤٢٥/٥.

(٢) في م: «الجاروخية». وانظر الدارس ٢٢٥/١.

(٣) في الأصل: «فيها».

ذلك ، وكان قد درّس بالنَّجِيبِيَّةِ وبادرَ الحديثِ الظاهريةِ ، فترك ذلك كلّه ، وسافر إلى وطنه ، فمات به بُكَرَةً يومِ الأربعاءِ مُسْتَهْلًا ذِي الْحِجَّةِ ، وكان يومُ موته يومًا مشهودًا بواسِطِ ، وصُلِّيَ عليه بدمشقَ وغيرها ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وكان قد لَبِسَ خِزْفَةَ التَّصَوُّفِ مِنَ الشُّهُرِوَزْدِيَّ ، وقرأَ القِرَاءَاتِ العَشْرَةَ ، وخرَّفَ أَلْفَيْ مَجْلِدٍ ومائتَيْ مَجْلِدٍ ، وحدثَ بالكثيرِ ، وسمعَ منه البِزْالِيَّ كثيرًا « صحیح البخاری » ، و « جامع الترمذی » ، و « سنن ابن ماجه » ، و « مُسْنَدَ الشافعی » ، و « مُسْنَدَ عَبْدِ ابْنِ حَمِيْدٍ » ، و « مُعْجَمَ الطَّبْرَانِيَّ الصَّغِيرِ » ، و « مُسْنَدَ الدَّارِمِيِّ » ، و « فَضَائِلَ الْقُرْآنِ » لِأَبِي عُبَيْدٍ ، وثمانين جزءًا وغير ذلك .

الجمالُ الحَقُّقُ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ الدمشقيِّ ^(١) ، اشتغل بالفقه على مذهبِ الشافعيِّ ، وبرع فيه ، وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً في الطبِّ ، وقد ولي مَشِيخَةَ الدُّخُواريَّةِ لتَقْدِيمِهِ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ على غيره ، وعاد المرَضِي بِالْمَارِسْتَانِ الثُّورِيِّ على قاعِدةِ الأطبَّاءِ ، وكان مدرسًا للشافعيةِ بِالْفَرخُشاهيةِ ^(٢) ، ومُعَيِّدًا بعدةِ مدارسَ ، وكان جيدَ الذهنِ ، مُشارِكًا في فُنُونٍ كثيرةٍ ، سامحه اللهُ تعالى .

السُّ خاتون بنتُ الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ ^(٣) ، زوجةُ ابنِ عمِّها المنصورِ بنِ الصالحِ إسماعيلِ بنِ العادلِ ، وهى التى أُثبتَ سَقْفُها زمنَ المنصورِ قَلَاوُونِ حتى اشْتَرَى منها حَزْمًا ، وَأَخَذَتِ الزُّنْبُقِيَّةَ مِنْ زَيْنِ الدِّينِ السَّامَرِيِّ ^(٤) .

(١) العبر ٣٨٢/٥ ، والوافي بالوفيات ١٣٦/٧ ، وعقد الجمان ٢٩١/٣ ، وشذرات الذهب ٤٢٦/٥ ، ومعجم الأطباء ص ١٠٩ .

(٢) فى الأصل ، م : « بالفرخشاهية » . والمثبت من الوافي بالوفيات . وانظر الدارس ٥٦١/١ .

(٣) نهاية الأرب ٢٩١/٣١ ، والوافي بالوفيات ٢٣٧/١٣ .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٦٠٨ .

الصدرُ جمالُ الدينِ يوسفُ بنُ عليِّ بنِ مهاجرِ الشُّكريِّ، أخو الصاحبِ
تقيِّ الدينِ توبة^(١)، ولي حِشبةَ دمشقَ في وقتٍ، ودُفِنَ بتربةِ أخيه بالسفحِ،
وكانت جنازته حافلةً، وكان له عقلٌ وافرٌ وتواضعٌ وثروةٌ ومروءةٌ، وخلف ثلاثَ
بنينَ؛ شمسُ الدينِ محمدٌ، وعلاءُ الدينِ عليٌّ، وبدرُ الدينِ حسنٌ.

(١) عقد الجمان ٣/٢٩١.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة^(١)

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العبّاسي، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كَثْبغا، ونائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلخدار المنصوري، ووزيره فخر الدين بن الخليلي، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها، ونائب الشام عز الدين الحموي، ووزيره تقي الدين توبة، وشاؤ الدواوين الأعسر، وخطيب البلد وقاضيها ابن جماعة.

وفي المحرم ولي نظر الأيتام نجم^(٢) الدين بن هلال عوضًا عن شرف الدين بن الشيرجي.

وفي مُستَهَلَّ هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديدًا جدًا، وقد تفانى الناس إلا القليل، وكانوا يخفرون الحفيرة، فيدفنون فيها القمام من الناس، والأشعار في غاية الغلاء، والأقوات في غاية القلة والغلاء، والموت عمالًا، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفًا، ووقع غلاء بالشام، فبلغت الغرارة إلى مائتين، وقدمت طائفة من التتر العويرائية لما بلغهم سلطنة كَثْبغا إلى الشام؛ لأنه منهم، فتلقاهم الجيش بالترحاب والسعة، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قزاسنقر المنصوري.

(١) نهاية الأرب ٢٩٣/٣١ - ٣٠٩، والمختصر في أخبار البشر ٣٣/٤، وكنز الدرر ٣٦٢/٨ - ٣٦٦، وتذكرة النبيه ١٨٤/١ - ١٩٢، وعقد الجمان ٢٩٩/٣ - ٣٢٢.

(٢) في م: «برهان».

وجاء الخبرُ بأشَدِّادِ العَلاءِ والفَناءِ بمصرَ، حتى قيل: إنه يَبِيعُ الفَرُوجُ
[١١٣/١٠] بالإسكَنْدَريَّةِ بَستِيَّةً وثلاثينَ درهماً، وبالقاهاةِ بَستِيَّةً عَشَرَ،
والبَيْضُ كُلُّ ثَلاثِيَّةٍ بِدرهمٍ، وأُفَينَتِ الحُمُرُ والحِيلُ والبِغالُ والكلابُ مِن أَكَلِ
الناسِ لَها، ولم يَبَقَ شَئٌ مِن هَذهِ الحِواناتِ يَلُوحُ إِلا أَكَلُها.

وفى يَومِ السَبْتِ الثَاني عَشَرَ مِن جُمادى الأوَلى ولى قَضاءَ القَضاةِ بِمَصرَ الشَیخُ
العَلامَةُ تَقىَ الدینِ بَنُ دَقیقِ العَیدِ عَوضًا عَن تَقىَ الدینِ ابنِ بَنتِ الأَعزِّ، ثم وَقَعَ
الرُخْصُ بالَديارِ المَصریَّةِ، وزالَ الضَّرُّ والجُوعُ فى جُمادى الآخِرةِ، ولِللهِ الحَمدُ.

وفى يَومِ الأربِعاِ ثَانى شَهِرِ رَجَبِ دَرَسَ القاضى إمامُ الدینِ بِالقَیْمُریَّةِ عَوضًا
عَن صَدِرِ الدینِ بِنِ رَزینِ الذى تُوفى.

قال البِزْزالیُّ: وفيها وَقَعَتِ صاعِقَةٌ على قُبَّةِ زَمَرمَ، فَقتَلَتِ الشَیخَ عَلیَّ بَنَ
مَحمَدِ بِنِ عَبدِ السَلامِ مُؤدَّنَ المَسجِدِ الحَرامِ، كان يُؤدَّنُ على سَطْحِ القُبَّةِ
المذكَورةِ، وكان قَد رَوى شَیئًا مِنَ الحَديثِ.

وفىها قَدِمَتِ امرأَةُ المَلِكِ الظاهِرِ أُمُّ سَلامِشَ مِن بِلادِ الأَشْکَریِّ إلى دَمَشقَ فى
أَواخرِ رَمَضانَ، فَبَعَثَ إليها نائِبُ البَلدِ بِالهِدايا والشُّحُفِ، وَرَتَّبَ لَها الرِّواثِبَ
والإقاماتِ، وكان قَد نَفاهِمَ خَليلُ بَنُ المَنصُورِ لَمَّا ولى السُلْطَنَةَ.

قال ابنُ الجَزَریِّ: وفى رَجَبِ دَرَسَ كَمالُ الدینِ بَنُ القَلائِسیِّ^(١) بِالظاهِریَّةِ
البِرائِیَّةِ^(١) عَوضًا عَن جلالِ الدینِ القَزوینیِّ.

وفى يَومِ الأربِعاِ سابعِ عَشَرَ شَعبانَ دَرَسَ الشَیخُ الإمامُ العَلامَةُ شَیخُ الإسلامِ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر الدارس ١/٣٤٥.

تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ تَيْمِيَةَ الْحَرَّانِيَّ بِالْمَدْرَسَةِ الْحَنْبَلِيَّةِ عَوْضًا عَنِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ الْمُنْجَا، تُوفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَنَزَلَ ابْنُ تَيْمِيَةَ عَنِ حَلْقَةِ الْعَمَادِ بْنِ الْمُنْجَا لشمسِ الدِّينِ بْنِ الْفَخْرِ الْبَغْلَبَكِيِّ .

وفى أواخرِ شوالِ نابِ القاضى جمالُ الدينِ الزُّرْعِيُّ الذى كان حاكمًا بَزُرْعَ - وهو سليمانُ بنُ عمرَ بنِ سالمِ الأذْرَعِيِّ - عن ابنِ جماعةَ بدمشقَ، فشكَّرت سيرته .

وفىها خرج السلطانُ كَثْبُغا مِن مِصرَ قاصدًا الشَّامَ فى أواخرِ شوالِ، ولما جاءَ البريدُ بذلكَ ضَرَبَتِ البَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ، وَنَزَلُوا بِالْقَلْعَةِ؛ السلطانُ وَنائبه لاجين ووزيره ابنُ الخليلي .

وفى يومِ الأحدِ سادسَ عَشَرَ ذى القَعْدَةِ^(*) وَلى قَضَاءَ الحَنَابِلَةِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بنُ حَمزَةَ المقدسِي عَوْضًا عَنِ شَرَفِ الدِّينِ، ماتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَقِيَّةِ الحُكَّامِ وَأَربابِ الوِلايَاتِ الكِبَارِ وَأَكابِرِ الأَمْرَاءِ، وَوَلَّى نَجْمَ الدِّينِ بنُ أبى الطَّيِّبِ وَكَالَةَ بَيْتِ المَالِ عَوْضًا عَنِ ابْنِ الشُّيرازِي، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مَعَ الجُماعَةِ . وَرُسِمَ عَلَى الأَعْمَسِرِ وَجُماعَةِ مِن أَصحابِهِ وَخَلَقَ مِنَ الكَتَبَةِ وَالوِلاَةِ، وَصُودِرُوا بِمالِ كَثِيرٍ، وَاحْتِيظَ عَلَى أَمْوالِهِم وَحَواصِلِهِم، وَعَلَى بَيْتِ ابْنِ السَّلْعوسِ وَابْنِ عَدنانَ وَخَلَقَ، وَجَرَّتْ خَبْطَةُ عَظِيمَةً . وَقَدِيمَ ابْنِ الشَّيْخِ عَلِيُّ الحَريرِي؛ حَسَنٌ وَشَيْثٌ⁽¹⁾ مِن بُسْرَ لزيارةِ السلطانِ، فَحَصَلَ لهما مِنْهُ رِفْدٌ

(*) من هنا يبدأ القسم الثانى من الجزء الرابع من النسخة المصرية التى يرمز لها بـ (ص).
(1) فى الأصل: «سبت»، وفى ص: «شيب»، وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٩٩.

وإسعاف، وعادا إلى بلدهما^(١). وضيقت القلندرية^(٢) السلطان بسفح جبل المزة^(٣)، فأعطاهم نحوًا من عشرة آلاف. وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان، ولعب معه الكرة بالميدان. واشتكت الأشراف من تقييهم زين الدين ابن عدنان، فرفع صاحب يده عنهم، وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي. [١١٤/١٠] فلما كان يوم الجمعة الثامن^(٤) والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة الخطابة، وعن يمينه صاحب حماة، وتحتة بدر الدين أمير سلاح، وعن يساره أولاد الحريري حسن وأخوه، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي، وتحتة بدر الدين يتسري، وتحتة قراسنقر، وإلى جانبه الحاج بهاذر، وخلفهم أمراء كبار، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعاً سنينة، ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان، وزار السلطان المصحف العثماني، ثم أصبح يوم السبت، فلعب الكرة بالميدان على العادة.

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة غزل الأمير عز الدين الحموي عن النيابة، وعاتبه السلطان عتابًا كثيرًا على أشياء صدرت منه، ثم عفا عنه، وأمره بالمسير معه إلى مصر، واشتتاب بالشام الأمير سيف الدين غرلو^(٥) العادلي، وخلع على

(١) بعده في ص: «بحوران».

(٢) القلندرية: طائفة تنتمي إلى الصوفية، نشأت بإيران وامتد أثرها إلى الشام ومصر منذ زمن الأيوبيين، فكان أربابها من الأعاجم على أنهم لم يتقيدوا بأداب المجالسات ولم يحفلوا بالصوم والصلاة والتزوا إلا يدخروا شيئًا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا، وزعموا أنهم تقنوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى ولم يتطلعوا إلى طلب مزيد ويعتبرون طيب القلب رأس مالهم. نهاية الأرب ٣٠٨/٣١ حاشية (٣)

(٣) في ص: «قاسيون».

(٤) في الأصل، م: «الثاني». وانظر عقد الجمان ٣/٣١٠.

(٥) في نهاية الأرب ٣٠٦/٣١، وعقد الجمان ٣/٣١٠: «أغرلوا». وانظر تذكرة النبيه ١/١٨٥.

المؤلّى وعلى المعزول أيضًا، وحضر السلطان دار العدل، وحضر عنده الوزير والقضاة والأمراء، وكان عادلاً كما سُمّي .

^(١) وفيه تولّى الوزارة شهاب الدين الحنفى عوضًا عن التقيّ ابن البيح التكريتيّ، وولى تقيّ الدين بن شهاب الدين الحشبيّة عوضًا عن أبيه وخلع عليهما^(١) .

ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذى الحجة واجتاز على جوسية^(٢)، ثم أقام بالبريّة أيامًا، ثم عاد فنزل حمص، وجاء إليه ثواب البلاد. وجلس الأمير سيف الدين غرلو بدار العدل، فحكّم وعدل، وكان محمود السيرة، سديد الحكم، رحمه الله تعالى .

ومن تُوفّي فيها من الأعيان :

الشيخ زين الدين بن مُتجّا : هو الإمام العالم العلامة مُفتى المسلمين الصدر الكامل زين الدين أبو البركات^(٣) المتجّا بن الصدر عزّ الدين أبي عمرو^(٤) عثمان بن أسعد بن المتجّا بن بركات بن المؤمّل الشوخيّ، شيخ الحنابلة وعالمهم، وُلد سنة إحدى وثلاثين وستّمائة، وسمع الحديث وتفقه، فبرع في فنون كثيرة من الأصول والفروع والعربية والتفسير وغير ذلك، وانتهت إليه رئاسة

(١ - ١) سقط من : الأصل، م .

(٢) في الأصل، م : « حرستا » . وفي ص : « حرسته » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١ / ٣٠٨، المختصر في أخبار البشر ٤ / ٣٣، وعقد الجمان ٣ / ٣١٠ . وجوسية : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير . معجم البلدان ٢ / ١٥٤ .

(٣) بعده في الأصل، م : « بن » . وانظر مصادر ترجمته ؛ تذكرة النبيه ١ / ١٩٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٣٣٢، وعقد الجمان ٣ / ٣٢٣، والدليل الشافى ٢ / ٧٤٣، والدارس ٢ / ٧٣، وشذرات الذهب ٥ / ٤٣٣ .

(٤) في م، ص : « عمر » .

المذهب، وصنّف في الأصول، وشرح «المُنْعِج»، وله تعاليف في التفسير، وكان قد جُمِع له بين حُسن الشكل والسُنَمِ والديانة والعلم والوجهة وصحة الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة، ولم يزل يُواظب الجامع للاشتغال مُتَبَرِّعًا حتى تُوفِّي في يوم الخميس رابع شعبان، وتُوفِّيت معه زوجته أم محمد ستُّ البهاء بنت صدر الدين الخُجندِي، وصُلِّي عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق، وحُمِلَا جميعًا إلى سفح قاسيون شمالي الجامع المُظفرِي تحت الرّوضة، فدُفِنَا في تربة واحدة، رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى. وهو والدُ قاضي القضاة علاء الدين، وكان شيخَ المسماوية، ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين، وكان شيخَ الحنبلية، فدرّس بها بعده الشيخ تقي الدين بن تيمية، كما ذكرنا في الحوادث.

المسعودي صاحب الحمام بالمزة: هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي^(١)، أحد كبار الأمراء المشهورين بخدمة الملوك، تُوفِّي بيستانه بالمزة يوم السبت سابع عشرين من شعبان، ودُفِنَ صبح يوم الأحد بتربيته بالمزة، وحضر نائب السلطنة جنازته، وعُمِلَ عزاءُه تحت النَّسرِ بجامع دمشق، [١١٤/١٠] رحمه الله تعالى.

الشيخ الخالدي: الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي^(٢)، له زاوية خارج باب السلامة، يُفَصِّدُ فيها للزيارة، وكان مُشْتَمِلًا على عبادة وزهادة، لا يَقُومُ لأحدٍ من الناس، ولو كان مَنْ كان، وعنده سُكُونٌ ومعرفة، لا يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَّا لِلْجُمُعَةِ، حتى كانت وفاته في النصف من رمضان، ودُفِنَ بقاسيون، رحمه الله تعالى.

(١) عقد الجمال ٣/٣٣٧، والدليل الشافي ٢/٥٦٨.

(٢) عقد الجمال ٣/٣٢٣، والمنهل الصافي ٢/٣٦٧، والدليل الشافي ١/١١٨.

الشرف حسن^(١) المقدسي: هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسن بن الشيخ الإمام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي، سَمِعَ الحديثَ وتَفَقَّهَ، وبرزَ في الفروع والنحو واللغة، وفيه أدبٌ وحسنٌ مُحَاضِرَةٌ، مَلِيحُ الشكْلِ، تَوَلَّى القضاةَ بعدَ نجمِ الدينِ بنِ الشيخِ شمسِ الدينِ في أواخرِ سنةِ تِسْعٍ^(٢) وثمانين، ودرَّسَ بدارِ الحديثِ الأشرافيةِ بالسفحِ، وكانت وفاته ليلةَ الخميسِ الثاني والعشرين من شوال، وقد قاربَ الستين، ودفنَ من الغدِ بمقبرةِ جدِّه بالسفحِ، وحضرَ نائبُ السلطنةِ والقضاةُ والأعيانُ جنازتهُ، وعُمِلَ من الغدِ عزاءُه بالجامعِ المظفرِيِّ، وبأشَرِ القضاةِ بعدهُ تَقِيُّ الدينِ سليمانَ بنِ حمزة، وكذا مَشِيخَةَ دارِ الحديثِ الأشرافيةِ بالسفحِ، وقد وليها شهابُ الدينِ العابِرُ^(٣) الحنبليُّ النَّابِلُسيُّ مدةَ شهرٍ، ثم صُرِفَ عنها، واستقرَّتْ بيدِ قاضي القضاةِ تَقِيِّ الدينِ المقدسيِّ.

الشيخُ الصالحُ الإمامُ البارِعُ النَّاسِكُ أبو محمدِ بنِ أبي حمزة^(٤) المَغْرِبِيُّ المالِكِيُّ، تُوفِّيَ بالديارِ المصريةِ في ذِي القَعْدَةِ، وكان قَوَّالًا بالحقِّ، أَمَّارًا بالمعروفِ نَهَاءً عن المنكرِ، رَجَمَهُ اللهُ.

الصاحبُ مُخَيَّبِيُّ الدينِ بنِ التُّحَّاسِ، أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ بدرِ الدينِ

(١) في الأصل، م: «حسين». وانظر مصادر ترجمته: الوافي بالوفيات ٩٣/١٢، وتذكرة النبيه ١/١٨٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٣٤، وعقد الجمان ٣/٣٢٤، والدليل الشافي ١/٢٦٤، وشذرات الذهب ٥/٤٣٠، والدارس ١/٥١.

(٢) في النسخ: «سبع». والمثبت من عقد الجمان. وانظر ما تقدم في صفحة ٦٢٥.

(٣) سقط من: ص. وانظر مصدرى ترجمته؛ عقد الجمان ٣/٣٢٤ - وفيه: «جمره» - وبدائع الزهور ١/٣٩٠ (القسم الأول).

(٤) في م، ص: «الغابر». وستأتي ترجمته في صفحة ٧٠٧.

يعقوب بن إبراهيم بن ^(١) هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدئي الحلبي الحنفي، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب، واشتغل وبرع وسمع الحديث، وأقام بدمشق مدة، ودرّس بها بمدارس كبار؛ منها الظاهرية والزنجارية ^(٢)، وولى القضاء بحلب، والوزارة بدمشق، ونظر الخزانة، ونظر الدواوين والأوقاف، ولم يزل مكرّماً معظّماً معروفاً بالفضيلة والإنصاف في المناظرة، مُجيباً للحديث وأهله على طريقة السلف، وكان يُحبُّ الشيخ عبد القادر وطائفته وطريقته، وكانت وفاته بيستانه بالمزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة، وقد جاوز الثمانين، ودُفن يوم الثلاثاء مُستَهلاًّ المحرم سنة ست وتسعين بمقبرة له بالمزة، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة.

قاضي القضاة تقي الدين، أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن بنت القاضي الأعزّ أبي القاسم خلف بن بدر، العلاني الشافعي ^(٣)، تُوفّي في جمادى الأولى، ودُفن بالقرافة بتربيتهم، رحمه الله تعالى.

(١ - ١) في النسخ: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافي بالوفيات ٥/٢٢٤، وتذكرة النبيه ١/١٩٠، والجواهر المضية ٣/٤٠١، وعقد الجمان ٣/٣٢٥، والدليل الشافي ٢/٧١٢، والدارس ١/٥٢٤، وشذرات الذهب ٥/٤٣٢.

(٢) في م: «الزنجانية».

(٣) فوات الوفيات ٢/٢٧٩، والوافي بالوفيات ١٨/١٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٧٢، وتذكرة النبيه ١/١٩٢، وعقد الجمان ٣/٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٨/٨٢، وشذرات الذهب ٥/٤٣١.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كئبغا وهو في نواحي حمص يتصيد، ومعه نائب الديار المصرية حسام الدين لاجين السلخداري المنصوري، وأكابر الأمراء، ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين غرلو العادلي،^(٢) وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي فإنه تقي الدين سليمان بن حمزة، والوزير شهاب الدين الحنفلي وابنه المحتسب وخطيب البلد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي^(٣)، فلما كان يوم الأربعاء [١١٥/١٠] ثاني الحرم دخل السلطان الملك العادل كئبغا ضحى إلى دمشق من نواحي حمص، وصلى الجمعة بالمقصورة، وزار قبر هود، وصلى عنده، وأخذ من الناس قصبهم بيده، وجلس بدار العدل يوم السبت، ووقع على القصب هو ووزيره فخر الدين الخليلي.

وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين ابن محيي الدين بن النحاس في مدرستى أبيه^(٣)؛ الريحانية^(٤) والظاهرية، وحضر الناس عنده، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء، وجاء إلى صلاة الجمعة، فصلى بالمقصورة ثم صعد في

(١) نهاية الأرب ٣١١/٣١ - ٣٢٧، وكنز الدرر ٣٦٦ - ٣٦٩، وتذكرة النبيه ١٩٣/١ - ٢٠١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) في ص: «ابنه».

(٤) في الأصل: «الريحانية».

هذا اليوم إلى مغارة الدم وزارها ، ودعا^(١) هنالك ، وتصدَّق بجملةٍ من المال ، وحضر الوزيرُ فخرُ الدين بن الخليلي ليلةَ الأحدِ ثالثَ عشرِ المحرمِ إلى الجامعِ بعدَ العشاءِ ، فجلسَ عندَ شُبَّاكِ الكامليّةِ ، وقرأَ القُرْآنَ بينَ يديه ، ورسمَ بأنْ يُكَمِّلَ داخلَ الجامعِ بالفُرُشِ ، ففعلوا ذلك ، واشتَمَرَ ذلكَ نحوًا من شهرين ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفي صَبِيحَةِ هذا اليومِ درَّسَ القاضي شمسُ الدين بنُ الحريريُّ بالقيَمَازِيَةِ عوضًا عن ابنِ النَّحَّاسِ باتفاقٍ منهم ، وحضرَ عنده جماعةٌ ، ثم صَلَّى السلطانُ الجمعةَ بالمقصورةِ ، ومعه وزيرُه ابنُ الخليليِّ ، وهو ضعيفٌ من مرضٍ أصابه ، وفي سابعٍ^(٢) عشرِ المحرمِ^(٣) أمرَ للملكِ الكاملِ بنِ الملكِ السعيدِ بنِ الصالحِ إسماعيلِ بنِ العادلِ بطلبخانيةٍ ولُبْسِ الشَّرْبُوشِ ، ودخَلَ القلعةَ ، وضربتِ الكُوساتُ على بابِه ، وخرجَ السلطانُ الملكُ العادلُ كَثْبَعًا بالعساكرِ المنصورةِ من دمشقَ بُكْرَةَ يومِ الثلاثاءِ^(٤) ثَمانِي عَشْرِينَ^(٥) المحرمِ ، وخرجَ بعده الوزيرُ^(٦) ، فاجتازَ بدارِ الحديثِ ، وزارَ الأثرَ النبويَّ ، وخرجَ إليه الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارقيُّ ، وشافهه بتدريسِ الناصريةِ ، وتركَ زَيْنُ الدينِ تَدْرِيسَ الشاميةِ البرّانيةِ ، فولّياها القاضي كمالُ الدين بنُ الشَّرِيشيِّ ، وذُكِرَ أنَ الوزيرَ أعطى الشيخَ^(٧) زَيْنَ الدينِ^(٨) شيئًا من حُطامِ الدنيا فقبله ، وكذلك أعطى خادِمَ الأثرِ^(٩) وهو المَعِينُ^(١٠) حَطَّابًا . وخرجَ الأعيانُ والقضاةُ مع الوزيرِ لتؤديعه . ووقعَ في هذا اليومِ مطرٌ جيّدٌ استَشَفَى الناسُ به ،

(١) في الأصل : « عاد » .

(٢ - ٣) في ص : « عاشر » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) في الأصل : « عشر » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦ - ٦) في ص : « والعين » .

وغسل آثارَ العساكرِ مِنَ الأوساخِ وغيرِها ، وعاد التَّقِي تَوْبَةً مِنْ تَوْدِيحِ الوَازِرِ ، وقد فَوَّضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الخِزَانَةِ ، وعزَلَ عنها شِهَابَ الدِّينِ بَنَ النَّحَّاسِ ، ودرَسَ الشَّيْخُ زَيْنُ^(١) الدِّينِ بِالنَّاصِرِيَةِ الجَوَانِيَةِ عَوْضًا عَنِ القَاضِي بَدْرِ الدِّينِ بِنِ جَمَاعَةٍ فِي يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ آخِرِ يَوْمٍ مِنَ المَحْرَمِ .

وفى هذا اليومِ تَحَدَّثَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِوُقُوعِ تَخْبِيِطِ بَيْنِ العَسْكَرِ وَخُلْفِ وَتَشْوِيْشِ ، فَعُلِقَ بَابُ القَلْعَةِ الَّذِي يَلِي المَدِينَةَ ، ودَخَلَ الصَّاحِبُ شِهَابُ الدِّينِ إِلَيْهَا مِنْ بَابِ الخَوْخَةِ ، وَتَهَيَّأَ النَّائِبُ والأَمْرَاءُ ، وَرَكِبَ طَائِفَةٌ مِنَ الجَيْشِ عَلَى بَابِ النَصْرِ وَقُوفًا هُنَاكَ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ العَصْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ المَلِكُ العَادِلُ كَتِّبَعًا إِلَى القَلْعَةِ فِي خَمْسَةِ أَثْنَيْسٍ أَوْ سِتَّةٍ مِنْ مَمَالِيكِهِ ، فَدَخَلَ القَلْعَةَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ الأَمْرَاءُ ، وَأَحْضَرَ ابْنَ جَمَاعَةَ وَحَسَامَ الدِّينِ الحَنْفِيَّ ، وَتَجَدَّدَ تَحْلِيْفُ الأَمْرَاءِ ثَانِيَةً فَحَلَفُوا لَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ بِالِاخْتِيَاظِ عَلَى نُوَابِ الأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ لِاجِبِينَ وَحَوَاصِلِهِ ، وَأَقَامَ العَادِلُ بِالقَلْعَةِ هَذِهِ الأَيَّامَ ، وَكَانَ الخُلْفُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُمْ بِوَادِي فَحْمَةَ^(٢) يَوْمَ الأَثْنَيْنِ الثَّامِنِ^(٣) وَالعَشْرِينَ مِنَ المَحْرَمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ لِاجِبِينَ كَانَ قَدْ واطَأَ جَمَاعَةً مِنَ الأَمْرَاءِ فِي البَاطِنِ عَلَى العَادِلِ ، وَتَوَثَّقَ مِنْهُمْ ، وَأشارَ عَلَى العَادِلِ حِينَ [١١٥/١٠ ظ] خَرَجُوا مِنْ دَمَشَقَ أَنْ يَشْتَصِحِبَ مَعَهُ الخِزَانَةَ ؛ وَذَلِكَ لِئَلَّا يَتَّقَى بِدَمَشَقَ شَيْءٌ مِنَ المَالِ يَتَّقَوِي بِهِ العَادِلُ إِنْ فَاتَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى دَمَشَقَ ، وَيَكُونُ قُوَّةً لَهُ هُوَ فِي الطَّرِيقِ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ العَدْرِ ، فَلَمَّا كَانُوا

(١) فِي الأَصْلِ ، م : « نَاصِر » . وَانظُرِ الدَّارِسَ ٤٦١/١ .

(٢) فَحْمَةٌ : مَرَكزٌ مِنْ مَرَاكزِ البَرِيدِ بَيْنَ قَاقُونَ وَجَبِينِ . انظُرِ صَبِيحَ الأَعْمَشِيِّ ٣٧٩/١٤ .

(٣) فِي م : « التَّاسِع » . وَانظُرِ النُّجُومَ الزَّاهِرَةَ ٦٣/٨ .

بالمكان المذكور قتل لاجينُ الأمير سيف الدين بتخاص وبكثوت الأزرق العادليين، وأخذ الخزانة من بين يديه والعسكر، وقصد الديار المصرية، فلما سمع العادلُ بذلك خرج من الدهليز، وساق جريدةً إلى دمشق، فدخلها كما ذكرنا، وتراجع بعضُ مماليكه كزَيْن الدين غلبك وغيره، ولزم شهاب الدين الحنفى القلعة لتديير المملكة، ودرَس كمالُ الدين بنُ الشَّرِيشيَّ بالشامية البرانية بُكرة يوم الخميس مُسْتَهْلُ صفر، وتقلَّبت أمورٌ كثيرةٌ في هذه الأيام، ولزم السلطانُ القلعة لا يَخْرُجُ منها، وأطلق كثيرًا من المُكوس، وكتب بذلك تَوَاقِيعَ، وقُرئت على الناس، وغلا السعرُ جدًّا، فبلغت الغرارةُ مائتين، واشتدَّ الحالُ وتفاقم الأمرُ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سَلْطَنَةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ السَّلْخَدَارِ^(١)

وذلك أنه لما اشتاق الخزانة، وذهب بالجيوش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة، وقد اتفق معه جمهورُ الأمراء الكبار، وبايعوه وملكوه عليهم، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر، ودقت بمصر البشائر، وزُيِّنَت البلدُ، وحُطِبَ له على المنابر وبالقدس والخليل، ولُقِّبَ بالملك المنصور، وكذلك بالكرك ونابلُس وصَفَدَ، وذهبت إليه طائفةٌ من أمراء دمشق، وقدمت الجريدة^(٢) من جهة الرّحبة ضُحبة الأمير سيف الدين كُجُكُن، فلم يدخلوا البلد بل نزلوا

(١) نهاية الأرب ٣١/٣١٣ - ٣١٦، والسلوك ١/٨٢٠ - ٨٢٧ (القسم الثالث)، وتذكرة النبيه ١/١٩٤، وعقد الجمان ٣/٣٤٥.

(٢) في الأصل، م: «التجريدة».

بَيْدَانِ الْحَصِيِّ^(١)، وَأَظْهَرُوا^(٢) مُخَالَفَةَ الْعَادِلِ وَطَاعَةَ^(٣) الْمَنْصُورِ لِأَجِينِ بِمَصْرَ،
 وَرَكِبَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ طَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَفَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَضَعُفَ أَمْرُ الْعَادِلِ جَدًّا.
 فَلَمَّا رَأَى انْجِلَالَ أَمْرِهِ قَالَ لِلْأُمَرَاءِ: هُوَ حُشْدَاشِي، وَأَنَا وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا لَهُ
 سَامِعٌ مُطِيعٌ، وَأَنَا أَجْلِسُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْقَلْعَةِ أَرَادَ، حَتَّى تُكَاتِبُوهُ وَتَنْظُرُوا مَا
 يَقُولُ. وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْمَكَاتِبَاتِ بِأَمْرِ الْإِخْتِيَاظِ عَلَى الْقَلْعَةِ وَعَلَى الْمَلِكِ
 الْعَادِلِ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي هَرْجٍ وَأَقْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَبْوَابُ الْقَلْعَةِ مُغْلَقَةٌ، وَأَبْوَابُ
 الْمَدِينَةِ سِوَى بَابِ النَّصْرِ إِلَّا الْخَوْخَةَ، وَالْعَامَّةُ حَوْلَ الْقَلْعَةِ قَدْ أزدَحَمُوا حَتَّى
 سَقَطَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي الْخَنْدَقِ، فَمَاتَ بَعْضُهُمْ، وَأَمْسَى النَّاسُ عَشِيَّةَ السَّبْتِ
 وَقَدْ أُعْلِنَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لِأَجِينِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ،
 وَدَعَا لَهُ الْمُؤَدُّونَ فِي سَحْرِ لَيْلَةِ الْأَحَدِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَتَلَّوْا قَوْلَهُ تَعَالَى:
 ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ
 وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَحَدِ، فَاجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ، وَفِيهِمْ غَرَلُو الْعَادِلِي
 بَدَارِ السَّعَادَةِ، فَحَلَفُوا لِلْمَنْصُورِ لِأَجِينِ، وَتَوَدَّى بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ، وَأَنْ يَفْتَحَ النَّاسُ
 دَكَائِنَهُمْ، وَاحْتَفَى الصَّاحِبُ شَهَابُ الدِّينِ وَأَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ الْمُحْتَسِبُ، فَعَمِلَ
 الْوَالِي ابْنُ النَّشَائِي^(٣) حِسْبَةَ الْبَلَدِ، ثُمَّ ظَهَرَ زَيْنُ الدِّينِ، فَبَاسَرَهَا عَلَى عَادَتِهِ.
 وَكَذَلِكَ ظَهَرَ أَخُوهُ شَهَابُ الدِّينِ، وَسَافَرَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ غَرَلُو وَسَيْفُ الدِّينِ
 جَاغَانَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يُعْلِمَانِ السُّلْطَانَ بِوُقُوعِ التَّخْلِيفِ عَلَى مَا رَسَمَ بِهِ،

(١) فِي م، ص: «الحصن».

(٢) فِي ص: «مملكة».

(٣) فِي عَقْدِ الْجَمَانَ: «الشهابي».

وجاء كتابُ السلطانِ أنه جلسَ على الشَّريْرِ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ، وشقَّ القاهرةَ في سادسَ عشره في أُبْهةِ المُلكِ وعليه الخِلعَةُ الخِليفِيَّةُ، [١١٦/١٠] والأمرُاءُ بينَ يديه مُشاةً، وأنه قد استناب بالديارِ المصريَّةِ الأُميرِ شمس^(١) الدينِ قراسنقَرُ المنصوريِّ، وخطبَ للمنصورِ لاجين بدمشقَ أولَ يومٍ من ربيعِ الأولِ، وحضَرَ المَقصورةَ القضاةِ وشمسُ الدينِ الأعسرُ وكُجُكن، وأسندَمُر^(٢) وجماعةٌ من أمرائِ دمشقَ، وتوجَّهَ القاضي إمامُ الدينِ القزوينيُّ وحسامُ الدينِ الحنفِيُّ وجمالُ الدينِ المالكيُّ إلى الديارِ المصريَّةِ مَطْلوبيين، وقدمَ الأُميرُ حُسامُ الدينِ أستاذدارِ السلطانِ، وسيفُ الدينِ جاغان من جهةِ السلطانِ، فحلفَ الأمرُاءُ ثانيةً، ودخلوا على العادلِ إلى القلعةِ، ومعهم القاضي بدرُ الدينِ ابنُ جماعةٍ وكُجُكن، فحلفوه أيمانًا مُؤكَّدةً بعدَ ما طال بينهم الكلامُ بالثُرْكِيِّ، وذكرَ في حليفه أنه راضٍ بما يُعِينُه له من البُلدانِ أيِّ بلدٍ كان، فوقَّعَ التَّعْيِينُ بعدَ اليمينِ على قلعةِ صَرْحَدَ، وجاءتِ المراسيمُ بالوزارةِ لتَقِيَّ الدينِ تَوْبةً، وعزَّلِ شهابِ الدينِ الحنفِيُّ، وبالْحِشْبَةِ لأمينِ الدينِ يوسُفَ الأزْمَنِيَّ الرومِيَّ صاحبِ شمسِ الدينِ الأيْكِيَّ، عوضًا عن زينِ الدينِ الحنفِيِّ،^(٣) أخِي شهابِ الدينِ الذي كان وزيرًا^(٤) ودخلَ الأُميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَقِ المنصوريِّ على نياحةِ الشامِ إلى دمشقَ بُكرةَ السبتِ السادسَ عشرَ من ربيعِ الأولِ^(٤)، ونزلَ دارَ السَّعادةِ عوضًا عن غرلو العادلِيَّ، وقد خرجَ الجيشُ بكَمالِهِ لتلقِّيه، وحضَرَ يومَ الجمعةِ إلى المقصورةِ، فصلَّى بها، وقُرئَ بعدَ الجمعةِ

(١) في الأصل، م: «سيف».

(٢) في م، ص: «استدمر»، وفي عقد الجمان: «أزدمر»، وانظر النجوم الزاهرة ٦٢/٨.

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤) في ص: «الآخر».

كتاب السلطان بإبطال الضمانات من الأوقاف والأموال بغير رضا أصحابها ،
 قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، وتودى في البلد :
 من له مظلمة فليأت يوم الثلاثاء إلى دار العدل . وخلع على الأمراء والمقدمين
 وأرباب المناصب من القضاة والكتبة وغيرهم ، وخلع على ابن جماعة خلعتين ؛
 واحدة للقضاء والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بتولية القاضي إمام
 الدين القزويني قضاء القضاة بالشام عوضا عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن
 جماعة على الخطابة ، وأضيف إليه تدريس القيمرية التي كانت بيد إمام الدين ،
 وجاء كتاب السلطان بذلك ، وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيصرية يوم
 الخميس ثاني رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم
 الأربعاء الثامن من رجب ، فجلس بالعدلية ، وحكم بين الخصوم وامتنده
 الشعراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم ^(١) يقول في أولها :

تبدلت الأيام من عشرها يسرا فأضحى ثغور الشام تفتت بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ، ومعه القاضي جمال الدين الزاوي
 قاضي قضاة المالكية وعليه خلعة أيضا ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ،
 وذكر من أحسن أخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل ، ودرس بالعدلية بكرة
 الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد الدرس بتولية أخيه جلال الدين نيابة

(١) يعنى كمال الدين بن الزمكاني . انظر نهاية الأرب ٣١/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

الحكم، وجلس في الإيوان^(١) الصغير وحكم، وألبسه أخوه خلعة وجاء الناس يُهنئونه، وقُرئ تَقْلِيدُهُ يومَ الجمعةِ بالشُّبَّاكِ الكَمَالِيِّ بعدَ الصلاةِ بحضرةِ نائبِ السلطنةِ وبقيةِ القضاةِ، قرأه شرفُ الدينِ الفَزَارِيُّ .

وفي شعبانَ وصلَ الخبرُ بأنَ شمسَ الدينِ الأَعَسَرَ تَوَلَّى بالديارِ المصريةِ شدَّ الدواوينِ والوزارةَ، وباشَرَ المُصَيِّبِينَ جميعًا، وباشَرَ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بدمشقَ فخرُ الدينِ بنِ الشُّيْرَجِيِّ عوضًا عنِ^(٢) نجم^(٣) الدينِ بنِ صَصْرِي، ثم غَزَلَ بعدَ قليلٍ بشهرٍ أو أقلَّ بأَمِينِ الدينِ^(٤) بنِ هلالٍ، وأُعِيدَتِ الشَّامِيَةُ البِرَّانِيَّةُ إلى الشَّيْخِ زَيْنِ الدينِ الفَارِقِيِّ معِ الناصريةِ بسببِ غَيْبَةِ كَمَالِ الدينِ بنِ الشَّرِيشِيِّ بالقاهرةِ [١٠١٦/١٠١٦] ^(٤) ودرَّسَ فيها في شهرِ رمضانَ يومَ اثنينَ بعدَ العَصْرِ^(٤) .

وفي الرابعِ عَشَرَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ مُسِكَ الأَمِيرُ شمسُ الدينِ قَرَأَتُورَ المنصوريَّ نائبَ الديارِ المصريةِ للاجِبِينَ هو وجماعةٌ مِنَ الأَمْرَاءِ معه، واختِيطَ على حواصِلِهِم وأموالِهِم بِمِصْرَ والشَّامِ، ووَلَّى السُّلْطَانُ نِيَابَةَ مِصْرَ الأَمِيرَ سَيْفَ الدينِ مَنكُوتَمَرِ الحُسَامِيِّ، وهؤلاءِ الأَمْرَاءُ الَّذِينَ مَسَكَهُم هُم الَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَعَانُوهُ وَبَايَعُوهُ عَلَى العَادِلِ كَتَبْنَا، وَقَدِمَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدينِ بنِ الشَّرِيشِيِّ مِنَ الدِيَارِ المِصْرِيَّةِ وَمَعَهُ تَوْقِيعٌ بِتَدْرِيسِ الناصريةِ عوضًا عنِ الشَّامِيَةِ البِرَّانِيَّةِ^(٤) ودرَّسَ فيها يومَ السَّبْتِ يومَ عَرَفَةَ^(٤)، وَأَمْسِكَ الأَمِيرُ شمسُ الدينِ سُنُقُرَ الأَعَسَرَ وَزَيْرُ مِصْرَ وشَادُ الدَّوَاوِينِ يومَ السَّبْتِ الثَّالِثِ والعشرينَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، واختِيطَ على أَمْوَالِهِ وَحواصِلِهِ بِمِصْرَ والشَّامِ أَيْضًا، وَنُوْدِيَ بِمِصْرَ فِي ذِي الحِجَّةِ أَنْ لَا يَزُكَبَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الذُّمَّةِ فَرَسًا

(١) في م: «الديوان» .

(٢ - ٣) في ص: «أمين الدين» .

(٣) في الأصل، م: «زين»، وفي ص: «أمين». والمثبت من النجوم الزاهرة ١٢٣/٨، والدارس ١/٣٦٥.

(٤ - ٤) زيادة من: ص.

ولا بغلاً، ومَنْ وُجِدَ منهم رَاكِبًا ذَلِكُ أُخِذَ مِنْهُ .

وفِيهَا مَلِكُ الْيَمَنِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ هِزْبُزُ الدِّينِ دَاوُدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ
الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ فِي التِّي قَبْلَهَا .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

قَاضِي قِضَاةِ الْخَنَابِلَةِ بِمِصْرَ عَزُّ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ «عَمْرَ بْنِ»^(١)
عَوَظِ الْمَقْدِسِيِّ الْخَنْبَلِيِّ^(٢) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ ، وَحَكَّمَ بِالْبَدْيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ مَشْكُورًا فِي سِيرَتِهِ وَحُكْمِهِ ، تُوفِّيَ فِي صَفْرِ ، وَدُفِنَ بِالْمَقْطَمِ ،
وَتَوَلَّى بَعْدَهُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ
الْحَرَّانِيِّ بِبَدْيَارِ مِصْرَ .

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ ، عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ مَزْرُوعِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَزَّازِ الْمِصْرِيِّ الْخَنْبَلِيِّ^(٣) ، تُوفِّيَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي
أَوَاخِرِ صَفْرِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَسَمِعَ^(٤) الْكَثِيرَ ، وَجَاوَرَ
بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَحَجَّ فِيهَا أَرْبَعِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَةً ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ
صَلَاةَ الْغَائِبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

الشَّيْخُ شَيْثُ^(٥) بْنُ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْحَرِيرِيِّ ، تُوفِّيَ بِقَرْيَةِ بُسْرَ مِنْ حَوْرَانَ يَوْمَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) ذيل طبقات الخنابلة ٢/٣٣٥ ، والسلوك ١/٨٣٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/٣٦٩ ،
والدليل الشافى ١/٤٩٨ ، والنجوم الزاهرة ٨/١١١ .

(٣) تذكرة النبيه ١/١٩٨ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٢/٣٣٤ ، والسلوك ١/٨٣١ (القسم الثالث) ،
وعقد الجمان ٣/٣٧٣ ، وشذرات الذهب ٥/٤٣٥ .

(٤) فى ص : « صنف » ، وبعده فى م : « الحديث » .

(٥) فى الأصل : « سبت » ، وفى ص : « شنبث » . ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر، وتوجه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكبر فيه .

الشيخ الصالح المقرئ جمال الدين عبد الواحد بن كثير بن^(١) ضرغام الميصرى، ثم الدمشقى، نقيب الشئب الكبير والغزالية، كان قد قرأ على السخاوى وسمع الحديث، توفى فى أواخر رجب وصلى عليه بالجامع الأموى، ودفن بالقرب من قببة الشيخ رسلان .

واقف السامريّة الصدر الكبير سيف الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري^(٢)، واقف السامريّة التى إلى جانب الكروسيية بدمشق، وكانت داره التى يسكن بها، ودفن بها، ووقفها دار حديث وخطابه، وكان قد انتقل إلى دمشق، وأقام بها بهذه الدار مدة، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام، بناها من حجارة منحوتة كلها، وكان السامري كثير الأموال، حسن الأخلاق، معظماً عند الدولة، جميل المعاشرة، له أشعار راقية ومبتكرات فائقة، توفى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان^(٣). وقد كان يبغداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمى، وامتدح المشتغصم، وخلع عليه خلعاً سوداء سنية، ثم قدم دمشق فى أيام الناصر صاحب حلب، فحظى عنده أيضاً، فسعى فيه أهل الدولة، فصنّف فيهم أجزوة فتح عليهم بسببها باباً فصادرهم الملك بعشرين ألف دينار، فعظّموه جداً، وتوسّلوا به [١١٧/١٠] إلى أغراضهم، وله قصيدة فى مدح النبي ﷺ، وقد كتب عنه الحافظ الدمياطى شيئاً من شعره .

(١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : عقد الجمان ٣/٣٦٩ .

(٢) نهاية الأرب ٣١/٣٢٧، والوفى بالوفيات ٨/٦٦، وفوات الوفيات ١/١٣٤، وتذكرة النبيه ١/١٩٩، وعقد الجمان ٣/٣٧٠، والمنهل الصافى ٢/١٤٨ .

(٣) بعده فى ص : « بداره وصلى عليه بالجامع الأموى ثم أعيد إلى داره فدفن بها رحمه تعالى » .

واقف النقيسية التي بالرصيف : الرئيس نقيس الدين أبو الفداء إسماعيل
ابن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة^(١) بن علي بن صدقة
الحراني، كان أحد^(٢) عدول القسمة^(٣) بدمشق، وولى نظراً الأيتام في وقت،
وكان ذا ثروة من المال، وُلد سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمع الحديث،
ووقف داره دار حديث، تُؤفى يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذى القعدة،
ودُفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ما ضلّى عليه بالأموى.

الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاروت^(٤) الدمشقي، يُلقب بنجم الدين،
ترجمه الحريري فاطن، وذكر له كرامات وأشياء من علم الحروف وغيرها.
والله أعلم بحاله.

وفيها^(٥) قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه، كان نوروز
هذا هو الذي استسلمه، ودعاه للإسلام، فأسلم وأسلم معه أكثر التتر، فإن التتر
شوشوا خاطر قازان عليه، واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع
من يُنسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان، وكان ذا عبادة
وصديق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته، وقصده الجيد، رحمه الله وعفا عنه،
ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، واتخذوا الشبخ
والهياكل، وحضروا الجمع والجماعات، وقرءوا القرآن. والله أعلم.

(١) في م: «سلام»، وفي ص: «سلامش». وانظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١٢/٩، وعقد
الجمان ٣/٣٧٢، والمنهل الصافي ٤٢٨/٢، والدارس ١١٤/١، وشذرات الذهب ٤٣٥/٥.

(٢ - ٢) في الأصل، م: «شهود القيمة».

(٣) في الأصل، م: «الساوب»، وفي ص: «الساوت». والمثبت من مصدر ترجمته: عقد الجمان ٣/٣٨٠.

(٤) انظر السلوك ١/٨٣٧، ٨٧٤ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧١/٨.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَتَسْعِينَ وَسِتْمِائَةً^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَسَامُ الدِّينِ لِأَجِينُ السَّلْحَدَارِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَنَائِبُهُ بِمِصْرَ مِنْكَوْتَمُرُ ، وَبِدِمَشْقَ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ^(٢) ، وَقَاضِي الشَّافِعِيَّةِ إِمَامُ الدِّينِ الْفَزَّوِينِيُّ ، وَقَاضِي الْحَنْفِيَّةِ حَسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ ، ثُمَّ وَلِيَ ابْنُهُ جَلَالُ الدِّينِ مَكَانَهُ بِدِمَشْقَ فِي عَاشِرِ صَفْرِ ، وَرَكِبَ بِالْخَلْعَةِ وَالطَّرْحَةِ ، وَهَنَأَهُ النَّاسُ ، وَكُتِبَ فِي الْإِسْجَالِ قَاضِي الْقَضَاةِ . وَقَاضِي الْمَالِكِيَّةِ جَمَالُ الدِّينِ الزَّوَاوِيُّ ، وَقَاضِي الْحَنَابِلَةِ تَقِيُّ الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ حَمْرَةَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي عَمْرٍ ، وَخَطِيبُ الْبَلَدِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ ، وَطُلبَ قَاضِي الْقَضَاةِ حَسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ إِلَى الْبَلَدِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَأَقَامَ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِأَجِينِ ، وَوَلَّاهُ قَضَاةَ الْقَضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ بِمِصْرَ عَوْضًا عَنِ شَمْسِ الدِّينِ^(٣) السَّرْجُوجِيِّ ، وَاسْتَقَرَّ وَلَدُهُ جَلَالُ الدِّينِ بِالْقَضَاةِ فِي الشَّامِ بِدِمَشْقَ قَاضِي قَضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَدَرَّسَ بِمِصْرَ فِي أَبِيهِ الْخَاتُونِيَّةِ وَالْمُقَدَّمِيَّةِ ، وَتَرَكَ مَدْرَسَةَ الْقَضَاةِ وَالشُّبْلِيَّةِ .

وَجَاءَ الْخَبِيرُ عَلَى يَدِي الْبَرِيدِ بِعَافِيَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَ وَقَعَهَا ، فَدَقَّتْ الْبَشَائِرُ وَرُيِّنَتْ الْبَلَدُ ، فَإِنَّهُ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ ، فَكَانَ كَمَا

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٢٩ - ٣٥٠ ، وكنز الدرر ٨/٣٦٩ - ٣٧٢ ، وتذكرة النبيه ١/٢٠٢ - ٢١١ ، وانظر عقد الجمان ٣/٣٨٣ - ٤٢٠ .

(٢) في ص : « قفجاق » .

(٣) بعده في ص : « بن » .

قال الشاعر^(١) :

حَوَيْتَ بَطْشًا وَإِحْسَانًا وَمَعْرِفَةً وَلَيْسَ يَحْمِلُ هَذَا كُلَّهُ الْفَرَسُ
وَجَاءَ التَّقْلِيدُ وَالخِلْعَةُ لِنَائِبِ السُّلْطَنَةِ ، فَقَرِئَ التَّقْلِيدُ ، وَبِاسِ الْعَتَبَةِ ، وَكَانَ
يَوْمًا مَشْهُودًا .

وفى ربيع الأول^(٢) دَرَسَ بِالْجُوزِيَةِ عَزُّ الدِّينِ بِنُ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ
سَلِيمَانَ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ إِمَامُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ وَأَخُوهُ جَلَالُ الدِّينِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ
الْقُضَلَاءِ ، وَبَعْدَ التَّدْرِيسِ جَلَسَ وَحَكَمَ عَنْ أَبِيهِ بِإِذْنِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ .

وفى ربيع الأول^(٣) غَضِبَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ بِنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ ،
وَتَرَكَ الْحَكْمَ بِمَصْرَ أَيَّامًا ، ثُمَّ اسْتَرْضَى وَعَادَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْتَتِيبَ وَلَدَهُ
الْحَبِيبَ .

وفى يومِ الْجُمُعَةِ عَاشِرِ رَيْبِ الْآخِرِ^(٤) أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُعْظَمِيَّةِ ،
وَخَطَبَ فِيهَا مَدْرَسُهَا الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بِنُ الْعَزِّ الْحَنْفِيُّ . وَاسْتَهْرَ فِي هَذَا الْحِينِ
الْقَبْضُ عَلَى بَدْرِ الدِّينِ يَتْسَرِي بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ بِدِيَارِ
مَصْرَ^(٥) . وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِجَزِيْدَةٍ صُحْبَةً عَلَّمَ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ إِلَى تَلِّ حَمْدُونَ ،
فَقُتِحَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنَّهُ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ بِذَلِكَ إِلَى دَمَشَقَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ

(١) كنز الدرر ٨ / ٣٧١ .

(٢) انظر الدارس ٢ / ٣٧ .

(٣) السلوك ١ / ٨٤٨ ، ٨٤٩ (القسم الثالث) ، وعقدالجمان ٣ / ٣٨٤ - ٣٨٦ .

(٤) نهاية الأرب ٣١ / ٣٣٦ ، والسلوك ١ / ٨٣٦ (القسم الثالث) ، والدارس ١ / ٥٨٦ .

(٥) بعده فى ص : « والشام » .

رمضان [١٧/١٠١٧ظ]، وُضِرِبَتْ^(١) به الخَلِيلِيَّةُ، وأُذِّنَ بها الظهْرُ، وكان أخذها يومَ الأربَعاءِ سابعَ رمضانَ، ثم فُتِحَتْ مَرَعَشُ بعدها، فدَقَّتِ البِشائِرُ، ثم انتَقَلَ الجَيْشُ إلى قلعةِ حَمُوصَ^(٢)، فأُصِيبَ جماعةٌ مِنَ الجَيْشِ، منهم الأَمِيرُ عَلَمُ الدينِ سَنَجَرُ طُقُصُبا، أصابه زَيَاؤٌ^(٣) في فِخِذِهِ، وأصاب الأَمِيرَ عَلَمُ الدينِ الدَّوادارِيُّ حَجَرَ في رِجْلِهِ.

ولما كان يومُ الجمعةِ سابعَ^(٤) عَشَرَ شوالِ عَمِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ مِيعادًا في الجهادِ، وحرَّضَ فيه، بِالغِ في أجورِ^(٥) المَجاهِدِينَ، وكان وقتًا مشهودًا ومِيعادًا جَلِيلًا.

وفي هذا الشهرِ^(٦) عاد الملكُ المَسعودُ نَجْمُ الدينِ خَضِرُ بنُ الظاهرِ، مِن بلادِ الأَشْكَرِيِّ إلى ديارِ مِصرَ بعدَ أن مكَّثَ هناكَ مِن زَمَنِ الأَشْرَفِ بنِ المنصورِ، وتلقاهُ السلطانُ بالموكبِ، وأكْرَمَهُ وعَظَّمَهُ، وحجَّ الأَمِيرُ خَضِرُ بنُ الظاهرِ في هذه السنةِ مع المِصرِيِّينَ، وكان فيهم الخليفةُ الحاكِمُ بأمرِ اللّهِ العباسيِّ.

وفي شهرِ شوالِ جَلَسَ المُدْرَسُونَ بالمدرسةِ التي أنشأها نائِبُ السُلْطَنَةِ بِمِصرَ، وهي المَنكُوتُمريَّةُ داخلَ بابِ القَنْطَرَةِ.

(١) في م: «خربت».

(٢) في دول الإسلام: «حميص». وانظر نهاية الأرب ٣١/٣٤٠، والسلوك ١/٨٤٠ (القسم الثالث).

(٣) الزيارة أو الزيارة: جمعه زيارات، آلة حرية كالفوس الذي يرمى به البندق. السلوك ١/٥٣٦ (القسم الثاني) حاشية (٢) نقلا عن معجم DOZY. وانظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة في مراجع العصر المالكي الملحق بكتاب العصر المالكي في مصر والشام.

(٤) في الأصل، ص: «ثامن». وانظر الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) في ص: «إمداد».

(٦) نهاية الأرب ٣١/٣٢٩، وكنز الدرر ٨/٣٧١، والسلوك ١/٨٣١ (القسم الثالث).

وفيهما^(١) دَقَّت البَشَائِرُ لِأَجْلِ أَخَذِ قَلْعَتَيْ حُمَيْصَ وَنُجَيْمَةَ مِنْ بِلَادِ سَيْسَ .
 وفيها وَصَلَتِ الجَرِيدَةُ^(٢) مِنْ بِلَادِ مِصْرَ قاصِدِينَ بِلَادَ سَيْسَ مَدَدًا
 لِأَصْحَابِهِمْ ، وَهَم نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثَةِ آلاَفِ مُقَاتِلٍ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .
 وَفِي مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ^(٣) أَمْسِكَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْحَمَوِيُّ الَّذِي كَانَ
 نَائِبَ الشَّامِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ .
 وَفِيهَا قَلَّتِ الْمِيَاهُ بِدَمَشَقَ جَدًّا حَتَّى بَقِيَ ثَوْرًا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ لَا يَصِلُ إِلَى رُكْبَةِ
 الْإِنْسَانِ ، وَأَمَّا بَرْدَى فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ مُشْكَةٌ مَاءٍ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى جَسْرِ جَسْرَيْنَ^(٤) ،
 وَغَلَا سَعْرُ الثَّلْجِ بِالْبَلَدِ ، وَأَمَّا نَيْلُ مِصْرَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الزِّيَادَةِ وَالكَثْرَةِ .
 وَمَنْ تُوُفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الشيخ حسن بن الشيخ علي الحريري^(٥) ، تُوُفِيَ فِي ربيعِ الْآخِرِ^(٦) بقرية
 بُشَرَ^(٧) ، وَكَانَ أَكْبَرَ الطَّائِفَةِ ، وَلِلنَّاسِ إِلَيْهِ مِثْلُ الْحُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَجَوْدَةِ مُعَاشَرَتِهِ ،
 وَوُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ .

الصدر الكبير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن
 أبي الزهر الشوخي ، المعروف بابن السلعوس^(٨) ، أخو الوزير شمس الدين ، قرأ

(١) دول الإسلام ٢٠٠ / ٢ .
 (٢) في الأصل ، ص : « التجريدة » ، وانظر نهاية الأرب ٣١ / ٣٢٧ ، وكنز الدرر ٨ / ٣٦٩ ، ودول
 الإسلام ٢٠٠ / ٢ .
 (٣) دول الإسلام ٢٠٠ / ٢ .
 (٤) جسرين : قرية من قرى غوطة دمشق . معجم البلدان ٢ / ٨٢ .
 (٥) الوافي بالوفيات ١٢ / ١٦٢ ، وتذكرة النبيه ١ / ٢٠٧ ، وعقد الجمان ٣ / ٢١٥ ، والنجوم الزاهرة ٨ / ١١٣ .
 (٦) في الأصل ، م : « الأول » .
 (٧) بسر : قري من أعمال حوران من أراضي دمشق . معجم البلدان ١ / ٦٢١ .
 (٨) الوافي بالوفيات ٧ / ١٧٩ ، والمنهل الصافي ١ / ٣٨٧ ، والدليل الشافي ١ / ٥٩ ، والدرر الكامنة ١ / ٢١٢ .

الحديث، وسمع الكثير، وكان من خيار عباد الله، كثير الصدقة والبر، تُوفّي بداره في جمادى الأولى، وصُلّي عليه بالجامع، ودُفن بباب الصغير، وعُمِل عزّاه بمسجد ابن هشام، وقد ولى في وقت نظّر الجامع، وشُكرت سيرته، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة^(١) أيام وزارة أخيه، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى تُوفّي، رحمه الله تعالى، وشهد جنازته خلق كثير من الناس.

الشيخ شمس الدين الأيكي: محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي^(٢)، المعروف بالأيكي، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات، المفسرين^(٣) المغضلات، لاسيما في علم الأصول^(٤) والمنطق وعلم الأوائل، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر، وأقام مدرّس الغزالية قبل ذلك^(٥)، تُوفّي بقرية المزّة يوم جمعة، ودُفن يوم السبت^(٦) بعدما صُلّي عليه بجامع المزّة، ومشى الناس في جنازته، منهم قاضي القضاة إمام الدين القزويني، [١١٨/١٠] وذلك في الرابع من رمضان، ودُفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شملة، وعُمِل عزّاه بخانقاه السمساطية، وحضر جنازته خلق كثير، وكان مُعظّمًا في نفوس كثير من العلماء وغيرهم.

الصدر ابن عُقبة: إبراهيم بن أحمد بن عُقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي

(١ - ١) زيادة من: م، ص.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١١٤/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٥٨/١، وتذكرة النبيه ١/

٢٠٩، والسلوك ٨٥١/١ (القسم الثالث)، وحسن المحاضرة ٥٤٣/١، وشذرات الذهب ٤٣٩/٥.

(٣) في ص: «وميسرين»، وفي م: «الميسرين».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) بعده في ص: «وبعده».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

الحنفي^(١)، دَرَسَ وأعاد، وولى في وقتِ قَضَاءِ حلب، ثم سافرَ قَبْلَ وفاته إلى مصرَ، فجاءَ بِتَوْقِيعِ فِيهِ قَضَاءِ حلب، فلما اجتازَ بدمشقَ تُوِّفِيَ بها في رمضانَ من هذه السنة، وله سبعٌ وثمانون سنةً.

« يَثِيبُ المَرْءُ وَيَثِيبُ مَعَهُ خَصَلَتَانِ ؛ الحِرْصُ ، وَطُولُ الأَمَلِ »^(٢).

الشَّهَابُ العَابِرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُتَعَمِّمِ بْنِ نِعْمَةَ المَقْدَسِيِّ الحنبليِّ^(٣)، الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ عَابِرُ الرُّؤْيَا، سَمِعَ الكَثِيرَ، وَرَوَى الحَدِيثَ، وَكَانَ عَجَبًا فِي تَفْسِيرِ المَنَامَاتِ، وَهُوَ فِيهِ اليَدُ الطُّوَلَى، وَهُوَ تَصْنِيفٌ فِيهِ، لَيْسَ كَالَّذِي يُؤَثَّرُ عَنْهُ مِنَ الفَرَائِبِ وَالعَجَائِبِ، وَوُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَتُوِّفِيَ فِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَاقِلَةً، رَحِمَهُ اللهُ.

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣١١/٥، والجواهر المضية ٦٧/١، وتذكرة النبيه
٢٠٥/١، وعقد الجمان ٤١٥/٣، والمنهل الصافي ٣١/١، وشذرات الذهب ٤٣٨/٥.
(٢) ورد بلفظ «يهرم ابن آدم...» في صحيح مسلم (١٠٤٧)، والترمذي (٢٣٣٩)، وابن ماجه
(٤٢٣٤) كلهم من حديث أنس، وانظر كشف كشف الحفا (٣٢٥٤).
(٣) الوافي بالوفيات ٤٨/٧، وتذكرة النبيه ٢١٠/١، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٣٦/٢، والسلوك
٨٥٠/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٤١٦/٣، وشذرات الذهب ٤٣٧/٥.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة^(١)

^(٢) استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد المنصور لاجين، ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي^(٣) محسام الدين الرازي، والمالكي والحنبلي كما تقدم، ونائب الشام^(٤) سيف الدين قبيجق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة^(٥).

ولما كان في أثناء الحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه ضجة نائب السلطنة قبيجق إلى هناك، ونصب مشايخ لمن تأخر بعذر أو غيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبيجق^(٤)، وضعبته الجيوش، وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة وتجميل هائل، فدعت له العامة، وكانوا ينجونه، واشتمر الجيش سائر قاصدين بلاد سبب، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبيجق وجماعة من الأمراء معه أن السلطان متقلب خاطر عليهم بسبب سعي منكوتمر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبيبه

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٥١ - ٣٨١، وكنز الدرر ٨/٣٠٠ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/٢١٢ - ٢١٩ وانظر العبر ٥/٣٨٦.

(٢) - (٢) سقط من: الأصل.

(٣) - (٣) سقط من: ص.

(٤) في ص: « قبيجق ».

له ، فاتَّفَقَ جَماعَةٌ مِنْهُم على الدخولِ إلى بلادِ التَّنَّارِ والنَّجاةِ بأنفسِهِم ، فساقوا مِنْ حمصَ فِيمَنْ أَطاعَهُم ، وَهُم قَبَّحُوا وَبزَلُوا ^(١) وَبكَتَمُوا السَّلْخَدَارُ الْبَكِّي ^(٢) ، وَاسْتَمَرُّوا ذاهِبِينَ ، فرجعَ كَثِيرٌ مِنَ الجَيْشِ إلى دَمَشقَ ، وَتَحَبَّطَتِ الأُمُورُ ، وَتَأَسَّفتِ العِوامُ على قَبَّحِ لِحسَنِ سِيرتِهِ فِيهِم ، وَذلكَ في رِيعِ الأَخِرِ مِنْ هذِهِ السَّنَةِ ، فَإِنا لِلَّهِ وَإِنا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ المَنْصُورِ لِلاجِينِ وَعَوْدِهِ

المُلْكِ إلى الناصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلاؤُونَ

لَمَّا كانَ يَوْمُ السَّبْتِ التَّاسِعِ عَشَرَ رِيعِ الأَخِرِ وَصَلَ جَماعَةٌ مِنَ البَرِيدِيَّةِ ، وَأخْبَرُوا بِمَقْتَلِ السُلطانِ المَلِكِ المَنْصُورِ لِلاجِينِ وَنائبِهِ سِيفِ الدِّينِ مَنكُوتَمَرٍ ، وَأَنَّ ذلكَ كانَ ليلَةَ الجُمُعَةِ حادِي عَشَرَ ، على يَدِ الأَميرِ سِيفِ الدِّينِ كُوجِي الأَشرفِيِّ وَمَنْ وافقَهُ ، وَذلكَ بِحُضُورِ القاضِي حُسامِ الدِّينِ الحَنفِيِّ وَهُوَ جالِسٌ في خَدَمَتِهِ يَتَحَدَّثانِ ، وَقيلَ : كانا يَلْعَبانِ بِالسُّطْرُنْجِ . فلمَ يَشْعُرَا إِلا وَقَدْ دَخَلَ عليهما ، فبادَروا إلى السُلطانِ [١١٨ / ١٠] بِسُرْعَةٍ جَهْرَةً ليلَةَ الجُمُعَةِ ، فَقتَلُوهُ وَقُتِلَ نائِبُهُ صَبْرًا صَبِيحَةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، وَأُلْقِيَ على مَرَبَلَةٍ ، وَأَتَّفَقَ الأَمراءُ على إِعادَةِ ابنِ أُسْتادِهِم المَلِكِ الناصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلاؤُونَ ، فَأرْسَلُوا وِراءَهُ ، وَكانَ بِالكَرْكِ ، وَنادَوْا لَهُ بِالقاهِرَةِ ، وَخُطِبَ لَهُ على المَنابِرِ قَبْلَ قُدُومِهِ ، وَجاءتِ الكُتُبُ إلى نائِبِ الشَّامِ سِيفِ الدِّينِ قَبَّحُ ، فوجدوه قَدْ فَرَّ خَوْفًا مِنْ غائِلَةِ لِلاجِينِ ، فَسارتِ البَرِيدِيَّةُ

(١) في ص : « برلاز » .

(٢) في الأصل ، ص : « الأيكى » ، وفي م : « الأيلي » . والمثبت من مصادر ترجمته : الوافي بالوفيات

٣٥٢ / ٩ ، والمقفى الكبير ٢ / ٢٧٥ ، والمنهل الصافي ٣ / ٣٧ ، والنجوم الزاهرة ٨ / ٢٠٤ .

وراءه ، فلم يُذركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين ، من أعمال ماريدين ،
وتفازط الحال ، ولا قوة إلا بالله .

وكان الذي شمر العزم وراءهم ، وساق ليزدهم الأمير سيف الدين بلبان ،
وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أزجواش والأمير سيف الدين جاغان ،
واختلطوا على كل من كان له اختصاص بتلك الدولة ، فكان منهم جمال الدين
يوسف الرومي مختسب البلد وناظر المارشتان ، ثم أُطلق بعد مدة ، وأعيد إلى
وظائفه ، واختيط أيضًا على سيف الدين جاغان وحسام الدين لاجين والى البر ،
وأذخلا القلعة ، وقُتل بمصر الأميران ^(١) سيف الدين طغجي - وكان قد ناب عن
الناصر أربعة أيام - وكزجي الذي تولى قتل لاجين ، فقتلا وألقيا على المزابل ، وجعل
الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طغجي ، وكان جميل الصورة جدًا ، ^(٢) ثم
بعد الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور ^(٣) ، فدفن السلطان لاجين ، وعند رجله
نائبه ومملوكه سيف الدين منكوتمر ، ودفن الباقون في مضاجعهم هنالك .

وجاءت البشائر بدخول الملك السلطان الناصر إلى مصر يوم السبت رابع
جمادى الأولى ، وكان يومًا مشهودًا ، وضربت البشائر ، ودخل القضاة وأكابر
الدولة إلى القلعة ، وبُوع بحضرة علم الدين أزجواش ، وخطب له على المنابر
بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء ، ثم جاء الخبر بأنه قد
ركب وشق القاهرة ، وعليه خلعة الخليفة ، والجيش معه مُشاة ^(٤) بين يديه ، وكان
يومًا مشهودًا ^(٥) ، وضربت البشائر أيضًا . وجاءت مراسيمه ، فقررت على الشدة ،

(١) فى م ، ص : « الأمير » .

(٢ - ٢) هذا كلام مأخوذ من قول الشاعر عدى بن زيد العبادى :

ثم بعد الفلاح والملك والإمته وارتهم هناك القبور

والفلاح : البقاء . والإمته : النعمة . أمالى ابن الشجرى ١٣٧/١ ، ١٥٥ .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

وفيهما الرِّفْقُ بالرَّعايا والأَمْرُ بالإحسانِ إليهم ، فدَعَوْا له ، وقَدِمَ الأَمِيرُ جمالُ الدينِ أقوش الأفرَمُ نائِبًا على دمشق ، فدخَلها يومَ الأربِعاءِ قَبْلَ العَصْرِ ثانی عَشْرین من جُمادى الأولى ، فنزَلَ بدارِ السَّعادةِ على العادةِ ، وفرِحَ الناسُ بِقُدومِهِ ، وأشَعَلُوا له الشُّمُوعَ ، وكذلك يومَ الجمعةِ أشَعَلُوا له لما جاء إلى صلاةِ الجمعةِ بالمقصورةِ ، وبعدَ أيامٍ أُفْرِجَ عن جاغان ولاجین والى البرِّ مِنَ القلعةِ ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واستَقَرَّ الأَمِيرُ حُسامُ الدينِ الأستادارُ أتابِكًا للعساكرِ المِصریةِ ، والأَمِيرُ سيفُ الدينِ سَلارُ نائِبًا بمِصرَ ، وأُخْرِجَ الأَعسَرُ فى رمضانَ مِنَ الحَبْسِ ، وولى الوِزارَةَ بمِصرَ ، وأُخْرِجَ قَراسِثُ المِصنُورِى مِنَ الحَبْسِ أيضًا ، وأُعْطِيَ نِيابَةَ الصُّبَیئِیةِ ، ثم لما مات صاحبُ حِماةِ الملكِ المظفَّرُ نُقِلَ قَراسِثُ إليها .

وكان قد وَقَعَ فى أواخرِ دولةِ لاجین بعدَ خُروجِ قَبجَقِ مِنَ البَلدِ مِحنةً للشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَیْمِیةَ ؛ قامَ عليه جماعةٌ مِنَ الفُقهاءِ ، وأرادوا إخضارَه إلى مجلسِ القاضى جلالِ الدينِ الحنفِیِّ ، فلم یَحضُرْ ، فتودى فى البَلدِ فى العقیدةِ التى كان قد سألَ عنها [۱۱۹/۱۰] أهلُ حِماةِ المُسَمَّاةِ « بالحمویةِ » ، فانتَصَرَ له الأَمیرُ سيفُ الدينِ جاغان ، وأرسلَ یَطْلُبُ الذينَ قاموا علیه ^(۱) ، فاختَفَى كثيرٌ منهم ، وضُربَ جماعةٌ مِّنْ نادى على العقیدةِ ، فسكتَ الباقون ، فلما كان يومُ الجمعةِ عَمِلَ الشیخُ تَقىِّ الدينِ الميعادَ بالجامعِ على عادِیتهِ ، وفسَّرَ فى قولهِ تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ۴] ، ثم اجتمعَ بالقاضى إمامُ الدينِ ^(۲) القَزوينِى صَبیحَةَ^(۳) يومِ السبتِ ، واجتمعَ عندهِ جماعةٌ مِنَ الفُضلاءِ ، وبحثوا فى « الحمویةِ » وناقشوه

(۱) فى م : « عنده » .

(۲ - ۲) زیادة من : ص .

فى أماكن منها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلامٍ كثيرٍ، ثم قام الشيخ تقي الدين، وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضى إمام الدين معتقده حسنٌ ومقصدُه صالحٌ.

وفىها وقفَ علّمُ الدين سنجر الدوّادار رواقه داخلَ بابِ الفرجِ مدرسةً ودارَ حديثٍ، وولّى مشيخته الشيخَ علاءَ الدين بنَ العطارِ، وحضّرَ عنده القضاةُ والأعيانُ، وعملَ لهم ضيافةً، ^(١) وأفرجَ عن قراسنقرٍ.

وفى يومِ السبتِ حادى عشرَ شوالٍ فُتِحَ مشهدُ عثمانَ الذى جدّده ناصرُ الدين بنُ عبدِ السلامِ ناظرُ الجامعِ، وأضافَ إليه مقصورةَ الخدّامِ من شماليّه، وجعلَ له إمامًا راتبًا، وحاكى به مشهدَ على بنِ الحسينِ زينِ العابدينِ.

وفى العشرِ الأوّلِ من ذى الحِجّةِ عاد القاضى حسامُ الدين الرازى الحنفى ^(٢) إلى قضاءِ الشامِ، وعزّلَ عن قضاءِ مصرَ، وعزّلَ ولدهُ عن قضاءِ الشامِ. وكثرت الأراجيفُ فى ذى الحِجّةِ بقصدِ التتارِ بلادَ الشامِ، وباللّه المُستعانُ.

ومن توفى فيها من الأعيانِ :

الشيخُ نظامُ الدين أحمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ محمودِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ السلامِ الحصريّ ^(٣) الحنفى، مدرّسُ الثوريةِ، توفى ثامنَ المحرمِ، ودُفِنَ فى تاسعِهِ يومَ الجمعةِ فى مقابرِ الصوفيةِ، كان مُفتيًا فاضلاً، ناب فى الحكمِ فى وقتٍ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل، م .

(٣) فى النسخ : « الحصرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٣٨٧/٥، والوافى بالوفيات ١٦٥/٨، والجواهر المضية ٣٢٥/١، وعقد الجمان ٤٧٣/٣، والمنهل الصافى ٢١٠/٢، وشذرات الذهب ٤٤١/٥.

ودرّس بالتّوريّة بعدَ أبيه، ودرّس بعده بها الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصّدرِ
سليمانَ^(١) في يومِ الأربعاءِ رابعِ عشرِ المحرمِ .

ابنُ التّقيِّبِ المفسّرُ، الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ جمالُ الدينِ^(٢) أبو عبدِ
الله^(٣) محمّدُ بنُ سليمانَ بنِ الحسينِ بنِ الحسينِ البلّخيّ، ثم المقدسيّ الحنفيّ،
وُلِدَ في النّصفِ مِن شعبانَ سنةَ إحدى عشرةَ وسّمائةٍ بالقدسِ، واشتغل
بالقاهرة، وأقام مدةً بالجامعِ الأزهرِ، ودرّس في بعضِ المدارسِ هناك، ثم انتقل
إلى القدسِ، فاستوطنه إلى أن مات في المحرمِ منها، وكان شيخًا فاضلاً في
التّفسيرِ، وله فيه مُصنّفٌ حافلٌ كبيرٌ، جمّع فيه خمسينَ مُصنّفًا من التّفاسيرِ، وكان
الناسُ يقدّسونَ زيارتهِ بالقدسِ الشريفِ، ويَتَبَرَّكونَ به .

الشيخُ أبو يعقوبَ المَغْرِبِيُّ المقيمُ بالقدسِ^(٤)، كان الناسُ يَجْتَمِعُونَ به وهو
مُنْقَطِعٌ بالمسجدِ الأقصى، وكان الشيخُ تقيّ الدينِ ابنُ تيميةَ يقولُ فيه : هو على
طريقةِ ابنِ عَرَبِيٍّ وابنِ سَبْعِينِ . تُوفِّيَ في المحرمِ مِن هذه السنةِ .

التّقيُّ تَوْبَةُ الوَزيْرُ^(٥)،^(٦) الصّاحبُ الكبيرُ الصّدرُ الوَزيْرُ^(٧) تقيّ الدينِ تَوْبَةُ بنُ
عليّ بنِ مُهاجِرِ بنِ شُجاعِ بنِ تَوْبَةَ الرّبِعيّ التّكرِيتيِّ، وُلِدَ سنةَ عشرينَ وسّمائةٍ يومَ

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢ - ٢) في الأصل، م : « عبد الله بن » . وانظر ترجمته في : العبر ٣٨٩ / ٥، والوافي بالوفيات ١٣٦ / ٣،
والجواهر المضية ١٦٥ / ٣، وتذكرة النبيه ٢١٥ / ١، والسلوك ٨٨١ / ١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان
٤٧٤ / ٣، وطبقات المفسرين للداودي ١٤٤ / ٢، وشذرات الذهب ٤٤٢ / ٥ .

(٣) عقد الجمان ٤٧٤ / ٣ .

(٤) نهاية الأرب ٣١ / ٣٨٠، والعبر ٥ / ٣٨٧، والوافي بالوفيات ١٠ / ٤٣٨، وتذكرة النبيه ١ / ٢١٧، والمقفي
الكبير ٢ / ٦٢٢، والسلوك ١ / ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣ / ٤٧٥، والمنهل الصافي ٤ / ١٧٩ .

عَرَفَةً بِعَرَفَةٍ، وَتَنْتَقِلُ فِي الْخَدَمِ إِلَى أَنْ صَارَ وَزِيرًا بِدِمَشْقَ مَرَاتٍ عَدِيدَةً، حَتَّى تُؤْفَى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ غُدُوَّةً بِالْجَامِعِ وَسُوقِ الْخَيْلِ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَّتِهِ نُجَاهَ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ بِالسَّفْحِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ الْقَضَاءُ وَالْأَعْيَانُ، رَجِمَهُ اللَّهُ، وَبَاشَرَ بَعْدَهُ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ فَخَرُّ الدِّينِ بْنِ الشَّيْزَجِيِّ، [١٠٩/١١٩] وَأَخَذَ أَمِينُ الدِّينِ بْنِ الْهَلَالِ نَظَرَ الْخِزَانَةِ.

الأمير الكبير شمس الدين ينسرى^(١)، كان من أكابر الأمراء المقدمين في خدمة الملوك من زمن قلاوون وهلم جرا، تُوفِّي في السجن بقلعة مصر^(٢)، وعُمِلَ له عزاء بالجامع الأموي، وحضره نائب السلطنة الأفرم والقضاة والأعيان.

السلطان الملك المظفر تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب^(٣)، صاحب حماة، وابن ملوكها كابرا عن كابر، تُوفِّي يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة، ودُفِنَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. الملك الأوحّد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم^(٤)، ناظر القدس الشريف، تُوفِّيَ بِهِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ^(٥) الرَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ^(٥) وَدُفِنَ بِرِبَاطِهِ عِنْدَ

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٧٧، والعبر ٥/٣٨٧، والوفى بالوفيات ١٠/٣٦٤، وتذكرة النبيه ١/٢١٤، والمقفى الكبير ٢/٥٧٦، والسلوك ١/٨٨٠ (القسم الثالث)، والمنهل الصافي ٣/٥٠٠.
(٢) فى ص: «القاهرة».

(٣) نهاية الأرب ٣١/٣٧٩، والعبر ٥/٣٨٩، وتذكرة النبيه ١/٢١٤، والسلوك ١/٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٧٥، وشذرات الذهب ٥/٤٤٢.

(٤) نهاية الأرب ٣١/٣٧٩، والعبر ٥/٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/٢١٨، والسلوك ١/٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٨٣، والأنس الجليل ٢/٢٧١، وشذرات الذهب ٥/٤٤٣.
(٥ - ٥) فى الأصل، م: «رابع ذى القعدة».

باب حِطَّة^(١) عن سبعين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، وكان من خيار أبناء الملوك دينًا وفضيلة وإحسانًا إلى الضعفاء، رحمه الله.

القاضي شهاب الدين يوسف بن^(٢) (الصاحب مَحْيِي^(٣) الدين بن التَّحَاسِ، أحد رؤساء الحنَفِيَّة، ومُدْرَس الرِّيحَانِيَّة^(٤) والظَاهِرِيَّة،^(٥) وقد ولي نظر الخزانة ونظر الجامع في وقت، وكان صدرًا كبيرًا كافيًا^(٦)، تُوفِّي بِبِشْتَانِه بِالْمِزَّةِ ثَلَاثَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، ودرَّس بعده بالرِّيحَانِيَّة^(٧) القاضي جلال الدين بن حُسام الدين.

الصدر الكبير الرئيس صاحب أمين^(٨) الدين أبو الغنائم، سالم بن محمد ابن سالم^(٩) بن الحسن^(١٠) بن هبة الله بن محفوظ بن صضرى الثغليي، كان أسن^(١١) من أخيه القاضي نجم الدين بن صضرى، وقد سَمِعَ الحديثَ وأسمعه، وكان صدرًا مُعَظَّمًا، ولي نظر الدَّوَاوِينِ ونظر الخزانة، ثم ترك المناصب ورحل وجاور بمكة، ثم قَدِمَ دمشقَ، فأقام بها دونَ السنة ومات، تُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِمْ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَعُمِّلَ عَزَاؤُهُ بِالصَّاحِبِيَّةِ.

-
- (١) في ص: «خطه». وانظر مسالك الأبصار ١/١١٦، والأنس الجليل ٢/٢٧١.
(٢ - ٣) في م: «الصالح محب» وانظر ترجمته في الجواهر المضية ٣/٦٣٩، والسلوك ١/٨٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٧٤، والدليل الشافي ٢/٨٠٦.
(٣) في الأصل، م: «الزنجامية». وانظر الدارس ١/٥٢٥.
(٤ - ٥) زيادة من: ص.
(٥) في الأصل: «نصير»، وفي م: «نصر». وانظر مصادر ترجمته: الوافي بالوفيات ١٥/٩٠، وعقد الجمان ٣/٤٧٦، والمنهل الصافي ٥/٣٨٠، والسلوك ١/٨٨٢ (القسم الثالث).
(٦ - ٧) سقط من: الأصل، م.
(٧) في الأصل، م: «أحسن»، وبعده في م: «حالاً».

ياقوت بن عبد الله ، أبو الدرّ المستعصمي الكاتب^(١) ، لقبه جمال الدين ،
وأصله رومي ، كان فاضلاً ، مليح الخطّ ، مشهوراً بذلك ، كتب ختماً حسناً ،
وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله شعر رائق ، فمنه ما
أوردّه البرزالي في « تاريخه » عنه :

تجدد الشمس شوقي كلما طلعت
وأشهر الليل في أنس بلا ونس
وكل يوم مضى لا أراك به
ليلي نهار إذا ما درت في خلدي
إلى محياك يا سمعي ويا بصري
إذ طيب ذكراك في ظلماته يشرى
فلسن محتسباً ماضيه من عمري
لأن ذكرك نور القلب والبصر

(١) العبر ٣٩٠/٥ ، وتذكرة النبيه ٢١٩/١ ، وعقد الجمان ٤٧٩/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٨٧/٨ ،
وشذرات الذهب ٤٤٣/٥ .

ثم دَخَلت سنة تسع وتسعين وستمائة^(١)

وفيهما كانت وَقْعَةُ قازان ، وذلك أن هذه السنة اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الشاميةِ والمصريةِ وما يَتَّبِعُها من الممالكِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون ، ونائبُ مصرَ سَلَّار ، وبالشامِ جمالُ الدينِ آقوش الأفرمُ ، والقضاةُ بالديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ هم المذْكَورون في التي قبلها ، وقد تَوَاتَرَت الأخبارُ بقصدِ التَّترِ إلى بلادِ الشامِ ، وقد خاف الناسُ من ذلك خوفاً شديداً ، وجفَل الناسُ من بلادِ حَلَبَ وحمَاةَ ، وبلغ كِراءُ الجمليِّ من حمَاةَ إلى دمشقَ نحوَ المائتَيْ درهمٍ ، فلما كان يومُ الثلاثاءِ ثانيَ المحرمِ ضَرَبَت البَشائِرُ بسببِ خُروجِ السلطانِ مِنَ الديارِ المصريةِ قاصداً الشامَ ، فلما كان يومُ الجمعةِ ثامنَ ربيعِ الأولِ دَخَلَ السلطانُ [١٠ / ١٢٠١] إلى دمشقَ ، وقد أقامَ بَغزَّةً قَرِيباً من شهرينَ ، وذلك لما بَلَغَهُ قُدومُ التَّترِ إلى الشامِ ، تَهَيَّأ لذلك ، وجاء فدخَلَ دمشقَ في اليومِ الذي ذكرنا في مطرٍ شديدٍ ووحلٍ كثيرٍ ، ومع هذا خَرَجَ الناسُ لتلقِيهِ والدعاءِ له ، فنزَلَ بالطارمةِ ، ورُيِّنَت له البلدُ ، وكثُرَت له الأذعيةُ ، وكان وقتاً شديداً ، وحالاً صعباً ، وامتلأَ البلدُ مِنَ الجافلينَ النازحينَ عن بلادِهِم ، وجلسَ الأعمسُ وزيرُ الدولةِ ، وطالبَ العُمالَ ، واقترَضوا أموالَ الأيتامِ وأموالَ الأسرى لأجلِ تقويةِ الجيشِ ، وخرَجَ السلطانُ بالجيشِ مِنْ دمشقَ يومَ الأحدِ سابعَ عَشَرَ ربيعِ الأولِ ، ولم يَتَخَلَّفَ أحدٌ مِنَ الجيوشِ ، وخرَجَ معهم خلقٌ كثيرٌ مِنَ المُطَوَّعةِ ، وأخذَ الناسُ في الدعاءِ والقنوتِ في الصلواتِ بالجامعِ وغيرِهِ ، وتضرَّعوا واستغاثوا وابتَهَلوا إلى اللَّهِ بالأذعيةِ .

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٨٣ - ٤٠٨ ، وكنز الدرر ٩/١٣ - ٤٠ ، وتذكرة النبيه ١/٢٢٠ - ٢٢٤ ،
وعقد الجمال ٤/٧ - ٨٧ .

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية، التقى التتار هنالك يوم الأربعاء السابع^(١) والعشرين من ربيع الأول، فالتقوا معهم، فكسروا المسلمين، وولى السلطان هاربا، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وقُتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير، وقُتد في المعركة قاضي الحنفية^(٢) حسام الرازي^(٣)، وقد صبروا، وأبلوا بلاء حسنا، ولكن كان أمر الله قَدرا مقدورا، فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها إلى الديار المصرية، واجتاز كثير منهم على دمشق، وأهلها في خوف شديد على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم^(٤)، ثم إنهم اشتكوا واشتسلموا للقضاء والقدر، وماذا يُجدي الحذر إذا نزل القدر، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك^(٥)، وأبواب دمشق مغلقة، والقلعة مُحصنة، والغلاء شديد، والحال ضيق، وفرج الله قريب، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى الديار المصرية، كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية^(٦) جمال الدين الزواوي، وتاج الدين بن^(٧) الشيرازي، وعلم الدين الصوابي والي البر، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة، والمحاسب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغرا ليس فيه

(١) في نهاية الأرب ٣١/٣٨٤: «الثامن».

(٢ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٣) بعده في ص: «فما شاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن».

(٤) بعده في الأصل، م: «والبقاع».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م وفي ص: «جمال الدين بن» والمثبت من نهاية الأرب ٣١/٣٨٧.

(٦) سقط من: الأصل، م.

حاكم ولا زاجز ولا رادغ سوى نائب القلعة^(١) علم الدين أرجواش، وهو مشغول عن البلد بالقلعة^(٢).

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الآخر^(٣) كسر المحبسون بحبس باب الصغير باب السجّين وخرجوا منه قريباً من مائتي رجل، فنهّبوا ما قدرُوا عليه، وجاءوا إلى باب الجابية، فكسروا أقفال الباب^(٤) الجوانبي وأخذوا من الباشورة ما شاءوا، ثم كسروا أقفال الباب^(٥) البراني، وخرجوا منه على حمية، فتفرّقوا حيث شاءوا لا يقدر أحد على ردهم ولا صدّهم، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين، وقلعوا من الأبواب والشبابيك وغير ذلك شيئاً كثيراً، وباعوه بأرخص الأثمان.

هذا وسلطان التار قد قصّد دمشق بعد الوقعة، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين ابن تيمية في مشهد علي، واتّفقوا [١٢٠/١٠] على المسير إلى قازان لتلقيه، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجّهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند النبك^(٦)، وكلمه الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلاماً قوياً شديداً، فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين، ولله الحمد. ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان، فنزلوا الباذرائية، وغلقت أبواب البلد سوى باب ثوما، وخطب الخطيب يوم الجمعة بالجامع، ولم يذكّر سلطاناً في خطبته، وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل، فنزلوا ببستان الظاهر عند

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) في الأصل، م: «الأول».

(٣) النبك: قرية بذات الذخائر بين حمص ودمشق. معجم البلدان ٧٣٩/٤.

الطرن . وحضر الفَرَمَانُ بالأمانِ ، وطيف به في البلدِ ، وقُرئَ يومَ السبتِ ثامن الشهرِ بمقصورةِ الخطابةِ ، ونُثرَ شيءٌ من الذهبِ والفضةِ . وفي «اليومِ الثالثِ»^(١) من المُناداةِ بالأمانِ طُلبتِ الخيولُ والسُّلُوحُ والأموالُ المُخبَّأةُ عندَ الناسِ من جهةِ الدولةِ ، وجلسَ ديوانُ الاستِخْلاصِ إذ ذاكَ بالمدرسةِ القَيْمُريةِ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، وفي يومِ الاثنينِ عاشرَ الشهرِ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَقُ المنصوريُّ ، فنزلَ بالمَيْدانِ ، واقتَرَبَ جيشُ التتارِ ، وكثُرَ العَيْثُ في ظاهرِ البلدِ ، وقُتِلَ جماعةٌ ، وغَلَّتِ الأسعارُ بالبلدِ جدًّا ، وضاقَ الحالُ عليهم ، وأرسلَ قَبْجَقُ إلى نائبِ القلعةِ لِيَسْلَمَها إلى التتارِ ، فامْتَنَعَ أَرْجُوشُ من ذلكَ أشدَّ الامْتِناعِ ، فجمَعَ له قَبْجَقُ أعيانَ البلدِ ، فكَلَّموه أيضًا ، فلم يُجِبْهم إلى ذلكَ ، وصمَّ على تَرْكِ تَسْلِيمِها إليهم وفيها عَيْنٌ تَطْرِفُ ، فإن الشيخَ تَقَى الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ أَرْسَلَ إلى نائبِ القلعةِ يَقولُ له ذلكَ ،^(٢) «فأشَدَّ عَزْمُه على ذلكَ ، وقال له : لو لم يَبْتَقِ فيها إلا حجرٌ واحدٌ ، فلا تُسَلِّمُهم ذلكَ إن اشتَطَعْتَ . وكان في ذلكَ مَصْلَحَةٌ عظيمةٌ لأهلِ الشامِ ، فإن اللهَ تعالى حَفِظَ لهم هذا الحصنَ والمَعْقَلَ الذي جعله اللهُ جِزًّا لأهلِ الشامِ التي لا تَزَالُ دارَ أمانٍ وسُنَّةٍ ، حتى يَنْزِلَ بها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ .

وفي يومِ دُخولِ قَبْجَقِ إلى دمشقَ دَخَلَ السلطانُ ونائبُه سَلارٌ إلى مصرَ كما جاءتِ البطائقُ بذلكَ إلى القلعةِ ، ودَقَّتْ بها البشائرُ ، فقوى جأشُ الناسِ بعضَ الشيءِ ، ولكن الأمرُ كما يقالُ :

(١ - ١) في الأصل ، م : «ثاني يوم» .

(٢ - ٢) سقط من : م .

كيف السبيلُ إلى سُعادَ ودونَها قُلِّلَ الجبالِ ودونَهن حُتوفُ
الرَّجُلُ حافيةٌ وما لى مَرَكَبُ والكفُّ صِفْرُ والطريقُ مَحُوفُ

وفي يومِ الجمعةِ رابعَ عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ حُطِبَ لقازانَ على مِنبرِ دمشقَ
بِحُضورِ المَغُولِ بالمَقْصُورةِ ، ودُعِيَ له على السُّدَّةِ بعدَ الصَّلَاةِ ، وقُرئَ عليها مَرَسُومٌ
بنيابةِ قَبْجَقِ على الشَّامِ ، وذهبَ إليه الأَغْنيانُ فهَنَّتوه بذلك ، فأظْهَرَ الكرامةَ ، وأنه
في تعبٍ عظيمٍ مع التَّارِ ،^(١) ثم شرَعَ في طَلَبِ الخيولِ التي عندَ الناسِ والأموالِ
لأجلِ النَّفَقَةِ على التَّارِ^(٢) ، ونزَلَ شيخُ المَشايخِ نظامُ الدِّينِ محمودُ بنُ عليٍّ
الشُّيبانِيُّ بالمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ .

وفي يومِ السَّبْتِ النصفِ مِن ربيعِ الآخِرِ شرَعَتِ التَّارُ وصاحبُ سببِ في
نَهْبِ الصَّالِحِيَّةِ^(٣) فوجدوا فيها شيئًا كثيرًا مِنَ الغَلَّاتِ ، وقَلَعوا الأبوابَ والشبائِكَ
وخزَّبوا أماكنَ كثيرةً ؛ كالرباطِ الناصِرِيِّ وغيره مِنَ الأماكنِ الحسنةِ ، والمارِستانِ
بالصَّالِحِيَّةِ^(٤) ومسجدِ الأَسَدِيَّةِ ومسجدِ خاتونِ ودارِ الحديثِ الأشرَفِيَّةِ بها ، واخترَقَ
جامعُ^(٥) التَّوبَةِ بالعَقِيَّةِ^(٦) ، وكان [١٠ / ٢١١ و] هذا من جهةِ الكُوجِ^(٧) والأزْمَنِ مِنَ
النصارى الذين هم مع التَّارِ ، قَبَّحهم اللهُ تعالى^(٨) ، وسبَّوا مِنَ أهلِها خلقًا كثيرًا
وجمًّا غَفِيرًا ، ولجأَ أكثرُ الناسِ إلى رِباطِ الحنابِلَةِ ، فاختاطَ به التَّارُ ، فحماه منهم
شيخُ الشيوخِ المذكورُ ، وأعطى في الساكنِ مالًا له صورةً ، ثم قَحَموا عليه ، فسبَّوا
منه خلقًا كثيرًا مِنَ بناتِ المَشايخِ وأولادِهِم ، فإنَّا لِلَّهِ وإنا إليه راجِعون .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في ص : «العقبة» . وانظر الدارس ٤٢٦/٢ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

« ولما نُكِبَ دَيْرُ الحَنَابِلَةِ فى ثانى جُمادى الأولى قتلوا خلقًا من الرجالِ ، وسَبَّوْا من النساءِ كثيرًا ، ونال قاضى القضاة تقيّ الدين منهم أذى كثيرًا ، يُقالُ : إنهم قتلوا من أهلِ الصالحية قريتا من أربعمائة ، وأسروا نحوًا من أربعة آلاف أسير ، ونُهبت كتب كثيرة من الرباطِ الناصريِّ والضَّيائية ، وخزانة ابن البزورى ، فكانت تُباعُ وهى مكتوبٌ عليها الوَقْفِيَّةُ^(١) ، وفعلوا بالمزّة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريًا وغيرها ، وتحصّن الناس منهم فى الجامعِ بداريًا ، ففتحوه قسرا ، وقتلوا منهم خلقًا ، وسَبَّوْا نساءهم وأولادهم ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون^(٢) .

وخرج الشيخ تقيّ الدين ابنُ تَيْمِيَّةَ فى جماعةٍ من أصحابه يومَ الخميسِ العشرين من ربيعِ الآخِرِ إلى ملكِ التتارِ ، وعاد بعدَ يومين ، ولم يتفقِ اجتماعه بقازانَ ، حجبه عنه الوزيرُ سعدُ الدين والرَّشيدُ مُشيرُ^(٣) الدولةِ المُسلِمانيِّ بنُ يهُودى ، والتزّما له بقضاءِ الشغلِ ، وذكّرا له أن التتارَ لم يَحْصُلْ لكثيرٍ منهم شىءٌ إلى الآن ، ولا بدّ لهم من شىءٍ .

واشتهر بالبلدِ أن التتارَ يُريدون دُخولَ دمشقَ ، فانزعج الناسُ لذلك ، وخافوا خوفًا شديدًا ، وأرادوا الخوجَ منها والهربَ ، وأين ؟ ولات حينَ مناصٍ ! وقد أُخذ من البلدِ فوقَ العشرةِ آلافِ فت أموالٌ كثيرةٌ على البلدِ مُوزَّعةٌ على أهلِ الأسواقِ ، كلُّ سوقٍ بحسبه من المالِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى ص : « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

(٣) فى ص : « سيد » .

بِاللَّهِ . وَشَرَعَ التَّزُّ فِي عَمَلِ مَجَانِقَ بِالْجَامِعِ لِيَزْمُوا بِهَا الْقَلْعَةَ مِنَ الصَّخْنِ ،
وَعُلِّقَتْ أَبْوَابُهُ ، وَنَزَلَ التَّزُّ فِي مَشَاهِدِهِ يَخْرُسُونَ أَحْشَابَ الْمَجَانِقِ ، وَيَنْهَبُونَ مَا
حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْوَاقِ ، وَأَحْرَقَ أَرْجَواشَ مَا حَوْلَ الْقَلْعَةِ مِنَ الْأُبْنِيَةِ ؛ كَدَارِ الْحَدِيثِ
الْأَشْرَفِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، إِلَى حَدِّ الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ وَدَارِ السَّعَادَةِ ؛ لِثَلَا يَتَمَكَّنُوا مِنْ
مُحَاصِرَةِ الْقَلْعَةِ مِنْ أَعَالِيهَا ، وَلَزِمَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ لِثَلَا يُسَخَّرُوا فِي طَمِّ الْخَنْدِقِ ،
وَكَانَتِ الطَّرَقَاتُ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَالْجَامِعُ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا
الْيَسِيرُ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَتَّكَمَلُ فِيهِ الصَّفُّ الْأَوَّلُ وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا بِجَهْدٍ جَهِيدٍ ،
وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي ضَرُورَتِهِ يَخْرُجُ «بِثِيَابِ زِيهِمْ»^(١) ، ثُمَّ يَعُودُ سَرِيعًا ،
وَيَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَهْلُ الْبَلَدِ قَدْ أَذَاقَهُمُ اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَالْمُصَادِرَاتُ وَالتَّرَاسِيمُ وَالعُقُوبَاتُ عَمَّالَةٌ فِي أَكْبَرِ أَهْلِ الْبَلَدِ لَيْلًا وَنَهَارًا ،
حَتَّى أُخِذَ مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْقَافِ ، كَالْجَامِعِ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَ
مَرْسُومٌ بِصِيَانَةِ الْجَامِعِ وَتَوْفِيرِ أَوْقَافِهِ وَصَرْفِ مَا كَانَ يُؤْخَذُ [١٢١/١٠٠ ظ] لِخَزَائِنِ
السَّلَاحِ إِلَى الْحِجَازِ ، وَقُرِئَ ذَلِكَ الْمَرْسُومُ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِالْجَامِعِ فِي «تَاسِعِ»^(٢)
عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى . وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَوَجَّهَ السَّلْطَانُ قَازَانَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَتَرَكَ
نُؤَابَةَ بِالشَّامِ فِي سِتِينَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، نَحْوَ بِلَادِ الْعِرَاقِ ، وَجَاءَ كِتَابُهُ : إِنَّا قَدْ تَرَكَنَا
نُؤَابَتَنَا بِالشَّامِ فِي سِتِينَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَمِنْ عَزْمِنَا الْعَوْدَ إِلَيْهَا فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ ،
وَالدَّخُولَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَفَتْحَهَا . وَقَدْ أَعْجَزَتْهُمْ الْقَلْعَةُ أَنْ يَصِلُوا إِلَى حَجَرِ
مِنْهَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَبِجَقُ لَتَوْدِيعِ قُطْلُوشَاهِ نَائِبِ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : «بِثِيَابِ زِيهِمْ» ، وَفِي ص : «بِثِيَابِ رَثَةٍ» .
(٢ - ٢) فِي ص : «تَاسِعِ عَشْرِينَ» . وَانظُرْ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣١/٣٩٨ .

قازان ، وسار وراءه ، وضربت البشائر بالقلعة فرحا لرحيلهم ، ولم تُفتح القلعة ، وأرسل أروجواش ثانياً^(١) يوم من خروج قبجق لتوديع قطلوشاه - القلعة إلى الجامع ، فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالمين آمنين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتار قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمى ، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن أبي القاسم المرتضى العلوى ، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق ، فنادوا بها : طيبوا قلوبكم ، وافتحوا ذكابينكم ، وتهيئوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبجق . فخرج الناس إلى أماكنهم ، فأشرفوا عليها ، فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانقل رؤساء البلد من التراسيم بعدما وُزنوا شيئاً كثيراً .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي^(٢) : ذكر لى الشيخ وجيه الدين بن المنججا أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق^(٣) من التراسيم والبراطيل^(٤) ، وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم ، والأصيل بن النصير الطوسى مائتا^(٥) ألف ، والصفى السنجارى ثمانون ألفاً ، وعاد الأمير سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر الخامس والعشرين من جمادى

(١) فى ص : « فى ثامن » . وانظر نهاية الأرب ٣١ / ٣٩٩ .

(٢) انظر كنز الدرر ٩ / ٣٣ .

(٣) فى ص : « يحق » . وفى كنز الدرر : « لحق » .

(٤) البراطيل : جمع برطيل ، وهو الرشوة . الوسيط (برطل) .

(٥) فى النسخ : « مائة » . والمثبت من مصادر التخرىج .

الأولى، ومعه الألبكى^(١) وجماعة، وبين يديه السيوف مُسَلَّلة، وعلى رأسه عصابة، فنزل بالقصر، وتودى بالبلد: إن نائبكم سيف الدين قَبْجَق قد جاء فافتحوا ذكابينكم، واعملوا معاشكم، ولا يُعزِّز أحدٌ بنفسه. هذا والأسعاز في غاية الغلاء والقلة، قد بلغت الغرارة إلى أربعمئة، واللحم الرطل بنحو العشرة، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين، والخبز الأوقية بدرهم، والبيض كل خمسة بدرهم، ثم فُرج عنهم في أواخر الشهر، ولما كان في أواخر الشهر نادى قَبْجَق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم، وأمر جماعة، وأنضاف إليه خلق من الأجناد، وكثرت الأراجيف على بابها، وعظم شأنه، ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قَبْجَق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة، وركب قَبْجَق بالعصائب في البلد، والشاويشيئة بين يديه، وجهَّز نحوًا من ألف فارس نحو خربة اللصوص، ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة، وصار كما قال الشاعر^(٢):

يا لك من قنبرة بمغمر
 خلا لك الجو فيضى واضفيري
 ونقري ما شئت أن تُنقري

ثم إنه ضمن الخمارات [١٢٢/١٠] ومواضع الزنى من الحانات وغيرها، وجعلت دار ابن جرادة خارج باب ثوما خمارة وحانة أيضًا، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم. وهي التي دمَّرتَه، ومحقت آثاره، وأخذ أموالاً

(١) في الأصل: «الأيكى»، وفي م: «الأيكى».

(٢) تقدم في ٤٩٦/١١.

أُخْرَ مِنْ أَوْقَافِ الْمَدَارِسِ وَغَيْرِهَا، وَرَجَعَ بُولَايَ مِنْ جِهَةِ الْأَغْوَارِ، وَقَدْ عَاثَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا، وَنَهَبَ الْبِلَادَ وَسَبَى وَخَرَّبَ، وَمَعَهُ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التُّرِكِ، وَقَدْ خَرَّبُوا قُرَى كَثِيرَةً، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا، وَأَسْرَوْا مِنْ أَطْفَالِهَا جَمَاعَاتٍ، وَجَبَى لِبُولَايَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ أَيْضًا جَبَايَةً أُخْرَى، وَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَلْعَةِ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنَ التُّرِكِ وَنَهَبُوهُمْ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ، وَأَخَذُوا طَائِفَةً مِمَّنْ كَانَ يَلُودُ بِالتُّرِكِ، وَرَسَمَ قَبْجَقُ لِحَطِيبِ الْبَلَدِ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ مِنَ الْأَعْيَانِ أَنْ يَدْخُلُوا الْقَلْعَةَ، فَيَتَكَلَّمُوا مَعَ نَائِبِهَا فِي الْمُصَالِحَةِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَكَلَّمُوهُ وَبَالَغُوا مَعَهُ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَجَادَ وَأَحْسَنَ^(١).

وَفِي ثَانِي^(٢) رَجَبٍ طَلَبَ قَبْجَقُ الْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانَ، فَحَلَفَهُمْ عَلَى الْمُنَاصِحَةِ لِلدَّوْلَةِ الْحَمُودِيَّةِ - يَعْنِي قَازَانَ - فَحَلَفُوا لَهُ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ خَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى مُخَيِّمِ بُولَايَ، فَاجْتَمَعَ بِهِ فِي فِكَالِكٍ مَن مَعَهُ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَنْقَذَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ عَادَ، ثُمَّ رَاحَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ أَعْيَانِ دِمَشْقَ، ثُمَّ عَادُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَشَلُّحُوا عِنْدَ بَابِ شَرْقِيِّ، وَأَخَذَتْ ثِيَابَهُمْ وَعَمَائِمُهُمْ، وَرَجَعُوا فِي شَرِّ حَالَةٍ، ثُمَّ بَعَثَ فِي طَلِبِهِمْ، فَاخْتَفَى أَكْثَرُهُمْ، وَتَغَيَّبُوا عَنْهُ، وَتَوَدَّى بِالْجَامِعِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ثَالِثَ رَجَبٍ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ الْقَلْعَةِ بِأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْمِصْرِيَّةَ قَادِمَةٌ إِلَى الشَّامِ، وَفِي عَشِيَّةِ يَوْمِ السَّبْتِ رَحَلَ بُولَايَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ التُّرِكِ، وَأَنْشَمَرُوا عَنْ دِمَشْقَ، وَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَسَارُوا مِنْ عَلَى

(١) بعده في م، ص: «وأرجل في ذلك، بيض الله وجهه».

(٢) في م، ص: «ثامن». وانظر كنز الدرر ٣٥/٩.

عَقَبَةُ دُمَّرَ^(١) ، فعاثوا في تلك التواحي فسادًا ، ولم يَأْتِ سابع الشهرِ وفي حواشي
البلدِ منهم أحدٌ ، وقد أراح اللهُ عز وجل شرَّهم عن العبادِ والبلادِ ، ونادى قَبْجَقُ
في الناسِ : قد أَمِنَتِ الطُّرُقَاتُ ، ولم يَبْقَ بالشامِ مِنَ التترِ أحدٌ . وصَلَّى قَبْجَقُ يومَ
الجمعةِ عاشرَ رجبٍ بالمقصورةِ ، ومعه جماعةٌ من أصحابِه ، عليهم لَأَمَةُ الحربِ
من السيوفِ والقسيِّ والتراكيشِ فيها الثُّشَابُ ، وأَمِنَتِ البلدُ ونواحيها ، وخرَجَ
الناسُ للفرجةِ في غياضِ السَّفَرَجَلِ على عادَتِهِم ، فعائت عليهم طائفةٌ من التتارِ ،
فلما رأوهم رجَعوا إلى البلدِ هارِبين مُشرِعين ، ونهَبَ بعضُ الناسِ بعضًا ، ومنهم
مَنْ ألقى نفسه في النهرِ ، وإنما كانت تلك الطائفةُ مُجتازين ليس لهم قَرَارٌ ، وتقلَّقَ
قَبْجَقُ مِنَ البلدِ ، ثم إنه خرَجَ منها في جماعةٍ من رُؤسائها - منهم عزُّ الدين بنُ
القَلانسيِّ - لتلقَى الجيشِ المصريِّ ، وذلك أنهم خرَجوا إلى الشامِ في تاسعِ
رجبٍ ، وجاءت البريديَّةُ بذلك ، وللهُ الحمدُ والمنَّةُ ، وبقي البلدُ ليس به أحدٌ ،
ونادى أَرْجُوشُ في البلدِ أن احفظوا الأسوارَ ، وأخرِجوا ما كان عندكم من
الأسلحةِ ، ولا تُهْمَلوا الأسوارَ والأبوابَ ، ولا يَبَيِّنَنَّ أحدٌ إلا على السورِ ، ومَنْ
بات في دارِه شُنِقَ . فاجتمعَ الناسُ [١٠ / ٢٢٢ ظ] على الأسوارِ لحفظِ البلدِ ، وكان
الشيخُ تقيُّ الدين ابنُ تيميةَ يدورُ كلَّ ليلةٍ فوقَ الأسوارِ يُحرِّضُ الناسَ على الصبرِ
والقتالِ ، ويُتلو عليهم آياتِ الجهادِ والرِّباطِ .

وفي يومِ الجمعةِ سابعَ عشرَ رجبٍ أُعيدتِ الخطبةُ بجامعِ دمشق لصاحبِ
مصرَ السلطانِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوونَ ، ففرِحَ الناسُ بذلك ، وكان يُخطَبُ
لقازانَ بدمشقَ وغيرها من بلادِ الشامِ مائةَ يومٍ سِوَاءَ . وفي بُكْرَةِ يومِ الجمعةِ

(١) دمر: عقبة تطل على غوطة دمشق. معجم البلدان ٥٨٧/٢.

المذكور دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، رحمه الله ، وأصحابه على الخمارات والحانات ، فكسروا آنية الخمر ، وشقوا الظروف ، وأراقوا الخمر ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، وفرح الناس بذلك ، ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تُزيّن البلدُ لقدم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، وفرح الناس بذلك وانفرجوا ؛ لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامى ضحبة نائب دمشق جمال الدين أقوش الأفرم إلى دمشق يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر ، وفيهم الأميران شمس الدين قراسنق المصوري وسيف الدين قطلبك في تجمل .

وفي هذا اليوم فتح باب الفراديس . وفيه ^(١) درس القاضي جلال الدين القزويني بالمدرسة الأمينية عوضاً عن أخيه قاضي القضاة إمام الدين ، نُوفى بالديار المصرية ، كما سيأتي بيانه .

وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر المصرية ضحبة نائب مصر سيف الدين سلار ، وفي خدمته الملك العادل كتيبة ، وسيف الدين الطباخي ^(٢) في تجمل باهر ، ونزلوا بالموج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى ، فوصل إلى الصالحية ، ثم عاد إلى مصر .

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أُعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى

(١) الدارس ١/١٩٦ .

(٢) في الأصل ، م : « الطراخي » .

قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين وليس الخلعة ، وليس معه في هذا اليوم أمين الدين العجمي خلعة الحسبية ، وفي يوم السبت سبع عشره ليس خلعة نظير الدواوين الصدر تاج الدين بن الشيرازي عوضا عن فخر الدين بن الشيرجبي ، وليس «أقجبا خلعة» شد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأغسر^(١) ، وبأشر الأمير عز الدين أئيك الدوادار النجيبى ولاية البر ، بعد ما جعل من أمراء الطبليخاناه .

ودرس الشيخ كمال الدين بن الزمكاني بأمر الصالح عوضا عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان ، وفي هذا اليوم ولي قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفيى الحريرى ، عوضا عن حسام الدين الرازى ، فقد يوم المعركة ،^(٢) وجاءه بعد ذلك تدريس الخاتونية عوضا عن حسام الدين الرازى^(٣) في ثانى رمضان ، وزفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان .

وفي مشتهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر ، وعنده القضاة والأمراء يوم السبت ، وفي السبت الآخر خلع على عز الدين بن القلايسى خلعة سنينة ، وجعل ولده عماد الدين عبد العزيز شاهدا في الخزانة . وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر ، وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبُلدانها .

وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس صدر الدين على بن [١٠/١٢٣ و] الصفيى ابن أبى القاسم البصراوي الحنفى بالمدرسة المقدمية .

(١ - ١) في م : «أقجبا» . وانظر نهاية الأرب ٤٠٦/٣١ ، والسلوك ٩٠١/١ (القسم الثالث) .

(٢) في ص : «الأشقر» .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

وفى شوالٍ منها عُرِفَتْ جماعةٌ مَن كان يَلُودُ بالثَّتْرِ ويُوذِي المسلمين ، فشُنِقَ منهم طائفةٌ ، وسُير آخرون ، وكُجِلَ بعضهم ، وقُطِعَت ألسُنُ ، وجزّت أمورٌ كثيرةٌ .

وفى منتصفِ شوالٍ دَرَسَ بالدَّوْلَعِيَةِ قاضِي القُضاةِ جمالُ الدينِ الرُّزَعِيُّ نائبُ الحُكْمِ عوضًا عن جمالِ الدينِ بنِ الباجِرِ تَقِيٍّ .

وفى يومِ الجمعةِ العشرين من شوالٍ ركبَ نائبُ السُّلْطَنَةِ جمالُ الدينِ آقوش الأفرمُ فى جيشٍ دمشقَ إلى جبالِ الجَرَدِ وكسروانَ ، وخرَجَ الشيخُ تَقِيُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِنَ المُطَوَّعَةِ والحوارِنَةِ لقتالِ أهلِ تلكِ الناحيةِ ، بسببِ فسادِ دينِهِم وعقائِدِهِم وكفرِهِم وضلالِهِم ، وما كانوا عاملوا به العساكرُ لما كسَرَهُم الثَّتْرُ وهزَبوا ؛ حينَ اجتازوا ببلادِهِم وثبوا عليهم ونهبوهم ، وأخذوا أسلحتَهُم وحيولَهُم ، وقتلوا كثيرًا منهم ، فلما وصلوا إلى بلادِهِم جاء رؤسائِهِم إلى الشيخِ تَقِيُّ الدينِ بنِ تَيْمِيَّةَ ، فاستتابَهُم ، وبينَ لكثيرٍ منهم الصوابَ ، وحصلَ بذلك خيرٌ كثيرٌ ، وانتصارٌ كبيرٌ على أولئك المُفسِدِينَ ، والتزموا بردٌ ما كانوا أخذوه من أموالِ الجيشِ ، وقرَّرَ عليهم أموالًا كثيرةً يَحْمِلونها إلى بيتِ المالِ ، وأقَطِعَت أراضيهِم وضياعُهُم ، ولم يَكُونوا قبلَ ذلك يَدْخُلون فى طاعةِ الجندِ ولا يَلْتَزِمون أحكامَ المِلَّةِ ، ولا يَدِينون دينَ الحقِّ ، ولا يُحَرِّمون ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُهُ . وعاد نائبُ السُّلْطَنَةِ يومَ الأحدِ ثالثَ عشرَ ذى القَعْدَةِ ، وتلقاه الناسُ بالشُّموعِ إلى طريقِ بَغْلَبَكِّ وَسَطَ النهارِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عشرِهِ نُودِيَ بالبلدِ أن يُعَلَّقَ الناسُ الأسلحةَ بالذُّكاكينِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الناسُ الرُّفِيَّ ، فَعُمِلَت الآماجُ^(١) فى أماكن كثيرةٍ من

(١) الآماج: جمع أماج، وهو الهدف. انظر المعجم الذهبى ص ٤٧.

البلد، وعُلِّقَت الأسلحةُ بالأسواقِ، ورسم قاضي القضاة بدرُ الدين بن جماعةً بعملِ الآماجِ في المدارسِ، وأن يتعلَّم الفقهاء الرُّمى، ويتشعَّدوا القتالِ العدوَّ إن حضر، وباللَّهِ المستعانُ.

وفي الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه، وجعل على كلِّ سوقٍ مُقدِّمًا، وحوَّلَه أهلُ سوقه، وفي يومِ الخميس الرابع والعشرين عُرضت الأشرافُ مع تقييهم نظامِ الملكِ الحُسَيْنِيِّ بالعددِ والتَّجْمِيلِ الحسنِ، وكان يومًا مشهودًا.

ومما كان من الحوادثِ في هذه السنة أنه جُدِّدَ إمامُ راتبٍ عند رأسِ قبرِ زكريا، وهو الفقيه شرفُ الدين أبو بكرِ الحمَوِيُّ، وحضرَ عنده ظهرُ (١) يومِ عاشوراءِ القاضي إمامُ الدينِ الشافعيِّ، وحُسامُ الدينِ الحنفيِّ وجماعةٌ، ولم تطلْ مدتهُ إلا شهرًا، ثم عاد الحمَوِيُّ إلى بلده، وبطلتْ (٢) هذه الوظيفةُ إلى الآن، وللهُ الحمدُ.

ومَن تُوفِّي فيها من الأعيان :

القاضي حُسامُ الدينِ أبو الفضائلِ الحسنُ بنُ القاضي تاجِ الدينِ أبي المفاخرِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ (٣) أنوشيزوانِ الرازى الحنفيِّ، ولى قضاءً مَلْطِيَّةَ مدةً عشرين سنةً، ثم قَدِمَ دمشقَ، فولَّيها مدةً، ثم انتقلَ إلى مصرَ، فولَّيها مدةً،

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « شغرت » .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : العبر ٣٩٧/٥، ومعجم شيوخ الذهبى ص ١٦٨، والوفى بالوفيات ٣٩٧/١١، والجواهر المضية ١٥٦/١، وتذكرة النبى ٢٢٧/١، وعقد الجمان ٨٩/٤، والمقفى الكبير ٣٠٣/٣، والمنهل الصافى ٦٣/٥، وشذرات الذهب ٤٤٦/٥.

وولده جلال الدين بالشام، ثم صار إلى الشام، فعاد إلى الحكم بدمشق، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار [١٢٣/١٠] عند وادي سَلْمِيَّةَ خرج معهم، فقُتِدَ مِنَ الصَّفِّ، ولم يُدْرَ ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نَظْمٌ حسنٌ، ومولده بأقسرا^(١) من بلاد الروم في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، فُقِدَ يَوْمَ الأربَعاءِ الرَّابِعِ والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قُتِلَ يَوْمَئِذٍ عِدَّةٌ من مشاهير الأمراء، ثم ولى بعده القضاء شمس الدين الحريري.

القاضي الإمام العالی إمام الدين أبو المعالی عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي^(٢)، قديم دمشق هو وأخوه جلال الدين، فُقِرُّوا في تداريس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاء بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدّم في^(٣) سنة ست وتسعين^(٣)، وناب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق، كثير الإحسان، قليل الأذى، ولما أرف قدم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يُقِمَ بها سوى أسبوعٍ وتوفى، ودُفِنَ بالقرب من قبة الشافعي عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة كما كان، مُضَافاً إلى ما بيده من الخطابة وغيرها، ودرّس أخوه بعده بالأمينية.

المُشَيَّدُ المَعْمَرُ الرَّحَلَةُ، شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله

(١) في الأصل، م: «بأقسيس».

(٢) العبر ٤٠٢/٥، والوافي بالوفيات ٥٠٤/٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٠/٨، وتذكرة النبيه ٢٢٦/١، وعقد الجمان ٩٠/٤، والدارس ١٩٥/١.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «سنة سبع وسبعين»، وفي ص، وعقد الجمان ٣٥٣/٣: السنة السابعة والتسعين. والمثبت من الوافي بالوفيات. وانظر ما تقدم صفحة ٦٩٧.

«ابن أحمد بن محمد^(١) بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين^(٢) بن عساكر الدمشقي، وُلد سنة أربع عشرة وثمانية، وسمع الكثير وروى، تُوِّفَى خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة.

الخطيب الإمام العالم موفّق الدين أبو المعالي، محمد بن محمد بن المفضل^(٣) البهراني^(٤) القضاعي الحموي، خطيب حماة، ثم خطب بدمشق عوضًا عن الفاروئي كما ذكرنا، ودرّس بالغرّالية، ثم عُزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قديم دمشق عام قازان، فمات بها.

الصدر شمس الدين محمد بن سلمان^(٥) بن حمائل بن عليّ المقدسي المعروف بابن غانم، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة، ودرّس بالعصرونية، تُوِّفَى وقد جاوز الثمانين، كان من الكتاب المشهورين المشكورين، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م. وانظر ترجمته في: العبر ٣٩٥/٥، ومعجم شيوخ الذهب ص ٨٣، وعقد الجمان ٩١/٤، وغاية النهاية ١٤٦/١، والمنهل الصافي ٢٥٤/٢، والنجوم الزاهرة ١٩٠/٨، وشذرات الذهب ٤٤٥/٥.

(٢) في الأصل، م: «الحسن».

(٣) في الأصل، م: «الفضل». وانظر ترجمته في: معجم شيوخ الذهب ص ٥٦٩، والعبر ٤٠٤/٥، وتذكرة الحفاظ ١٤٨٨/٤، وعقد الجمان ٩٢/٤، وشذرات الذهب ٤٥٣/٥، وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: «الفضل».

(٤) في الأصل، م، وشذرات الذهب: «النهراني»، وفي ص: «المهراني»، وفي تذكرة الحفاظ: «النهراني». والمثبت من معجم شيوخ الذهب، العبر، وعقد الجمان. والبهراني نسبة إلى بهراء وهي قبيلة من قضاة كما ذكر ذلك السمعاني في الأنساب ٤٢٠/١.

(٥) في النسخ والدارس ٤٠٣/١: «سليمان». والمثبت من مصادر ترجمته: معجم شيوخ الذهب ص ٤٩٨، والعبر ٤٠٢/٥، وعقد الجمان ٩٢/٤، والمقفى الكبير ٦٨٥/٥، والنجوم الزاهرة ١٩٣/١، وشذرات الذهب ٤٥١/٥.

الشيخ جمال الدين أبو محمد، عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجزني الشافعي^(١)، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفتي، ثم قدم دمشق عام قازان، فمات بها، وكان قد أقام بها مدة كذلك، ودرّس بالفتحية^(٢) والدولعية، وناب في الخطابة، ودرّس بالغزالية نيابة عن الشمس الأيكي، وكان قليل الكلام، مجموعاً عن الناس، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال، وله أتباع يُنسبون إلى ما يُنسب إليه، ويعكفون على ما كان يعكف عليه، وقد حدّث جمال الدين المذكور بـ «جامع الأصول» عن بعض أصحاب مُصنّفه ابن الأثير، وله نظمٌ ونثرٌ حسنٌ. واللّهُ سبحانه أعلم.

(١) العبر ٥/٤٤٩، والوافي بالوفيات ١٨/٣٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٩٠، وتذكرة النبيه ٩/٢٢٨، وعقد الجمان ٤/٩٣، والمقفي الكبير ٦/٦٦، وشذرات الذهب ٥/٤٤٩.
(٢) في م: «القليجية». وانظر الدارس ١/٤٢٩.

ثم دَخَلت سنة سبعمائةٍ من الهجرة النبوية^(١)

استَهَلَّت والخليفة^(٢) والسلطان ونواب البلاد والحُكَّامُ بها هم المذكورون في التي قبلها، غير الشافعي والحنفي^(٣). ولما كان ثالثُ المحرمِ جلسَ المُستخْرِجُ لاشتِخَاصِ أجرةِ أربعةِ أشهرٍ من جميعِ أملاكِ الناسِ وأوقافِهِم بدمشقَ، فهربَ أكثرُ الناسِ مِنَ البلَدِ، وجرت [١٢٤/١٠] خَبْطَةٌ قويَّةٌ وشقَّ ذلك على الناسِ مشقةً عظيمةً جدًّا.

وفي مُستَهَلِّ صفرٍ ورَدت الأخبارُ بقصدِ التَّارِ بلادَ الشامِ، وأنهم عازِمون على دُخولِ مصرَ، فانزَعَجَ الناسُ لذلك وازدادوا ضعفًا على ضعفيهِم، وطاشت عقولُهُم وألبائهُم، وشرَعَ الناسُ في الهربِ إلى بلادِ مصرَ والكَرْكِ والشُّوبُكِ والحِصونِ المنيعةِ، فبلَغَتِ الحَمَارَةُ^(٤) إلى مصرَ خمسمائةً، وبيعَ الجَمَلُ بألفٍ، والحِمَارُ بِخمسِمائةٍ، وبيعتِ الأُمْتَعَةُ والثيابُ والغلاتُ بأرخصِ الأثمانِ، وجلسَ الشيخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ تيميةَ في ثانيِ صفرٍ بِمَجْلِسِهِ في

(١) نهاية الأرب ٤١١/٣١ - ٤٤٣، وكنز الدرر ٤١/٩ - ٦٤، وتذكرة النبيه ٢٣٣/١ - ٢٣٨. (٢ - ٢) في ص: «الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ونائب مصر الأمير سيف الدين رسلان، وقضاء مصر القاضي تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي والحنفي [] ونائب الشام الأمير جمال الدين أقوش الأقرم. وقاضي الشافعية بها بدر الدين بن جماعة والوزير شمس الدين سنقر الأعسر».

(٣) في م: «الحمارة»، والحمارة: المزجج. انظر الوسيط (م ح ر). ويعني بالحمارة هنا تكلفة الرجوع إلى مصر.

الجامع، وحرّض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما يُنفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله تعالى كان خيرًا، وأوجب جهاد التتر حثما في هذه الكثرة، وتابع المجالس في ذلك، ونوّد في البلدان: لا يُسافر أحدٌ إلا بمرسومٍ وورقة. فتوقّف الناس عن السير، وسكن جأشهم، وتحدّث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر المنصورة ودقّت البشائر لخروجه^(١)، لكن كان قد خرج جماعة من ثبوتات دمشق كبيت ابن صضرى وبيت ابن فضل الله وابن مُنْجَا وابن سُويْد وابن الزمْلَكَانِي وابن جماعة.

وفي أول ربيع الآخر قوى الإرجاف بأمر التتار، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة، ونوّد في البلد أن تخرج العامة مع العسكر، وجاء مرسومُ النائب من المَرج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر، فعرض نحو من خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم، وقت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها، وأتبعه أئمة المساجد، وأشاع المُرْجفون بأن التتار قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تفهّر إلى حماة، ونوّد في البلد بتطيب قلوب الناس وإقبالهم على معاشهم، وأن السلطان والعساكر واصله، وأبطل ديوان المُستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به، وبقيت بواقي الناس الذين قد اختفوا، فعفى عما بقي، ولم يُردّ ما سلف، لا جرّم أن عواقب هذه الأفعال خسرٌ ونكسرٌ، وأن أصحابها لا يُفليحون، ثم جاءت الأخبار بأن سلطان

(١) في ص: «لخروج السلطان من ديار مصر إلى الشام».

مصرَ رَجَعَ عائدًا إلى مصرَ "بعد أن خرج منها قاصدًا الشام"، فكثُر الخوفُ، واشتدَّ الحالُ، وكثُرَت الأمطارُ جدًّا، وصار بالطُّرُقَاتِ مِنَ الأَوْحَالِ والشَّيُولِ ما يَحُولُ بَيْنَ المَرءِ وَبَيْنَ ما يُرِيدُهُ مِنَ الاِنْتِشارِ فِي الأَرْضِ وَالذَّهابِ فِيهَا، فَإِنا لِلَّهِ وإِنا إِلَيْهِ راجعون .

وخرَجَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ خِفافًا وثِقالًا يَتَحَمَّلُونَ بِأهاليهم وأولادهم، والمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُم لو كانوا يَعلَمون، وجعلوا يَحْمِلون الصُّغارَ فِي الوَحْلِ الشَّدِيدِ والمَشَقَّةِ على الدوابِّ والرِّقابِ، وقد ضَعُفَتِ الدَّوابُّ مِنَ قِلَّةِ العَلْفِ مع كَثْرَةِ الأمطارِ والزَّلزَلِ والبرِدِ الشَّدِيدِ والجوعِ وقِلَّةِ الشَّيءِ، فلا حَوْلَ ولا قوَّةَ إِلا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، واشتَهَلَ جُمادى الأُولى، والناسُ على حُطَّةٍ صَعِبَةٍ مِنَ الخوفِ، وتأخَّرَ السُلطانُ واقتَرَبَ العَدُوُّ، وشَدَّةِ الأَمْرِ والحالِ، وخرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تيميةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي مُسْتَهَلِّ هَذَا الشَّهِرِ، وكان [١٠/١٢٤ظ] يَوْمَ السَّبْتِ، إِلى نائِبِ الشَّامِ وَعَساکِرِهِ بِالْمَرْجِ، فَجَبَّتْهُمُ وَقوَى جَأْسَهُم، وَطَيَّبَ قُلُوبَهُم، ووَعَدَهُم بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ على الأعداءِ، وتلا قولَهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوِّبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]. وباتَ عِنْدَ العَسْكَرِ ليلَةَ الأَحَدِ، ثم عادَ إِلى دَمَشَقَ، وقد سألَهُ النائِبُ والأَمراءُ أَن يَؤَكِّبَ على البَرِيدِ إِلى مِصرَ يَسْتَحِثُّ السُلطانَ على المَجيءِ، فساقَ وِراءَ السُلطانِ، وكان السُلطانُ قد وَصَلَ إِلى الساحِلِ، فلم يُدْرِكْهُ إِلا وقد رَجَعَ إِلى القاهِرَةِ، وتفاوَّضَ الحالُ، ولكنَّهُ اسْتَحَثَّهُم على تَجهيزِ العَساکِرِ إِلى الشَّامِ

(١ - ١) فِي ص: «من الزلزلة التي كان بها في نواحي الساحل».

(١) إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقفنا له سلطانا يحوطه ويحيمه، ويستغله في زمن الأمن. ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، ثم قال: لو قدر أنكم لستم لحكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم لحكامه وسلطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسئولون عنهم. وقوى جأشهم، وضمن لهم النصر هذه الكرّة، فخرجوا إلى الشام^(١)، فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحا شديدا، بعد أن كانوا قد يسيوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتار وتحقق أهل الشام عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس متولّي دمشق في الناس: من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق. فتصايح النساء والولدان، ورهق الناس ذلّة عظيمة وخمدة، وزلزلوا زلزالا شديدا، وغلقت الأسواق، وتيقن الناس أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتار فكيف به الآن وقد عزم على الهرب؟ ويقولون: ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو.^(٢) ودخل كثير من الناس القلعة، وامتنع الناس من النوم والقرار، وخرج كثير من الناس إلى البراري والقفار بأهاليهم من الكبار والصغار، ونودي في الناس: من كانت نيته الجهاد فليتحق بالجيش؛ فقد اقترب وصول التتار. ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل، وسافر القاضي ابن جماعة وشمس الدين بن الحريري ونجم الدين ابن صصرى ووجيه الدين ابن منجنا، وقد سبقتهم بيوتهم إلى الديار المصرية، وجاءت الأخبار بوصول

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

التَّارِ إِلَى سَرْمِينِ^(١) ، وَخَرَجَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارُقِيُّ وَالشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الرَّقِّيُّ
وَابْنُ قِيَامٍ^(٢) وَشَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ خَبَارَةَ^(٣) إِلَى نَائِبِ السُّلْطَنَةِ الْأَفْرَمِ ،
فَقَوَّوْا عَزْمَهُ عَلَى مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ ، وَاجْتَمَعُوا بِمُهَنَّأَمِيرِ الْعَرَبِ ، فَحَرَّضُوهُ عَلَى قِتَالِ
الْعَدُوِّ ، فَأَجَابَهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَقَوَّيَتْ نِيَّتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ طَلُبُ
سَلَّارٍ مِنْ دَمَشَقٍ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَيْشِ بِالْمَرْجِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ بِنِيَّاتٍ
صَادِقَةٍ .

وَرَجَعَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
جُمَادَى الْأُولَى عَلَى الْبَرِيدِ ، وَقَدْ أَقَامَ بِقَلْعَةِ مَصْرَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ
وَالْوَزِيرِ وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ ، وَحَثَّهُمْ وَحَرَّضَهُمْ ، فَأَجَابُوهُ . وَقَدْ غَلَّتِ الْأَسْعَاؤُ بِدَمَشَقَ
جَدًّا ، حَتَّى أَنَّهُ أُبْيِعَ خُرُوفَانٍ بِخَمْسِمِائَةِ دَرْهَمٍ ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ جَدًّا ، [١٢٥ / ١٠]
ثُمَّ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ مَلِكَ التَّارِ قَدْ خَاضَ الْفُرَاتَ رَاجِعًا عَامَهُ ذَلِكَ ؛ لِضَعْفِ
جَيْشِهِ وَقَلَّةِ مَدِيدِهِ ، فَطَابَتْ النُّفُوسُ بِذَلِكَ ، وَسَكَنَ النَّاسُ ، وَعَادُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ
مُنْشَرِحِينَ آمِنِينَ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَمَّا جَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِعَدَمِ
وَصُولِ التَّارِ إِلَى الشَّامِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تَرَاجَعَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، وَعَادَ
نَائِبُ السُّلْطَنَةِ إِلَى دَمَشَقَ ، وَكَانَ مُخَيَّمًا فِي الْمَرْجِ مِنْ مَدَّةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مُتَّابِعَةً ،
وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الرُّبَاطِ ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ .

وَكَانَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارُقِيُّ قَدْ دَرَّسَ بِالنَّاصِرِيَّةِ لِعَيْبَةِ مَدْرِسِهَا كِمَالِ
الدِّينِ بِنِ الشَّرِيشِيِّ بِالْكَرْكِ هَارَبًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا فِي رَمَضَانَ ، وَفِي أَوَاخِرِ الشَّهْرِ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « سَرْمِينِ » . وَسَرْمِينُ : بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣ / ٨٣ .

(٢) فِي ص : « قِيَامِ » .

(٣) فِي ص : « حَيَاةٌ » وَفِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « حَبَانِ » .

درّس ابن الرُّكَيْيِّ بالدَّوْلَعِيَّةِ عَوْضًا عن القاضي جمالِ الدينِ الرُّزَعِيِّ لِعَيْبَتِهِ ، وفي يومِ الاثنينِ قُرِئَتْ شُرُوطُ الذَّمِّ عَلَيْهِمْ ، وَأُلْزِمُوا بِهَا ، وَاتَّفَقَتْ الْكَلِمَةُ عَلَى عَزْلِهِمْ عَنِ الْجِهَاتِ ، وَأُخِذُوا بِالصَّغَارِ ، وَتُوْدِي بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ ، وَأُلْزِمَ النَّصَارَى بِالْعَمَائِمِ الرُّزْقِي ، وَالْيَهُودُ بِالصُّفْرِ ، وَالسَّامِرَةُ بِالْحُمْرِ ، فَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ . وَفِي عَاشِرِ رَمَضَانَ جَاءَ الْمُرْسُومُ بِالْمُشَارَكَةِ بَيْنَ أَرْجُوَاشِ وَالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَقْبَجَا فِي نِيَابَةِ الْقَلْعَةِ ، وَأَنْ يَوْكَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَوْمًا ، وَيَكُونَ الْآخَرُ بِالْقَلْعَةِ يَوْمًا ، فَاُمْتَنَعَ أَرْجُوَاشُ مِنْ ذَلِكَ .

وفي شوالِ درّس بالإقبالية الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ المجدِّ عَوْضًا عن علاءِ الدينِ القُونَوِيِّ^(١) بحكمِ إقامتهِ بالقاهرة ، وفي يومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرينِ من ذِي الْقَعْدَةِ عُزِّلَ شَمْسُ الدِّينِ بنُ الْحَرِيرِيِّ عن قَضَائِ الْحَنْفِيَّةِ بِالْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ ابْنِ حُسَامِ الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتِهِ وَقَاعِدَةِ أَبِيهِ ، وَذَلِكَ بِاتِّفَاقِ مِنَ الْوَزِيرِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ سُنُقَرِ الْأَعْسَرِ ، وَنَائِبِ السُّلْطَنَةِ جَمَالِ الدِّينِ آقُوشِ الْأَقْرَمِ .

وفيها وَصَلَتْ رَسُلُ مَلِكِ التَّتَارِ إِلَى دِمَشَقَ فِي أَوَاخِرِ الشَّهْرِ ، فَأَنْزَلُوا بِالْقَلْعَةِ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مِصْرَ .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ الصَّالِحُ حَسَنُ الْكُرْدِيُّ^(٢) ، المقيمُ بالشاغورِ فِي بُشْتَانِ لَهُ ، يَأْكُلُ مِنْ غَلَّتِهِ ، وَيُطْعِمُ مَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُزَارُ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ اغْتَسَلَ ، وَأَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَرَكَعَ رَكَعَاتٍ ، ثُمَّ تُوفِّي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الرَّابِعِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْقَزْوِينِي » .

(٢) الْوَفَاتِي بِالْوَفَاتِ ٣١٣/١٢ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٤٧/٤ ، وَالنَهْلُ الصَّافِي ١٤٦/٥ ، وَالِدَلِيلُ الشَّافِي ٢٧٢/١ .

جُمادى الأولى ، وقد جاوز المائة سنة .

الطَّوَّاشِي صَفِيُّ الدِّينِ جَوْهَرُ التَّنْفِيلِسيُّ المَحْدَثُ^(١) ، اعْتَنَى بِسَمَاعِ الحَدِيثِ وَتَحْصِيلِ الأَجْزَاءِ ، وَكَانَ حَسَنَ الخُلُقِ ، لَيْسَ الجَانِبِ ، وَكَانَ رَجُلًا جَيِّدًا مَبَارَكًا صَالِحًا ، وَأَوْقَفَ أَجْزَاءَهُ الَّتِي مَلَكَهَا عَلَى المَحْدِّثِينَ .

الأميرُ عزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي الهَيْجَاءِ بنِ مُحَمَّدِ الهَذْبَانِيِّ الإِزْبِلِيِّ^(٢) ، مُتَوَلَّى دِمَشقَ ، كَانَ لَدَيْهِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي التَّارِيخِ وَالشَّعْرِ ، وَرَبَّمَا جَمَعَ شَيْئًا فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بِدَرْبِ سَقُونِ^(٣) فَعَرِفَ بِهِ ، فيقالُ : دَرْبُ ابنِ أَبِي الهَيْجَاءِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ نَزَلْنَاهُ حِينَ قَدِمْنَا دِمَشقَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِمَائَةٍ ، حَتَمَ اللَّهُ لَنَا بِخَيْرٍ فِي عَافِيَةِ آمِينَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ ابنِ أَبِي الهَيْجَاءِ فِي طَرِيقِ مِصْرَ ، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ ، حَسَنَ المَحَاضِرَةِ .

الأميرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الشَّرِيفِيُّ^(٤) ، وَالِي الوِلاَةِ بِالْبِلَادِ القِبْلِيَّةِ ، تُوفِّي فِي شِوَالٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ وَسَطُوعَةٌ [١٢٥/١٠ ظ] وَحُرْمَةٌ .

-
- (١) عقد الجمان ٤/١٥٦ ، والمنهل الصافي ٥/٤٥ ، والدليل الشافي ١/٢٥٥ وفيه : « النفيسي » .
(٢) الوافي بالوفيات ٥/١٧٠ ، والسلوك ١/٩١٨ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٤/١٥٥ ، والدرر الكامنة ٥/٤٩ ، والدليل الشافي ٢/٧١٠ .
(٣) في الأصل : « سقور » ، وفي م : « سحور » ، وفي عقد الجمان : « سعود » .
(٤) كنز الدرر ٩/٦٣ ، وعقد الجمان ٤/١٥٥ ، والسلوك ١/٩١٧ (القسم الثالث) .



فهرس

الجزء السابع عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة ست وستائة	٥
ومن توفى فيها من المشاهير والأعيان	٦
ثم دخلت سنة سبع وستائة	١٥
ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين	١٦
ومن توفى فيها من الأعيان	٢٠
ثم دخلت سنة ثمان وستائة	٢٧
ومن توفى فيها من الأعيان	٢٨
ثم دخلت سنة تسع وستائة	٣٢
وفيها توفى	٣٣
ثم دخلت سنة عشر وستائة	٣٥
وفيها توفى	٣٦
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستائة	٤١
ومن توفى فيها من الأعيان وغيرهم	٤٣
ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وستائة	٤٥
ومن توفى فيها من الأعيان	٤٦

- ٥١ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة
- ٥٢ وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير
- ٦١ ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة
- ٦٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٠ ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة
- ٧٣ صفة أخذ الفرنج دمياط
- ٧٦ وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان
- ٧٩ ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة
- ٨٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٨٨ ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة
- ١٠٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٠٦ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة
- ١٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٢ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة
- ١١٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٦ ثم دخلت سنة عشرين وستمائة
- ١١٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٢٧ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة
- ١٢٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٣٢ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة
- ١٣٣ وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر
- ١٣٦ خلافة الظاهر بن الناصر

- ١٣٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٤٧ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة
- ١٤٨ وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر
 خلافة المستنصر بالله العباسى أمير المؤمنين أبى جعفر منصور بن
- ١٥٠ الظاهر محمد بن الناصر أحمد
- ١٥٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٥٨ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة
- ١٥٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٧١ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة
- ١٧٣ ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة
- ١٧٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٨٠ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة
- ١٨٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٨٣ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة
- ١٨٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٩٣ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة
- ١٩٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٠٠ سنة ثلاثين وستمائة
- ٢٠٢ وممن توفى فيها من المشاهير
- ٢١٢ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة
- ٢١٤ وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان
- ٢٢٠ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة

- ٢٢٠ وفيها توفى
- ٢٢٣ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة
- ٢٢٣ وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان
- ٢٢٨ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة
- ٢٢٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٣١ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة
- ٢٣٥ ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل
- ٢٣٧ ذكر ما جرى بعده
- ٢٣٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٤٢ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة
- ٢٤٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٤٦ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة
- ٢٤٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٥١ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة
- ٢٥٢ وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير
- ٢٥٥ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة
- ٢٥٦ وفيها توفى
- ٢٦٠ ثم دخلت سنة أربعين وستمائة
- ٢٦٣ خلافة المستعصم بالله أمير المؤمنين
- ٢٦٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٦٧ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة
- ٢٦٩ وممن توفى فيها من الأعيان

- ٢٧٣..... ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة
- ٢٧٤..... وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٧٧..... ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة
- ٢٨١..... وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان
- ٢٨٨..... ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة
- ٢٩٠..... وفيها توفى
- ٢٩٢..... ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة
- ٢٩٣..... وممن توفى فيها من المشاهير
- ٢٩٧..... ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة
- ٢٩٩..... وممن توفى فيها
- ٣٠٣..... ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة
- ٣٠٥..... وممن قتل فى هذه السنة
- ٣٠٧..... ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة
- تملك الملك المعز عز الدين أيك التركمانى مصر بعد بنى أيوب ،
وتداول دولة الأتراك
- ٣٠٨..... ذكر ملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر فاتح القدس صاحب
حلب لدمشق حرسها الله تعالى
- ٣٠٨..... ذكر شىء من ترجمة الصالح أبى الخيش إسماعيل واقف تربة
- ٣١٠..... أم الصالح
- ٣١٠..... وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان والمشاهير
- ٣١٣..... ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة
- ٣١٥..... وممن توفى فيها من الأعيان

- ٣١٦ سنة خمسين وستمائة
- ٣١٧ وفيها توفى
- ٣٢١ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة
- ٣٢٣ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائة
- ٣٢٤ وممن توفى فيها من المشاهير
- ٣٢٦ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة
- ٣٢٨ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة
- ٣٤٢ وممن توفى في هذه السنة من الأعيان
- ٣٤٧ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة
- ٣٥٠ وممن توفى في هذه السنة من الأعيان
- ٣٥٦ ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة
- ٣٦٤ ذكر من توفى في هذه السنة من المشاهير والأعيان
- ٣٦٨ أرجوزة لبعض الفضلاء انتظم فيها ذكر جميع الخلفاء
- ٣٧٤ فصل
- ٣٧٥ فصل
- ٣٨٦ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة
- ٣٨٨ ولاية الملك المظفر قطز
- ٣٨٩ وفيها توفى من الأعيان
- ٣٩٥ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة
- ٣٩٥ أخذ التار حلب ودمشق
- ٣٩٧ صفة أخذهم لدمشق وزوال ملكهم عنها سريعاً
- ٣٩٩ وقعة عين جالوت

- ٤٠٥ ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضارى ببيرس البندقدارى
- ٤٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٢١ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة
- ٤٢٥ ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبى القاسم
- ٤٢٨ تولية الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر السلطنة
- ٤٢٩ ذكر تجهيز الخليفة قاصداً إلى بغداد
- ٤٣٥ ثم دخلت سنة ستين وستمائة
- ٤٣٦ ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسى
- ٤٤٠ وفيها توفى من الأعيان
- ٤٤٥ ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة
- ٤٤٥ ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير أبى على القبى
- ٤٤٨ ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها
- ٤٤٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٥٣ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة
- ٤٥٤ وفيها كانت وفاة
- ٤٥٩ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة
- ٤٦٢ وممن توفى فيها
- ٤٦٤ ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة
- ٤٦٧ وممن توفى فيها
- ٤٦٩ ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة
- ٤٧١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٧٥ ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة

- ٤٧٦ فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر
- ٤٨٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٨١ ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة
- ٤٨٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٨٦ ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة
- ٤٨٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٩٢ ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة
- ٤٩٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٩٩ ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة
- ٥٠١ وفيها توفى
- ٥٠٤ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة
- ٥٠٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥١٠ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة
- ٥١١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥١٦ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة
- ٥١٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥١٩ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة
- ٥٢١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٢٣ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة
- ٥٢٤ وقعة البلستين وفتح قيسارية
- ٥٢٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٣٠ ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة

- ٥٣٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٤٢ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة
- ٥٤٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٥٧ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة
- ٥٥٩ ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامس
- ٥٦٠ ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى
- ٥٦٠ ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق
- ٥٦١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٦٣ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة
- ٥٦٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٧١ ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة
- ٥٧٤ وقعة حمص
- ٥٧٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٨٥ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة
- ٥٨٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٨٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمائة
- ٥٩٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٩٣ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة
- ٥٩٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٥٩٧ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة
- ٥٩٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٠٢ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة

- ٦٠٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٠٧ ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة
- ٦٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦١٢ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة
- ٦١٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦١٦ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
- ٦١٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٢٣ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة
- ٦٢٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٣١ ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة
- ٦٣٢ ذكر فتح عكا وبقية السواحل
- ٦٤٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٤٦ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة
- ٦٤٧ فتح قلعة الروم
- ٦٥٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٥٧ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة
- ٦٦٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة
- ٦٦٥ واقعة عساف النصراني
- ٦٦٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٧٢ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة
- ٦٧٣ ذكر سلطنة الملك العادل كَثِيغًا

- ٦٧٦ وفيها توفى من الأعيان
- ٦٨٣ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة
- ٦٨٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٩١ ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة
- ٦٩٤ سلطنة الملك المنصور لاجين السلحدار
- ٦٩٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٠٢ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة
- ٧٠٥ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٠٨ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة
- ٧٠٩ ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون
- ٧١٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧١٧ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة
- ٧١٨ وقعة قازان
- ٧٣١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٣٥ ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية
- ٧٤٠ وممن توفى فيها من الأعيان

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء السابع عشر ويليهِ الجزء

الثامن عشر ، وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة

